البداية والنهاية

للحافظ عماد الدِّين أبى الفداء إسماعيل

ابن عمر بن كثير القُرَشىِّ الدِّمَشْقىِّ

٧٠١ - ٧٧٤ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى

بالتعاون مع

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية

بدار هجر

الجزء السادس عشر

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة

فيها[1] سارَ جماعةٌ للحَجِّ بخِفَارَةٍ ، فلم يُمْكِنْهم المسِيرُ ، فعدَلُوا إلى الكوفةِ ورجَعُوا . وفي ذى الحِجَّةِ منها شُرع فى بناءِ المدرسةِ النِّظَامِيَّةِ ببغدادَ ، ونُقِضَ لأجْلِها دُورٌ كثيرةٌ من مَشرعَةِ الزَّوايا ، وبابِ البَصْرَةِ . وفيها كانتْ حروبٌ كثيرةٌ بينَ تَميمِ بنِ [2]المعزِّ بنِ باديسَ[2] ، وأوْلادِ حَمَّادٍ ، والعربِ والمغارِبَةِ بصِنْهاجَةَ[3] وزَناتةَ[4] .

وحجَّ بالناسِ مِن بغدادَ النقيبُ أبو الغنائمِ .

وفيها كان مَقْتَلُ عميدِ المُلْكِ الكُنْدُرِيِّ ، وهو [5]محمدُ بنُ[5] منصورِ بنِ [٩/١٨٣ظ] **محمدٍ ، أبو نَصْرٍ** ، وزيرُ طُغْرُلْبَك ، وقد كان مسْجُونًا له سنةً تامَّةً ، ولمَّا قُتِل حُمِل فدُفِن عندَ أبيه بقريةِ كُنْدُرَ[6] ، مِن عملِ طُرَيْثيثَ ، وليست بكُنْدُرَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٩١، والكامل ١٠/ ٤٤.

(٢ - ٢) فى ب ، خ ، م : « العزيز وباديس » .

(٣) صنهاجة : قوم من المغرب .

(٤) زناتة : ناحية بسرقسطة من جزيرة الأندلس . معجم البلدان ٢/ ٩٤٧.

(٥ - ٥) سقط من النسخ ، وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٩٢، ووفيات الأعيان ٥/ ١٣٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠هـ) ص ٤٢٢، وشذرات الذهب ٣/ ٣٠١.

(٦) معجم البلدان ٤/ ٣١٠.

التى بالقربِ منِ قَزْوِينَ . واسْتَحوذَ السلطانُ على أمْوالِه وحواصِلِه ، وقد كان ذكيًّا فصِيحًا شاعرًا ، لدَيْه فضائلُ جَمَّةٌ ، حاضِرَ الجوابِ سرِيعَه . ولمَّا أرسَلَه طُغْرُلْبَكُ إلى الخليفةِ يَخطُبُ إليه ابنَتَه ، وامتنعَ الخليفةُ مِن ذلك أشدَّ الامتناعِ ، وأنشدَ متمَثِّلًا بقولِ المتنبى[1] :

* ما كلُّ ما يتَمَنَّى المرءُ يُدْرِكُه *

فتَمَّمَه الوزيرُ :

* تجْرِى الرياحُ بما لا تَشْتَهِى السُّفنُ *

فسكَت الخليفةُ وأطرَق .

وكان عمْرُ الكُنْدُرِىِّ حينَ قُتِل نَيِّفًا وأربعينَ سنةً . ومِن شعرِه الجيِّدِ قولُه :

إنْ كانَ بالناسِ ضيقٌ عن منافَستى فالموْتُ قد وسَّعَ الدنيا على الناسِ
مضَيتُ والشامِتُ المغْبُونُ يتْبَعُنى كلٌّ لكأْسِ المَنايَا شارِبٌ حاسِى

وقد كان الملكُ طُغْرُلْبَكُ بعَثه مرةً ليخطُبَ له امرأةَ خُوارِزْمَ شاه فتزوَّجها هو ، فخصَاه وأقرَّه على عملِه ، فدُفِن ذكَرُه بخُوارِزْمَ ، وسُفِح دمُه حينَ قُتِل بمَرْوِ الرُّوذِ ، ودُفِن جسدُه بكُنْدُرَ ، وحُمِل رأسُه فدُفِنَ بنَيْسابُورَ ، ونُقِلَ قَحْفُ رأسِه إلى كَرْمانَ .

(١) انظر : ديوان المتنبى ص ٤٦٩.

ثم دخَلت سنةُ ثَمانٍ وخمسين وأربعِمائَةٍ

فى يومِ عاشُوراءَ[١] أغلَقَ أهلُ الكَرخِ دكاكِينَهم ، وأحضَرُوا نساءً فنُحْنَ على الحُسينِ ، كما جرَتْ به سالِفُ عاداتِ بِدَعِهِمُ المتقدِّمَةِ ، فحينَ وقع ذلك أنكَرَتْه العامَّةُ ، وطلَب الخليفةُ أبا الغنائمِ نقيبَ الطالِبِيِّين ، وأنكر ذلك عليه ، فاعتذَر بأنَّه لم يعلَمْ بذلك ، وأنَّه حِينَ علِم به أزالَه ، وتردَّد أهلُ الكَرْخِ إلى الديوانِ يعتذِرُونَ مِن ذلك ، ويتنصَّلون منه ، وخرَج التوقيعُ بكُفْرِ مَن يَسُبُّ الصحابةَ ويُظهِرُ البِدَعَ .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[٢] : وفى ربيعِ الأوَّلِ وُلِدَ ببابِ الأزْجِ صَبِيَّةٌ لها رأسان ووَجْهان ورَقَبتان وأربعُ أيْدٍ ، على بدَنٍ كاملٍ ثم ماتَتْ . قال[٢] : وفى جُمادَى الآخرةِ كانت زَلزلةٌ بخُراسانَ لَبِثتْ أيامًا ، تصدَّعَتْ منها الجبالُ ، وأهلَكت جماعةً ، وخسَفتْ بعدَّةِ قُرى ، وخرَج الناسُ إلى الصحراءِ وأقامُوا هُنالِكَ ، ووقَع حريقٌ بنَهْرِ مُعَلَّى[٣] من بغدادَ فأحرَق مِائَةَ دُكَّانٍ وثلاثةَ دورٍ ، وذهَب للناسِ شىءٌ كثيرٌ ، ونهَب الناسُ بعضُهم بعضًا .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[٤] : وفى شعبانَ وقَع قتالٌ بدِمَشْقَ ، فضرَبوا دارًا كانت مجاورةً مِن الجامعِ بالنارِ ، فاحترَقَ جامِعُ دمشقَ . [٩/١٨٤و] كذا قال ابنُ الجَوْزِىِّ ؛ والمشْهورُ أنَّ حريقَ جامعِ دِمَشْقَ إنَّما كان فى سنةِ إحْدَى وستِّينَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٩٤، والكامل ١٠/ ٥٢.

(٢) المنتظم ١٦/ ٩٥.

(٣) نهر معلى : أشهر وأعظم محلة فى بغداد ، وكان بها دار الخلافة .

(٤) المنتظم ١٦/ ٩٥.

وأربعِمائَةٍ بعدَ ثلاثِ سِنينَ . وأنَّ غِلْمانَ الفاطِميِّينَ اقتتلُوا مع غلمانِ العباسِيِّينَ فأُلقيتْ نارٌ بدارِ الإمارَةِ - وهى الخضْراءُ - فاحترَقَت وتعدَّى حريقُها إلى أن وصَل إلى الجامعِ فسقَطَت سقُوفُه ، وزخْرَفَتُه ، ورُخامُه ، وبَقِى كأنَّه خرابَةٌ ، وبادَتِ الخضْراءُ فصارَتْ كَوْمًا مِن ترابٍ ، بعدَما كانت فى غايةِ الإحْكامِ والإتْقانِ ، وطيبِ الغِناءِ ، وحُسْنِ البناءِ ، فهى إلى يومِنا هذا لا يسْكُنُها - لرداءةِ مكانِها - إلا سِفْلَةُ الناسِ وسُقَّاطُهم ؛ بعدَما كانت دارَ المُلكِ والإمارَةِ ، منذُ أسَّسها معاويةُ بنُ أبى سُفيانَ ، رضِى اللَّهُ تعالى عنه . وأمَّا الجامِعُ فإنَّه لم يَكُنْ على وَجْهِ الأرضِ بناءٌ أحسَنُ منه ، إلى أنِ احترقَ فبقِىَ خرابًا مدَّةً ثم شرَع الملُوكُ فى تجديدِه وترْميمِه ، حتى بُلِّطَ فى زمانِ العادِلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ ، ولم يَزَلْ فى تحْسينِ مَعالِمِه إلى زمانِنا هذا ، فتماثَل حالُه بعضَ التماثُلِ ، وهو بالنسبَةِ إلى حالِه الأوَّلِ كلا شىءَ ، ولا زال التحسينُ فيه إلى أيامِ الأميرِ سيْفِ الدينِ تَنْكِزَ[1] بنِ عبدِ اللَّهِ الناصِرِىِّ ، فى حدودِ سنةِ ثلاثين[2] وسبْعِمائَةٍ ، وما قبلَها وما بعدَها بيسيرٍ .

وفيها رخُصَتِ الأسْعارُ ببغدادَ رُخْصًا بيِّنًا ، ونقَصت دِجْلَةُ نقْصًا ظاهِرًا . وفيها أخذَ الملكُ ألْبُ أرسَلانَ العهدَ بالمُلكِ مِن بعدِه لولَدِه مَلِكْشَاه ، ومشَى بينَ يدَيْه بالغاشِيَةِ[3] ، والأُمراءُ بينَ يدَيْه يتماشون بالخِلَعِ ، وكان يومًا مشْهودًا .

وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ نورُ الهُدَى أبو طالبٍ الحسينُ بنُ نِظامِ الحضْرَتَيْن[4] ،

---

(١) فى م : « بتكنزين » ، وانظر الوافى بالوفيات ١٠/ ٤٢٠، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣٢٧.

(٢) فى ب ، خ ، م : « ثلاث » .

(٣) الغاشية : وهى غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب ، يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، تحمل بين يديه - أى بين يدى الخليفة - عند الركوب فى المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها ، يحملها الرِّكاب داريَّة ، رافعًا لها على يديه يلفتها يمينًا وشمالًا ، وهى من خواص هذه المملكة . صبح الأعشى ٧/٤.

(٤) بعده فى الأصل ، ص : « أبى الحسين محمد بن » .

الزَّيْنَبِيُّ ، وجاوَرَ بمَكَّةَ .

ومِمّن توفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الحافِظُ الكبيرُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ موسى البَيْهَقِيُّ(1) ، أحدُ الحفّاظِ الكِبارِ ، له التصانيفُ التى سارَتْ بها الرُّكْبانُ فى سائرِ الأمْصارِ والأقطارِ ، وُلِد سنَةَ أربعٍ وثمانِيـنَ وثلاثِمائةٍ ، وكان واحدَ زمانِه فى الإتْقانِ والحفظِ والفِقهِ والتصنيفِ ، كان فقيهًا ، مُحدِّثًا ، أصُوليًّا ، أخَذ العلمَ عنِ الحاكمِ أبى عبدِ اللَّهِ النَّيْسَابُورىِّ ، وسمِع على غيرِه شيئًا كثيرًا ، وجمَع أشياءَ كثيرةً نافعةً جدًّا ، لم يُسْبَقْ إلى مثلِها ، ولا يُدْرَكُ فيها ؛ مِن ذلك كتابُ « السُّنَنِ الكبيرِ » ، و« نُصوصِ الشافعيِّ » كلٌّ فى عشَرةِ مُجلَّداتٍ(2) ، و« السُّنَنِ(3) والآثارِ » ، و« المدخلِ » ، و« الآدابِ » ، و« شُعَبِ الإيمانِ » ، و« الخِلافيّاتِ » ، و« دلائلِ النبوَّةِ » ، و« البعثِ والنشورِ » ، وغيرِ ذلك مِن المصنفاتِ الكبارِ والصغارِ المفيدةِ ، التى لا تُسامَى ولا تُدانَى ، وكان زاهِدًا متقلِّلًا مِن الدنيا ، كثيرَ العبادةِ والوَرَعِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى . [٩/١٨٤ظ] وكانت وفاتُه بنَيْسَابُورَ ، ونُقِل تابوتُه إلى بَيْهَقَ فى جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنةِ .

الحسنُ بنُ غالبِ بنِ عليِّ بنِ غالبِ بنِ منصورِ بنِ صُعْلوكٍ ، أبو عليٍّ التَّمِيمِيُّ(4) ، ويُعرفُ بابنِ المُبارَكِ المُقْرِئِ ، صَحِب ابنَ سَمْعُونَ ، وأقرَأ القرآنَ على

---

(1) وفيات الأعيان ١/ ٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١- ٤٦٠ هـ) ص ٤٣٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ١١٣٢، طبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٨.

(2) فى السير : أن كتاب « نصوص الشافعى » يقع فى مجلدين ، والذى أورده ابن كثير موافق لما فى المنتظم ١٦/ ٩٧.

(3) بعده فى م : « الصغير » ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٦٦.

(4) الجرح والتعديل ٣/ ٣٢، وتاريخ بغداد ٧/ ٤٠٠، والمنتظم ١٦/ ٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١- ٤٦٠ هـ) ص ٤٤٤، وغاية النهاية ١/ ٢٦٦.

حُروفٍ أُنْكِرَتْ عليه، وجُرِّبَ عليه الكَذِبُ، إمَّا عمدًا وإما خطأً، واتُّهِمَ فى رواياتٍ كثيرةٍ، وكان (١أبو الحسنِ١) القَزْوِينيُّ ممَّن يُنْكِرُ عليه، وكُتِبَ عليه مَحْضَرٌ وأُلزِمَ بعدَمِ الإقْراءِ بالحروفِ المُنكرةِ. قال أبو محمدٍ بنُ السَّمَرْقَنْدِيِّ[٢]: كان كذَّابا. وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن اثْنتين وثمانينَ سنةً، ودُفِنَ عندَ إبراهيمَ الحَرْبِيِّ. (٣قال ابنُ خَلِّكانَ: أخَذ الفقهَ عن أبى الفَتْحِ ناصرِ[٤] بنِ محمدٍ العُمَرِيِّ المَرْوَزِيِّ، ثم غلَب عليه الحديثُ واشْتُهرَ به، ورحَل فى طلبهِ٣).

القاضى أبو يَعْلَى الحنْبَلِيُّ، محمدُ بنُ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ خلفِ بنِ أحمدَ ابنِ الفَرّاءِ[٥]. القاضى أبو يَعْلَى، شيخُ الحنابلةِ، ومُمَهِّدُ مذهَبِهم فى الفُروعِ، وُلِد فى محرمٍ سنَةَ ثمانينَ وثَلاثِمائةٍ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ، وحدَّثَ عن ابنِ حُبابَةَ. قال ابنُ الجَوْزِيِّ[٦]: وكان مِن ساداتِ الثقاتِ، وشهِدَ عندَ ابنِ مَاكُولَا وابنِ الدامَغانِيِّ فقَبِلاه، وتولَّى النظرَ فى الحكمِ بحَرِيمِ دارِ الخلافةِ، وكان إمامًا فى الفِقْهِ، له التصانيفُ الحِسانُ الكثيرةُ فى مذهبِ أحمدَ، ودَرَّسَ وأفْتَى سنِينَ، وانتهَى إليه المذْهبُ، وانتشرَتْ تصانيفُه وأصحابُه، وجمَع الإمامةَ والفقهَ والصِّدقَ، وحسْنَ الخُلقِ، والتعبُّدَ والتقَشُّفَ والخشوعَ، وحُسْنَ السَّمْتِ، والصمْتَ عمَّا لا يَعْنِى.

(١ - ١) فى ب، خ، م: «أبو بكر».
(٢) المنتظم ١٦/ ٩٨.
(٣ - ٣) هكذا ذكر ابن كثير، ولم أجد هذا القول لابن خلكان، ولعلها مقحمة هنا، حيث إن الحسن هذا اشتهر بأنه مقرئ، ولم أجد فى مصادر ترجمته أنه اشتهر بالفقه أو الحديث.
(٤) فى ب، خ، م: «نصر».
(٥) تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٦، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٩٣، والمنتظم ١٦/ ٩٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١- ٤٦٠هـ) ص ٤٥٣، والوافى بالوفيات ٣/ ٧.
(٦) المنتظم ١٦/ ٩٩.

وكانت وفاتُه فى العشْرينَ من رمضانَ مِن هذه السنةِ عن ثمانٍ وسبعين[1] سنةً ، واجتمَع فى جِنازَتِه القُضاةُ والأعيانُ مِن الفقهاءِ والشهودِ ، وكان يومًا حارًّا ، فأفْطَر بعضُ مَن اتَّبَع جِنازتَه ذلك اليومَ . وترَك مِن البنيـنَ عُبَيْدَ اللَّهِ أبا القاسمِ وأبا الحسينِ وأبا حازِمٍ . ورآه بعضُهم فى المنامِ ، فقال له : ما فعَل اللَّهُ بكَ ؟ فقال : رَحِمنى وغفَر لى وأكرَمنى ، ورفَع منزِلَتِى . وجعَل يعُدُّ ذلك بإصْبَعِه . فقال : بالعِلمِ ؟ فقال : بل بالصِّدْقِ . رحِمه اللَّهُ تعالى .

ابنُ سِيدَه اللُّغوىُّ ، أبو الحسنِ علىُّ بنُ إسماعيلَ المُرْسِىُّ[2] ، كان إمامًا حافِظًا للغةِ ، وكان ضريرَ البصَرِ ، أخذَ علمَ العربيةِ واللغةِ عن أبيه ، وكان أبوه ضريرًا أيضًا ، ثم اشْتَغَل على أبى العلاءِ صاعِدٍ البغدادِىِّ ، وله « المُحْكَمُ » فى مُجلَّداتٍ عديدةٍ ، وله « شَرْحُ الحماسَةِ » فى ستِّ مُجلَّداتٍ ، وغيرُ ذلك ، وقرَأ على الشيخِ أبى عمرَ الطَّلَمَنْكِىِّ[3] كتابَ « الغريبِ » لأبى عُبَيْدٍ سَرْدًا مِن حفْظِه . والشيخُ يقابل نسختَه بما يقرَأُ ، فسمِع الناسُ بقراءتِه مِن حفْظِه [٩/١٨٥و] ، وتعجَّبوا لذلك .

وكانت وفاتُه فى ربيعٍ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ ، وله ستُّونَ سنةً ، وقيلَ : إنَّه تُوفِّى فى سنَةِ ثمانٍ وأربعين . والأوَّلُ أصَحُّ ، واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى الأصل : « ستين » .

(٢) بغية الملتمس ص ٤١٨ ، وإنباه الرواة ٢/ ٢٢٥ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٣٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٤٤ ، وبغية الوعاة ٢/ ١٤٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠هـ) ص ٤٤٧ .

(٣) سقط من : ص ، وفى الأصل : « المالكى » ، وفى ب ، م : « الطملنكى » .

ثم دخلت سنة تِسْعٍ وخمسين وأرْبَعِمائةٍ

فيها[١] بنَى أبو سعدٍ المسْتَوْفِى الملَقَّبُ بشَرفِ المُلْكِ ، مشْهدَ الإمامِ أبى حنيفةَ النعمانِ ببغدادَ ، وعقَد عليه قُبَّةً ، وعمِلَ بإزائِه مدرسةً ، وأنزَلها المدرسَ والفقهاءَ فدخَل أبو جَعْفَرٍ ابنُ البياضِيِّ زائرًا لأبى حنيفةَ فأنشدَ ارتجالًا[٢] :

ألم ترَ أنَّ العلمَ كان مُضَيَّعًا فجمَّعَه هذا المُغيَّبُ فى اللَّحْدِ
كذلكَ كانتْ هذه الأرْضُ ميْتةً فأنْشَرها جُودُ العميدِ أبى السعْدِ

وفى شعبانَ هبَّتْ ريحٌ حارَّةٌ فماتَ بسبَبِها خلقٌ كثيرٌ ، ودَوابُّ ببغدادَ ، وأتلَفت شجرًا مِن الليْمُونِ والأُتْرُجِّ .

وفيها احْترَقَ قبرُ معروفٍ الكَرْخِيِّ ، وكان سببَه أنَّ القَيِّمَ طُبِخَ له ماءُ الشعيرِ لمرَضِه ، فتعَدَّتِ النارُ إلى الأخشابِ فاحْترَق المشْهَدُ بكَمالِه .

وفيها وقَع غلاءٌ وفَناءٌ بدِمَشْقَ وحَلَبَ وحَرَّانَ ، وخُراسانَ بكَمالِها ، ووقَع الفناءُ فى الدوابِّ ؛ كانتْ تنْتَفِخُ رُءُوسُها وأعْيُنُها حتى كان الناسُ يأخذونَ حُمُرَ الوحشِ بالأيْدِى ، ولكن يأْنفُون مِن أكلِها .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ فى المنتظمِ[٣] : وفى يومِ السبتِ عاشر ذى القَعدَةِ جمَع العميدُ أبو سعدٍ القاضى الناسَ ؛ ليَحْضُروا الدرسَ بالنِّظَامِيَّةِ ببغدادَ ، وعيَّنَ

(١) المنتظم ١٦/ ١٠٠، والكامل ١٠/ ٥٤.
(٢) الأبيات فى المنتظم ١٦/ ١٠٠.
(٣) المنتظم ١٦/ ١٠٢.

لتدْرِيسِها ومشيَخَتِها الشيخَ أبا إسحاقَ الشِّيرازِىَّ ، فلمَّا تكامل اجْتماعُ الناسِ ، وجاء أبو إسْحاقَ ليدرِّس ، لقِيَه فقيهٌ شابٌّ ، فقال : يا سيِّدِى ، تذْهَبُ تدرِّسُ فى مكانٍ مغْصُوبٍ ؟ فامتنَع مِن الحضورِ ورجَع إلى بيتِه ، فأُقيمَ الشيخُ أبو نَصْرِ بنُ[1] الصَّبَّاغِ فدَرَّس ، فلمَّا بلَغ نِظامَ المُلْكِ ذلك تغيَّظ على العميدِ ، وأرسَل إلى الشيخِ أبى إسحاقَ ، فرَدَّه إلى التدْريسِ بالنّظامِيَّةِ ، فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنَةِ ، وكان لا يُصلِّى فيها مكْتوبةً ، بل يخرُجُ إلى بعضِ المساجدِ فيؤدى المكتوبةَ ؛ لما ذُكِر مِن كونِها فى بعضِ أرضِها غصْبٌ ، وقد كانت مدةُ تدْريسِ ابنِ الصَّبَّاغِ عِشرين يومًا ، ثم عاد الشيخُ أبو إسحاقَ إليها .

وفى ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنَةِ قُتِل الصُّلَيحِىُّ أميرُ اليمنِ وصاحِبُ مَكَّةَ ، قتَله بعضُ أمراءِ اليمنِ ، وخُطِب بها للقائمِ بأمرِ اللَّهِ العباسِىِّ .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أبو الغنائمِ النقيبُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ [١٨٥/٩ظ] :

محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ محمدٍ ، أبو علىٍّ الطُّوسِىُّ[2] ، ويقالُ له : العِراقِىُّ ؛ لظَرْفِه وطولِ مُقامِه بها ، سمِع الحديثَ مِن أبى طاهرٍ الـمُخَلِّصِ ، وتفَقَّه على أبى محمدٍ البافىِّ[3] ، ثم على الشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَرايِينىِّ ، ووَلِىَ قضاءَ بلْدَةِ طوسَ[4] ، وكان مِن الفُقهاءِ الفُضلاءِ الـمُبَرَّزِينَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل ، ب ، خ ، م : « الطرسوسى » ، وانظر ترجمته فى : المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ص ٥١، وفيه : « محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل » ، والمنتظم ١٦/ ١٠٤، والكامل ١٠/ ٥٦. وذكر ابن الأثير أنه : « عمر بن إسماعيل بن محمد أبو على الطوسى » وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١- ٤٦٠هـ) ص ٤٧٥، وفيه « محمد بن إسماعيل بن أحمد بن عمرو » .

(٣) فى خ ، ص : « النامى » ، وفى م : « الباقى » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٨.

(٤) فى النسخ : « طرسوس » والمثبت من مصادر الترجمة .

ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة من الهجرة النبوية

قال ابنُ الجوْزِىّ[1] : فى جُمادَى الأُولَى كانت زلزلَةٌ شديدةٌ بأرضِ فِلَسْطينَ ، أهلكتْ بلدَ الرَّمْلَةِ ، ورمَتْ شُرّافتيْن مِن مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولحِقَتْ وادِىَ الصفراءِ وخَيْبَرَ ، وانشقَّتِ الأرضُ عن كُنوزٍ مِن المالِ ، وبلَغ حِسُّها[2] إلى الرَّحبَةِ والكُوفَةِ ، وجاء كتابُ بعضِ التجارِ فى هذه الزلزلةِ يقولُ : إنَّها خسَفَت الرَّمْلَةَ جميعًا حتى لم يسلَمْ منها إلَّا دارانِ فقط ، وهلَك منها خمسَ عشْرَةَ ألفَ نسَمةٍ ، وانشقَّتْ الصخرةُ التى ببيتِ المقدِسِ ، ثم عادَتْ فالتأمَتْ بقدرةِ اللَّهِ تعالى ، وغارَ البحرُ مسيرَةَ يومٍ وساخ[3] (4) فى الأرضِ ، وظهَر مكانَ الماءِ أشياءُ من جواهرَ وغيرِها[4] ، ودخَل الناسُ إلى أرضِه يلْتَقِطُونَ ، فرجَع عليهم فأهلَك خلقًا كثيرًا منهم[5] .

وفى يوم السبتِ النصفِ مِن جُمادَى الآخرةِ قُرِئَ الاعْتِقادُ القادِرِىُّ ، الذى فيه مذهبُ أهلِ السنةِ والجماعةِ والإنْكارُ على أهلِ البِدَعِ ، وقرَأ أبو مُسْلِمٍ الليثىُّ[6] البُخارِىُّ المحدِّثُ كتابَ « التوحيدِ » لابنِ خُزَيْمةَ على الجماعةِ الحاضِرين . وذُكِرَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٠٥، وانظر الكامل ١٠/ ٥٧.

(٢) أى صوتُها .

(٣) فى ص ، ومصدر التخريج : ساح » . وما أثبتاه أوفق للمعنى ، فقول « ساخ فى الأرض » ، أى : غاص فيها . تاج العروس (س و خ) .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ص ، ومصدر التخريج : « فى البر وخرب الدنيا » .

(٥) بعده فى الأصل ، ص : « هذا لفظه » .

(٦) فى ب ، م : « الكجى » . وفى حاشية خ : « الكشى » . وانظر المنتظم ١٦/ ١٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٠٧.

بمحْضَرٍ مِن الوزيرِ ابنِ جَهِيرٍ وجماعةِ الأعيانِ مِن الفقهاءِ وأهلِ الكلامِ، واعْتَرفُوا بالموافَقَةِ، ثم قُرِئَ «الاعتقادُ القادِرىُّ» على الشريفِ أبى جعفرٍ (1) ابنِ المُهتدى (1) باللَّهِ بباب البَصْرَةِ، وذلك لسماعِه له مِن الخليفةِ القادِرِ باللَّه مصنِّفِه.

وفيها عزَل الخليفةُ وزيرَه أبا نَصْرٍ محمدَ بنَ محمدِ بنِ جَهِيرٍ، المُلَقَّبَ فَخرَ الدولةِ، وبعَث إليه يعاتِبُه فى أشياءَ كثيرةٍ، فاعتذَرَ منها وأخَذ فى الترَفُّقِ والتذلُّلِ، فأُجيبَ بأن يرحلَ إلى أىِّ جهةٍ شاء، فاخْتار حِلَّةَ ابنِ مَزْيَدٍ، فباعَ أصحابُه أموالَهم وأمْلاكَهم وطلَّقُوا نِساءَهم، وأخَذ أوْلادَه وأهلَه، وجاءَ ليركبَ فى سُميريَّةٍ (2) لينْحَدِرَ منها إلى الحِلَّةِ، والناسُ حولَه يتباكَونَ لبُكائِه، فلمَّا اجتازَ بدارِ الخلافَةِ قبَّل الأرضَ دَفَعاتٍ والخليفةُ فى الشُّبَّاكِ، والوزيرُ يقولُ: يا أميرَ المؤمنين، ارحَمْ شَيْبَتى وغُرْبَتى وأولادى. فأُعِيدَ إلى الوَزارةِ [186/9و] بشفاعَةِ دُبَيسِ بنِ مَزْيَدٍ، فى السنَةِ الآتيةِ، وامْتدَحه الشعراءُ، وفرِح الناسُ برُجوعِه إلى الوَزارةِ، وكان يومًا مشْهُودًا.

وممن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

عبدُ الملكِ بنُ محمدِ بنِ يوسفَ (3) أبو منصورٍ (3)، المُلَقَّبُ بالشيخِ الأجَلِّ، كان أوحدَ زمانِه فى القيامِ بالمعروفِ، والمُبادرَةِ إلى فعلِ الخيْراتِ، واصْطِناعِ الأيادِى عندَ أهلِها مِن أهلِ السُّنَّةِ، مع شدَّةِ القيامِ على أهلِ البِدَعِ ولَعْنِهم،

(1 - 1) فى ب، م: «بن المقتدى»، وفى خ: «المقتدى».

(2) فى ب، خ، م: «سفينة».

(3 - 3) فى م: «بن منصور». وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد 10/ 434، والمنتظم 16/ 107، والكامل 10/ 58، وسير أعلام النبلاء 18/ 333، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 451- 460هـ) ص 486، والنجوم الزاهرة 5/ 82.

وافْتِقادِ المسْتُورِينَ بالبِرِّ ، والصَّدقةِ على المحاويجِ وإخفاءِ ذلك جَهْدَه وطاقته ، ومِن غريبِ ما وقَع له أنّه كان يَبَرُّ إنسانًا فى كلِّ سنَةٍ[(١)] بعشَرةِ دنانيرَ ، يكتبُ له بها على رجلٍ يقالُ له : ابنُ رِضوانَ . فلمَّا تُوفِّى جاءَ الرجلُ إلى ابنِ رِضوانَ فقال : ادْفَعْ إلىَّ ما كان يصرفُ لى الشيخُ . فقال له ابنُ رِضوانَ : إنَّ الذى كان يكتبُ لك علىّ قد ماتَ ، ولا أقدرُ أن أصرفَ لك شيئًا ، فذهَب الرجلُ إلى قَبْرِ الشيخِ الأجَلِّ فقرأ شيئًا مِن القرآنِ وترحَّمَ عليه ، ثم الْتفَتَ فإذا هو بكاغِدٍ فيه عشَرةُ دنانيرَ ، فأخَذْها وجاءَ بها إلى ابنِ رِضوانَ فذكَر له ذلك ، فقال له ابنُ رِضوانَ : هذه يا أخى سقَطَت منِّى اليومَ عندَ قَبرِه ، فخُذْها ولكَ (٢علىَّ مثلُها فى كلِّ عامٍ٢) .

كانتْ وفاتُه المُنتصفَ مِن محرَّمِ هذه السَّنةِ عن خمسٍ وستِّينَ سنةً ، وكان يومُ موتِه يومًا مشْهُودًا ، حضَره خلقٌ مِن الناسِ لا يَعلَمُ عدَدَهم إلَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، فرحِمه اللَّهُ تعالَى ، وأكرَم مَثواه .

أبو جعفرٍ محمدُ بنُ الحسنِ الطُّوسِىُّ[(٣)] فقيهُ الشيعةِ ، ودُفِنَ بمشهدِ علىٍّ ، وكان مُجاورًا به ، حينَ احترَقت دارُه - بالكَرخِ - وكتُبُه ، سنةَ ثمانٍ وأربعينَ إلى المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ ، فتوفِّى ودُفِن هناك .

---

(١) فى ب ، خ ، م : « يوم » .

(٢ - ٢) فى ب ، خ ، م : « عندى فى كل يوم مثلها » .

(٣) الملل والنحل ١/ ٤١٩، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١- ٤٦٠هـ) ص ٤٩٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ١٢٦، والوافى بالوفيات ٢/ ٣٤٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ٨٢.

(1) **خديجةُ بنتُ محمدِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ اللَّهِ، الواعظةُ المعروفةُ بالشَّاهْجانِيَّةِ**(2) ، وُلِدت سنةَ أربعٍ وسبعين وثلاثِمائةٍ، وكانت قد صَحِبت ابنَ سمعونَ، وروَتْ عنه وعن ابنِ شاهينَ، ودُفِنت إلى جانبِ ابنِ سمعونَ(1) .

(1 - 1) سقط من: ب، خ، م، وبعده فى الأصل، ص: «ترجمة أبى القاسم عمر بن محمد بن أحمد بن عكرمة البَزْرى الجزَرى شيخ الشافعية، والمجمع عليه فى مصادر ترجمته أنه من وفيات سنة ستين وخمسمائة، وسنورد ترجمته فى موضعها الصحيح.

(2) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٤٦، والمنتظم ١٦/ ١٠٧، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١- ٤٦٠هـ) ص ٤٨٣ والنجوم الزاهر ٥/ ٨٢، وشذرات الذهب ٣/ ٣٠٨.

[٩/١٨٦ظ] ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة

فى ليلةِ النصفِ مِن شعبانَ مِن هذه السنةِ[1] كان حريقُ جامعِ دِمَشْقَ ، وكان سببَه أنَّ غِلمانَ الفاطمِيِّينَ والعباسِيِّينَ اخْتَصَمُوا فيما بينَهم ، فأُلقِيَتْ نارٌ بدارِ المُلكِ ، وهى الخضْراءُ المُتاخِمَةُ للجامعِ مِن جهةِ القِبْلَةِ ، فاحترقَتْ ، وسرَى حريقُها إلى الجامعِ ، فسقَطَتْ سقُوفُه وتناثرَتْ فُصوصُه المُذَهَّبَةُ التى على جُدْرانِه ، وتقلَّعَتِ الفُسَيْفِساءُ التى كانت فى أرضِه ، وعلى جُدْرانِه ، وتغيَّرت معالمُه ومحاسنُه وتبدَّلت بهجتُه بضِدِّها ، وقد كانتْ سُقوفُه مذهَّبةً مبطَّنةً كُلُّها والجَمْلُوناتُ مِن فوقِها ، وجُدْرانُه بالفصوصِ المذهَّبةِ الملونةِ مصَوَّرٌ فيها جميعُ بلادِ الدنْيا[2] ؛ الكَعْبَةُ ومكةُ فى المحرابِ ، والبلادُ كلُّها شرقًا وغربًا ، كلٌّ فى مكانِه اللائقِ به ، ومصوَّرٌ فيه كلُّ شجرةٍ مثْمرةٍ وغيرِ مثمرةٍ ، مشكَّلٌ مصوَّرٌ فى بُلْدانِه وأوْطانِه ، والسُّتُورُ مُرْخاةٌ على أبوابِه النافِذَةِ إلى الصَّحْنِ وعلى أصولِ الحيطانِ إلى مقدارِ الثُّلُثِ منها ، وباقى الجِداراتِ بالفُصوصِ الملَوَّنَةِ ، وأرضُه كلُّها بالفُصوصِ ؛ الرُّخامِ والفُسَيفِساءِ ، ولم يكُنْ فى الدُّنيا بناءٌ أحسنُ منه ، لا قُصورُ الملوكِ ولادُورُ الخلافةِ ، فضلًا عن غيرِهم ، ثم لمَّا وقَع هذا الحريقُ فيه ، تبدَّلَ الحالُ الكاملُ بضِدِّه ، وصارَتْ أرضُه طِينًا فى زمنِ الشتاءِ ، وغُبارًا فى زمنِ الصيفِ ، محفورَةً

---

(١) الكامل ١٠/ ٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٥، وانظر ما تقدم ص٧، ٨.
(٢) بعده فى ب ، خ ، م ، « بحيث إن الإنسان إذا أراد أن يتفرج فى إقليم أو بلد وجده فى الجامع مصورا كهيئته ، فلا يسافر إليه ولا يعنى فى طلبه فقد وجده من قرب » .

مهْجُورةً ، ولم يزَلْ كذلك حتى بُلِّطَ أرضُه فى زمنِ العادِلِ أبى بكرِ بنِ أيُّوبَ ، بعدَ السِّتِّمائَةِ سنَةٍ مِن الهجرةِ ، وكان جميعُ ما سقَط مِنه مِن الرُّخامِ وغيرِه مِن الأَخْشابِ مُودَعًا فى المشاهِدِ الأربعَةِ ، شرقيةً وغربيةً ، حتى فرَّغَها من ذلك القاضى كمالُ الدينِ الشَّهْرُزُورِىُّ ، فى زمنِ الملكِ العادلِ نورِ الدينِ محمودِ بنِ زِنكىٍّ ، حينَ ولَّاه نظَرَه مع القضاءِ ونظَرَ الأوقافِ كلِّها ، ونظَرَ دارِ الضَّرْبِ وغيرَ ذلك ، ولم تَزلِ الملُوكُ تجدِّدُ فى محاسنِه إلى زمانِنا هذا ، فتقارَبَ حالُه فى زمنِ الأميرِ سيفِ الدينِ تَنْكِزَ بنِ عبدِ اللَّهِ الناصرىِّ نائبِ الشامِ ، أثابه اللَّهُ تعالى . وقد أرَّخَ الشيخُ أبو الفرجِ بنُ الجوزىِّ فى « المنتظمِ »[1] هذا الحريقَ فى سنَةِ ثمانٍ وخمسينَ ، وتَبِعَه ابنُ السَّاعِى [2] فى « تاريخِه » ، والصوابُ أنَّه فى هذه السنةِ كما ذكَره ابنُ الساعى[2] أيضًا فى هذه السنَةِ ، وشيخُنا الحافظُ أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهَبِىُّ مؤرِّخُ الإسْلامِ فى « تاريخه » ، وغيرُ واحدٍ . واللَّهُ أعلمُ .

وفيها نقَمَتِ الحنابلةُ على الشيخِ أبى الوَفاءِ بنِ عقيلٍ ، وهو مِن كُبَرائِهم ؛ بترَدُّدِه إلى أبى علىٍّ بنِ الوليدِ المتكلِّمِ المعتزلىِّ ، واتَّهَمُوه بالاعْتزالِ ، ولاشَكَّ [٩/١٨٧و] أنَّه لم يكُنْ يتردَّدُ إليه إلَّا ليُحِيطَ علمًا بمذهَبِه ، ولكِنْ سرَقَه الهوَى[3] ، وصارَتْ فيه نزْعَةٌ منه ، وجرَتْ بينَهم فتنةٌ طويلةٌ ، وتأذَّى بسبَبِها جماعةٌ منهم ، وما سكَنَتِ الفتنةُ إلى سنَةِ خمسٍ وستِّين ، ثم اصطلحُوا فيما بينَهم بعدَ اخْتِصامٍ كثيرٍ .

وفيها زادَتْ دِجْلَةُ على إحدى وعشرين ذِراعًا حتى دخَلت مَشْهَدَ أبى حنيفةَ[4] ومشهدَ النذورِ . وفيها ورَد الخبرُ بأنَّ الأفشينَ دخَلَ بلادَ الرومِ حتى

---

(١) المنتظم ١٦/ ٩٦.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى ب ، خ ، م : « فشرق شرقة كادت روحه تخرج معها » .

(٤) فى المنتظم ١٦/ ١١٤: « مشهد المالكية » .

انْتهى إلى عَمُّورِيَةَ[1] ، فقتَل خلقًا وغنِمَ أموالًا كثيرةً . وفيها كان رُخْصٌ عظيمٌ بالكوفَةِ حتى بَيعِ السمكُ كلُّ أربعِينَ رِطْلًا بحبَّةٍ[2] .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أبو الغنائمِ العَلَوِىُّ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الفُورانِىُّ ، أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ فُورانَ الفُورانِىُّ ، المَرْوَزِىُّ[3] ، أحدُ أئمةِ الشافعِيَّةِ ، مصنِّفُ « الإبانَةِ » التى فيها من النُّقولِ الغريبةِ ، والأقوالِ والأوْجُهِ التى لا تُوجَدُ إلَّا فيها ، كان بصِيرًا بالأُصولِ والفروعِ ، أخَذ الفقهَ عن أبى بكرٍ القفّالِ ، وحضَر إمامُ الحرمَيْنِ عندَه وهو صغيرٌ ، فلم يلْتَفِتْ إليه ، فصار فى نفْسِه منه ، فهو يخطِّئُه كثيرًا فى « النهايةِ » . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[4] : فمتى قال فى « النهايةِ » : وقال بعضُ المُصَنِّفِينَ كذا وغلِط فى ذلك . وشرَع فى الوقوعِ فيه ، فمُرادُه أبو القاسمِ الفُورانِىُّ . وكانت وفاتُه فى رمضانَ مِن هذه السنةِ بمَرْوَ ، عن ثلاثٍ وسبعين سنةً ، وقد كتَب تلميذُه أبو سعدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ محمدٍ[5] المأمونِ المعَرِّىُّ[6] - المدرسُ بالنِّظامِيَّةِ بعدَ الشيخِ أبى إسحاقَ وقبلَ ابنِ الصَّبَّاغِ وبعدَه أيضًا - كتابًا على « الإبانةِ » ، سمّاه « تَتِمَّةَ الإبانَةِ » ، انتهَى فيه إلى كتابِ الحدودِ ، وماتَ قبلَ إتْمامِه ، فتَمَّمَه أسعدُ العجْلىُّ وغيرُه ، فلم يلحَقُوا شَأْوَه ، وسَمَّوه : « تَتِمَّةَ التَّتِمَّةِ » ، رحِمهم اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى الأصل ، ص ، ب : « عورنة » ، وفى م : « غورية » .
(٢) أى : من ذهب . انظر المنتظم ١٦/ ١١٥.
(٣) المنتخب من السياق ٣١١، ووفيات الأعيان ٣/ ١٣٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١- ٤٧٠هـ) ص ٤٥. وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ١٠٩.
(٤) وفيات الأعيان ٣/ ١٣٢.
(٥) بعده فى الأصل ، ص : « بن » . وانظر وفيات الأعيان ٣/ ١٣٣، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٨٥.
(٦) ليس فى مصادر ترجمته أنه منسوب إلى « معرة » ، ولعلها : « المتولى » وحرفت هنا ، وانظر وفيات سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

ثم دخَلَتْ سنَةُ ثِنتَيْن وستّين وأربعِمائةٍ[(١)]

قال ابنُ الجَوْزِىِّ : فمِن الحوادِثِ فيها أنَّه كان على ثلاثِ ساعاتٍ من يومِ الثلاثاءِ الحادِى عشَرَ مِن جُمادَى الأُولى ، وهو [(٢)] الثامِنَ عشَرَ من [(٢)] آذارَ ، كانت زَلزلةٌ عظيمةٌ بالرَّمْلَةِ وأعْمالِها ، فذهَب أكثرُها وانْهدَمَ سورُها ، وعمَّ ذلك بيتَ المَقْدِسِ وتِنِّيسَ[(٣)] ، وانخسَفَت أيْلةُ[(٤)] ، وانجفَل البحرُ حتى انْكَشَفَتْ أرضُه ، ومشَى ناسٌ فيه ثم عادَ ، وتغَيَّرت إحدى زَوايا جامعِ مصرَ ، وتبِعَتْ هذه الزَّلزلةَ فى ساعَتِها زَلزلَتان أُخْرَيانِ .

وفيها توَجَّهَ ملكُ الرومِ مِن قُسْطَنْطِينِيَّةَ إلى الشامِ فى ثَلاثِمائَةِ ألفٍ ، فنزَل على [١٨٧/٩ظ] مَنْبِجَ وأحرَقَ القُرَى ما بينَ مَنْبجَ إلى أرضِ الرومِ ، وقتَل رِجالَهم وسبَى نِساءَهم ، وفزِع المسلمونَ بحَلَبَ وغيرِها فزَعًا عظيمًا ، فأقامَ سِتَّةَ عشَرَ يومًا ثم ردَّه اللَّهُ خاسِئًا ، وذلك لقلَّةِ ما معهم مِن المِيرَةِ وهَلاكِ أكثرِ جيْشِه بالجُوعِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفيها ضاقَت يدُ أميرِ مَكَّةَ فأخَذ الذهبَ مِن أسْتارِ الكعبةِ والمِيزابِ وبابِ الكعبةِ ، فضرَبَ كلَّ ذلك دَراهِمَ ودنانيرَ ، وكذلك فعَل صاحبُ المدينةِ بالقَنادِيلِ

---

(١) المنتظم ١٦/ ١١٦، والكامل ١٠/ ٦٠.

(٢ - ٢) فى ب ، خ ، م : « ثامن عشرين » ، وفى مصدر التخريج : « الثامن من » .

(٣) فى ب ، خ ، م : « نابلس » ، وتنيس : جزيرة فى بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط . معجم البلدان ١/ ٨٨٢.

(٤) فى ب ، خ ، م : « إيليا » ، وأيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام . معجم البلدان ١/ ٤٢٢.

التى فى المسجدِ النبوىِّ - على ساكنِه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ .

وفى هذه السنةِ كان غلاءٌ شديدٌ ، وقَحْطٌ عظيمٌ بديارِ مصرَ ، بحيثُ إنَّهم أكَلوا الجِيَفَ والمَيْتَاتِ والكِلابَ ، فكانَ يُباعُ الكلبُ بخمسةِ دَنانيرَ ، وماتَتِ الفِيَلَةُ فأُكِلَتْ ، وأُفنِيتِ الدَّوابُّ ، فلم يَبْقَ لصاحبِ مصرَ سوى ثلاثةِ أفْراسٍ ، بعدَ العدَدِ الكثيرِ منها . ونزَل الوزيرُ يومًا عن بغْلَتِه ، فغفَل الغُلامُ عنها لضَعْفِه مِن الجوعِ ، فأخَذها ثلاثةُ نَفَرٍ فذَبحُوها وأكَلُوها فأُخِذُوا فصُلِبُوا فأصبَحوا فإذا عظامُهم بادِيَةٌ ، قد أكَل الناسُ لحومَهم . وظُهِرَ على رجلٍ يقتُلُ الصِّبْيانَ والنساءَ ويدْفِنُ رُءُوسَهم وأطْرافَهم ، ويَبِيعُ لُحومَهم ، فقُتِل[1] . وكانتِ الأعْرابُ يَقْدَمونَ بالطَّعامِ يَبيعُونَه فى ظاهرِ البلَدِ ، لا يتَجاسَرُون يدْخُلون لِئَلَّا يُخْطفَ ويُنهبَ منهم . وكان لا يجسُرُ أحدٌ أن يدفِنَ مَيِّتَه نهارًا ، وإنما يدفنُه ليلًا خُفْيَةً ؛ لئلّا يُنبشَ فيؤكلَ . واحْتاجَ صاحبُ مِصْرَ حتى باع أشياءَ كثيرةً مِن نفائسِ ما عندَه ؛ من ذلك أحَدَ عشَرَ ألفَ دِرْعٍ ، وعِشْرون ألفَ سيفٍ مُحَلًّى ، وثمانون ألفَ قطْعَةِ بِلَّوْرٍ كبارٌ ، وخمسةٌ وسبعونَ ألفَ قطعَةٍ مِن الدِّيباجِ القديمِ ، وبِيعتْ ثيابُ النساءِ والرجالِ وسَجْفُ المُهودِ بأرخَصِ الأثمانِ ، وكذلك الأمْلاكُ وغيرُها ، وقد كان بعضُ هذه النفائسِ الخليفيَّةِ ، ممَّا نُهِبَ مِن بَغْدادَ فى أيامِ البَساسيرِىِّ .

وفيها ورَدَتِ الخدمُ والتُّحفُ والهدايا مِن الملكِ ألبِ أرْسَلانَ إلى الخليفةِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ . وفيها ضُرِب اسمُ ولىِّ العهدِ على الدنانيرِ والدراهمِ ، وسُمِّى الأميرِىَّ ، ومُنِع التعاملُ بغيرِها .

وفيها ورَد كتابُ صاحبِ مَكَّةَ إلى الملكِ ألبِ أرْسَلانَ وهو بخُراسانَ ، يخبرُه

---

(١) بعده فى ب ، خ ، م : « وأكل لحمه » .

بإقامةِ الخُطبةِ للقائمِ بأمْرِ اللَّهِ وللسلطانِ بمكةَ ، وقَطْعِ الخُطْبَةِ للمصريين ، فأرسَل إليه بثلاثينَ ألفَ دينارٍ وخِلْعةً سَنِيَّةً ، وأجرَى له فى كلِّ سنةٍ عشَرَةَ آلافِ دينارٍ .

وفيها تزوَّجَ عميدُ الدولةِ ابنُ جَهيرٍ بابنةِ نِظَامِ المُلْكِ بالرَّىِّ ، ثم عاد إلى بغدادَ .

وحجَّ بالناسِ أبو الغنائمِ العَلَوِىُّ .

وفيها تُوفِّى من الأعيانِ [١٨٨/٩و] **والمشاهيرِ :**

الحسنُ بنُ علىِّ بنِ محمدِ (١ **بنِ بارى** ١) **أبو الجوائزِ الواسِطِىُّ** ، سكَن بغدادَ دهرًا طويلًا ، وكان أدِيبًا شاعرًا ظريفًا ، وُلِد سنةَ ثِنْتَيْن وخمسينَ وثلاثِمائةٍ ، وتوفِّى فى هذه السنَةِ عن مائةٍ وعشْرِ سِنينَ . ومِن مُسْتَجادِ شعرِه قولُه [٢] :

وَا حَزَنى مِن قوْلِها (٣ خانَ عُهودِى ٣) وَلَها

وَحَقِّ مَن صيَّرَنى وَقْفًا عليها وَلَها

ما خطَرتْ بخاطِرِى إلا كَستْنى وَلَها

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ سهلٍ [٤] ، المعروفُ بابنِ بِشْرانَ النحوىُّ الواسِطِىُّ ، وُلِد سنةَ ثمانينَ وثَلاثِمائةٍ ، وكان عالِمًا بالأدبِ ، وانتهَتْ إليه الرِّحلةُ فى اللغةِ ، وله

(١ - ١) سقط من : م . وفى الأصل ، ب ، خ ، ص : « بن بابى » . والمثبت من مصادر الترجمة ، وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٧/ ٣٩٣، والمنتظم ١٦/ ١١٩، والكامل ١٠/ ٦٢، ووفيات الأعيان ٢/ ١١١، وميزان الاعتدال ١/ ٥١٣.

(٢) المنتظم ١٦/ ١٢٠، والكامل ١٠/ ٦٢، ووفيات الأعيان ٢/ ١١٢.

(٣ - ٣) فى النسخ : « قد خان عهدى » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٤) معجم الأدباء ١٧/ ٢١٤، والمنتظم ١٦/ ١٢٠، وإنباه الرواة ٣/ ٤٤، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٣٥ وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات (٤٦١- ٤٧٠هـ) ص ٧٠، والوافى بالوفيات ٢/ ٨٢.

شعرٌ حسنٌ ، فمنه قولُه[1] :

يا شائدًا للقُصورِ مَهْلا ... أقْصِرْ فقصرُ الفتَى المماتُ
لم يجْتَمِعْ شملُ أهلِ قَصْرٍ ... إلَّا وقُصراهُمُ الشَّتَاتُ
وإنَّما العيشُ مثلُ ظلٍّ ... منتَقِلٍ ما لَهُ ثَباتُ

وقولُه[2] :

ودَّعْتُهم ولِىَ الدنْيا مُوَدِّعَةٌ ... ورُحْتُ ما لى سِوَى ذِكْراهُمُ وَطَرُ
وقلتُ يالَذَّتى بِينى لَبَينِهمُ ... فإنّ صَفْوَ حياتِى بعْدَهُمْ كَدَرُ
لولا تعَلُّلُ قلْبى بالرَّجاءِ لهم ... ألْفَيْتُهُ إن حَدَوا بالعِيسِ ينْفَطِرُ
ياليتَ عِيسَهُمُ يومَ النَّوَى نُحِرَتْ ... أوْلَيْتَها للضَّوارِى بالفَلَا جَزَرُ[3]
يا ساعَةَ البَيْنِ أنتِ الساعَةُ اقترَبَتْ ... يالَوْعَةَ البينِ أنتِ النارُ تستَعِرُ

وقوله[4] :

طلَبتُ صَدِيقًا فى البريَّةِ كلِّها ... فأَعْيا طِلابِى أن أُصِيبَ صدِيقَا
بلَى مَن تسَمَّى بالصديقِ مجازةً ... ولم يَكُ فى معنى الوِدادِ صدُوقا
فطلَّقْتُ وُدَّ العالمينَ صَرِيمةً[5] ... وأصبَحْتُ مِن أسرِ الحِفاظِ طَلِيقَا

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٢٠، والوافى بالوفيات ٢/ ٨٢.
(٢) المنتظم ١٦/ ١٢١.
(٣) جزر السباع : اللحم الذى تأكله .
(٤) معجم الأدباء ١٧/ ٢٢٢، والمنتظم ١٦/ ١٢١.
(٥) فى ص: «مكرمة»، وفى خ، م: «ثلاثة».

ثم دخَلَتْ سنةُ ثلاثٍ وستّين وأربعِمائةٍ

وفيها[1] أقبَل ملكُ الرومِ أرمانوسُ فى جَحافِلَ أمثالِ الجبالِ مِن الرومِ والكُرْجِ[2] والفِرنْجِ، وعُدَدٍ عظيمةٍ وتجمُّلٍ هائلٍ، ومعه خمسةٌ وثلاثونَ ألفًا مِن البَطارِقَةِ، مع كلِّ بِطْريقٍ [3]ما بينَ ألفَىْ فارسٍ إلى خمسِمائةِ فارسٍ[3]، ومعه مِنَ الفِرنْجِ خمسةٌ وثلاثونَ ألفًا، [٩/١٨٨ظ] ومِن الغُزِّ[4] الذينَ يكونون وراءَ القُسْطَنْطِينيَّةِ خمسةَ عشَرَ ألفًا، ومعه مائةُ ألفِ نَقَّابٍ وحَفَّارٍ، وألفُ[5] روزْجارِىٍّ، ومعه أربعُمائةِ عجَلَةٍ تحمِلُ النِّعالَ والمسامِيرَ، وألفَا[6] عجَلَةٍ تحملُ السلاحَ والسُّروجَ والعَرَّاداتِ والمجانيقَ، منها مَنْجَنِيقٌ يُمِدُّه ألفٌ ومِائتَا رجلٍ، ومِن عزْمِه - قبَّحه اللَّهُ تعالى - أنْ يجتثَّ الإسلامَ وأهلَه، وقد أقطَعَ بطارِقَتَه البلادَ حتى بغدادَ، واسْتَوْصَى نائِبَها بالخليفةِ خيْرًا فقال له: ارْفُقْ بذلك الشيخِ؛ فإنَّه صاحِبُنا. ثم إذا اسْتَوْسقَتْ ممالكُ العراقِ وخُراسانَ لهم مالُوا على الشامِ وأهْلِهِ مَيْلَةً واحدةً، فاسْتَعادُوه مِن أيْدِى المسلمين، واستَنقَذوه فيما يزعُمون، والقَدَرُ

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٢٣، والكامل ١٠/ ٦٥.

(٢) فى م: «الكرخ». والكُرْج، بالضم: جيل من النصارى، ومنهم من جعلها ناحية من الروم بثغور أَذْرَبيجان. تاج العروس (ك ر ج).

(٣ - ٣) فى ب، خ، م: «مائتا ألف فارس».

(٤) فى م: «الغزاة». والغز: جنس من الترك. تاج العروس (غ ز ز).

(٥) فى المنتظم ١٧/ ١٢٤: «مائة ألف». والروزجارى: نسبه إلى روزجار، وهو روزكار، يعنى الذى يعمل بالنهار، ويقال: ببغداد لمن يعمل بالنهار: الروزجارية. الأنساب ٣/ ١٠٤.

(٦) فى المنتظم ١٧/ ١٢٤: «ألف».

يقولُ : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢] . فالْتقاه السلطانُ أَلْبُ أرْسَلانَ فى جيشِه وهم قريبٌ مِن عِشْرين ألفًا ، بمكانٍ يقالُ له : الرَّهْوَةُ . فى يومِ الأربعاءِ لخمسٍ بَقِينَ مِن ذى القَعْدَةِ ، وخافَ مِن كثرةِ المشركين ، فأشارَ عليه الفَقِيهُ أبو نصْرٍ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ البخاريُّ بأن يكونَ وقتُ الوَقْعَةِ يومَ الجُمُعةِ بعدَ الزَّوالِ حينَ يكونُ الخطباءُ يدْعُون للمُجاهِدينَ ، فلمَّا تَواجَهَ الفِئتان ، نزَل السلطانُ عن فرسِه ، وسجَد للَّهِ عزَّ وجلَّ ، ومرَّغَ وجهَه فى التُّرابِ ودَعا اللَّهَ تعالى ، واسْتَنصَرَه ، فأنزَل اللَّهُ نصْرَه على المسلمينَ ، ومنَحَهم أكتافَ المشركين فقتَلُوا منهم خلْقًا لا يُحْصَون كثرةً ، وأُسِرَ مَلِكُهم أرمانوسُ ؛ أَسَره غُلامٌ روميٌّ ، [(١)] فأَمَّره السلطانُ ، وأعطاه شيئًا كثيرًا ، وقد كان هذا الغلامُ عُرِض على نظامِ المُلْكِ الوزيرِ فى جملةِ تَقدِمةٍ فلم يَقْبَلْه ، فقال له سيِّدُه : إنّه ... وإنّه ... يُثنى عليه فردَّه ، وقال كهيئةِ المستهزئِ به : لعلَّه يَجيئُنا بمَلكِ الرومِ أرمانوسَ أسيرًا . فوقَع الأمرُ كما قال ، فللهِ الحمدُ والمنةُ [(١)] .

فلمَّا أُوقِفَ أرمانوسُ بينَ يدَى الملكِ أَلْبِ أَرْسَلانَ ضرَبه بيدِه ثلاثَ مَقارِعَ وقال : لو كنتُ أنا الأسِيرَ بينَ يدَيْكَ ماذا كنتَ تفعلُ ؟ قال : كلَّ قَبيحٍ . قال : فما ظَنُّكَ بى ؟ قال : تقتلُنى أو تشَهِّرُنى فى بلادِكَ ، فأمَّا العَفْوُ وأَخْذُ الفِداءِ فبعيدٌ . فقال : ما عزَمْتُ على غيرِ العَفْوِ والفداءِ . فافْتدَى نفسَه منه بألفِ ألفِ دِينارٍ وخمسِمائةِ ألفِ دينارٍ ، [(٢)] وأن يُطلِقَ كلَّ أسيرٍ فى بلادِ الرومِ ، وعلى هُدْنَةِ خمسين سنةً ، يحمِلُ فيها عن كلِّ يومٍ ألفَ دينارٍ [(٢)] وقام بينَ يدَيِ الملكِ فسَقاه شرْبَةً مِن ماءٍ وقبَّلَ الأرضَ بينَ يدَيْه ، وإلى نحوِ جهةِ الخليفةِ إجْلالًا وإكْرامًا ،

(١ - ١) سقط من : ب ، خ ، م .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، خ ، م ، ص .

فأطلَقَ له الملكُ عشَرَةَ آلافِ دينارٍ ليتَجَهَّزَ بها ، وأطلَقَ معه جماعةً مِن البَطارقةِ [٩/ ١٨٩و] مِن أصحابِه ، وشَيَّعَه فرْسَخًا ، وأرسَل معه جيشًا يَخْدُمونه ويحُوطونه ويحفَظُونَه إلى بلادِه ، ومعهم رايةٌ مكتوبٌ عليها : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ محمدٌ رسولُ اللَّهِ . فلمَّا انْتهَى إلى بلادِه وجَد الرومَ قد مَلَّكُوا عليهم غيرَه ، فأرسَل إلى السلطانِ يعتذِرُ إليه ، وبعَث مِن الذهبِ والجواهرِ ما يقارِبُ ثلاثَمِائَةِ ألفِ دينارٍ ، وتزَهَّدَ ولَبِس الصُّوفَ ، ثم استضاف مَلكَ الأرْمَنِ[1] فأَخَذه فكَحَلَه ، وأرْسَل إلى السلطانِ فأعْلَمَه بذلك يتقرَّبُ إليه به .

وفيها خطَب صاحبُ حلَبَ محمودُ بنُ صالحِ بنِ مِرْداسٍ للقائمِ بأمرِ اللَّهِ وللسلطانِ ألبِ أرْسَلَانَ معه ، فبعَث إليه الخليفةُ بالخِلَعِ ، والعَهْدِ مع الشريفِ طِرادٍ الزَّيْنَبِيِّ .

وفيها حَجَّ بالناسِ [2]نورُ الهدى أبو طالبٍ الزَّيْنَبِيُّ[2] ، وخُطِب بمَكَّةَ للخليفةِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ ، وقُطِعَتْ خُطبةُ المصريينَ منها ، وقد كان يُخْطَبُ لهم فيها مِائَةَ سنةٍ ، فانْقطَعَ ذلك فى هذه السنةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وممّن تُوفِّى فيها من الأعْيانِ :

الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ البغداديُّ ، أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتِ بنِ أحمدَ بنِ مَهْدِيٍّ[3] ، أحدُ مشاهيرِ الحفَّاظِ ، وصاحبُ « تاريخِ بغدادَ » وغيرِه مِن المصنَّفاتِ

---

(١) استضاف ملك الأرمن أى : لجأ إليه ، وطلب ضيافته . انظر تاج العروس (ض ى ف) .

(٢ -٢) فى الأصل ، ص : « نور الهدى أبو الغنائم العلوى » ، وفى ب ، خ ، م : « أبو الغنائم العلوى » . والمثبت من إتحاف الورى ٢/ ٤٧٣. وانظر ما تقدم فى ص ٨ .

(٣) تاريخ دمشق ٥/ ٣١، والمنتظم ١٦/ ١٢٩، ومعجم الأدباء ٤/ ١٣، ووفيات الأعيان ١/ ٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٧٠، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ، ص ٨٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٢٩.

العديدةِ المفيدةِ ، نحوٌ مِن ستِّينَ مصنَّفًا ، ويقالُ : بل مِائَةُ مصنَّفٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

وُلد سنةَ إحْدى وتسعين وثلاثِمِائَةٍ ، وقيلَ : سنَةَ ثِنْتَيْن وتسعين . وأوَّلُ سماعِه سنةَ ثلاثٍ وأربعِمائةٍ ، ونشَأ ببغدادَ ، وتفَقَّهَ على القاضى أبى الطَّيِّبِ الطَّبرىِّ وغيرِه مِن أصحابِ الشيخِ أبى حامدٍ ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، ورحَل إلى البصرةِ ونَيْسابُورَ وأَصْبهانَ وهَمَذانَ والشامِ والحجازِ ، وسُمِّىَ الخطيبَ ؛ لأنَّه كان يخطُبُ بدَرْزِيجانَ[1] ، وسمِع بمكةَ على القاضى أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ سلامةَ القُضاعِىِّ ، وقرَأ « صحيحَ البخارىِّ » على كرِيمةَ بنتِ أحمدَ فى خمسةِ أيَّامٍ .

ورجَع إلى بَغدادَ فحظِى عندَ الوزيرِ أبى القاسمِ ابنِ الـمُسْلِمَةِ . ولمَّا ادَّعَى اليهودُ الخَيابِرَةُ أنَّ معهم كتابًا نَبَوِيًّا فيه إسْقاطُ الجِزْيَةِ عنهم أوْقَفَ ابنُ الـمُسْلِمَةِ الخطيبَ على هذا الكتابِ ، فقال : هذا كَذِبٌ . فقيلَ : وما الدليلُ على ذلك ؟ فقال : لأنَّ فيه شَهادةَ مُعاوِيَةَ بنِ أبى سُفْيانَ ، ولم يكُنْ أسلَمَ يومَ خَيْبَرَ ، وقد كانت خيبرُ فى سنةِ سبعٍ مِن الهجرةِ ، وإنما أسْلَمَ مُعاوِيَةُ يومَ الفتحِ ، وفيه شَهادةُ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ ، وقد كان تُوفِّى عامَ الخندقِ سنةَ خمسٍ . فأعجَبَ الناسَ ذلك . وقد سُبِق الخطيبُ إلى [٩/١٨٩ظ] هذا النقدِ[2] ، كما ذكَرتُ ذلك فى مُصنَّفٍ مُفْرَدٍ .

ولمَّا وقَعتْ فتنةُ البَساسيرِىِّ ببغدادَ سنةَ خمسين ، خرَج منها إلى الشامِ ، فأقامَ

---

(١) فى النسخ : « درب ريحان » . وهو تحريف . والمثبت من سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١- ٤٧٠هـ) ص٨٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٢٩. قال ياقوت فى معجم البلدان ٢/ ٥٦٧: درزيجان ، بفتح أوله وسكون ثانيه وزاء مكسورة وياء مثناه من تحت وجيم وآخره نون : قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربى منها كان والد أبى بكر أحمد بن ثابت ، الخطيب البغدادى ، وكان أبوه يخطب بها .

(٢) فى ب ، خ ، م : « النقل ، سبقه محمد بن جرير » .

بدمشقَ بالمئذنةِ الشرقيَّةِ مِن جامعِها ، وكان يقرأُ على الناسِ الحديثَ النبوىَّ ، وكان جَهْوَرِىَّ الصوتِ ، يُسْمَعُ صوتُه مِن أرْجاءِ الجامعِ كلِّها ، فاتَّفَقَ أنَّه قرأَ يومًا على الناسِ فضائلَ العبَّاسِ ، فثارَ عليه الرَّوافِضُ وأتْباعُ الفاطمِيِّيـنَ ، وأرادُوا قتلَه فتشَفَّعَ بالشريفِ الزَّيْنَبِىِّ فأجارَه ، وكان مسكنُه بدارِ العَقيقِىِّ . ثم خرَج مِن دِمشقَ فأقامَ بمدينةِ صُورَ ، فكتَب شيئًا كثيرًا مِن مصنَّفاتِ أبى عبدِ اللَّهِ الصُّورِىِّ بخطِّه ، كان يسْتَعِيرُها مِن زوجَتِه ، فلم يزَلْ مقيمًا بالشامِ إلى سنَةِ ثِنْتَيْن وستِّين ، ثم عادَ إلى بغدادَ فحدَّث بأشياءَ مِن مَسْمُوعاتِه ، وقد كان سألَ اللَّهَ تعالى بمكَّةَ أن يملِكَ ألفَ دينارٍ ، وأن يحدِّثَ بـ « التاريخِ » بجامعِ المنصورِ ، وأن يموتَ ببغدادَ ، فيُدفَنَ إلى جانبِ بشرٍ الحافى ، فيقالُ : إنّه حدَّث بـ « التاريخِ » بجامعِ المنصورِ ، وإنّه ملَك ذهبًا يُقارِبُ ألفَ دينارٍ . وحينَ احْتُضِرَ كان عندَه قريبٌ مِن مِائَتَىْ دينارٍ ، فأوْصَى بها لأهلِ الحديثِ ، وسألَ السلطانَ أن يمضِىَ له ذلك ؛ فإنَّه لم يتركْ وارِثًا ، فأجِيبَ إلى ذلك .

وله مصنَّفاتٌ كثيرةٌ مفيدةٌ ؛ منها كتابُ « التاريخِ » ، وكتابُ « الكِفايةِ » ، و « الجامعِ » ، و« شَرَفِ أصحابِ الحديثِ » ، و « المتَّفِقِ والمفْتَرِقِ » ، و « السَّابقِ واللَّاحقِ » ، و « تلخيصِ المتَشابهِ فى الرسمِ » ، و « فَضْلِ الوَصْلِ » ، و « رِوايَةِ الآباءِ عنِ الأبناءِ » ، و « رِوايَةِ الصحابةِ عنِ التابِعينَ » ، و « اقتضاءِ العلمِ العملَ » ، وغيرُ ذلك . وقد سرَدها الشيخُ أبو الفرجِ بنُ الجَوْزِىِّ فى « المنتظمِ »[1] . قال : ويقالُ : إنَّ هذه المصنَّفاتِ أكثرُها ابتدَأها أبو عبدِ اللَّهِ الصُّورِىُّ ، فتمَّمَها الخطيبُ .

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٣٠، ١٣١.

وقد كان حسنَ القراءةِ ، فصيحَ اللفظِ ، عارِفًا بالأدبِ ، يقولُ الشعرَ ، وقد كان أوَّلًا على مذهبِ الإمامِ أحمدَ ، فانتقَل إلى مذهبِ الشافعيِّ ، ثم صارَ يتكلَّمُ فى أصحابِ أحمدَ ويقدَحُ فيهم ما أمكَنه ، وله دسائسُ عجيبةٌ فى ذَمِّهم ، ثم شرَع ابنُ الجَوْزِيِّ[1] ينْتَصِرُ لأصحابِه بما يطولُ ذكرُه . وقد أوْرَدَ ابنُ الجَوْزِيِّ مِن شعرِ الخطيبِ قصيدةً - مِن خطِّه - جيدةَ المطلِعِ حسنَةَ المنزَعِ ، أوَّلُها[2] :

لعَمْرُكَ ما شَجانى رسْمُ دارٍ ... وقَفْتُ به ولا ذِكْرُ المغانى

ولا أثَـرُ الخيامِ أراقَ دمْعِى ... لأجْلِ تذكُّرِى عهدَ الغَوانى

ولا مَلَكَ الهوَى يومًا قِيادِى ... ولا عاصَيْتُه فثَنَى عِنانى [٩/ ١٩٠و]

عرَفتُ فِعالَه بذوى التّصابى ... وما يلقَون من ذلِّ الهَوانِ

فلم أُطمِعْهُ فىَّ وكم قَتِيلٍ ... لهُ فى النّاسِ ما يُحْصَى وعانِ

طلبتُ أخًا صحِيحَ الوُدِّ مَحْضًا ... سليمَ الغَيْبِ محفُوظَ[3] اللِّسانِ

فلم أعرِفْ مِن الإخْوانِ إلَّا ... نِفاقًا فى التَّباعُدِ والتَّدانى

وعالَمُ دهْرِنا لا خَيْرَ فيهم ... تَرى صُوَرًا تروقُ بلا مَعانى

ووَصْفُ جميعِهم هذا فما أن ... أقولَ سِوى فلانٍ أو فلانِ

ولمَّا لم أجِدْ حُرًّا يُواتِى ... على ما نابَ مِن صَرْفِ الزَّمانِ

صبَرْتُ تكَرُّمًا لقِراعِ دهْرِى ... ولم أجْزَعْ لِمَا منهُ دَهانِى

ولم أكُ فى الشدائدِ مُستكِينًا ... أقولُ لها ألَا كُفِّى كَفانِى

ولكنِّى صَلِيبُ العُودِ عَوْدٌ ... رَبِيطُ الجأْشِ مُجْتَمِعُ الجَنانِ

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٣٢- ١٣٤.

(٢) المنتظم ١٦/ ١٣٠. وانظر معجم الأدباء ٤/ ٢٢- ٢٥.

(٣) فى المنتظم ، ومعجم الأدباء : « مأمون » .

أبِيُّ النَّفْسِ لا أخْتارُ رِزْقًا   يجِيءُ بغيرِ سَيْفِى أو سِنانِى
فعِزٌّ فى لَظَى باغِيه يُشْوَى   ألَذُّ مِن المَذَلَّةِ فى الجِنانِ[1]

وقد ترجَمه الحافظُ ابنُ عساكِرَ فى « تاريخِه »[2] ترجمةً حسنةً كعادَتِه، وأوْرَدَ له مِن شعرِه قولَه:

لا تَغْبِطَنَّ أخا الدُّنْيا لزُخْرفِها   ولا للذَّةِ وقتٍ عجَّلَتْ فرَحَا
فالدهرُ أسْرَعُ شىءٍ فى تقَلُّبِه   وفِعْلُه بَيِّنٌ للخلْقِ قد وضَحَا
كم شارِبٍ عسَلًا فيهِ مَنِيَّتُهُ   وكم تقَلَّد سيْفًا مَن بِهِ ذُبِحَا

وقد كانت وفاتُه يومَ الاثنينِ ضُحَى السابعِ من ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ، وله ثِنتان وسبعون سنةً، فى حُجْرَةٍ كان يسْكُنُها بدَرْبِ السلسلةِ، جِوارَ المدرسةِ النِّظاميَّةِ، واحتَفَل الناسُ بجِنازَتِه، وحمَلها فيمَن حمَل الشيخُ أبو إسحاقَ الشِّيرازِىُّ، ودُفِن إلى جانبِ قبرِ بِشْرٍ الحافى، فى قبرِ رجلٍ كان قد أعَدَّه لنفسِه، فسُئِل أن يتركَه للخطيبِ فشَحَّت به نفسُه، حتى قال له بعضُ الناسِ: باللَّهِ عليكَ لو قَدِمتَ أنت والخطيبُ إلى بِشْرٍ أيُّكُما كان يُجْلِسُه إلى جانبِه؟ فقال: الخطيبَ. فقيل: فاسْمَحْ له به. فوهَبَه له، فدُفِن فيه رحِمه اللَّهُ وأكرَم مَثْواه، وهو ممن يُنشَدُ له قولُ الشاعرِ:

ما زِلْتَ تَدْأَبُ فى التاريخِ مجتهِدًا   حتى رأيْتُكَ فى التاريخِ مكْتُوبَا

(3) وحكَى ابنُ خَلِّكانَ[4] عن السمعانىِّ أنه تُوفِّى فى شوَّالٍ، وأنَّه تصدَّق (3)

---

(١) بعده فى المنتظم، ومعجم الأدباء:

ومَنْ طلَب المعالِى وابتغاها   أدار لها رحَى الحَرْبِ العَوانِ

(٢) تاريخ دمشق ٥/ ٣٧. وانظر معجم الأدباء ٤/ ٢٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٩٦.

(٣ - ٣) سقط من: ب، خ، م.

(٤) وفيات الأعيان ١/ ٩٣.

(١ بجميعِ مالِه ، ووقَف كُتبَه ١) .

[٩/١٩٠ظ] **حَسَّانُ بنُ سعيدِ بنِ حسانَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ مَنِيعِ بنِ خالدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ خالدِ بنِ الوَليدِ المَخْزُوميُّ المَنِيعِيُّ**[٢] ، كان فى شبابِه يجمَعُ بينَ الزُّهدِ والتجارةِ حتى سادَ أهلَ زمانِه ، ثم ترَك ذلك ، وأقبَل على العِبادةِ والزهدِ والبرِّ والصِّلَةِ والصدقةِ والإحسانِ إلى الخلْقِ ، وبناءِ المساجدِ والرِّباطَاتِ ، وكان السلطانُ يأتى إليه ويتبرَّكُ به ، ولمَّا وقَع الغلاءُ كان يعمَلُ فى كلِّ يومٍ شيئًا كثيرًا مِن الخُبْزِ والطَّعامِ ، فيتصدَّقُ به ، ويكْسُو فى كلِّ سنةٍ قريبًا مِن ألفِ نفْسٍ ثِيابًا وجِبَابًا وافرةً ، وكذلكَ النساءَ ، ويجهِّزُ بناتِ الفقراءِ الأيتامَ ، وأسقَط شيئًا كَثيرًا مِن المُكُوسِ والوظائفِ السلطانِيَّةِ عن بلادِ نَيْسابُورَ وقُراها ، وهو فى غايةِ التَّبَذُّلِ والثيابِ الأطْمارِ ، وترْكِ الشهواتِ ، ولم يزَلْ كذلك حتى كانت وفاتُه ببلدِه مَرْوِالرُّوذِ فى هذه السنةِ ، تغمَّدَه اللَّهُ برحمتِه ، آمينَ .

(٣ **محمدُ بنُ الحسينِ بنِ حَمْزَةَ ، أبو يعلَى الجَعْفَرِيُّ** ٣) فقيهُ الشيعَةِ فى زمانِه .

محمدُ بنُ وِشاحِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أبو عليٍّ مولى أبى تمَّامٍ ، محمدِ بنِ عليِّ بنِ الحسنِ الزَّيْنَبِيِّ[٤] ؛ سمِع الحديثَ ، وكان أديبًا شاعرًا ، وكتَب لنقيبِ النُّقباءِ

(١ - ١) سقط من : ب ، خ ، م .

(٢) المنتظم ١٦/ ١٣٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٦٥، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١١٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٢٩٩.

(٣ - ٣) فى النسخ : « محمد بن الحسن بن حمزة أبو على الجعفرى » . والمثبت من المنتظم ١٦/ ١٣٧، والكامل ١٠/ ٦٨.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٣٣٦، ودمية القصر ١/ ٣٧٧، والمنتظم ١٦/ ١٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٦١- ٤٧٠هـ) ص ١٣٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ٨٩.

الكاملِ ، وكان يُنسَبُ إلى الاعْتِزالِ والرَّفْضِ ، ومن شعرِه قولُه[1] :

حمَلْتُ العصَا لا الضَّعْفُ أوْجَب حمْلَها عليَّ ولا أنِّى تحَنَّيْتُ مِنْ كِبَرْ
ولكنَّنِى ألْزَمْتُ نفْسِى بحَمْلِها لأُعْلِمَها أنَّ المُقيمَ على سفَرْ

الشيخُ أبو عمرَ بنُ عبدِ البَرِّ النَّمَرِىُّ[2] ، الحافظُ صاحبُ التصانيفِ ؛ منها « التَّمهيدُ » ، و « الاستِذْكارُ » ، و « الاسْتِيعابُ » ، وغيرُها .

ابنُ زَيْدُونَ الشاعرُ ، أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ غالبِ بنِ زيْدُونَ ، أبو الوليدِ ، الشاعرُ الماهرُ الأنْدَلُسِىُّ القُرْطُبِىُّ[3] ، اتَّصَلَ بالأميرِ المُعْتَضِدِ[4] عبَّادٍ صاحبِ إشْبيلِيَّةَ ، فحَظِىَ عندَه وصارَ عندَه مُشاوَرًا فى منزلةِ الوزيرِ ، ووزَر له ولدُه[5] أبو بكرِ بنُ أبى الوليدِ ، وهو صاحبُ القصيدةِ الفِراقِيَّةِ المشهورةِ التى يقولُ فيها[6] :

بِنْتُمْ وبِنَّا فَما ابْتَلَّتْ جَوانِحُنا شوْقًا إليكم ولا جَفَّتْ مآقِينا
نكادُ حينَ تُناجِيكُمْ ضمائرُنا يَقضِى علينا الأَسَى لولا تأسِّينا
حالَتْ لبُعْدِكُمُ[7] أيامُنا فغدَتْ سُودًا وكانتْ بكُم بِيضًا ليَالِينا

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٣٦.

(٢) جذوة المقتبس ص ٢٦٧، وترتيب المدارك ٤/ ٨٠٨، ووفيات الأعيان ٧/ ٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٥٣، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١- ٤٧٠هـ) ص ١٣٦.

(٣) جذوة المقتبس ص ١٣٠، خريدة القصر (قسم شعراء المغرب والأندلس) ٢/ ٤٨، ووفيات الأعيان ١/ ١٣٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١١٣.

(٤) فى النسخ : « المعتمد بن » . والمثبت من وفيات الأعيان ١/ ١٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١- ٤٧٠هـ) ص ١١٣. وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٥٦ ترجمة المعتضد عباد ، و١٩/ ٥٨ ترجمة المعتمد بن عباد .

(٥) فى ب ، خ ، م : « ولولده » . وأبو بكر وزر أيضا للمعتمد بن عباد . انظر وفيات الأعيان ١/ ١٤١.

(٦) شعر ابن زيدون ص ٩، ١٠.

(٧) فى مصدر التخريج : « لفقدكم » .

(١) بالأمسِ كنَّا ولا(١) يُخْشَى تفرُّقُنا والیومَ نحنُ ولا يُرْجَى تَلاقِينا

وهى قصيدةٌ طويلةٌ ، وفيها صَنْعةٌ قويةٌ مُهَيِّجةٌ على البكاءِ لكلِّ مَن قرَأها أو سمِعها ؛ لأنَّه [١٩١/٩و] ما مِن أحَدٍ مِن أبناءِ الدنيا إلا وقد فقَد خِلًّا أو حبيبًا أو قريبًا أو نسِيبًا ، ومِن شعرِه(٢) :

بينى وبينَكَ ما لو شئتَ لم يَضِعِ سرٌّ إذا ذاعَتِ الأسرارُ لم يَذِعِ
يا بائعًا حظَّه منِّى ولو بُذِلَتْ لِىَ الحياةُ بحظِّى منه لم أَبِعِ
يكْفِيكَ أنَّكَ إن حمَّلْتَ قلْبىَ ما لا تستَطِيعُ قلوبُ الناسِ يستَطِعِ
تِهْ أحْتَمِلْ واسْتَطِلْ أصبرْ وعِزَّ أهُنْ وَوَلِّ أُقْبِلْ وقُلْ أسْمَعْ ومُرْ أُطِعِ

تُوفِّى فى رجبٍ مِن هذه السنةِ ، واستمرَّ ولدُه أبو بكرٍ وزيرًا للمعتمدِ بنِ عبّادٍ ، حتى أخَذ ابنُ تاشفينَ قُرْطُبَةَ مِن يَدِه فى سنةِ أربعٍ وثمانينَ ، فقُتِلَ يَوْمَئِذٍ . قالَه ابنُ خَلِّكانَ فى « الوفَياتِ »(٣) .

كَرِيمَةُ بنتُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أبى حاتمِ المَرْوَزِيَّةُ(٤) ، كانت عالمةً صالحةً ، سمِعَتْ « صحيحَ البخارىِّ » على الكُشْمِيهَنىِّ ، وقرَأ عليها الأئمةُ ، كالخطيبِ وأبى المُظَفَّرِ السَّمعانىِّ وغيرِهما .

(١ - ١) فى مصدر التخريج : « وقد نكون وما » .
(٢) شعر ابن زيدون ص ٦٨.
(٣) وفيات الأعيان ١/ ١٣٩.
(٤) المنتظم ١٦/ ١٣٥، والكامل ١٠/ ٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٢٥، والمعين فى طبقات المحدثين ص ١٩٦.

ثم دخلت سنة أربعٍ وستّين وأربعمائةٍ

فيها[1] قام الشيخُ أبو إسحاقَ الشِّيرازِىُّ مع الحنابلةِ فى الإنْكارِ على المُفْسِدينَ، والذينَ يبيعونَ الخمورَ، وفى إبطالِ المؤَاجِراتِ؛ وهُنَّ البَغايا، وكُوتِبَ السلطانُ فى ذلك، فجاءَتْ كتُبُه بالإنكارِ. وفيها كانت زلزلَةٌ عظيمةٌ ببغدادَ ارْتَجَّتْ لها الأرضُ سِتَّ مراتٍ.

وفيها كان غلاءٌ شديدٌ ومَوَتانٌ ذريعٌ فى الحيواناتِ؛ بحيثُ إنَّ بعضَ الرُّعاةِ بخُراسانَ قامَ وقتَ الصباحِ ليَسْرَحَ بغنَمِه فإذا هُنَّ قد مِتْنَ كلُّهُنَّ. وجاء سيلٌ عظيمٌ وبَرَدٌ كِبارٌ أتلَفَ شيئًا كثيرًا مِن الزُّروعِ والثِّمارِ بخُراسانَ.

وفيها تزوَّجَ الأميرُ عُدَّةُ الدينِ ولَدُ الخليفةِ بابنةِ السلطانِ ألبِ أرْسَلانَ مِنْ[2] سفرى خاتُونَ، وذلك بنَيْسابُورَ، وكان وكيلُ السلطانِ نظامَ المُلكِ، ووكيلُ الزوجِ عميدَ الدولةِ ابنَ جَهيرٍ، وحِينَ عُقِد العقدُ نُثِر على الناسِ جَواهِرُ نفيسةٌ، وكان يومًا مشهودًا؛ زُيِّنَتْ الأفيلةُ والخيولُ، وضُرِبَتْ الدَّبادبُ والبوقاتُ.

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

بكرُ[3] بنُ محمدِ بنِ حِيدٍ، أبو منصورٍ النَّيسابُورِىُّ، كان يزعُمُ أنَّه مِن

(١) الكامل ١٠/ ٧٠، والمنتظم ١٦/ ١٣٩.

(٢) سقط من النسخ. والمثبت من المنتظم ١٦/ ٤٦٤، والكامل ١٠/ ٧١.

(٣) فى ب، خ، م: «زكريا». وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ٧/ ٩٨، والأنساب ٢/ ٢٩٧، والمنتظم ١٤١/١٦، وفيه: بكر بن محمد بن حيدر أبو منصور النيسابورى، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٤٥.

سُلالَةِ عثمانَ بنِ عفانَ ، وروَى الحديثَ عن أبى بكرِ بنِ المُذْهِبِ ، وكان ثقةً . تُوفِّى فى المحرَّمِ مِن هذه السنةِ وقد قاربَ الثمانيـنَ .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الصَّمَدِ بنِ المُهْتَدِى باللَّهِ ، أبو الحسنِ الهاشميُّ[1] ، خطيبُ جامعِ المنصورِ ، كان مِمَّن يلبَسُ القَلانِسَ الطِّوالَ ، حدَّث عن ابنِ رَزْقَوَيْهِ[2] [٩/١٩١ظ] وغيرِه ، وروَى عنه الخطيبُ ، وكان ثقةً عدْلًا ، شَهِد عندَ ابنِ ماكولا وابنِ الدامَغانىِّ فقَبِلاه ، تُوفِّى فى هذه السنةِ عن ثمانيـنَ سنَةً ودُفِن بقربِ قبرِ بِشْرِ الحافِى ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ شاده[3] بنِ جعفرٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ الأصْفَهانىُّ ، وَلِىَ القضاءَ بدُجيلٍ ، كان شافعيًّا ، وروَى الحديثَ عن أبى عمرَ بنِ مَهْدِىٍّ ، وكانت وفاتُه ببغدادَ ، ونُقِل إلى دُجيلٍ .

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٥٦، والمنتظم ١٦/ ١٤١، والكامل ١٠/ ٧٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٥٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ٩٠، وفى الكامل والنجوم الزاهرة : كنيته أبو الحسين .

(٢) فى ب ، خ ، م : « زرقويه » .

(٣) فى الأصل، ص: « ساده » ، وفى م : « شاره » ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٥٦: « شاذة » . والمثبت موافق لما فى المنتظم ١٦/ ١٤٢.

ثم دخَلَتْ سنَةُ خمسٍ وسِتّين وأربعِمائَةٍ

في[1] يومِ الخميسِ حادِى عشَرَ المحرَّمِ حضَر إلى الديوانِ أبو الوفا علىُّ بنُ محمدِ بنِ عَقِيلٍ العَقِيلىُّ الحنبَلىُّ ، وقد كتَب على نفسِه كتابًا يتضمَّنُ توْبتَه مِن الاعتزالِ ومخالطةِ أهلِه ، وأنَّه رجَع عنِ اعْتِقادِ كونِ الحلَّاجِ مِن أهلِ الخيرِ ؛ وقد رجَع عنِ الجزءِ الذى عمِله فى ذلك ، وأنَّه قد قُتِل بإجماعِ علماءِ عصرِه ، وقد كانوا مُصِيبِين وهو مُخْطِئٌ ، وشَهِد عليه جماعةٌ فى الكتابِ ، ورجَع مِنَ الديوانِ إلى دارِ الشريفِ أبى جعفرٍ ، فسَلَّم عليه واعتذَر إليه ، وعَظَّمه . وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وفاةُ السلطانِ ألبِ أَرسَلانَ ، ومُلكُ ولدِه مَلِكْشاه : كان السلطانُ قد سارَ فى أوَّلِ هذه السنَةِ فى مائتى ألفِ مقاتِلٍ يريدُ غَزاةَ ما وراءَ النهرِ ، فاتَّفَقَ فى بعضِ المنازلِ أنَّه غضِب على رجلٍ يُقالُ له : يوسُفُ الخُوَارِزْمِىُّ ، فأُوقِفَ بينَ يدَيْه ، فشَرَع يعاتِبُه فى أشياءَ صدَرتْ منه ، ثم أمَر أن يُضرَبَ له أربعةُ أوْتادٍ ويُصْلَبَ بينَها ، فقال للسلطانِ : يا مُخَنَّثُ ، أمِثلى يُقتَلُ هكذا ؟! فاحْتَدَّ السلطانُ وأمَر بإرْسالِه ، وأخَذ القوسَ فرَماه بسَهْمٍ فأخْطَأه ، وأقبَلَ يوسُفُ نحوَ السلطانِ فنَهَض السلطانُ عنِ السَّريرِ ، فنزَل فعثَر ، فوقَع فأدرَكَه يوسُفُ ، فضرَبه بخَنْجَرٍ كان فى يدِه فى خاصِرته ، وأدرَكه الجيشُ فقتَلوه ، وقد جُرِح السلطانُ جُرْحًا مُنْكَرًا ، فتُوفِّى فى يومِ السبتِ عاشرِ ربيعٍ الأوَّلِ مِن هذه السنَةِ ، ويقالُ[2] : إن أهلَ بُخارَا

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٤٣.

(٢) المنتظم ١٦/ ١٤٥، والكامل ١٠/ ٧٣.

لمَّا اجْتازَ بهم ، ونهَبَ عسْكرُه أشياءَ كثيرةً لهم ، دَعَوا عليه فهلَك .

ولمَّا تُوفِّى جلَس ولَدُه مَلِكْشاه على سريرِ المُلكِ وقامَ الأمراءُ بينَ يدَيْه ، فقالَ له الوزيرُ نظامُ المُلكِ : تكلَّم أيُّها السلطانُ . فقال : الأكبرُ منكم أبى ، والأوْسَطُ أخى ، والأصغرُ ابْنى ، وسأفعَلُ معكم مالم أُسْبَقْ إليه . فأمْسَكُوا فأعادَ القولَ ، فأجابُوه بالسمعِ والطاعَةِ . [١٩٢/٩و] وقام بأعباءِ أمرِه الوزيرُ لأبيه نظامُ المُلكِ ، فزادَ فى أرْزاقِ الجندِ سبعَمِائَةِ ألفِ دينارٍ ، وساروا إلى مَرْوَ فدفَنُوا بها السلطانَ ، وسيأتى ذِكرُ شىءٍ مِن ترجمتِه فى الوفياتِ . ولما بلَغ موتُه أهلَ بغدادَ أقامَ الناسُ له العزاءَ ، وغُلِّقَتِ الأسواقُ وأظهَرَ الخليفةُ الجَزَعَ عليه ، وتَسَلَّبَتِ[1] ابنتُه الخاتونُ زوجةُ الخليفةِ ، وجلَسَت على الترابِ . وجاءَتِ الكتبُ مِنَ السلطانِ فى رجبٍ إلى الخليفةِ يتأسَّفُ فيها على والدِه ، ويسألُ أن تُقامَ له الخُطبةُ ، ففعَل ذلك . وخلَع مَلِكْشَاه على الوزيرِ نظامِ المُلكِ خِلَعًا سَنِيَّةً ، وأعْطاه تُحَفًا كثيرةً ؛ مِن جُمْلةِ ذلك عشرونَ ألفَ دينارٍ ، ولقَّبه أتابِكَ ، ومَعْناه الأميرُ الكبيرُ الوالدُ ، فسارَ سِيرةً حسنةً . ولمَّا بلَغ قاورتَ بَك موتُ أخيه ألبِ أَرْسَلانَ ركِب فى جيوشٍ كثيرةٍ قاصدًا قتالَ ابنِ أخيه مَلِكْشاه ، فالْتقَيا فاقْتَتلَا ، فانْهزَمَ أصحابُ قاورتَ وأُسِرَ هُو ، فأنَّبَه ابنُ أخيه ثم اعْتقَلَه ، ثم أرسَلَ إليه مَن قتَله .

وفيها جرَتْ فتنةٌ عظيمةٌ بينَ أهلِ الكَرْخِ وبابِ البصرةِ والقَلَّائيـنَ ، فاقْتَتَلُوا فقُتِل منهم خلقٌ كثيرٌ ، واحْترَقَ جانبٌ كبيرٌ مِن الكَرْخِ ، فانْتقَمَ المُتَولِّى لأهلِ الكَرْخِ مِن أهلِ بابِ البصـرةِ ، فأخَذَ من أموالِهم شيئًا كثيرًا ؛ جنايةً لهم على ما

(١) تسلبت المرأة : أحدَّت ولبست السِّلاب ، وهو ثوب أسود تغطى به المحدُّ رأسها . انظر تاج العروس (س ل ب) .

صنَعُوا. وفيها أُقيمَتِ الدعوةُ العباسِيَّةُ ببيتِ المَقْدِسِ. وفيها ملَك صاحِبُ سَمَرْقَنْدَ، وهو أَلْتِكِينُ مدينةَ تِرْمِذَ. وفيها حَجَّ بالناسِ أبو الغنائمِ العَلَوِىُّ.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ:

السلطانُ ألبُ أرْسَلانَ الملقَّبُ بسلطانِ العالَمِ، ابنُ جَغْرى بَك داودَ بنِ مِيكائيلَ بنِ سَلْجُوقَ بنِ تُقاقَ التركىُّ[1]، صاحبُ المَمالكِ المُتَّسِعَةِ، وقد ملَك بعدَ عمِّه طُغْرُلْبَك سبعَ سنِينَ وستةَ أشهرٍ وأيامًا، وكان عادلًا يسيرُ فى الناسِ سيرةً حسنةً؛ كريمًا رحيمًا، شَفُوقًا على الرعِيَّةِ، رفِيقًا على الفقراءِ، بارًّا بأهلِه وأصحابِه ومماليكِه، كثيرَ الدُّعاءِ بدوامِ ما أُنعِم به عليه، كثيرَ الصدقاتِ، يتصَدَّقُ فى كلِّ رمضانَ بخمسةَ عشَرَ ألفَ دينارٍ، ولا يُعْرَفُ فى زمانِه جِنايةٌ ولا مُصادَرَةٌ، بل يَقْنَعُ مِنَ الرَّعايا بالخَراجِ فى قِسْطَيْن؛ رِفْقًا بهم.

كتَب إليه[2] بعضُ السُّعاةِ فى نظامِ المُلكِ، فاسْتَدْعاه وقال له: إن كان هذا صحيحًا فهذِّبْ أخلاقَك وأصْلِحْ أحْوالَك، وإن لم يكنْ صحيحًا فاغْفِرْ لهم زلَّتَهم بمُهِمٍّ يشغَلُهم [٩/١٩٢ظ] عن السِّعايةِ بالناسِ. وكان شديدَ الحرصِ على حِفْظِ مالِ الرَّعايَا؛ بلَغه[3] أنَّ غُلامًا مِن غِلْمانِه أخَذ إزارًا لبعضِ التجارِ، فصلَبه فارْتدَعَ سائرُ المَماليكِ به؛ خوفًا مِن سطْوَتِه.

وترَك مِنَ الأوْلادِ مَلِكْشاه الذى قام بالأمرِ مِن بعدِه وإياز وتكِش وبورى برسَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٤٧، والكامل ١٠/ ٧٣، ووفيات الأعيان ٥/ ٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٦١.

(٢) الكامل ١٠/ ٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٦٢.

(٣) الكامل ١٠/ ٧٥.

و(1)أَرْسَلانَ أرغونَ(1) وسارَّةَ وعائشةَ وبنتًا أخرى . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن إحدى وأربعين سنةً ، ودُفِن عندَ والدِه بالرَّىِّ رحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو القاسمِ القُشيرِىُّ ، عبدُ الكريمِ بنُ هَوازِنَ بنِ (2)عبدِ الملكِ(2) بنِ طَلْحَةَ ، وأُمُّه مِن بنى سُلَيمٍ ، تُوفِّى أبوه وهو طفلٌ فقرَأ الأدبَ والعربيةَ ، وصحِب الشيخَ أبا علىٍّ الدَّقّاقَ ، وأخَذ الفِقْهَ عن أبى بكرِ بنِ محمدٍ الطُّوسِىِّ ، والكلامَ عن أبى بكرِ ابنِ فُورَكَ ، وصنَّفَ الكثيرَ ، فله « التفْسيرُ الكبيرُ » ، و « الرسالةُ » التى ترجَمَ فيها جماعةً مِنَ المشايخِ والصالحين ، وحَجَّ صُحْبَةَ إمامِ الحرمَيْنِ وأبى بكرٍ البَيْهَقىِّ ، وكان يَعِظُ الناسَ .

تُوفِّى بنَيْسابُورَ فى هذه السنةِ عن سبعين سنةً ، ودُفِن إلى جانبِ شيخِه أبى علىٍّ الدَّقّاقِ ، ولم يدخُلْ أحدٌ مِن أهلِ بيتِه بيتَ كتُبِه إلا بعدَ سنِينَ ؛ احترامًا له ، وكان له فَرَسٌ يركَبُها قد أُهْدِيَتْ إليه ، فلمَّا تُوفِّى لم تأكُلْ عَلَفًا حتى نفَقَتْ بعدَه بيَسِيرٍ ، ذكَره ابنُ الجَوْزِىِّ(3) .

وقد أثْنَى عليه القاضى ابنُ خَلِّكانَ فى « الوفياتِ »(4) ثَناءً كثيرًا ، وذكَر شيئًا مِن شعرِه الرائقِ ، فمِن ذلك قولُه :

(1 - 1) فى النسخ : « أرسلان وأرغو » ، وفى الكامل ١٠/ ٧٣: «أرسلان أرغو » ، والمثبت من مختصر تاريخ دولة سلجوق ص ٤٥. هذا وفى الكامل والمختصر ولد آخر وهو تتش ، وسيأتى ذكر تتش هذا قريبا .

(2 - 2) فى النسخ : « عبد المطلب » . والمثبت من مصادر ترجمته ، انظر تاريخ بغداد ١١/ ٨٣، ودمية القصر ٢/ ٢٤٦، والمنتظم ١٦/ ١٤٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٧٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ١٥٣، وطبقات الأولياء ص ٢٥٧، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ٧٣.

(3) المنتظم ١٦/ ١٤٩.

(4) وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٧.

سَقَى اللَّهُ وقْتًا كنتُ أخْلُو بوَجْهِكُم ... وثَغْرُ الهوَى فى روْضَةِ الأُنْسِ ضاحِكُ
أقَمْنا زمانًا والعُيونُ قريرَةٌ ... وأصبَحْتُ يومًا والجفُونُ سَوافِكُ

وقولُه[1] أيضًا رحِمه اللَّهُ تعالى :

لو كُنْتَ ساعَةَ بيْنِنا ما بينَنا ... وشهِدْتَ حينَ[2] نُكَرِّر التَّودِيعَا
أيْقَنْتَ أنَّ مِنَ الدُّموعِ مُحَدِّثًا ... وعَلِمْتَ أنَّ مِنَ الحديثِ دُموعَا

وقولُه أيضًا[3] :

ومَن كان فى طُولِ الهوَى ذاقَ سَلْوَةً ... فإنِّىَ مِن ليْلَى لها غيرُ ذائقِ
وأكثرُ شىءٍ نِلْتُهُ مِن وِصالِها ... أمانىُّ لم تَصدُقْ كخَطْفَةِ بارِقِ

ابنُ صُرَّبَعْرَ الشاعرُ ، اسمُه علىُّ بنُ الحسنِ[4] بنِ علىِّ بنِ الفَضْلِ ، أبو منصورٍ الكاتبُ المعروفُ بابنِ صُرَّبَعْرَ ، وكان نظامُ الملكِ يقولُ له : أنتَ صُرَّدُرٌّ لا صُرَّبَعْرُ[5] . وقد هَجاه بعضُهم فقال[6] :

لئِنْ نبَزَ الناسُ قِدمًا أباكَ ... وسَمَّوه مِن شُحِّهِ صُرَّبَعْرا
فإنَّك [7]تنْثُرُ ما صَرَّه[7] ... عقُوقًا لهُ وتُسَمِّيه شِعْرا

---

(١) البيتان فى طبقات الشافعية للسبكى ١٦١/٥ ، وهما أيضا فى وفيات الأعيان ٢٠٧/٣ ولكنهما منسوبان لذى القرنين ابن حمدان .
(٢) فى الوفيات : « كيف » .
(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٧.
(٤) فى ص ، ب ، خ ، م : « الحسين » . وانظر ترجمته فى : دمية القصر ١/ ٣٣١، والمنتظم ١٦/ ١٤٩، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٧٦.
(٥) المنتظم ١٦/ ١٤٩، والكامل ١٠/ ٨٨.
(٦) المنتظم ١٦/ ١٤٩، ١٥٠، والكامل ١٠/ ٨٨، ٨٩، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٨٦.
(٧ - ٧) فى الأصل، ص، ب، خ: « تنيز بالصردر » ، وفى المنتظم : « تنبز بالصربعرا » ، وفى =

قال ابنُ الجَوْزِيِّ[1] : وهذا ظلمٌ فاحِشٌ ؛ فإنَّ شِعرَه فى غايةِ الحُسْنِ ، ثم أوْرَدَ له قِطَعًا حِسانًا مِن شِعرِه ، فمِن ذلك قولُه :

إيِهِ أحاديثَ نَعمانٍ وساكنِه ... إنَّ الحديثَ عن الأحْبابِ أسْمارُ

أُفَتِّشُ الريحَ عنكم كلَّما نفَحتْ ... مِن نحوِ أرْضِكُم نَكْباءُ[2] مِعطارُ

قال : وقد حفِظ القرآنَ وسمِع الحديثَ مِنَ ابنِ بِشرانَ وغيرِه ، وحدَّث كثيرًا ، ورَكِب يومًا دابَّةً [3]فتردَّى هو والدابَّةُ فى بئرٍ ، فماتا ودُفِن ببابِ أبْرَزَ[3] ، وذلك فى صفرٍ مِن هذه السنةِ . قال ابنُ الجَوْزِيِّ[4] : قرأتُ بخطِّ ابنِ عقيلٍ : كان صُرَّبَعْرُ خازِنًا[5] بالرُّصافَةِ ، وكان يُنبَزُ بالإلْحادِ . وقد أوْرَدَ له ابنُ خَلِّكانَ[6] شيئًا مِن أشعارِه ، وأثْنَى عليه فى فنِّه . واللَّهُ أعلمُ بحالِه .

محمدُ بنُ عليِّ بنِ محمدِ بنِ [7]عُبيدِ اللَّهِ[7] بنِ عبدِ الصَّمَدِ بنِ المُهْتَدِى

= الكامل : « تنظم ماصره » .

(١) المنتظم ١٦/ ١٥٠، ١٥١.

(٢) فى ب ، خ ، م : « مسكاو » . والنكباء : الريح . تاج العروس (ن ك ب) .

(٣ - ٣) فى الأصل : « عنها هو ووالدته فى بئر فماتا فدفنا بباب تبرير » ، وفى ب : « هو ووالدته بالشونيزية فسقطا عنها فى بئر فماتا ودفنا ببرر » ، وفى خ : « هو ووالدته فسقطا عنها فى بئر فماتا ودفنا بالشونيزية » ، وفى م : « هو ووالدته فسقطا بالشونيزية عنها فى بئر فماتا فدفنا ببرر » ، وفى ص : « فتردى عنها هو ووالدته فى بئر فماتا ودُفِنا بباب تبرز » . والمثبت من المنتظم . وانظر الخبر فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٧٧، ١٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٠٤.

وباب أبرز : محلة ببغداد . لب اللباب ١/ ٩٢.

(٤) المنتظم ١٦/ ١٥١.

(٥) فى ب ، خ ، م : « جارنا » .

(٦) وفيات الأعيان ٣/ ٣٨٥، ٣٨٦.

(٧ - ٧) فى النسخ ، والكامل ١٠/ ٨٨: « عبد اللَّه » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تاريخ بغداد ٣/١٠٨، والمنتظم ١٦/ ١٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٨٦.

باللَّهِ ، أبو الحسينِ ، ويُعرَفُ بابنِ الغَريقِ ، وُلِد سنةَ سبعين وثلاثِمائَةٍ وسمِع الدَّارَقُطْنِىَّ ، وهو آخرُ مَن حَدَّث عنه فى الدنيا ، وابنَ شاهينَ وتفرَّدَ عنه ، وسمِع خلْقًا آخرين ، وكان ثِقةً دَيِّنًا ، كثيرَ الصلاةِ والصيامِ ، فكان يُقالُ له : راهِبُ بنى هاشمٍ . وكان غزيرَ العلمِ والعقلِ ، كثيرَ التِّلاوَةِ ، رقيقَ القلبِ غزيرَ الدَّمْعَةِ ، رحَل إليه الطلبَةُ مِنَ الآفاقِ ، ثم ثَقُل سمعُه ، فكان يقرَأُ على الناسِ ، وذهَبَتْ إحدى عيْنَيْه ، وخطَب وله سِتَّ عشْرَةَ سنةً ، وشَهِد عندَ الحُكامِ سنةَ سِتٍّ وأربعِمائَةٍ ، ووَلِىَ الحُكمَ سنةَ تِسْعٍ وأربعِمائةٍ ، وأقامَ خطيبًا بجامعِ المنصورِ وجامعِ الرُّصَافَةِ سِتًّا وسبعين سنةً ، وحكَم ستًّا وخمسين سنةً ، وتُوفِّى فى سَلْخِ ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنةِ وقد جاوَزَ تسعين سنةً ، وكان يومُ جِنازتِه يومًا مشْهُودًا ، ورُئِيَتْ له مَناماتٌ صالحةٌ[1] .

---

(١) إلى هنا ينتهى الجزء الثانى من نسخة مكتبة برنستون والمشار إليها بالرمز (ب) .

ثم دخلت سنة ستٍّ وستّين وأربعِمائةٍ

فى صفرٍ[1] جلَس الخليفةُ جلُوسًا عامًّا وعلى رأسِه حفيدُه الأميرُ عُدَّةُ الدينِ ، أبو القاسمِ عبدُ اللَّهِ المقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ ، وعمرُه يومَئذٍ ثمانى عشْرَةَ سنةً ، وهو فى غايةِ الحسنِ ، وحضَر الأمراءُ والكبراءُ ، فعقَد الخليفةُ بيَدِه لواءَ السلطانِ مَلِكْشَاه ، وكان يومًا مشهودًا ، وكَثُر الزِّحامُ يومَئذٍ حتى هنَّأ الناسُ بعضُهم بعضًا بالسلامةِ .

غَرَقُ بَغْدادَ

فى جُمادَى الآخرةِ جاء مطرٌ عظيمٌ وسَيلٌ قوِىٌّ كثيرٌ ، وزادَتْ دِجْلَةُ حتى غرَّقتْ جانبًا كبيرًا مِن بَغْدادَ ، وحتى خلَص ذلك إلى دارِ الخلافةِ ، فخرَج الجوارِى حاسِراتٍ ، حتى صِرْنَ إلى الجانبِ الغربىِّ ، وهرَب الخليفةُ مِن مَجْلِسِه فلم يجِدْ طريقًا يَسلُكُه ، فحمَله بعضُ الخَدَمِ إلى التَّاجِ[2] ، وكان ذلك يومًا عظيمًا ، وأمرًا هائلًا ، وهلَك للناسِ أموالٌ عظيمةٌ جدًّا ، وماتَ خَلْقٌ كثيرٌ تحتَ الرَّدْمِ مِن أهلِ بَغْدادَ والقَرايا[3] ، وجاءَ على وَجْهِ السَّيْلِ مِنَ الأَخْشابِ والوحوشِ والحيَّاتِ شىءٌ كثيرٌ جدًّا ، وسقَطَتْ دورٌ كثيرةٌ فى الجانِبَيْن ، وغرِقَتْ قُبورٌ كثيرةٌ ؛ مِن ذلكَ مَقْبَرةُ الخَيْزُرانِ ، ومَقْبَرةُ الإمامِ أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ ، ودخَل الماءُ مِن

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٥٤، والكامل ١٠/ ٩٠.

(٢) التاج : اسم لدار مشهورة ، جليلة المقدار ، واسعة الأقطار ببغداد ، من دور الخلافة المعظمة . معجم البلدان ١/ ٨٠٧ .

(٣) فى م : « الغرباء » ، والقرايا ؛ يدل سياقها فى الكتب على أنها جمع قرية وهو جمع لم تذكره معاجم اللغة ، وقد استخدمه أبو شامة فى كتابه الروضتين ١/ ٤٨ ، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث =

شَبابيكِ المارَسْتانِ[1] العَضُدِيِّ، وأَتلَف السَّيْلُ في المَوْصِلِ شيئًا كثيرًا، وصدَم سورَ سِنْجارَ فهدَمه، وأخَذَ بابَه مِن مَوْضِعِه إلى مسيرةِ أرْبَعَةِ فَراسِخَ.

وفي ذي الحِجَّةِ منها جاءتْ ريحٌ شديدةٌ بأَرْضِ البَصْرَةِ، فانْجَعَف[2] منها نحوٌ مِن خمسةِ[3] آلافِ نَخْلَةٍ.

وممَّنْ تُوفِّي فيها مِن الأعيانِ:

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ، أبو الحُسَينِ السِّمْنانيُّ، الحنفيُّ الأَشْعَريُّ[4]. قال ابنُ الجَوْزِيِّ[5]: وهذا مِنَ الغريبِ. تزوَّج قاضي القُضاةِ [6]أبو عبدِ اللَّهِ[6] الدامَغانيُّ ابْنَته، ووَلَّاه نِيابةَ القَضاءِ، وكان ثقةً نَبيلًا مِن ذَوِي الهيئاتِ، جاوَزَ الثمانين.

عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ [٩/١٩٣ظ] **بنِ سُلَيْمانَ، أبو محمدٍ الكَتّانيُّ**[7] الحافظُ الدِّمَشْقيُّ، سمِع الكثيرَ، [8]وكتَب كثيرًا، وصنَّف فأجاد وأفاد، وله في الفضائلِ أشياءُ كثيرةٌ غريبةٌ، وبعضُ ما يرويه موضوعٌ، ولا يُنَبِّهُ عليه، مع أنه كان ثقةً، ضابطًا، حافظًا، صدوقًا، مستقيمَ الطريقةِ والاعتقادِ[8]،

= ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠) ص ٢٤. وانظر ما تقدم في كتابنا ١٤/٨١٥.

(١) في الأصل، ص: «بيمارستان». والمارَستان: دار المرضى، وهو معرب، وأصله بيمارِستان. المعرب للجواليقي ص ٣٦٠، وتاج العروس (م ر س).

(٢) في الأصل: «فاجتثت». وانجعف: انقلع. تاج العروس (ج ع ف).

(٣) في خ، م: «عشرة».

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ٣٨٢، والمنتظم ١٦/ ١٥٧، والكامل ١٠/ ٩٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٩٢، والجواهر المضية ١/ ٢٥٤.

(٥) المنتظم ١٦/ ١٥٨. والذي استغربه ابن الجوزي أن يكون الحنفيُّ أَشْعَريًّا.

(٦ - ٦) في خ، م: «ابن». وانظر الأنساب ٢/ ٤٤٦.

(٧) في الأصل: «الكيلاني»، وفي خ، م: «الكناني». وانظر ترجمته في: تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٢/ ٢٩٤، والمنتظم ١٦/ ١٥٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٤٨، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٠٢.

(٨ - ٨) سقط من: خ، م.

سَلَفىَّ المَذهَبِ، وقد كتَب عنه الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ، رحِمه اللَّهُ تعالى.[1]

محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عليٍّ بنِ إبراهيمَ بنِ جعفرٍ، أبو بكرٍ العطَّارُ الأَصْبَهانىُّ[2] الحافظُ، مُستَملِى أبى نُعيمٍ، سمِع الكثيرَ[1]، وكانَ يُملِى مِن حِفْظِه، وكتَب عنه الخطيبُ حديثًا واحدًا، وكان عظيمًا فى بلدِه، ثِقةً نَبيلًا جليلًا. وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

الماوَرْدِيَّةُ[3]، ذكَر ابنُ الجَوْزِىِّ أنَّها كانتْ عَجوزًا صالحةً مِن أهلِ البَصْرَةِ تَعِظُ النِّساءَ بها، وكانت تكتبُ وتقرأُ، ومكَثتْ خمسينَ سنةً مِن عُمرِها لا تُفطِرُ نهارًا ولا تنامُ ليلًا، وتَقْتاتُ بخبزِ البَاقِلَّاءِ، وتأكُلُ مِنَ التِّينِ اليابسِ لا الرَّطْبِ، وشيئًا يَسِيرًا مِن العِنَبِ والزَّبِيبِ[4]، ورُبَّما أكَلتْ مِن اللَّحْمِ اليَسِيرَ، وحينَ تُوفِّيَتْ تَبِع أكثرُ أَهْلِ البلدِ جِنازتَها، ودُفِنتْ فى مقابرِ الصالحين.

(١ - ١) سقط من: خ، م.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٤١٧، والمنتظم ١٦/ ١٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٨، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١١٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١- ٤٧٠هـ) ص ٢١٤، والوافى بالوفيات ١/ ٣٥٥.

(٣) المنتظم ١٦/ ١٥٩، وصفة الصفوة ٤/ ٤٧، والنجوم الزاهرة ٥/ ٩٧، وأعلام النساء ٥/ ١٣.

(٤) فى خ، م، وصفة الصفوة: «الزيت».

ثم دخلت سنة سَبْعٍ وسِتّين وأَرْبَعِمائةٍ

فى صَفَرٍ منها[1] مرِض الخليفةُ القائمُ بأمرِ اللَّهِ مرَضًا شديدًا ؛ انْتَفَخ مِنه حلْقُه ، وامتنَع مِنَ الفَصْدِ ، فلم يزَلِ الوزيرُ فخرُ الدَّوْلةِ عليه حتى افْتَصَد ، فصلَح الحالُ ، وكان الناسُ قدِ انْزَعَجُوا ففرِحُوا بعافِيَتِه .

وجاءَ فى هذا الشهرِ سَيْلٌ عظيمٌ ، قاسَى الناسُ منه شدَّةً عظيمةً ، ولم تكُنْ أكثرُ أَبْنِيَةِ بَغْدادَ تكامَلَتْ مِنَ الغرَقِ الأَوَّلِ ، فخرَج الناسُ إلى الصَّحْراءِ فجلَسوا على رءوسِ التُّلولِ تحتَ المطرِ .

ووقَع وباءٌ عظيمٌ بالرَّحْبَةِ ، فماتَ مِن أهلِها قريبٌ مِن عشَرَةِ آلافٍ ، وكذلك وقَع بوَاسِطٍ والبَصْرَةِ وخُوزِسْتَانَ وأرضِ خُراسَانَ وغيرِها . واللَّهُ أعلمُ .

صفةُ موتِ الخليفةِ القائمِ بأمْرِ اللَّهِ :

افْتَصَد فى يومِ الخميسِ الثامنِ والعِشْرِينَ مِن رَجَبٍ مِن ماشَرَا[2] كانتْ تَعْتادُه مِن عامِ الغرَقِ ، ثم نامَ بعدَ ذلك فانْفجَر فِصَادُه ، فاسْتَيقَظ وقد سقَطَتْ قوَّتُه ، وحصَل الإياسُ منه ، فاسْتَدْعَى بحفيدِه ووليِّ عهدِه مِن بعدِه عُدَّةِ الدينِ أبى القاسمِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ القائمِ ، وأَحْضَرَ إليه القاضىَ والنُّقَباءَ ، وأَشْهَدَهم عليه ثانيًا بولايةِ العَهْدِ له مِن بعدِه ، فشَهِدوا ، ثم كانتْ وفاتُه ليْلةَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٦١، والكامل ١٠/ ٩٤.

(٢) فى خ ، م : « بواسير » ، وفى الكامل ١٠/ ٩٤: « شرى » . والماشرا : ورم حار ينتج عن دم صفراوىٌّ يعمُّ الوجه ، وربما غطّى العين . الموجز فى الطب ص ١٧٤ .

الخميسِ الثالِثَ عشَرَ مِن شعبانَ عن أَرْبَعٍ وسبعين سنةً ، وثمانيةِ أَشْهرٍ ، وثمانيَةِ أيامٍ ، وكانتْ مُدَّةُ خلافَتِه أَرْبعًا وأربعين سنةً وثمانِيَةَ أَشْهرٍ وخمسةً وعِشْرين يومًا ، فلم يَبْلُغْ أحدٌ مِنَ العباسِيِّين قَبْلَه هذه المدةَ ، وقد جاوزَتْ خلافةُ أبيه أربعين سنةً ، فكان مجموعُ أيَّامِهما خمسًا وثمانين سنةً وأشهرًا ، وذلك مُقارِبٌ لدوْلةِ بنى أُمَيَّةَ كُلِّها ، وقد كان القائمُ بأمْرِ اللَّهِ جميلًا مليحَ الوَجْهِ ، أبيضَ ، مُشْرَبًا حُمْرَةً ، فصيحًا ، وَرِعًا ، زاهدًا ، أدِيبًا ، كاتبًا ، بليغًا ، شاعرًا ، كما تقدَّم[1] ذِكرُ شىءٍ مِن شعرِه وهو بحديثَةِ عانةَ سنةَ خمسين ، وكان عادِلًا كثيرَ الإحْسانِ إلى الناسِ ، رحِمه اللَّهُ .

وغسَّله الشَّريفُ أبو جعفرِ بنُ أبى مُوسَى الحَنْبلىُّ ؛ عن وصِيَّةِ الخليفةِ بذلك ، فعُرِض على الشَّريفِ أبى جعفرٍ ما هُنالك مِنَ الأثاثِ والأمْوالِ ، فلم يَقْبَلْ منه شيئًا ، وصُلِّى على الخليفةِ فى صَبِيحَةِ يومِ الخميسِ المذْكُورِ ، ودُفِن عندَ أجْدادِه ، ثم نُقِلَ إلى الرُّصافَةِ ، فقَبْرُه يُزارُ إلى الآنَ ، وغُلِّقَتِ الأسْواقُ لموتِه ، وعُلِّقَتِ المُسوحُ ، وناحَتْ عليه نساءُ الهاشِمِيِّين وغيرِهم ، وجلَس الوزيرُ ابنُ جَهِيرٍ وابنُه للعَزاءِ على الأرضِ ، وخرَق الناسُ ثِيابَهم ، وكان يومًا عَصِيبًا ، واستمرَّ الحالُ كذلك ثلاثةَ أيامٍ ، وقد كان [٩/١٩٤و] مِن خِيارِ بنى العباسِ دِينًا واعْتِقادًا ودَوْلةً ، وقدِ امْتُحِن مِن بينِهم بفتنةِ البَساسيرِىِّ التى اقْتَضَتْ إخْراجَه مِن دارِه ومفارقته أهلَه وأوْلادَه ووَطنَه ، فأقامَ بحديثَةِ عانةَ سنةً كاملةً ، ثم أعادَ اللَّهُ تعالى عليه نِعْمته وخِلافتَه ، كما قال الشاعرُ[2] :

---

(١) تقدم فى ١٥/٧٦٩ .

(٢) البيت للفرزدق ، انظر ديوانه ص ٢٢٣.

فأَصْبَحُوا قد أعادَ اللَّهُ نِعمتَهُمْ إذْ هُمْ قُرَيْشٌ وإذْ ما مثلُهُمْ بَشَرُ

وقد تقدَّم له فى ذلك سَلَفٌ صالحٌ كما قال تعالَى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص: ٣٤] وقد ذكَرْنا مُلَخَّصَ ما ذكَره المُفسِّرُون فى سُورةِ « ص »[1] ، وبسَطْنا الكلامَ فى هذه القصةِ العباسِيَّةِ والفتنةِ البَسَاسِيرِيَّةِ فى سنَةِ خمسين ، وإحْدَى وخمسين وأَرْبَعِمائةٍ .

خِلافَةُ المُقْتَدِى بأمْرِ اللَّهِ

وهو أبو القاسمِ عُدَّةُ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ الأميرِ ذَخِيرَةِ الدينِ محمدِ بنِ الخليفةِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ عبدِ اللَّهِ بنِ القادرِ العباسِيُّ ، وأُمُّه أَرْمِنيَّةٌ تُسَمَّى أُرْجُوانَ ، وتُدْعَى قُرَّةَ العَيْنِ ، وأدرَكتْ خِلافتَه ، وخِلافةَ ولدَيْه ؛ المُسْتَظْهِرِ والمُسْتَرْشِدِ . وقد كان أبوه تُوفِّى وهو حَمْلٌ ، فحينَ وُلِدَ ذَكَرًا فرِح جَدُّه والمسلمون به فَرَحًا شديدًا ؛ إذْ حفِظ اللَّهُ على المسلمينَ بقاءَ الخلافَةِ فى البيتِ القادرِيِّ ؛ لأَنَّ مَن عدَاهم يبتذِلون فى الأسواقِ مع العَوامِّ ، وكانتِ القلوبُ تَنفِرُ مِن تَوْلِيَةِ مثلِ أولئكَ الخلافةَ على الناسِ ، ونشَأَ هذا فى حِجْرِ جَدِّه القائمِ بأمرِ اللَّهِ يُرَبِّيه بما يَليقُ بأمْثالِه ، ويُدَرِّبُه على أحسنِ السَّجايا ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، وكان عُمرُ المُقْتَدِى حينَ وَلِىَ الخلافةَ عشرين سنةً ، وهو فى غايةِ الجمالِ خَلْقًا وخُلُقًا ، وكانتْ بَيْعَتُه يومَ الجُمُعةِ الثالِثَ عشَرَ مِن شعبانَ مِن هذه السنةِ ، وجلَس فى دارِ الشجرةِ ، بقَمِيصٍ أَبْيَضَ ، وعِمامةٍ بَيْضاءَ لطيفةٍ ، وطَرْحَةٍ قصَبٍ دُرِّيَّةٍ ، وجاءَ الوزراءُ والأمراءُ والأشرافُ ووُجُوهُ الناسِ فبايَعُوه ، فكانَ أَوَّلَ مَن بايعَه الشَّريفُ أبو جَعْفَرِ بنُ أبى مُوسى الحنبَلِيُّ ،

(١) التفسير ٥٧/٧ - ٦١.

وأنشَده قولَ الشاعرِ[1] :

* إذا سيِّدٌ مِنَّا مضَى[2] قامَ سيِّدٌ *

ثم أُرْتِجَ عليه فلم يَدْرِ ما بعدَه ، فقالَ الخليفةُ :

* قَئُولٌ لِمَا قال الكِرامُ فَعُولُ *

وبايَعه مِن شُيوخِ العِلْمِ الشيخُ أبو إسْحاقَ الشِّيرَازِيُّ ، والشيخُ أبو نَصْرِ بنُ الصَّبَّاغِ ، الشافِعيَّانِ ، والشيخُ أبو محمدٍ التَّمِيمِيُّ الحنْبَليُّ ، وبرز فصلَّى بالناسِ العَصْرَ ، ثم بعدَ ساعَةٍ أَخْرَجَ تابُوتَ جَدِّه بسكونٍ ووَقارٍ مِن غيرِ صُراخٍ ولا نَوْحٍ ، فصلَّى عليه ، وحُمِلَ إلى المَقْبَرةِ ، رحِمه اللَّهُ ، وقد كان المُقْتَدِى باللَّهِ شَهْمًا شُجاعًا ، أيَّامُه كلُّها مُباركَةٌ ، والرزقُ دَارٌّ ، والخلافَةُ مُعَظَّمةٌ جدًّا ، وتصاغَرَتِ المُلُوكُ له ، وتَضَاءَلوا بينَ يَدَيْه ، وخُطِبَ له بالحرَمَيْنِ وبيتِ المَقْدِسِ ، والشاماتِ كلِّها ، واسْتَرْجَع المسلمونَ الرُّهَا وأَنْطاكِيَةَ مِن أَيْدِى العَدُوِّ ، وعُمِّرَتْ بغدادُ وغيرُها مِن البلادِ ، واسْتَوْزَرَ ابنَ جَهِيرٍ ، ثم أبا شُجاعٍ ، ثم أعاد ابنَ جَهِيرٍ ، وقاضِيه الدّامَغانِيُّ ، ثم أبو بكرٍ الشَّامِيُّ[3] ، وهؤلاءِ مِن خِيارِ القُضاةِ والوزَارءِ ، وللَّهِ الحمدُ .

وفى شعبانَ أَخرَجَ المُفْسِداتِ مِنَ الخواطِئِ مِنْ بَغْدادَ على حُمُراتٍ يُنادِينَ على أَنْفُسِهِنَّ بالعارِ والفَضِيحَةِ ، وخرَّبَ دورَهُنَّ ، وأَسْكَنهنَّ الجانبَ الغربيَّ ، وخرَّب أَبْرِجَةَ الحَمَامِ ، ومنَع مِن اللَّعِبِ بها ، وأَلْزَم الناسَ بالمآزِرِ فى الحمَّاماتِ ،

---

(١) البيت للسموأل ، انظر ديوان السموأل ص ٩١ طبعة دار صادر .

(٢) فى مصدر التخريج : « خلا » .

(٣) فى النسخ : « الشاشى » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ١٦٦ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٨٥.

ومنَع أصحابَ الحمَّاماتِ أنْ يَصْرِفُوا فضَلاتِها إلى دِجْلَةَ ، وألْزَمَهم بحَفْرِ آبارٍ لتلك المياهِ القَذِرَةِ ؛ صِيانةً لماءِ الشُّرْبِ .

وفى شوَّالٍ وقَعتْ نارٌ فى أماكِنَ متعدِّدَةٍ ببغدادَ ، حتى فى دارِ الخلافةِ ، فأحْرَقَتْ شيئًا كثيرًا مِن الدُّورِ والدَّكاكِينِ .

ووقَع بواسِطٍ حريقٌ فى تِسْعَةِ أماكِنَ ، واحْتَرقَ فيها أربعةٌ وثمانونَ دارًا وستَّةُ خاناتٍ ، وأشياءُ كثيرةٌ غيرُ ذلك ، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجِعون .

وفيها عُمِلَ الرَّصَدُ للسلْطانِ مَلِكْشَاه ، اجْتَمعَ عليه جماعةٌ من أعيانِ المُنَجِّمِينَ ، وأَنْفَقَ عليه أمْوالًا كثيرةً ، وبَقِىَ الرَّصَدُ دائرًا حتى ماتَ السلطانُ فبطَل .

وفى ذى الحِجَّةِ أُعِيدَتِ الخُطبةُ بمكَّةَ للمصريينَ وقُطِعَتْ خُطْبَةُ العباسِيِّينَ ، وذلك لمَّا قَوِىَ أمْرُ صاحبِ مِصْرَ بعدَ ما كان ضعيفًا بسبَبِ غَلاءِ بلَدِه ، فلمَّا أَرْخصَتْ تراجَعَ الناسُ إليها ، وطابَ [٩/١٩٤ظ] العيشُ بها ، وقد كانتِ الخُطبةُ العباسيَّةُ بمكَّةَ أَرْبَعَ سنينَ وخمسةَ أَشْهرٍ ، وستَعُودُ كما كانتْ على ما سيأْتى بيانُه فى مَوْضِعِه .

وفى هذا الشهرِ انْجفَلَ أهلُ السَّوادِ مِن شِدَّةِ الوَباءِ وقِلَّةِ ماءِ دِجْلَةَ ونَقْصِها .

وحجَّ بالناسِ الشريفُ أبو طالبٍ الحُسَيْنىُّ بنُ محمدٍ الزَّيْنَبِىِّ ، وأَخَذ البيعةَ للخليفةِ المُقْتَدِى .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأَعْيانِ :

الخليفةُ القائمُ بأمْرِ اللَّهِ عبدُ اللَّهِ[1] ، وقد ذكَرْنا شيئًا من تَرْجَمتِه عندَ ذِكْرِ

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٣٩٩، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ١٨٨، والمنتظم ٨/ ٢٩٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٢٦، والوافى بالوفيات ١٧/ ٢٠.

وفاتِه، رحِمه اللَّهُ.

الداودِيُّ راوِى «صحيحِ البُخارِىِّ»، عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ المُظَفَّرِ ابنِ محمدِ بنِ داودَ، أبو الحسنِ[1] **بنُ أبى طَلْحَةَ الداودِىُّ**، وُلِد سنةَ أربعٍ وسَبْعِين وثَلاثِمائةٍ، سمِع الكثيرَ، وتفقَّهَ على الشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَرايِينىِّ، وأبى بكرٍ القَفَّالِ، وصحِب أبا علىٍّ الدَّقَّاقَ، وأبا عبدِ الرحمنِ السُّلَمِىَّ، وكتَب الكثيرَ ودرَّس وأَفْتَى وصنَّف، ووعَظ الناسَ، وكانت له يدٌ طُولَى فى النَّظْمِ والنَّثْرِ، وكان معَ ذلك كثيرَ الذِّكْرِ، لا يَفْتُرُ لسانُه عن ذِكْرِ اللَّهِ تعالَى، دخَل عليه يومًا الوزيرُ نِظامُ المُلْكِ فجلَس بين يَدَيْه، فقال له الشيخُ[2]: إنَّ اللَّهَ قد سلَّطَكَ على عِبادِه، فانْظُرْ كيفَ تُجِيبُه إذا سألكَ عنهم. وكانت وفاتُه ببُوشَنْجَ[3] فى هذه السنةِ وقد جاوَز التسعين. ومِن شعرِه قولُه[4]:

كان فى الإجْتِماعِ بالناسِ نورٌ   فمضَى النورُ وادْلَهَمَّ الظلَامُ
فسَد الناسُ والزمانُ جميعًا   فعلى الناسِ والزمانِ السلامُ

أبو الحسَنِ علىُّ بنُ الحسَنِ بنِ علىِّ بنِ أبى الطَّيِّبِ الباخَرْزِىُّ[5]، الشاعرُ المَشْهورُ، اشتغَل أَوَّلًا على الشيخِ أبى محمدٍ الجُوَيْنِىِّ، ثم عدَل إلى الكتابةِ

---

(١) فى الأصل، خ، ص: «الحسين»، وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٦/ ١٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٣٢، وفوات الوفيات ٢/ ٢٩٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ١١٧، وطبقات المفسرين ١/ ٢٨٨.

(٢) المنتظم ١٦/ ١٦٩.

(٣) بوشنج: بليدة من نواحى هراة بينهما عشرة فراسخ. معجم البلدان ١/ ٧٥٨.

(٤) المنتظم ١٦/ ١٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٦٦، وفوات الوفيات ٢/ ٢٩٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ١٢٠.

(٥) معجم الأدباء ١٣/ ٣٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٨٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٣٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٢٥٦.

والشِّعرِ ، ففاقَ أَقْرانَه ، وله ديوانٌ مشهورٌ ، فمِنْه[1] :

وإِنِّى لأَشْكُو لَسْعَ أصْداغِكَ التى ... عقَارِبُها فى وَجْنَتَيْك تَحومُ
وأَبْكِى لدُرِّ الثَّغْرِ منك ولِى أبٌ ... فكيفَ يُديمُ الضَّحْكَ وهْوَ يَتِيمُ

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣٨٨.

ثم دخَلَتْ سنةُ ثمانٍ وستّيـن وأَرْبَعِمائَةٍ[(١)]

قال ابنُ الجَوْزِيِّ[(٢)] : جاءَ جَرادٌ فى شعبانَ بعدَدِ الرملِ والحصَى ، فأَكَل الغلَّاتِ ، وأَكْدَى[(٣)] أكثرُ الناسِ وجاعُوا ، فطُحِن الخَرُّوبُ بدَقيقِ الدُّخْنِ[(٤)] فأكَلُوه ، ووقَع الوباءُ ، ثم منَع اللَّهُ الجرادَ مِنَ الفسادِ ، فكان يمُرُّ ولا يضُرُّ ، فرخُصَتِ الأسْعارُ . قال : ووقَع غلاءٌ شديدٌ بدِمَشْقَ واستمرَّ ثلاثَ سنِينَ .

وفيها ملَكَ نَصْرُ بنُ محمودِ بنِ صالحِ بنِ مِرْدَاسٍ مدينةَ مَنْبِـجَ ، وأجْلَى عنها الرومَ ، وللَّهِ الحمدُ .

وفى ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنةِ ملَك الأَقسيسُ مدينةَ دِمَشْقَ ، وهُزِم عنها المُعَلَّى ابنُ حَيْدَرَةَ نائبُ المستنصرِ العُبيدِيِّ إلى مدينةِ بانْيَاسَ ، وخُطِبَ فيها للمُقْتَدِى ، وقُطِعتْ خُطبةُ المِصْريين عنها إلى الآنَ ، فاسْتَدْعَى المستنصِرُ نائبَه فحبَسه عندَه إلى أنْ ماتَ فى السِّجْنِ[(٥)] .

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٧١، والكامل ١٠/ ٩٩.

(٢) المنتظم ١٦/ ١٧١.

(٣) فى النسخ « كدى » ويقال : أكدى الرجل : افتقر بعد غنى انظر اللسان (كدى) .

(٤) الدخن : نبات عشبى ، حبه صغير أملس كحب السمسم ، ينبت بريا ومزروعا . الوسيط (د خ ن) .

(٥) بعده فى خ ، م : « قلت : الأقسيس هذا هو أتسز بن أوف الخوارزمى . ويلقب بالملك المعظم ، وهو أول من استعاد بلاد الشام من أيدى الفاطميين ، وأزال الأذان منها بحى على خير العمل ، بعد أن كان يؤذن به على منابر دمشق وسائر الشام ، مائة وست سنين ، وكان على أبواب الجوامع والمساجد مكتوب لعنة الصحابة رضى اللَّه عنهم ، فأمر هذا السلطان المؤذنين والخطباء أن يترضوا عن الصحابة أجمعين ، ونشر العدل وأظهر السنة ، وهو أول من أسس القلعة بدمشق ، ولم يكن فيها قبل ذلك معقل يلتجئ إليه المسلمون من العدو ، فبناها فى محلتها هذه التى هى فيها اليوم ، وكان موضعها بباب البلد يقال له : =

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ مُقْطَعُ الكُوفَةِ ، وهو الأميرُ (١ خُتْلُغُ بنُ كنتِكينَ ١) التركىُّ ، ويُعْرَفُ بالطَّويلِ ، وكان قد شرَّدَ خَفاجَةَ فى البلادِ وقهَرهم ، ولم يَصْحَبْ معه سِوَى ستَّةَ عشَرَ تُرْكيًّا ، فوصَل سالمًا إلى مَكَّةَ [٩/١٩٥و] ، ولمَّا نزَل ببعضِ دُورِها كَبَسه بعضُ العبيدِ ، فقتَل فيهم مَقْتَلةً عظيمةً ، وهزَمهم هزيمةً شَنيعةً ، ثم إنما كان يَنْزِلُ بعد ذلك بالزاهرِ ؛ قاله ابنُ السَّاعِى فى « تاريخِه » .
وأُعيدَتِ الخُطبةُ فى ذى الحِجَّةِ بمكةَ للعباسيِّين ، وقُطِعَتْ خُطبةُ المِصْريين ، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأَعْيانِ :

محمدُ بنُ علىٍّ (٢ بنِ محمدٍ ٢) بنِ أحمدَ بنِ عِيسى بنِ أبى مُوسى ، أبو تمَّامِ ابنُ أبى القاسمِ بنِ القاضى أبى علىٍّ ، الهاشمِىُّ ، نقيبُ الهاشمِيِّين ، وهو ابنُ عمِّ الشَّريفِ أبى جَعْفَرِ بنِ أبى مُوسى الفَقِيهِ الحَنْبَلِىِّ ، روَى الحديثَ ، وسمِع منه أبو بكرِ بنُ عبدِ الباقى ، ودُفِنَ ببابِ حرْبٍ .

محمدُ بنُ القاسمِ بنِ حَبِيبِ بنِ عَبْدُوسٍ ، أبو بكرٍ الصَّفَّارُ (٣) ، مِن أهلِ

= باب الحديد . وهو تجاه دار رضوان منها ، وكان ابتداء ذلك فى السنة الآتية ، وإنما أكملها بعده الملك المظفر تتش بن ألب أرسلان السلجوقى كما سيأتى بيانه » .

(١ - ١) فى الأصل : « ختلع الشكين » ، وفى ص : « ختلع الفتكين » ، وفى خ : « جتعل البيكينى جتعل » ، وفى م : « السكينى جنفل » ، وفى مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ص ٦٦ : « قتلغ » . والمثبت من المنتظم ١٦/ ٢٦٢ ، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٣ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، خ ، م . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ١٧٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٦٨ .

(٣) المنتظم ١٦/ ١٧٤ ، والكامل ١٠/ ١٠١ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٣٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٦٩ ، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ١٩٤ .

نَيْسَابُورَ؛ سمِع الحاكِمَ وأبا عبدِ الرحمنِ السُّلَمِيَّ وخَلْقًا، وتفَقَّه على الشيخِ أبي محمدٍ الجُوَيْنيِّ، وكان يَخْلُفُه في حَلْقَتِه.

محمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ، أبو الحَسَنِ[1] **البَيْضاوِيُّ الشافِعيُّ**، خَتَنُ أبي الطَّيِّبِ الطَّبَرِيِّ على ابْنَتِه، سمِع الحديثَ، وكان ثقةً خَيِّرًا، تُوفِّي في شعبانَ منها، وتقدَّم للصلاةِ عليه الشيخُ أبو نصرِ بنُ الصَّبَّاغِ، وحضَر جِنازَتَه أبو عبدِ اللَّهِ الدَّامَغانيُّ مأمُومًا، ودُفِنَ بدارِه في قطيعةِ الكَرْخِ.

محمودُ[2] **بنُ نَصْرِ بنِ صالحٍ**، أميرُ حَلَبَ، وكان قد ملَكها في سنةِ تِسْعٍ وخمسين، وكان مِن أحسنِ الناسِ شَكْلًا وفِعْلًا.

مَسْعُودُ [3]**بنُ عبدِ العزيزِ**[3] **بنِ المُحْسِنِ بنِ الحَسَنِ بنِ عبدِ الرَّزَّاقِ، أبو جَعْفَرٍ البَياضيُّ الشاعرُ**، ومِن شِعْرِه[4]:

لَيْسَ لي صاحِبٌ مُعِينٌ سِوَى اللَّيْـ ... ـلِ إذا طالَ بالصُّدودِ علَيَّا

أنا أَشْكُو بُعْدَ الحبيبِ إليهِ ... وَهْوَ يَشْكُو بُعْدَ الصَّباحِ إليَّا

---

(١) في النسخ: «الحسين». وانظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٣/ ٢٣٩، والمنتظم ١٦/ ١٧٤، والكامل ١٠/ ١٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٦٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ١٩٦.

(٢) في النسخ: «محمد». وانظر ترجمته في: المنتظم ١٦/ ١٧٥، والكامل ١٠/ ١٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٤٤، وشذرات الذهب ٣/ ٣٢٩.

(٣ - ٣) سقط من: النسخ، والمنتظم ١٦/ ١٧٥، والكامل ١٠/ ١٠١. وانظر ترجمته في: دمية القصر ١/ ٣٧٣، ووفيات الأعيان ٥/ ١٩٧، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٧١ وفيه: «مسعود بن المحسن بن عبد العزيز».

(٤) البيتان في المنتظم ١٦/ ١٧٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٠٣.

وله أيضًا[1] :

يا مَنْ لَبِسْتُ لهجْرِه ثَوْبَ الضَّنَى حتى خَفِيتُ به عن العُوَّادِ
وأَنِسْتُ بالسَّهَرِ الطويلِ فأُنْسِيَتْ أَجْفانُ عَيْنى كيفَ كانَ رُقادِى
إنْ كانَ يُوسُفَ بالجمالِ مُقَطِّعَ الْـ ـأَيْدِى فأنتَ مُفَتِّتُ الأَكْبادِ

الواحدِىُّ المُفسِّرُ

أبو الحسنِ علىُّ بنُ[2] أحمدَ بنِ [3]محمدِ بنِ[3] علىِّ بنِ مَتُّويَهِ الواحدِىُّ ، قال ابنُ خَلِّكانَ[4] : لا أَدْرِى هذه النسبةُ إلى ماذا ، وهو صاحبُ التفاسيرِ الثلاثَةِ : « البَسِيطِ » ، و « الوَسِيطِ » و « الوَجِيزِ » . قال : ومنه أخَذ الغَزّالىُّ أسماءَ كتُبِه . قال : وله « أسْبابُ النزولِ » ، و « التَّحْبِيرُ فى شَرْحِ الأَسْماءِ الحُسْنَى » ، وقد شرَح « ديوانَ المُتَنَبِّى » وليسَ فى شُروحِه - مع كثْرَتِها - مثلُه . قال : وقد رُزِقَ السعادةَ فى تصانيفِه ، وأَجْمَعَ الناسُ على حُسْنِها وذكَرها المُدَرِّسُونَ فى دُروسِهم ، وقد أَخَذ التَّفْسِيرَ عن الثَّعالِبِىِّ ، وقد مرِض الواحدىُّ مُدَّةً ، ثم كانتْ وفاتُه بنَيْسَابُورَ فى جُمادَى الآخرةِ مِن هذه السنةِ .

---

(١) الأبيات فى المنتظم ١٦/ ١٧٥، ١٧٦، والكامل ١٠/ ١٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٧٢.

(٢) بعده فى م : « حسن بن » ، وانظر ترجمته فى : إنباه الرواة ٢/ ٢٢٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٥٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٢٤٠، وغاية النهاية ١/ ٥٢٣، وطبقات المفسرين للداودى ١/ ٣٨٧.

(٣ - ٣) سقط من :النسخ . والمثبت من مصادر ترجمته السابقة .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٣.

ناصِرُ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ ، أبو منْصورٍ التُّرْكِيُّ المضافرىُّ[1] ، وهو والدُ الحافظِ محمدِ بنِ ناصرٍ ، قرَأ القِراءاتِ ، وسمِع الكثيرَ ، وهو الذى توَلَّى قِراءةَ « التاريخِ » على الخطِيبِ بجامعِ المنْصُورِ ، وكان ظريفًا صَبِيحًا ، ماتَ شابًّا دونَ الثلاثين سنةً [٩/١٩٥ظ] فى ذى القَعْدَةِ منها ، وقد رثاه بعضُهم بقصيدةٍ طويلةٍ أَوْرَدَها كلَّها ابنُ الجَوْزِىِّ فى « المُنْتَظَمِ »[2] .

يُوسُفُ بنُ محمدِ بنِ يُوسُفَ بنِ الحسنِ ، أبو القاسمِ الهَمَذانىُّ[3] ، سمِع وجمَع وصنَّفَ ، وانْتَشَرتْ عنه الروايةُ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ وقد قارَب التسعين .

---

(١) فى الأصل : « المصافرى » ، وفى ص : « الضافرى » ، وفى خ ، م : « الصافرى » . والمثبت من المنتظم ١٦/ ١٧٦، وله ترجمة فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٧٤.

(٢) المنتظم ١٦/١٧٧ - ١٧٩.

(٣) المنتظم ١٦/ ١٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤٨، والعبر ٣/ ٢٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٧٧، ومرآة الجنان ٣/ ٩٧.

ثم دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وسِتّين وأَربعِمائةٍ[1]

فى المحرَّمِ[2] مرِض الخليفةُ مَرَضًا شديدًا فأرْجَف الناسُ به ، فركِب حتى رآه الناسُ جَهْرةً فسكَنُوا .

وفى جُمادَى الآخرةِ زادَتْ دِجْلَةُ زيادةً كثيرةً ؛ إحْدى وعشرين ذِراعًا ونِصْفًا ، فنقَل الناسُ أموالَهم ، وخِيفَ على دارِ الخلافةِ ، فنُقِلَ تابوتُ القائمِ بأمرِ اللَّهِ ليلًا إلى التُّرَبِ بالرُّصافَةِ .

وفى شوَّالٍ وقَعتِ الفتنةُ بينَ الحنابِلَةِ والأَشْعَرِيَّةِ ؛ وذلك لأنَّ ابنَ القُشَيْرِىَّ قَدِم بغدادَ فجلَس يتكلَّمُ فى المدرسةِ النِّظامِيَّةِ ، وأخَذ يَذُمُّ الحنابلةَ ويَنْسُبُهم إلى التَّجْسيمِ ، وساعَده أبو سعدٍ الصُّوفىُّ ، ومال معه الشيخُ أبو إسْحاقَ الشِّيرازِىُّ ، وكتَب إلى نظامِ المُـلْكِ يَشْكُو إليه الحنابِلَةَ ويَسْأَلُه المعُونةَ ، وذهَب جماعةٌ إلى

---

(١) بعده فى خ ، م : « فيها كان ابتداء عمارة قلعة دمشق ، وذلك أن الملك المعظم أتسز بن أوف الخوارزمى لما انتزع دمشق من أيدى العبيديين فى السنة الماضية ، شرع فى بناء هذا الحصن المنيع بدمشق فى هذه السنة ، وكان فى مكان القلعة اليوم أحد أبواب البلد ، باب يعرف بباب الحديد ، وهو الباب المقابل لدار رضوان منها اليوم ، داخل البركة البرانية منها ، وقد ارتفع بعض أبرجتها فلم يتكامل حتى انتزع ملك البلد منه الملك المظفر تاج الملوك تتش بن ألب أرسلان السلجوقى ، فأكملها وأحسن عمارتها ، وابتنى بها دار رضوان للملك ، واستمرت على ذلك البناء فى أيام نور الدين محمود بن زنكى ، فلما كان الملك صلاح الدين بن يوسف بن أيوب جدد فيها شيئا ، وابتنى له نائبه ابن مقدم فيها دارًا هائلة للمملكة ، ثم إن الملك العادل أخا صلاح الدين اقتسم هو وأولاده أبرجتها ، فبنى كل ملك منهم برجا منها جدده وعلاه وأطده وأكده ، ثم جدد الملك الظاهر بيبرس منها البرج الغربى القبلى ، ثم ابتنى بعده فى دولة الملك الأشرف خليل بن المنصور ، نائبه الشجاعى الطارمةَ الشمالية والقبة الزرقاء وما حولها » .

(٢) المنتظم ١٦/ ١٨٠، والكامل ١٠/ ١٠٣.

الشَّرِيفِ أبى جَعْفرِ بنِ أبى مُوسى شيخِ الحنابلةِ وهو فى مَسْجِدِه ، فدافَع عنه آخرونَ ، وقُتِلَ رجلٌ خَيَّاطٌ مِن سُوقِ الثلاثاءِ[1] ، وجُرِح آخرونَ ، وثارَتِ الفتنةُ ، وكتَب الشيخُ أبو إسْحاقَ ، وأبو بكرٍ الشَّاشِىُّ إلى نظامِ المُلْكِ ، فجاء كتابُه إلى فخرِ الدولةِ يُنْكِرُ ما وقَع ، ويَكْرَهُ أنْ يُنْسَبَ إلى المدرسةِ التى بنَاها شىءٌ مِن ذلك ، وعزَم الشيخُ أبو إسحاقَ على الرِّحلةِ مِن بغْدادَ ؛ غضَبًا مِمَّا وقَع مِنَ الشَّرِّ ، فأَرْسَل إليه الخليفةُ يُسَكِّنُه ، ثم جمَع بيْنَه وبينَ الشريفِ أبى جَعْفرٍ ، وأبى سَعْدٍ الصُّوفىِّ ، وأبى نَصْرٍ بنِ القُشَيْرِىِّ عندَ الوزيرِ ، فأَقْبَلَ الوزيرُ علَى أبى جعفرٍ يُعَظِّمُه فى الفِعَالِ والمَقَالِ ، وقام إليه الشيخُ أبو إسْحَاقَ فقال : أنا ذلك الذى كنتَ تَعْرِفُه وأنا شابٌّ ، وهذه كُتُبِى فى الأُصولِ ، أَقولُ فيها خِلافًا للأَشْعَرِيَّةِ . ثم قَبَّل رَأْسَه ، فقال له أبو جعفرٍ : صدَقْتَ ، إلَّا أنَّك لمَّا كنتَ فقيرًا لم تُظهِرْ لنا ما فى نَفْسِك ، فلمَّا جاءَ الأَعْوانُ والسلطانُ وخَواجا بُزُرْكُ[2] - يَعْنى نظامَ المُلْكِ - أَبْدَيْتَ ما كان مُخْتَفِيًا فى نَفْسِكَ . وقام الشيخُ أبو سعدٍ الصوفىُّ فقبَّل رَأْسَ الشريفِ أبى جعفرٍ أيضًا وتلَطَّفَ به ، فالْتَفَتَ إليه مُغْضَبًا وقال : أَيُّها الشيخُ ، أمَّا الفقهاءُ إذا تكلَّمُوا فى مسائلِ الأُصولِ فلهم فيها مَدْخَلٌ ، وأمَّا أنتَ فصاحِبُ لَهْوٍ وسماعٍ وتَعْبيرٍ ، فمَنْ زاحَمَكَ منَّا على باطِلِكَ ؟ ثم قال : أَيُّها الوزيرُ ، أَىُّ صُلْحٍ بَيْنَنا ، ونحنُ نُوجِبُ ما نَعْتَقِدُه وهم يُحرِّمُونَ ؟! وهذا جَدُّ الخليفةِ القائمُ ، والقادِرُ قد أَظْهَرا اعْتِقادَهما للناسِ على مَذْهَبِ أَهْلِ السنةِ والجماعَةِ والسَّلَفِ ، ونحنُ على ذلك ، كما وافَقَ عليه العِراقِيُّونَ والخُرَاسَانِيُّونَ ، وقُرِئَ على الناسِ فى الدَّواوِينِ

---

(١) فى خ ، م : « التبن » . وسوق الثلاثاء : محلة ببغداد . تاج العروس (س و ق) .

(٢) فى الأصل : « برزك » ، وفى خ ، م ، ص : « بزك » . والمثبت من المنتظم ، وبُزُرْك أعجمية ، ومعناها : الكبير أو العظيم ، لُقِّب بها الوزير نظام الملك . القاموس المحيط (ب ز ر ك) ، وتبصير المنتبه ١/ ٨٠.

كلِّها . فأَرْسَلَ الوزيرُ إلى الخليفةِ يُعْلِمُه بما جرَى ، فجاءَ الجوابُ بَشُكْرِ الجماعَةِ وخُصوصًا الشَّريفَ أبا جعفرٍ ، [٩/١٩٦و] ثُم اسْتُدعِى إلى دارِ الخلافةِ للسلامِ عليه ، والتَّبَرُّكِ بدُعائِه .

قال ابنُ الجَوْزِيِّ[1] : وفى ذى القَعْدَةِ كَثُرَتِ الأمراضُ فى الناسِ بِبَغْدادَ ووَاسِطِ والسَّوادِ ، وورَد الخبرُ بأنَّ الشامَ كذلك .

وفى هذا الشهرِ أُزِيلَتِ المُنْكَراتُ والبَغايَا بِبَغْدادَ ، وهرَب الفُسَّاقُ منها . وفيها ملَكَ حَلَبَ نصرُ بنُ محمودِ بنِ مِرْداسٍ بعدَ وفاةِ أبيه .

وفيها تزوَّجَ الأميرُ عليُّ بنُ أبى مَنْصورِ بنِ فرامَرْزَ[2] بنِ علاءِ الدولةِ بنِ كالَوَيْهِ[3] السِّتَّ أرْسَلانَ خاتونَ بنتَ داودَ عمَّةَ السُّلْطانِ مَلِكْشاه[4] ، وكانتْ زوجةَ القائمِ بأَمْرِ اللَّهِ .

وفيها حاصَر الأَقسيسُ صاحبُ دِمَشقَ مِصْرَ ، وضيَّق على صاحبِها المُسْتَنْصِرِ باللَّهِ ، ثم كَرَّ راجعًا إلى دِمَشْقَ . وحجَّ بالناسِ فيها الأميرُ خُتْلُغُ[5] التُّرْكِيُّ ، مُقْطَعُ الكُوفَةِ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأَعْيانِ :

أَسْبَهْدُوستُ[6] بنُ محمدِ بنِ الحسَنِ ، أبو مَنْصُورِ الدَّيْلَمِىُّ الشاعرُ ، لَقِى

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٨٣، ١٨٤.

(٢) فى خ ، م : « قرامز » .

(٣) فى الكامل ١٠/ ١٠٥: « كاكويه » .

(٤) فى النسخ : « ألب أرسلان » . والمثبت من الكامل ١٠/ ١٠٥. وانظر ما تقدم فى ١٢/ ١٠٦، ١٠٧ مطبوع .

(٥) فى الأصل ، ص : « ختلع » ، وفى خ : « خليع » ، وفى م : « جنفل » . وكذا فيما سيأتى من مواضع . والمثبت مما تقدم فى ١٢/ ١١٣.

(٦) فى خ : « استدرست » ، وفى م : « اسفهدوست » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ١٨٤، وفيه : =

أبا عبدِ اللَّهِ بنَ الحجّاجِ ، وعبدَ العزيزِ بنَ نُباتَةَ ، وغيرَهما مِنَ الشعراءِ ، وكان شِيعيًّا فتابَ ، وقال قصيدةً فى ذلك منها[1] :

وإذا سُئِلْتُ عنِ اعْتِقادِى قلتُ ما ... كانتْ عليه مذاهِبُ الأَبْرارِ
وأقولُ خيرُ الناسِ بعدَ محمَّدٍ ... صِدِّيقُهُ وأَنيسُهُ فى الغارِ
ثمَّ الثلاثَةُ بَعْدَهُ خَيْرُ الوَرَى ... أَكْرِمْ بهِمْ مِن سادةٍ أَطْهارِ
هذا اعْتِقادِى والذى أَرْجُوبِهِ ... فَوْزِى وعِتْقِى مِن عذابِ النّارِ

طاهِرُ بنُ أحمدَ بنِ بابَشَاذَ ، أبو الحسَنِ المِصْرِىُّ[2] النَّحْوىُّ ، سقَطَ مِن سَطْحِ جامعِ عمرِو بنِ العاصِ بمِصْرَ ، فماتَ مِن ساعتِه ، وذلك فى رجَبٍ مِن هذه السَّنَةِ . قالَ القاضى ابنُ خَلِّكانَ[3] : كان بمِصْرَ إمامَ عصْرِه فى النَّحْوِ ، وله المصنَّفاتُ المفيدةُ ، مِن ذلك « مُقَدِّمَتُه » و « شَرْحُها » و « شَرْحُ الجُمَلِ » للزَّجّاجِىِّ . قال[4] : وكانتْ وظِيفَتَه بمِصْرَ أنَّه لا تُكْتَبُ الرسائلُ فى ديوانِ الإنْشاءِ إلَّا عُرِضَتْ عليه ، فيُصْلِحُ منها ما فيه خَلَلٌ ، ثم تُنْفَذُ إلى الجهةِ التى عُيِّنَتْ لها ، وكان له على ذلك مَعْلومٌ وراتبٌ جَيِّدٌ . قال[4] : فاتَّفَق أنَّه كان يَأْكُلُ يومًا مع بعضِ أَصْحابِه طعامًا ، فجاءَ قِطٌّ فرَمَوا له شيئًا ، فأخَذه وذهَب سرِيعًا ، ثم أَقْبَلَ فرَمَوا له شيئًا آخرَ ، فانْطَلَقَ به سريعًا ، ثم جاءَ فرَمَوا له شيئًا أيضًا ، فعَلِموا أنه لا

= اسبهندوست ، والكامل ١٠/ ١٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٨١، والنجوم الزاهرة ١٠٤/٥ وفيه : « إسفهدوست » .

(١) الأبيات فى المنتظم ١٦/ ١٨٥، والبيتان الأولان فى الكامل ١٠/ ١٠٦.

(٢) فى النسخ : « البصرى » . وانظر ترجمته فى : معجم الأدباء ١٢/ ١٧، وإنباه الرواة ٢/ ٩٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٥١٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٨٩.

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٥١٥.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٥١٦.

يَأْكُلُ هذا كلَّه ، فَتَتبَّعُوه فإذا هو يَذْهَبُ به إلى قِطٍّ آخرَ أَعْمَى فى سَطْحٍ هناك ، فتعجَّبُوا مِن ذلك ، فقال الشيخُ : يا سُبْحانَ اللَّهِ ! هذا حيوانٌ بَهِيمٌ قد ساقَ اللَّهُ إليه رِزْقَه على يَدِ غيرِه ، أفلا يَرْزُقُنى وأنا عبْدُه . ثم ترَك ما كانَ له مِنَ الراتبِ وجمَع حَواشيَه وأَقْبَلَ على الاشْتِغالِ والمُلازَمةِ فى غُرْفَةٍ فى جامعِ عمرِو بنِ العاصِ ، إلى أنْ ماتَ وقد جمَع تَعْليقةً فى النحوِ قريبًا مِن خَمْسةَ عشَرَ مُجَلَّدًا ، فأَصْحابُه كابْنِ بَرِىٍّ وغيرِه يَنْقُلُونَ منها ويَنتفِعُونَ بها ، ويُسَمُّونَها « تَعْليقَ الغُرْفَةِ » .

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ أحمدَ بنِ المُجَمِّعِ [(1] **بنِ مُجِيبِ** [1)] **ابنِ محمدِ بنِ بَحْرٍ**[2] **بنِ مَعْبَدِ بنِ هَزَارْمَرْدَ ، أبو محمدٍ الصَّرِيفِينِىُّ** ، ويُعْرَفُ بابنِ المُعَلِّمِ ، أحدُ مشايخِ الحديثِ المُسْنِدين المشْهُورِين ، تفرَّدَ عن جماعةٍ مِنَ المشايخِ لطُولِ عُمرِه ، وهو آخرُ مَن حدَّث بالجَعْدِيَّاتِ ، عنِ ابنِ حَبابةَ[3] ، عن أبى القاسمِ البَغَوِىِّ عن علىِّ بنِ الجَعْدِ ، وهو سماعُنا ، ورحَل إليه الناسُ بسبَبِه ، وسمِعَ عليه جماعةٌ مِنَ الحفَّاظِ ؛ منهمُ الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ ، وكان ثقةً محمودَ الطريقةِ ، صافِىَ الطَّوِيَّةِ ، تُوفِّى بِصَرِيفِينَ[4] فى جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنةِ عن خمسٍ وثمانين سنةً .

(١ - ١) سقط من: النسخ. وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ١٠/ ١٤٦، والمنتظم ١٦/ ١٨٦. وله ترجمة أيضًا فى: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٩٢، وفيهما: مجيب بن المجمع، والوافى بالوفيات ١٧/ ٥٠٢.

(٢) فى خ، م: «يحيى».

(٣) فى م: «حبانة».

(٤) صريفين: قرية كبيرة غناء شجراء قرب عكبراء وأوانا على ضفة نهر دجيل، وتسمى صريفون. معجم البلدان ٣/ ٣٨٤.

حَيَّانُ بنُ خَلَفِ بنِ حُسَيْنِ بنِ حيَّانَ بنِ محمدِ بنِ حَيَّانَ بنِ وَهْبِ بنِ حَيَّانَ ، أبو مَرْوانَ القُرْطُبِىُّ[1] ، مَوْلَى بَنِى أُمَيَّةَ ، صاحِبُ « تاريخِ المَغْرِبِ » فى ستِّينَ مُجلَّدًا ، أثْنَى عليه الحافِظُ أبو علىٍّ الغَسَّانِىُّ فى فصاحتِه وصِدْقِه وبلاغتِه . وقال[2] : وسمِعْتُه يقولُ : التَّهْنِئَةُ بعدَ ثلاثِ اسْتِخْفافٌ [١٩٦/٩ظ] بالمَوَدَّةِ ، والتَّعْزِيَةُ بعدَ ثلاثٍ إغْراءٌ بالمُصِيبَةِ . قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : تُوفِّى فى ربيعٍ الأوَّلِ منها ، ورَآه بعضُهم فى النومِ فسأَله عن حالِه ، فقالَ : ما فعَل اللَّهُ بك . فقال : غفَر لى ، وأمَّا « التاريخُ » فنَدِمْتُ عليه ، لكِنَّ اللَّهَ بلُطْفِه أقَالَنِى وعفَا عنِّى .

[3]عُبيدُ اللَّهِ[3] بنُ سعيدِ بنِ حاتمٍ ، أبو نَصْرٍ السِّجْزِىُّ الوائِلِىُّ[4] ؛ نِسْبَةً إلى قريةٍ يُقالُ لها : وائِلُ ، مِن قُرَى سِجِسْتانَ . سمِع الكثيرَ ، وجمَع وصنَّف وخرَّج ، وأقام بالحَرَمِ ، وله كتابُ « الإبانَةِ » فى الأُصولِ ، وله يدٌ فى الفُروعِ أيضًا . ومِنَ الناسِ مَن كان يُفَضِّلُه فى الحِفْظِ على الصُّورِىِّ .

محمدُ بنُ علىِّ بنِ الحُسَيْنِ ، أبو عبدِ اللَّهِ الأَنْماطِىُّ[5] ، المعروفُ بابنِ سِكِّينَةَ ، وُلِد سنةَ تِسْعِين وثلاثِمائَةٍ ، وكان كثيرَ السماعِ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن تِسْعٍ وسَبْعِين سنةً .

---

(١) جذوة المقتبس ص ٢٠٠، والصلة لابن بشكوال ١/ ١٥٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٢١٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٨٦.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٢١٩.

(٣ - ٣) فى النسخ ، والمنتظم ١٦/ ١٨٧: « عبد اللَّه » . وانظر ترجمته فى الإكمال ٧/ ٣٩٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٥٤، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠هـ) ص ٩٥، ضمن وفيات سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، والجواهر المضية ٢/ ٤٩٥.

(٤) فى خ ، م : « الوابلى » .

(٥) تاريخ بغداد ١١/ ٤٠١، والإكمال ٤/ ٣٢٠، والمنتظم ١٦/ ١٨٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٣٠٣.

ثم دخلت سنةُ سَبْعِين وأرْبَعِمائةٍ مِنَ الهجرةِ النبويَّةِ[1]

قال ابنُ الجَوْزِيِّ[2] : فى ربيعِ الأوَّلِ وقَعتْ صاعقةٌ بمَحَلَّةِ التُّوثَةِ[3] مِنَ الجانبِ الغربيِّ ، على نَخلتَيْن فى مسجِدٍ فأحرَقتْ أعالِيَهما ، وصَعِد الناسُ فأطفَئوا النارَ ، ونزَلوا بالسَّعَفِ وهو يشتعِلُ نارًا . قال : وورَد كتابٌ مِن نِظامِ المُلكِ إلى الشيخِ أبى إسحاقَ الشِّيرازِيِّ فى جوابِ كتابِه إليه فى شأنِ الحَنابلةِ ، ثم سرَدَه ابنُ الجَوْزِيِّ[4] ، ومضْمونُه أنَّه لا يمكِنُ تغييرُ المذاهبِ ولا نقلُ أهلِها عنها ، والغالبُ على أهلِ تلكَ الناحيةِ هو مذْهبُ الإمامِ أحمدَ ، ومحلُّه معروفٌ عندَ الأئمَّةِ ، وقَدْرُه معلومٌ فى السُّنَّةِ . فى كلامٍ طويلٍ .

قال[5] : وفى شَوّالٍ منها وقَعتْ فتنةٌ بينَ الحنابلةِ وبينَ بعضِ فقهاءِ النِّظاميَّةِ ، وحَمِىَ لكلٍّ مِنَ الفريقَين طائفةٌ مِنَ العوامِّ ، وقُتِل بينَهم نحوٌ مِن عشرين قتيلًا[6] ، ثم سكَنتِ الفتنةُ .

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٩٠، والكامل ١٠/ ١٠٧.

(٢) المنتظم ١٦/ ١٩٠.

(٣) فى خ : « التوتة » ، وفى م : « النوبة » ، وفى ص : « التوتية » . والتوثة : محلة فى غربى بغداد متصلة بالشونيزية مقابلة لقنطرة الشوك عامرة إلى الآن . معجم البلدان ١/ ٨٨٩.

(٤) المنتظم ١٦/ ١٩٠، ١٩١.

(٥) المنتظم ١٦/ ١٩١.

(٦) بعده فى خ ، م : « وجرح آخرون » .

قال[1] : وفى تاسعَ عشَرَ شوّالٍ وُلِد للخليفةِ المُقتَدِى ولَدُه المستظهِرُ باللَّهِ أبو العبّاسِ أحمدُ ، وزُيِّن البلدُ ، وجلَس الوزيرُ للهناءِ ، ثم فى [2]يومِ الأحَدِ السادسِ والعِشرين مِن شوّالٍ[2] وُلِدَ للخليفةِ ولدٌ آخرُ ، أبو محمدٍ هارونُ .

قال ابنُ الجوزىِّ[3] : وفيها وَلِى تاجُ الدولةِ [4]تُتُشُ بنُ أَلْبِ[4] أَرْسَلانَ الشامَ وحاصَر حَلَبَ .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ مُقْطَعُ الكُوفَةِ خُتْلُغُ ، وذكَر ابنُ الجَوزِىِّ[5] أنَّ الوزيرَ ابنَ جَهِيرٍ كانَ قد عمِل مِنبَرًا هائلًا لتُقامَ عليه الخُطبةُ بمكَّةَ ، فحينَ وصَل إليها إذِ الخُطبةُ قد أُعِيدَتْ للمصريين ، فكُسِرَ ذلكَ المِنْبَرُ وأُحْرِق . واللَّهُ أعلمُ .

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأعيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ يَعْقُوبَ ، ابنُ حُمَّدُوه[6] ، أبو بكرٍ الرَّزازُ[7] المُقرِئُ ، آخِرُ مَن حدَّث عن أبى الحُسَيْنِ بنِ سَمعُونَ ، وقد كان ثقةً مُتَعَبِّدًا حسَنَ الطريقةِ ، كتَب عنه الخطيبُ ، وقال[8] : كان صَدُوقًا . تُوفِّى فى هذه السنَةِ عن

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٩١.

(٢ - ٢) فى الأصل : « هذا الشهر » ، وفى المنتظم ١٦/ ١٩١: « يوم الأحد السادس والعشرين من ذى القعدة » .

(٣) المنتظم ١٦/ ١٩٢.

(٤ - ٤) سقط من : النسخ . والمثبت من المنتظم ١٦/ ١٩٢. وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٨٤.

(٥) المنتظم ١٦/ ١٩٠.

(٦) فى خ ، م : « أحمد » ، وفى ص ، والمنتظم ١٦/ ١٩٢: « حمد » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٤/ ٣٨١، وطبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٢، وفيه : « أحمد بن محمد بن أحمد الرزاز » ، والإكمال ٢/ ٥٥٧، والمنتظم ١٦/ ١٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٣١٥. ويقال فيه أيضا : « ابن حمدويه » .

(٧) فى خ ، ص : « البزار » ، وفى م : « اليربوعى » .

(٨) تاريخ بغداد ٤/ ٣٨١.

تِسعٍ وثمانين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أبو الحسينِ[1] بنُ النَّقُورِ البَزَّازُ ، أحدُ المُسْندِين المُعَمَّرِين ، تفرَّد بنُسَخٍ كثيرةٍ عنِ ابنِ حَبَابَةَ[2] ، عن البَغَوىِّ ، عن أشْياخِه ؛ كنُسْخةِ[3] هُدْبَةَ ، وكامِلِ بنِ طَلْحَةَ ، [4]وعمرَ بنِ زُرَارَةَ[4] ، وأبى[5] السَّكنِ[6] البلدىِّ[7] ، وكان مُكثِرًا متحرِّيًا[8] ، وكان يأخُذُ على إسْماعِ حديثِ طالوتَ [9]بنِ عَبّادٍ[9] دِينارًا ، وقد أفْتاه الشيخُ أبو إسحاقَ الشِّيرازِىُّ [١٩٧/٩و] بجَوازِ أخذِ الأُجرةِ على إسماعِ الحديثِ ؛ لاشتغالِه به عنِ الكَسْبِ . تُوفِّى عن تِسْعٍ وثمانين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

أحمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ علىِّ بنِ أحمدَ ، أبو صالحٍ المؤذِّنُ النَّيْسابُورِىُّ[10] الحافظُ ، كتَب الكثيرَ وجمَع وصنَّف ، وكتَب عن ألفِ شيخٍ [11]ألفَ حديثٍ[11] ، وكان يعِظُ ويؤذِّنُ ، مات وقد جاوَز الثمانين .

---

(١) فى م : « الحسن » . وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٤/ ٣٨١، والمنتظم ١٦/ ١٩٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٣١٢، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٥.

(٢) فى م : « حبان » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٧٢.

(٣) فى الأصل : « كشيخه » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « عمر وزرارة » ، وفى خ ، م ، ص : « عمرو بن زرارة » . والمثبت من المنتظم ١٦/ ١٩٣. وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٧٢.

(٥) بعده فى الأصل : « زرارة و » .

(٦) فى الأصل : « الشكم » ، وفى خ : « السكين » . وانظر المنتظم ١٦/ ١٩٣.

(٧) فى خ ، م : « البكرى » .

(٨) فى خ ، م : « متبحرا » .

(٩ - ٩) سقط من : الأصل ، وفى خ ، م : « بن عبادة » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٧٣.

(١٠) تاريخ بغداد ٤/ ٢٦٧، والمنتظم ١٦/ ١٩٣، ومعجم الأدباء ٣/ ٢٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٣٠٨، والوافى بالوفيات ٧/ ١٥٦.

(١١ - ١١) سقط من : م ، ص ، وفى خ : « حديثا » .

عبدُ اللَّهِ بنُ الحسَنِ[1] **بنِ عليٍّ** [2]**بنِ محمدِ بنِ الحسنِ**[2] ، أبو القاسمِ بنُ أبى محمدٍ الخلّالُ[3] ، آخرُ مَن حدَّث عن أبى حَفْصٍ الكَتّانىِّ[4] ، وقد سمِع الكثيرَ ، وروَى عنه الخطيبُ[5] ووثَّقه ، تُوفِّى عن خمسٍ وثمانين سنةً ، ودُفِن ببابِ حَرْبٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

عبدُ الرحمنِ – ابنُ مَنْدَه – بنُ محمدِ بنِ إسْحاقَ بنِ محمدِ بنِ يَحْيى بنِ إبْراهيمَ ، أبو القاسمِ بنُ أبى عبدِ اللَّهِ ، الإمامُ[6] ابنُ الإمامِ ، سمِع أباه ، وابنَ مرْدَوَيْهِ ، وخلقًا فى أقاليمَ شتَّى ، سافرَ إليها ، وجمَع شيئًا كثيرًا ، وكان ذا وقارٍ وسَمْتٍ حسَنٍ ، واتِّباعٍ للسنةِ وفَهْمٍ جيِّدٍ ، كثيرَ الأمرِ بالمعرْوفِ والنهيِ عنِ المنكرِ ، لا يخافُ فى اللَّهِ لَوْمَةَ لائمٍ ، وكان سعدُ[7] بنُ محمدٍ الزَّنْجَانىُّ[8] يقولُ : حفِظ اللَّهُ الإسلامَ به ، وبعبدِ اللَّهِ الأنصارىِّ الهَرَوِىِّ . تُوفِّى ابنُ مَنْدَه هذا بأَصْبهانَ عن سبعٍ وثمانين سنةً ، وحضَر جِنازتَه خلقٌ كثيرٌ لا يعلَمُهم إلَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى الأصل ، خ ، ص : « الحسين » . وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٩/ ٤٣٩، والمنتظم ١٦/ ١٩٤، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٦٨، والعبر ٣/ ٢٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ – ٤٧٠هـ) ص ٣٢١.

(٢ – ٢) سقط من : النسخ . والمثبت من مصادر ترجمته السابقة .

(٣) فى خ : « الجلالى » ، وفى م : « الحلالى » .

(٤) فى الأصل : « الكبانى » ، وفى خ ، م : « الكنانى » .

(٥) تاريخ بغداد ٩/ ٤٣٩.

(٦) طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٢، والمنتظم ١٦/ ١٩٤، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤٩، وتذكرة الحفاظ ١١٦٥/٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ – ٤٧٠هـ) ص ٣٢٧، وفوات الوفيات ٢/ ٢٨٨.

(٧) فى خ ، م : « مسعد » ، وفى ص : « سعيد » .

(٨) فى الأصل ، خ ، م : « الريحانى » . والخبر أورده ابن الجوزى فى المنتظم ١٦/ ١٩٤، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٥٢، ٣٥٣.

عبدُ الملكِ بنُ (١)**عبدِ الغفارِ بنِ** (١) **محمدِ**(٢) بنِ المُظفَّرِ بنِ عليٍّ ، أبو القاسمِ الهَمَذانيُّ(٣) ، أحدُ الحفّاظِ الفقهاءِ الأولياءِ ، وكان يُلقَّبُ بُنْجيرَ(٤) ، وقد سمِع الكثيرَ ، وكان يكتُبُ(٥) للطلبَةِ ويقرَأُ لهم ، تُوفِّى بالرَّىِّ فى المحرَّمِ مِن هذه السنَةِ ، ودُفِنَ إلى جانبِ إبراهيمَ الخوّاصِ .

الشَّريفُ أبو جَعْفَرٍ الحنْبَلِىُّ ، عبدُ الخالقِ بنُ عِيسى بنِ أحمدَ بنِ محمدِ (٦)**ابنِ عيسى بنِ أحمدَ**(٦) **بنِ إبْراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مَعْبدِ بنِ العبَّاسِ بنِ عبدِ المطلبِ الهاشِمىُّ** ، ابنُ أبى مُوسى الحَنبلىُّ العبّاسِىُّ ، كان أحدَ الفقهاءِ العلماءِ العبّادِ الزهّادِ المشهورين بالدِّيانةِ والفضلِ والعِبادَةِ والقيامِ فى الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنُكَرِ ، لا تأخُذُه فى اللَّهِ لَوْمَةُ لائمٍ ، وُلِد سنةَ إحدَى عشْرةَ وأربعِمائةٍ ، واشْتَغل على القاضى أبى يَعْلَى بنِ الفَرّاءِ ، وزكّاه شيخُه عندَ ابنِ الدّامَغَانىِّ فقبِله ، ثم ترَك الشَّهادةَ بعدَ ذلك ، وكان مشهورًا بالصَّلاحِ والديانةِ ، وحين احتُضِر الخليفةُ القائمُ بأمرِ اللَّهِ أوصَى أن يغسِّلَه الشريفُ أبو جعفرٍ ، وأوْصَى له بشىءٍ جزيلٍ ، فلم يقبَلْ مِن ذلك شيئًا(٧) .

(١ - ١) سقط من : خ ، م . وانظر ترجمته فى الإكمال ٢/ ١٣، والمنتظم ١٦/ ١٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٣٣٤.

(٢) بعده فى خ ، م ، ص : « بن عبد العزيز بن محمد » .

(٣) فى النسخ : « الهمدانى » . والمثبت من مصادر ترجمته السابقة .

(٤) فى الأصل : « بحير » ، وفى خ : « ببحتر » ، وفى م : « ببجير » وفى ص : « يختر » . وفى المنتظم : « سحير » ، وفى تاريخ الإسلام : « ينجير » . والمثبت من الإكمال ٢/ ١٣. وانظر تبصير المنتبه ١/٢٤٢ ، ونزهة الألباب ١/١٣٣ ، ٢٥١ .

(٥) فى خ ، م : « يكثر » .

(٦ - ٦) سقط من : خ ، م ، وفى الأصل ، ص : « عيسى بن محمد » . وانظر ترجمته فى : طبقات الحنابلة ٢/ ٢٣٧، والمنتظم ١٦/ ١٩٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٣٢٢، والعبر ٣/ ٢٧٣.

(٧) طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٠، والمنتظم ١٦/ ١٩٥، ١٩٦.

وحينَ وقَعتِ الفِتنةُ بينَ الحنابلةِ والأشْعَرِيَّةِ بسببَ ابنِ القُشَيْرِيِّ اعتُقِل هو فى دارِ الخلافةِ مُكَرَّمًا مُعَظَّمًا ، يدخُلُ عليه الفقهاءُ وغيرُهم ، ويقبِّلون يدَه ورأسَه ، ولم يزَلْ هنالك حتى اشتكَى ، فأُذِن له فى المسيرِ إلى أهلِه ، فتُوفِّى عندَهم ليلةَ الخميسِ النصفَ مِن صفرٍ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن إلى جانبِ الإمامِ أحمدَ ، فاتَّخَذَتِ العامَّةُ قبرَه سُوقًا كلَّ ليلةِ أربعاءَ يترَدَّدون إليه ويقرَءون الختَماتِ عندَه حتى جاء الشتاءُ ، وكان جملةُ ما قُرِئَ عندَه عشَرةَ آلافِ خَتْمَةٍ مِن كثرةِ القراءةِ عليه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ محمدِ (١ بنِ محمدِ ١) بنِ عبدِ اللَّهِ ، (٢ أبو الحسَنِ (٣) البيْضَاوِىُّ ٢) ، أحدُ الفقهاءِ الشافِعيِّين ، وتولَّى القضاءَ برَبْعِ الكَرْخِ ، ودُفِن عندَ والدِه ، رحِمهما اللَّهُ تعالى .

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى المنتظم ١٦/ ١٩٧ . ولعله الذى تقدم فى ص ٥٦ .
(٢ - ٢) فى المنتظم : « أبو عبد اللَّه بن أبى الحسن » .
(٣) فى خ : « الحسين » .

ثم دخلت سنة
إحدى وسبعين وأربعمائة

فيها[1] ملَك السلطانُ الملكُ المُظَفَّرُ تاجُ الملوكِ تُتُشُ بنُ ألْبِ أرْسَلانَ السَّلْجُوقيُّ دمَشقَ، وقتَل مِلكَها أَقسِيسَ، وذلك أنَّ أقسيسَ بعَث إليه يستَنْجِدُه على المصريين، فلمّا وصَل إليه لم يركَبْ لتلقِّيه، فأمَر بقتلِه فقُتِل لساعتِه[2].

وفيها عُزِل الوزيرُ ابنُ جَهِيرٍ بإشارةِ نِظامِ المُلْكِ، بسبَبِ مُمالأتِه على الشافِعيَّةِ، ثم كاتَب المُقتدِى نظامَ الملكِ فى إعادَتِه، فأُعِيدَ ولدُه وأُطلِقَ هو.

وفيها قدِم سعدُ الدولةِ كُوَهْرائينُ[3] أميرًا إلى بغدادَ، وضُرِبتِ الطبولُ على بابِه فى أوقاتِ الصلواتِ، وأساء الأدبَ على الخلافةِ، وضرَب طوالاتِ الخيولِ على بابِ الفِردَوْسِ، فكُوتِبَ السلْطانُ فى أمرِه، فجاءَ الكتابُ مِنَ السلطانِ بالإنكارِ عليه.

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٩٨، والكامل ١٠/ ١٠٩.

(٢) بعده فى خ، م: «ووجد فى خزائنه حجر ياقوت أحمر وزنه سبعة عشر مثقالا وستين حبة لؤلؤ، كل حبة منها أزيد من مثقال، وعشرة آلاف دينار ومائتى سرج ذهب، وغير ذلك، وقد كان أقسيس هذا هو أتسز بن أوف الخوارزمى، كان يلقب بالمعظم، وكان من خيار الملوك وأجودهم سيرة، وأصحهم سريرة، أزال الرفض عن أهل الشام، وأبطل الأذان بحى على خير العمل، وأمر بالترضى عن الصحابة أجمعين وعمر بدمشق القلعة التى هى معقل الإسلام بالشام المحروس، فرحمه الله وبل بالرحمة ثراه وجعل جنة الفردوس مأواه».

(٣) سقط من الأصل، وفى خ: «كوهراميرا»، وفى م: «جوهرا»، وفى ص: «كوهراهن». والمثبت من الكامل ١٠/ ١١٢.

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الأميرُ مُقْطَعُ الكوفةِ خُتْلُغُ التُّرْكِيُّ ، أثابَه اللَّهُ .

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ :

سعدُ بنُ علىِّ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحُسَيْنِ ، أبو القاسمِ [٩/١٩٧ظ] **الزَّنْجَانِىُّ**[1] ، رحَل إلى الآفاقِ ، وسمِع الكثيرَ ، وكان إمامًا حافِظًا متعَبِّدًا ورِعًا ، ثم انْقَطَع فى آخرِ عُمرِه بمَكَّةَ ، وكان الناسُ يتَبَرَّكُون به ، قال ابنُ الجَوْزِىِّ[2] : ويُقَبِّلُون يدَه أكثرَ مِمَّا يقبِّلُون الحجرَ الأسْوَدَ .

سليمٌ الحَوْرِىُّ[3] ؛ نِسْبَةً إلى قريةٍ من قُرَى دُجَيلٍ ، كان عابدًا زاهِدًا يقالُ : إنَّه مكَث مُدَّةً يتقَوَّتُ كلَّ يومٍ بزَبِيبَةٍ . وقد سمِع الحديثَ وقُرِئَ عليه ، رحِمه اللَّهُ .

عبدُ اللَّهِ بنُ سَبْعونَ[4] ، أبو أحمدَ الفقيهُ المالكِىُّ القَيْرَوانِىُّ ، تُوفِّى ببَغْدادَ ودُفِنَ ببابِ حَرْبٍ ، واللَّهُ سُبْحانَه وتَعالَى أعلمُ .

---

(١) تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٧٣، والمنتظم ١٦/ ٢٠١، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٨٥، وتذكرة الحفاظ ١١٧٤/٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٤٥، والوافى بالوفيات ١٥/ ١٨٠.

(٢) المنتظم ١٦/ ٢٠١.

(٣) فى الأصل، خ، ص: « الجوزى »، وفى م: « بن الجوزى »، والحورى نسبة إلى حَوْرَى: قرية من قرى دجيل. معجم البلدان ٢/ ٣٥٩، وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٦/ ٢٠١، وفيه: « الحوزى »، ومعجم البلدان ٢/ ٣٥٩، والكامل ١٠/ ١١٢، وفيه: « الجورى ».

(٤) فى م: « شمعون » وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٦/ ٢٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١- ٤٨٠هـ) ص ٥١.

ثم دَخلتْ سنةُ

ثِنْتَيْـن وسَبْعِين وأرْبَعِمائَةٍ[1]

فيها ملَك إبراهيمُ[2] بنُ مسعودِ بنِ محمودِ بنِ سُبُكْتكِيـنَ - صاحبُ غَزْنَةَ[3] - قِلاعًا كثيرةً حَصِينةً من بلادِ الهندِ، ثم عادَ إلى بلادِه سالمًا غانمًا.

وفيها وُلِد الأميرُ أبو جَعْفَرِ بنُ المُقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ، وزُيِّنَتْ له بَغْدادُ.

وفيها ملَك صاحبُ المَوْصِلِ الأميرُ شَرفُ الدولةِ مسلمُ بنُ قُرَيْشِ بنِ بَدْرانَ العَقِيلِىُّ بعدَ وفاةِ أبيه.

وفيها ملَك منصورُ بنُ مَرْوانَ ديارَ بكرٍ بعدَ أبيه.

وفيها أمَر السلطانُ بتَغْرِيقِ ابنِ عَلَّانَ اليهودِىِّ ضامنِ البَصْرَةِ، وأخَذ مِن ذخائرِه أرْبَعَمِائَةِ ألفِ دينارٍ، فضمِنَ خُمارْتِكيـنُ البَصْرةَ بمائةِ ألفِ دينارٍ ومائةِ فرَسٍ فى كلِّ سنَةٍ.

وفيها فتَح عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ نِظامِ المُلْكِ تَكْرِيتَ. وحجَّ بالناسِ خُتْلُغُ التركِىُّ،

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٠٥، الكامل ١٠/ ١١٣.

(٢) فى الأصل: «إبراهيم بن محمود»، وفى م: «محمود». والمثبت كما فى الكامل ١٠/ ١١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٩، والمختصر فى أخبار البشر ٢/ ١٩٤، وتاريخ ابن الوردى ١/ ٣٨٠.

(٣) غزنة: مدينة عظيمة وولاية واسعة فى طرف خراسان، وهى الحد بين خراسان والهند. معجم البلدان ٣/ ٧٩٨.

وقُطِعتْ خُطبةُ المصريِّين بمَكَّةَ، وخُطِبَ فيها للمُقْتَدِى وللسلطانِ مَلِكْشَاه السَّلْجُوقىِّ.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ:

عبدُ الملكِ بنُ الحسَنِ بنِ أحمدَ بنِ حَيْرُونَ[1]، **أبو نَصْرٍ**، سمِع الكثيرَ، وكان زاهدًا عابدًا، يسْرُدُ الصومَ، ويختِمُ فى كلِّ ليلةٍ خَتْمَةً، رحِمه اللَّهُ.

محمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ الحُسَيْنِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ مِهْرانَ العُكْبَرِىُّ[2]، سمِع هِلالًا الحفَّارَ، وابنَ رَزْقُوَيْهِ، والحمَّامِىَّ، وغيرَهم، وكان فاضِلًا جيدَ الشِّعرِ، فمِنْ شِعرِه قولُه[3]:

أُطِيلُ تَفَكُّرِى فى أىِّ ناسٍ ... مَضَوا قِدْمًا[4] وفيمَنْ خلَّفونا

همُ الأحياءُ بعدَ الموتِ ذِكرًا ... ونحن مِنَ الخمولِ المِيِّتونا

تُوفِّى فى رمضانَ من هذه السنةِ، وله تسعون[5] سنةً.

هَيَّاجُ بنُ عُبيدٍ[6] الحِطِّينىُّ[7] الشامىُّ، سمِع الحديثَ، وكان أَوْحدَ زمانِه

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٠٧، وفيه «خيرون»، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٧١ وفيه: «عبد الملك بن الحسين بن خيران».

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٢٣٩، والمنتظم ١٦/ ٢٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٧٦، ومرآة الجنان ٣/ ١٠٢.

(٣) المنتظم ١٦/ ٢٠٩.

(٤) فى المنتظم: «عنا».

(٥) فى خ، م: «سبعون»، وانظر تاريخ بغداد ٣/ ٢٣٩.

(٦) فى النسخ: «عبد اللَّه». والمثبت من مصادر ترجمته: المنتظم ١٦/ ٢٠٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٨٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٥٢٩، ومرآة الجنان ٣/ ١٠٢.

(٧) فى م: «الخطيب».

زُهْدًا ، وفِقْهًا ، واجْتِهادًا فى العبادَةِ ، أقامَ بمَكَّةَ مُدَّةً يُفْتِى أهلَها ويَعْتَمِرُ فى كلِّ يومٍ ثلاثَ مرّاتٍ على قَدَمَيْه ، ولم يَلْبَسْ نَعْلًا مُذْ أقامَ بمَكَّةَ ، وكان يزورُ قَبْرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مع أهلِ مَكَّةَ ماشيًا حافيًا ، وكذلك كان يزورُ قبرَ ابنِ عباسٍ بالطائفِ ، وكان لا يَدَّخِرُ شيئًا ، ولا يَلْبَسُ إلَّا قميصًا واحدًا ، ضرَبه بعضُ أمراءِ مَكَّةَ فى بعضِ فِتَنِ الرَّوافِضِ ، فاشْتَكَى أيامًا ، ومات وقد نَيَّفَ على الثمانين ، رحِمه اللَّهُ .

ثم دخَلتْ سنَةُ

ثلاثٍ وسَبْعِينَ وأرْبَعِمائَةٍ

فيها[1] اسْتَوْلَى تُكشُ أخو السلطانِ مَلِكْشاه على بعضِ خُرَاسَانَ . وفيها أُذِنَ للوُعَّاظِ فى الجلوسِ ، وكانوا قد مُنِعُوا مِن وقتِ فتنةِ ابنِ القُشَيْرِىِّ . وفيها قُبِضَ على جماعةٍ من الفِتْيانِ كانوا قد جعَلُوا عليهم رئيسًا يُقالُ له : عبدُ القادرِ الهاشِمىُّ ، وقد كاتَبُوه مِنَ الأَقْطارِ ، وكان السَّاعِى له رجلًا يُقالُ له : ابنُ رَسولٍ[2] . وكانوا يَجْتَمِعونَ عندَ جامعِ بَرَاثَا[3] ، فخِيفَ مِن أمْرِهم أنْ يكُونوا مُمالِئِينَ للمِصْريين ، فأُمِرَ بالقَبْضِ عليهم . وحجَّ بالناسِ خُتْلُغُ التركىُّ . واللَّهُ أَعْلَمُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأَعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عمرَ بنِ محمدِ بنِ إسْماعيلَ[4] ، أبو عبدِ اللَّهِ بنُ الأخْضَرِ المحدِّثُ ، سمِع علىَّ بنَ شاذانَ ، وكان على مذهبِ الظاهِريَّةِ [٩/ ١٩٨و] ، وكان كثيرَ التِّلاوَةِ حسنَ السِّيرةِ ، مُتقَلِّلًا مِنَ الدنْيا قَنُوعًا ، رحِمهُ اللَّهُ .

الصُّلَيْحِىُّ المُتغَلِّبُ على اليمنِ ، أبو الحسَنِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ علىٍّ ، المُلَقَّبُ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢١١، والكامل ١٠/ ١١٨.

(٢) فى المنتظم : « الرسولى » .

(٣) براثا : محلة كانت فى طرف بغداد . معجم البلدان ١/ ٥٣٢.

(٤) المنتظم ٢١٢/١٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٨٤ . وفيه : « أحمد ابن محمد بن أحمد الأخضر » .

بالصُّلَيْحىّ[1] ، كان أبوه قاضِيًا باليمنِ ، وكان سُنِّيًّا ، ونشأ هذا فتعلَّمَ العلمَ وبرَع في أشياءَ كثيرةٍ مِنَ العُلومِ ، وكان شِيعِيًّا على مذهبِ القَرامِطَةِ ، ثم كان يدلُّ[2] بالحَجِيجِ مدةَ خَمْسَ عشْرَةَ سنةً ، وكان قد اشْتَهَر أمرُه بينَ الناسِ أنَّه سَيمْلِكُ اليمنَ ، فنجَم ببلادِ اليمنِ بعدَ قَتْلِه نَجاحًا صاحِبَ تِهامَةَ ، واسْتَحْوَذ على بلادِ اليمنِ بكَمالِها فى أقْصَرِ مدةٍ ، واسْتَوْثَقَ له المُلْكُ بها سنةَ خمسٍ وخمسينَ ، وخطَب للمُسْتَنْصِرِ العُبَيْدىِّ صاحبِ مِصْرَ ، فلمَّا كان فى هذا العامِ خرَج إلى الحجِّ فى ألْفَىْ فارسٍ ، فاعْتَرضَه سعيدُ بنُ نَجاحٍ بالمَوْسِمِ ، فى نفَرٍ يسيرٍ ، فقاتلَهم فقُتِلَ هو وأخوه واستحوذَ سعيدُ بنُ نجاحٍ على مَمْلَكَتِه وحواصِلِه ، ومِن شعرِ الصليحىِّ هذا قولُه[3] :

أنْكَحْتُ بيضَ الهندِ سمرَ رِمَاحِهمْ ... فَرءُوسُهُمْ عِوضُ النِّثارِ نِثَارُ

وكذا العُلا لا يُسْتَباحُ نِكاحُها ... إلّا بحيثُ تُطَلَّقُ الأعْمارُ

محمدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ يُوسُفَ بنِ الشِّبْلِ[4] ، أبو علىٍّ الشاعرُ البَغْدادِىُّ ، أسْندَ الحديثَ ، وله الشعرُ الرائقُ ، فمِنه قولُه[5] :

لَا تُظْهِرَنَّ لعاذلٍ أو عاذِرٍ ... حالَيْكَ فى السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ

فلِرَحْمَةِ المُتَوجِّعينَ مَرارةٌ ... فى القلبِ مثلُ شَمَاتَةِ الأَعْداءِ

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٤١١، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٩١، ومرآة الجنان ٣/ ١٠٣، وشذرات الذهب ٣/ ٣٤٦.

(٢) أى يحُجُّ بهم ويدلُّهم على الطريق.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٤١٥.

(٤) خريدة القصر ٢/ ٢٤٧، والمحمدون من الشعراء ص ٣٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٩٩، والوافى بالوفيات ٣/ ١١.

(٥) المحمدون من الشعراء ص ٣٧٧.

وله أيضًا[1] :

يُفْنِى البخِيلُ بجَمْعِ المالِ مدَّتَهُ ... ولِلحوادِثِ والوُرَّاثِ ما يدَعُ
كدودةِ القَزِّ ما تَبْنِيهِ يخنُقُها ... وغيرُها بالذى تَبْنِيه ينتفِعُ

يُوسُفُ بنُ الحسَنِ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ ، أبو القاسم التَّفَكُّرىُّ[2] ، مِن أهلِ زَنْجَانَ ، وُلِد سنةَ خمسٍ وتِسْعينَ وثلاثِمِائةٍ ، وتفَقَّهَ على مَذْهَبِ الشافعىِّ ، ودرَس الفِقْهَ على الشيخِ أبى إسْحَاقَ الشِّيرازِىِّ ، وكان مِن أكبرِ تلامذتِه ، وكان عابدًا وَرِعًا خاشِعًا ، كثيرَ البُكاءِ عندَ الذِّكْرِ ، مُقْبِلًا على العِبادةِ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ وقد قارَب الثمانين .

---

(١) المحمدون من الشعراء ص ٣٩١.

(٢) فى الأصل ، ص : « السكرى » ، وفى خ ، م : « العسكرى » . والمثبت من مصادر ترجمته : المنتظم ١٦/ ٢١٥، والكامل ١٠/ ١١٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٥١، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٣٦١، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٥، وقال فيه : أبو القاسم يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن ، الزنجانى المعروف أيضًا بالتفكرى ؛ لكثرة تفكُّره فى الآخرة .

ثم دخلت سنة
أَرْبَعٍ وسَبْعِين وأَربعِمائَةٍ

فيها[1] وَلِيَ أبو كاملٍ ، مَنْصورُ بنُ نُورِ الدَّوْلةِ دُبَيْسٍ ما كان يَلِيه أبوه مِن الأَعْمالِ ، وخلَع عليه السلطانُ والخليفةُ . وفيها ملَكَ شَرَفُ الدَّوْلةِ مُسْلِمُ بنُ قُرَيْشٍ حَرَّانَ ، وصالَح صاحبَ الرُّهَا . وفيها فتَح تُتُشُ بنُ أَلْبِ أَرْسَلَانَ صاحِبُ دِمَشْقَ مدينةَ أَنْطَرْطُوسَ[2] . وفيها أَرْسَلَ الخليفةُ ابنَ جَهِيرٍ إلى السلطانِ مَلِكْشاه يَخْطُبُ له ابْنَتَه عنه ، فأجابَتْ أُمُّها إلى ذلك ، بشَرْطِ أَنْ لا يكونَ له زَوْجةٌ ولاسُرِّيَّةٌ سِوَاها ، وأَنْ يكونَ مَبِيتُه عندَها ، فوقَع الشَّرْطُ على ذلك .

وممَّن تُوفِّي فيها مِن الأعْيانِ :

داودُ بنُ السُّلْطانِ مَلِكْشاه[3] ، فوجَد عليه أبوه وَجْدًا عظيمًا ، بحيثُ إنَّه كادَ - أَوْ هَمَّ - أَنْ يَقْتُلَ نَفْسَه ، فمنَعه الأُمراءُ مِن ذلك ، وانتقَل إلى غيرِ ذلك البلدِ ، وأمَر النساءَ بالنَّوْحِ عليه ، ولمَّا وصَل الخبرُ إلى بَغْدادَ جلَس وزيرُ الخليفةِ للعَزاءِ .

القاضي أبو الوَلِيدِ البَاجِيُّ ، سُلَيمانُ بنُ خَلَفِ بنِ سعدِ بنِ أَيُّوبَ التُّجِيبِيُّ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢١٦، والكامل ١٠/ ١٢٠.

(٢) في خ ، ص : « أنطرسوس » . وأنطرطوس : بلد من سواحل بحر الشام ، وهى آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية ، وأول أعمال حمص . معجم البلدان ١/ ٣٨٨.

(٣) المنتظم ١٦/ ٢١٦، ٢١٧، والكامل ١٠/ ١٢٢، ونهاية الأرب ٢٦/ ٣٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٢، والنجوم الزاهرة ٥/ ١١٣.

الأَنْدَلُسِىُّ الباجىُّ الفقيهُ المالكِىُّ[1] ، أحدُ الحُفَّاظِ المُكْثِرين فى الفِقْهِ والحديثِ ، سمِع الحديثَ ورحَل فيه إلى بلادِ المَشْرِقِ سنةَ سِتٍّ وعِشْرينَ وأَرْبَعِمائةٍ ، فسمِع هناك الكثيرَ ، واجتمَع بأئمَّةِ ذلك [٩/١٩٨ظ] الوقتِ ، كالقاضى أبى الطَّيِّبِ الطَّبَرِىِّ ، والشيخِ أبى إسْحاقَ الشِّيرازِىِّ ، وجاوَر بمَكَّةَ ثلاثَ سِنينَ مع الشيخِ أبى ذَرٍّ الهَرَوِىِّ ، وأقامَ ببَغْدادَ ثلاثَ سِنينَ أيضًا ، وبالمَوْصِلِ سنةً عندَ أبى جَعْفرٍ السِّمْنانِىِّ قاضِيها ، فأَخَذ عنه الفِقْهَ والأصولَ ، وسمِع الخطيبَ البَغْدادِىَّ ، وسمِع منه الخطيبُ أيضًا ، ورَوَى عنه هَذيْنِ البيتينِ الحسَنَيْنِ[2] :

إذا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا	بأنَّ جميعَ حَياتِى كساعَهْ
فَلِمْ لا أكونُ ضَنِينًا بها	وأَجْعَلُها فى صَلاحٍ وطاعَهْ

ثم عادَ إلى بلَدِه بعدَ ثلاثَ عَشْرَةَ سنةً ، وتولَّى القضاءَ هناك ، ويُقالُ : إنَّه تولَّى قضاءَ حَلَبَ أيضًا . قالَه ابنُ خَلِّكانَ[3] . قال : وله مُصَنَّفاتٌ عديدةٌ ، منها « المُنْتَقَى فى شرحِ المُوَطَّأِ » ، و « إحْكامُ الفُصولِ فى أَحْكامِ الأصولِ » ، و « الجَرْحُ والتعْديلُ[4] » ، وغيرُ ذلك ، وكان مَوْلِدُه فى سنةِ ثلاثٍ وأَرْبعِمائةٍ ، وتُوفِّى بالمَرِيَّةِ[5] ليلةَ الخميسِ بينَ العِشاءَيْنِ ، التاسعَ عَشَرَ مِن رَجَبٍ مِن هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) ترتيب المدارك ٤/ ٨٠٢، وتاريخ دمشق ٢٢/ ٢٢٤، ومعجم الأدباء ١١/ ٢٤٦، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١١٣.

(٢) معجم الأدباء ١١/ ٢٥٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٠٨، ٤٠٩.

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٩.

(٤) فى الوفيات ٢/ ٤٠٩: « التعديل والتجريح فيمن روى عنه البخارى فى الصحيح ». وفى ترتيب المدارك ٨/ ١٢٤، ومعجم الأدباء ١١/ ٢٤٩: « التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخارى فى الصحيح ».

(٥) سقط من: خ، م. والمرية: مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس. معجم البلدان ٤/ ٥١٧.

أبو الأَغَرِّ ، دُبَيْسُ بنُ عليِّ بنِ مَزْيَدٍ[1] ، المُلَقَّبُ نورَ الدَّوْلةِ ، تُوفِّى فى هذه السنةِ عن ثمانين سنةً ؛ مكَث فيها أميرًا نَيِّفًا وسِتِّينَ[2] وقامَ بالأمرِ مِن بَعْدِه ولدُه أبو كاملٍ ، ولُقِّبَ بهاءَ الدَّوْلةِ .

عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ رِضْوانَ ، أبو القاسمِ البَغْدادِيُّ[3] ، كان مِنَ الرُّؤَساءِ ، ومرِضَ بالشقيقةِ[4] ثلاثَ سِنينَ ، فمكَثَ فى بيتٍ مُظْلِمٍ لا يرَى ضَوْءًا ، ولا يَسْمَعُ صَوْتًا .

---

(١) دمية القصر ١/ ٥٢، والمنتظم ١٦/ ٢٢٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٩١، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١١٢.

(٢) ورد فى الكامل ١٠/١٢١ أنه ولى سبعًا وخمسين.

(٣) المنتظم ١٦/ ٢٢٠، والكامل ١٠/ ١٢٢.

(٤) الشقيقة: وَجَع يأخذ نصف الرأس والوجه. تاج العروس (ش ق ق).

ثم دَخلتْ سنَةُ خمسٍ وسَبعِين وأربعِمائةٍ

فيها[1] قدِم مُؤَيِّدُ المُلكِ بنُ نِظامِ المُلكِ فنزَل فى مدرسةِ أبيه ، وضُرِبت الطبولُ على بابِه فى أوقاتِ الصلواتِ الثَّلاثِ .

وفيها نَفَذَ الشيخُ أبو إسْحَاقَ الشِّيرازِىُّ رسولًا إلى السلْطانِ مَلِكْشَاه والوزيرِ نِظامِ المُلكِ ، وكان أبو إسْحاقَ كلَّما مرَّ على بلدةٍ خرَج إليه أهلُها يتَلَقَّوْنَه بأولادِهم ونِسائِهم ؛ يتبَرَّكونَ به ويتمَسَّحونَ بِركابِه ، ورُبَّما أخَذوا مِن تُرابِ حافِرِ بغْلَتِه ، ولمَّا وصَل إلى ساوَةَ خرَج إليه أهلُها ، وما مرَّ بسُوقٍ منها إلَّا نثَروا عليه مِن لطيفِ ما عندَهم ، حتى اجْتازَ بسُوقِ الأَساكِفَةِ ، فلم يكُنْ عندَهم إلَّا مَداساتُ الصِّغارِ فنثَروها عليه ، فجعَل الشيخُ يتعجَّبُ مِن ذلك .

وفيها جُدِّدَتِ الخِطبةُ مِن جهَةِ الخليفةِ لبنتِ السلطانِ مَلِكْشاه ، فطلَبتْ أمُّها أرْبعَمائةِ ألفِ دينارٍ ، ثم اتَّفَق الحالُ على خمسينَ ألفَ دينارٍ للرَّضاعِ ، وأن يكونَ الصَّداقُ مائةَ ألفِ دينارٍ .

وفيها حارَب السلطانُ أخاه تُتُشَ فأسَره ثم أطْلَقه ، واستقَرَّتْ يَدُه على دِمشقَ وأعمالِها . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ خُتْلُغُ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

---

(١) المنتظم ١٦/ ٤٧٥، والكامل ١٠/ ١٢٧.

عبدُ الوهّابِ بنُ محمدِ بنِ إسْحاقَ[1] بنِ محمدِ بنِ يحيى بنِ مَنْدَه ، أبو عمرٍو الحافظُ مِن بيتِ الحديثِ ، رحَل إلى الآفاقِ وسمِعَ الكثيرَ ، وتُوفِّى بأصْبهانَ فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

ابنُ ماكُولَا[2] ، الأميرُ أبو نَصْرٍ ، علىُّ بنُ الوزيرِ أبى القاسمِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ علىِّ بنِ جَعْفَرِ بنِ عَلَّكانَ[3] بنِ محمدِ بنِ دُلَفَ بن أبى دُلَفَ التَّميمىُّ ، الأميرُ سعدُ المُلكِ ، أبو نَصْرِ بنُ مَاكُولَا ، أحدُ أئمَّةِ الحديثِ وساداتِ الأمراءِ ، رحَل وطافَ وسمِعَ [٩/١٩٩و] الكثيرَ ، وصنَّفَ « الإكْمالَ » فى المشتَبِهِ مِن أسْماءِ الرجالِ ، وهو كتابٌ جليلٌ لم يُسبَقْ إليه ، ولا يُلحَقُ فيه ، إلَّا ما اسْتَدْرَكه عليه ابنُ نقطةَ فى كتابٍ سمَّاه « الاستدراكَ » .

قتَله مماليكُه فى كَرْمَانَ فى هذه السنَةِ ، وكان مولدُه فى سنةِ عشرين وأربعِمائَةٍ ، وعاشَ خمسًا وخمسينَ سنةً . قال ابنُ خَلِّكانَ[4] : وقيل : إنَّه قُتِل فى سنَةِ (٥)تسعٍ وسَبْعِين(٥) . (٦)وقيلَ : فى سنَةِ سبعٍ وثمانين(٦) . قال[7] : وقد كان أبوه

---

(١) فى الأصل : « الحسين » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٢٥، والتقييد لابن نقطة ص ٣٧٠، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٣٩، والعبر ٣/ ٢٨٢.

(٢) تاريخ دمشق ٥٥٨/١٢ (مخطوط) ، والمنتظم ١٦/ ٢٢٦، ومعجم الأدباء ١٥/ ١٠٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٤١، و (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢١٥.

(٣) فى سير أعلام النبلاء ، وتاريخ الإسلام : « على » .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٦.

(٥ - ٥) فى خ : « ست وثمانين » .

(٦ - ٦) سقط من : خ . وفى الأصل ، ص : « وقيل : سنة خمس وثمانين ، وقيل : سنة ست وثمانين » .

(٧) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٥.

(١ وزيرَ القائم بأمرِ اللّهِ ١) ، وعمُّه (٢ أبو عبدِ اللّهِ الحسينُ بنُ عليٍّ ٢) وَلِيَ قضاءَ بغدادَ . قال[٣] : ولا أدرِى لِمَ سُمِّى الأميرَ ، إلَّا أن يكونَ منْسُوبًا إلى جَدِّه الأميرِ أبى دُلَفَ ، وأصلُه مِن جَرْباذَقانَ[٤] ، ووُلِدَ فى عُكْبَرَا فى شعبانَ سنةَ إحدى وعشرين وأربعِمائةٍ . قال[٥] : وقد كان الخطيبُ البَغْدادِىُّ صنَّفَ كتابَ « المؤْتَنِفِ » جمَع فيه بينَ كِتابَي الدارَقُطْنِيِّ ، وعبدِ الغَنِىِّ بنِ سعيدٍ فى « المُؤْتَلِفِ والمُخْتَلِفِ » ، فجاءَ ابنُ مَاكُولَا ، وزادَ على كتابِ الخطيبِ وسمَّاه « الإِكْمالَ » ، وهو فى غايَةِ الإفادةِ ورَفْعِ الالتِباسِ والضَّبْطِ ، ولم يُوضَعْ مثلُه ، ولا يحتاجُ هذا الأميرُ بعدَه إلى ذِكْرِ فَضيلةٍ أُخْرَى ، فَفِيه دِلالةٌ على كثرةِ اطِّلاعِه وضَبْطِه وتحْريرِه وإتْقانِه . ومِن شعرِه المنْسُوبِ إليه قولُه[٦] :

قَوِّضْ[٧] خِيامَكَ عن أرضٍ تُهانُ بها ... وجانِبِ الذُّلَّ إنَّ الذُّلَّ يُجْتَنَبُ

وارْحَلْ إذا كان فى الأَوْطانِ مَنْقَصَةٌ ... فالمَنْدَلُ[٨] الرَّطْبُ فى أوطانِه حَطَبُ

(١ - ١) فى الأصل، ص: « وزيرا للقادر بالله » .

(٢ - ٢) فى النسخ: « عبد الله بن الحسين » ، وفى معجم الأدباء ١٥/ ١٠٣: « الحسن بن جعفر » . والمثبت من وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٥. وانظر تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٠٣.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٦.

(٤) جرباذقان ؛ بالفتح والعجم يقولون : كرباذكان : بلدة قريبة من همذان بينها وبينَ الكرج وأصبهان . معجم البلدان ٢/ ٤٦.

(٥) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٥.

(٦) معجم الأدباء ١٥/ ١٠٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٧٧.

(٧) فى خ : « فرض » . وقوِّض البناء : هدمه .

(٨) فى خ : « المنزل » . والمندل : العود الطيب الرائحة .

ثم دَخلت سنةُ سِتٍّ وسبعين وأَربعِمائةٍ

فيها[1] عُزِلَ عميدُ الدولةِ ابنُ جَهِيرٍ عن وزارةِ الخلافةِ، فسارَ بأهلِه وأولادِه إلى السلْطانِ، وقصَدوا نظامَ المُلْكِ وزيرَ السلْطانِ، فعقَد لوَلَدِه فخرِ الدولةِ على بلادِ بَكْرٍ، فسارَ إليها بالخِلَعِ والكُوساتِ[2] والعساكرِ، وأمَر أن ينْتزِعَها مِن ابنِ مَرْوَانَ، وأنْ يُخطَبَ لنَفْسِه، وأنْ يُكْتَبَ اسمُه على السِّكَّةِ، فما زالَ حتى انْتَزَعَها مِن أيْدِيهم، وبادَ مُلْكُهم على يدَيْه، كما سيأْتى بَيانُه، وسَدَّ وزارةَ الخلافةِ أبو الفَتْحِ مظفَّرُ، ابنُ رئيسِ الرُّوساءِ، ثم عُزِل فى شعبانَ واسْتُوزِرَ أبو شُجاعٍ، محمدُ بنُ الحسينِ، ولُقِّبَ ظَهِيرَ الدينِ.

وفى جُمادَى الآخرةِ[3] وَلَّى مؤيِّدُ الملكِ أبا سعدٍ[4] عبدَ الرحمنِ بنَ المأْمُونِ المُتَولِّىَ تدريسَ النِّظَامِيَّةِ بعدَ وفاةِ الشيخِ أبى إسْحَاقَ الشِّيرازِىِّ، رحِمه اللَّهُ.

وفيها عصَى أهلُ حَرَّانَ[5] على شرفِ الدولةِ مُسلمِ بنِ قُرَيْشٍ، فجاءَ فحاصَرها ففتَحَها وهدَم سُورَها وصلَبَ قاضِيَها ابنَ جَلَبَةَ[6] وابنَيْه[7] على السورِ.

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٢٧، والكامل ١٠/ ١٢٩.

(٢) الكوس: الطبل.

(٣) سقط من: خ، وفى الأصل، ص: «الأولى». وانظر المنتظم ١٦/ ٢٢٧.

(٤) فى الأصل، خ، م: «سعيد». وانظر المنتظم ١٦/ ٢٢٧، والكامل ١٠/ ١٣٢.

(٥) فى الأصل، ص: «خراسان». وانظر الكامل ١٠/ ١٢٩.

(٦) فى الأصل: «حبلية»، وفى خ: «حيلة»، وفى م، والكامل ١٠/ ١٢٩: «حلبة»، وفى ص: «حلية». والمثبت من تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٦، ١٧. وانظر: المشتبه ١/ ١٦٧، وتبصير المنتبه ١/ ٢٥٨، وزبدة الحلب ٢/ ٨٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٦٠، والعبر ٣/ ٢٨٣، ٢٨٤.

(٧) فى الأصل: «أثبته»، وفى ص: «ابنته».

وفى شوَّالٍ منها قُتِل أبو المحَاسنِ بنُ أبى الرِّضَا؛ وذلك لأنَّه وشَى إلى السلْطانِ فى نِظامِ المُلْكِ، وقالَ له: سَلِّمْهُم إلىَّ[(١)] حتى أستخْلِصَ لك منهم ألفَ ألفِ دينارٍ. فعمِل نِظامُ المُلْكِ سِماطًا هائلًا، واسْتَحْضَرَ غِلْمانَه وكانوا أُلوفًا، وشرَع يقولُ للسلطانِ: هذا كلُّه مِن أمْوالِكَ، وما وقَفْتُه مِن المدارسِ والرُّبُطِ، فكُلُّه شُكْرُه لكَ فى الدُّنْيا وأجْرُه لك فى الآخرةِ، وأمْوالى وجميعُ ما أمْلِكُه بينَ يَدَيْك، وأنا أقنَعُ بمُرقَّعَةٍ وزاوِيَةٍ. فعندَ ذلك أمرَ السلطانُ بقَتْلِ أبى المحاسِنِ، وقد كان حَظِيًّا عندَه، وخِصِّيصًا به وَجِيهًا [٩/١٩٩ظ] لدَيْه، وعزَلَ أباه عن كتابةِ الطُّغْراءِ[(٢)] ووَلَّاها مؤيِّدَ المُلكِ بنَ نِظامِ المُلْكِ.

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الأميرُ خُتْلُغُ التركىُّ مُقطَعُ الكُوفَةِ.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

الشيخُ أبو إسْحَاقَ الشِّيرَازِىُّ، إبراهيمُ بنُ علىٍّ بن يُوسُفَ، الشِّيرازِىُّ الفِيرُوزاباذِىُّ[(٣)] - وهى قريةٌ مِن قُرَى فارِسَ، وقيل: هى مدينةُ جُورَ[(٤)]. شيخُ الشافِعيَّةِ، ومدرِّسُ النِّظَامِيَّةِ ببغدادَ، وُلِد سنةَ ثلاثٍ، وقيلَ: [(٥)]خمسٍ، وقيل[(٥)]:

---

(١) أى: نظام الملك وأصحابه. وانظر الخبر فى المنتظم ١٦/ ٢٢٧، ٢٢٨، والكامل ١٠/ ١٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٧.

(٢) الطغراء: قال الذهبى: كتابة السِّرِّ، وقال ابن خلكان فى وفيات الأعيان ٢/ ١٩٠: الطغرى: هى الطرة التى تكتب فى أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ، مضمونها نعوت الملك الذى صدر الكتاب عنه. وانظر تاج العروس (ط غ ر).

(٣) المنتظم ١٦/ ٢٢٨، ووفيات الأعيان ١/ ٢٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١- ٤٨٠هـ) ص ١٤٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٢١٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ١١٧.

(٤) فى م: «خوارزم». وانظر معجم البلدان ٣/ ٩٢٨.

(٥ - ٥) ليست فى: الأصل، خ، م. وانظر وفيات الأعيان ١/ ٣١.

سِتٍّ وتسعين وثَلاثِمائةٍ . وتفقَّهَ بفارِسَ على أبى عبدِ اللَّهِ البَيْضاوِىِّ ، ثم قَدِمَ بَغْدادَ سنةَ خمسَ عشْرةَ وأرْبَعِمائَةٍ ، فتفَقَّهَ على القاضِى أبى الطيِّبِ الطبرِىِّ ، وسمِعَ الحديثَ مِنَ ابنِ شاذَانَ والبرْقَانِىِّ ، وكان زاهدًا عابدًا وَرِعًا ، كبيرَ القَدْرِ معظَّمًا ، محترَمًا ، إمامًا فى الفِقْهِ والأصولِ والحديثِ وفنونٍ كثيرةٍ ، وله المصنَّفاتُ الكثيرةُ النافعةُ ؛ كـ « المُهذَّبِ » فى المذْهبِ ، و « التَّنْبيهِ » ، و « النُّكَتِ » فى الخِلافِ ، و « اللُّمَعِ » فى أصولِ الفِقْهِ ، و « التبْصِرَةِ » ، و « المعُونةِ » ، و « طبقاتِ الفقهاءِ[1] » وغيرِ ذلك . قلتُ : وقد ذكَرتُ ترجمتَه مُستَقْصاةً ومطوَّلَةً فى أوَّلِ شرحِ « التَّنْبِيهِ » .

تُوفِّى ليلةَ الأحدِ الحادِى والعشرين مِن جُمادَى الآخرةِ فى دارِ [2]المظفَّرِ ابنِ[2] رئيسِ الرؤساءِ ، وغسَّلَه أبو الوَفَا بنُ عَقيلٍ الحَنْبَلىُّ ، وصُلِّى عليه بباب الفِرْدَوْسِ مِن دارِ الخلافةِ ، وشهِدَ الصلاةَ عليه المُقْتَدِى بأمْرِ اللَّهِ ، وتقدَّم للصلاةِ عليه أبو الفَتْحِ المظفَّرُ ابنُ رئيسِ الرُّؤساءِ ، وكان نائبَ الوزارةِ ، ثم صُلِّى عليه مرةً ثانيةً بجامعِ القصرِ ، ودُفِنَ بِبابِ أبْرزَ فى تُربةٍ مُجاوِرَةٍ للناحِيَةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالَى .

وقد امْتدَحَه الشعراءُ فى حياتِه وبعدَ وَفاتِه ، وكان هو نفسُه له شعرٌ رائقٌ ، فمِمَّا أنشدَه ابنُ خَلِّكانَ مِن شعرِه قولُه[3] :

سألْتُ الناسَ عن خِلٍّ وَفِىٍّ ... فقالُوا ما إلى هذا سبيلُ
تمَسَّكْ إن ظفِرتَ بذَيْلِ[4] حُرٍّ ... فإنَّ الحرَّ فى الدُّنيا قليلُ

---

(١) فى خ ، م ، ص : « الشافعية » . وانظر معجم المؤلفين ١/ ٦٨، ٦٩.

(٢ - ٢) فى الأصل ، م ، ص : « أبى المظفر ابن » ، وفى خ : « أبى المظفر » . والمثبت كما فى المنتظم ١٦/ ٢٣٠.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢٩.

(٤) فى المنتظم ١٦/ ٢٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٦١: « بوُدِّ » .

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : ولمَّا تُوفِّى عمِلَ الفقهاءُ عزاءَه بالمدرسةِ النِّظاميَّةِ ، وعيَّن مؤيِّدُ المُلكِ أبا سعدٍ المُتَوَلِّىَ مكانَه ، فلمَّا بلَغ الخبرُ إلى نِظامِ المُلكِ كتَب يقولُ : كان مِن الواجبِ أنْ تُغْلَقَ المدرسةُ سنةً لأجْلِه . وأمرَ أن يُدرِّسَ الشيخُ أبو نصرِ بنُ الصَّبَّاغِ فى مكانِه .

طاهرُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ القَوَّاسُ[2] ، قرَأ القرآنَ وسمِعَ الحديثَ ، وتفقَّهَ على القاضى أبى الطَّيِّبِ الطَّبَرِيِّ ، وأفْتَى ودرَّس وكانتْ له حَلْقةٌ بجامعِ المنصورِ للمُناظرةِ والفَتْوَى ، وكان ثِقَةً ورِعًا زاهدًا مُلازمًا لمسْجدِه خمسينَ سنةً . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن سِتٍّ وثمانين سنةً ، ودُفِنَ قريبًا مِن الإمامِ أحمدَ ، رحِمه اللَّهُ وإيَّانا .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ إسْماعيلَ ، أبو طاهرٍ الأَنْبَارِىُّ الخطيبُ[3] ، ويعرَفُ بابنِ أبى الصَّقْرِ ، طافَ البلادَ وسمِعَ الكثيرَ ، وكان ثقةً صالحًا فاضلًا عابدًا ، وقد سمِعَ منه الخطيبُ البَغْدادِىُّ ، وروَى عنه مُصَنَّفاتِه[4] ، تُوفِّى بالأَنْبارِ فى جُمادَى الآخرةِ عن نحوٍ مِن مائةِ سنَةٍ ، رحِمه اللَّهُ .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ الحُسَيْنِ بنِ جَرْدَةَ[5] ، أحدُ كبراءِ الرُّؤساءِ [٩/٢٠٠و]

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٣١.

(٢) طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٤، والمنتظم ١٦/ ٢٣١، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٦٤، والوافى بالوفيات ١٦/ ٣٩٤.

(٣) المنتظم ١٦/ ٢٣٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٧٥، والوافى بالوفيات ٢/ ٨٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ١١٨.

(٤) فى المنتظم : «روى عنه فى مصنفاته ، فقال : حدثنا محمد بن أحمد ...» .

(٥) فى الأصل : «جزرة» ، وفى خ ، م : «جرادة» . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٧٧.

ببغدادَ ، وهو مِن ذَوِى الثروةِ والمُروءةِ ، كان يُحزَرُ مالُه بثلاثِمائةِ ألفِ دينارٍ ، وكان أصلُه مِن عُكْبَرَا ، فسكَنَ بَغْدادَ ، وكانت له بها دارٌ عظيمةٌ تشتَمِلُ على ثلاثين مسْكَنًا مُستقلًّا ، وفيها حَمَّامٌ وبُسْتانٌ ، ولها بابانِ ، على كلِّ بابٍ مسجدٌ ، إذا أذَّنَ المؤذِّنُ فى أحدِهما لا يسمَعُ الآخرُ مِن اتِّساعِها . وقد كانت زوجةُ الخليفةِ القائمِ - حينَ وقَعت فتنةُ البَساسيرِىِّ فى سنَةِ خمسين وأرْبَعِمائَةٍ - نزَلتْ عندَه فى جوارِه ، فبعَث إلى الأميرِ قُرَيْشِ بنِ بدرانَ أميرِ العرَبِ بعشَرَةِ آلافِ دينارٍ ، ليَحْمِىَ له دارَه ، وهو الذى بنَى المسجدَ المعروفَ به ببَغْدادَ ، وقد ختَمَ فيه القرآنَ ألوفٌ مِن الناسِ ، وكان لا يفارِقُ زِىَّ التُّجارِ . وكانت وفاتُه فى عاشرِ ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنةِ ، وُدفِنَ فى التُّربةِ المُجاورةِ لتُربةِ القَزْوينىِّ ، رَحِمه اللَّهُ وإيَّانا ، آمين .

ثم دخلت سنة سَبْعٍ وسَبعينَ وأربَعِمائَةٍ

فيها[1] كانتِ الحربُ بينَ فخرِ الدولةِ ابنِ جَهِيرٍ وبينَ ابنِ مَرْوانَ صاحبِ ديارِ بَكْرٍ ، فاسْتَوْلَى ابنُ جَهِيرٍ على مُلكِ العربِ ، وسبَى حريمَهم ، وأخَذ البلادَ ومعه سيفُ الدولةِ صَدَقةُ بنُ منصورِ بنِ دُبَيْسِ بنِ عليِّ بنِ مَزْيَدٍ الأسَدِيُّ ، فافتَدَى خَلْقًا مِن العربِ ، فشكَره الناسُ على ذلك ، ومدَحه الشعراءُ عليه .

وفيها بعَث السلطانُ عميدَ الدولةِ ابنَ جَهِيرٍ فى جيشٍ كثيفٍ ومعه قَسيمُ الدولةِ آقْ سُنْقُرُ جَدُّ بنى أتابِكَ مُلوكِ الشامِ والمَوْصِلِ، فسار إلى المَوْصِلِ فملَكوها .

وفى شعبانَ ملَك سُلَيمانُ بنُ قُتُلُمُشَ أَنْطاكِيَةَ ، فأراد شرَفُ الدولةِ مسلمُ بنُ قُرَيْشٍ أن يستنقِذَها منه ، فهزَمه سليمانُ ، وقتَله ، وقد كان مسلمٌ هذا مِن خِيارِ الملوكِ سيرةً ، له فى كلِّ قريةٍ والٍ وقاضٍ وصاحبُ خبَرٍ ، وكان يملِكُ مِن السِّنْدِيَّةِ[2] إلى مَنْبِجَ . وولِى بعدَه أخوه إبراهيمُ بنُ قُرَيْشٍ ، وكان مسجونًا مِن سنينَ فأُطلِق ومُلِّكَ .

وفيها وُلِد السلطانُ سَنْجَرُ بنُ مَلِكْشَاه فى العشرين من رجَبٍ بسِنْجَارَ[3] .

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٣٤، والكامل ١٠/ ١٣٤.

(٢) السندية : قرية من قرى بغداد على نهر عيسى بين بغداد وبين الأنبار. معجم البلدان ٣/ ١٦٨.

(٣) سنجار : مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام . معجم البلدان ٣/ ١٥٨.

وفيها عصَى تكشُ أخو السلطانِ ، فأخَذه السلطانُ ؛ فسمَله وسجَنه .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنَةِ الأميرُ خُمارْ تِكينُ الحَسنَانيُّ ؛ وذلك لشكوى الناسِ مِن شدَّةِ سيرِ خُتْلُغَ بهم ، وأخْذِه المُكوساتِ منهم ؛ سار مرَّةً مِن الكُوفَةِ إلى مَكَّةَ فى تسعةَ[1] عشَرَ يومًا .

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ دُوْسْتَ[2] ، **أبو سعدِ النَّيْسَابُورِىُّ** ، شيخُ الصوفِيَّةِ ، له رِباطٌ بمدينةِ نَيسابُورَ يدخُلُ مِن بابِه الجمَلُ براكِبِه ، وحجَّ مراتٍ على التجْريدِ[3] حيـنَ انقطَعت طريقُ مَكَّةَ ، فكان يأخُذُ جماعةً مِن الفُقراءِ ويتوَصَّلُ مِن قبائلِ العرَبِ حتى يصلَ مكَّةَ ، تُوفِّى فى هذه السنَةِ وقد جاوزَ التسعينَ ، رحِمهُ اللَّهُ تعالى ، وأوصَى أن يخلُفَه ولدُه إسماعيلُ ، فأُجلِس فى مشيخةِ الرِّباطِ وله ثِنْتا عشْرَةَ سنةً ، وهو الذى وقَف الأوقافَ على الرِّباطِ .

ابنُ الصَّبَّاغِ[4] **صاحبُ « الشاملِ »** ، عبدُ السَّيِّدِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ ابنِ أحمدَ بنِ جعفرٍ ، الإمامُ أبو نَصْرِ بنُ الصَّبَّاغِ ، وُلِد سنةَ أربعِمائةٍ ، وتفَقَّهَ ببَغْدادَ على أبى الطيبِ الطَّبَرِىِّ حتى فاقَ الشافِعيَّةَ بالعراقِ ، وصنَّفَ المصنفاتِ المفيدةَ ؛

---

(١) فى خ ، م : « سبعة » . وانظر إتحاف الورى بأخبار أم القرى ٢/ ٤٨٢.

(٢) فى م : « دوبست » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٣٥، والكامل ١٠/ ١٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٥٨، والعبر ٣/ ٢٩٤.

(٣) بعده فى خ ، م : « على البحرين » . والمقصود أنه حجَّ بلا نفقة وزاد بل كان يتنقل من قبيلة إلى أخرى ويَضيف عندهم حتى وصل مكة . ويقال : جَردَ القومَ يجردهم جردًا : سألهم فمنعوه أو أعطوه كارهين . تاج العروس (ج ر د) ، وهو كان يسأل القبائل لمن معه من الفقراء ويحج بهم .

(٤) المنتظم ١٦/ ٢٣٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٢١٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٩٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ١٢٢.

منها كتابُ « الشامِلِ » فى المَذْهَبِ ، وهو أوَّلُ مَنْ درَّس بالنِّظامِيَّةِ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنَةِ ، ودُفِن بدارِه فى الكَرْخِ ، ثم نُقِل إلى بابِ حربٍ ، رحِمه اللَّهُ .

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[1] : كان فقيهَ العراقَيْنِ ، وكان يضاهَى بالشيخِ أبى إسحاقَ ، وكان ابنُ الصَّبَّاغِ أعلمَ منه بالمَذْهَبِ ، وإليه الرِّحْلَةُ ، وقد صنَّف « الشاملَ » فى الفقهِ ، و « العُمْدَةَ » فى أصولِ الفقهِ ، وتولَّى تدريسَ النِّظامِيَّةِ أوَّلًا ، ثم عُزِل بعدَ عشرينَ يومًا بالشيخِ أبى إسحاقَ ، فلمَّا ماتَ الشيخُ [٩/٢٠٠ظ] أبو إسْحاقَ توَلَّاها أبو سعدٍ المُتَولِّى ، ثم عُزِل بابنِ الصَّبَّاغِ ، ثم عُزِل ابنُ الصَّبَّاغِ بابنِ المُتَولِّى ، وكان ثقةً حُجَّةً صالحًا ، وُلِد سنةَ أرْبَعِمائةٍ ، وأُضَرَّ فى آخرِ عُمرِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

مَسعودُ بنُ ناصرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ إسماعيلَ ، أبو سَعْيدٍ[2] السِّجْزِىُّ الحافظُ ، رحَل فى طلبِ الحديثِ وسمِع الكثيرَ ، وجمَع الكتُبَ النفيسةَ ، وكان حسَنَ الخطِّ ، صحيحَ النَّقلِ ، حافظًا ضابطًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢١٧.

(٢) فى النسخ : « سعد » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ المنتظم ١٦/ ٢٣٨، وفيه : الشجرى بدلا من « السجزى » . وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٣٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢١٣، ومرآة الجنان ٣/ ١٢٢. قال ابن ماكولا فى الإكمال ٤/ ٥٤٩، ٥٥٠: أما السجزى ، بسين مهملة وجيم وزاى ، فجماعة ينسبون إلى سجستان على غير قياس .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وسَبْعِيـنَ وأرْبَعِمائَةٍ

فى المحرَّمِ منها[1] زُلزِلتْ أرَّجَانُ[2] ، فهلَكَ خلقٌ كثيرٌ من الرومِ ومواشِيهم . وفيها كثُرَتِ الأمراضُ بالحُمَّى والطَّاعُونِ بالعراقِ والحجازِ والشَّامِ ، وأعقَب ذلك موتُ الفَجْأَةِ ، ثم ماتَتِ الوحوشُ فى البريَّةِ ، ثم تلاه موتُ البهائمِ ، حتى عزَّتِ الألْبانُ واللُّحمانُ ، ومع هذا كلِّه وقعتْ فتنةٌ عظيمةٌ بيـنَ الروافضِ والسُّنَّةِ ، فقُتِلَ خلقٌ كثيرٌ .

وفى ربيعِ الأوَّلِ هاجَتْ ريحٌ سَوْداءُ ، وسفَتْ رَمْلًا ، وتساقطَتْ أشجارٌ كثيرةٌ مِنَ النَّخيلِ وغيرِها ، ووقعَتْ صَواعِقُ فى البلادِ حتى ظنَّ الناسُ أنَّ القيامةَ قد قامتْ ، ثم انْجَلَى ذلك ، وللَّهِ الحمدُ .

وفيها وُلِدِ للخليفَةِ ولَدُه أبو عبدِ اللَّهِ الحُسَيْنُ ، وزُيِّنَتْ بَغْدادُ وضُربتِ الطبولُ والبُوقاتُ ، وكثُرَتِ الصَّدقاتُ .

وفيها اسْتَوْلَى فخرُ الدولةِ ابنُ جَهيرٍ على بلادٍ كثيرةٍ ؛ منها آمِدُ ، ومَيَّافارِقِينُ[3] ، وجزيرةُ ابنِ عمرَ ، وانْقرَضَتْ دولةُ بنى مروانَ على يَدِه فى هذه السنةِ . وفى ثانى عشَرَ شعبانَ[4] منها قُلِّد أبو بكرٍ محمدُ بنُ مُظَفَّرٍ الشامِيُّ قضاءَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٣٩، والكامل ١٠/ ١٤٥.

(٢) أرَّجان : مدينة تقع بين حد فارس والأهواز بناها أنوشروان ، وسماها أَبَرْ قُباذ . معجم البلدان ١/ ١٩٤.

(٣) ميافارقين : أشهر مدينة بديار بكر . معجم البلدان ٤/ ٧٠٣.

(٤) فى النسخ : « رمضان » . والمثبت من المنتظم ١٦/ ٢٤١. وذكر ابن الأثير فى الكامل ١٠/ ١٤٦، =

القضاةِ ببَغدادَ ، بعدَ وَفاةِ أبى عبدِ اللَّهِ الدَّامَغانىِّ ، وخُلِعَ عليه فى الدِّيوانِ . وحجَّ بالناسِ الأميرُ خُتْلُغ التركىُّ ، [1] وزارَ النبىَّ ﷺ ذاهبًا وآيبًا . قال : أظنُّ أنها آخِرُ حِجَجِى [1][2] . فكان كذلك .

وفيها خرَج توقيعُ الخليفةِ المقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ بتَجْديدِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهىِ عنِ المنكرِ فى كلِّ مَحلَّةٍ ، والأمرُ بإلزامِ أهلِ الذِّمَّةِ بالغِيَارِ [3] ، وكَسْرِ الملاهِى ، وإراقَةِ الخمورِ ، وإخراجِ أهلِ الفَسادِ [1] .

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسَنِ بنِ محمدِ بنِ إبْراهيمَ بنِ أبى أيُّوبَ ، أبو بكرٍ الفُورَكِىُّ [4] ، سِبْطُ الأسْتاذِ أبى بكرِ بنِ فُورَكَ ، استوطنَ بغْدادَ وكان متكلِّمًا يعِظُ الناسَ فى النِّظَامِيَّةِ ، فوقعَتْ بسببَه فتنةٌ بيـنَ المذاهبِ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ [5] : وكان مُؤْثِرًا للدنْيا ، لا يَتحاشى من لُبْسِ الحريرِ ، وذكَر أنَّه كان يأخُذُ مَكْسَ الفَحْمِ ، وكانتْ وفاتُه فى هذه السنةِ ، وله نَيِّفٌ وستُّونَ سنةً ، ودُفِنَ إلى جانبِ قبرِ الأشْعَرِىِّ بمَشْرَعةِ الرَّوَايا [6] .

= أن وفاة قاضى القضاة أبى عبد اللَّه الدامغانى كانت فى رجب من هذه السنة ، وأن أبا بكر بن المظفر ولى القضاء بعده ، وهذا يجعل رواية المنتظم أقرب للصواب . واللَّه أعلم .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « حجتى » . وانظر إتحاف الورى ٢/ ٤٨٣.

(٣) الغيار : علامة أهل الذمة : تاج العروس (غ ى ر) .

(٤) المنتظم ١٦/ ٢٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢١٨، ولسان الميزان ١/ ٣٠٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢١، وفيه : أحمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم .

(٥) المنتظم ١٦/ ٢٤٣.

(٦) فى الأصل ، خ ، م : « الزوايا » .

الحسنُ بنُ عليٍّ ، أبو عبدِ اللَّهِ المردوسِيُّ[1] ، كان رئيسَ أهلِ زمانِه ، وأكْمَلَهم مُرُوءةً ، كان قد خدَم فى أيامِ بَنى بُوَيْهِ ، وتأخَّرَ إلى هذا الحينِ ، وكانتِ الملوكُ تعظِّمُه وتُكاتِبُه بعبْدِه وخادِمِه ، وكان كثيرَ الصدقَةِ والصلاةِ والبِرِّ ، وبلَغ مِن العُمرِ خمسًا وتسعينَ سنةً ، وأعدَّ لنفْسِه قبرًا وكفَنًا قبلَ موتِه بخمسِ[2] سنِينَ .

أبو سَعْدٍ المتَولِّى ، عبدُ الرحمنِ بنُ المأمونِ بنِ عليٍّ ، أبو سعدٍ المتَولِّى[3] ، مصنِّفُ « التَّتِمَّةِ » ، ومدرِّسُ النِّظاميَّةِ بعدَ الشيخِ أبى إسْحاقَ الشِّيرَازِىِّ ، وكان فصِيحًا بليغًا ، ماهرًا بعُلُومٍ كثيرةٍ ، كانت وفاتُه فى شَوَّالٍ من هذه السنةِ عن ثِنْتينِ وخمسينَ سنةً ، رحِمه اللَّهُ ، وصلَّى عليه القاضِى [٩/٢٠١و] أبو بكرٍ الشَّامِىُّ[4] ، ودُفِن ببابِ أبرزَ .

إمامُ الحَرَمَيْنِ[5] ، عبدُ الملكِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ يوسفَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ يوسفَ ابنِ محمدِ بنِ حيُّويَهِ ، أبو المعالى الجُوَيْنِىُّ - وجُوَيْنُ مِن قُرَى نَيْسَابُورَ - الملَقَّبُ بإمامِ الحرَمَيْنِ ؛ لمجاورَتِه بمكَّةَ أربعَ سنِينَ ، كان مولدُه فى سنةِ تسْعَ عشْرَةَ وأرْبَعِمائةٍ ، سمِعَ الحديثَ وتفقَّهَ على والدِه الشيخِ أبى محمدٍ الجُوَينِىِّ ، ودرَّس

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٢٢، وفيهما : « الحسين » .

(٢) فى المنتظم : « بخمسين » .

(٣) المنتظم ١٦/ ٢٤٤، ووفيات الأعيان ٣/ ١٣٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٢٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ١٠٦.

(٤) فى النسخ : « الشاشى » . والمثبت من المنتظم .

(٥) المنتظم ١٦/ ٢٤٤، ووفيات الأعيان ٣/ ١٦٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٢٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ١٦٥.

بعدَه فى حَلْقَتِه ، وتفَقَّهَ على القاضى حسينٍ ، ودخَل بغدَاد وتفَقَّه بها ، وروَى بها الحديثَ ، وخرَج إلى مَكَّةَ فجاوَر فيها أربعَ سنِينَ ، ثم عادَ إلى نَيْسَابُورَ فسُلِّمَ إليه التَّدريسُ والخَطابةُ والوعظُ ، وصنَّف « نهايةَ المطْلَبِ فى دِرايَةِ المَذْهَبِ » ، و « البُرْهانَ » فى أصولِ الفِقْهِ ، وغيرَ ذلك مِن عُلُومٍ شَتَّى ، واشتغَل عليه الطلبةُ ورحَلوا إليه مِن الأقْطارِ ، وكان يحضُرُ مجلِسَه ثَلاثُمائةِ متفقِّهٍ ، وقد اسْتَقْصَيْتُ ترجمتَه فى « الطَّبقاتِ » .

وكانتْ وفاتُه فى الخامسِ والعِشْرِينَ مِن ربيعٍ الآخرِ[1] من هذه السَّنَةِ ، عن سَبْعٍ وخمسيـنَ سنةً ، ودُفِن بدارِه ، ثم نُقِلَ إلى جانبِ والدِه . رحِمه اللَّهُ .

قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : كانتْ أمُّه جاريةً اشْتَراها والدُه مِن كَسْبِ يدِه مِنَ النَّسْخِ ، وأمرَها أنْ لا يُرْضِعَه غيرُها ، فاتَّفقَ أنَّ امرأةً دخَلتْ عليهم فأرْضَعْته مرَّةً ، فأخَذه الشيخُ أبو محمدٍ فنكَسه ووضَع يدَه على بطْنِه ووضَع أُصبُعَه فى حلْقِه ، ولم يزَلْ به حتى استقاءَ كلَّ ما كان فى بطنِه مِن لبَنِ تلكَ المرأةِ . قال : فربّما حصَل لإمامِ الحرمينِ فى بعضِ مجالسِ المناظرةِ فُتورٌ ، فيقولُ : هذا مِن آثارِ تلك الرَّضْعَةِ . قال[3] : ولمَّا عادَ مِن الحجازِ إلى بلدِه نَيْسَابورَ سُلِّمَ إليه المِحرابُ والمِنبرُ والخطابةُ والتدريسُ ومجلسُ التذْكيرِ يومَ الجُمُعةِ ، وبَقِى ثلاثيـنَ سنةً غيرَ مُزاحَمٍ ولا مُدافَعٍ . وصنَّفَ فى كلِّ فنٍّ ، من ذلك « النِّهايَةُ » الذى ما صُنِّفَ فى الإسْلامِ مثلُه .

---

(١) فى النسخ : « الأول » . والمثبت من المنتظم ١٦/ ٢٤٧، ووفيات الأعيان ٣/ ١٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٣٨.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ١٦٩.

(٣) أى ابن خلكان . وفيات الأعيان ٣/ ١٦٨، ١٦٩.

قال الحافظُ أبو جَعْفَرٍ[1] : سمِعتُ الشيخَ أبا إسْحَاقَ الشِّيرَازِىَّ يقولُ لإمامِ الحرَمَيْنِ : يا مفيدَ أهلِ المشرقِ والمغربِ ، أنتَ اليومَ إمامُ الأئمَّةِ .

ومِن تصانيفِه « الشامِلُ » فى أصولِ الدِّينِ ، و « البُرْهانُ » فى أصولِ الفقهِ ، و « تَلْخيصُ التقْريبِ » ، و « الإرْشَادُ » ، و « العقيدَةُ النِّظامِيَّةُ » ، و « غِياثُ الأممِ » ، « وغِياثُ الخَلْقِ »[2] وغيرُ ذلكَ ممَّا أتَمَّه وممَّا لم يُتِمَّه قال[3] : ولمَّا مات فى ربيعِ الآخرِ سنةَ ثمانٍ وسبعينَ وأربعِمائةٍ صلَّى عليه ولدُه أبو القاسمِ وغُلِّقتِ الأسْواقُ وكسَر تلاميذُه أقْلامَهم ومَحابِرَهم - وكانو أرْبَعَمائةٍ - ومكَثُوا كذلك سنةً ، وقد رُثِىَ بمَراثٍ كثيرةٍ ، فمِن ذلك قولُ بعْضِهم[4] :

قلوبُ العالَمِين على المَقَالِى وأيَّامُ الوَرَى شِبْهُ[5] اللَّيالِى

أيُثْمِرُ غُصْنُ أهلِ العلمِ يومًا وقد ماتَ الإمامُ أبو المعالِى

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ الوليدِ ، أبو علىٍّ[6] ، شيخُ المعتزِلةِ ، كان يُدرِّسُ لهم ، فأنْكَرَ أهلُ السُّنَّةِ عليهم ، فلَزِمَ بيتَه خمسينَ سنةً [٩/ ٢٠١ظ] إلى أن تُوفِّىَ فى ذى الحِجَّةِ من هذه السنةِ ، ودُفِن فى مقْبرَةِ الشُّونيزِيَّةِ ، وهذا هو الذى تَناظَرَ هو والشيخُ أبو يوسفَ القَزْوِينِىُّ المعتزِلِىُّ المُفَسِّرُ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٤٥، ووفيات الأعيان ٣/ ١٦٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ١٧٢.

(٢) فى وفيات الأعيان ٣/ ١٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٣٧: «مغيث الخلق فى اختيار الأحق».

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ١٦٩، ١٧٠.

(٤) البيتان فى وفيات الأعيان ٣/ ١٧٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ١٨٢.

(٥) فى الأصل، خ، ص: «مثل».

(٦) المنتظم ١٦/ ٢٤٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٨٩، وميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٤٤، والوافى بالوفيات ٢/ ٨٤.

فى إباحَةِ الوِلْدانِ فى الجَنَّةِ ، كما حكَى ذلك ابنُ عَقِيلٍ[1] عنهما ، وكان حاضِرَهما ، فمالَ هذا إلى إباحَةِ ذلك ؛ لكونِه مأمونَ المَفْسدَةِ هُنالكَ ، وقال أبو يوسُفَ : إنَّ هذا لا يكونُ ، ومِن أينَ لك أنهم يكونُ لهم أدْبارٌ ؟ وهذا العُضْوُ إنَّما خُلِق فى الدنْيا مَخْرجًا للأذَى ، وليْسَ فى الجَنَّةِ شيءٌ مِن ذلك ، فلا يحْتاجُونَ إليه ، ولا يكونُ لهذه المسْألَةِ صورةٌ بالكُلِّيَّةِ .

وقد روَى هذا الرجلُ حديثًا واحدًا عن شيخِه أبى الحُسَيْنِ البَصْرِيِّ بسنَدِه المتقدِّمِ[2] ، من طريقِ شُعْبَةَ ، عن منْصورٍ ، عن رِبْعِيِّ بنِ حِراشٍ ، عن أبى مسعودٍ البَدْرِيِّ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » . وقد روَاه[3] القَعْنَبِيُّ عن شُعْبةَ ، ولم يَرْوِ عنه سِواه ، فقيلَ : لأنَّه لمَّا رحَل إليه دخَل عليه وهو يبولُ على البالُوعَةِ ، فسألَه أنْ يحدِّثَه ، فروَى له هذا الحديثَ كالواعظِ له ، والْتَزَمَ أنْ لا يحدِّثَه بغيرِه . وقيل : لأنَّ شُعْبةَ مرَّ على القَعْنَبِيِّ قبلَ أنْ يشتغلَ بعلمِ الحديثِ - وكان إذْ ذاكَ يُعانِى الشَّرابَ - فسألَه أنْ يُحدِّثَه فامتنَع ، فسَلَّ سِكِّينًا وقال : إنْ لم تحدِّثْنى وإلَّا قتَلْتُكَ . فروَى له هذا الحديثَ ، فتابَ وأنابَ ، ولزِمَ مَالِكًا ، ثم فاتَه السماعُ مِن شُعْبَةَ ، فلم يتَّفِقْ له غيرُ هذا . فاللَّهُ أعلمُ .

أبو عبدِ اللَّهِ الدَّامَغَانىُّ[4] ، محمدُ بنُ علىِّ بنِ الحسينِ[5] بنِ[6] عبدِ الملكِ[6]

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٤٨، ٢٤٩.
(٢) تقدم فى ١٥/ ٧٠٧ .
(٣) المنتظم ١٦/ ٢٤٧، ٢٤٨.
(٤) تاريخ بغداد ٣/ ١٠٩، والمنتظم ١٦/ ٢٤٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٨٥. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٤٧، والجواهر المضية ٣/ ٢٦٩.
(٥) فى السير وتاريخ الإسلام : « حسن » .
(٦ - ٦) فى السير وتاريخ الإسلام : « عبد الوهاب » .

(١ ابنِ عبدِ الوَهَّابِ ١) بنِ حَمُّويَهِ[٢] الدَّامَغَانيُّ الحنفِيُّ ، قاضى القضاةِ ببَغْدادَ ، مولدُه فى سنَةِ ثمانٍ وتسعين وثلاثِمائةٍ ، وتفقَّه ببلدِه ثم قدِم بغدادَ فى سنةِ ثمانى عشْرَةَ وأربعِمائةٍ ، فتفقَّه بها على أبى عبدِ اللَّهِ الصَّيْمَرِىِّ ، وأبى الحسينِ القُدُورِىِّ ، وسمِع الحديثَ منهما ومِن ابنِ النَّقُّورِ[٣] والخطيبِ وغيرِهم ، وبرَع فى الفقهِ ، وكان له عَقلٌ وافرٌ ، وتواضُعٌ زائدٌ ، وانتهَتْ إليه رِياسةُ الفقهاءِ ، وكان فصيحَ العبارةِ ، وكان فقيرًا فى ابْتِداءِ طَلَبِه ، عليه أطمارٌ رثَّةٌ ، ثم صارَتْ إليه الرِّياسةُ والقَضاءُ بعدَ ابنِ مَاكُولَا ، فى سنَةِ تِسْعٍ وأربعينَ ، وكان القائمُ بأمرِ اللَّهِ يكرِمُه ، والسلطانُ طُغرُلْبَك يعظِّمُه ، وباشرَ الحُكْمَ ثلاثينَ سنةً فى غايةِ السِّيرةِ الحسَنةِ ، والأمانةِ والدِّيانةِ والصيانةِ ، مرِض أيامًا يسيرةً ، ثم تُوفِّى فى الرابعِ والعشرينَ مِن رجَبٍ من هذه السَّنَةِ ، وقد ناهَز الثمانينَ ، ودُفِن بدارِه بدَربِ القلَّائِين ، ثم نُقِلَ إلى مَشْهَدِ أبى حنيفةَ ، رحِمهما اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ علىِّ بنِ المُطَّلِبِ ، أبو سعدٍ الأديبُ[٤] ، كان قد قرَأ النحوَ ، والأدبَ ، واللغةَ ، والسِّيَرَ ، وأخْبارَ الناسِ ، ثم أقْلَع عن ذلك كلِّه ، وأقبَل على كثرةِ الصلاةِ والصدقةِ والصومِ ، إلى أنْ تُوفِّىَ فى هذه السنَةِ عن سِتٍّ وثمانينَ سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

(١ - ١) فى السير وتاريخ الإسلام : « عبد الوهاب » .
(٢) فى السير ، وتاريخ الإسلام : « حسويه » .
(٣) فى الأصل : « البقور » ، وفى خ : « المنقور » ، وفى ص : « البعور » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٧٢.
(٤) المنتظم ١٦/ ٢٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٤٦، وفوات الوفيات ٣/ ٤٣٤، والوافى بالوفيات ٤/ ١٥٠.

محمدُ بنُ أبى طاهرٍ [٩/ ٢٠٢و] **العباسىُّ ، ويعرفُ بابنِ الرَّجحىِّ**[(١)] ، تفقَّهَ على ابنِ الصَّبَّاغِ ، ونابَ فى الحُكمِ ، وكان محمودَ الطريقةِ ، وشَهِدَ عندَ ابنِ الدامَغانىِّ فقَبِلَه .

منْصورُ بنُ دُبَيْسِ بنِ علىٍّ بنِ مَزْيَدٍ ، أبو كاملٍ[(٢)] ، الأميرُ بعدَ سَيْفِ الدولةِ صَدَقةَ[(٣)] ، تُوفِّى فى رجَبٍ[(٤)] مِن هذه السنَةِ . وقد كان له شعرٌ وأدَبٌ ، وفيه فضْلٌ ، فمِنْ شعرِه قولُه :

فإن[(٥)] أنا لم أحملْ عظيمًا ولم أَقُدْ ... لُهَامًا ولم أَصْبِرْ على كلِّ[(٦)] مُعْظمِ

ولم أُجِرِ[(٧)] الجانِى وأمنَع حَوْزَه[(٨)] ... غداةَ أُنادَى للفَخارِ فأنْتمِى

فلا نَهَضَتْ بى هِمَّةٌ عربيَّةٌ ... إلى المجْدِ [(٩)]تُدْلى لى[(٩)] ذُرَى كلِّ مَحْرَمِ[(١٠)]

---

(١) فى الأصل : « أبى الرجحى » ، وفى خ ، م : « الرجيحى » . وانظر ترجمته فى المنتظم ١٦/ ٢٥٢.

(٢) المنتظم ١٦/ ٢٥٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٩١، والكامل ١٠/ ١٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٨٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٢. وقد ذُكِر فى الوفيات والكامل وتاريخ الإسلام ، أن وفاة منصور كانت فى سنة تسع وسبعين.

(٣) فى خ ، م : « كان كثير الصلاة والصدقة » . والمثبت ظاهره أن منصور بن دبيس تولى الإمارة بعد ابنه صدقة ، وهذا غير صحيح ، فالثابت أن صدقة هو الذى تولى بعد وفاة أبيه منصور ، كما فى مصادر ترجمته . وانظر ما سيأتى فى ص ١٠٣ .

(٤) المذكور فى الوفيات والكامل أنه توفى فى ربيع الأول .

(٥) فى الأصل ، خ ، ص : « إذا » . والمثبت موافق لما فى الكامل .

(٦) فى الكامل : « فعل » .

(٧) فى الأصل : « أقبل » وفى خ ،م : « أحجز » . والمثبت موافق لما فى الكامل .

(٨) فى النسخ : « جوره » . والمثبت من الكامل .

(٩ - ٩) فى م ، خ : « ترقى بى » ، وفى ص : « ترقى فى » .

(١٠) فى الأصل : « مخدم » . وهذا البيت ليس فى الكامل .

هِبَةُ اللَّهِ (1 **بنُ عبدِ اللَّهِ** 1) **بنِ أحمدَ ، السِّيبيُّ** (2) ، (3 قاضى الحريمِ بنَهْرِمُعَلَّى ، و 3) مُؤَدِّبُ الخليفةِ المقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ ، سمِع الحديثَ ، وتُوفِّى فى محرَّمِ هذه السنَةِ ، وقد جاوزَ الثمانينَ ، وله شعرٌ جيِّدٌ ، فمِنْه قولُه (4) :

رجَوْتُ الثمانينَ مِن خالِقى ... لِما جاءَ فيها عنِ المُصْطَفَى
فَبَلَّغَنِيها فشُكرًا له ... وزادَ ثلاثًا بها أرْدَفا
(5 وإنِّى لَمُنْتَظِرٌ 5) وَعْدَهُ ... لِيُنْجِزَهُ فهْو أهلُ الوَفَا

(1 - 1) سقط من النسخ ، والكامل ١٠/ ١٤٦، والمثبت من مصادر ترجمته ، وانظر : الأنساب ٣/ ٣٥٥، والمنتظم ١٦/ ٢٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٥٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٢.

(٢) فى الأصل : « السبتى » ، وفى خ : « السنى » . وانظر الأنساب ٣/ ٣٥٤.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، خ ، ص .

(٤) الأبيات فى المنتظم ١٦/ ٢٥٣، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٢.

(٥ - ٥) فى مصدرى التخريج : « وهاأنا منتظر » .

ثم دخلت سنة تِسْعٍ وسَبْعِينَ وأرْبَعِمائَةٍ

فيها[(١)] كانتِ الوَقْعَةُ بينَ تُتُش صاحبِ دِمَشْقَ وبينَ سليمانَ بنِ قُتْلُمِش صاحبِ حَلَبَ وأنْطَاكِيَةَ وتلك الناحيةِ، فانْهزَمَ أصْحابُ سليمانَ وقتَل هو نفْسَه بخَنْجَرٍ كانت معه، فسارَ السلطانُ مَلِكْشَاه مِن أَصْبهانَ إلى حَلَبَ فَمَلَكَها، وملَك ما بينَ ذلك مِنَ البلادِ التى مرَّ بها؛ وهى حَرَّانُ والرُّهَا وقلْعةُ جَعْبَرٍ[(٢)]، وكان جعبرٌ شيْخًا كبيرًا أَعْمَى، وله وَلَدان، وكان قُطَّاعُ الطريقِ يلْجَئون إليها فيتحصَّنُونَ بها، [(٣)]فراسلَ السلطانُ [(٤)]جعبرَ بنَ سابقٍ[(٤)] فى تسْليمِها فامْتَنعَ عليه، فنَصَبَ عليها المجانِيقَ والعَرَّادَاتِ، ففتَحها وأمَر بقَتْلِ صاحبِها سابقٍ، فقالَتْ زوجتُه: لا تقْتُلْه حتى تَقْتُلَنِى معه. فألْقَاه مِن ورائِها فتكَسَّرَ، ثم أمَر بتَوْسِيطِه[(٥)] بعدَ ذلك[(٣)]، فألقَتِ المرأةُ نفسَها وراءَه فسَلِمَتْ، فَلَامَها بعضُ الناسِ فى ذلك فقالتْ: كَرِهتُ أنْ يَصِلَ إلىَّ التركىُّ فيَبْقَى ذلك عارًا علىَّ. فاسْتَحْسَن مِنها ذلك، واسْتَنابَ السلطانُ على حَلَبَ قسيمَ الدولةِ آقْ سُنْقُرَ التُّرْكىَّ، وهو جدُّ نُورِ الدينِ الشهيدِ، واستَناب على الرَّحْبةِ وحَرَّانَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٥٥، والكامل ١٠/ ١٤٧.

(٢) قلعة جعبر على الفرات مقابل صفين. معجم البلدان ٤/ ١٦٤.

(٣ - ٣) فى الأصل: «فقتله السلطان».

(٤ - ٤) فى خ، م والمنتظم ١٦/ ٢٥٧: «سابق بن جعير»، وفى ص: «سابور بن جعبر». والمثبت من وفيات الأعيان ١/ ٣٦٣. وانظر ما سيأتى فى ص ١٠٥.

(٥) وسَّطه توسيطا: قطعه نصفين. تاج العروس (و س ط).

والرَّقَّةِ وسَروجَ والخابورِ محمدَ بنَ شرَفِ الدولةِ مسلمٍ، وزوَّجه بأُخْتِه زُلَيْخا خاتُونَ. وعزَل فخرَ الدولةِ بنَ جَهيرٍ عن دِيارِ بَكْرٍ، وسلَّمها إلى العميدِ أبى علىٍّ البَلْخِىِّ، وخلَعَ على سيفِ الدولةِ صَدَقَةَ بنِ منصورِ بنِ دُبَيْسٍ الأسَدِىِّ، وأَقَرَّه على عملِ أبيه. ودخَل بَغْدادَ فى ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنةِ، وهى أوَّلُ دَخْلَةٍ دخَلها، فزارَ المشاهِدَ والقُبورَ ودخَل على الخليفةِ فقبَّل يدَه ووضَعها على عَيْنَيْه، وخلَع عليه الخليفةُ خِلْعَةً سَنِيَّةً، وفوَّضَ إليه أُمورَ الناسِ، واسْتَعرضَ الخليفةُ أُمراءَه ونظامُ المُلكِ واقفٌ بينَ يدَىِ الخليفةِ، يَعرِّفُه بالأُمراءِ واحدًا واحدًا، باسْمِه وكَمْ جيْشُه وأقْطاعُه، ثم أفاضَ عليه الخليفةُ خِلْعةً سنيةً، وخرَج مِن بينِ يَدَيْه فنزَل بمدرستِه النِّظامِيَّةِ، ولم يكُنْ رَآها قبلَ هذه السنةِ، فاسْتَحسنَها إلَّا أنَّه اسْتَصْغَرها، واسْتَحسنَ أهلَها ومَن بها مِن الجماعةِ، رحِمه اللَّهُ على ذلك، وسألَ اللَّهَ أنْ يجعَلَ ذلك خالِصًا لوَجْهِه الكريمِ، ونزَل بخِزانَةِ كتُبِها وأمْلَى جُزءًا مِن مَسْمُوعاتِه، فسَمِعَه المُحَدِّثُونَ منه.

وورَدَ الشيخُ أبو القاسمِ، علىُّ بنُ (١) أبى يَعْلَى (١) الحُسَيْنِىُّ (٢) [٩/٢٠٢ظ] الدَّبوسِىُّ إلى بَغْدادَ فى تَجَمُّلٍ عظيمٍ، فرَتَّبه مدرِّسًا بالنِّظامِيَّةِ بعدَ أبى سعدٍ المُتَوَلِّى.

وفى رَبيعٍ الآخرِ فُرِغَتِ المَنارَةُ بجامِعِ القصرِ وأُذِّنَ فيها. وفيها كانتْ زلازلُ هائلةٌ بالعراقِ والجزيرةِ والشامِ، فهدَّمَتْ شيئًا كثيرًا مِن العُمْرانِ، وخرَج أكثرُ الناسِ إلى الصحراءِ ثم عادوا.

(١ - ١) فى النسخ: «الحسين». والمثبت من الكامل ١٠/ ١٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٣٢. وانظر الأنساب ٢/ ٤٥٥، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٩١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٢٩٦.

(٢) فى م والكامل: «الحسنى».

وحجَّ بالناسِ الأميرُ خُمارْتِكِينُ الحَسَنانيُّ ، وقُطِعتْ خطبةُ المصريينَ مِن مَكَّةَ والمدينةِ ، وقُلِعتِ الصفائحُ التى على بابِ الكَعْبَةِ التى عليها ذكرُ المصرىِّ ، وجُدِّدَ غيرُها عليها اسمُ المُقْتَدِى .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] : وظهَر رجلٌ بينَ السِّنْدِيَّةِ[2] ووَاسِطٍ يقطَعُ الطريقَ وهو مقْطوعُ اليدِ اليُسْرَى ، [3]يفتَحُ القُفْلَ فى أسْرَعِ مدةٍ[3] ، ويغُوصُ دِجْلَةَ فى غَوْصَتَيْنِ ، ويقفِزُ القَفْزَةَ [4]خمسةً وعِشْرينَ[4] ذِراعًا ، ويتَسلَّقُ الحِيطانَ المُلْسَ ، ولا يقدِرُ عليه أحدٌ ، وخرَجَ مِنَ العراقِ سالمًا . قال : وفيها تُوفِّى فقيرٌ يسأَلُ الناسَ بجامعِ المنصورِ ، فوُجِدَ فى مُرَقَّعَتِه سِتُّمائَةِ دينارٍ مغْرِبيَّةٍ . قال : وفيها عمِلَ سيفُ الدولةِ صَدَقةُ سِماطًا للسلطانِ جَلالِ الدولةِ أبى الفَتْحِ مَلِكْشَاه ؛ اشْتَمل على ألفِ رأْسٍ مِن الغَنَمِ ، ومائةٍ مِن الجمالِ والخيلِ وغيرِها ، ودخَله عشرون ألفًا مَنًّا مِن السكرِ ، وقد علَّق عليه مِن أصْنافِ الطُّيورِ والوُحوشِ المنفوخةِ مِن السكرِ شىءٌ كثيرٌ ، فتناولَ السلطانُ منه شيئًا يسيرًا ، ثم أشارَ فانْتُهِبَ عن آخِرِه ، ثم انتقَلَ مِن ذلك المكانِ إلى سُرادِقٍ عظيمٍ لم يُرَ مثلُه مِنَ الحريرِ ، وفيه خَمْسُمِائَةِ قطعةٍ مِن الفضةِ ، وألوانٌ مِن تماثيلِ النَّدِّ والمِسْكِ والعَنْبَرِ وغيرِ ذلك ، فمدَّ فيه سِماطًا خاصًّا ، فأكَلَ السلطانُ حينَئِذٍ ، وحمَلَ إليه عِشْرينَ ألفَ دينارٍ ، وقدَّمَ له ذلك السُّرادقَ بكَمالِه ، وانْصرَفَ .

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٦٠، ٢٦١.

(٢) فى المنتظم : « ديار بنى أسد » .

(٣ - ٣) كذا فى النسخ . وفى المنتظم : « كان يقع على القَفَل بنفسه فيقتل ويُمثِّل ويأخذ المال » . فى اللسان (ق ف ل) : ورجل قافل من قوم قُفَّال والقَفَل اسم للجمع . وهم القفل بمنزلة القَعَد اسم يلزمهم .

(٤ - ٤) كذا فى النسخ ، وفى المنتظم : « خمسة عشر » .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الأميرُ جَعْبَرُ بنُ سابقٍ القُشَيْرِىُّ[1] ، الملقَّبُ سابقَ الدينِ ، كان قد تَمَلَّكَ قلعةَ جَعْبَرٍ مدةً طويلةً فنُسِبَتْ إليه ، وإنَّما كان يقالُ لها قبلَ ذلك : الدَّوْسَرِيَّةُ . نِسْبَةً إلى غلامِ النُّعْمانِ بنِ المُنْذِرِ ، ثم إنَّ هذا الأميرَ كبِرَ وعَمِىَ ، وكان له وَلَدانِ يقْطَعانِ الطريقَ ، فاجْتازَ به السلطانُ مَلكْشَاه بنُ ألبِ أرْسَلانَ السَّلْجُوقىُّ وهو ذاهبٌ إلى حَلَبَ ؛ ليأخذَها فاستنزَله مِنها وقتَله ، وأخَذها مِنهم فى هذه السنةِ .

الأميرُ خُتْلُغُ[2] أميرُ الحاجِّ ؛ كان مُقْطَعًا الكوفَةَ ، وله وقْعاتٌ مع العرَبِ أعْربَتْ عن شجاعتِه ، وأرْعبَتْ قلوبَهم ، وشرَّدتهم فى البلادِ شَذَرَ مَذَرَ ، وقد كان حسنَ السيرةِ مُحافِظًا على الصلواتِ ، كثيرَ التلاوةِ ، وله آثارٌ حسنةٌ بطريقِ مَكَّةَ فى إصْلاحِ المَصانعِ والأماكنِ التى يُحْتاجُ إليها ، وله مدرسةٌ على الحنفِيَّةِ بمشْهَدِ يُونُسَ بالكُوفَةِ ، وبنَى مسجدًا بالجانبِ الغربىِّ مِن بَغْدادَ على دِجْلَةَ ، بمَشْرَعَةِ الكَرْخِ . وكانت وفاتُه فى جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنةِ ، رحِمهُ اللَّهُ ، ولَمَّا بلَغ نظامَ المُلكِ وفاتُه قال : ماتَ ألفُ رجلٍ .

علىُّ بنُ فَضَّالٍ المُجاشعىُّ[3] ، أبو الحسنِ[4] النحوىُّ المَغْرِبىُّ[5] ، له المصنَّفاتُ

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٣٦٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٦٣، والوافى بالوفيات ١١/ ٨٤.

(٢) المنتظم ١٦/ ٢٦٢، والكامل ١٠/١٦٣ (وفيات سنة ثمانين)، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٣.

(٣) فى م : «المشاجعى». وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٦٣، ومعجم الأدباء ١٤/ ٩٠، وإنباه الرواة ٢/ ٢٩٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٧٠.

(٤) فى النسخ : «على». والمثبت من مصادر ترجمته، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ٢٤.

(٥) فى الأصل، ص: «المعرى»، فى خ : «اللغوى». وانظر معجم الأدباء ٤/ ٩٨.

الدالَّةُ على علْمِه وغَزارَةِ فَهْمِه ، وأسنَد الحديثَ . وكانت وفاتُه فى ربيعٍ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ ، ودُفِنَ بباب أبْرَزَ .

عليُّ بنُ أحمدَ التُّسْتَرِيُّ[1] ، كان مُقَدَّمَ أهلِ البَصْرَةِ فى المالِ والجِدَةِ ، وله مراكبُ تعْمَلُ فى البحرِ . [٩/٢٠٣و] قرَأ القرآنَ وسمِع الحديثَ ، وتفَرَّدَ بروايةِ « سُنَنِ أبى داودَ » . وكانت وفاتُه فى رجَبٍ مِن هذه السنةِ .

يَحْيَى بنُ [2]الحسينِ بنِ[2] إسماعيلَ الحُسَيْنيُّ ، كان فقيهًا على مذهبِ زَيْدِ ابنِ عليٍّ ، وعندَه معرفةٌ بالأُصولِ والحديثِ .

---

(١) فى الأصل : « القشيرى » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٦٤، وفيه : محمد بن أحمد ، والكامل ١٠/ ١٥٩، وفيه : أبو على محمد بن أحمد الشيرى ، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٦٩، وشذرات الذهب ٣/ ٣٦٣.
(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٦٦.

ثم دخلت سنة ثمانين وأربَعِمائَةٍ

فى المحرَّمِ منها[1] نُقِل جَهازُ ابنةِ السلْطانِ مَلِكْشَاه إلى دارِ الخلافةِ المكرَّمةِ على مائةٍ وثلاثينَ جَمَلًا مُجلَّلَةً بالدِّيباجِ الرُّومِيِّ ، غالِبُها أوَانى الذهبِ والفِضَّةِ ، وعلى أربعٍ وسبعينَ بَغْلًا مجلَّلةً بأنواعِ الدِّيباجِ الملَكِيِّ ، على ستَّةٍ منها اثْنَا عشَرَ صُنْدُوقًا مِن فضةٍ ، فيها جواهرُ وحُلِيٌّ ، وبينَ يدَيِ البِغالِ ثلاثٌ وثلاثون فَرَسًا عليها مراكبُ الذهبِ مُرَصَّعَةٌ بأنواعِ الجوهرِ ، ومَهْدٌ عظيمٌ مُجَلَّلٌ بالدِّيباجِ الملَكِيِّ عليه صفائحُ الذهبِ مرصَّعٌ بالجوهرِ ، وبعَث الخليفةُ لتلَقِّيهم الوزيرَ أبا شُجاعٍ ، وبينَ يدَيْه نحوٌ مِن ثَلاثِمِائةٍ مَوكبيَّةٍ غيرَ المشاعلِ لخدْمَةِ الستِّ خاتُونَ امرأةِ السلطانِ تركان خاتُونَ ، حماةِ الخليفةِ ، وسألَها أنْ تحملَ الودِيعةَ الشريفةَ إلى دارِ الخلافةِ ، فأجابَتْ إلى ذلك ، فحضَر الوزيرُ نظامُ المُلكِ وأعْيانُ الأُمراءِ ، وبينَ أيْدِيهم مِن الشموعِ والمشاعلِ مالا يُحْصَى ، وجاءَتْ نساءُ الأمراءِ ، كلُّ واحدةٍ منهنَّ فى جَماعَتِها وجَوارِيها ، وبينَ أيْدِيهنَّ الشموعُ والمشاعلُ ، ثم جاءَتِ الخاتونُ ابنةُ السلْطانِ زوجةُ الخليفةِ - بعدَ الجميعِ - فى مِحَفَّةٍ مجلَّلةٍ ، وعليها مِن الذَّهبِ والجواهرِ ما لَا تُحْصَى قيمتُه ، وقد أحاطَ بالمِحَفَّةِ مائتَا جاريةٍ تُرْكيَّةٍ بالمَراكِبِ المُزَيَّنَةِ يَبْهَرْنَ الأبصارَ ، فدَخلتْ دارَ الخلافةِ على هذه الصِّفةِ ، وقد زُيِّنَ الحريمُ الطاهرُ وأُشْعِلَتْ فيه الشموعُ ، وكانتْ ليْلةً مشهودةً هائلةً جدًّا . فلمَّا كان مِن الغدِ ، أحضَر الخليفةُ أمراءَ السلطانِ ومَدَّ سِماطًا لم يُرَ مثلُه ، عمَّ الحاضِرين

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٦٨، والكامل ١٠/ ١٦٠.

والغائِبين ، وخلَع على الخاتُونِ زوجةِ السلْطانِ ، وكان يومًا مشْهُودًا ، وكان السلطانُ مُتَغَيِّبًا فى الصيدِ ، ثم قدِمَ بعدَ أيامٍ . وكان الدخولُ بها فى أوَّلِ السنَةِ ، فولَدتْ مِن الخليفةِ فى ذى القَعْدَةِ ولدًا ذكرًا زُيِّنَتْ له بَغْدادُ . وفى هذه السنةِ وُلِدَ للسلْطانِ مَلِكْشَاه ولدٌ سمَّاه محمودًا ، وهو الذى ملَك بعدَه . وفيها جعَل السلطانُ ولدَه أبا شجاعٍ أحمدَ وليَّ العهدِ مِن بعدِه ، ولقَّبه مَلِكَ الملُوكِ عَضُدَ الدولةِ وتاجَ المِلَّةِ عُدَّةَ أميرِ المؤمنينَ ، وخُطِبَ له بذلك على منابرِ بغدادَ وغيرِها ، ونثِرَ الذهبُ على الخُطَباءِ عندَ ذكرِ اسمِه .

وفيها شُرِعَ فى بناءِ التاجِيَّةِ ببابِ أبْرَزَ ، وعُمِلَتْ مُسَنَّاةٌ[(١)] ، وغُرِسَتِ النخيلُ والفواكِهُ هُنالِكَ ، وعُمِلَ سورٌ بأمرِ السلطانِ مَلِكشاه .

وحجَّ بالناسِ نجمُ الدولةِ خُمارتِكِينُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

إسْماعيلُ بنُ [(٢)] عبدِ اللَّهِ [(٢)] بنِ مُوسى بنِ سعيدٍ [(٣)] ، أبو القاسمِ الساوىُّ[(٤)] ، رحَل فى الحديثِ إلى الآفاقِ حتى جاوَزَ ما وراءَ النهرِ ، وكان له حظٌّ وافرٌ فى الأدَبِ ، ومعرفةِ العربيَّةِ ، تُوفِّى بنَيْسَابُورَ فى جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ .

---

(١) فى خ ، م : « بستان » ، وكانت هذه المسناة على نهر الزاهر ، انظر المنتظم ١٦/ ٢٧١. والمسناة : سد يبنى لحجز ماء السيل أو النهر ، به مفاتح للماء تفتح على قدر الحاجة . تاج العروس (س ن ى) .

(٢ - ٢) فى النسخ : « إبراهيم » . والمثبت من مصادر ترجمته : المنتظم ١٦/ ٢٧١، والكامل ١٠/ ١٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٨٩، والمنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ص ١٤٢.

(٣) فى الأصل ، ص ، والكامل : « سعد » . وانظر مصادر ترجمته السابقة .

(٤) فى م : « النيسابورى » .

طاهِرُ بنُ الحُسَيْنِ البَنْدَنِيجِيُّ[1] ، أبو الوَفا الشاعرُ المُبَرِّزُ ، له قصِيدَتان فى مَدْحِ نِظامِ المُلكِ ؛ إحْداهما مُعْجَمةٌ ، والأُخْرَى غيرُ مَنْقُوطَةٍ ، أوَّلُها :

لامُوا ولو عَلِمُوا ما اللوْمُ ما لَامُوا وَرَدَّ لَـوْمَـهُـمُ هَـمٌّ وآلامُ

وكانت وفاتُه ببلَدِه فى رمضانَ عن نَيِّفٍ وسَبْعِينَ سنةً .

محمدُ بنُ أميرِ المؤمنينَ المُقْتَدِى (٢**بأمرِ اللَّهِ**٢) ، عرَض له جُدَرِيٌّ فماتَ مِن هذه السنةِ وله تِسْعُ سِنينَ ، [٩/ ٢٠٣ظ] فحزِنَ عليه والدُه والناسُ ، وجلَسُوا للعزاءِ ، فأرسَلَ إليهم يقولُ : إنَّ لنا فى رسولِ اللَّهِ أُسْوَةً حسنَةً ، حين تُوفِّى ابنُه إبراهيمُ ، وقال اللَّهُ تعالَى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] ثم عزَم على الناسِ فانْصرَفُوا راجعين إلى منازِلِهم .

محمدُ بنُ محمدِ بنِ زَيْدِ بنِ عليِّ بنِ مُوسى بنِ جَعْفَرِ بنِ محمدِ بنِ عليِّ ابنِ الحُسَيْنِ بنِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، أبو الحسَنِ الحُسَيْنِيُّ[3] ، المَلَقَّبُ بالمُرْتَضَى ذِى الشَّرَفَيْنِ ، وُلد سنةَ خمسٍ وأرْبَعِمائةٍ ببغدادَ ونشَأ بها ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، وقرَأ بنفْسِه على الشيوخِ ، وصحِبَ الحافظَ أبا بكرٍ الخطيبَ ، فصارَتْ له معرفةٌ جيدةٌ بالحديثِ ، وسمِعَ عليه الخطيبُ شيئًا مِن مَرْوِيَّاتِه ، ثم انتقَل إلى سَمَرْقَنْدَ ، وأمْلَى الحديثَ بأَصْبهانَ وغيرِها . وكان يرجعُ إلى عقلٍ كاملٍ ، وفَضْلٍ ومُروءَةٍ ، وكانتْ له أمْوالٌ جزيلةٌ ، وأمْلاكٌ متَّسِعَةٌ ، ونِعْمَةٌ وافرةٌ ، يقالُ : إنَّه ملَكَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٧١، والكامل ١٠/ ١٦٣.

(٢ - ٢) سقط من : خ ، م . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٧٣.

(٣) المنتظم ١٦/ ٢٧٣، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٢١٢، والمنتخب من السياق ص ٥٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٣١١، والوافى بالوفيات ١/ ١٤٣.

أرْبَعِين قريةً . وكان كثيرَ الصدقةِ والبرِّ والصِّلَةِ للعلماءِ والفقراءِ ، وبَلغَتْ زَكاةُ مالِه الصامتِ عشَرَةَ آلافِ دينارٍ غيرَ زكاةِ العُشورِ ، وكان له بُسْتانٌ ليْسَ لمَلِكٍ مثلُه ، فطلَبَه منه مَلِكُ ما وراءَ النهرِ - واسمُه الخَضِرُ بنُ إبْراهيمَ - عارِيَّةً ليتَنَزَّهَ فيه ، فأبَى عليه وقال : أُعِيرُه إيَّاه ليَشْرَبَ فيه الخمرَ بعدَما كان مأْوَى أهلِ العلمِ والحديثِ والدِّينِ ؟ فأعرَض عنه وحقَد عليه ، ثم اسْتَدْعاه إليه ليَسْتَشِيرَه فى بعضِ الأمورِ على العادةِ ، فلمَّا حضَر عندَه قبَضَ عليه وسجَنَه فى قلْعَتِه ، واسْتَحوذَ على جميعِ أمْلاكِه وحواصِلِه وأمْوالِه ، فكان يقولُ : ما تحقَّقْتُ صحةَ نسَبِى إلَّا بهذه المُصادَرَةِ ، فإنِّى رُبِّيتُ فى النعيمِ ، فكنتُ أقولُ : إنَّ مثْلِى لابُدَّ أنْ يُبْتَلَى . ثم منَعُوه الطعامَ والشرابَ حتى ماتَ - رحِمه اللَّهُ - فى القلعةِ ، فأخرَجوه فدفَنوه هناك ، فقبرُه يُزارُ ، أكرَم اللَّهُ مثواه .

محمدُ بنُ هِلَالِ بنِ (١المحسِّنِ بنِ إبراهيمَ١) ، أبو الحسَنِ (٢بنُ الصابئِ٢) ، المُلَقَّبُ بغرسِ النِّعْمَةِ ، سمِع أباه وأبا علىٍّ بنَ شاذَانَ ، وكانتْ له صدقةٌ ومعروفٌ ، وقد ذَيَّلَ على تاريخِ أبيه الذى ذَيَّلَه على تاريخِ ثابتِ بنِ سنانٍ ، الذى ذيَّلَه على تاريخِ ابنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ ، وقد أنْشأَ دارًا ببَغْدادَ ، ووقَفَ فيها (٣أرْبعَةَ آلافِ٣) مُجلَّدٍ ، فى فُنونٍ مِنَ العُلومِ ، وترَكَ حينَ ماتَ سبعينَ ألفَ دينارٍ ، ودُفِنَ بمَشْهَدِ علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه ورحِمه .

(١ - ١) فى خ ، م : « الحسن » ، وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٧٥، ووفيات الأعيان ٦/ ١٠١ (فى ترجمة أبيه هلال) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٩٨، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٦، وشذرات الذهب ٣/ ٢٧٩.

(٢ - ٢) فى النسخ ، والمنتظم : « الصابى » . والمثبت من تاريخ الإسلام ، وانظر تاريخ بغداد ١٤/ ٧٦، ووفيات الأعيان ٦/ ١٠١، وشذرات الذهب ٣/ ٢٧٨.

(٣ - ٣) فى المنتظم : « أربعمائة » .

هِبَةُ اللَّهِ بنُ عَلِيِّ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ المحلِّي[1] ، أبو نَصْرٍ ، جمَع خُطَبًا ووَعْظًا ، وسمِع الحديثَ على مشايخَ عديدةٍ ، وتُوفِّى شابًّا قبلَ أوانِ الرِّوايَةِ .

أبو بكرِ بنُ عمرَ ، أميرُ المُلَثَّمِينَ[2] ، كان فى أرضِ فَرْغَانَةَ[3] ، اتفَق له مِنَ النَّامُوسِ ما لم يتَّفِقْ لغيرِه مِنَ المُلوكِ ، كان يركَبُ معه إذا سارَ لقتالِ عَدُوٍّ خَمْسُمِائَةِ ألفِ مُقاتلٍ ، كلٌّ يعتقِدُ [٩/ ٢٠٤و] طاعتَه ، وكان يقيمُ الحدودَ ويحفَظُ محارِمَ الإسْلامِ ، ويسيرُ فى الناسِ سيرةً شرعِيَّةً ، مع صحةِ معتقدِه ، ومُوالَاةِ الدولةِ العباسِيَّةِ . أصابَتْه نُشَّابَةٌ فى بعْضِ حروبِه ، فجاءتْه فى حلقِه فقتَلتْه فى هذه السنَةِ .

فاطِمَةُ بنتُ عليٍّ[4] ، المُؤَدِّبَةُ[5] الكاتبةُ ، وتُعرَفُ ببنْتِ الأقْرَعِ ، سمِعتِ الحديثَ مِن أبى عمرَ بنِ مَهْدِيٍّ وغيرِه ، وكانت تكتُبُ المنْسُوبَ[6] على طريقةِ ابنِ البَوَّابِ ، ويكتبُ الناسُ عليها ، وبخَطِّها كانتِ الهُدْنَةُ مِنَ الديوانِ إلى مَلِكِ الرومِ ، وكتَبتْ مرةً إلى عميدِ المُلكِ الكُنْدُرِيِّ[7] رُقْعَةً فأَعْطَاها ألفَ دينارٍ . تُوفِّيتْ فى المحرَّمِ مِن هذه السنةِ ببَغْدادَ ، ودُفِنَتْ ببابِ أبْرَزَ .

---

(١) فى خ ، ص ، م : « المجلى » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٧٦.

(٢) فى الأصل : « المسلمين » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٧٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٦. والملثمون : قوم من المغاربة ملكوا الأندلس . تاج العروس (ل ث م) .

(٣) مدينة كبيرة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان . معجم البلدان ٣/ ٨٧٩.

(٤) المنتظم ١٦/ ٢٧٢، والكامل ١٠/ ١٦٣، وفى سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٩٥ ، والعبر ٣/ ١٣٢: فاطمة بنت الحسن بن على .

(٥) فى المنتظم ،والكامل : « المؤدب » .

(٦) المنسوب : خط منسوب أى ذو قاعدة . التاج (ن س ب) .

(٧) فى خ ، ص ، م : « الكندى » .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة

فيها[1] كانت فتن عظيمة بين الروافض والسنة ببغداد، وجرت خطوب كثيرة. وفى ربيع الآخر[2] أخرجت الأتراك من حريم الخلافة، وهذا فيه قوة للخلافة. وفيها ملك مسعود بن الملك المؤيد بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد غزنة بعد أبيه. وفيها فتح ملكشاه مدينة سمرقند. وحج بالناس الأمير خمارتكين، وممن حج فيها الوزير أبو شجاع، واستناب ولده أبا منصور وطراد بن محمد الزينبي.

وممن توفى فيها من الأعيان:

أحمد بن السلطان ملكشاه[3]، كان ولى عهد أبيه، توفى وعمره إحدى عشرة سنة، فمكث الناس فى العزاء سبعة أيام لم يركب أحد فرسا، والنساء ينحن عليه فى الأسواق، وسود أهل البلاد التى لأبيه أبوابهم.

عبد الله بن محمد بن على بن محمد بن على بن جعفر، أبو إسماعيل الأنصارى الهروى[4]، روى الحديث وصنف، وكان كثير السهر بالليل، وكانت وفاته بهراة فى ذى الحجة عن ست وثمانين سنة.

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٧٧، والكامل ١٠/ ١٦٤.

(٢) فى م: «الأول».

(٣) الكامل ١٠/ ١٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠) ص ٦.

(٤) المنتظم ١٦/ ٢٧٨، وطبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٠٣، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٥٣، والوافى بالوفيات ١٧/ ٥٩٧.

ثم دخلت سنة ثِنْتَيْنِ وثمانين وأرْبَعِمِائَةٍ

فى المحرَّمِ[1] درَّسَ أبو بكرٍ الشَّامِيُّ بالمدرسةِ التاجِيَّةِ ببابِ أبْرَزَ، وكان قد أنشَأها الصاحبُ تاجُ المُلكِ أبو الغنائمِ على الشافعِيَّةِ. وفيها كانتْ فتنٌ عظيمةٌ بينَ الرَّوافِضِ والسُّنَّةِ، ورفَعوا المصاحفَ، وجرَتْ حروبٌ طويلةٌ، وقُتِل خلقٌ كثيرٌ؛ نقَل ابنُ الجَوْزِيِّ فى «المنتظَمِ»[2] مِن خطِّ ابنِ عَقِيلٍ، أنَّه قُتِل فى هذه السنَةِ قريبٌ مِن مِائَتَىْ رجلٍ، قال: وسَبَّ أهلُ الكَرْخِ الصحابةَ وأزْواجَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وارتفَعوا إلى سبِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فلَعْنَةُ اللَّهِ على أهلِ الكَرْخِ الذين فعَلوا ذلك. وإنما حكَيتُ هذا لِيَعْلَمَ الواقفُ عليه ما فى طَوايَا الرَّوافضِ مِنَ الخُبْثِ والبُغْضِ لدينِ الإِسْلامِ وأهْلِه، والعداوَةِ الباطِنَةِ الكامِنَةِ فى قلوبِهم للَّهِ ولرسولِه وشريعَتِه.

وفيها ملَكَ السلْطانُ مَلِكْشَاه ما وراءَ النهرِ وطائفةً كثيرةً مِن تلكَ الناحِيَةِ، بعدَ حروبٍ عظيمةٍ ووقَعاتٍ هائلةٍ. [٩/ ٢٠٤ظ] وفيها اسْتولَى جيشُ المصريِّين على عدَّةٍ مِن بلادِ الشامِ. وفيها عُمِّرَتْ منارَةُ جامعِ حَلَبَ. وفيها أرْسَلَتِ الخاتونُ بنتُ السلْطانِ تشْكُو إلى أبيها إعْراضَ الخليفةِ عنها، فبعثَ إليها أبوها الطواشِيَّ صَوَابًا والأميرَ بَرَّانَ[3] ليُرْجِعَاها إليه، فأجابَ الخليفةُ إلى ذلك، وبعَث

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٨١، والكامل ١٠/ ١٨٠.

(٢) المنتظم ١٦/ ٢٨٣.

(٣) فى خ، م: «مران».

معها بالنقيبِ وجماعَةٍ من أعْيانِ الأُمراءِ ، وخرَج ابنُ الخليفةِ أبو الفَضْلِ والوزيرُ فشَيَّعاها إلى النَّهْرَوانِ وذلكَ فى ربيعِ الأولِ ، فلمَّا وصَلتْ إلى عندِ أبيها تُوفِّيَتْ فى شَوَّالٍ من هذه السنَةِ بأَصْبهانَ ، فعُمِل عزاؤُها ببَغْدادَ سبعةَ أيامٍ ، وأرسَل الخليفةُ إلى السلْطانِ أَميرَين لتَعْزِيَتِه فيها . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ خُمارْتِكينُ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ :

عبدُ الصَّمَدِ بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ[1] ، المعروفُ بظاهرٍ[2] ، النَّيْسابُورِىُّ ، الحافظُ ، رحَل وسمِع الكثيرَ ، وخرَّجَ ، وعاجَله الموتُ فى هذه السنَةِ بهَمَذانَ وهو شابٌّ .

عليُّ بنُ أبى يَعْلَى [3]بنِ زيدٍ[3] ، أبو القاسمِ الدَّبُوسِىُّ ، مدرسُ النِّظامِيَّةِ بعدَ المُتَولِّى ، وقد سمِع شيئًا مِنَ الحديثِ ، وكان فَقِيهًا ماهِرًا ، وجدَلِيًّا باهِرًا .

عاصِمُ بنُ الحسَنِ[4] **بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عاصمِ بنِ مِهرانَ** ، أبو الحُسَيْنِ العاصِمىُّ ، مِن أهلِ الكَرْخِ ، سكَن بابَ الشَّعيرِ ، وُلِد سنةَ سَبْعٍ وتسعين ، وكان مِن أهلِ الفَضْلِ والأدَبِ ، وسمِع الحديثَ مِنَ الخطيبِ وغيرِه ، وكان ثقةً حافظًا ،

---

(١) المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ص ٢٧١ وفيه : « ظاهر بن أحمد » ، ص ٣٥٠ وفيه « عبد الصمد ابن أحمد » ، والمنتظم ١٦/ ٢٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٨٧.

(٢) فى النسخ ، والمنتظم « بطاهر » . والمثبت من المنتخب ص ٣٥٠. وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٥٣.

(٣ - ٣) سقط من : خ ، م . وانظر ترجمته فى : الأنساب ٢/ ٤٥٥، والمنتظم ١٦/ ٢٨٥، والكامل ١٠/ ١٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٩١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٢٩٦.

(٤) فى الأصل ، خ ، ص : « الحسين » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٨٦، والكامل ١٠/ ١٨٠، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٠٧، وشذرات الذهب ٣/ ٣٦٨.

ومِن شعرِه الجيدِ قولُه[1] :

لَهَفِى على قوْمٍ بكِاظِمَةٍ ... ودَّعْتُهم والرَّكْبُ مُعْتَرِضُ
لم تَتْرُكِ العَبَراتُ مُذْ بعُدُوا ... لى مُقْلَةً تَرْنُو وتغتَمِضُ
رحَلُوا (٢ فدَمْعِى واكِفٌ ٢) هَطِلٌ ... جارٍ وقَلْبِى حَشْوُهُ مرَضُ
وتعَوَّضُوا لا ذُقْتُ فَقْدَهُمُ ... عنِّى ومالِى عنْهُمُ عِوَضُ
أقْرَضْتُهم قَلْبِى على ثِقَةٍ ... منهمْ[3] فما رَدُّوا الذى اقْتَرَضُوا

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ حامِدِ بنِ عُبَيْدٍ[4] ، أبو جَعْفَرٍ البُخارِىُّ المتكلِّمُ المعتزِلِىُّ ، أقامَ ببَغْدادَ ويُعرَفُ بقاضى حَلَبَ ، وكان حنَفِىَّ المذهبِ فى الفُروعِ ، مُعْتَزِليًّا فى الأُصولِ ، ماتَ ببَغْدادَ فى هذه السنَةِ ، ودُفِنَ ببابِ حَرْبٍ .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ إسْماعيلَ الأَصْبهانىُّ[5] ، المعروفُ بسَمْكُويَه[6] ، أحدُ الحفَّاظِ الجوَّالِين الرَّحَّالِين ، سمِع الكثيرَ ، وجمَع الكتُبَ ، وأقامَ بهَراةَ ، وكان صالحاً كثيرَ العبادةِ ، تُوفِّى بنَيْسَابُورَ فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنَةِ .

---

(١) المنتظم ١٦/٢٨٧ .
(٢ - ٢) المنتظم : « فطر فى دمعه » .
(٣) فى المنتظم : « بهم » .
(٤) المنتظم ١٦/ ٢٨٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٨٦، وميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٩٥، والجواهر المضية ٣/ ٢٣.
(٥) المنتظم ١٠/ ٢٨٨، والمنتخب من السياق ص ٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٦، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٩٦، والوافى بالوفيات ٢/ ٨٨.
(٦) فى الأصل : « يمسكويه » وفى خ ،م : « بمسلرفة » وفى ص : « بمسلونه » ، والمثبت من مصادر ترجمته .

ثم دَخلتْ سنَةُ ثلاثٍ وثَمانِين وأرْبَعِمائَةٍ

فى المُحرَّمِ[1] ورَدَ الفَقِيهُ أبو عبدِ اللَّهِ الطَّبَرِىُّ بمَنْشورِ نِظامِ المُلْكِ بالتدريسِ بالنِّظاميَّةِ ببغدادَ ، فدرَّسَ بها ، ثم فى ربيعٍ الأولِ ورَد الفقيهُ أبو محمدٍ عبدُ الوهّابِ الشيرازىُّ بمَنْشُورٍ آخرَ منه بالتدريسِ بها ، فاتفَقَ الحالُ على أنْ يدرِّسَ هذا يومًا وهذا يومًا .

وفى جُمادَى الأولَى دَهَمَ أهلَ البَصْرَةِ رجلٌ اسمُه : تِلْيَا[2] ، كان ينظُرُ فى النجومِ ، فاسْتَغْوَى خلقًا مِن أهْلِها ، وزعَم أنَّه المَهْدِىُّ ، وأحرَق مِنَ البَصْرَةِ شيئًا كثيرًا ، منْ ذلك دارُ كُتُبٍ كانت أولَ دارِ كتُبٍ وُقِفَتْ فى الإسْلامِ ، وأتْلَفَ شيئًا كثيرًا مِنَ الدَّواليبِ والمصانعِ ؛ وغيرِ ذلك .

وفيها خُلِعَ على أبى القاسمِ [3]علىِّ بنِ[3] طِرادٍ الزَّيْنَبِىِّ بنِقابَةِ العباسِيِّين بعدَ أبيه . وفيها اسْتُفْتِىَ على مُعَلِّمِى الصِّبْيانِ أنْ يُمنَعُوا مِنَ المساجدِ صِيانةً لها ، ولم يَسْتَثْنِ منهم سِوَى رجلٍ كان فقِيهًا شافعِيًّا يدْرِى كيفَ تُصانُ المساجدُ [٩/٢٠٥و] ، واسْتَدَلَّ المُفْتِى بقولِه عليه الصلاةُ والسلامُ : « سُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ إلَّا خَوْخَةَ أَبى بَكْرٍ »[4] . وحجَّ بالناسِ فيها خُمارْتِكينُ على العادةِ .

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٨٩.

(٢) فى النسخ : « بليا » والمثبت من المنتظم الموضع السابق ، والكامل ١٠/ ١٨٣.

(٣ - ٣) سقط من : م. وانظر المنتظم ١٦/ ٢٨٩.

(٤) تقدم فى ٨/ ٤٢، ٤٣.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الوزيرُ أبو نَصْرِ بنُ جَهِيرٍ ، محمدُ بنُ محمدِ بنِ جَهِيرٍ[1] **، فخرُ الدولةِ ،** أحدُ مشاهيرِ الوزراءِ ، وزَرَ للقائمِ ، ثم لولَدِه المُقْتَدِى ، ثم عزَله مَلِكْشَاه السلطانُ وولَّاه[2] دِيارَ بَكْرٍ وغيرَها ، فماتَ بالمَوْصِلِ فى هذه السنةِ ، وهى البلدُ التى وُلِدَ بها .

---

(١) بعده فى خ ، م : « بن » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٩٠، ووفيات الأعيان ٥/ ١٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٦٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١١٨، وشذرات الذهب ٣/ ٣٦٩.

(٢) بعده فى النسخ : « ولده فخر الدولة » .

ثم دَخلتْ سنَةُ أرْبَعٍ وثَمانِين وأرْبَعِمائَةٍ[1]

فى المحرَّمِ منها كتَب المُنَجِّمُ الذى أحْرَقَ البَصْرَةَ إلى أهلِ وَاسِطٍ يدْعُوهم إلى طاعتِه، ويذكُرُ فى كتابِه أنَّه المَهْدِىُّ صاحِبُ الزمانِ الذى يأمُرُ بالمعروفِ، وينْهَى عنِ المنكرِ، ويهْدِى الخَلْقَ إلى الحقِّ، فإنْ أطَعْتُم أمِنْتُم مِنَ العذابِ، وإنْ عدَلْتُم عنِ الحقِّ خُسِف بكم، فآمِنُوا باللَّهِ وبالإمامِ المَهْدِىِّ.

وفيها أُلزِمَ أهلُ الذِّمَّةِ بلُبسِ الغيارِ وشَدِّ الزُّنَّارِ، وكذلك نساؤهم فى الحمَّاماتِ وغيرِها. وفى جُمادَى الأُولَى قدِمَ الشيخُ أبو حامدٍ محمدُ بنُ محمدٍ الغزَّالىُّ الطُّوسِىُّ مِن أصْبهانَ إلى بَغْدادَ على تدْريسِ النِّظامِيَّةِ بها، ولقَّبَه نظامُ المُلكِ زَيْنَ الدينِ شرَفَ الأئمَّةِ. قال ابنُ الجَوْزِىِّ[2]: وكان كلامُه معسولًا، وذَكاؤه شديدًا. وفى رمضانَ منها عُزِلَ الوزيرُ أبو شجاعٍ عن وزارةِ الخلافةِ، فأنشَد عندَ عزْلِه[3]:

تَـوَلَّاهـا ولـيْـسَ لـهُ عـدُوٌّ وفارَقَها وليْسَ له صديقُ

ثم جاءه كتابُ نِظامِ المُلكِ بأنْ يخرُجَ مِن بَغْدادَ، فخرَج منها إلى عدَّةِ أماكِنَ، فلم تَطِبْ له، فعزَم على الحجِّ، ثم طابَتْ نفْسُ النِّظامِ عليه فبعَث إليه؛

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٩٢، والكامل ١٠/ ١٨٦.

(٢) المنتظم ١٦/ ٢٩٢.

(٣) المنتظم ١٦/ ٢٩٣، والكامل ١٠/ ١٨٧.

يسْأَله أنْ يكونَ عديلَه فى ذلك ، ونابَ ابنُ المُوصَلايَا فى الوزارةِ ، وقد كان أسلَم قبلَ هذه المُباشرةِ فى أوَّلِ هذه السنةِ . وفى رمضانَ دخَل السلطانُ مَلِكْشَاه بَغْدادَ ومعه الوزيرُ نظامُ المُلكِ ، وقد خرَج لتلَقِّيه قاضى القُضاةِ أبو بكرٍ الشامىُّ[1] ، وابنُ المُوصَلايا المُسْلمانىُّ[2] ، وجاءَتْ ملوكُ الأطْرافِ إليه ؛ للسَّلامِ عليه ، منهم أخوه تاجُ الدولةِ تُتُش صاحبُ دِمَشْقَ ، وأتابِكُه قَسِيمُ الدولةِ آقْ سُنقُرُ صاحِبُ حَلَبَ .

وفى ذى القَعْدَةِ خرَج مَلِكْشَاه وابنُه وابنُ ابْنَتِه مِنَ الخليفةِ فى خلقٍ كثيرٍ إلى الكُوفَةِ . وفيها اسْتُوْزِرَ أبو منْصورِ بنُ جَهِيرٍ - وهى النَّوبةُ الثانيةُ لوزارَتِهِ للمُقْتَدِى - وخُلِعَ عليه ، وركِبَ إليه نظامُ المُلْكِ فهنَّأَه فى دارِه ببابِ العامَّةِ . وفى ذى الحِجَّةِ عمِلَ السلطانُ الميلادَ فى دِجْلَةَ ، وأُشْعِلَتْ نيرانٌ عظيمةٌ ، وأُوقِدَتْ شموعٌ كثيرةٌ ، وكانتْ ليلةً مشْهُودةً عجيبةً جدًّا ، وقد نظَمَ فيها الشُّعراءُ الشِّعرَ ، فلمَّا أصْبَحَ النهارُ مِن هذه الليْلَةِ طِيف بالخَبيثِ الداعيةِ المدَّعِى أنَّه المَهْدِىُّ - تِلْيَا المنجِّمِ - على جَملٍ ببَغْدادَ وهو يسُبُّ الناسَ ، والناسُ يلْعَنُونَه ، وعلى رأسِه [٩/ ٢٠٥ظ] طُرطُورٌ بِوَدَعٍ ، والدِّرَّةُ تأخُذُه مِن كلِّ جانبٍ ، ثم صُلِبَ بعدَ ذلك .

وفيها أمَر السلطانُ مَلِكْشَاه جلالُ الدولةِ بعمارةِ جامعِه المنْسُوبِ إليه بظاهرِ السُّورِ . وفى هذه السنةِ ملَكَ أميرُ المسلمينَ يُوسُفُ بنُ تاشُفِينَ صاحبُ بلادِ المغربِ كثيرًا مِن بلادِ الأنْدَلُسِ ، وأسَرَ صاحِبَها المُعْتَمِدَ بنَ عبَّادٍ ، وسجَنه وأهلَه بأغْماتَ[3] ، وقد كان المعتمدُ هذا موْصُوفًا بالكرمِ والأدبِ والحلمِ ، وحُسْنِ

---

(١) فى الأصل : « الساجى » ، وفى خ ، م : « الشاشى » المنتظم ١٦/ ٢٩٣.

(٢) فى الأصل : « السلمانى » .

(٣) سقط من : خ ، م . وأغمات : ناحية فى بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش . معجم البلدان ١/ ٣٢٠.

السِّيرةِ والعِشْرَةِ ، والإحْسانِ إلى الرعِيَّةِ ، والرِّفْقِ بهم ، فحَزِنَ الناسُ عليه ، وقال فى مُصابِه الشعراءُ فأكْثَرُوا .

وفيها ملَكَتِ الفِرَنْجُ مدينةَ صِقِلِّيَةَ مِن بلادِ المغربِ ، وماتَ مَلِكُهم ، فقامَ مِن بعدِه ولَدُه ، فسارَ فى الناسِ سيرةَ ملُوكِ المسلمين ، وأحسَن إليهم كأنَّه منهم .

وفيها كانتْ زلازلُ كثيرةٌ بالشامِ وغيرِها ، فهدَّمَتْ بُنْيَانًا كثيرًا ، وكان مِن جملةِ ذلك تِسْعُونَ بُرْجًا مِن سُورِ أنْطَاكِيَةَ ، وهلَكَ تحتَ الهَدْمِ خلقٌ كثيرٌ . وحجَّ بالناسِ فيها خُمارْتِكِينُ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

عبدُ الرحمنِ بنُ أحمدَ (١**بنِ عَلَّكَ**١) ، أبو طاهرٍ ، وُلِد بأصْبهانَ ، وتفَقَّه بسَمَرْقَنْدَ ، وهو الذى كان سبَبَ فتْحِها على يدِ السلطانِ مَلِكْشاه ، وكان مِن رؤساءِ الشافعيَّةِ ، وقد سمِع الحديثَ الكثيرَ . قال عبدُ الوهَّابِ بنُ مَنْدَه[٢] : لم نَرَ فَقِيهًا فى وقتِنا أنصفَ منه ، ولا أعلمَ ، وكان فصيحَ اللهجةِ كثيرَ المروءةِ غزيرَ النعمةِ ، وكانت وفاتُه ببَغدادَ ، ومشَى الوزراءُ والكُبَراءُ فى جِنازتِه ، غيرَ أن نظامَ المُلكِ ركِب ، واعْتذَر بكِبَرِ السِّنِّ ، ودُفِن إلى جانبِ الشيخِ أبى إسْحاقَ الشِّيرَازىِّ ، وكان يومًا مشهودًا ، وجاء السلطانُ مَلِكْشاه إلى التُّربةِ . قال ابنُ عقيلٍ : جلَسْتُ بكرةَ العزاءِ إلى جانبِ نظامِ المُلكِ ، والملوكُ قيامٌ بينَ يدَيْه ،

(١ - ١) سقط من : خ ، م ، وفى الأصل ، ص : « علل » . وانظر ترجمته فى :المنتظم ١٦/ ٢٩٥، والكامل ١٠/ ٢٠٠، (وفيه عبد الرحمن بن محمد) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٢٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ١٠١، وشذرات الذهب ٣/ ٣٧٢.

(٢) المنتظم ١٦/ ٢٩٦.

اجترَأتْ على ذلك بالعلمِ . حكَاه ابنُ الجَوزيِّ[1] .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ [(٢)]**بنِ حامدٍ**[٢)] ، أبو نصرٍ المَرْوَزِيُّ ، كان إمامًا فى القِراءاتِ ، وله فيها المصنَّفاتُ ، وسافَر فى ذلك كثيرًا ، واتَّفَق أنَّه غرِق فى البحرِ فى بعضِ أسفارِه ، فبَينما الموجُ يرفَعُه ويضَعُه إذْ نظَر إلى الشمسِ قد زالَتْ ، فنوَى الوُضوءَ وانغمَس فى الماءِ ثم صعِد ، فإذا خشبةٌ فرَكِبها وصلَّى عليها ، ورزَقه اللَّهُ السلامةَ ببرَكةِ الصلاةِ[3] ، وعاش بعدَ ذلك دهْرًا ، وتُوفِّى فى هذه السنةِ ، وله نَيِّفٌ وتسعون سنةً .

محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ[4] ، **أبو بكرٍ الناصِحُ** ، الفقيهُ الحنفيُّ المناظِرُ المتكلِّمُ المُعتزِليُّ ، وقد وَلِى القضاءَ بنَيْسابورَ ، ثم عُزِل مِنها بخيانةِ وُكلائِه وأخْذِهمُ الرُّشَا ، ووَلِى قضاءَ الرَّيِّ ، وقد سمِع الحديثَ ، وكان مِن أكابرِ العلماءِ . تُوفِّى فى رجبٍ منها .

أُرْتُقُ بنُ أكْسَبَ[5] **التُّرْكُمانِيُّ** ، جَدُّ الملوكِ الأُرْتُقِيَّةِ الذين همُ اليومَ ملوكُ مَارْدِينَ ، كان شهْمًا شجاعًا عالىَ الهِمَّةِ ، تغلَّب على بلادٍ كثيرةٍ ، وقد ترجَمه ابنُ خَلِّكانَ ، وأرَّخ وفاتَه [٩/٢٠٦و] بهذه السنةِ .

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٩٦.

(٢ - ٢) سقط من : م ، وفى خ : « حماد » وفى ص : « مجاهد » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٩٧، ومعجم الأدباء ١٧/ ٢٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٣٣، والوافى بالوفيات ٢/ ٨٨، وغاية النهاية ٢/ ٧٢.

(٣) فى خ ، م : « امتثاله للأمر واجتهاده على العمل » .

(٤) فى م : « الحسن » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٩٧، والمنتخب من السياق ص ١٤٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٣٦، والجواهر المضية ٣/ ١٨٤.

(٥) فى خ ، م : « ألب » . وانظر ترجمته فى : زبدة الحلب ٢/ ٨٤ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ووفيات الأعيان ١/ ١٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ١٢٣ ، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٣٦ .

ثم دخلت سنة خمسٍ وثمانين وأربعِمائةٍ[1]

فيها أمَر السلطانُ مَلِكْشاه ببناءِ سوقِ المدينةِ المعروفةِ بطُغْرُلْبَك ، إلى جانبِ دارِ المُلكِ ، وجدَّد خاناتِها وأسواقَها ودُورَها ، وأمَر بتَجديدِ الجامعِ الذى تَمَّ على يدِ هارونَ الخادمِ فى سنةِ أربعٍ وعشرين وخمسِمائةٍ ، ووقَف على نَصْبِ قِبْلَتِه بنفسِه ، ومُنَجِّمُه إبراهيمُ حاضِرٌ ، ونُقِلَتْ إليه أخشابُ جامعِ سَامَرَّا ، وشرَع نِظامُ المُلكِ فى بناءِ دارٍ هائلةٍ له ، وكذلك تاجُ الملوكِ أبو الغنائمِ ، شرَع فى بناءِ دارٍ هائلةٍ أيضًا ، واستَوطَنوا البلدَ ، فطابَتْ لهم بغدادُ .

وفى جمادَى الأولَى وقَع حريقٌ عظيمٌ ببَغدادَ فى أماكِنَ شَتَّى ، فما أُطفِئَ حتى هلَك للناسِ شىءٌ كثيرٌ ، فما عَمَّروا بقَدْرِ ما حُرِق وما غرِموا .

وفى ربيعٍ الأوَّلِ خرَج السلطانُ إلى أصْبهانَ[2] ، وفى صحبتِه ولدُ الخليفةِ أبو الفَضْلِ جعفرٌ ، ثم عادَ إلى بغدادَ فى رمضانَ ، فبَينما هو فى الطريقِ يومَ عاشرِه[3] عدَا صبىٌّ مِنَ الدَّيْلَمِ على الوزيرِ نظامِ المُلكِ ، بعدَ أنْ أفْطَر ، فضَرَبه بسكِّينٍ فقضَى عليه ، وأُخِذ الصبىُّ الدَّيْلَمِىُّ فقُتِل . وقد كان مِن كبارِ الوزراءِ ، وخيارِ الأمراءِ ، وسنَذكُرُ شيئًا مِن سيرتِه عندَ ذكْرِ ترجمتِه .

وقدِم السلطانُ بغدادَ فى رمضانَ بنِيَّةٍ غيرِ صالحةٍ ، فلَقَّاه اللَّهُ فى نفْسِه ما

---

(١) المنتظم ٢٩٨/١٦ ، والكامل ٢٠٢/١٠ .

(٢) فى المنتظم ١٦/ ٢٩٩: «أصفهان» . وانظر الكامل ١٠/ ٢١٧.

(٣) سقط من الأصل ، وفى خ : عاشور ، وفى م : « عاشوراء » .

يتمنَّاه لأعْدائِه ؛ وذلك أنَّه لمَّا استقرَّ رِكابُه ببغدادَ ، وجاء الناسُ للسَّلامِ عليه ، والتهنئةِ بقُدومِه ، وأرسَل إليه الخليفةُ يُهنِّئُه ، بعَث إلى الخليفةِ يقولُ له : لابدَّ أنْ تترُكَ لى بغدادَ ، وتتحوَّلَ إلى أىِّ البلادِ شئتَ . فأرسَل إليه الخليفةُ يستَنظِرُه شهرًا ، فقال : ولا ساعةً واحدةً . فأرسَل يتوسَّلُ إليه فى إنظارِه عشَرةَ أيامٍ ، فأجاب إلى ذلك بعدَ تمنُّعٍ شديدٍ ، فما استتَمَّ الأجلُ حتى خرَج السلطانُ يومَ عيدِ الفطرِ إلى الصَّيدِ ، فأصابَتْه حُمَّى شديدةٌ ، فافتصَد ، فما قام منها حتى مات قبلَ العشَرةِ أيامٍ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

فاستَحْوذَتْ زوجتُه زُبَيدةُ خاتون على الجيشِ ، وضبَطتِ الأحْوالَ جيِّدًا ، وأرسَلَتْ إلى الخليفةِ تسأَلُ منه أنْ يكونَ ولَدُها محمودٌ مَلِكًا بعدَ أبيه ، وأنْ يُخطَبَ له على المنابرِ ، فأجابَها إلى ذلك ، وأرسَل إليه بالخِلَعِ ، وبعَث يُعَزِّيها ويُهنِّئُها مع وزيرِه عميدِ الدولةِ ابنِ جَهِيرٍ ، وكان عُمُرُ الملكِ محمودٍ هذا يومَئذٍ خمسَ سنين ، ثم أخَذَتْه والدتُه فى الجيوشِ ، وسارَتْ به نحوَ أصْبهانَ لتُوَطِّدَ له المُلْكَ ، فدخَلوها وتمَّ لهم مرادُهم ، وخُطِب له فى جميعِ البلادِ حتى فى الحرمَيْنِ ، واستُوْزِر له تاجُ المُلْكِ أبو الغنائمِ المرْزُبانُ بنُ خِسْرُو ، وأرسَلتْ أُمُّ الملَكِ محمودٍ تسأَلُ له مِنَ الخليفةِ أن يوَلِّيَه المُلْكَ ، وأن يجعَلَ ولاياتِ العمالِ إليه ، فقال الخليفةُ : هذا لا يُسِيغُه الشرعُ . ووَافَقه الغزَّاليُّ على ذلك ، وأفتَى المُشَطَّبُ[1] بنُ محمدٍ الحنفىُّ بجوازِ ذلك ، فلم يُعمَلْ إلَّا بقولِ الغَزّاليِّ ، وانْحاز أكثرُ جيشِ السلطانِ إلى ابْنِه الآخرِ بَرْكْيارُوقَ ، فبايَعوه وخطَبوا له بالرَّىِّ ، وانفرَدتِ الخَاتونُ وولدُها ومعهم شِرْذِمَةٌ قليلةٌ مِنَ الجيشِ والخاصِّكيَّةِ ، فأنفَقَتْ فيهم ثلاثين ألفَ

---

(١) فى خ ، م : « المتطبب » . وانظر الكامل ١٠/ ٢٢٧، والجواهر المضية فى طبقات الحنفية ٣/ ٤٨٣.

ألفِ دينارٍ لقتالِ بَرْكَيارُوقَ بنِ مَلِكْشَاه ، فالْتَقَوا فى ذى الحِجَّةِ ، فكانتْ خاتونُ هى المنهزمةَ ومعها ولدُها . وقد ثبَت فى « صحيحِ البخاريِّ »[1] : « لن يُفلِحَ قومٌ وَلَّوا أمرَهُمُ امْرأَةً » .

وفى ذى القَعْدَةِ اعترَضتْ بنُوخَفَاجةَ للحَجيجِ ، فقاتَلَهم مَن فى الحَجيجِ مِن الجُندِ مع الأميرِ خُمارْتِكِينَ ، فهزَمُوهم ، ونُهِبَتْ أموالُ الأعْرابِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنةُ .

وفيها جاء بَرَدٌ شديدٌ عظيمٌ بالبصرةِ ، وَزْنُ البَرَدةِ الواحدةِ منه [٩/٢٠٦ظ] خمسةُ أرْطالٍ ، إلى ثلاثةَ عشَرَ رِطْلًا ، فأَتلَفتْ شيئًا كثيرًا مِنَ الأشْجارِ ، وجاءَ ريحٌ عاصفٌ قاصِفٌ فألْقَى عشَراتِ الألوفِ مِنَ النخيلِ أيضًا ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون ، ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] .

وفى هذه السنةِ ملَك تاجُ الدولةِ تُتُش صاحبُ دمشقَ مدينةَ حِمْصَ ، وقلعةَ عِرْقَةَ[2] ، وقلعةَ أفامِيَةَ[3] ، ومعه قَسِيمُ الدولةِ آقْ سُنْقُرُ ، وكان السلطانُ قد جهَّزَ سَرِيَّةً إلى اليمنِ صُحْبةَ سعدِ الدولةِ كُوَهْرائينَ ، وأميرٍ آخرَ مِنَ التُّركمانِ ، فدَخَلاها وأساءَا فيها السِّيرةَ ، فتُوفِّى كُوَهْرائينَ يومَ دخولِه إليها فى مدينةِ عَدَنَ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

---

(١)تقدم فى ٢/ ٣٣١.

(٢) فى الأصل ، خ : « غزنة » . وعرقة : بلدة فى شرقى طرابلس بينهما أربعة فراسخ ، وعلى جبلها قلعة لها . معجم البلدان ٣/ ٦٥٣.

(٣) فى الأصل : « امامية » ، وفى ص : « اقامية » . وانظر الكامل ١٠/ ٢٠٣. وأفامية : مدينة حصينة من سواحل الشام ، وكورة من كور حمص ، ويسميها بعضهم فامية . معجم البلدان ١/ ٣٢٢.

وممَّن توفِّى فيها مِن الأعيانِ :

جعفرُ بنُ يَحيى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، أبو الفَضْلِ التَّمِيميُّ[1] ، المعروفُ بابنِ الحَكَّاكِ المكِّيِّ ، رحَل فى طلَبِ الحديثِ إلى الشامِ والعراقِ وأصْبهانَ ، وغيرِ ذلك مِنَ البلادِ ، وسمِع الكثيرَ ، [2]وخرَّج الأجزاءَ[2] ، وكان حافظًا مُتْقِنًا ، ثقةً ضابطًا أديبًا ، صدُوقًا خيِّرًا ، وكان يتراسَلُ عن صاحبِ مكَّةَ ، وكان مِن ذوِى الهيئاتِ والمُروءَاتِ ، قارَب الثمانين ، رحِمه اللَّهُ .

نظامُ المُلْكِ الوزيرُ[3] هو الحسَنُ بنُ عليِّ بنِ إسْحاقَ بنِ العباسِ ، أبو عليٍّ الوزيرُ ، نظامُ المُلْكِ ، وزَر للمَلكِ ألبِ أرْسَلانَ ، وولَدِه مَلِكْشاه [4]تسعًا وعشرين[4] سنةً ، كان مِن خيارِ الوزراءِ ، وُلِد بطُوسَ[5] فى سنةِ ثمانٍ وأربعِمائةٍ ، وكان أبوه ممَّن يخدُمُ أصحابَ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِينَ ، وكان مِنَ الدَّهَاقِينِ ، فأشْغَل ولدَه هذا ، بقِرَاءةِ القرآنِ وله إحدَى عشْرَةَ سنةً ، وأشْغَله بعلمِ القِراءاتِ والتَّفَقُّهِ على مذهبِ الشافعيِّ ، وسماعِ الحديثِ واللغةِ والنحوِ ، وكان عاليَ الهِمَّةِ فحصَّل مِن ذلك طرَفًا صالحًا ، ثم ترقَّى فى المراتبِ حتى وزَر للسلطانِ ألْبِ أرسَلانَ بنِ داودَ ابنِ ميكائيلَ بنِ سَلْجوقَ ، ثم مِن بعدِه لولدِه مَلِكْشاه لم يُنكَبْ فى شىءٍ منها .

---

(١) فى م : « التممى » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٣٠٢، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٤١، والوافى بالوفيات ١١/ ١٦٧، ومرآة الجنان ٣/ ١٣٨.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، وخرج الأجزاء : أى هى فوائد خرجها ابن الحكاك لأبى الحسين بن النَّقور فى أربعة أجزاء من مسموعاته . انظر الوافى بالوفيات ١١/ ١٦٧.

(٣) المنتظم ١٦/ ٣٠٢، ووفيات الأعيان ٢/ ١٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٤٢، وطبقات الشافعية ٤/ ٣٠٩.

(٤ - ٤) فى الأصل : « ثلاثين » .

(٥) فى الأصل ، ص : « بطرسوس » . وانظر المنتظم ١٦/ ٣٠٢.

وبنَى المدارسَ النِّظاميَّاتِ ببَغدادَ ونَيْسَابُورَ وغيرِهما ، وكان مجلسُه عامِرًا بالفقهاءِ والعلماءِ ، بحيثُ يقْضِى معهم عامَّةَ أوقاتِه ، فقيل له[1] : إنَّ هؤلاءِ قد شغَلوك عن كثيرٍ مِنَ المصالحِ . فقال : هؤلاءِ جمالُ الدنيا والآخرةِ ، ولو أجلَسْتُهم على رأسِى ما استَكْثَرْتُ ذلك . وكان إذا دخَل عليه أبو القاسمِ القُشَيْرِيُّ ، وأبو المعالى الجُوَيْنِيُّ قامَ لهما ، وأجْلَسَهما فى المَسْنَدِ ، فإذا دخَل أبو علىٍّ الفَارْمَذِىُّ قامَ وأجلَسَه مكانَه ، وجلَس بينَ يدَيْه ، فعُوتِب فى ذلك ، فقال[2] : إنَّهما إذا دخَلا علىَّ قالا : أنتَ وأنتَ ، فأزدادُ تِيهًا ، وأمَّا الفَارْمَذِىُّ يذكُرُ لى عيوبِى وظُلْمِى ، فأنكسِرُ وأرجِعُ عن كثيرٍ مِنَ الذى أنا فيه .

وكان محافِظًا على الصلواتِ فى أوقاتِها لا يشغَلُه بعدَ الأذانِ شغلٌ عنها ، وكان يُواظِبُ على صيامِ الاثنينِ والخميسِ ، وله الأوْقافُ الدّارَّةُ ، والصدقاتُ البارّةُ .

وكان يُعظِّمُ الصوفيَّةَ تعْظيمًا زائدًا ، فعُوتِب فى ذلك ، فقال[3] : إنِّى كنتُ أخدُمُ بعضَ الأمراءِ فجاءنى يومًا إنسانٌ ، فقال لى : اخدُمْ مَن تنْفَعُك خدْمَتُه ، ولا تخدُمْ مَن تأكُلُه الكلابُ غدًا . فلم أفهَمْ ما يقولُ ، فاتَّفَق أنَّ ذلك الأميرَ سَكِر تلك الليلةَ ، فخرَج فى أثْناءِ الليلِ وهو ثَمِلٌ ، وكانتْ له كلابٌ تفْتَرِسُ الغرباءَ بالليلِ ، فلم تعرِفْه ومزَّقَتْه ، فأصبَح وقد أكَلتْه الكلابُ ، قال : فأنا أطْلُبُ مثلَ ذلك الشيخِ .

---

(١) المنتظم ١٦/ ٣٠٣، ووفيات الأعيان ٢/ ١٢٨.
(٢) المنتظم ١٦/ ٣٠٣، والكامل ١٠/ ٢٠٩، ووفيات الأعيان ٢/ ١٢٩.
(٣) المنتظم ١٦/ ٣٠٣، ٣٠٤، ووفيات الأعيان ٢/ ١٢٨.

وقد أسمَع الحديثَ فى أماكِنَ شَتَّى ببَغْدادَ وغيرِها ، وكان يقولُ[1] : إنِّى لأعلَمُ بأنِّى لسْتُ أهلًا للرِّوايةِ ، ولكنِّى أحبُّ أنْ أُرْبَطَ فى قطارِ نقَلَةِ حديثِ رسولِ اللَّهِ [٢٠٧/٩و] ﷺ . وقال أيضًا[2] : رأيتُ فى المنامِ إبليسَ فقلتُ له : وَيْحَكَ ، خلَقَكَ اللَّهُ وأمَرَكَ بالسُّجودِ له مُشافَهةً فأبَيْتَ ، وأنا لم يأمُرْنى بالسجودِ وأنا أسجُدُ له فى كلِّ يومٍ مرَّاتٍ ، فأنشَأ يقولُ[3] :

مَن لم يكُنْ للوِصَالِ أهْلًا   فكُلُّ إحْسانِهِ ذُنوبُ

وقد أجلَسه المُقْتدِى مرةً بينَ يدَيْه ، وقال له[4] : يا حسَنُ ، رضِى اللَّهُ عنك برضا أميرِ المؤمنين عنك . وقد ملَك أُلوفًا مِنَ التركِ .

وكان له بنون كثيرةٌ ، وزَر منهم خمسةٌ ؛ وزَر ابنُه أحمدُ للسلطانِ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه ، ولأميرِ المؤمنين المُسْتَرْشِدِ باللَّهِ .

خرَج نظامُ المُلْكِ مع السلطانِ مِن أصْبهانَ قاصِدًا بَغْدادَ فى مُسْتَهلِّ رمضانَ مِن هذه السنةِ ، فلمَّا كان اليومُ العاشِرُ اجْتاز فى بعضِ طريقِه بقريَةٍ بالقُرْبِ مِن نَهاوَندَ وهو يُسايِرُه فى مِحَفَّةٍ ، فقال[5] : قد قُتِل هاهنا خلقٌ مِنَ الصحابةِ زمنَ عُمرَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فطُوبَى لِمَن يكونُ عندَهم . فاتَّفَق أنَّه لمَا أفْطَر جاءَه صبىٌّ فى هيئةِ مُسْتَغيثٍ به ومعه قِصَّةٌ ، فلمَّا انْتَهى إليه ضرَبه بسِكِّينٍ فى فؤادِه وهرَب . فعثَر بطُنُبِ الخَيْمةِ ، فأُخِذ فقُتِل ، ومكَث الوزيرُ ساعةً ، وجاءَه السلطانُ يعودُه فماتَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٣٠٤، ووفيات الأعيان ٢/ ١٢٩.
(٢) المنتظم ٦/ ٣٠٥.
(٣) المنتظم ١٦/ ٣٠٥.
(٤) وفيات الأعيان ٢/ ١٢٨.
(٥) المنتظم ١٦/ ٣٠٥، ووفيات الأعيان ٢/ ١٣٠.

وهو عندَه ، رحِمه اللَّهُ ، وقد اتُّهِم السلطانُ فى أمْرِه أنَّه هو الذى مالأ عليه ، فلم تَطُلْ مدَّتُه بعدَه سوَى خمسةٍ وثلاثين يومًا ، فكان فى ذلك عِبْرَةٌ لأُولِى الألبابِ .

ولمَّا بلَغ أهلَ بغدادَ موتُ النِّظامِ حزِنوا عليه ، وجلَس الوزيرُ والرؤساءُ للعزاءِ ثلاثةَ أيامٍ ، ورَثاه الشعراءُ ، منهم مُقاتِلُ بنُ عطيَّةَ ، فقال[1] :

كان الوزيرُ نظامُ المُلكِ لؤلؤةً يَتيمَةً صاغَها الرحمنُ مِن شرَفِ
عَزَّتْ فلم تعْرِفِ الأيامُ قِيمَتَها فرَدَّها غَيرَةً منهُ إلى الصَّدَفِ

وأثْنَى عليه ابنُ عَقِيلٍ وابنُ الجَوْزِىِّ[2] وغيرُهما ، رحِمه اللَّهُ .

عبدُ الباقى بنُ محمدِ بنِ الحسينِ بنِ داودَ بنِ ناقَيا[3] ، أبو القاسمِ الشاعرُ ، مِن أهلِ الحَرِيمِ الطاهرىِّ[4] ، وُلِد سنةَ عَشْرٍ وأربعِمائةٍ ، وسمِع الحديثَ ، وكان أديبًا شاعرًا ماهرًا ، غيرَ أنَّه رَماه بعضُهم برأىِ الأوائلِ ، (٥وأنَّه قال٥) : فى السماءِ نهرٌ من ماءٍ ونهرٌ مِن لَبَنٍ ، ونَهرٌ مِن خمرٍ ، ونهرٌ مِن عسَلٍ ، وما يسقُطُ مِن ذلك قطرةٌ إلى الأرضِ إلَّا هذا الذى هو يُخرِبُ البيوتَ ويهْدِمُ السُّقوفَ . وهذا الكلامُ كُفْرٌ مِن قائلِه ، لعَنه اللَّهُ ، نقَله عنه ابنُ الجَوْزِىِّ فى « المنتظمِ »[6] .

---

(١) المنتظم ١٦/ ٣٠٧، ووفيات الأعيان ٢/ ١٣٠.
(٢) المنتظم ١٦/ ٣٠٦، ٣٠٧.
(٣) فى الأصل ، خ ، ص : « باقيا » ، وفى م : « ياقيا » . والمثبت من مصادر ترجمته : المنتظم ١٦/ ٣٠٧، والكامل ١٠/ ٢١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٥٠، ولسان الميزان ٣/ ٣٨٤، وميزان الاعتدال ٢/ ٥٣٣.
(٤) فى الأصل ، خ ، م : « الظاهرى » . والحريم الطاهرى : بأعلى مدينة السلام بغداد فى الجانب الغربى منسوب إلى طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق . معجم البلدان ٢/ ٢٥٥.
(٥ - ٥) فى خ ، م : « وأنكر أن يكون » ، وفى ص : « وأنه كان » .
(٦) المنتظم ١٦/ ٣٠٧.

وحُكِى عن بعضِهم أنَّه وجَد فى كَفِّه[1] مكتوبًا حينَ ماتَ هذين البيتين[2] :

نزَلْتُ بجارٍ لا يُخَيِّبُ ضَيْفَهُ   أُرَجِّى نَجاتى مِن عذابِ جَهَنَّمِ
وإنِّى على خَوْفى مِنَ اللَّهِ واثقٌ   بإنْعامِهِ واللَّهُ أكرمُ مُنْعِمِ

مالِكُ بنُ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ إبراهيمَ ، أبو عبدِ اللَّهِ البَانِيَاسِيُّ الشامِيُّ[3] ، وقد كان له اسمٌ آخَرُ سمَّته به أمُّه ؛ عليٌّ أبو الحسنِ ، فغَلَب عليه ما سمَّاه به أبوه ، وما كَنَّاه به ، سمِع الحديثَ على مشايخَ كثيرةٍ ، وهو آخِرُ مَن حدَّث عن أبى الحسنِ بنِ الصَّلْتِ ، هلَك فى حريقِ سوقِ الرَّيْحانيِّين ، وله ثمانٍ وثمانون سنةً ، وكان ثقةً عندَ المحدِّثين .

السلطانُ مَلِكْشَاه[4]

السلطانُ الكبيرُ جلالُ الدولةِ ، أبو الفَتْحِ مَلِكْشاه بنُ أبى شُجاعٍ أَلْبِ أرْسَلَانَ ابنِ داودَ بنِ مِيكَائيلَ بنِ سَلْجوقَ بنِ تُقَاقَ[5] التُّرْكِىُّ ، ملَك بغدادَ - كما ذكَرنا[6] - وامْتَدَّتْ مملكتُه مِن أقصَى بلادِ التُّركِ إلى أقصَى بلادِ اليمنِ ، وراسَله

---

(١) فى خ ، م : « كفنه » .
(٢) المنتظم ١٦/ ٣٠٨، والكامل ١٠/ ٢١٨.
(٣) المنتظم ١٦/ ٣٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٦١، والعبر ٣/ ٣٠٨، وشذرات الذهب ٣/ ٣٧٦.
(٤) الإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٠٥، والمنتظم ١٦/ ٣٠٨، والكامل ١٠/ ٢١٠، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٨٣. وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٦٢.
(٥) فى وفيات الأعيان ٥/ ٢٨٣: « دقاق » ، وفى النجوم الزاهرة ٥/ ١٣٤: « دقمان » ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤١٤.
(٦) تقدم فى ص ٣٧ .

الملوكُ مِن سائرِ الأقاليمِ والأقطارِ ، حتى ملَك الرومَ والخزَرَ[1] واللّانَ[2] ، وكانتْ دولتُه صارمةً ، والطُّرُقاتُ فى أيامِه آمِنةً ، ومع عظمَتِه يقِفُ للمسكينِ والمرأةِ والضعيفِ ، فيقْضِى حوائجَهم . [٢٠٧/٩ظ]

وقد عمَّرَ العماراتِ الهائلةَ ، وبنَى القناطرَ ، وأسْقَط المُكوسَ والضرائبَ ، وحفَر الأنهارَ الكِبارَ الخَرَابَ ، وبنَى مدرسةَ أبى حنيفةَ والسُّوقَ ، وبنَى الجامِعَ الذى يقالُ له : جامعُ السلطانِ . ببَغْدادَ ، وبنَى مَنارَةَ القُرونِ مِن صُيودِه بالكوفةِ ، ومِثْلَها فيما وراءَ النهرِ ، وضبَط ما صادَه بنَفْسِه فى صُيودِه ، فكان نحْوًا مِن عشَرَةِ آلافِ صَيْدٍ ، فتصدَّق بعشَرَةِ آلافِ درهمٍ ، وقال[3] : إنِّى خائفٌ مِنَ اللَّهِ تعالى أنْ أكونَ أزهَقتُ[4] نفسَ حيوانٍ لغيرِ مَأْكَلةٍ .

وقد كانتْ له أفعالٌ حسَنةٌ ، وسِيرَةٌ صالحةٌ ؛ مِن ذلك[5] أنَّ فَلَّاحًا أنْهَى إليه أنَّ غِلمانًا له أخَذوا له حِمْلَ بِطِّيخٍ هو رأسُ مالِه . فقال : اليومَ أرُدُّ عليك حِمْلَك . ثم قال لقَيِّمِه : أُريدُ أن تأتونى اليومَ ببِطِّيخٍ . ففَتَّشُوا ، فإذا فى خَيْمَةِ الحاجبِ بِطِّيخٌ ، فحمَلُوه إليه ، فاسْتَدْعَى الحاجبَ فقال : مِن أين لكَ هذا البِطِّيخُ ؟ قال : جاءَ به الغِلمانُ . فقال : أحْضِرْهم . فذَهَب فهرَّبَهم ، فأرسَل إليه ، فأحْضَرَه وسلَّمَه إلى الفلاحِ ، وقال : خُذْ بيَدِه ؛ فإنَّه مَمْلُوكِى ومَمْلُوكُ أبى ، فإيَّاكَ أنْ تُفارِقَه . فردَّ عليه حِمْلَه ، فخرَج الفلاحُ يحمِلُه وفى يَدِه الحاجبُ ، فاستفدَى نفْسَه منه

---

(١) الخزر : بلاد الترك ، خلف باب الأبواب المعروف بالدَّرْبَنْد ، قريب من سد ذى القرنين . معجم البلدان ٢/ ٤٣٦.

(٢) اللّان : بلاد واسعة فى طرف أرمينية قرب باب الأبواب . معجم البلدان ٤/ ٣٤٣.

(٣) المنتظم ١٦/ ٣٠٩، والكامل ١٠/ ٢١٣، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٨٥.

(٤) فى الأصل : «أهرقت» ، وفى خ : «أرهقت» ، وفى المنتظم ١٦/ ٣٠٩: «إرهاق» .

(٥) المنتظم ١٦/ ٣٠٩، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٨٦.

بثلاثِمائةِ دينارٍ .

ولمَّا توَجَّه لقتالِ أخيه تكشَ[1] ، اجْتازَ بطُوسَ ، فدخَل لزيارَةِ قبرِ عليِّ بنِ موسى الرِّضا ، ومعه نِظامُ المُلكِ ، فلمَّا خرَجا قال للنِّظامِ[2] : بمَ دعَوتَ ؟ قال : دعَوتُ اللَّهَ أنْ يُظفِّرَكَ على أخيكَ . فقال : لكنِّى قلتُ : اللهمَّ إنْ كان أخى أصلَحَ للمسلمين فظَفِّرْه بى ، وإن كنتُ أصلَحَ لهم فَظَفِّرْنى بِه .

وقد سارَ مَلِكشاه هذا بعسْكرِه مِن أصْبهانَ إلى أنْطاكِيَةَ فما عُرِف أنَّ أحدًا مِن جيْشِه ظلَم أحدًا مِن رَعِيَّتِه .

واسْتَعْدَى إليه تُرْكُمانيٌّ أنَّ رجلًا افْتَضَّ بَكارَةَ ابنْتِه ، وهو يريدُ أنْ يمَكِّنَه مِن قتْلِه ، فقال له[2] : يا هذا إنَّ ابنَتَكَ لو شاءَتْ ما مكَّنَتْه مِن نفْسِها ، فإنْ كنتَ لابُدَّ فاعِلًا فاقْتُلْها معه . فسكَت الرجلُ ، ثم قال الملكُ : أوَ خيرٌ مِن ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : فإنّ بكارتَها قد ذهَبت ، فزوِّجْها مِن ذلك الرجلِ وأمْهِرْها مِن بيتِ المالِ كفايتها . ففعَل .

وحكَى له بعضُ الوعَّاظِ أنَّ كِسْرَى اجْتازَ يومًا فى بعضِ أسفارِه بقريةٍ مُنْفَرِدًا مِن جيشِه ، فوقَف على بابِ دارٍ فاسْتَسْقَى ، فأخْرَجَتْ إليه جاريةٌ إناءً فيه ماءُ قصبِ السُّكَّرِ بالثَّلجِ ، فشَرِب منه فأعْجَبه ، فقال[3] : كيف تَصْنَعِين هذا ؟ فقالتْ : إنَّه سهلٌ علَيْنا اعْتِصارُه على أيدينا . فطَلَب منها شربةً أخْرَى ، فذَهَبتْ لتأتِيَه بها فوقَع فى نفْسِه أنْ يأخُذَ هذا المكانَ منهم ويُعَوِّضَهم عنه ، فأبْطَأَتْ عليه ،

---

(١) فى خ ، م : « تتش » . وانظر المنتظم ١٦/ ٣١٠، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٨٥.

(٢) المنتظم ١٦/ ٣١٠.

(٣) المنتظم ١٦/ ٣١٠، ٣١١.

ثم خرَجتْ وليس معها شيءٌ ، فقال : ما لَكِ ؟ فقالتْ : كأنَّ نِيَّةَ سُلْطانِنا تغيَّرَتْ علينا ، فتعَسَّر عليَّ اعْتِصارُه - وهى لا تعرِفُ أنَّه السلطانُ - فقال : اذْهَبى فإنَّك الآنَ تقْدِرين . وغيَّر نِيَّتَه إلى غيرِها ، فذهَبَتْ وجاءَتْه بشَرْبَةٍ أخْرَى سريعًا ، فشرِبَها وانْصرَف . فقال له [٢٠٨/٩و] السلطانُ مَلِكْشاه : هذه تصلُحُ لى ، ولكِن قُصَّ على الرعيَّةِ حِكايةَ كِسْرَى الأخْرَى حينَ اجْتازَ ببُسْتانٍ ، فطَلَب مِن ناطُورِه عُنْقُودًا مِن حِصْرِمٍ ؛ فإنَّه قد أصابَتْه صفراءُ ، وعطشٌ . فقال له النَّاطُورُ : إنَّ السلطانَ لم يأخُذْ حقَّه منه ، فلا أقْدِرُ أنْ أعْطِيَك منه شيئًا . قال : فعجِبَ الناسُ مِن ذكاءِ الملكِ ، وحُسْنِ اسْتِحْضارِه هذه فى مقابلَةِ تلك .

واسْتَعْداه رجلان مِنَ الفلَّاحِين على الأميرِ خُمارْتِكِينَ أنَّه أخَذ منهما مالًا جزيلًا وكسَر ثَنِيَّتَهما ، وقالا[1] : سمِعْنا بعَدْلِكَ فى العالمِ ، فإنْ أقَدْتَنا منه كما أمرَكَ اللَّهُ وإلَّا اسْتَعْدَيْنا عليك اللَّهَ يومَ القيامةِ . وأخَذا برِكابِه ، فنَزَل عن فرَسِه وقال لهما : خُذَا بكُمِّى فاسْحَبانى إلى دارِ نظامِ المُلْكِ . فهَابا ذلك ، فعَزَم عليهما ، ففَعَلا ما أمرَهما به ، فلمَّا بلَغ النِّظامَ مجىءُ السلطانِ إليه خرَج مُسْرِعًا مِن خَيْمتِه ؛ فقال له الملكُ : إنِّى قلَّدْتُكَ الأمرَ لتُنصِفَ المظلومَ ممَّن ظلَمه . فكَتَب مِن فورِه بعزْلِ خُمارْتِكِينَ وحَلِّ أقْطاعِه ، وأنْ يَرُدَّ إليهما أمْوالَهما ، وأنْ يَقْلَعَا ثَنِيَّتَيْه إنْ قامَتْ عليه البيِّنةُ ، وأمَر لهما الملكُ مِن عندِه بمائةِ دينارٍ .

وأسْقَط مرَّةً بعضَ المكوسِ ، فقال رجلٌ مِنَ المُسْتَوفِين[1] : يا سلطانَ العالمِ ، إنَّ هذا يعْدِلُ سِتَّمائةِ ألفِ دينارٍ وأكثرَ . فقالَ : وَيْحَكَ ، إنَّ المالَ مالُ اللَّهِ ، والعِبادَ عبيدُه ، والبلادَ بلادُه ، وإنَّما يبْقَى هذا لى ، ومَن نازَعَنى فى هذا ضرَبتُ عنُقَه .

---

(١) المنتظم ١٦/ ٣١١.

وغنَّته امرأةٌ حسناءُ فطَرِب وتاقَتْ نفْسُه إليها ، فهَمَّ بها ، فقالت[1] : أيُّها المَلِكُ ، إنِّى أغارُ على هذا الوَجْهِ الجميلِ مِن النارِ ، وبينَ الحلالِ والحرامِ كلمةٌ واحدةٌ . فاسْتَدْعَى بالقاضى فزوَّجه بها .

وقد ذكَر ابنُ الجَوْزِىِّ[1] ، عن ابنِ عَقِيلٍ ؛ أنَّ السلْطانَ مَلِكْشاه كان قد فسَدتْ عقيدَتُه بسببِ معاشرَتِه بعضَ الباطِنيَّةِ ، ثم تنَصَّل مِن ذلك وراجَع الحقَّ .

وذُكِر أنَّ ابنَ عَقِيلٍ كتَب له شيئًا فى الدليلِ على إثباتِ الصانعِ . وقد ذكَرْنا[2] أنَّه لمَّا رجَع آخِرَ مرَّةٍ إلى بَغْدادَ عزَم على الخليفةِ أنْ يخرُجَ منها ، فاسْتَنْظَرَه عشَرةَ أيامٍ ، فمَرِض السلطانُ ، وماتَ قبلَ انْقِضاءِ العشَرةِ أيامٍ .

وكانت وفاتُه فى ليلةِ الجُمُعةِ النصفِ مِن شوالٍ عن سبعٍ وثلاثين سنةً وخمسةِ أشهرٍ ، وكانت مدةُ ملْكِه مِن ذلك تِسْعَ عشْرَةَ سنةً وأشهرًا ، ودفِن بالشُّونِيزيَّةِ ، ولم يُصَلِّ عليه أحدٌ لشدَّةِ كِتْمانِ الأمرِ ، وكان مرضُه بالحُمَّى ، وقيل : إنَّه سُمَّ . واللَّهُ أعلمُ .

بانِى التَّاجِيَّةِ ببَغْدادَ

المَرْزُبانُ بنُ خُسْرُو[3] ، تاجُ المُلْكِ ، الوزيرُ أبو الغنائمِ بانى التَّاجِيَّةِ ، التى درَّس فيها أبو بَكْرٍ الشَّاشِىُّ ، وبنَى تربةَ الشيخِ أبى إسْحاقَ ، وقد كان السلطانُ مَلِكْشاه أرادَ أنْ يَسْتَوْزِرَه بعدَ نظامِ المُلْكِ فمات سريعًا ، فاسْتَوْزَر لولدِهِ محمودٍ ، فلمَّا قهَره

---

(١) المنتظم ١٦/ ٣١٢.

(٢) تقدم فى ص ١٢٣ .

(٣) المنتظم ١٦/ ٣١٣، والكامل ١٠/ ٢١٦، ووفيات الأعيان ٢/ ١٣١، ونهاية الأرب ٢٦/ ٣٣٣، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ١٨٩.

أخوه بَرْكْيَارُوقُ قتَله غلْمانُ النِّظامِ وقطَّعُوه إرْبًا إرْبًا فى ذى الحِجَّةِ من هذه السنَةِ .

هِبَةُ اللَّهِ بنُ عبدِ الوارِثِ بنِ علىِّ بنِ أحمدَ بنِ بُورِى(1) ، أبو القاسمِ [٩/ ٢٠٨ظ] الشِّيرَازِىُّ ، أحدُ الرَّحَّالينَ الجوَّالينَ فى الآفاقِ ، وكان حافظًا ثقةً دَيِّنًا وَرِعًا ، حسَنَ الاعْتِقادِ والسيرةِ ، له تاريخٌ حسَنٌ ، ورحَل إليه الطلبةُ مِن بَغْدادَ وغيرِها ، رحِمه اللَّهُ .

(1) المنتظم ٣١٤/١٦، ومختصر تاريخ دمشق ٦٧/٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/١٩، وتذكرة الحفاظ ١٢١٥/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١- ٤٩٠ هـ) ص ١٦٥ .

ثم دخلت سنة سِتٍّ وثمانين وأربعِمائةٍ[١]

فيها قدِم إلى بغدادَ رجلٌ يقالُ له : أرْدَشِيرُ بنُ منصورٍ ، أبو الحسينِ العبَّادِيُّ ، مرْجِعَه مِن الحجِّ ، فنزَل النِّظامِيَّةَ ، فوعَظ الناسَ وحضَر مجلِسَه الغزَّالىُّ مُدرِّسُ المكانِ ، وازدحَم الناسُ فى مجلسِ وعظِه وكثُروا فى المجالسِ بعدَ ذلك ، وترَك كثيرٌ مِن الناسِ معايشَهم ، فكان يحضُرُ مجلِسَه فى بعضِ الأحْيانِ قريبٌ مِن ثلاثين ألفًا مِن الرجالِ والنساءِ ، وتاب كثيرٌ مِن الناسِ ولَزِمُوا المساجدَ وأُريقَتِ الخمورُ وكُسِرَتِ المَلاهِى ، وكان الرجلُ فى نفسِه صالحًا له عباداتٌ وفيه زُهدٌ وافرٌ ، وله أحْوالٌ صالحةٌ ، وكان الناسُ يزْدَحِمُونَ على فَضْلِ وَضوئِه ، ورُبَّما أخَذُوا مِن البِرْكَةِ التى يتوضَّأُ منها للبَرَكةِ .

ونقَل ابنُ الجوزىِّ[٢] ، أنَّه اشْتهَى مرَّةً على بعضِ أصحابِه تُوتًا شامِيًّا وثَلْجًا ، فطافَ البلدَ بكَمالِه فلم يجِدْه ، فرجَع فوجَد الشيخَ فى خَلْوَتِه ، فسأَل : هل جاء اليومَ إلى الشيخِ أحدٌ ؟ فقِيل له : جاءتِ امرأةٌ فقالتْ : إنِّى قد غزَلْتُ بيَدَىَّ غَزْلًا وبِعْتُه ، وأنا أحبُّ أن أشْتَرِىَ للشيخِ طُرْفَةً . فامتنَع مِن ذلك فبكَتْ ، فرَحِمَها وقال : اذْهَبى فاشْتَرى . فقالت : ماذا تشْتَهِى ؟ فقال : ماشِئتِ . فذهَبتْ فأتَتْه بتوتٍ شامىٍّ وثلجٍ ، فأكَلَه .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣، والكامل ١٠/ ٢٢٥.

(٢) المنتظم ١٧/ ٤.

وقال بعضُهم : دخَلْتُ عليه وهو يشرَبُ مَرَقًا ، فقُلْتُ فى نفسى : لَيْتَه أعْطانى فَضْلَه لأَشْرَبَه لحفْظِ القرآنِ ، فناوَلَنى فضلَه فقال : اشْرَبْها على تلك النِّيةِ . قال : فرزَقَنى اللَّهُ حفظَ القرآنِ . وكانت له عباداتٌ ومُجاهداتٌ ، ثم اتُّفِقَ أنَّه تكلَّمَ فى بَيْعِ القُراضَةِ[1] بالصحيحِ ، فمُنِعَ مِن الجلوسِ وأُخْرِجَ مِن البلدِ .

وفى هذه السنةِ خطَب تُتُش بنُ ألب أرْسَلان صاحبُ دمشقَ لنفْسِه بالسلطَنةِ ، وطلَب مِن الخليفةِ أن يُخطَبَ له بالعراقِ ، فحصَل التوَقُّفُ عن ذلك بسبَبِ ابنِ[2] أخيه بَرْكْيارُوقَ بنِ مَلِكْشاه ، فسَار إلى الرَّحْبَةِ وفى صُحْبَتِه وطاعتِه آقْ سُنْقُرُ قسيمُ الدولةِ صاحبُ حَلَبَ ، وبُوزانُ صاحبُ الرُّهَا ، ففتَح الرَّحْبَةَ ، ثم سارَ إلى المَوْصِلِ فأخَذها مِن يَدِ صاحبِها إبراهيمَ بنِ قريشِ بنِ بَدْرانَ ، وهزَمَ جيوشَه مِن بَنى عقيلٍ ، وقتَل خلقًا مِن الأُمراءِ صَبْرًا ، وكذلك أخَذ ديارَ بَكْرٍ ، واسْتَوْزَرَ الكافِىَ بنَ فخرِ الدولةِ بنِ جَهِيرٍ ، وكذلك أخَذ هَمَذانَ وخِلاطَ[3] ، وفتَح أَذْرَبِيجَانَ ، واسْتَفْحَلَ أمرُه ، ثم فارقَه الأميران آقْ سُنْقُرُ وبُوزانُ ، فسَارا إلى الملكِ بَرْكْيارُوقَ وبَقِىَ تُتُشُ وحدَه ، فطَمِعَ فيه [4]ابنُ أخيه[4] بَرْكْيارُوقُ ، فرجَع تُتُشُ فلَحِق قسيمَ الدولةِ آقْ سُنْقُرَ وبُوزانَ ببابِ حَلَبَ فكسَرَهما وأسَرَ بُوزانَ وآقْ سُنْقُرَ ، فصلَبَهما وبعَث برأسِ بوزانَ فطِيفَ به حَرَّانَ والرُّهَا ، وملَكَها مِن بعدِه .

وفيها وقَعتِ الفتنةُ بينَ الروافضِ والسُّنةِ ، وانْتَشَرتْ بينَهم شرورٌ كثيرةٌ .

---

(١) القُراضة : قِطع الذهب أو الفضة . انظر فى بيع القراضة بالصحيح (المقنع والشرح الكبير ومعهما الإنصاف) ١٢/٨٢ - ٨٤، والإقناع لطالب الانتفاع ٢/ ٢٥٣.

(٢) سقط من : خ ، م .

(٣) خلاط : هى قصبة أرمينية الوسطى . معجم البلدان ٢/ ٤٥٧.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص ، وفى خ ، م : «أخوه» . والمثبت من الكامل ١٠/ ٢٢٢.

وفى ثانى شعبانَ وُلِد الخليفةُ[1] المُسْتَرْشِدُ باللَّهِ أبو منْصورِ الفضلُ بنُ أبى العباسِ أحمدَ المُسْتَظْهِرِ، ففرِحَ الخليفةُ ووَلِىُّ عهدِه بالولدِ السعيدِ.

وفى ذى القَعْدَةِ دخَل السلطانُ بَرْكْيارُوقُ بغدادَ، وخرَج إليه الوزيرُ أبو منْصورِ بنُ جَهيرٍ، وهنَّأَه عن الخليفةِ بالقُدومِ.

وفيها أخَذ المُسْتَنْصِرُ العُبَيْدِىُّ مدينةَ صُورَ مِن أرضِ الشامِ. ولم يَحُجَّ فيها أحدٌ مِن أهلِ العراقِ.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

جعفرُ بنُ المقتدِى بأمرِ اللَّهِ[2] مِن الخاتُونِ بنتِ السلطانِ مَلِكْشَاه [٩/٢٠٩و]، فى جُمادَى الأُولَى، وجلَس الوزيرُ للعزاءِ ثلاثةَ أيامٍ.

سُليمانُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ سليمانَ، أبو مسعودٍ الأصْبهانِىُّ[3]، سمِع الكثيرَ، وصَنَّف وخرَّج على الصحيحين، وكانت له معرفةٌ جيِّدةٌ بالحديثِ، سمِع ابنَ مَرْدَوَيْهِ وأبا نُعَيْمٍ والبَرْقانِىَّ، وكتَب عنه الخطيبُ وغيرُه، وكانت وفاتُه فى ذى القَعْدَةِ عن تِسْعٍ وثمانين سنةً.

عبدُ الواحدِ بنُ أحمدَ [4]بنِ الحُصَيْنِ[4] الدَّسْكَرِىُّ[5]، أبو سعدٍ الفقيهُ

---

(١) فى الأصل، خ، م: «للخليفة ولده»، وانظر المنتظم ١٧/ ٥، والكامل ١٠/ ٢٢٦.

(٢) المنتظم ١٧/ ٥، والكامل ١٠/ ٢٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣٢.

(٣) المنتظم ١٧/ ٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢١، المعين فى طبقات المحدثين ٢٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠) ص ١٧٣، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٩٧ وشذرات الذهب ٣/ ٣٧٧.

(٤ - ٤) فى الأصل: «ابن أحمد بن الحصين»، وفى م: «ابن المحسن». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٧/ ٧، والكامل ١٠/ ٢٢٧، وفيه «ابن المحسن»، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٢٢٤، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٥٢٧، وفيهما «ابن الحسين».

(٥) فى الأصل، خ، م: «الدشكرى». والدَّسْكَرى: نسبة إلى الدسكرة، اسم لعدة قرى. انظر معجم البلدان ٢/ ٥٧٥.

الشافعىُّ ، صحِب الشيخَ أبا إسحاقَ الشِّيرَازِىَّ . وروَى الحديثَ ، وكان يقولُ : ما عصَى بَدَنى هذا فى لَذَّةٍ قطُّ . تُوفِّى فى رجَبٍ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن ببابِ حربٍ .

علىُّ بنُ أحمدَ بنِ يُوسُفَ (١**بنِ جعفرٍ**١) ، **أبو الحسنِ الهَكّارِىُّ** ، قَدِم بغدادَ ونَزل فى رِباطِ الزوزنىِّ[٢] ، وكانت له أرْبطَةٌ قدِ ابْتَناها ، سمِع الحديثَ وروَى عنه غيرُ واحدٍ مِنَ الحفَّاظِ ، وكان يقولُ : رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المنامِ فى الرَّوْضَةِ فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أوْصِنى . فقال : عليكَ باعْتِقادِ أحمدَ بنِ حَنبلٍ ، ومذهبِ الشافعىِّ ، وإيَّاكَ ومُجالَسَةَ أهلِ البِدَعِ . وكانت وفاتُه فى المُحرَّمِ مِن هذه السنةِ .

علىُّ بنُ محمدِ بنِ محمدٍ ، أبو الحسنِ الخطيبُ الأنْبَارِىُّ[٣] ، ويُعرَفُ بابنِ الأخضرِ ، سمِع أبا محمدٍ الفَرَضىَّ[٤] ، وهو آخِرُ مَن حَدَّث عنه ، وكانت وفاتُه فى شَوَّالٍ منها عن خمسٍ وتسعين سنةً .

أبو نصرٍ ، ابنُ ماكولا علىُّ بنُ هبةِ اللَّهِ بنِ جعفرِ بنِ عَلّكانَ[٥] **بنِ محمدِ ابنِ دُلَفَ بنِ أبى دُلَفَ** ، الأميرُ أبو نصرٍ وُلِد سنةَ ثِنْتَيْن وأربعِمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ ، وكان مِن الحُفَّاظِ ، وله كتابُ « الإكْمالِ فى المؤتَلِفِ والمُخْتَلِفِ » ، جمَع

(١ - ١) سقط من : خ ، م . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٨٢، والمعين فى طبقات المحدثين ص ٢٠٦.

(٢) فى خ ، م : « الدورى » .

(٣) المنتظم ١٧/ ١٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٦٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٨٥، والمعين فى طبقات المحدثين ٢٠٦، والوافى بالوفيات ٢٢/ ١٣٠.

(٤) فى خ ، م : « الرضى » .

(٥) سقط من : خ ، م ، ص ، وفى الأصل : « على » . والمثبت كما تقدم فى ترجمته ص ٨٣، ضمن وفيات سنة خمس وسبعين وأربعمائة .

بيـنَ كتابِ عبدِ الغَنَىِّ بنِ سعيدٍ وكتابِ الدّارَقُطْنِىِّ وغيرِهما ، وزاد عليهما أشياءَ كثيرةً مُهمَّةً حسنةً مفيدةً نافعةً ، وكان نحْوِيًّا مُبَرَّزًا ، فصيحَ العبارةِ ، حسَنَ الشِّعرِ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] : وسمِعتُ شيخَنا عبدَ الوَهَّابِ يطْعَنُ فى دينِه ويقولُ : العلمُ يَحتاجُ إلى دِينٍ . وقُتِل فى خُوزِسْتانَ فى هذه السنَةِ أو التى بعدَها ، وقد جاوَز الثمانيـن . كذا ذكَره ابنُ الجَوْزِىِّ .

---

(١) المنتظم ١٧/٨.

ثم دخلَتْ سنةُ سبعٍ وثمانين وأربعِمائةٍ[1]

فيها كانت وفاةُ الخليفةِ المُقْتَدِى، وخلافةُ ولَدِه المستظهرِ باللَّهِ.

صِفَةُ موْتِه

لمَّا قَدِم السلطانُ بَرْكْيارُوقُ بغدادَ، سأَلَ مِنَ الخليفةِ أن يكتُبَ له بالسلْطنَةِ كتابًا فيه العهدُ إليه، فكتَب ذلك، وهُيِّئَتِ الخِلَعُ وعُرِضَتْ على الخليفةِ، وكان الكتابُ يومَ الجُمُعةِ الرابعَ عشَرَ مِن المُحرَّمِ، ثم قُدِّمَ إليه الطعامُ فتناوَل منه على العادةِ وهو فى غايةِ الصِّحَّةِ، ثم غسَل يدَه وجلَس ينظُرُ فى العهدِ بعدَ ما وَقَّعَ عليه، وعندَه قَهْرَمانَةٌ تُسمَّى شمسَ النهارِ، قالت: فنظَر إلىَّ وقال: مَن هؤلاءِ الأشْخاصُ الذينَ قد دخَلُوا علينا بغيرِ إذْنٍ؟ قالت: فالْتَفَتُّ فلم أرَ أحدًا، ورأيْتُه قد تغَيَّرَتْ حالَتُه واسْتَرْخَت يَدَاه ورِجْلَاه، وانحَلَّتْ قُواه، وسقَط إلى الأرضِ قالت: فظَنَنْتُ أنَّه غُشِى عليه، فحلَلْتُ أزْرارَ ثيابِه فإذا هو لا يُجِيبُ داعِيًا، فأغلَقْتُ عليه البابَ وخرَجتُ فأعْلَمْتُ ولىَّ العهدِ بذلك، وجاء الأمراءُ ورُءوسُ الدَّولةِ يُعزُّونَه بأبيه، ويُهَنِّئُونَه بالخلافةِ، فبايَعُوه، واللَّهُ تعالى أعلمُ.

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٠، والكامل ١٠/ ٢٢٩.

شىءٌ مِن ترجمةِ المُقْتَدِى بأمرِ اللّهِ[1]

هو أميرُ المؤمنين المقتدِى بأمرِ اللّهِ ، أبو القاسمِ عبدُ اللّهِ بنُ الذَّخِيرةِ[2] بنُ أميرِ المؤمنينَ القائمِ بأمرِ اللّهِ بنِ القادرِ باللّهِ العباسِيِّ ، أمُّه أمُّ وَلَدٍ اسمُها أُرْجوانُ ، أرْمِنيَّةٌ ، أدْرَكَتْ خلافةَ ولَدِها وخلافةَ ولَدِه المُستَظْهِرِ ووَلَدِ ولدِه المُسْتَرْشِدِ أيضًا .
كان المُقْتَدِى أبيضَ ، تامَّ القامَةِ ، حُلْوَ الشمائلِ ، عمَرَتْ فى أيامِه محالُّ كثيرةٌ مِن بغدادَ ، ونَفَى عنها المغنِّياتِ وأرْبابَ المَلاهِى والمعاصِى ، وكان غَيُورًا على حريمِ الناسِ ، آمِرًا بالمعروفِ ناهيًا عن المنكرِ ، حسَنَ السيرةِ والسَّريرةِ ، رَحِمه اللّهُ .
كانت وفاتُه يومَ الجُمُعةِ رابعَ عشَرَ المحرَّمِ مِن هذه السنَةِ ، وله مِن العُمرِ ثَمانٍ وثلاثونَ سنةً وثمانيةُ شُهورٍ وتِسعةُ أيامٍ ، خلافَتُه مِن ذلك [٩/٢٠٩ظ] تِسْعَ عشْرَةَ سنةً وثمانيةُ شهورٍ إلَّا يومَيْن ، وأُخْفِىَ موتُه ثلاثةَ أيامٍ حتى توطَّدتِ البيعةُ لابْنِه المستظهِرِ ، ثم صَلَّى عليه ، ودُفِنَ فى تربَتِهم ، واللّهُ أعلمُ .

خِلافَةُ المستظهِرِ باللّهِ أبى العباسِ أحمدَ

لمَّا تُوفِّى أبوه يومَ الجُمُعةِ أحْضَرُوه وله مِن العُمرِ سِتَّ عشْرَةَ سنةً وشهران ، فبُويِعَ له بالخلافةِ ، فكان أوَّلَ مَن بايعَه الوزيرُ أبو منصورٍ ابنُ جَهيرٍ ، ثم أُخِذَتِ

---

(١) الإنباء فى تاريخ الخلفاء ٢٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢١٠، والوافى بالوفيات ١٧/ ٤٦٧، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٣٩.
(٢) بعده فى م ، خ ، ص : «الأمير ولى العهد أبى العباس أحمد» .

البيعةُ له مِن المَلِكِ ركنِ الدولةِ بَرْكيارُوقَ بنِ السلطانِ مَلِكْشاه ثم مِن بقِيَّةِ الأمراءِ والرُّؤساءِ وصلَّى على الخليفةِ الأمراءُ والوزراءُ، ومن العلماءِ حضَر الغزَّاليُّ والشَّاشِيُّ وابنُ عَقِيلٍ، وبايَعُوه يومَ ذلك، وقد كان المستظهرُ باللَّهِ كريمَ الأخْلاقِ حافظًا للقرآنِ فصيحًا بليغًا شاعرًا مُطبِّقًا، ومن لطيفِ شعرِه قولُه[1]:

أذابَ حَرُّ الجوى فى القلبِ ما خَمدا ... يومًا مدَدْتُ على رَسْمِ الوَداعِ يَدا
فكيف أسْلُكُ نَهجَ الإصْطِبارِ وقد ... أرَى طَرائِقَ فى مَهْوى الهوَى قِدَدا
قد أخْلَف الوعدَ بَدْرٌ قد شغِفتُ بِهِ ... مِن بعدِ ما قد وَفَى دَهْرًا بما وعَدا
إن كنتُ أنقُضُ عهدَ الحبِّ فى خَلَدِى ... مِن بعدِ هذا فلا عايَنْتُهُ أبَدا

وفَوَّضَ المستظهرُ أمورَ الخلافةِ إلى وزيرِه أبى منصورٍ عميدِ الدولةِ ابنِ جَهيرٍ، فدَبَّرَها له أحسنَ تدبيرٍ، ومَهَّد الأمورَ أتمَّ تمهيدٍ، وساسَ الرَّعايا، وكان مِن خيارِ الوزراءِ.

وفى ثالِثَ عشَرَ شعبانَ عزَل الخليفةُ أبا بَكْرٍ الشَّاشِيَّ عن القضاءِ، وفوَّضَه إلى أبى الحسنِ بنِ الدامَغانيِّ.

وفيها وقَعت فتنةٌ بينَ السُّنَّةِ والرَّوافِضِ فأُحْرِقَت مَحالُّ كثيرةٌ، وقُتِل ناسٌ كثيرون، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون.

ولم يَحُجَّ أحدٌ فى هذه السنةِ؛ لاخْتِلافِ السلاطينِ. وكانت الخُطْبَةُ للسلطانِ بَرْكياروقَ ركنِ الدولةِ يومَ الجُمُعةِ الرابعَ عشَرَ مِن المحرَّمِ، هو اليومُ الذى تُوفِّى فيه الخليفةُ المقتدى بأمرِ اللَّهِ بعدَ ما عَلَّم على توْقيعِه.

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٢.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

آقْ سُنْقُرُ الأتابِكُ ؛ الملقَّبُ قَسِيمَ الدولةِ السَّلْجُوقىُّ[1] ، ويُعرَفُ بالحاجِبِ ، صاحِبُ حَلَبَ ودِيارِ بَكْرٍ والجزيرةِ . وهو جدُّ الملكِ نورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى ابنِ آقْ سُنْقُرَ ، وكان أوَّلًا مِن أخصِّ أصحابِ السلطانِ مَلِكْشاه بنِ ألبِ أرْسَلانَ السَّلْجُوقِىِّ ، ثم ترقَّتْ منزلتُه عندَه حتى أعطاه حَلَبَ وأعْمالَها بإشارةِ الوزيرِ نظامِ المُلْكِ وكان مِن أحسنِ الملوكِ سيرةً وأجْوَدِهم سرِيرَةً ، وكانت الرعيَّةُ معه فى أمْنٍ ورُخْصٍ وعدلٍ ، ثم كان موتُه على يَدِ السلطانِ تاجِ الدولةِ تُتُشَ صاحِبِ دمشقَ ؛ وذلك أنَّه استعان به وبصاحِبِ حَرَّانَ والرُّهَا على قتالِ ابنِ أخيه بَرْكْياروقَ بنِ مَلِكْشاه ، ففَرَّا عنه وترَكاه ، فلمَّا تمكَّنَ قاتَلَهما ببابِ حَلَبَ فقتَلَهما وأخَذ بلادَهما ، إلَّا حَلَبَ فإنَّها استقرَّتْ لوَلَدِ آقْ سُنْقُرَ زَنْكِى فيما بعدُ ، وذلك فى سنَةِ ثلاثٍ وعشرين وخَمْسِمائَةٍ كما سيأتِى بيانُه . وذكَرَ ابنُ خَلِّكانَ[2] أنَّه كان مملوكًا للسلطانِ مَلِكْشاه ، هو وبُوزَانُ صاحِبُ الرُّهَا ، فلمَّا ملَك تُتُشُ حَلَبَ اسْتَنابَه بها فعصَى عليه فقصَده وكان قد ملَك دمشقَ أيضًا فقاتَلَه فقتَله فى هذه السنَةِ فى جُمادَى الأُولى منها . فلمَّا قُتِل دفَنه ولَدُه عِمادُ الدينِ زَنْكِى بحَلَبَ ؛ أدْخلَه إليها مِن فوقِ السُّورِ بالمدرسةِ الزُّجاجيَّةِ .

أميرُ الجيوشِ بَدْرٌ الجَمَالىُّ[3] صاحِبُ جيوشِ مِصْرَ، ومُدَبِّرُ المَمالِكِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٣٠، ضمن وفيات سنة تسع عشرة وخمسمائة، والكامل ١٠/ ٢٣٢، ووفيات الأعيان ١/ ٢٤١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٠١.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٢٤١.

(٣) الكامل ١٠/ ٢٣٥، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٣٩، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٣٦، والوافى بالوفيات ١٠/ ٩٥، وقد ذكره الذهبى =

الفاطِميَّةِ ، كان عاقلًا كريمًا محبًّا للعلماءِ ، - ولهم عليه رسومٌ دارَّةٌ -تمكَّن فى أيامِ المستنصرِ تمكُّنًا عظيمًا ، ودارَتْ أزِمَّةُ الأمورِ على آرائِه ، وفتح بلادًا كثيرةً ، وامتدَّتْ أيامُه وحياتُه ، وبَعُد صِيتُه وامْتَدَحَتْه الشعراءُ . ثم كانت وفاتُه فى ذى القَعْدةِ منها ، وقام بالأمرِ مِن بعدِه ولَدُه الأفضلُ .

الخليفةُ المُقْتَدى[1] وقد تقدَّم شىءٌ مِن ترجمتِه .

الخليفةُ المُسْتَنْصِرُ الفاطمىُّ أبو تميمٍ ، مَعدُّ بنُ أبى الحسنِ علىِّ بنِ الحاكمِ[2] ، استمرَّتْ أيامُه ستِّينَ سنةً ، ولم يَتَّفِقْ هذا لخليفةٍ قبلَه ولا بعدَه ، وكان قد عهدِ بالأمرِ إلى ولَدِه نِزارٍ ، فخلَعه الأفضلُ بنُ بَدْرٍ الجَماليِّ بعدَ موتِ أبيه . وبايَع أبا القاسمِ أحمدَ بنَ المستنصِرِ [٩/٢١٠و] أخاه - ولَقَّبه بالمُسْتَعْلِى - فهرَب نِزارٌ إلى الإسكندريَّةِ ، فجمَع الناسَ عليه فبايعوه ، وتولَّى أمْرَه قاضى الإسْكندريَّةِ ؛ جَلالُ الدولةِ بنُ عَمَّارٍ ، فقصَدَه الأفضلُ فقاتَلَه مِرارًا فهزَمهم ، وأسَر القاضىَ ونِزارًا ، فقتَل القاضِىَ وحبَس نِزارًا حتى مات ، واستقرَّ المُسْتَعْلى فى الخلافةِ ، وعمرُه إحْدى وعشرونَ سنةً .

محمدُ بنُ أبى هاشمٍ[3] أميرُ مَكَّةَ ، كانت وفاتُه فيها عن نَيِّفٍ وتسعين سنةً .

= ضمن وفيات سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

(١) تقدمت ترجمته فى ص ١٤١.

(٢) وفيات الأعيان ٥/ ٢٢٩، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٤٠، والمختصر فى تاريخ البشر ٢/ ٢٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٢٧، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٤٠.

(٣) الكامل ١٠/ ٢٣٩، والمختصر فى تاريخ البشر ٢/ ٢٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٢٥، ودول الإسلام ٢/ ١٥، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٧.

محمودُ بنُ السلطانِ مَلِكْشاه[1] ، كانت أمُّه قد عقَدت له المُلْكَ ، وأنفَقَتْ بسَبَبِه الأمْوالَ ، فنازَعه أخوه بَرْكْيارُوقُ فقهَره ، ولزِمَ بلَدَه أَصْبَهانَ ، فماتَ بها فى هذه السنةِ ، وحُمِل إلى بغدادَ فدُفِنَ بها بالتُّربةِ النِّظاميَّةِ ، كان مِن أحسنِ الناسِ وَجْهًا ، وأظرَفِهم شكلًا ، تُوفِّى فى شوَّالٍ منها ، وقد تُوفِّيت أمُّه الخاتونُ تُركان[2] شَاه فى رمضانَ هذه السنةَ .

(١) الكامل ١٠/ ٢٣٤، ومختصر تاريخ دولة سلجوق ص ٧٦.
(٢) فى خ، م: «تركيان»، وانظر المنتظم ١٧/ ١٤، والكامل ١٠/ ٢٤٠.

ثم دخَلَتْ سنَةُ ثَمانٍ وثمانين وأرْبعِمائةٍ[1]

فيها ورَد يوسفُ بنُ أبقِ التُّرْكُمانيُّ مِن جهةِ تاجِ الدولةِ أبى سعيدٍ تُتُشَ بنِ ألب أرسَلان صاحبِ دمشقَ إلى بغدادَ ؛ لأجْلِ إقامَةِ الدعوةِ له ببغدادَ ، وكان تُتُشُ قد توَجَّهَ لقتالِ [2]ابنِ أخيه[2] بناحيةِ الرَّىِّ ، فلمَّا دخَل رسولُه إلى بغدادَ هابُوه وخافُوه واسْتَدْعاه الخليفةُ فقَرَّبَه ، وقبَّلَ الأرضَ بيـنَ يَدِي الخليفةِ ، وتأَهَّبَ أهلُ بغدادَ له ، وخافُوا أن يَنْهَبَهم ، فبينَما هو كذلك ، إذ قدِم عليه أخوه فأخْبَره أنَّ تُتُشَ قُتِل فى أوَّلِ مَن قُتِل فى الوَقْعَةِ . وكانت وفاتُه فى سابعَ عشَرَ صفرٍ مِن هذه السنَةِ ، فاستفحَلَ أمرُ بَرْكِياروقَ ، واستقَلَّ بالأمورِ . وكان دُقاقُ بنُ تُتُشَ مع أبيه حينَ قُتِل ، فسارَ إلى دمشقَ فتسَلَّمها مِن الأميرِ ساوتِكيـنَ الذى استنابَه أبوه ،واسْتَوْزَرَ أبا القاسمِ الخُوارِزْمِيَّ ، [3]وملَك عبدُ اللَّهِ بنُ تُتُشَ مدينةَ حَلبَ ، ودَبَّرَ أمرَ مملَكَتِه جناحُ الدولةِ ، الحسيـنُ بنُ أيْتِكيـنَ ، ورِضوانُ بنُ تُتُشَ صاحبُ مدينةِ حلبَ[4][3] ، وإليه تُنْسَبُ بنُو رِضْوانَ بها . وفى يومِ الجمعةِ التاسِعَ عشرَ مِن

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٥، والكامل ١٠/ ٢٤٤.

(٢ - ٢) فى الأصل، خ ، ص: «أخيه».

(٣ - ٣) كذا فى : الأصل، م ، ص، وفى خ: «وملك عبد اللَّه بن تتش صاحب حماة». والسياق مضطرب؛ فالمذكور فى الكامل ١٠/٢٤٦ - ٢٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣٩، ٤٠: أن الذى ملك حلب هو رضوان بن تتش ، والذى دبر له أمر مملكته جناح الدولة الحسين بن أيتكين ، دونما ذكر لعبد اللَّه بن تتش ، ولم أجد من ولد تتش غير دقاق ورضوان ، كما ذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان ١/ ٢٩٦.

(٤) فى الأصل، ص: «ايضا»، وفى م، خ: «حماة». والمثبت من الكامل ١٠/ ٢٤٦.

ربيعٍ الأوَّلِ منها خُطِب لوليِّ العهدِ أبى المنصورِ ، الفَضْلِ بنِ المُسْتَظْهِرِ ، ولُقِّبَ بذَخِيرَةِ الدينِ .

وفى ربيعِ الآخرِ خرَج الوزيرُ ابنُ جَهيرٍ فاخْتَطَّ سورًا على الحريمِ ؛ وأذِن للعوامِّ فى العملِ والتفرُّجِ فأظْهَرُوا منكراتٍ كثيرةً ، وسَخافاتِ عقُولٍ ضعيفةٍ ، وعمِلُوا أشْياءَ مُنْكرةً ، فبعَث إليه ابنُ عَقِيلٍ رقعةً فيها كلامٌ غليظٌ ، وإنْكارٌ بغيضٌ .

وفى رمضانَ خرَج السلطانُ بَرْكْياروقُ فعدَا عليه فِداوِىٌّ[1] ، فلم يتمَكَّنْ منه ، فمُسِكَ فعُوقِبَ فأقرَّ على آخرَيْن فلم يُقِرَّا فقُتِلَ الثلاثةُ . وجاءَ الطَّواشِىُّ مِن جهَةِ الخليفةِ مهنِّئًا له بالسلامةِ .

وفى ذى القَعْدَةِ منها خرَج أبو حامدٍ الغَزَّالىُّ مِن بغدادَ متوجِّهًا إلى بيتِ المَقْدِسِ تاركًا لتَدْريسِ النِّظامِيَّةِ ، زاهدًا فى الدنْيا ، لابِسًا خشِنَ الثِّيابِ بعدَ ناعِمِها ، ونابَ عنه أخوه فى التَّدريسِ ، وعاد فى السنةِ الثالثةِ[2] مِن خروجِه ثم حجَّ ، ثم رجَع إلى بلدِه ، وقد صَنَّفَ كتابَ « الإحْياءِ » فى هذه المدةِ ، وكان يجتمِعُ إليه الخلقُ الكثيرُ كلَّ يومٍ فى الرِّباطِ فيَسْمَعُونَه .

وفى يومِ عرَفَةَ خُلِع على القاضى أبى الفرَجِ [3]عبدِ الرحمنِ[3] بنِ هِبَةِ اللَّهِ [4]بنِ البُسْتِىِّ[4] ، ولُقِّبَ بشرَفِ القُضاةِ ، ورُدَّ إلى وِلايةِ القضاءِ بالحريمِ وغيرِه .

وفى هذه السنةِ [٩/٢١٠ظ] اصْطَلحَ أهلُ الكَرْخِ من السُّنَّةِ والرافضةِ مع بقيَّةِ

---

(١) فى المنتظم ١٧/١٧، والكامل ١٠/ ٢٥١: « سترى » .

(٢) فى م ، الكامل ١٠/ ٢٥٢: « التالية » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٤٢.

(٣ - ٣) فى المنتظم ١٧/ ١٨: « عبد الوهاب » .

(٤ - ٤) فى المنتظم ١٧/ ١٨: « السيبى » .

المحالِّ ، وتزَاوَرُوا وتواكَلُوا وتشارَبُوا ، وكان هذا مِن العجائبِ . وفيها قُتِل أحمدُ خان[1] صاحبُ سَمَرْقَنْدَ ؛ وسببُه أنَّه شُهِد عليه بالزَّنْدَقةِ فخُنِق ووَلِيَ مكانَه ابنُ عمِّه مسعودٌ .

وفيها دخَل الأتراكُ إفْرِيقِيَّةَ وغدَرُوا بيحيى بنِ تميمِ بنِ المُعِزِّ بنِ بادِيسَ ، وقبَضُوا عليه ، وملَكُوا بلادَه وقتَلُوا خلقًا ، بعد ما جرَتْ بينَهم وبينَه حروبٌ شديدةٌ ، وكان مُقَدَّمَهم رجلٌ يُقالُ له : شاه مَلِكُ ، وكان مِن أوْلادِ بعضِ أمراءِ المشرقِ ، فقَدِم مصرَ وخدَم بها ثم هرَب إلى المغربِ ، ففَعَل ما ذكَرنا . ولم يَحُجَّ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ فى هذه السنةِ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

[2]**أحمدُ بنُ**[2] **الحسنِ بنِ أحمدَ بنِ خَيْرُونَ** ، أبو الفَضْلِ المعروفُ بابنِ البَاقِلَّانىِّ ، سمِع الكثيرَ ، وكتَب عنه الخطيبُ ، وكانت له معرفةٌ جيدةٌ ، وهو مِن الثِّقاتِ ، وشهِد عندَ أبى عبدِ اللَّهِ الدامَغانىِّ ، ثم صارَ أمِينًا له ، ثم وَلِيَ إشرافَ خِزانَةِ الغلَّاتِ . تُوفِّى فى رجَبٍ عن ثِنْتَيْن وثمانين سنةً .

تُتُشُ أبو المُظَفَّرِ ، تاجُ الدولةِ بنُ ألب أرْسَلان بنِ داودَ بنِ ميكائيلَ بنِ سَلْجوقَ[3] ، صاحبُ دمشقَ وغيرِها مِن البلادِ ، وقد كان تزَوَّج أمرُه على ابنِ

---

(1) فى الأصل ، خ ، ص : « ابن خان » ، وفى م : « ابن خاقان » . والمثبت من : الكامل ١٠/ ٢٤٣، والمختصر فى أخبار الشر ٣/ ٢٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣٨، ومرآة الجنان ٣/ ١٤٥، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٧.

(٢ - ٢) زيادة من مصادر ترجمته ، وانظر : سير أعلام النبلاء ١٩/ ١٠٥، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٣١، ومرآة الجنان ٣/ ١٤٧، والوافى بالوفيات ٦/ ٣٢٠.

(3) وفيات الأعيان ١/ ٢٩٥، والمختصر فى تاريخ البشر ٢/ ٢٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٨٣، =

أخيه بَرْكياروقَ بنِ مَلِكْشاه بنِ ألبِ أرسَلانَ ، ولكِنْ قدَّر اللَّهُ وما شاء فعَل ، وقد قال المتنبى[1] :

ولِلَّهِ سِرٌّ فى عُلَاك وإنَّما كلامُ العِدَى ضَرْبٌ مِنَ الهَذَيانِ

قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : كان صاحبَ البلادِ الشرقيةِ فاسْتَنجَدَه أتْسِزُ[3] فى محارَبةِ أميرِ الجيوشِ مِن جهةِ صاحبِ مصرَ ، فلمَّا قدِم دمشقَ لنجْدَتِه وخرَج إليه أتْسِزُ ، أمَر بمَسْكِه وقتلِه ، واسْتَحوَذَ هو على دمشقَ وأعْمالِها فى سنَةِ إحْدَى وسَبْعِينَ ، ثم تحارَبَ هو وابنُ أخيه بَرْكْيارُوقُ ببلادِ الرَّىِّ ، فكسَرَه ابنُ أخيه وقُتِل هو فى المعركةِ ، وتملَّكَ ابنُه رِضوانُ حَلَبَ إلى سنةِ سبعٍ[4] وخمسِمائةٍ ، سمَّتْه أمُّه فى عُنْقُودِ عنبٍ . فقامَ بالأمرِ مِن بعدِه ولَدُه تاجُ المُلْكِ بُورِى أربعَ سنِينَ ، ثم ابنُه الآخرُ شمسُ الملوكِ إسماعيلُ ثلاثَ سنينَ ، ثم قتَلتْه أمُّه أيضًا ، وهى زُمُرُّدُ خاتون بنتُ جاولى ، وأجلَسَتْ أخاه شِهَابَ الدينِ محمودَ بنَ بُورِى ، فمكَث أربعَ سِنِينَ ، ثم ملَك أخوه سنةً ، ثم ملَك محيى الدينِ أبقُ مِن سنَةِ أربعٍ وثلاثينَ إلى أن انْتزَعَ المُلْكَ منه نورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى كما سيأْتى . وكان أتابِكُ العساكِرِ بدمشقَ أيامَ أَبَق معينُ الدينِ ، الذى تُنْسَبُ إليه المُعِينِيَّةُ بالغَوْرِ ، والمدرسةُ المُعِينِيَّةُ بدمشقَ .

رِزْقُ اللَّهِ بنُ عبدِ الوهَّابِ بنِ عبدِ العزيزِ ، أبو محمدٍ التَّمِيمىُّ[5] ، أحدُ

= وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٣٨، ومرآة الجنان ٣/ ١٤٥.

(١) الديوان : ص ٤٧٢.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٢٩٥.

(٣) فى الأصل، ص: «أقسنقر»، وفى خ: «أقسز».

(٤) بعده فى م: «وخمسين».

(٥) طبقات الحنابلة ٢/ ٢٥٠، ومعجم الأدباء ١١/ ١٣٦، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٦٠٩، وتذكرة =

أئمةِ القُرَّاءِ والفقهاءِ - على مذهبِ أحمدَ - والحديثِ ، وكان له مجلسٌ للوعظِ [٩/٢١١و] ، وحلْقَةٌ للفَتْوَى بجامعِ المنصورِ ، ثم بجامعِ القصرِ ، وكان حسنَ الشكلِ محبَّبًا إلى العامَّةِ ، له شِعْرٌ حسنٌ ، وكان كثيرَ العبادَةِ ، فصيحَ العِبارَةِ ، حسنَ المُناظرَةِ . وقد روَى عن آبائِه حديثًا مُسَلْسَلًا إلى عليٍّ بنِ أبى طالبٍ ، كرّم اللَّهُ وجهَه ، أنه قال[1] : هتَف العلمُ العَملَ فإن أجابَه وإلَّا رحَل . وقد كان ذا وَجاهةٍ عندَ الخليفةِ ، بعَثه فى مَهامِّ الرسلِ إلى السلطانِ . وكانت وفاتُه يومَ الثلاثاءِ النصفَ مِن جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنةِ ، عن ثمانٍ وثمانينَ سنةً ، ودُفِنَ بدارِه بِبابِ المراتبِ بإذْنِ الخليفةِ ، وصلَّى عليه ابنُه أبو الفَضْلِ .

أبو يوسفَ[2] القَزْوِينىُّ ، عبدُ السلامِ بنُ محمدِ بنِ يوسفَ بنِ بُنْدارٍ ، شيخُ المعتزِلةِ ، قرَأَ على عبدِ الجَبَّارِ بنِ أحمدَ الهمَذانىِّ ، ورحَل إلى مصرَ ، وأقامَ بها أربعين سنةً ، وحصَّل كُتبًا كثيرةً ، وصنَّفَ تفسِيرًا فى سبعِمائةِ مجلَّدٍ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[3] : جمَع فيه العجَبَ ، وتكلَّم فيه على قولِه تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] فى مجلّدٍ كاملٍ . وقال ابنُ عَقِيلٍ : كان طويلَ اللسانِ بالعلمِ تارَةً ، وبالشِّعرِ أخْرَى ، وقد سمِع الحديثَ مِن أبى عمرَ ابنِ مَهْدِىٍّ وغيرِه ، ومات ببغدادَ عن ستٍّ وتسعينَ سنةً . وما تزوَّج إلّا فى آخرِ عُمرِه .

= الحفاظ ٤/١٢٠٨، ومعرفة القراء الكبار ١/٣٥٦. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٤٢، والوافى بالوفيات ١٤/١١٢.

(١) أخرجه الخطيب البغدادى من طريقه بهذا الإسناد فى : «اقتضاء العلم العمل» . ح (٤٠) .

(٢) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢٥٢/٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/٦١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٥٠، ومرآة الجنان ٣/١٤٧، والنجوم الزاهرة ٥/١٥٦.

(٣) المنتظم ١٧/٢١.

أبو شُجاعِ الوزيرُ، محمدُ بنُ الحسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ إبراهيمَ، أبو شجاعٍ[1]، المُلَقَّبُ ظهيرَ الدينِ، الرُّوذْرَاوِرِيُّ الأصلِ الأهْوَازِيُّ المَوْلِدِ، كان مِن خيارِ الوزراءِ، كثيرَ الصدقةِ والإحْسانِ إلى العلماءِ والفقهاءِ، وسمِع الحديثَ مِن الشيخِ أبى إسْحَاقَ الشِّيرازيِّ وغيرِه، وصنَّف كتُبًا، منها كتابُه الذى ذيَّلَه على «تجاربِ الأممِ». ووزَر للخليفةِ المُقْتَدِى، وكان يملِكُ سِتَّمائةِ ألفِ دينارٍ، فأنفَقها فى سبيلِ الخيْراتِ والصدَقاتِ، ووقَف الوُقوفَ الحسَنةَ، وبنَى المَشاهِدَ، وأكثَرَ الإنْعامَ على الأراملِ والأيْتامِ. قال له رجلٌ[2]: إلى جانبِنا أرْمَلةٌ لها أربعةُ أيتامٍ وهم عُراةٌ وجِياعٌ. فبعَث إليهم مع رجلٍ مِن خاصَّتِه نفقةً وكُسوةً وطَعامًا، ونزَع عنه ثيابَه فى البرْدِ الشديدِ، وقال: واللَّهِ لا ألْبَسُها حتى ترجِعَ إلَيَّ بخبَرِهم، فذهَب الرجلُ مُسرِعًا فقضَى حاجتَهم، وأوصلَهم ذلك الإحسانَ، ثم عاد والوزيرُ يركُضُ من البرْدِ، فلما أخبَره عنهم بما سرَّه لبِسَ ثيابَه. وجِيء إليه مرَّةً بقطائِفِ سكَّرٍ، فلمَّا وُضِعَتْ بينَ يدَيْه تَنغَّصَ عليه بمَنْ لا يقدِرُ عليها، فأرْسَلها كلَّها إلى المساجدِ، وكانتْ كثيرةً جدًّا، فأطْعَمها الفقراءَ والعُمْيانَ.

وكان لا يجلِسُ فى الديوانِ إلَّا وعندَه الفقهاءُ، فإذا وقَع له أمرٌ مُشْكِلٌ سأَلهم عنه فحكَم بما يُفْتُونَه، وكان كثيرَ التواضُعِ مع الناسِ؛ خاصَّتِهم وعامَّتِهم، ثم عُزِل عن الوِزارةِ، فسارَ إلى الحجِّ وجاوَر بالمدينةِ ثم مَرِضَ، فلمَّا ثقُلَ فى المرضِ جاءَ إلى الحُجرةِ النبوِيَّةِ، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ [٩/٢١١ظ] أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٢، وخريدة القصر ١/ ٧٧، ووفيات الأعيان ٥/ ١٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٦٢.

(٢) المنتظم ١٧/ ٢٣، ووفيات الأعيان ٥/ ١٣٧.

لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء: ٦٤] وها أنا قد جئتُك أستغفِرُ اللَّهَ مِن ذنوبى، وأرْجُو شفاعتَك يومَ القيامةِ، ثم ماتَ مِن يومِه ذلكَ، رحِمَه اللَّهُ، ودُفِنَ بالبَقِيعِ.

القاضى أبو بَكْرٍ الشامِىُّ[(١)]، **محمدُ بنُ المُظَفَّرِ بنِ بكرانَ الحموىُّ، أبو بكرٍ الشامِىُّ**، وُلِدَ سنةَ أرْبَعِمِائَةٍ، وتفقَّه ببلدِه، ثم حجَّ فى سنةِ سبعَ عشْرَةَ وأربعِمائةٍ، وقدِمَ بَغْدادَ فتفقَّه على الشيخِ أبى الطَّيِّبِ الطَّبَرِىِّ، وسمِع بها الحديثَ، وشَهِدَ عندَ ابنِ الدَّامَغانىِّ فقَبِلَه، ولازَمَ مسجِدَه خمسًا وخمسينَ سنةً، يُقْرِئُ الناسَ ويُفَقِّهُهم، ولمَّا مات أبو عبدِ اللَّهِ الدَّامَغانىُّ أشارَ به أبو شجاعٍ الوزيرُ، فوَلَّاه الخليفةُ المُقْتَدِى القضاءَ، وكان مِن أنْزَهِ الناسِ وأعَفِّهم، لم يقْبَلْ مِن سلْطانٍ عطيَّةً، ولا مِن صاحبِ هَدِيَّةً، ولم يُغَيِّرْ مَلْبسَه ولا مَأْكلَه، ولم يأخذْ على القضاءِ أجْرًا، ولم يستَنِبْ أحدًا بل كان يباشِرُ القضاءَ بنفْسِه، ولم يُحَابِ مخلُوقًا، وقد كان يضرِبُ بعضَ المُنْكِرينَ؛ حيثُ لا بيِّنَةَ، إذا قامتْ عندَه قرائنُ للتُّهمةِ حتى يُقِرُّوا، ويَذْكُرُ أنَّ فى كلامِ الشافعىِّ ما يدُلُّ على هذا. وقد صنَّف [(٢)]أبو بكرٍ الشاشِىُّ[(٢)] كِتابًا [(٢)]فى الردِّ عليه[(٢)] فى ذلك، ونصَره ابنُ عَقِيلٍ فيما كان يتَعاطَاه مِن الحُكْمِ بالقَرائنِ، واسْتَشهَد له بقولِه تعالَى: ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ ﴾ الآية [يوسف: ٢٦]. وشهِدَ عندَه رجلٌ مِن كبارِ الفقهاءِ والمُناظِرينَ يقالُ له[(٣)]: المُشَطَّبُ بنُ محمدِ[(٤)] بنِ أُسامةَ الفَرْغَانِىُّ، فلم يقبَلْه؛ لِمَا رأَى عليه مِن

---

(١) فى خ، م: «الشاشى». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٧/ ٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٧٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٢٠٢، والوافى بالوفيات ٥/ ٣٤.

(٢ - ٢) سقط من: خ، م. وانظر المنتظم ١٧/ ٢٨.

(٣) المنتظم ١٧/ ٢٩.

(٤) فى م: «أحمد»، وانظر الجواهر المضية ٣/ ٤٨٣.

الحريرِ وخاتَمِ الذهبِ ، فقالَ له المُدَّعِي : إنَّ السلطانَ ووزيرَه نِظامَ المُلْكِ يَلْبَسانِ الحريرَ والذهبَ ، فقال القاضى الشَّامىُّ : واللَّهِ لو شَهِدَا عندى على باقَةِ بَقلٍ ما قَبِلْتُ شَهادَتَهُما[1] .

تُوفِّى يومَ الثلاثاءِ عاشِرَ شعبانَ مِن هذه السنةِ عن ثمانٍ وثمانيـنَ سنةً ، ودُفِنَ بالقُرْبِ مِنَ ابنِ سُرَيْجٍ[2] .

أبو عبدِ اللَّهِ الحُمَيْدِيُّ ، محمدُ بنُ أبى نَصْرٍ فَتُّوحِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حُمَيْدٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ الحُمَيديُّ الأنْدلُسِيُّ[3] ، مِن جَزيرَةٍ - يقالُ لها مَيُورْقَةُ[4] - قريبةٍ من الأنْدَلُسِ . قدِمَ بغْدادَ فسمِعَ بها الحديثَ ، وكان حافظًا مُكْثِرًا ديِّنًا باهرًا ، عفيفًا نَزِهًا ، وهو صاحبُ « الجمعِ بينَ الصحيحَيْن » ، وله غيرُ ذلك مِنَ المصنَّفاتِ ، وقد كتَب مِن مصنَّفاتِ ابنِ حزمٍ والخطيبِ . وكانت وفاتُه ليْلةَ الثلاثاءِ السابعَ عشَرَ مِن ذى الحِجَّةِ ، وقد جاوَز السبعين[5] ، وقَبْرُه قريبٌ مِن قبرِ بِشْرٍ الحافِى ببَغْدادَ .

---

(١) بعده فى خ ، م : « وشهد عنده مرة فقيه فاضل من أهل مذهبه فلم يقبله ، فقال : لأى شىء ترد شهادتى وهى جائزة عند كل حاكم إلا أنت ؟ فقال له : لا أقبل لك شهادة ؛ فإنى رأيتك تغتسل فى الحمام عريانا غير مستور العورة فلا أقبلك » .

(٢) فى م ، ص : « شريح » ، وكذا فى المواضع التالية . وانظر المنتظم ١٦/ ٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٨٨.

(٣) المنتظم ١٧/ ٢٩ ، ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٨٢ ، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٨٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٢٠ ، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢١٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٨٠.

(٤) فى الأصل : « ميرقة » ، وفى خ ، م : « برقة » ، وفى ص : « مرقد » . والمثبت من مصادر ترجمته السابقة .

(٥) فى خ ، م : « التسعين » . والصواب كما أثبتنا ، فقد قال هو عن نفسه : ولدت قبل العشرين وأربعمائة » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٨١ ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٢٠.

هِبَةُ اللَّهِ ابنُ الشيخِ أبى الوَفَاءِ بنِ عَقِيلٍ[1] ، كان قد حفِظ القرآنَ وتفقَّه ، وظهَر منه نَجابَةٌ ، ثُم مرِض ، فأنفَق عليه أبوه أموالًا جَزيلةً ، فلم يُفِدْ شيئًا ، فقالَ له ابنُه ذاتَ يومٍ : يا أبَتِ إنَّك قد أكثَرتَ الأدْويَة والأدْعِيَةَ ، وللَّهِ فىَّ اخْتِيارٌ ، فدَعْنى واخْتِيارَ اللَّهِ . قال أبوه : فعلِمتُ أنَّه لم يُوفَّقْ لهذا الكلامِ إلَّا وقد اخْتِيرَ للحُظْوةِ . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٠، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ١٦٥. وشذرات الذهب ٤/ ٤٠.

ثم دخَلَتْ سنةُ تِسْعٍ وثَمانِيـنَ وأرْبَعِمائَةٍ[1]

قال [٩/٢١٢و] ابنُ الجَوْزِىِّ فى « المُنْتَظَم »[2] : فى هذه السنَةِ حكَم جهَلَةُ المُنَجِّمينَ ؛ بأن سيكونُ فيها طوفانٌ قريبٌ مِن طُوفانِ نُوحٍ ، وشاعَ الكلامُ بذلك بينَ العوامِّ ، فاسْتَدْعَى الخليفةُ المُسْتَظْهِرُ ابنَ عَيْشُونَ[3] المنجِّمَ فسأله عن هذا الكلامِ ، فقال : إنَّ طوفانَ نوحٍ كان فى زَمنٍ اجْتَمعَ فى بُرْجِ[4] الحوتِ الطَّوالِعُ السبْعَةُ[5] ، والآنَ فقدِ اجْتمَعَ فيه سِتَّةٌ ، ولم يجْتَمِعْ معها زُحَلُ ، فلابُدَّ مِن وُقوعِ طوفانٍ فى بعضِ البلادِ ، والأقربُ أنَّها بَغْدادُ ، فتقدَّمَ الخليفةُ إلى وزيرِه بإصْلاحِ المُسَنِّيَاتِ[6] والمواضعِ التى يُخْشَى انْفِجارُ الماءِ منها . وجعَلَ الناسُ يَنْتَظِرُون ، فجاءَ الخبَرُ بأنَّ الحاجَّ حصَلُوا بوادِى المَياقتِ[7] بعدَ نَخْلَةَ[8] فأتاهم سيلٌ عظيمٌ ، فما نجا

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣١، والكامل ١٠/ ٢٥٥.

(٢) المنتظم ١٧/ ٣١.

(٣) سقط من الأصل، وفى خ: « عشيون »، وفى م: « عشبون »، وفى الكامل ١٠/ ٢٦٠، « عيسون » .

(٤) فى خ ، م : « بحر » .

(٥) الطوالع السبعة هى : الشمس والقمر والزهرة والمريخ وعطارد والمشترى وزحل . نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٤. وانظر المخصص لابن سيده ٢/السفر التاسع / ٣٦.

(٦) سقط من الأصل، وفى خ ، م: « المسيلات » . والمسنيات واحدتها ، المُسَنَّاة : سد يبنى لحجز ماء السيل أو النهر ، به مفاتح للماء تفتح على قدر الحاجة . تاج العروس (س ن ى) .

(٧) فى النسخ ، والمنتظم ، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٦٠. « المناقب » . والمثبت من الكامل ١٠/ ٢٦٠. وانظر اتحاف الورى ٢/ ٤٨٨. والمقصود بوادى المياقت : مكان يجتمع فيه الحاج من بلاد مختلفة . والإحرام يكون من ميقات ذات عرق - ميقات العراقى . وانظر مسالك الأبصار ٢/ ٣٣٩.

(٨) النخلة : وادٍ من الحجازِ هى النخلة الشامية التى تسمى ذات عرق . انظر معجم البلدان ٤/٧٧٠ =

منهم إلّا مَن تعلَّق برءوسِ الجبالِ ، وأخَذ الماءُ الرِّجالَ والرِّحالَ ، فخلَع الخليفةُ على ذلك المنجِّمِ ، وأجْرَى له جِرايةً .

وفيها ملَك الأميرُ قِوامُ الدّولةِ أبو سعيدٍ كَربُوقا مدينةَ المَوْصِلِ ، وقتَل (١ محمدَ ابنَ شرفِ الدّولةِ ١) مسلمِ بنِ قُريشٍ ، وغَرَّقَه بعدَ حِصارِ تِسْعَةِ أشهُرٍ .

وفيها ملَك تميمُ بنُ المُعِزِّ المَغْربِيُّ مدينةَ قابِسَ [٢] ، وأخْرَجَ منها أخاه عَمْرًا [٣] ، فقال خطيبُ سُوسَةَ فى ذلك أبياتًا [٤] .

ضَحِكَ الزمانُ وكانَ يُلْفَى [٥] عابِسَا	لمَّا فتَحْتَ بحدِّ سيْفِكَ قابِسَا
وأتَيْتَها بِكْرًا وما أمهَرْتَها	إلّا قَنًا وصَوارِمًا وفَوارِسَا
اللَّهُ يعلمُ ما جنَيْتَ [٦] ثمارَها	إلّا وكان أبوكَ قبلُ الغارسَا
مَن كان فى زُرْقِ الأسِنَّةِ خاطِبًا	كانتْ له قُلَلُ البلادِ عَرائِسَا

وفى صفَرٍ منها درَّس الشيخُ أبو عبدِ اللَّهِ الطَّبَرِيُّ بالنِّظَامِيَّةِ ، وَلَّاه إيَّاها فخرُ المُلكِ بنُ نِظَامِ المُلْكِ وَزِيرُ بَرْكْيارُوقَ .

= وتاج العروس (ن خ ل) .

(١ - ١) فى النسخ : « شرف الدولة محمد بن » . والمثبت من الكامل ١٠/ ٢٥٨، وانظر الكامل ١٠/ ١٤٨، ١٥٨، ٢٢١. وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٨٢.

(٢) قابس : مدينة بين طرابلس وصفاقس ، على ساحل البحر معجم البلدان ٤/ ٣.

(٣) فى خ ، م : « عمر » .

(٤) الأبيات فى الكامل ١٠/ ٢٥٧، دون البيت الثانى .

(٥) فى الأصل : « قدما » ، وفى الكامل : « يلقى » .

(٦) فى الكامل : « حويت » .

وفيها أغارَتْ خَفاجَةُ[1] على بلادِ سَيْفِ الدولةِ صَدقَةَ[2] بنِ منْصُورِ بنِ دُبَيْسٍ، وقصَدُوا مشْهَدَ الحسينِ بالحائرِ[3]، فتظاهَروا فيه بالمُنْكَراتِ والفَسادِ، فكبَسَهم فيه الأميرُ صَدقَةُ المذْكورُ، فقتَل منهم خلْقًا كثيرًا حتى عندَ الضَّريحِ، ومِنَ العجائبِ أنَّ أحدَهم ألقَى نفْسَه وفرسَه مِن فوقِ السورِ فسَلِمَ وسَلِمَتْ فرسُه.

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الأميرُ خُمارْتِكِينُ الحَسَنانىُّ[4].

وممَّنْ تُوفِّى فيها من الأعيانِ:

عبدُ اللَّهِ بنُ إبْراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ[5]، أبو[6] حَكِيمِ الخَبْرِىُّ[7]، وخبْرُ[8]: إحْدَى بلادِ فارِسَ، سمِعَ الحديثَ، وتفقَّهَ على الشيخِ أبى إسْحاقَ الشِّيرازِىِّ، وكانتْ له معرِفَةٌ بالفَرائضِ والأدبِ واللُّغةِ، وله مصنَّفاتٌ، وكان مَرْضِىَّ الطريقَةِ، وكان يكتبُ المصاحِفَ بالأُجْرَةِ، فبَيْنَما هو ذاتَ يومٍ يكتُبُ، وضَع

---

(١) خفاجة: خفاجة بن عمرو، بطن من بنى عقيل بن كعب، كانوا يقطنون قبل الإسلام الجنوب الشرقى من المدينة، ثم انتشروا فيما بين الجزيرة والشام وكان لهم ببادية العراق دولة. معجم قبائل العرب ١/ ٣٥١. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٦٩.

(٢) بعده فى م: «بن مزيد». وانظر وفيات الأعيان ٢/ ٤٩٠.

(٣) الحائر: اسم لموضع قبر الحسين بن على. معجم البلدان ٢/ ١٨٩.

(٤) فى خ: «الخسيانى»، وفى ص: «الحستانى»، وفى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٩٧: «الحستانى». وانظر إتحاف الورى ٢/ ٤٨٨.

(٥) المنتظم ١٧/ ٣٤، ومعجم الأدباء ١٢/ ٤٦، وإنباه الرواة ٢/ ٩٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٦٢، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩.

(٦) فى النسخ: «أخو أبى»، والمثبت من مصادر الترجمة السابقة.

(٧) فى الأصل: «الحريرى»، وفى م: «الخيرى»، وفى ص: «الحرى». وانظر مصادر الترجمة، والأنساب ٢/ ١٤، ومعجم البلدان ٢/ ٣٩٨، ٣٩٩.

(٨) فى م: «خير»، وفى ص: «حيرى».

القلَمَ مِن يَدِه ، واسْتَندَ وقال : واللَّهِ لَئِنْ كان هذا مَوْتًا إنَّه لَطَيِّبٌ ، ثم ماتَ .

عبدُ المحْسِنِ بنُ (١) **محمدِ بنِ عليِّ بنِ** (١) أحمدَ الشِّيحِيُّ (٢) التاجرُ ، ويُعرَفُ بابنِ شُهْدانْكَه (٣) ، بَغْدادِيٌّ ، سمِع الحديثَ الكثيرَ ، ورحَل وأكثرَ عنِ الخطيبِ وهو بصُورَ ، وهو الذى حمَلَه إلى العراقِ ، فلِهَذا أهْدَى إليه الخطيبُ « تاريخَ بغدادَ » بخطِّه ، وقد روَى عنه فى مصنَّفاتِه ، وكان يسمِّيه عبدَ اللَّهِ ، وكان ثقةً .

عبدُ المَلِكِ بنُ إبْراهيمَ بنِ أحمدَ ، أبو الفَضْلِ (٤) ، المعْروفُ بالهَمَذانِيِّ ، تفقَّه على الماوَرْدِيِّ ، وكانتْ له يَدٌ طُولَى فى العلُومِ الشرعِيَّةِ والحِسابِ ، وغيرِ ذلك ، وكان يحفَظُ « غريبَ الحديثِ » [٩/٢١٢ظ] لأبى عُبَيْدٍ « والمجْمَلَ » لابنِ فارِسٍ ، وكان عفيفًا زاهِدًا . طلَبه المُقْتَدِى ليُوَلِّيَه قاضىَ القُضاةِ ، فأبَى أشدَّ الإباءِ ، واعْتذَر له بالعَجْزِ وعلُوِّ السنِّ . وكان ظريفًا لطيفًا ، كان يقولُ : كان أبى إذا أرادَ أنْ يُؤَدِّبَنِى أخَذ العصَا بيَدِه ثم يقولُ (٥) : نوَيْتُ أنْ أضْرِبَ ولدِى تأْدِيبًا كما أمَر اللَّهُ ، ثم يَضْرِبُنِى . قال : وإلى أنْ يَنْوِىَ ويُتَمِّمَ النِّيَّةَ كنتُ أهرُبُ . تُوفِّى فى رجَبٍ منها ، ودُفِنَ عندَ قبرِ ابنِ سُرَيْجٍ .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الباقِى بنِ مَنْصُورٍ ، أبو بَكْرٍ الدَّقَّاقُ (٦) ، ويُعرَفُ

(١ - ١) سقط من : م . وفى الأصل ، خ ، ص : « على بن » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ٣٤، وتاريخ دمشق ٤٣/ ١٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٥٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣٠١.

(٢) فى الأصل ، م : « الشنجى » ، وفى خ : « الشيخى » . وانظر الأنساب ٣/ ٤٨٧.

(٣) فى م : « شهداء مكة » .

(٤) المنتظم ١٧/ ٣٤، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١٦/ ٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣٠٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ١٦٢.

(٥) المنتظم ١٧/ ٣٥.

(٦) المنتظم ١٧/ ٣٥، وتاريخ دمشق ١٤/ ٦٩٧ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٠٩، =

بابنِ الخاضِبَةِ[1] ، كان مَعْروفًا بالإفادَةِ وجَوْدَةِ القِراءَةِ وحُسْنِ الخطِّ وصحَّةِ النَّقْلِ ، جمَع بينَ علمِ القِراءاتِ والحديثِ ، وأكثرَ عنِ الخطيبِ وأصْحابِ المُخَلِّص[2] . قال[3] : لمَّا غرِقَتْ بَغْدادُ غرِقَتْ دارِى وكتُبى ، فلم يَبْقَ لى شىءٌ ، فاحْتَجْتُ إلى النَّسْخِ ، فكتَبْتُ « صحيحَ مسلمٍ » فى تلك السنَةِ سبْعَ مرّاتٍ ، فنِمْتُ فرأيْتُ ذاتَ لَيْلةٍ كأَنَّ القيامةَ قد قامَتْ ، وقائلٌ يقولُ : أين ابنُ الخاضِبَةِ[1] ؟ فجئتُ فأُدْخِلْتُ الجنةَ ، فلمَّا دخَلْتُها اسْتَلقَيتُ على قَفَاى ووضَعْتُ إحْدَى رِجْلَىَّ على الأُخْرَى ، وقلتُ : استرَحْتُ مِنَ النَّسْخِ ، ثم اسْتَيْقَظْتُ والقلمُ فى يدِى ، والنَّسْخُ بينَ يدَىَّ .

أبو المُظَفَّرِ السَّمْعَانِيُّ ، منصورُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الجبَّارِ بنِ أحمدَ بنِ محمدٍ ، أبو المُظَفَّرِ السَّمْعانيُّ[4] ، الحافظُ ، من أهلِ مَرْوَ ، تفقَّهَ أوَّلًا على أبيه فى مذْهبِ أبى حنيفةَ ، ثم انْتَقَلَ إلى مذهبِ الشافِعىِّ حين أخَذ عن أبى إسْحاقَ الشِّيرازىِّ ، وابنِ الصَّبَّاغِ ، وكانتْ له يَدٌ طُولَى فى فنونٍ كثيرةٍ ، وصنَّف « التفْسيرَ » ، وكتابَ « الانْتِصارِ » فى الحديثِ ، و « البُرْهانَ » و « القَواطِعَ » فى أصولِ الفقهِ ، و « الاصْطِلَامَ » وغيرَ ذلك ، ووعَظ فى مدينةِ نَيْسَابُورَ ، وكان يقولُ : ما حفِظْتُ شيئًا فنَسِيتُه . وسُئِلَ عن أخْبارِ الصِّفاتِ ، فقال : عليْكُم بدينِ العَجائزِ[5] . وسُئل عن الاسْتِواءِ فقال[6] :

= وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣١٠، والوافى بالوفيات ٢/ ٨٩.

(١) فى خ ، م : « الحاضنة » .

(٢) انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٧٨.

(٣) المنتظم ١٧/ ٣٥، ٣٦. وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١١٢.

(٤) المنتظم ١٧/ ٣٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٢١١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣٢١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٣٣٥، وطبقات المفسرين ٢/ ٣٣٩.

(٥) بعده فى خ ، م : « وصبيان الكتاتيب » . والأثر فى المنتظم ١٧/ ٣٨.

(٦) الخبر والأبيات فى المنتظم ١٧/ ٣٨.

جِئْتُمانى لِتَعْلَما سِرَّ سُعْدَى　　تَجِدَانى بسِرِّ سُعْدَى شَحِيحَا
إنَّ سُعْدَى لَـمُنْيَةُ المُتَمَنِّى　　جَمَعَتْ عِفَّةً ووَجْهًا صَبِيحَا

تُوفِّى فى ربيعٍ الأوَّلِ مِن هذه السنَةِ ، ودُفِنَ فى مقْبرَةِ مَرْوَ[1] ، رحِمه اللَّهُ تعالى وإيَّانا ، آميـنَ .

(١) فى الأصل : « حرب » .

ثم دخلت سنة تِسْعَين وأَرْبَعِمائةٍ[1]

فيها كان ابْتِداءُ مُلْكِ الخُوَارِزمِيَّةِ ، وذلكَ أنَّ السُّلْطانَ بَرْكْيارُوقَ ملَكَ فيها بلادَ خُرَاسَانَ بعدَ مقْتَلِ عمِّه أرْسَلانَ أرْغُونَ بنِ ألْبِ أرْسَلانَ ، وسلَّمها إلى أخيه أحمدَ المعروفِ بالملكِ سَنْجَرَ ، وجعَل أتابكَه الأميرَ قُماجَ ، ووَزيرَه عليَّ بنَ الحُسينِ الطُّغرائيَّ ، واسْتَعمَل على خُرَاسَانَ الأميرَ حَبَشِيَّ بنَ التُّونْتَاقِ[2] ، فوَلَّى مدينةَ خُوَارِزْمَ شابًّا يقالُ له : محمدُ بنُ أنوشْتِكِينَ . وكان أبُوه مِن أُمراءِ السَّلْجُوقِيَّةِ ، ونشَأ هو فى أدَبٍ وفضيلةٍ وحُسْنِ سِيرَةٍ ، ولمَّا وَلِىَ مدينةَ خُوارِزْمَ ، لُقِّبَ خُوَارِزْمَ شَاه ، وكان أوَّلَ ملُوكِهم ، فأحْسنَ السيرةَ ، وعامَلَ الناسَ بالجميلِ ، وحين مات [٢١٣/٩و] قام من بعدِه على خُوارِزْمَ ولدُه أَتْسِزُ ، فجرَى على سَنَنِ أبيه وأظهَر العَدْلَ ، فحظِىَ عندَ السلطانِ سَنْجَرَ وأحبَّه الناسُ ، وارْتفعتْ منزلتُه .

وفيها خطَب المَلِكُ رِضوانُ بنُ تاجِ الدولةِ تُتُشَ للخليفةِ الفاطمِيِّ المُستَعْلِى . وفى رَمضانَ منها قُتِل بُرْسُقُ أحدُ أكابرِ الأُمراءِ ، وكان أوَّلَ مَن تولَّى شِحْنِكِيَّةَ بَغْدادَ . وفى شوّالٍ قُتِل رجلٌ باطِنِيٌّ عندَ بابِ النُّوبِيِّ كان قد شهِدَ عليه عدْلَانِ ؛ أحدُهما ابنُ عَقِيلٍ أنَّه دعاهُما إلى مذْهَبِه ، فجعَل يقولُ : أتقْتُلونَنى وأنا أقولُ : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ؟ فقالَ ابنُ عَقِيلٍ[3] : قالَ اللَّهُ تعالَى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٩، الكامل ١٠/ ٢٦٢.

(٢) فى الأصل ، ص : « البوساق » وفى خ : « البرساق » ، وفى م : « البرشاف » . والمثبت من الكامل ١٠/ ٢٦٦.

(٣) المنتظم ١٧/ ٣٩.

بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ الآية [غافر: ٨٤، ٨٥].

وحجَّ بالناسِ فيها خُمارْتِكينُ الحَسْنانيُّ. وفى يومِ عاشُوراءَ كُبِسَتْ دارُ بَهاءِ الدولةِ أبى نَصْرِ بنِ جلالِ الدولةِ أبى طاهرِ بنِ بُوَيْهِ؛ لأمورٍ ثبَتَتْ عليه عندَ القاضِى، فأُرِيقَ دمُه، ونُقِضَتْ دارُه، وعُمِل مكانَها مَسْجِدانِ للحنفيَّةِ والشافِعيَّةِ، وقد كان السلطانُ مَلِكْشَاه قد أقْطَعَه المَدائنَ، ودَيرَ عاقولَ[1]، وغيرَهما.

وممَّنْ تُوفِّى فيها من الأعْيانِ:

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسَنِ بنِ علىِّ بنِ زكَرِيَّا بنِ دينارٍ، أبو يَعْلَى العَبْدِىُّ البَصْرِىُّ[2]، ويُعرَفُ بابنِ الصَّوَّافِ، وُلِد سنةَ أرْبَعِمائةٍ، وسمِع الحديثَ، وكان زاهدًا متصَوِّفًا، وفقيهًا مُدرِّسًا، ذا سَمْتٍ ووقارٍ وسكينةٍ ودِينٍ، وكان علَّامةً فى عشَرَةِ علُومٍ، تُوفِّى فى رمضانَ منها عن تسعينَ سنةً، رحِمه اللَّهُ.

المُعمَّرُ بنُ محمدِ بنِ المعمّرِ بنِ أحمدَ بنِ محمدٍ، أبو الغَنائمِ الحُسَيْنِىُّ[3]، النَّقيبُ للطَّالبيِّين. سمِع الحديثَ، وكان حسنَ الصورةِ، كريمَ الأخلاقِ، كثيرَ التعبُّدِ، لا يعُرَفُ أنَّه آذَى مسلمًا، ولا شتَم صاحِبًا. تُوفِّى عن نَيِّفٍ وستِّينَ

---

(١) ديرعاقول: بين مدائن كسرى والنعمانية، بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخا، على شاطىء دجلة. معجم البلدان ٢/ ٦٧٦.

(٢) ترتيب المدارك ٤/ ٧٩١، والمنتظم ١٧/ ٤٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣٢٩، ومرآة الجنان ٣/ ١٥٢.

(٣) المنتظم ١٧/ ٤١، والكامل ١٠/ ٢٧١، وفيه: «الطاهر أبو الغنائم محمد بن عبد الله»، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣٤٤، والجواهر المضية ٣/ ٤٩٣، وفيه: «المعمر بن محمد بن عبيد الله».

سنةً[1] ؛ كان منها نقيبًا ثِنْتَيْنِ وثلاثينَ سنةً ، وكان مِن ساداتِ قريشٍ ، وتولَّى بعدَه ولَدُه أبو الفتوحِ حَيْدَرَةُ ، ولُقِّبَ بالرَّضِيِّ ذى الفخْرَينِ ، وقد رثاه الشعراءُ بأبياتٍ ذكَرها ابنُ الجوْزىِّ[2] .

يَحْيَى بنُ أحمدَ بنِ محمدِ [3]**بنِ علىٍّ**[3] **السِّيبِىُّ**[4] سمِع الحديثَ ، ورحَل إليه الطلبةُ ، وكان ثقةً صالحًا صدُوقًا ديِّنًا ، عُمِّرَ مائةَ سنَةٍ وثِنْتَىْ عشْرَةَ سنةً [5]وثلاثةَ أشهرٍ[5] ، وهو فى ذلك صحيحُ الحواسِّ ، يُقْرَأُ عليه القرآنُ والحديثُ ، رحِمَه اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى المنتظم أنه توفى عن اثنتين وسبعين سنة .

(٢) المنتظم ١٧/ ٤١.

(٣ - ٣) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٩٨، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٣٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣٤٩، وغاية النهاية ٢/ ٣٦٥.

(٤) فى خ : « السبتى » . وفى م : « البستى » .

(٥ - ٥) فى الأصل : « ونصف » . وجاء فى المنتظم : أنه توفى عن مائة وثلاث وخمسين سنة وثلاثة أشهر وأيامًا . وعند الذهبى فى تاريخه : أنه عُمِّر مائة وسنتين فقط . وقد ذكر كل من ابن الجوزى والذهبى أنه ولد سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ؛ فعلى هذا يكون ما ذكره الذهبى هو الصحيح ، لا ما ذكره ابن الجوزى ، ولا ما ذكره المصنف .

ثم دخلت سنةُ إحدَى وتسعينَ وأربعِمائةٍ[1]

فى جُمادَى الأُولَى مِنها ملَك الفِرنْجُ مدينةَ أنْطاكِيَةَ بعدَ حصارٍ شديدٍ، بمُواطأَةٍ مِن بعضِ المُسْتَحْفَظِينَ على بعضِ الأبْراجِ، وهرَب صاحِبُها [2]يَاغِى سِيَانٍ[2] فى نفَرٍ يسيرٍ، وترَك بها أهلَه ومالَه، ثم أخَذه فى أثناءِ الطريقِ ندَمٌ شديدٌ على ما فعَل، بحيثُ إنَّه غُشِيَ عليه وسقَط عن فرسِه، فذهَب أصْحابُه وترَكُوه، فجاء راعِي غنَمٍ فقطَع رأسَه، وذهَب به إلى ملكِ الفِرنْجِ، ولمَّا بلَغ الخبَرُ إلى الأميرِ كَربُوقا صاحبِ المَوْصِلِ جمَع عساكِرَ كثيرةً، واجتمَع عليه دُقاقُ بنُ تُتُش صاحِبُ دِمَشْقَ، وجَناحُ الدَّولةِ صاحِبُ حِمْصَ، وغيرُهما، وسارَ إلى الفِرنْجِ فالْتَقوا معهم بأرضِ أنْطَاكِيَةَ، فهزَمهم [٩/٢١٣ظ] الفِرنْجُ، وقتَلوا مِنهم خلقًا كثيرًا، وأخَذُوا مِنهم أموالًا جزيلةً، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعونَ. ثم سارت الفِرنْجُ إلى مَعَرَّةِ النُّعْمانِ[3]، فأخَذوها بعدَ حصارٍ فلا حولَ ولا قُوَّةَ إلا باللَّهِ. ولمَّا بلَغ هذا الحالُ إلى المَلِكِ بَرْكْيَاروقَ شَقَّ عليه ذلك، وكتَب إلى الأمراءِ ببَغْدادَ أنْ يتجهَّزُوا هم والوزيرُ ابنُ جَهيرٍ لقتالِ الفِرنْجِ، فبرَز بعضُ الجيشِ إلى ظاهرِ البلدِ بالجانبِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٤٣، والكامل ١٠/ ٢٧٤.

(٢ - ٢) فى الأصل، خ: «ماعى سنان». وفى م، والكامل ١٠/ ٢٧٥: «باغيسيان»، وفى زبدة الحلب ٢/ ١٣٠: «يغى سيان»، وفى تاريخ ابن الوردى ٢/ ١٠: «ياغى سنان». وانظر نهاية الأرب ٢٨/ ٢٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٩.

(٣) معرة النعمان: مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة. معجم البلدان ٤/٥٧٤.

الغربىِّ ، ثم انْفسَختْ هذه العزيمةُ ؛ لأنَّهم بلَغهم أنَّ الفِرنْجَ فى ألفِ ألفِ مُقاتِلٍ ، فلا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّهِ . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ خُمارْتِكينُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأَعْيانِ :

طِرادُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الوهّابِ بنِ سليمانَ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ الإمامِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ [(1)] **عبدِ اللَّهِ بنِ عبَّاسٍ** [(1)] ، أبو الفَوارِسِ بنُ أبى الحسَنِ بنِ أبى القاسمِ بنِ أبى تمَّامٍ ، مِن وَلَدِ زينبَ [(2)] بنتِ سُلَيمانَ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، وهى أمُّ ولدِ [(3)] عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ الإمامِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، سمِع الحديثَ الكثيرَ ، والكُتُبَ الكِبارَ ، وتفرَّد بالروايةِ عن جماعةٍ مِن المشايخِ ، ورُحِلَ إليه مِن الآفاقِ ، وأمْلَى الحديثَ فى بُلْدانٍ شتَّى ، وكان يحضُرُ مجلِسَه العلماءُ والسَّادةُ ، وحضَر أبو عبدِ اللَّهِ الدّامَغانىُّ مجلِسَه ، وباشَر نقابةَ العباسيين [(4)] مدةً طويلةً ، وتُوفِّى عن نَيِّفٍ وتِسْعِينَ سنةً ، ودُفِن فى مقابرِ الشُّهداءِ ، رحِمه اللَّهُ .

المُظَفَّرُ أبو الفَتْحِ ابنُ رئيسِ الرُّؤَساءِ أبى القاسمِ ابنِ المُسلِمةِ [(5)] ، كانت دارُه مَجمَعًا لأهلِ العلمِ والدِّينِ والأدبِ ، وبها تُوفِّى الشيخُ أبو إسْحاقَ الشِّيرازِىُّ ، ولمَّا تُوفِّى أبو الفتحِ دُفِنَ عندَ الشيخِ أبى إسْحاقَ فى تُربتِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٩٥، والجواهر المضية ٢/ ٢٨١.

(٢) فى خ ، م : «زيد بن» .

(٣) فى خ ، م : «ولده» . وانظر المنتظم ١٧/ ٤٤.

(٤) فى خ ، م : «الطالبيين» .

(٥) المنتظم ١٧/ ٤٦، والكامل ١٠/ ٢٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٠٧.

ثم دخلت سنة ثِنْتَيْن وتسعين وأرْبَعِمائةٍ

وفيها[1] أخَذتِ الفِرنْجُ - خذَلهم اللَّهُ تعالى - بَيْتَ المَقْدسِ ؛ لمَّا كان ضُحَى يومِ الجُمُعةِ [2]لسَبْعٍ بقِينَ مِن شعبانَ[2] سنةَ ثِنْتَيْنِ وتِسْعينَ وأرْبَعِمائَةٍ ، استحوَذ الفِرنْجُ - لعَنَهم اللَّهُ - على بيتِ المَقْدِسِ - شرَّفَه اللَّهُ - وهم فى نحوِ ألفِ ألفِ مُقاتلٍ ، فقتَلوا فى وسَطِه أزيدَ مِن سبعين[3] ألفَ قتيلٍ مِن المسلمينَ ، وجاسُوا خِلالَ الديارِ [4]وكان وعدًا مفعولًا[4] .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[5] : وأخَذُوا مِن حولِ الصَّخْرَةِ اثْنَيْنِ وأربعينَ قِنْدِيلًا مِن فِضَّةٍ ، زِنَةُ كلِّ واحدٍ منها ثلاثةُ آلافٍ وسِتُّمِائَةِ دِرهمٍ ، وأخَذُوا تَنُّورًا مِن فضَّةٍ زِنَتُه أربَعونَ رِطْلًا بالشامِيِّ ، وثلاثَةً وعِشْرينَ قِنْدِيلًا مِن ذهَبٍ . وذهَب الناسُ على وجُوهِهم هازِعينَ[6] مِن الشامِ إلى العراقِ ، مُسْتغيثينَ على الفِرنْجِ إلى الخليفةِ والسلطانِ ، مِنهم القَاضى بدمشقَ أبو سعدٍ الهرَوِىُّ ، فلمَّا سمِع الناسُ ببَغْدادَ هذا الأمرَ الفظيعَ هالَهُم ذلك وتَباكَوْا ، وقد نظَم أبو سعدٍ الهَروِىُّ كلامًا قُرِئَ فى الديوانِ وعلى المنابرِ ، فجهَش الناسُ بالبكاءِ ، وندَب الخليفةُ الفقهاءَ إلى الخُروجِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٤٧، والكامل ١٠/ ٢٨٢.

(٢ - ٢) فى الأصل : « من آخر شعبان » . وفى المنتظم : « ثالث عشر شعبان » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٦.

(٣) فى خ ، م : « ستين » . وانظر المنتظم ١٧/ ٤٧.

(٤ - ٤) فى خ ، م : « وتبروا ما علوا تتبيرا » .

(٥) المنتظم ١٧/ ٤٧، بنحوه.

(٦) هازعين : مسرعين . الوسيط (هـ ز ع) .

[٩/٢١٤و] إلى البلادِ ؛ ليُحَرِّضُوا الملوكَ على الجهادِ ، فخرَج ابنُ عَقيلٍ ، وغيرُ واحدٍ مِن أعْيانِ الفقهاءِ ، فسارُوا فى الناسِ ، فلم يُفِدْ ذلك شيئًا ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ ، فقال فى ذلك أبو المظفَّرِ الأَبِيوَرْدِىُّ(١) :

مَزَجْنا دِماءً بالدُّموعِ السَّواجِمِ ... فلم يَبْقَ منّا عُرضةٌ للمَراحِمِ

وشرُّ سلاحِ المرءِ دمعٌ يُفيضُهُ ... إذا الحربُ شُبَّتْ نارُها بالصَّوارِمِ

فإيهًا بَنِى الإسْلامِ إنَّ وراءَكُمْ ... وقائعَ يُلْحِقْنَ الذُّرَى بالمَناسِمِ

وكيفَ تنامُ العينُ مِلْءَ جفُونِها ... على هَفَواتٍ أيْقَظتْ كلَّ نائمِ

(٢وإخوانُكم بالشامِ يُضْحِى مَقِيلُهُمْ ... ظهورَ المَذاكِى أو بطونَ القشَاعِمِ٢)

تسُومُهمُ الرومُ الهَوانَ وأنتمُ ... تجرُّونَ ذيْلَ الخَفْضِ فعلَ المُسالمِ

وبينَ اخْتلاسِ الطَّعنِ والضربِ وقْفَةٌ ... تظَلُّ لها الوِلْدانُ شِيبَ القَوادِمِ

وتلكَ حروبٌ مَن يَغِبْ عن غِمَارِها ... ليسلَمَ يَقْرَعْ بعدَها سِنَّ نادِمِ

سَلَلْنَ بأيْدِى المُشْرِكِينَ قواضِبًا ... ستُغْمَدُ مِنهم فى الطُّلى والجَماجِمِ

يكادُ لَهُنَّ المُسْتَجِنُّ(٣) بطيبةٍ ... يُنادِى بأعْلَى الصَّوتِ يا آلَ هاشمِ

أرَى أُمَّتِى لا يَشْرَعُونَ إلى العِدا ... رماحَهمُ والدِّينُ واهِى الدعائمِ

ويجْتَنِبُونَ الثأرَ(٤) خوفًا مِنَ الرَّدَى ... ولا يحْسَبُونَ العارَ ضَرْبَةَ لازِمِ

أتَرْضَى صَنادِيدُ الأعاريبِ بالأذَى ... وتُغْضِى على ذُلٍّ كُماةُ الأعاجمِ

---

(١) الكامل ١٠/ ٢٨٤، ٢٨٥. وانظر المنتظم ١٧/ ٤٧.

(٢ - ٢) هذا كناية عن الموت والاستشهاد ، والقشاعم : جمع قشعم ، وهى المهالك والمنايا ، قال فى اللسان : وأم قشعم : الحرب . وقيل : المنية . اللسان (ق ش ع م) .

(٣) فى م : « المستجير » . وفى ص : « المستجز » .

(٤) فى خ : « العار » ، وفى م ، والكامل ١٠/ ٢٨٥: « النار » . وانظر المنتظم ١٧/ ٤٨.

فَلَيْتَهُمُ إذْ لم يذُودُوا حَمِيَّةً عن الدِّينِ ضَنُّوا غَيْرةً بالمَحارِمِ
وإن زَهِدُوا فى الأجْرِ إذ حَمِيَ الوغَى فهَلَّا أتَوْهُ رغْبَةً فى الغَنائمِ

وفيها كان ابْتِداءُ أمرِ السلْطَانِ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه ؛ وهو أخو السلْطانِ سَنْجَرَ لأَبِيه وأمِّه ، واسْتَفحَل أمرُه إلى أَنْ صار مِن أمرِه أنْ خُطِبَ له ببَغْدادَ فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنَةِ .

وفيها سارَ إلى الرَّىِّ فوجَد زُبيدةَ خاتون أمَّ أخيه بَرْكْيَارُوقَ فأمَر بخَنْقِها - وكان عمرُها إذْ ذاكَ ثِنْتَيْنِ وأرْبَعِين سنةً - فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وكانتْ له مع بَرْكْيَاروقَ خمسُ وقَعَاتٍ هائلةٌ .

وفى هذه السنةِ غلَتِ الأسعارُ جدًّا ببَغْدادَ ، حتى ماتَ كثيرٌ مِن الناسِ جُوعًا ، وأصابَهم وبَاءٌ شديدٌ حتى عَجَزوا عن دَفْنِ الموْتَى مِن كثرَتِهم[1] .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

السلطانُ إبْراهيمُ ابنُ السلْطانِ محمودِ بنِ مسْعُودِ ابنِ السلطانِ محمودِ ابنِ سُبُكْتِكِينَ[2] ، صاحبُ غَزْنَةَ وأطرافِ الهنْدِ ، وغيرِ ذلك ، كانت له حُرْمَةٌ وأُبَّهَةٌ عظيمةٌ جدًّا ، حكَى إلْكِيَا الهرَّاسِىُّ - حينَ بعَثه السلطانُ بَرْكْيَاروقُ إليه - فى رسالةٍ عمَّا شاهَده عندَه من أمورِ السَّلْطنَةِ فى ملْبَسِه ومجْلِسِه ، وما عندَه مِن

---

(١) بعده فى خ : « جزاء وفاقا ولو خرجوا إلى قتال الفرنج ، وكسروا ما قتل منهم ثلث هؤلاء الموتى لحصلت لهم الشهادة وكتبت لهم غزوة ، ولكن قدر اللّه وما شاء فعل لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ، والموت بالسيف أهون الموتات ، ولكن الجبن وحبَّ الحياة وكراهية الموت يوقعان العبد فيما يحول بينه وبين أطيب الحياة فى الدار الآخرة ، وقد مات فى هذه السنة بالسيف والطاعون والجوع خلق كثير » .

(٢) المنتظم ١٧/ ٤٩، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١١٧، والعبر ٣/ ٢٢٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٦٤.

السعادةِ الدُّنيويَّةِ ، قال[1] : رأيتُ شيئًا عجيبًا . وقد وعظَه بحديثِ : « لَمناديلُ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ فِي الجَنَّةِ أحسنُ مِن هذا »[2] . فبكَى . قال : وكان لا يبْنِى لنفْسِه منزِلًا حتّى يَبْنِىَ قبلَه مسجدًا أو مدرسةً أو رِباطًا . تُوفِّى ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، [٩/٢١٤ظ] فى رجبٍ مِن هذه السنةِ ، وقد جاوَز التسعينَ ، وكانت مدةُ مُلْكِه ثِنْتَيْنِ وأربعينَ سنةً .

عبدُ الباقى بنُ يُوسُفَ بنِ علىِّ بنِ صالحٍ ، أبو تُرابٍ المَرَاغِىُّ[3] ، وُلِد سنةَ إحْدَى وأرْبعِمائَةٍ ، وتفقَّهَ على القاضى أبى الطَّيِّبِ الطَّبَرِىِّ ، وسمِع الحديثَ عليه وعلى غيرِه مِن المشايخِ ببلدانٍ شتَّى ، ثم أقامَ بنَيْسابُورَ ، وكان يحفَظُ شيئًا كثيرًا مِن مسائلِ الخلافِ ؛ نحوًا مِن أربعةِ آلافِ مسألةٍ بأدلَّتِها والمناظرةِ عليها ، وغيرَ ذلك مِن الحكاياتِ والمُلَحِ والآدابِ ، وكان صَبُورًا متقلِّلًا على طريقَةِ السلفِ ، جاءَه منْشورٌ بقَضاءِ هَمَذانَ فقال : أنا مُنْتَظِرٌ منْشُورًا مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، على يَدَىْ ملكِ المـوتِ بالقُدومِ عليه ، واللَّهِ لجُلوسُ ساعَةٍ فى هذا المسجدِ على راحةِ القلبِ أحبُّ إلىَّ مِن مُلكِ العِراقَيْنِ ، وتعليمُ مسْألَةٍ لطالبٍ أحبُّ إلىَّ [4] مِن مُلكِ[5] الثَّقلين . حكَاه ابنُ الجوزىِّ فى « المنتظَم »[6][4] . تُوفِّى ، رحِمه اللَّهُ ، فى

---

(١) المنتظم ١٧/ ٤٩.

(٢) تقدم فى ٦/ ١٠٦، ١٠٧.

(٣) فى الأصل : « الداعى » . وفى خ ، ص : « الراعى » . وفى م : « البراعى » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٥٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٢٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٩٦، والجواهر المضية ٢/ ٣٥٦.

(٤ - ٤) فى خ ، م : « مما على الأرض من شىء والله لا أفلح قلب يعلق بالدنيا وأهلها ، وإنما العلم دليل ، فمن لم يدلَّه علمه على الزهد فى الدنيا وأهلها لم يحصل على طائل من العلم ، ولو علم ما علم ، فإنما ذلك ظاهر من العلم ، والعلم النافع وراء ذلك ، والله لو قطعت يدى ورجلى وقلعت عينى أحب إلىَّ من ولاية فيها انقطاع عن الله والدار الآخرة وما هو سبب فوز المتقين وسعادة المؤمنين » .

(٥) فى المنتظم ١٧/ ٥١: « علم » ، وفى سير أعلام النبلاء ١٩/ ١٧١: « عمل » .

(٦) المنتظم ١٧/ ٥١.

ذِى القَعْدَةِ مِن هذه السنَةِ عن ثلاثٍ وتسعينَ سنةً .

أبو القاسِمِ ابنُ إمامِ الحرَمَيْنِ[1] ، قتَله بعضُ الباطِنيَّةِ بنَيْسَابُورَ ، رحِمهُ اللَّهُ ، ورحِمَ أباه بمَنِّه وكرَمِه .

(١) الكامل ١٠/ ٢٩١، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٣٣٠.

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وتِسعينَ وأرْبَعِمائةٍ[1]

فى صفَرٍ منها دخَل السلْطانُ بَرْكْيَارُوقُ إلى بَغْدادَ، ونزَل بدارِ المُلكِ، وأُعيدَتْ له الخُطبةُ ببغدادَ، وقُطِعتْ خطبةُ أخيه محمدِ بنِ مَلِكْشاه، وبعَث إليه الخليفةُ هَدِيَّةً هائلةً، وفرِح به العوامُّ والنساءُ، ولكنَّه فى ضِيقٍ مِن أمرِ أخيه السلطانِ محمدٍ؛ لإقبالِ الدَّولةِ عليه واجْتماعِهم إليه، وقلَّةِ ما معه مِن الأمْوالِ، ومُطالَبَةِ الجندِ له بأرْزاقِهم، فعزَم على مُصادَرَةِ الوزيرِ ابنِ جَهيرٍ، فالتجأ إلى الخليفةِ، فمنَعه مِن ذلك، ثم اتَّفَق الحالُ على المُصالَحَةِ عنه بمائةٍ وستِّينَ ألفَ دينارٍ، ثم الْتقَى هو وأخوه محمدٌ بمكانٍ قريبٍ مِن هَمَذانَ، فهزَمه أخوه محمدٌ، ونجا هو بنفْسِه فى خمسينَ فارسًا، وقُتِل فى هذه الوَقْعَةِ سعدُ الدولةِ كُوَهْرائِينُ[2] الخادمُ، وكان قديمَ الهِجْرةِ فى الدولةِ، وقد وَلِىَ شِحْنَكِيَّةَ بَغْدادَ، وكان حليمًا حسنَ السِّيرةِ، لم يتعَمَّدْ ظلمًا ولم يَرَ خادمٌ ما رأَى مِنَ الحِشْمَةِ والحُرْمَةِ وكثرةِ الخدْمةِ، وقد كان يُكثِرُ الصلاةَ بالليلِ، ولا يجلِسُ إلَّا على وضوءٍ، ولم يمرَضْ مدَّةَ حياتِه، ولم يُصدَعْ قطُّ، ولمَّا جرَى ما جرَى فى هذه الوَقْعَةِ ضَعُفَ أمرُ السلْطانِ بَرْكْيَاروقَ، ثم تراجَع إليه جيْشُه،

---

(1) المنتظم ١٧/ ٥٢، والكامل ١٠/ ٢٩٣.

(2) فى خ: «جوهر»، وفى م: «جوهر آيين». وانظر المنتظم ١٧/ ٥٦، والكامل ١٠/ ٢٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٣.

وانْضَافَ إليه (١) الأميرُ داودُ حبشيٌّ (١) فى عِشرينَ ألفًا ، فالتقَى مع أخيه الآخرِ سَنجَرَ ، فهزَمه سَنجَرُ أيضًا (٢) وأُسِر داودُ المذكورُ فى هذه الوقعةِ ، فقتَله الأميرُ بُزْغُشُ (٣) أحدُ أمراءِ سَنجَرَ ، فَضَعُفَ جانبُ بَرْكَيَاروقَ ، وتقهقَر حالُه ، وتفَرَّقَتْ عنه رجالُه ، وقُطِعَتْ خُطبتُه مِن بَغْدادَ فى رابعَ عشَرَ رجَبٍ ، وأُعِيدَتْ خُطبةُ السلْطانِ محمدٍ .

وفى رمضانَ قُبِض على الوزيرِ عميدِ الدولةِ ابنِ جَهيرٍ ، وعلى أخوَيْه ؛ زعيمِ الرُّؤساءِ أبى القاسمِ ، وأبى البَركاتِ المُلَقَّبِ بالكافِى ، وأُخِذَتْ منهم أموالٌ كثيرةٌ ، وحُبِس بدارِ الخلافةِ حتى ماتَ فى شَوَّالٍ من هذه السنةِ . وفى الليْلةِ [٢١٥/٩و] السابعةِ والعِشْرِينَ مِنه قُتِل (٤) شِحْنةُ أصْبَهانَ ، ضرَبه باطِنىٌّ بسِكِّينٍ فى خاصِرَتِه ، وقد كان يتحَرَّزُ مِنهم طولَ مباشَرَتِه ، ويدَّرِعُ تحتَ ثيابِه سِوَى هذه الليلةِ ، وماتَ مِن أوْلادِه فى هذه الليْلةِ جماعةٌ ، فخرَج مِن دارِه خَمْسُ جنائزَ مِن صَبيحتِها .

وفى هذه السنةِ أَقبَل ملكُ الفِرنْجِ فى ثَلاثِمِائَةِ ألفِ مُقاتِلٍ ، فالْتقَى معه (٥) كُمُشْتِكِينُ ابنُ الدانِشْمَنْدِ (٥) طايلو (٦) ، أتَابِكُ الجيوشِ بدمشقَ ، الذى يقالُ له : أمينُ الدولةِ ، واقفُ الأمِينيَّةِ بدِمَشْقَ وببُصْرَى - لا التى بِبَعْلَبَكَّ - فهزَم الفِرنْجَ ،

(١ - ١) فى المختصر فى أخبار البشر ٢/٢١٢ « داذا » ، وفى نهاية الأرب ٢٦، ٣٤٦: « ذاد » ، وفى إحدى نسخه : « داد » ، والمثبت موافق لإحدى نسخ الكامل . انظر الكامل ١٠/٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) بعده فى خ ، م : « وهرب فى شرذمة قليلة » .

(٣) فى الأصل ، خ ، م : « برغش » . وانظر الكامل ١٠/٢٩٧.

(٤) بعده فى م : « الأمير بلكابك سرمز رئيس » .

(٥ - ٥) فى م : « ستكين بن انشمند » . وانظر الكامل ١٠/٣٠٠، ونهاية الأرب ٢٨/٢٥٩.

(٦) فى الأصل ، خ ، ص : « وأظنه » . وانظر مصادر الحاشية السابقة .

وقتَل مِنهم خَلْقًا كثيرًا ، بحيثُ لم يَنْجُ منهم سِوَى ثلاثةِ آلافٍ ، وأكثرُهم جَرْحَى - يعْنِى الثلاثةَ آلافٍ - وذلك فى ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنةِ ، ولحِقهم إلى ملَطْيَةَ فملَكَها ، وأسَر مَلِكَها ، ولِلَّهِ الحمدُ . وحجَّ بالناسِ الأميرُ التُّونتاشُ[1] التركىُّ ، وكان شافِعِىَّ المذْهبِ .

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

عبدُ الرَّزَّاقِ الغَزْنَوِىُّ الصُّوفىُّ[2] شيخُ رباطِ عتّابٍ ، حجَّ مراتٍ على التَّجريدِ ، مات وله نحوُ مائةِ سنةٍ ، ولم يتْرُكْ كفَنًا ، وقد قالتْ له امرأتُه وهو فى الاحتضارِ : إنك ستُفْتَضَحُ اليومَ ؛ لا يُوجَدُ لكَ كفَنٌ . فقال لها : لو ترَكتُ كفَنًا لافْتُضِحتُ .

وعكسُه **أبو الحسَنِ البِسْطَامِىُّ**[3] ، شيخُ رِباطِ ابنِ المحلبانِ ، كان لا يلبَسُ إلَّا الصوفَ شتاءً وصيفًا ، ويُظهِرُ الزهدَ ، وحين تُوفِّى وُجِدَ له أربعةُ آلافِ دينارٍ مدْفُونةٌ ، فتعجَّبَ الناسُ مِن تفاوُتِ حالَيْهما ، واتفاقِ مَوْتِهما فى هذه السنةِ ، فرحِم اللَّهُ الأوَّلَ وسامَح الثانىَ .

الوزيرُ عميدُ الدولةِ ابنُ جَهيرٍ ، محمدُ بنُ أبى نَصْرِ بنِ محمدِ بنِ جَهيرٍ الوزيرُ الكبيرُ[4] . أبو منصورٍ الملقَّبُ عميدَ الدولةِ ، أحدُ رُؤساءِ الوزراءِ وساداتِ الكُبراءِ ، خدَم ثلاثةً مِن الخلفاءِ ، ووزَر لاثنَيْن مِنهم ، وكان حليمًا قليلَ العجَلَةِ ،

---

(١) فى الأصل : « الوساس » . وفى خ : « البوبياش » . وفى إتحاف الورى ٢/ ٤٩٠ : « بوساس » .
(٢) المنتظم ١٧/ ٥٧، والكامل ١٠/ ٣٠٢.
(٣) المنتظم ١٧/ ٥٧، والكامل ١٠/ ٣٠١.
(٤) المنتظم ١٧/ ٥٩، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٠٢، ووفيات الأعيان ٥/ ١٣١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٦٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٦٥.

إلَّا أنَّه كان يُتَكلَّمُ فيه بسبَبِ الكِبْرِ ، وقد وَلِيَ الوزارةَ مراتٍ ؛ يُعْزَلُ ثُمَّ يُعادُ ، ثم كان آخِرَها هذه المرَّةُ ، حُبِسَ بدارِ الخلافةِ فلم يخرُجْ مِن السِّجنِ إلَّا مِّيتًا ، فى شوَّالٍ من هذه السنةِ .

ابنُ جَزْلَةَ الطبيبُ ، يَحْيى بنُ عِيسى بنِ جَزْلَةَ[1] ، صاحبُ « المِنْهاجِ » فى الطِّبِّ ، كان نصْرانِيًّا ، وكان يتردَّدُ إلى الشيخِ أبى علىٍّ ابنِ الوليدِ المعْتَزِلِيِّ[2] يشتغِلُ عليه فى المَنْطِقِ ، فكان [3]أبو علىٍّ[3] يدْعُوه إلى الإِسْلامِ ويوضِّحُ له الدِّلالاتِ حتى أسلَمَ وحَسُنَ إسْلامُه ، واسْتَخلَفه أبو عبدِ اللَّهِ الدّامَغانِىُّ قاضى القضاةِ فى كَتْبِ السِّجلاتِ ، ثم كان يُطَبِّبُ الناسَ بعدَ ذلك بلا أُجْرةٍ ، ورُبَّما ركَّبَ لهم الأدْوِيَةَ مِن مالِه تبرُّعًا ، وقد أوْصَى بكتُبِه أنْ تكونَ وقْفًا فى مَشْهَدِ أبى حنيفةَ ، رحِمَه اللَّهُ تعالى .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٦١، وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٣٤٣، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٦٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٧٤.

(٢) فى خ، م: « المغربى » .

(٣ - ٣) زيادة من: خ، م. وعند ابن الجوزى وابن خلكان: أن أبا على هذا كان سبب إسلامه، وخالف الذهبى فى السير فقضى بأن إسلامه كان على يد قاضى القضاة الدامغانى. هذا، وظاهر كلام الذهبى فى تاريخ الإسلام يوافق قول ابن خلكان وما نقله ابن كثير ههنا.

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة[1]

فيها عظم الخطب بأصبهان ونواحيها بالباطنية، فقتل السلطان منهم خلقًا كثيرًا، وأبيحت ديارهم وأموالهم للعامة، كل من يقدرون عليه فلهم قتله وماله، وكانوا قد استحوذوا على قلاع كثيرة، وأول قلعة ملكوها في سنة [٩/٢١٥ظ] ثلاث وثمانين، وكان الذي ملكها الحسن بن الصباح، أحد دعاتهم، وكان قد دخل مصر وتعلم من الزنادقة الذين كانوا بها، ثم صار إلى تلك النواحي ببلاد أصبهان، فكان لا يدعو إلا غبيًا لا يعرف يمينه من شماله، ثم يطعمه العسل بالجوز والشونيز[2]، حتى يحترق مزاجه، ويفسد دماغه، ثم يذكر له شيئًا من أخبار أهل البيت، ويكذب له من أقاويل الرافضة الضلال، أنهم ظلموا ومنعوا حقهم، ثم يقول له: فإذا كانت الخوارج تقاتل مع بني أمية لعلي، فأنت أحق أن تقاتل في نصرة إمامك علي بن أبي طالب، ولا يزال يسقيه من هذا وأمثاله حتى يستجيب له، ويصير أطوع له من أبيه وأمه، ويظهر له أشياء كثيرة من المخرقة والنيرنجات والحيل التي لا تروج إلا على الجهال، حتى التف عليه بشر كثير، وجم غفير، وقد بعث إليه السلطان ملكشاه يتهدده ويتوعده وينهاه عن بعثه الفداوية إلى العلماء، فلما قرأ الكتاب بحضرة الرسول، قال لمن حضره من الشباب: إني أريد أن أرسل منكم رسولًا إلى مولاه، فاشرأبت وجوه الحاضرين

---

(١) المنتظم ١٧/ ٦٢، والكامل ١٠/ ٣١٣.

(٢) الشونيز: الحبة السوداء. تاج العروس (ش ن ز).

مِنهم، ثم قال لشابٍّ مِنهم: اقْتُلْ نفْسَكَ. فأخرَج سكِّينًا فضرَب بها غَلْصَمَتَه[1]، فسقَط ميِّتًا، وقال لآخرَ مِنْهم: ألْقِ نفْسَكَ مِن هذا الموضعِ، فرَمَى نفْسَه من رأسِ القلعةِ إلى أسْفلِ خَنْدَقِها فتقَطَّعَ. فقال للرسُولِ: هذا الجوابُ. فمِنْها امتنَع السلطانُ مِن مُراسلَتِه. هكذا أورَده ابنُ الجَوْزِيِّ[2]. وسيأْتى أنَّ المَلِكَ صلاحَ الدينِ فاتِحَ بَيْتِ المَقْدِسِ جرَى له مع سِنانٍ صاحبِ الإيوانِ مثلُ هذا.

وفى[*] شهرِ رمضانَ أمَر الخليفةُ المستظهِرُ باللَّهِ بفتحِ جامعِ القصرِ، وأنْ يُبيَّضَ وأنْ يُصَلَّى فيه التراويحُ وأنْ يُجْهرَ بالبَسْملةِ، وأنْ يُمنَعَ النساءُ مِن الخروجِ ليلًا للفُرْجَةِ.

وفى أوَّلِ هذه السنَةِ دخَل السلطانُ بَرْكْيَاروقُ إلى بَغْدادَ فخُطِبَ له بها، ثم لحِقَه أخواه محمدٌ وسَنْجَرُ، فدَخلَاها وهو مريضٌ فعبَر إلى الجانبِ الغرْبِيِّ، فقُطِعَتْ خطبتُه وخُطبَ لهما بها، وهرَبَ بَرْكْيَاروقُ إلى وَاسِطٍ، ونهَب جيشُه ما اجْتازُوا به مِن البلادِ والأراضِى، فنَهاه بعضُ العلماءِ عن ذلك ووَعظَه فلْم يُفِدْ شيئًا.

وفى هذه السنَةِ ملَكتِ الفِرَنْجُ قِلاعًا كثيرةً؛ منها قَيْسارِيَّةُ وسَرُوجُ، وسارَ ملكُ الفِرنْجِ كُنْدُفْرى[3]، وهو الذى أخَذ بيتَ المَقْدِس، إلى عَكَّا فحاصَرها، فجاءه سَهْمٌ فى عنُقِه، فمات مِن فورِه، ألَا لعنةُ اللَّهِ عليه وعلى أجنادِه.

---

(١) الغلصمة: رأس الحلقوم بشواربه وحَرْقَدَتِه. اللسان (غ ل ص م).

(٢) المنتظم ١٧/٦٣، ٦٤.

(*) من هنا وحتى نهاية ترجمة نصر بن أحمد الخطابى البزار القارئ سقط من: خ.

(٣) فى م: «كندر». وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٣٦.

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ الصَّبَّاغِ[1] ، **أبو منصورٍ** ، سمِع الحديثَ وتفقَّه على أبى الطَّيِّبِ الطَّبَرِىِّ ، ثم على عمِّه[2] أبى نَصْرِ بنِ الصَّبَّاغِ ، وكان فقيهًا فاضلًا ، كثيرَ الصلاةِ ، يصومُ الدهرَ ، وقد وَلِىَ القضاءَ برَبْعِ الكَرْخِ ، والحِسْبَةَ بالجانبِ الغربىِّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

عبدُ اللَّهِ بنُ الحسَنِ [٢١٦/٩و] **بنِ أبى منْصُورٍ ، أبو محمدٍ الطَّبَسِىُّ**[3] ، رحَلَ وجمَع وصنَّفَ ، وكان أحدَ الحفَّاظِ المُكْثِرِينَ ، ثقةً ، صدوقًا ، عارفًا بالحديثِ ، وَرِعًا ، حسَنَ الخُلُقِ ، رحِمه اللَّهُ .

عبدُ الرحمنِ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ (٤أبو الفَرَجِ الزّازُ٤) **السَّرْخَسِىُّ** ، نزَل مَرْوَ ، وسمِع الحديثَ وأمْلَى ، ورحَل إليه العلماءُ ، وكان حافظًا لمذهبِ الشافِعِىِّ متديِّنًا وَرِعًا ، رحِمه اللَّهُ .

عَزِيزِى بنُ عبدِ الملكِ بنِ منصورٍ ، أبو المعالِى الجِيلِىُّ القاضى ، المُلَقَّبُ شَيْذَلَةُ[5] ، كان شافِعيًّا فى الفُروعِ ، أشْعَرِيًّا فى الأُصولِ ، وكان حاكمًا ببابِ

---

(١) فى م : « الصباح » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٦٨، والكامل ١٠/ ٣٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٧٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٨٥، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ١٣٢.

(٢) فى النسخ ، والمنتظم ، والكامل : « ابن عمه » . والمثبت من تاريخ الإسلام ، وطبقات السبكى ، وطبقات الإسنوى .

(٣) المنتظم ١٧/ ٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٥٤، وفيه : عبد اللَّه ابن الحسين بن أبى منصور . وقد ذكره الذهبى ضمن وفيات سنة ثلاث وتسعين .

(٤ - ٤)فى الأصل : « أبو محمد البزار » ، وفى م ، ص : « أبو محمد الرزاز » . والمثبت من مصادر ترجمته ، وانظر المنتظم ١٧/ ٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٨٦، ومرآة الجنان ٣/ ١٥٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ١٠١.

(٥) فى الأصل : « شيدله » ، وفى م ، ص : « سيدله » . والمثبت من مصادر ترجمته ، انظر المنتظم =

الأَزَجِ ، وكان بيْنَه وبينَ أهلِ بابِ الأَزَجِ مِن الحنابلَةِ شَنَآنٌ كبيرٌ ، سمِعَ رجلًا يُنادِي على حمارٍ له ضائعٍ ، فقالَ[1] : يدخُلُ بابَ الأَزَجِ ويأخُذُ بيَدِ مَنْ شاءَ .
وقال[2] يومًا للنَّقيبِ طِرادٍ الزَّيْنَبِيِّ : لو حلَفَ إنْسانٌ أنَّه لا يرَى إنْسانًا ، فرأَى أهلَ بابِ الأَزَجِ ، لم يَحْنَثْ . فقال له الشريفُ : مَن عاشَر قومًا أربعينَ يومًا فهو منهم . ولهذا لمَّا مات فرِحُوا بموتِه كثيرًا .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الباقى بنِ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ طَوْقٍ ، أبو الفضائلِ الرَّبَعِيُّ المَوْصِلِيُّ[3] ، تفقَّهَ على الشيخِ أبى إسحاقَ الشِّيرازِيِّ ، وسمِع الحديثَ مِن القاضى أبى الطَّيِّبِ الطَّبَرِيِّ ، وكان ثقةً صالحًا ، كتَبَ الكثيرَ ، رحِمه اللَّهُ .

محمدُ بنُ الحسنِ[4] **، أبو عبدِ اللَّهِ الرَّاذانِيُّ**[5] ، نزَل أَوَانَا[6] ، وكان مُقْرِئًا فقيهًا صالحًا ، له أحوالٌ وكراماتٌ ومُكاشَفاتٌ ، أخَذ عن القاضى أبى يَعْلَى بنِ الفَرَّاءِ الحديثَ ، وغيرِه .

= ١٧/ ٦٩، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٩٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٢٣٥.

قال ابن خلكان : وشيذله : بفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة واللام بعدها هاء ساكتة ، وهو لقب عليه - يعنى أبا المعالى - ولا أعرف معناه مع كثرة كشفى عنه . وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٠.

(١) المنتظم ١٧/ ٧٠.

(٢) المصدر السابق .

(٣) المنتظم ١٧/ ٧٠، والكامل ١٠/ ٣٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٩٦، والوافى بالوفيات ٢/ ١٠٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ١٠٢.

(٤) المنتظم ١٧/ ٧١، وطبقات الحنابلة ٢/ ٢٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٩٧، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٩١.

(٥) فى النسخ : « المرادى » . والمثبت من مصادر ترجمته . وانظر الأنساب ٣/ ٢١.

(٦) فى م ، ص : « أوان » . وأوانا : بُليدة من نواحى دُجيل بغداد ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تَكريت . معجم البلدان ١/ ٣٩٥.

قال ابنُ الجَوْزِيّ[1] : بلَغَنى أنَّ ابنًا له صغيرًا طلَب منه غزالًا وألحَّ عليه ، فقال له : يا بُنَيَّ ، غدًا يأتِيك غَزالٌ . فلمَّا كان الغَدُ أتَى غزالٌ ، فجَعَل ينطَحُ البابَ بقَرْنَيْه حتى يفتَحَه ، فقال له أبوه : يا بُنَيَّ ، أتاكَ الغزالُ . رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ عليِّ بنِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ صالحِ بنِ سليمانَ بنِ وَدْعانَ ، أبو نَصْرٍ المَوْصِلِيُّ القاضى[2] ، قدِم بَغْدادَ سنةَ ثلاثٍ وتسعين ، وحدَّث عن عمِّه بـ « الأربعين الوَدْعانِيَّةِ » ، وقد سرَقَها عمُّه أبو الفتحِ بنُ وَدْعانَ مِن زيدِ بنِ رفاعةَ الهاشميِّ ، فرَكَّب لها أسانيدَ إلى مَن بعدَ زيدِ بنِ رفاعةَ ، وهى موضوعةٌ كلُّها ، وإنْ كان فى بعْضِها معانٍ صحيحةٌ . واللَّهُ أعلمُ .

محمدُ بنُ مَنْصورٍ ، أبو سعدٍ المُسْتَوْفِى ، شرفُ المُلْكِ الخُوَارِزْمىُّ[3] ، جليلُ القَدْرِ ، وكان متعَصِّبًا لأصحابِ أبى حنيفةَ ، ووَقَف لهم مدرسةً بمَرْوَ ، ووَقَف فيها كتُبًا كثيرةً ، وبنَى مدرسةً ببَغْدادَ عندَ بابِ الطَّاقِ ، وبنَى القُبَّةَ على قبرِ أبى حنيفةَ ، وبنَى أرْبِطَةً فى المَفاوزِ ، وعمِل خيْرًا كثيرًا ، وكان من أطيبِ الناسِ مأْكلًا ومشْربًا ، وأحْسَنِهم ملْبَسًا ، وأكثَرِهم مالًا ، ثم ترَك العِمالةَ بعدَ هذا كلِّه ، وأقبَل على العبادةِ والاشتغالِ بنفْسِه إلى أنْ ماتَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ مَنْصورٍ القُشَيرِىُّ[4] ، [٢١٦/٩ظ] المعروفُ بعَمِيدِ خُراسانَ ، قدِم بغْدادَ أيامَ طُغْرُلْبَك ، وحدَّث عن أبى حَفْصٍ عمرَ بنِ أحمدَ بنِ مسرورٍ ، وكان

---

(١) المنتظم ١٧/ ٧١.

(٢) المنتظم ١٧/ ٧١، والكامل ١٠/ ٣٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٩٩، والوافى بالوفيات ٤/ ١٤١.

(٣) المنتظم ١٧/ ٧٢، والكامل ١٠/ ٣٢٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٨٨، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٦٧.

(٤) فى م، ص: « القسرى » . وفى المنتظم ١٧/ ٧٢: « بن النسوى » ، وفى إحدى نسخه : « بن الصوفى » .

كثيرَ الرغْبَةِ فى الخيرِ، وقَف بمَرْوَ مدرسةً على أبى بَكْرِ بنِ أبى المُظَفَّرِ السَّمْعَانِىِّ وذُرِّيَّتِه. قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1]: فهُم يتوَلَّونَها إلى الآنَ، وبنَى بنَيْسابُورَ مدرسةً، وفيها تربتُه، وكانت وفاتُه فى شوَّالٍ مِن هذه السنةِ، رحِمه اللَّهُ.

نَصْرُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ البَطِرِ[2]، أبو الخطَّابِ البزَّازُ القارِئُ. وُلِد سنةَ ثَمانٍ وتسعين وثلاثِمائةٍ، وسمِع الكثيرَ، وتفرَّد عن ابنِ رِزْقَوَيْهِ وغيرِه، وطالَ عمرُه، ورُحِل إليه مِن الآفاقِ، وكان، رحِمه اللَّهُ، صحيحَ السَّماعِ[*].

---

(١) المنتظم ١٧/ ٧٢.

(٢) فى م: «البطران»، وفى المنتظم ١٧/ ٧٣: «النظر». وانظر ترجمته فى: الأنساب ٤/ ٢٨٦، والكامل ١٠/ ٣٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٠٤، والعبر ٣/ ٣٤٠.

(*) هنا نهاية السقط الذى فى «خ»، والمشار إليه آنفا.

ثم دخلت سنة خمسٍ وتسعين وأربعمائة[1]

فى ثالثِ المحرَّمِ قُبِض علَى أبى الحسَنِ علىِّ بنِ محمدٍ ، المعروفِ بإلْكِيَا الهرّاسِىِّ ، وعُزِل عن تدريسِ النِّظامِيَّةِ ، وذلك أنَّه رمَاه بعضُهم عندَ السلطانِ بأنَّه باطِنىٌّ ، فشَهِد له جماعةٌ مِن العلماءِ - منهمُ ابنُ عَقيلٍ - ببَراءَتِه مِن ذلك ، وجاءتِ الرسالةُ مِن دارِ الخلافةِ بخَلاصِه .

وفيها فى يومِ الثلاثاءِ حادِى عشرَ مِن المحرَّمِ جلَس الخليفةُ المستظهرُ بدارِ الخلافةِ وعلى كَتِفِه البُردةُ وبيدِه القضيبُ ، وجاءَ المَلِكانِ الأخَوانِ محمدٌ وسَنْجَرُ ابْنا السلطانِ مَلِكْشَاه ، فقبَّلَا الأرضَ ، فخلَع عليهما الخِلَعَ السلطانيةَ ؛ على محمدٍ سيفًا وطَوْقًا وسِوارًا ولواءً وأفْراسًا مِن مَراكِبِه ، وعلى سَنْجَرَ دونَ ذلك . وولَّى الخليفةُ السلطانَ محمدًا المُلْكَ ، واسْتَنابَه فيما يتعلَّقُ بأمرِ الخلافةِ ، دونَ ما أغْلَق عليه الخليفةُ بابَه ، ثمَّ خرَج السلطانُ محمدٌ فى تاسِعَ عشَرَ الشهرِ ، فأرْجَف الناسُ ، بقُدومِ بَرْكْيارُوقَ ، ثم اصطَلَحوا على أمورٍ ، فركِب السلطانُ محمدٌ ، فالْتَقَوا وجرَتْ حروبٌ كثيرةٌ ، وانهزَم محمدٌ وجرَى عليه مكْروهٌ شديدٌ ، كما سيأتى بيانُه .

وفى رجَبٍ قَبِلَ القاضى أبو الحسَنِ الدامَغانِىُّ شَهادةَ أبى الحُسَيْنِ وأبى خازمٍ[2] ابْنَى القاضى أبى يَعْلَى بنِ الفرَّاءِ . وفيها قدِمَ عيسَى بنُ عبدِ اللَّهِ الغَزْنَوِىُّ ،

---

(١) المنتظم ١٧/ ٧٤، والكامل ١٠/ ٣٢٨.

(٢) فى النسخ : « حازم » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ٧٦. وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٠٤.

فوعَظَ الناسَ وكان شافِعيًّا أشْعَرِيًّا ، فوقَعت فتنةٌ بينَ الحنابلةِ والأشْعَرِيَّةِ ببَغدادَ .

وفيها وقَع حريقٌ عظيمٌ ببَغْدادَ ، وحجَّ بالناسِ حُميدٌ العُمَرِيُّ ، صاحبُ سيفِ الدولةِ صَدَقةَ بنِ منصورِ بنِ دُبَيْسِ بنِ علىِّ بن مَزْيدٍ الأَسَدىِّ ، صاحبِ الحِلَّةِ .

ومِمَّن توفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أبو القاسمِ ، صاحبُ مصرَ الملقَّبُ بالمُسْتَعْلِى[1] ، كانت وفاتُه فى ذى الحِجَّةِ من هذه السَّنةِ ، وقامَ بالأمرِ من بعدِه ابنُه أبو علىٍّ وله تسعُ سنِينَ ، ولُقِّب الآمِرَ بأحكامِ اللَّهِ .

محمدُ بنُ هِبَةِ اللَّهِ ، أبو نصرٍ القاضى البَنْدَنِيجِىُّ[2] ، **الضريرُ الشافِعِىُّ** ، أخذَ عن الشيخِ أبى إسحاقَ الشِّيرازىِّ ثم جاوَر بمكةَ أربعينَ سنةً ، يُفْتِى ويُدَرِّسُ ، ويروِى الحديثَ ، وكان مِن نوادرِ الزمانِ ، ومِن شعرِه قولُه[3] :

عَدِمْتُكِ نفْسِى ما تَمَلِّى بَطالَتِى[4] ... وقد مرَّ إخوانِى وأهلُ مَوَدَّتِى

أُعاهِدُ ربِّى ثم أنقُضُ عهْدَه ... وأترُكُ عزْمِى حينَ تعْرِضُ شهْوَتِى

وزادِى قليلٌ ما أُراه مُبَلِّغِى [٢١٧/٩و] ... [5]أَلِلزَّادِ[5] أبْكِى أم لطولِ مسافَتِى ؟

---

(١) المنتظم ١٧/ ٧٨، ووفيات الأعيان ١/ ١٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٠٩، والوافى بالوفيات ٨/ ١٨٣، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٥٣.

(٢) المنتظم ١٧/ ٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٢٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٢٠٧، والوافى بالوفيات ٥/ ١٥٦.

(٣) المنتظم ١٧/ ٧٨.

(٤) فى الأصل : « تطالبى » .

(٥ - ٥) فى الأصل، ص : « من الزاد » .

ثم دخلت سنة سِتٍّ وتسعينَ وأربَعِمائةٍ[1]

فيها حاصَر السلطانُ بَرْكْيَاروقُ أخاه محمدًا بأَصْبهانَ ، فضاقَتْ على أهْلِها الأرْزاقُ ، واشتدَّ الغلاءُ عندَهم جدًّا ، وأخَذ السلطانُ محمدٌ أهلَها بالمُصادَرَةِ والحصارُ حَوْلَهم مِن خارجِ البلدِ ، فاجْتمَع عليهم الخوفُ والجوعُ والنقصُ مِنَ الأموالِ والأنفُسِ والثَّمراتِ ، ثم خرَج السلطانُ محمدٌ مِن أصْبَهانَ هاربًا ، فأرسَل أخوه فى أَثَرِه مملُوكَه إياز ، فلم يتَمكَّنْ مِنَ قَبْضِه ، ونجَا بنفْسِه سالِمًا .

قال ابنُ الجَوْزِيِّ[2] : وفى صفرٍ منها زِيدَ فى ألْقابِ قاضى القضاةِ ، أبى الحسَنِ ، الدامَغانيِّ : تاجُ الإسْلامِ . وفى ربيعِ الأوَّلِ قُطِعتِ الخُطبةُ للسلاطينِ ببَغدادَ ، واقتُصِر على ذكْرِ الخليفةِ فيها ، والدعاءِ له .

ثم الْتقى الأَخوانِ بَرْكْيَاروقُ ومحمدٌ ، فانْهَزم محمدٌ أيضًا ثم اصْطَلحَا . وفيها مَلَكَ المَلِكُ دُقاقُ بنُ تُتُشَ بنِ مَلِكْشاه ، صاحبُ دِمَشقَ مدينةَ الرَّحبةِ . وفيها قُتِل أبو المظفَّرِ الخُجَنْدِيُّ الواعظُ بالرَّيِّ ، وكان فقيهًا شافعِيًّا مُدرِّسًا ، قتَله رافِضِيٌّ عَلَوِيٌّ فى الفتنةِ ، وكان عالِمًا فاضلًا ، وكان نظامُ المُلْكِ يزورُه ويعظِّمُه[3] . وحجَّ بالناسِ خُمارْتِكينُ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٧٩، والكامل ١٠/ ٣٣٣.

(٢) المنتظم ١٧/ ٨٠.

(٣) المذكور فى الكامل ١٠/ ٣٦٦، ٣٦٧، أن نظام الملك كان يزور ويعظم أبا بكر محمد بن ثابت الخُجَنْدى لا أبا المظفر.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ علىِّ بنِ عُبيدِ اللَّهِ (١**بنِ عمرَ**١) **بنِ سِوارٍ ، أبو طاهرٍ المُقْرِئُ،** صاحبُ المصنَّفاتِ فى علمِ القراءاتِ ، كان ثقةً ، ثَبْتًا ، مأمونًا ، عالِمًا بهذا الشأنِ ، قد جاوَز الثمانين ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو المَعالِى[٢] أحدُ الصُّلَحاءِ الزُّهادِ ، ذَوِى الكراماتِ والمُكاشَفاتِ ، وكان كثيرَ العبادةِ ، مُتَقلِّلًا مِن الدُّنيا ، لا يلبَسُ صيفًا ولا شتاءً إلَّا قميصًا واحدًا ، فإذا اشتدَّ البَرْدُ وضَع على كتِفِه مِئْزَرًا ، وذكَر أنَّه أصابَتْه فاقةٌ شديدةٌ فى شهرِ رمضانَ ، فعزَم على الذَّهابِ إلى بعضِ أصحابِه ليَسْتَقْرِضَ منه شيئًا ، قال : فبَيْنَما أنا أُرِيدُه إذا بطائرٍ قد سقَط على كَتفِى ، وقال : يا أبا المَعالى ، أنا المَلَكُ الفُلانىُّ ، لا تَمْضِ إليه ، نحنُ نأتِيكَ به ، قال : فبَكَّر إلىَّ الرجلُ . روَاه ابنُ الجوزِىِّ فى « مُنْتَظِمِه »[٣] من طريقينِ عنه ، كانت وفاتُه فى هذه السنةِ ، ودُفِن قريبًا مِن قبرِ أحمدَ .

السَّيدةُ بنْتُ القائمِ بأمرِ اللَّهِ أميرِ المؤمنينَ[٤] ، التى تزوَّجها المَلِكُ طُغْرُلْبَك ، توفِّيت فى هذه السنةِ ودُفِنتْ بالرُّصافَةِ ، وكانت كثيرةَ الصَّدقةِ والإيثارِ ، وجلَس لعزائِها فى بيتِ النُّوبَةِ الوزيرُ ، واللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر ترجمته ، التالية : معجم الأدباء ٤/ ٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٢٩، والوافى بالوفيات ٧/ ٢٠٤، وغاية النهاية ١/ ٨٦.

(٢) المنتظم ١٧/ ٨٢، والكامل ١٠/ ٣٦٧، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٤١، وفيه : « معالى العابد » .

(٣) المنتظم ١٧/ ٨٢.

(٤) المنتظم ١٧/ ٨٣، والكامل ١٠/ ٣٦٦، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ٨.

ثم دَخلتْ سنةُ سبعٍ وتسعِينَ وأربعِمائةٍ[1]

فيها قصَد الفِرنْجُ - لعَنهم اللَّهُ - الشامَ، فقاتَلهمُ المسلمونُ فقَتَلُوا مِنهمُ اثْنَىْ عشَرَ ألفًا، وردَّ اللَّهُ الذينَ كفَروا بغيظِهم لم ينالُوا خيرًا، وقد أُسِر فى هذه الوقْعةِ بَرْدَويلُ صاحبُ الرُّهَا.

وفى هذه السنةِ سقَطتْ مَنارةُ وَاسِطٍ وقد كانتْ مِن أحسنِ المَنائرِ، كان أهلُ البلدِ يفْتخِرونَ بها وبقُبَّةِ الحَجّاجِ، فلمّا سقَطتْ سُمِع لأهلِ البلَدِ بُكاءٌ وعويلٌ شديدٌ لم يُسمَعْ بمثلِه، ومع هذا لم يَهْلِكْ بسببِها أحدٌ، وكان بناؤُها فى سنةِ أربعٍ وثلاثِمائةٍ فى زمنِ المقتدرِ.

وفى هذه السنةِ تأكَّدَ الصُّلحُ بينَ السُّلطانينِ الأخوين بَرْكيارُوقَ ومحمدٍ، واقتسَما البلادَ فقُطِعتِ الخُطبةُ ببغدادَ لمحمدٍ واستمرَّت للمَلكِ بَرْكيَارُوقَ، وبُعِث إليه بالخِلَعِ وإلى الأميرِ إيازَ. وفيها أخَذتِ الفِرنْجُ مدينةَ عكَّا وغيرَها من السواحلِ.

وفيها استَولَى الأميرُ سيفُ الدولةِ صَدَقةُ بنُ منصورٍ صاحبُ الحِلَّةِ على مدينةِ وَاسِطٍ. وفيها تُوفِّى الملكُ دُقاقُ بنُ تُتُشَ صَاحبُ دِمَشقَ، فأقامَ مملوكُه طُغْتِكِينُ ولدًا له صغيرًا مكانَه، وأخَذ [٢١٧/٩ظ] البيعةَ له، وصارَ هو أتابِكَه، فدبَّرا المُلْكَ بدمشقَ مدَّةً. وفيها عزَل السلطانُ سَنْجَرُ وزيرَه أبا الفتحِ الطُّغْرائيَّ، ونفَاه إلى غَزْنَةَ.

---

(١) المنتظم ١٧/ ٨٤، والكامل ١٠/ ٣٦٨.

وفيها وَلِىَ أبو نَصْرٍ نظامُ الحضْرتَيْن ديوانَ الإنْشاءِ بعدَ وفاةِ خالِه أبى سعدٍ، العلاءِ بنِ المُوصَلَايَا. وفيها قُتِل الطبيبُ الماهرُ الحاذِقُ أبو نُعَيْمٍ، وكانت له إصاباتٌ عجيبةٌ جدًّا. وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الأميرُ خُمارْتِكينُ.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

أَرْدَشيرُ بنُ (١) أبى منصورٍ (١)، أبو الحسَنِ (٢) العَبَّادِىُّ الواعظُ، قدِمَ بغْدادَ - فأحبَّتْه العامَّةُ - فى سنَةِ سِتٍّ وثمانينَ، وقد كانت له أحوالٌ جيدةٌ فيما يظْهرُ، واللَّهُ أعلمُ.

إسماعيلُ بنُ محمدِ بنِ عثمانَ بنِ أحمَد، أبو الفرجِ القُومَسَانىُّ [٣]، من أهلِ هَمَذانَ، سمِع مِن أبيه وجدِّه وجماعةٍ، وكان حافظًا، حسَنَ المعرفةِ بالرِّجالِ والمتونِ، ثقةً مأمونًا، رحِمه اللَّهُ تعالى.

العَلاءُ بنُ الحسَنِ بنِ وَهْبِ بنِ المُوصَلَايَا [٤]، سعدُ الدولةِ [٥]، كاتبُ الإنْشاءِ ببَغدادَ، كان نَصرانيًّا فأسلَمَ فى سنةِ أربعٍ وثمانينَ. ومكَث فى الرِّياسةِ مدةً طويلةً، نحوًا من خمسٍ وستِّين سنةً، وكان فى الوزارةِ مراتٍ، وكتَب الإنشاءَ

(١ - ١) فى النسخ، والمنتظم ١٧/ ٨٧: «منصور». والمثبت من مصادر ترجمته، وانظر المنتخب من السياق ص ١٦٧، والأنساب ٤/ ١٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٥١.

(٢) فى الأنساب وتاريخ الإسلام: «الحسين».

(٣) المنتظم ١٧/ ٨٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٥٠.

(٤) المنتظم ١٧/ ٨٩، ومعجم الأدباء ١٢/ ١٩٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٨٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٦٠.

(٥) المذكور فى مصادر ترجمته أن لقبه أمين الدولة لا سعد الدولة، وأن كنيته أبو سعد.

مدَّةً ، وكان فصيحَ العبارةِ ، كثيرَ الصَّدقةِ ، توفِّى فى هذه السنةِ عن عمرٍ طويلٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ ، أبو عمرَ النَّهاوَنْدِىُّ[1] ، قاضى البصرةِ مدةً طويلةً ، وكان فقيهًا عالمًا ، سمِع الحديثَ مِن أبى الحسنِ الماوَرْدِىِّ وغيرِه . كان من تلامذَةِ الماوَرْدىِّ ، مؤلدُه فى سنةِ [2]عَشْرٍ ، وقيل : سبعٍ[2] ، وأرْبَعِمائَةٍ ، واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٨٩، والجواهر المضية ٣/ ٥٤.

(٢ - ٢) فى الأصل : « عشر » ، وفى م : « سبع وقيل تسع » وفى خ : « سبع وقيل » ، وفى ص : « سبع وقيل عشر » . والمثبت من المنتظم والجواهر المضية .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وتسعينَ وأربعِمائةٍ[1]

فيها تُوفِّى السلْطانُ برْكيارُوقُ ، وعُهِدَ إلى وَلدِه الصغيرِ مَلِكْشاه وعمرُه أربعُ سِنينَ وشهورٌ ، فخُطِب له ببغدادَ ، ونُثِر عندَ ذكْرِه الدنانيرُ والدراهمُ ، ولُقِّب جلالَ الدولةِ ، وجُعِل أتابِكَه الأميرَ إيازَ ، ثم جاءَ السلطانُ محمدُ بنُ مَلِكْشاه إلى بغدادَ ، فخرَج إليه الدولةُ فتَلَقَّوه وصالَحُوه . وكان الذى أخَذ البيعةَ بالصُّلحِ إلْكِيَا الهرَّاسيُّ مدرسُ النِّظاميَّةِ ، وخُطِب له بالجانبِ الغرْبِيِّ ، ولابنِ أخيه بالجانبِ الشرقِيِّ ، ثم قتَل الأميرَ إيازَ [2]ودخَل بغدادَ وحُمِلَت إليه الخِلَعُ والدَّواةُ والدَّسْتُ .

وحضَر الوزيرُ سعدُ الدولةِ عندَ إلْكِيَا الهَرّاسِيِّ فى درْسِ النِّظامِيَّةِ ؛ ليُرغِّبَ الناسَ فى العلمِ .

وفى [3]ثانى عشَرَ[3] رجَبٍ منها أُزيلَ الغِيَارُ عن أهلِ الذِّمَّةِ الذى كانُوا أُلْزِموه فى سنَةِ أربعٍ وثمانينَ وأربعِمائةٍ ، ولا يُعْرَفُ ما سبَبُ ذلك[2] . وفيها كانتْ حروبٌ كثيرةٌ بينَ المصريينَ والفِرنجِ ، فقتَلوا مِن الفِرنجِ خلقًا كثيرًا ، ثم أُدِيلَ عليهمُ الفِرنجُ ، فقتَلوا مِنهم خلقًا أيضًا .

ومِمَّنْ توفِّى فيها مِنَ الأعيانِ :

---

(١) المنتظم ١٧/ ٩٠، والكامل ١٠/ ٣٨٠.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) فى م ، خ : « ثامن » ، وفى ص : « ثالث » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ٩٢.

السلْطانُ بَرْكْيَارُوقُ بنُ مَلِكْشَاه[1] **ركنُ الدولةِ السَّلْجُوقِيُّ**، جرَتْ له خطوبٌ كثيرةٌ، وحروبٌ هائلةٌ، وأحوالٌ متباينةٌ، خُطِب له ببَغْدادَ سِتَّ مرّاتٍ، وعُزِل عنها ستَّ مرّاتٍ، وكان عمرُه يومَ مات أربعًا وعشرينَ سنةً وشهورًا، وقامَ من بعدِه ولَدُه مَلِكْشَاه، فلم يتمَّ أمرُه بسبَبِ مُنازعةِ عمِّه محمدٍ له.

عيسى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ القاسِمِ، أبو المؤيَّدِ[2] **الغَزْنَوِيُّ الأشْعرِيُّ**، كان واعظًا كاتبًا شاعرًا، ورَد بغدادَ فوعَظ بها فنَفَق على أهلِها، وكان أشعريَّ المذهبِ متعصِّبًا له، فخرَج مِن بَغْدادَ قاصدًا بَلَدَه فتُوفِّي بإسْفَرايِينَ.

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إبْراهيمَ بنِ سِلَفَةَ الأصْبهانِيُّ[3]، أبو أحمدَ، كان شيخًا عفيفًا ثقةً، سمِع الكثيرَ، وهو والدُ الحافظِ أبي طاهرٍ السِّلَفيِّ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

الحافظُ أبو عليٍّ الجَيَّانِيُّ[4]، **الحُسَيْنُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ الغسَّانيُّ** [٩/ ٢١٨و] **الأَندَلُسِيُّ**، مصنِّفُ «تقْييدِ المُهْمَلِ» على ألفاظِ الصَّحيحَينِ، وهو كتابٌ مفيدٌ كثيرُ النفعِ، وكان حَسنَ الخطِّ، عالِمًا باللغةِ والشعرِ والأدبِ، وكان يُسْمَعُ في جامعِ قُرْطُبَةَ، تُوفِّي ليلةَ الجُمعةِ لثِنْتَيْ عشْرَةَ خلَتْ مِن شعبانَ هذه السنةَ، عن

---

(١) المنتظم ١٧/ ٩٣، والكامل ١٠/ ٣٨٠، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٣، ووفيات الأعيان ١/ ٢٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٧٣.

(٢) في النسخ: «الوليد». والمثبت من مصادر ترجمته التالية: المنتظم ١٧/ ٩٣، والكامل ١٠/ ٣٩٧، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٨٣.

(٣) المنتظم ١٧/ ٩٤.

(٤) في الأصل: «الحياني»، وفي خ: «الحباني»، وفي م: «الخيالي». وانظر ترجمته في: الصلة لابن بشكوال ١/ ١٤٢، ووفيات الأعيان ٢/ ١٨٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٤٨، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٧٧.

إحْدَى وسبْعِين سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

محمدُ بنُ عليٍّ بنِ الحسنِ بنِ أَبى الصَّقْرِ ، أبو الحسنِ الواسِطِيُّ[(١)] ، سمِع الحديثَ وتفقَّه بالشيخِ أبى إسْحَاقَ الشِّيرازِيِّ ، وقرَأ الأدبَ ، وقال الشعرَ ومِن ذلك قولُه[(٢)] :

مَنْ قالَ لى جَاهٌ وَلِى حِشْمَةٌ ... وَلِى قَبُولٌ عندَ مَوْلَانا
ولم يَعُدْ ذاكَ بنَفْعٍ عَلَى ... صَديقِهِ لَا كانَ مَنْ[(٣)] كانَا

(١) المنتظم ١٧/ ٩٤، ومعجم الأدباء ٨/ ٢٥٧، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٥٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٨٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ١٩١.
(٢) البيتان فى المنتظم ١٧/ ٩٤، والكامل ١٠/ ٣٩٧، ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٥٨.
(٣) فى م، ص: «ما».

ثم دخلتْ سنةُ تسعٍ وتسعِينَ وأربعِمائةٍ

فى المحرَّمِ منها[1] ادَّعَى رجلٌ النبوَّةَ بنواحِى نَهاوَنْدَ ، وسمَّى أربعةً مِن أصحابِه أبَا بكرٍ ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وعليًّا ، فاتَّبعَه على ضلالِه هذا خلقٌ مِن الجهَلَةِ الرَّعاعِ ، وباعوا أملاكَهم ودفَعوا أثمانَها إليه ، وكان كريمًا يُعْطِى مَن قصَده ما عندَه ، ثم إنَّه قُتل بتلكَ الناحيةِ ، لعَنه اللَّهُ .

ورامَ رجلٌ مِن ولَدِ ألبِ أرْسَلانَ بتلكَ الناحيةِ المُلْكَ فلم يتمَّ أمرُه ، فقُبِض عليه فى أقلَّ مِن شهرَيْنِ . فكانوا يقولونَ : ادَّعَى رجلٌ النبوةَ وآخرُ المُلْكَ ، فما كان بأسْرعَ مِن زوالِهما .

وفى رجَبٍ منها زادَتْ دِجلةُ زيادةً عظيمةً ، فأتْلَفَتْ شيئًا كثيرًا مِن الغلَّاتِ ، وغَرِقَت دُورٌ كثيرةٌ ببَغْدادَ . وفيها كسَر طُغْتِكِينُ أتابَكُ العساكرِ بدمشقَ الفِرنجَ ، وعاد منصورًا إلى دمشقَ ، وزُيِّنَتِ البلدُ سبعةَ أيامٍ ، سرورًا بكَسْرةِ الفِرنجِ . وفى رمضانِها حاصَر الملكُ رِضوانُ بنُ تُتُشَ صاحبُ حلَبَ مدينةَ نَصِيبِينَ .

وفيها ورَدَ بغْدادَ مَلِكٌ مِن ملوكِ المُلَثَّمينَ وصحبتُه رجلٌ يقالُ له : الفقيهُ . فوعظَ الناسَ فى جامعِ القصرِ وهو مُلَثَّمٌ ، ثم عاد إلى مصرَ ، وله حروبٌ كثيرةٌ مع الفِرنْجِ اسْتُشْهِد فى بعضِها . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ من العراقِ رجلٌ مِن قرائبِ الأميرِ سَيْفِ الدولةِ صَدَقةَ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٩٥، والكامل ١٠/ ٣٩٩.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

سهلُ بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ الأَرْغِيانِيُّ ، أبو الفَتْحِ الحاكمُ[١] ، سمِع الحديثَ مِن البَيْهَقِيِّ وغيرِه ، وعلَّقَ عن القاضى حُسَيْنٍ طريقَه[٢] ، وشكَره فى ذلك ، وكان قد تفَقَّهَ أوَّلًا على الشيخِ أبى عليٍّ السِّنْجِيِّ ، وعلَّقَ عن إمامِ الحرمَينِ فى الأُصولِ ، وناظَر بحَضْرَتِه فاسْتَجادَه ، ووَلِىَ قضاءَ بلَدِه مدَّةً ، ثم ترَك ذلك كلَّه ، وأقبَل على التَّعبُّدِ وتلاوةِ القرآنِ . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[٣] : وبنَى للصوفِيَّةِ رِباطًا مِن مالِه ، ولَزِمَ التَّعبُّدَ إلى أنْ ماتَ فى مُسْتَهَلِّ المحرَّمِ من هذه السَّنَةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ الرَّزَّاقِ ، أبو منصورٍ الخَيَّاطُ[٤] ، أحدُ القُرَّاءِ والصُّلَحاءِ ، ختَم ألوفًا من الختَماتِ ، وختَم عليه أُلوفٌ مِن الناسِ ، وأسمَع الحديثَ الكثيرَ ، وحينَ تُوفِّى اجْتمَعَ العالَمُ فى جِنازَتِه اجْتماعًا لم يُعهَدْ مثلُه ، فى جِنازةٍ بتلك الأزمانِ . وكان عمرُه يومَ تُوفِّى سبْعًا وتِسْعِينَ سنةً ، رحِمهُ اللَّهُ ، وقد رآه بعضُهم فى المنامِ فقال : ما فعَل بكَ ربُّكَ ؟ فقال : غفَرَ لى بتَعْليمِى الصِّبْيانَ الفاتحةَ[٥] .

محمدُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ الحسَنِ بنِ الحسينِ ، أبو الفرَجِ البَصْرِىُّ[٦] قاضِيها ،

---

(١) الأنساب ١/ ١١٢، والمنتظم ١٧/ ٩٦، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٩٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٣٩١.

(٢) فى طبقات الشافعية : « طريقته » .

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٤٣٤.

(٤) فى م : « الحناط » . وانظر ترجمته فى : الكامل ١٠/ ٤١٥، وطبقات الحنابلة ٢/ ٢٥٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٢٢، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٣٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٣٠٣.

(٥) المنتظم ١٧/ ٩٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٢٤.

(٦) المنتظم ١٧/ ٩٧، والكامل ١٠/ ٤١٥، وفيه : عبيد اللَّه بن الحسن ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٣٠٦، ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٣٤، والوافى بالوفيات ٤/ ٩.

سمِعَ أبا الطَّيِّبِ الطَّبَرِىَّ والماوَرْدِىَّ وغيرَهما [٩/٢١٨ظ]، ورحَل فى طلبِ الحديثِ، وكان عابدًا خاشِعًا عندَ الذِّكْرِ.

مُهَارِشُ بنُ مُجلِّى[(١)]، أميرُ العرَبِ بحَدِيثَةَ[(٢)] وعانةَ[(٣)]، وهو الذى أُودِعَ عندَه الخليفةُ القائمُ بأمرِ اللَّهِ، حين كانتْ فتنةُ البَسَاسيرِىِّ ببغدادَ، فأكرَم الخليفةَ حينَ ورَد عليه، ثم جازاه الجزاءَ الأَوْفَى، وقد كان الأميرُ مُهارِشٌ هذا كثيرَ الصلاةِ والصدقةِ، كانت وفاتُه فى هذه السنَةِ عن ثمانينَ سنةً.

---

(١) المنتظم ١٧/ ٩٨، والكامل ١٠/ ٤١٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٣٠٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٩٣.

(٢) الحديثة: هى حديثة الفرات، وتعرف بحديثة النور، وهى على فراسخ من الأنبار. معجم البلدان ٢/ ٣٣٣.

(٣) عانة: بلد مشرف على الفرات قرب حديثة النور. معجم البلدان ٣/ ٥٩٣.

ثم دخلت سنة خَمْسِمائةٍ من الهجرةِ النَّبويةِ

قال أبو داودَ فى « سُنَنِه » : حدَّثَنا حَجَّاجُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثَنا ابنُ وَهْبٍ ، حدَّثنى مُعاوِيَةُ بنُ صالحٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن أبيه ، عن أبى ثَعْلَبَةَ الخُشَنِىِّ ، قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ هَذِه الأُمَّةَ مِنْ نِصْفِ يَوْمٍ »[(١)] .

حدَّثَنا عمرُو بنُ عثمانَ ، حدَّثَنا أبو المغيرَةِ ، حدَّثَنى صَفْوانُ ، عن شُرَيْحِ بنِ عُبَيْدٍ ، عن سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ ، عنِ النبىِّ ﷺ أنه قالَ : « إنِّى لأَرْجُو أنْ لَا يُعْجِزَ أُمَّتى عِنْدَ رَبِّهَا أنْ يُؤَخِّرَها نِصْفَ يَوْمٍ » . قيلَ لسعدٍ : وكم نصفُ يومٍ ؟ قالَ : خَمْسُمائَةِ سنَةٍ[(٢)] . وهذا مِن دلائلِ النبوَّةِ ، وذِكْرُ هذه المُدَّةِ لا ينْفِى زِيادةً عليها ، كما هو الواقعُ ؛ لأنَّه ﷺ ذكَر شيئًا مِن أشْراطِ الساعَةِ لابُدَّ مِن وُقوعِها ، كما أخْبَر سَواءً بسَواءٍ . وسيأتِى ذكْرُها فيما بعدَ زمانِنا ، وباللَّهِ المستعانُ .

ومِمَّا وقَع فى[(٣)] هذه السنَةِ مِن الحوادثِ أنَّ السلطانَ محمدَ بنَ مَلِكْشَاه حاصَر قِلاعًا كثيرةً مِن حُصونِ الباطِنيَّةِ ، وافْتتَح منها أماكِنَ كثيرةً ، وقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وجمعًا كبيرًا ، وجَمًّا غفيرًا ، وكان من جملةِ ما افتتحَ مِن ذلك قلعةٌ حصينةٌ كان أبوه قد بناها بالقُرْبِ مِن أصْبهانَ فى رأسِ جبَلٍ منيعٍ ، وكان سبب

---

(١) أبو داود (٤٣٤٩) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٥٥) .
(٢) أبو داود (٤٣٥٠) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٥٦) .
(٣) المنتظم ١٧/ ١٠١، والكامل ١٠/ ٤١٧.

بنائِه لها أنَّه كان مرَّةً فى بعْضِ صُيودِه ،فهرَبَ منه كلبٌ ، فاتَّبَعه إلى رأسِ الجبَلِ فوجَده ، وكان معه رجلٌ مِن رُسُلِ الرومِ ، فقال الروميُّ : لو كان هذا الجبَلُ بِبلادِنا لاتَّخَذْنا عليه قلعةً ، فحدَا هذا الكلامُ السلْطانَ على أنْ ابْتَنَى فى رأسِه قلعةً أنفَق عليها ألْفَ ألفِ دينارٍ ، ومائتَىْ ألفِ دينارٍ ، فاسْتَحوذَ عليها بعدَ ذلك رجلٌ مِنَ الباطِنيَّةِ يقالُ له : أحمدُ بنُ (١ عبدِ الملكِ بنِ عطَّاشٍ ١) . فتعِب المسلمونَ بسببِها ، فحاصَرها السلطانُ محمدٌ سنةً حتى فتَحها ، وسلَخَ هذا الرجلَ ، وحشَى جلْدَه تِبْنًا ، وقطعَ رأسَه ، فطِيف به فى الأقاليمِ ، ثُم نقَضَ هذه القلعةَ حجَرًا حجرًا ، وألْقَتِ امرأتُه نفْسَها من أعْلَى القلعةِ فتَلِفَت ، وهلَكَ ما كان معها مِنَ الجواهرِ النَّفِيسَةِ ، وكان الناسُ يتَشاءَمُونَ بهذه القلعةِ ، يقولُونَ : كان دَلِيلُها كلبًا ، والمُشِيرُ بها كافرًا ، والمتَحصِّنُ بها زِنْدِيقًا .

وفيها كانت حروبٌ كثيرةٌ بيـنَ خَفاجَةَ وبيـنَ عُبادةَ ، فقهَرَتْ عُبادةُ خَفاجةَ وأخذَتْ بثَأْرِها . وفيها اسْتَحوذَ سيفُ الدولةِ صَدَقةُ بنُ منصورٍ الأسدىُّ على مدينةِ تَكْرِيتَ بعدَ قتالٍ كثيرٍ . وفيها أرسَل السلطانُ محمدٌ الأميرَ جاولى سقَاوو إلى المَوْصِلِ وأقْطَعه إيَّاها ، فذهَب فانْتَزَعَها مِنَ الأميرِ جكرمشَ بعدَما قاتلَه وهزَم أصْحابَه وأسَره ، ثم قتَله بعدَ ذلك وقد كان جكرمشُ مِن خِيارِ الأُمَراءِ سِيرةً وعدْلًا وإحْسانًا ، ثم أقبَل قلجُ أرْسَلانَ بنُ قُتُلْمِشَ ، فحاصَر المَوْصِلَ فانْتزَعَها مِن جاولى ، فصارَ جاولى إلى الرَّحْبةِ ، فأخَذها ثم أقبَل إلى قتالِ قلجَ فكسَره ، وألْقَى قلجُ نفْسَه فى النهرِ الذى للخابورِ فهلَكَ .

وفيها نشأتْ حروبٌ كثيرةٌ بيـنَ الرومِ والفِرنجِ ، فاقْتتلُوا قِتالًا عظيمًا ، وقُتِل

(١ - ١) فى الأصل ، خ : « عبيد الله بن عطاس » . وفى م ، ص : « عبد الله بن عطاء » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ١٠١. وانظر الكامل ١٠/ ٤٣٠، وشذرات الذهب ٣/ ٤١٠.

مِن الفريقَيْنِ طائفةٌ كبيرةٌ ، ثم كانتِ الهزيمةُ بعدَ كلِّ حسابٍ على الفِرنْجِ .

وفي يومِ عاشُوراءَ قُتِل فخرُ المُلكِ أبو المُظَفَّرِ بنُ نِظامِ المُلكِ ، وكان أكبرَ أولادِه ، وهو وزيرُ السلطانِ سَنْجَرَ بنَيْسَابُورَ ، وكان صائمًا ، قتَله باطِنيٌّ ، وكان قد رأى في تلكَ الليلةِ الحُسَيْنَ بنَ عليٍّ ، رضِي اللَّهُ عنه ، وهو يقولُ له : عَجِّلْ إلَينا ، وأفْطِرْ عندَنا الليلةَ . فأصبحَ مُتعجِّبًا ، فنوَى الصومَ ذلك اليومَ ، وأشارَ عليه [٩/٢١٩و] بعضُ أصحابِه أنْ لا يخرجَ ذلك اليومَ مِن المنزلِ ، فما خرَج إلَّا في آخِرِ النهارِ ، فرأى شابًّا يتظَلَّمُ وبيدِه رقعةٌ فقالَ : ما شأْنُكَ ؟ فناوَلَه الرُّقعةَ ، فبَيْنَما هو يقرؤها إذْ ضرَبَه بخَنْجَرٍ في يدِه فقتَله ، فأُخِذ الباطِنيُّ فرُفِعَ إلى السلطانِ ، فقرَّرَه فأقرَّ على جماعةٍ مِن أصْحابِ الوزيرِ أنَّهم أمَرُوه بذلك ، وكان كاذِبًا ، فقُتِل وقُتِلُوا أيضًا .

وفي صفَرٍ عزَل الخليفةُ الوزيرَ أبا القاسِمِ عليَّ بنَ جَهيرٍ ، وخرَّبَ دارَه التي كانَ قد بنَاها أبوه مِن خَرابِ بُيوتِ الناسِ ، فكان في ذلك عِبْرَةٌ وموعظةٌ لذَوي البصائرِ والنُّهَى ، واسْتُنِيبَ في الوِزارةِ القاضي أبو الحسَنِ ابنُ الدَّامَغانيِّ[1] . وحجَّ بالناسِ في هذه السنةِ تُرْكمانيٌّ[2] مِن جهةِ السلطانِ محمدِ بنِ مَلِكْشاه .

وممَّن تُوفِّي فيها مِن الأعيانِ :

أَحمدُ بنُ محمدِ بنِ المُظَفَّرِ . أبو المُظفَّرِ الخَوَافِيُّ الفَقيهُ الشافِعيُّ[3] . قال ابنُ خَلِّكانَ[4] : كان أنْظَرَ أهلِ زمانِه ، تفقَّهَ على إمامِ الحرَمَيْنِ ، وصار أَوْجَهَ تلامِذَتِه ،

---

(١) بعده في خ ، م ، ص : « ومعه آخر » .

(٢) بعده في خ : « واسمه الترن » ، وبعده في م : « واسمه اليرن » ، وبعده في ص : « اسمه البزن » . وانظر إتحاف الورى ٢/ ٤٩٢.

(٣) الأنساب ٢/ ٤١١، ووفيات الأعيان ١/ ٩٦، والمنتخب من السياق ص ٢٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٣١٢، وطبقات الشافعية للسبكي ٦/ ٦٣.

(٤) وفيات الأعيان ١/ ٩٦، ٩٧.

وَلِى القضاءَ بطُوسَ ونواحِيها ، وكان مشهورًا بينَ العلماءِ بحُسْنِ المُناظرةِ وإفحامِ الخصُومِ . قال : والخَوَافِيُّ ، بفَتْحِ الخاءِ والواوِ نسْبَةً إلى خَوَافَ ، وهى ناحيةٌ من نواحِى نَيْسَابُورَ . وتُوفِّى فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

جَعْفَرُ بنُ أحمدَ[1] بنِ الحُسَيْنِ بنِ أحمدَ بنِ جعفرٍ السَّرَّاجُ ، أبو محمدٍ القارِئُ البغدادِىُّ ، وُلد سنةَ سِتَّ عشْرَةَ وأرْبَعِمائةٍ ، وقرَأ القرآنَ بالرِّواياتِ ، وسمِعَ الكثيرَ مِنَ الأحاديثِ النَّبَوِيَّاتِ ، مِن المشايخِ والشَّيْخاتِ فى بُلْدانٍ مُتَبايناتٍ ، وقد خرَّجَ له الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ أجْزاءً مِن مسْمُوعَاتِه ، وكان صحيحَ الثَّبَتِ ، جيِّدَ الذِّهنِ ، أديبًا شاعرًا ، حسَنَ النَّظمِ ؛ نظَمَ كتابَ « المبتدأ » ، وكتابَ « التَّنْبِيهِ » و « الخِرَقِيِّ » ، وغيرَ ذلك ، وله كتابُ « مصَارِعِ العُشَّاقِ » ، وغيرُ ذلك ، ومن شعرِه[2] :

قُلْ للذينَ بجَهْلِهم ... أضْحَوا يَعيبُونَ المَحَابِرْ

والحامِلينَ لها مِنَ الْـ ... ـأَيدِى بمجتمَعِ الأسَاوِرْ

لوْلَا المحابِرُ والمَقا ... لِمُ والصَّحائِفُ والدفاتِرْ

والحافِظُونَ شريعَةَ الْـ ... ـمَبْعُوثِ مِن خيْرِ العشائِرْ

والناقِلُونَ حديثَهُ عن ... كابِرٍ ثَبَتٍ وكابِرْ

لرأيْتَ مِن شِيعِ الضَّلا ... لِ عسَاكِرًا تتْلُو عساكِرْ

كلٌّ يقُولُ بجَهْلِهِ ... واللَّهُ للمظلومِ ناصِرْ

---

(١) فى م : « محمد » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ١٠٢، ومعجم الأدباء ٧/ ١٥٣، ووفيات الأعيان ١/ ٣٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٣١٥، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٠٠.

(٢) الأبيات فى : المنتظم ١٧/ ١٠٣، ١٠٤، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٠٠، ١٠١.

سمَّيْتُهم أهلَ الحديـ ـثِ أُولى النُّهى وأُولى البَصائِرْ
(١حَشْوِيَّةٌ أُفٍّ لكم ولمن بنَقْصِهُمُ يُجاهِرْ١)

هم حَشْوُ جنَّاتِ النَّعيـ ـمِ على الأسِرَّةِ والمنابِرْ
رُفَقاءُ أحمدَ، كلُّهم عن حَوْضِه رَيَّانُ صادِرْ

(٢وذكَرَ له ابنُ خَلِّكانَ أشْعارًا رائقةً منها قولُه٢) :

ومُدَّعٍ شَرْخَ الشبابِ وقد عَمَّمَهُ الشَّيْبُ على وَفْرَتِهْ
يَخْضِبُ بالوشمةِ عُثْنُونَهُ يكْفِيهِ أنْ يَكْذِبَ فى لِحْيَتِهْ[٣]

[٩/٢١٩ظ] **عبدُ الوَهَّابِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ عبدِ الواحدِ، أبو محمدٍ الشِّيرازِىُّ الفارِسِىُّ**[٤]، سمِعَ الحديثَ الكثيرَ وتفقَّه، ووَلَّاه نظامُ المُلْكِ تدريسَ النِّظَامِيَّةِ ببَغْدادَ فى سنَةِ ثلاثٍ وثمانينَ، فدرَّسَ بها مدَّةً، وكان يُمْلِى الأحاديثَ، وكان كثيرَ التَّصْحِيفِ، روَى[٥] مرَّةً حديثَ: «صَلَاةٌ فى أَثَرِ صَلاةٍ

(١ - ١) سقط من: خ، م، ص. والبيت فى المنتظم، ذيل طبقات الحنابلة هكذا:
«حَشْوِيَّةٌ فعليكمُ لَعْنٌ يُزيركمُ المقابرْ»

(٢ - ٢) فى الأصل، ص: «جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر أبو محمد السراج العشارى صاحب «مصارع العشاق» وغيره من التصانيف العجيبة. وكان حافظًا مبرزًا على أقرانه من أبناء زمانه، سمع الحديث منه الحافظ السلفى، وكان يفتخر بروايته ومن شعره».

(٣) بعده فى الأصل، ص: «وذكر له القاضى ابن خلكان قطعة من أشعاره المستحسنة، وأرخ وفاته فى هذه السنة وقد جاوز الثمانين رحمه الله».

(٤) المنتظم ١٧/ ١٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٤٨، وميزان الاعتدال ٥/ ٦٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٣٢٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٠٥.

(٥) الخبر فى: المنتظم ١٧/ ١٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٤٩، ٢٥٠. والحديث أخرجه أبو داود فى سننه (٥٥٨، ١٢٨٨)، وأحمد فى مسنده ٥/ ٢٦٣، ٢٦٤، ٥/ ٢٦٨. حسن (صحيح سنن أبى داود ٥٢٢، ١١٤٥).

كِتَابٌ فى عِلِّيِّينَ ». فقال: (١كنارٍ فى غَلَسٍ١). ثمَّ فسَّر ذلك بأنَّه أكثرُ لإضاءَتِها.

محمدُ بنُ إبْراهيمَ (٢أبو عبدِ اللَّهِ٢) الأسَدِيُّ الشاعرُ، لَقِيَ (٣أبا الحسنِ٣) التِّهَامِيَّ، وكان مغْرَمًا بما يعارِضُ شعرَه، وقد أقامَ باليمنِ وبالعراقِ، ثم بالحجازِ ثم بخُرَاسَانَ، ومِن شعرِه[٤]:

قلتُ ثَقَّلْتُ إذ أتَيْتُ مِرارًا ... قالَ ثَقَّلْتَ كاهِلى بالأيادِى
قلتُ طوَّلْتُ قال لا بل تطوَّ ... لْتَ (٥وأَبْرَمْتُ٥) قالَ حبْلَ الودادِ

يوسفُ بنُ عليٍّ، أبو القاسمِ الزَّنْجَانِيُّ الفَقِيهُ[٦]، كان مِن أهلِ الدِّيانَةِ، حكَى عن الشيخِ أبى إسحاقَ، عن القاضى أبى الطَّيِّبِ، قال: كنا يومًا بجامعِ المنصورِ فى حلْقَةٍ، فجاءَ شابٌّ خُرَاسَانِيٌّ، فذكَر حديثَ أبى هريرةَ فى المُصَرَّاةِ[٧] فقال الشابُّ: هذا الحديثُ غيرُ مقبُولٍ. فما اسْتَتَمَّ كلامَه حتى سقطَتْ مِن سَقْفِ المسجدِ حيَّةٌ، فنهَضَ الناسُ هارِبينَ فتَبِعتِ الحيَّةُ ذلك الشابَّ مِن بيْنِهم،

(١ - ١) فى خ، م: « كتاب فى غلس »، وفى ص: « كمار فى عليين ».
(٢ - ٢) فى الأصل، ص: « بن عبد اللَّه »، وفى خ، م: « بن عبيد ». والمثبت من مصادر ترجمته، وانظر المنتظم ١٧/ ١٠٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٩٥، ومعاهد التنصيص ٣/ ٢٠١.
(٣ - ٣) فى خ، م: « الخنيسى ».
(٤) البيتان: فى المنتظم ١٧/ ١٠٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٩٥.
(٥ - ٥) فى النسخ: « قلت مزقت ». والمثبت من المنتظم، والنجوم الزاهرة.
(٦) المنتظم ١٧/ ١٠٦، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٣٤٠، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٦.
(٧) فى م: « المطر ». والمصراة: الناقة أو البقرة أو الشاة يُصَرَّى اللبن فى ضرعها أى: يُجمع ويُحبس. والحديث رواه مسلم فى صحيحه (١٥٢٤/٢٣). ونصه: « من اشترى شاة مصراة فلينقلب بها، فليحلبها، فإن رضى حِلابها أمسكها، وإلا ردَّها ومعها صاع من تمر ».

فقِيلَ له : تُبْ تُبْ . فقال : تُبْتُ ، فذهَبتْ تلك الحيَّةُ فلا يُدْرَى أيـنَ ذهبَتْ . روَاها ابنُ الجَوْزِيِّ[1] عن شيْخِه أبى المعمَّرِ الأنصارِيِّ ، عن أبى القاسمِ هذا . واللَّهُ أعلمُ .

(١) المنتظم ١٧/١٠٦. وانظر مرآة الزمان ٨/ ١، ٢٢، ٢٣.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة

فيها[1] جدَّدَ الخليفةُ الخِلَعَ على وزيرِه أبى المَعالى هبةِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ المُطَّلِبِ، وأكْرمَه وعظَّمه.

وفى ربيعٍ الآخرِ دخَل السلطانُ محمدٌ إلى بَغْدادَ، فتلَقَّاه الوزيرُ والأعيانُ، وأحسنَ إلى أهْلِها، ولم يتعرَّضْ أحدٌ مِن جيشِه إلى شيءٍ. وتغضَّبَ السلطانُ غِياثُ الدينِ محمدٌ علَى صَدقةَ بنِ منصورٍ الأسَدِيِّ صاحبِ الحِلَّةِ وتَكْرِيتَ، بسبَبِ أنَّه آوَى رجُلًا مِن أعدائِه يقالُ له: أبو دُلَفَ سُرْخابُ[2] الدَّيْلَمِيُّ. صاحبُ ساوَةَ، وبعَث إليه ليُرسلَه إليه، فلم يفْعَلْ، فأرسَل إليه جيْشًا فهزَمُوا جيشَه. وقد كان جيشُه عشرينَ ألفَ فارسٍ وثلاثينَ ألفَ راجلٍ، وقُتِل صَدقةُ فى المعركةِ، وأُسِر جماعةٌ مِن رُءوسِ أصحابِه، وأخَذُوا من زوجَتِه خمسَمائةِ[3] ألفِ دينارٍ[4]، وجواهرَ نفيسةً.

قال ابنُ الجَوْزِيِّ[4]: وظهَر فى هذه السنةِ صَبِيَّةٌ عمياءُ تتكلَّمُ على أسرارِ الناسِ، وبالَغ الناسُ فى الحِيَلِ؛ ليعْلَمُوا حالَها فلم يعْلَمُوا. قال ابنُ عقِيلٍ: وأشْكَل أمرُها على العلماءِ والخواصِّ والعوامِّ، حتى إنها كانت تُسأَلُ عن نقُوشِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٠٧، والكامل ١٠/ ٤٤١.
(٢) فى الأصل، خ، م: «سرحان».
(٣ - ٣) فى المنتظم ١٧/ ١٠٩: «دينار».
(٤) المنتظم ١٧/ ١٠٩.

الخواتيمِ المقلُوبَةِ الصَّعبةِ، وعن أنواعِ الفُصوصِ، وصِفاتِ الأشْخاصِ، وما فى داخِلِ البَنادقِ من الشَّمعِ والطِّينِ والحَبِّ المختلِفِ والخَرَزِ، وبالَغ أحدُهم حتى ترَك يدَه على ذكَرِه فقِيلَ لها: ما الذى فى يدِه. فقالَتْ: يحمِلُه إلى أهلِه وعيالِه.

وفيها قدِمَ القاضى [٩/٢٢٠و] فخرُ المُلْكِ أبو علىٍّ بنِ عمارٍ صاحبُ طَرابُلُسَ إلى بَغْدادَ يسْتَنْفِرُ المسلمينَ على الفِرنْجِ، فأكْرمَه السلطانُ غِياثُ الدينِ محمدٌ إكْرامًا زائدًا، وخلَعَ عليه وبعَث معه الجيوشَ الكثيرةَ لقتالِ الفِرنْجِ.

ومن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

تميمُ بنُ المُعِزِّ بنِ باديسَ[1]، صاحبُ إفْرِيقِيَّةَ، كان مِن خِيارِ المُلوكِ خُلُقًا وكرمًا، وإحسانًا، ملَك سِتًّا وأربعين سنةً، وعُمِّرَ تِسْعًا وسبعين سنةً، وترَك مِن البنينِ أكْثرَ مِن مائةٍ، ومِنَ البَناتِ ستِّينَ بنْتًا، وملَكَ مِن بعدِه ولَدُه يَحيى، [2] ومِن أحسنِ ما مُدِحَ به الأميرُ تميمٌ قولُ الشاعرِ:

أَصَحُّ وأعْلَى ما سمِعْناهُ فى النَّدَى ... مِنَ الخبَرِ المَرْوِىِّ منذُ قديمِ
أحادِيثُ ترْوِيها السُّيولُ عنِ الحَيَا ... عنِ البحْرِ عن كفِّ الأميرِ تميمِ [2]

صَدَقةُ بنُ منصورِ بنِ دُبَيْسِ بنِ علىِّ بنِ مَزْيَدٍ الأسَدِىُّ[3]، الأميرُ سيفُ الدولةِ، صاحبُ الحِلَّةِ وتَكْرِيتَ ووَاسِطٍ وغيرِها، كان كريمًا، عَفِيفًا، ذا ذِمَامٍ، ملْجأً لكلِّ خائفٍ، يأْمَنُ فى بلادِه، وتحتَ جَنابِه، وكان يُحْسِنُ يقرأُ الكتُبَ،

---

(١) الحلة السيراء ٢/ ٢١، ووفيات الأعيان ١/ ٣٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٤٣، والوافى بالوفيات ١٠/ ٤١٤.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص. والبيتان لابن رشيق القيروانى، وانظر وفيات الأعيان ١/ ٣٠٤.

(٣) المنتظم ١٧/ ١١١، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١٦٣/١/٤، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠) ص ٤٦.

ولا يحْسِنُ الكتابةَ ، وقد اقْتنى كُتبًا كثيرةً جدًّا نَفيسةً ، وكان لا يتزوَّجُ على امرأةٍ قطُّ ، ولا يتسرَّى على سُرِّيَّةٍ[1] ؛ حِفْظًا للذِّمامِ ، ولِئَلَّا يكْسِرَ قلبَ أحَدٍ ، وقد مُدِح بأوصافٍ جميلةٍ كثيرةٍ جدًّا . قُتِل فى بعضِ المعْرَكةِ ، قتَله غلامٌ اسمُه بُزْغَشُ[2] ، وكان له مِن العُمرِ تسعٌ وخمسون سنةً ، ولِىَ منها الإمارةَ إحدى وعشرين سنةً ، رحِمه اللهُ .

(١) المذكور فى المنتظم ١٧/ ١١١، والكامل ١٠/ ٤٤٩، أن صدقة لم يتزوج على امرأته ، ولا تسرّى عليها .

(٢) فى النسخ : « برغش » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ١٠٨، والكامل ١٠/ ٤٤٨.

ثم دخلت سنة ثِنتَين وخمسِمائةٍ

فى يومِ الجُمُعةِ[1] الثانى والعشرين مِن شعبانَ تزوَّج الخليفةُ المُسْتَظْهِرُ باللَّهِ بالخاتُونِ بنتِ مَلِكْشَاه ، أختِ السلطانِ محمدٍ ، على صداقِ مِائةِ ألفِ دينارٍ ، ونُثِرَ الذهبُ ، وكُتِبَ العَقْدُ بأصْبَهانَ . وفيها كانت حروبٌ كثيرةٌ بينَ الأتابِكِ طُغْتِكينَ صاحبِ دِمشقَ وبينَ الفِرِنْجِ . وفيها ملَك سعيدُ بنُ حميدٍ العمرِىُّ الحِلَّةَ السَّيْفِيَّةَ . وفيها زادت دِجلةُ زيادةً كثيرةً فغرِقتِ الغَلَّاتُ ، فغلَت الأسعارُ بسببِ ذلك غلاءً شديدًا . وحجَّ بالناسِ الأميرُ قايْماز .

ومِمن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الحَسَنُ العَلَوِىُّ[2] **أبو هاشمٍ رئيسُ**[3] **هَمَذانَ** ، وكان ذا مالٍ جزيلٍ ، صادَرَه السلطانُ بتِسعِمائةِ ألفِ دينارٍ ، فلم يَبِعْ فيها عَقارًا ولا غيرَه .

الحسينُ[4] **بنُ علىٍّ ، أبو الفوارسِ ، ابنُ الخازنِ** ، الكاتِبُ المشهورُ بالخطِّ المَنْسُوبِ . تُوفِّى فى ذى الحِجَّةِ منها . قال ابنُ خَلِّكانَ[5] : كتَب بيَدِه خمسَمائةِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١١٢، والكامل ١٠/ ٤٥٧.

(٢) المنتظم ١٧/ ١١٢، والكامل ١٠/ ٤٧٣، وفيه : أبو هاشم زيد الحسنى العلوى ، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٩، وفيه : الحسين أبو على هشيم .

(٣) فى النسخ : « ابن رئيس » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٤) فى م ، والكامل ١٠/ ٤٨٣، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٠: « الحسن » . وانظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ٢/ ١٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٥٧، والمختصر فى أخبار البشر ٢/ ٢٢٤.

(٥) وفيات الأعيان ٢/ ١٩١.

خَتْمَةٍ ، مات فجأةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

عبدُ الواحدِ بنُ إسماعيلَ بنِ أحمدَ بنِ محمدٍ ، أبو المحاسِنِ الرُّويانِيُّ[(١)] ، مِن أهلِ طَبَرِسْتَانَ ، أحدُ أئمةِ الشافعيَّةِ ، وُلد سنةَ خمسَ عشْرةَ وأربعِمائةٍ ، ورحَل إلى الآفاقِ حتى بلَغ ما وراءَ النهرِ ، وحصَّلَ علُومًا جَمَّةً ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، وصنَّفَ كتُبًا فى المذهبِ ، من ذلك « البَحْرُ » فى الفُروعِ ، وهو حافلٌ كاملٌ شاملٌ للغرائبِ وغيرِها ، وفى المَثَلِ : حَدِّثْ عنِ « البحرِ » ولا حرَجَ . وكان يقولُ : لو احترقَتْ كتُبُ الشافِعىِّ أمليتُها مِن حفْظِى[(٢)] . قُتِل ظُلْمًا يومَ الجُمُعةِ ، وهو يومُ عاشُوراءَ فى الجامِعِ بطَبرِستانَ .

قال ابنُ خَلِّكانَ[(٣)] : أخَذ الفقهَ عن ناصرٍ المَرْوَزِىِّ وعلَّقَ عنه ، وكان للرُّويانىِّ الجاهُ العظيمُ ، والحُرْمَةُ الوافرةُ فى تلك [٩/٢٢٠ظ] الديارِ ، وكان نظامُ المُلكِ كثيرَ التعظيمِ له ، وقد صنَّفَ كُتبًا فى الأصولِ والفُروعِ ؛ منها « بحرُ المَذْهبِ » ، وكتابُ « مَناصِيصِ الإمامِ الشافِعىِّ » ، وكتابُ « الكافِى » ، و « حِلْيَةِ المؤمنِ » ، وله كتبٌ فى الخلافِ أيضًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

يحيى بنُ علىِّ بنِ محمدِ بنِ الحسَنِ بنِ بِسْطامٍ ، الشَّيْبانىُّ التِّبْرِيزِىُّ[(٤)] ، **أبو زكريَّا** ، أحدُ أئمةِ اللغةِ والنحْوِ ، قرَأ على أبى العَلاءِ وغيرِه . وتخرَّجَ به جماعةٌ ؛

---

(١) المنتظم ١٧/١١٣، ووفيات الأعيان ٣/١٩٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٦٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٩٣.

(٢) المنتظم ١٧/١١٣، ووفيات الأعيان ٣/١٩٨.

(٣) وفيات الأعيان ٣/١٩٨.

(٤) المنتظم ١٧/ ١١٤، ومعجم الأدباء ٢٠/ ٢٥، ووفيات الأعيان ٦/ ١٩١، وإنباه الرواة ٤/ ٢٢، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٦٩. ولم يذكر ابن كثير لقبه الشهير : الخطيب .

منهم أبومنْصورٍ ابنُ الجَواليقىّ . قال ابنُ ناصرٍ[1] : وكان ثقةً فى النَّقْلِ ، وله المصنَّفاتُ الكثيرةُ . وقال ابنُ خَيْرُونَ[2] : لم يكُنْ مرْضِىَّ الطريقةِ . تُوفِّى فى جُمادَى الآخرةِ ، ودُفِنَ إلى جانبِ الشيخِ أبى إسحاقَ الشِّيرازِىِّ ببابِ أَبْرَزَ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ١١٤.
(٢) المصدر السابق.

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وخمسِمائةٍ

فيها[1] أخذتِ الفِرنجُ، لعَنهم اللَّهُ، مدينةَ طَرابُلُسَ، وقتَلُوا مَن فيها مِن الرجالِ، وسبَوُا الحريمَ والأطفالَ، وغنِمُوا الأمْتِعةَ والأموالَ، ثم أخَذُوا مدينة جَبَلةَ[2] بعدَها بعشْرِ ليالٍ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ العَلِيِّ العظيمِ الكبيرِ المتعالِ، وقد هرَبَ منهم فخرُ المُلكِ بنُ عمَّارٍ، فقصَد صاحِبَ دمشقَ طُغْتِكينَ، فأكرَمه وأقطَعه بلادًا كثيرةً.

وفيها وثَب بعضُ الباطِنيَّةِ على الوزيرِ أبى نَصْرٍ أحمدَ بنِ نظامِ المُلْكِ فجرَحه، ثم أُخِذَ الباطِنيُّ فسُقِيَ الخمرَ، فأقَرَّ على جماعةٍ من الباطنيَّةِ، فأُخِذُوا فقُتِلُوا.

وحجَّ بالناسِ الأميرُ قايْمازُ.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

أحمدُ بنُ علىِّ بنِ أحمدَ، أبو بكرٍ العُلْثِيُّ[3]، كان يعمَلُ فى تَجصِيصِ الحيطانِ، ولا ينقُشُ صورةً، ولا يأخذُ مِن أحَدٍ شيئًا، وكانت له أملاكٌ يَبيعُ منها

---

(١) المنتظم ١٧/ ١١٧، والكامل ١٠/ ٤٧٥.

(٢) فى الأصل، ص، والكامل ١٠/ ٤٧٦: «جبيل». وهو تحريف، والصحيح ما أثبتناه، فجبيل سقطت قبل طرابلس سنة سبع وتسعين وأربعمائة، وبقيت جبلة وفيها ابن عمار. وانظر الكامل ١٠/ ٣٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٧.

(٣) فى النسخ: «العلوى»، والمثبت من مصادر ترجمته، انظر طبقات الحنابلة ٢/ ٢٥٥، والمنتظم ١٧/ ١١٧، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٧٧، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٠٤.

ويتقَوَّتُ ، وقد سمِعَ الحديثَ مِنَ القاضى أبى يَعْلَى ، وتفقَّه عليه شيئًا من الفِقْهِ ، وكان إذا حجَّ يزورُ القبورَ بمَكَّةَ ، فإذا وصَل إلى قَبْرِ الفُضيلِ بنِ عِيَاضٍ يخُطُّ إلى جانبِه خطًّا بعَصاه ويقولُ[1] : يارَبِّ ، هَاهُنا ، فَقُدِّرَ أنَّه حجَّ فى هذه السنَةِ ، فوقَفَ بعرفاتٍ مُحْرِمًا ، فتُوفِّى بها من آخرِ ذلك اليومِ ، فغُسِّلَ وكُفِّنَ وطِيفَ به حولَ البيتِ ، ثم دُفِنَ إلى جانبِ الفُضَيْلِ بنِ عِيَاضٍ فى ذلك المكانِ الذى كان يخطُّه ، ولما بلَغ الناسَ وفاتُه ببغدادَ اجتمعَوا للصلاةِ عليه صلاةَ الغائبِ ، رحِمهُ اللَّهُ .

عمرُ بنُ عبدِ الكَريمِ بنِ سَعْدَوَيْهِ ، أبو الفِتْيانِ الدِّهِسْتانىُّ[2] ، رحَل فى طلبِ الحديثِ ، ودارَ الدنيا ، وخرَّج وانتخَب ، وكان له فهْمٌ بهذا الشأنِ ، وكان ثقةً ، وقد صحَّحَ عليه أبو حامدٍ الغَزَّالِىُّ كتابَ « الصحيحَيْنِ » . وكانت وفاتُه بسَرْخَسَ فى هذه السنَةِ .

محمدٌ ، ويعْرَفُ بأخِى حَمَّادى[3] ، كان أحدَ الصُّلَحاءِ الكِبارِ ، كان به مرضٌ مزمِنٌ ، فرأَى النبىَّ ﷺ فى المنامِ فعُوفِىَ ، فلزِم مسجدًا له أرْبعِينَ سنةً ، لا يخرجُ إلَّا إلى الجُمُعةِ ، وانقطَع عن مُخالطةِ الناسِ . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ ، ودُفِن فى زاويةٍ بالقربِ من قبرِ أبى حنيفةَ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ١١٨.

(٢) فى خ ، م : « الدهقانى » . وانظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ١٣/ ٣٣١ (مخطوط) ، والمنتظم ١٧/ ١١٨، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣١٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٨٢.

(٣) المنتظم ١٧/ ١١٨.

ثم دخلت سنة أربعٍ وخمسمائةٍ

فى أولِ هذه السنةِ[1] تجهَّزَ جماعةٌ من الفقهاءِ البغَادِدةِ وغيرِهم، وفيهم [٩/٢٢١و] ابنُ الزَّاغُونيِّ، للخروجِ إلى الشامِ ليُقاتِلوا الفِرنجَ، لعَنهم اللَّهُ، وذلك حينَ بلَغهم أنَّهم قد فتَحُوا مَدائِنَ عِدَّةً، من ذلك مدينةُ صَيدًا فى ربيعٍ الأوَّلِ، وكذا غيرُها مِن المدائنِ، ثم رجَع كثيرٌ منهم حِينَ بلَغَهم كثرةُ الفِرنْجِ.

وفيها قدِمت خاتونُ بنتُ مَلِكْشَاه زوَجةُ الخليفةِ إلى بغدادَ، فنزَلَتْ فى دارِ أخيها السلطانِ محمدٍ، ثم حُمِلَ جِهازُها على مِائةٍ واثْنينِ وستِّين جملًا، وسبْعَةٍ وعشرينَ بغْلًا، وزُيِّنَتْ بغدادُ لقُدومِها، وكان دخولُها على الخليفةِ فى الليلةِ العاشِرَةِ مِن رمضانَ، وكانت ليلةً مشْهُودةً.

وفى شعبانَ درّسَ أبو بكرٍ الشَّاشِيُّ بالنِّظامِيَّةِ مع التاجِيَّةِ، وحضَر عندَه الوزيرُ والأعْيانُ من الدَّولةِ وغيرِهم. وحجَّ بالناسِ الأميرُ قايْمازُ، ولم يتمكَّنِ الخُرَاسَانِيّونَ مِن الحَجِّ؛ مِن كثْرةِ العطشِ وقِلَّةِ الماءِ.

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

إدريسُ بنُ حَمْزةَ، أبو الحسَنِ الشَّامِيُّ[2] الرَّمْلِيُّ العُثمانيُّ، أحدُ فُحولِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٢٠.

(٢) فى م: «الشاشى». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٧/ ١٢١، والكامل ١٠/ ٤٨٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى٧/ ٤٠، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٥٨٤.

المُناظِرينَ عن مذهبِ الشافعيِّ ، تفقَّه على نصرِ بنِ إبراهيمَ ، ثم ببَغْدادَ على أبى إسحاقَ الشِّيرازِيِّ ، ودخَل خُرَاسَانَ حتى وصَل إلى ما وراءَ النهرِ ، وأقامَ بسَمَرْقَنْدَ ، ودرَّس بمدْرَستِها إلى أنْ تُوفِّى بها فى هذه السنَةِ .

علىُّ بنُ محمدِ بنِ علىٍّ ، عمادُ الدِّينِ ، أبو الحسَنِ الطَّبَرِىُّ[1] ، ويُعرفُ بإِلْكِيَا الهَرَّاسِىِّ ، أحدُ الفقهاءِ الكبارِ ، مِن رءوسِ الشافعِيَّةِ ، وُلِد سنةَ خمسينَ وأرْبَعِمائةٍ ، واشْتَغَلَ على إمامِ الحرَمَيْنِ ، وكان هو والغَزَّالِىُّ أكبرَ التلامذةِ ، وقد وَلِىَ كلٌّ منهما تدْريسَ النِّظامِيَّةِ ببَغْدادَ ، وكان فصِيحًا جَهْوَرِىَّ الصوتِ جميلًا . وكان يكَرِّرُ الدَّرسَ على كلِّ مَرْقَاةٍ مِن مَراقِى دَرَجِ النظَامِيَّةِ بنَيْسابُورَ سَبْعَ مراتٍ ، وكانتِ المراقِى سبعِين مرقاةً . وقد سمِع الحديثَ الكثيرَ ، وناظَر وأفْتَى ودرَّس ، وكان مِن أكابرِ العلماءِ وساداتِ الفقهاءِ ، وله كتابٌ يردُّ فيه على ما انْفرَد به الإمامُ أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ ، فى مجلَّدٍ ، وله غيرُه مِن المصنَّفاتِ . وقد اتُّهِمَ فى وقتٍ بأنَّه يُمالِئُ الباطِنِيَّةَ ، فنُزِعَ منه التدريسُ ، ثم شهِدَ جماعةٌ مِن العلَماءِ ببَراءَتِه مِن ذلك ، منهم ابنُ عَقِيلٍ ، فأُعِيدَ إليه . وكانت وفاتُه يومَ الخميسِ مُسْتَهَلَّ المُحَرَّمِ من هذه السنةِ عن أربعٍ وخمسينَ سنةً ،ودُفِن إلى جانبِ الشيخ أبى إسْحاقَ الشِّيرازىِّ ، رحِمهما اللَّهُ . وذكَر القاضى ابنُ خَلِّكانَ[2] أنَّه كان يحفَظُ الحديثَ ويناظِرُ به ، وهو القائلُ : إذا جالَت فُرْسانُ الأحاديثِ فى ميادينِ الكفاحِ ، طارَت رُءوسُ المقاييسِ فى مَهابِّ الرِّياحِ . وحكَى السِّلَفِىُّ عنه أنَّه استُفْتِىَ فى كَتَبَةِ الحديثِ ، هل يدخلُون فى الوصيَّةِ للفُقهاءِ ؟ فأجاب : نعم ؛ لقولِه ﷺ : « مَنْ

(١) المنتظم ١٧/ ١٢٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٨٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٩٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٣١.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٧.

حَفِظَ عَلَى أُمَّتى أرْبَعِينَ حَدِيثًا بَعَثَهُ اللَّهُ فَقِيهًا عَالِمًا »[1] . وأنَّه استُفْتِيَ فى يزيدَ بنِ معاويةَ ، فذكَر عنه ثَلْبًا وفِسقًا ، وسوَّغ شتْمَه ، وأمَّا الغزَّالِيُّ فإنَّه خالَف فى ذلك ، ومنَع مِن لعنِه ؛ لأنَّه مسلمٌ ، ولم يثبُتْ أنَّه رَضِىَ بقتلِ الحُسينِ ، ولو ثبَت لم يكُنْ ذلك مُسوِّغًا للَعْنِه ، لأنَّ القاتِلَ لا يُلعنُ ، لا سِيَّما وبابُ التوبةِ مفتوحٌ ، وهو الذِى يقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِه . قال : وأمَّا الترحُّمُ عليه فجائزٌ ، بل مُستحبٌّ ، بل نحنُ نترحَّمُ عليه فى جملةِ المؤمنين والمسلمين ، عُمومًا فى الصَّلواتِ . ذكَره ابنُ خَلِّكانَ[2] مبْسوطًا بلفظِه فى ترجمةِ إلكِيا هذا ، قال : وإلكِيا معناه : كبيرُ القَدْرِ ، المُقَدَّمُ المُعَظَّمُ .

---

(١) الحديث أخرج طرقه ابن الجوزى فى « العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية » ١/١١١ - ١١٨، ثم قال فى ص ١١٩: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ، ونقل عن الدارقطني فى ص ١٢١ قوله : « كل طرق هذا الحديث ضعاف ولا يثبت منها شيء » . وقال النووى رحمه الله فى الأربعين النووية ص ٧: « واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه » .

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٨، ٢٨٩.

ثم دخَلت سنةُ خمسٍ وخَمسِمائةٍ

فيها[1] بعَث السلطانُ غِيَاثُ الدينِ محمدٌ جيشًا [٩/٢٢١ظ] كثيفًا، صُحْبَةَ الأميرِ مَودودِ [2]بنِ التوتِكينِ[2] صاحبِ المَوْصِلِ، وسُكْمانَ القُطْبِىِّ، صاحبِ تِبْرِيزَ، وأحمدِيلَ[3] صاحِبِ مَراغةَ، [4]والأميرِ[4] إيلْغازِى[5] صاحبِ مَارِدِينَ، والمقدمُ على الجميعِ الأميرُ مودودٌ صاحبُ المَوْصِلِ، لقتالِ الفِرنْجِ بالشامِ، فانتزَعُوا مِن أيْدِى الفِرنْجِ حُصونًا كثيرةً، وقتَلُوا منهم خلْقًا كثيرًا.

ولمَّا دخَلُوا دمشْقَ، دخَل الأميرُ مودودٌ إلى جامِعِها ليصَلِّىَ فيه، فجاءَه باطِنِىٌّ فى زىٍّ سائلٍ يطلُبُ منه شيئًا، فلمَّا اقْترَبَ منه ضرَبه فى فؤادِه فمات مِن ساعتِه، فلعنةُ اللَّهِ على هذا الباطنىِّ، ووُجِد رجلٌ أعْمَى فى سطحِ الجامعِ ببغدادَ ومعه سكِّينٌ مسمومٌ، فقيلَ: إنَّه كان يريدُ قتلَ الخليفةِ.

وفى هذه السنةِ وُلِد للخليفةِ من بِنتِ السلطانِ ولدٌ ذكرٌ، فضُرِبَتِ الدبادِبُ والبُوقاتُ، وجلَس الوزيرُ ببابِ الفِردوسِ للهَناءِ.

وفيها توفِّى أخو الخليفةِ، فقُطِع الطَّبلُ أيّامًا، وجلَس الوزيرُ ببابِ الفردوسِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٢٣، والكامل ١٠/ ٤٨٥.

(٢ - ٢) سقط من خ، وفى الأصل: «بن اوربكس»، وفى م: «بن زنكى»، وفى ص: «أتموربكير»، وفى الكامل ١٠/ ٤٥٧: «بن التونتكين»، وفى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٩٤: «بن ألتونكين»، والمثبت من وفيات الأعيان ٥/ ٢٠٠.

(٣) فى الأصل: «واجهز» وفى خ: «أحمد بيك»، وفى ص: «أحمد بل».

(٤ - ٤) فى الأصل، خ، ص: «وولد». وانظر الكامل ١٠/ ٤٨٥.

(٥) فى الأصل: «ابلعارى»، وفى ص: «البلغازى»، وفى خ: «الغازى»، وانظر: الكامل ١٠/ ٤٨٥.

للعزاءِ ، وهكذا الدنيا قَرْضٌ ؛ هذا يُعَزَّى وهذا يُهَنَّى .

وفى رمضانَ عُزِل الوزيرُ أحمدُ بنُ النِّظَامِ ، وكانت مدَّةُ وِزارَتِه أربعَ سنينَ وأحدَ عشَرَ شهرًا .

وفيها حاصَرتِ الفِرنْجُ مدينةَ صُورَ ، وكانتْ بأيْدِى المصريين ، عليها عِزُّ المُلْكِ الأعَزُّ مِن جِهَتِهم ، فقاتَلهم قِتالًا عظيمًا ، ومنَعَها منْعًا جيِّدًا ، حتى فَنِى ما عندَه مِن النُّشَّابِ والعُدَدِ ، فأمدَّه طُغْتِكينُ صاحِبُ دمشقَ ، وأرسَل إليه العُدَدَ والآلاتِ ، فقَوِى جانِبُه وترحَّلتْ عنه الفِرنْجُ فى شوَّالٍ منها . وحجَّ بالناسِ أميرُ الجيوشِ نظَرٌ[1] الخادِمُ ، وكانت سنةً مُخْصِبَةً .

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدٍ ، أبو حامدٍ الغَزّالىُّ[2] ، وُلِد سنةَ خمسين وأربعِمائَةٍ ، وتفَقَّهَ على إمامِ الحرَمَيْنِ ، وبرَع فى علومٍ كثيرةٍ ، وله مصنَّفاتٌ منْتَشِرةٌ فى فُنونٍ مُتَعدِّدَةٍ ، فكان مِن أذكياءِ العالَمِ فى كلِّ ما يتكلَّمُ فيه ، وسادَ فى شَبيبَتِه حتى إنَّه درَّس بالنِّظامِيَّةِ ببغدادَ ، فى سنةِ أربعٍ وثمانين ، وله أربعٌ وثلاثون سنةً ، فحضَر عندَه رُءوسُ العلماءِ فى ذلك الوقتِ ، وكان ممّن حضَر عندَه ابنُ عَقيلٍ وأبو الخطَّابِ ، مِن رُءوسِ الحنابلةِ ، فتعَجَّبُوا مِن فَصاحَتِه واطِّلاعِه . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[3] : وكتَبوا كلامَه فى مصنَّفاتِهم ، ثم إنَّه خرَج عن الدنْيَا بالكُلِّيَّةِ ، وأقبَل

---

(١) فى خ ، م ، وإتحاف الورى ٣/٢: « قطز » ، وفى ص : « مطر » . وانظر الكامل ١٠/٥٤٥، وتاج العروس (ن ظ ر) . وكذا فيما يأتى من مواضع .

(٢) المنتظم ١٧/ ١٢٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٢١٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١١٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٩١.

(٣) المنتظم ١٧/ ١٢٥.

على أعْمالِ الآخرةِ ، فكان يرْتَزِقُ مِن النَّسْخِ ، ورحَل إلى الشامِ فأقامَ بدمشقَ وبيْتِ المَقْدِسِ مدّةً ، ثم إنّه صَنَّف فى هذه المدّةِ كتابَه « إحْيَاءَ علومِ الدِّينِ » ، وهو كتابٌ عجيبٌ ، يشتمِلُ على علومٍ كثيرةٍ مِن الشَّرْعِيَّاتِ ، ومَمْزوجٌ بأشياءَ لطيفةٍ مِن التصوُّفِ وأعمالِ القلُوبِ ، ولكِنْ فيه أحاديثُ كثيرةٌ غرائبُ ومُنْكَراتٌ ، ومنها ما هو موضوعٌ ، كما يُوجَدُ فى غيرِه مِن كُتُبِ الفُروعِ التى يُسْتدَلُّ بها على الحلالِ والحرامِ ، فالكتابُ الموضُوعُ للرقائقِ والترْغيبِ والترْهيبِ أسْهَلُ أمْرًا مِن غيرِه ، وقد شنَّع عليه أبو الفَرَجِ بنُ الجَوْزِىِّ[1] ، ثم ابنُ الصَّلاحِ ، فى ذلك تشْنيعًا كبيرًا ، وأرادَ المازَرِىُّ أن يحرِقَ كتابَه « إحياءَ علومِ الدينِ » ، وكذلك غيرُه مِن المغارِبَةِ[2] ، وقالُوا : هذا كتابُ إحْياءِ علُومِ دينِه ، وأمَّا دِينُنا فإحْياءُ علومِه كتابُ اللَّهِ وسنةُ رسولِه . كما قد حكَيتُ كلامَه فى ترجَمتِه من طبقاتِ الشافعيَّةِ ، وقد زيَّفَ ابنُ سُكَّرٍ[3] مواضِعَ إحْياءِ علُومِ الدِّينِ ، وبيَّنَ زَيْفَها فى مصنَّفٍ مفيدٍ ، وقد كان الغزّالىُّ يقولُ[4] : أنا مُزْجَى البِضاعَةِ فى الحديثِ . ويقالُ[5] : إنَّه مالَ فى آخرِ عمرِه إلى سماعِ الحديثِ والتحَفُّظِ « للصحيحَيْن » . وقد صَنَّف ابنُ الجَوْزِىِّ[6] كتابًا على « الإحْياءِ » وسّماه « إعلامَ الأحْياءِ بأغاليطِ الإحْياءِ » ، قال ابنُ الجَوْزِىِّ[7] : ثم ألْزَمه بعضُ الوزراءِ بالخُروجِ إلى نَيْسَابُورَ ، فدرَّسَ بنِظامِيَّتِها ، ثم

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٢٥، ١٢٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٤٠، ولم يصرح فيه المازرى بحرق كتبه ، بل ذكر قائلا : « وطائفة لكتبه أحرقت » .

(٣) فى خ ، م : « شكر » . والمثبت من سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٤٢.

(٤) المنتظم ١٧/ ١٢٦، وطبقات الشافعية ٦/ ٢٤٩، بنحوه .

(٥) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٥، ٣٢٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٢١٠.

(٦) المنتظم ١٧/ ١٢٥.

(٧) المنتظم ١٧/ ١٢٦.

عاد إلى بلدِه طُوسَ ، وابْتنَى [٩/٢٢٢و] بها رِباطًا ، واتخَذَ دارًا حسَنةً ، وغرَس فيها بُسْتانًا أنيقًا ، وأقبَلَ على تلاوةِ القرآنِ وحِفْظِ الأحاديثِ الصِّحاحِ ، وكانت وفاتُه يومَ الاثنينِ الرابعَ عشَرَ مِن جُمادَى الآخرةِ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن بطُوسَ ، رحِمه اللَّهُ تعالَى ، وقد سأَله بعضُ أصحابِه وهو فى السِّياقِ فقال[1] : أوْصِنى ، فقال له : عليكَ بالإخلاصِ ، فلم يَزَلْ يُكرِّرُها حتى ماتَ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) المنتظم ١٧/١٢٧.

ثم دَخلتْ سنةُ سِتٍّ وخَمْسِمِائةٍ[1]

فى جُمادَى الآخرةِ منها جلَس ابنُ الطَّبَرِىِّ مدرِّسًا بالنِّظامِيَّةِ ، وعُزِلَ عنها الشَّاشِىُّ . وفيها دخَل الشيخُ الصالحُ أحدُ العُبَّادِ يوسفُ بنُ أيوبَ[2] إلى بَغْدادَ ، فوعَظ الناسَ ، وكان له القَبولُ التامُّ ، وكان فقيهًا شافعِيًّا ، تَفَقَّه بالشيخِ أبى إسْحاقَ الشِّيرازِىِّ، ثم اشْتَغَل بالعبادةِ والزَّهادةِ ، فكانتْ له أحْوالٌ صالحةٌ ، جارَاه مرَّةً رجلٌ يقالُ له : ابنُ السَّقّاءِ فى مسألةٍ ، فقال له : اسْكُتْ ؛ فإنِّى أجِدُ مِن كلامِكَ رائحةَ الكُفْرِ ، ولعَلَّكَ أنْ تموتَ على غيرِ دينِ الإسْلامِ ، فاتَّفَق بعدَ مدَّةٍ أنَّه خرَج[3] إلى بلادِ الرومِ فى حاجَةٍ فتنَصَّرَ هناك ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، وحسبُنا اللَّهُ ونعمَ الوكيلُ ، على اللَّهِ توكلنا . وقام إليه مرَّةً ، وهو يعِظُ الناسَ ، ابْنَا أبى بكرٍ الشَّاشِىِّ ، فقالا له[4] : إنْ كنتَ تتكلَّمُ ، على مذْهبِ الأشْعَرِىِّ ، وإلَّا فاسْكُتْ . فقال : لا مُتِّعْتُما بشَبابِكُما . فماتَا ولم يبْلُغَا سنَّ الكُهولَةِ . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أميرُ الجيوشِ نظَرٌ الخادِمُ ، ونالَهمْ عطَشٌ شديدٌ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

صاعِدُ بنُ منصورِ بنِ إسماعيلَ بنِ صاعدٍ ، أبو العَلاءِ ، الخطيبُ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٢٨، والكامل ١٠/ ٤٩٢.

(٢) فى م : « داود » .

(٣) بعده فى خ ، م : « ابن السقا » .

(٤) المنتظم ١٧/ ١٢٨.

النَّيسابُورِىُّ[1] ، سمِعَ الحديثَ الكثيرَ ، ووَلِىَ الخَطابَةَ بعدَ أبيه والتدْرِيسَ والتَّذْكِيرَ ، وكان أبو المَعالى الجُوَيْنِىُّ يُثْنى عليه ، وقد وَلِى قَضاءَ خُوارِزْمَ .

محمدُ بنُ مُوسى بنِ عبدِ اللَّهِ ، أبو عبدِ اللَّهِ البلاساغُونِىُّ[2] **التركىُّ الحنفىُّ ، ويعْرَفُ باللَّامِشىِّ** ، أوْرَدَ عنه الحافظُ ابنُ عساكِرَ حديثًا[3] ، وذكَرَ أنَّه وَلِى قضاءَ بيتِ المَقْدِسِ ، فشكَوْا منه فعُزِلَ عنها ، ثم وَلِىَ قضاءَ دِمَشْقَ ، وكان غاليًا فى مذهبِ أبى حنيفةَ ، وهو الذى رتَّبَ الإقامةَ مَثْنَى مَثْنَى ، قال : إلى أن أزالَ اللَّهُ ذلك بدوْلَةِ المَلِكِ صلاحِ الدِّينِ .

قال : وكان قد عزَم على نَصْبِ إمامٍ حنَفِىٍّ بالجامعِ ، فامتنَع أهلُ دِمَشْقَ مِن ذلك ، وامْتنَعُوا مِنَ الصلاةِ خلفَه ، وصلَّوا بأجمعِهم فى دارِ الخَيْلِ ، وهى التى قِبْلِىَّ الجامعِ مكانَ المدْرسةِ الأمِينِيَّةِ وما يجاوِرُها ، وحدُّها الطُّرقاتُ الأرْبعَةُ ، وكان يقولُ : لو كانتْ لى الوِلايَةُ لأخَذْتُ مِن أصْحابِ الشافِعِىِّ الجِزْيَةَ ، وكان مُبْغِضًا لأصْحابِ مالكٍ أيضًا . قال : ولم تكُنْ سيرتُه فى القضاءِ محمودةً ، وكانتْ وفاتُه يومَ الجُمُعةِ الثالثَ عشَرَ مِن جُمادَى الآخرةِ منها . قال[4] : وقد شهِدْتُ جِنازتَه وأنا صغيرٌ فى الجامعِ .

---

(1) المنتخب من السياق ص ٢٦٠، والمنتظم ١٧/ ١٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ – ٥١٠هـ) ص ١٤٠، والوافى بالوفيات ١٦/ ٢٤١، والجواهر المضية ٢/ ٢٦٨.

(2) تاريخ دمشق ٣٦/١٦ (مخطوط) ، وميزان الاعتدال ٤/ ٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١هـ – ٥١٠هـ) ص ١٤٧، والوافى بالوفيات ٥/ ٨٧، وعيون التواريخ ١٢/ ١٣.

(3) تاريخ دمشق ٣٦/١٦ (مخطوط) .

(4) تاريخ دمشق ٣٧/١٦ (مخطوط) .

المعمَّرُ بنُ [(١)]**عليِّ بنِ**[(١)] **المعمَّرِ ، أبو سعدِ بنُ أبى عِمامَةَ**[(٢)] الواعِظُ ، كان فصيحًا بليغًا ماجنًا ظريفًا ذكيًّا ، له كلماتٌ فى الوَعْظِ حسنةٌ ورسائلُ مَسْمُوعَةٌ مُسْتَحسنَةٌ ، تُوفِّى فى ربيعِ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ ، ودُفِنَ ببابِ حربٍ .

أبو عليٍّ المغربىُّ[(٣)] ، كان عابدًا زاهدًا وَرِعًا ، يتقوَّتُ بأدْنَى شىءٍ ، ثم عَنَّ له أن يشتغِلَ بعلمِ الكِيمياءِ . فأُخِذَ إلى دارِ الخلافةِ ، فلم يظْهَرْ له خبرٌ بعدَ ذلك .

نُزْهةُ[(٤)] أمُّ ولَدٍ للخليفةِ المستظهرِ باللَّهِ المُقتفِى لأمرِ اللَّهِ ، كانتْ سَوْداءَ مُحْتَشِمَةً كريمةَ النفْسِ ، تُوفِّيَتْ يومَ الجُمُعةِ ثانى عشَرَ شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ .

أبو سَعْدٍ السَّمْعانِىُّ[(٥)] ، مصنِّفُ « الأَنْسَابِ » وغيرِه ، وهو تاجُ الإسْلامِ عبدُ الكَريمِ بنُ أبى بكرٍ محمدِ بنِ أبى المُظَفَّرِ المَنْصورِ بنِ عبدِ الجبّارِ ، السَّمْعَانِىُّ ، المروَزِىُّ ، الفقيهُ الشافِعِىُّ ، الحافظُ المحدِّثُ ، قِوامُ الدِّينِ ، أحدُ الأئمةِ المصنِّفينَ المُنصِفين ، رحَل وسمِع الكثيرَ حتى كتَب عن أربعةِ آلافِ شيخٍ ، وصنَّفَ « التفْسِيرَ » و « التاريخَ » و « الأنسابَ » و « الذَّيْلَ » على تاريخِ الخطيبِ

(١ - ١) سقط من النسخ ، وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ١٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٥٠، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٠، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ١٠٧.

(٢) فى الأصل : « عماية » . وفى خ ، م : « عمار » وانظر مصادر ترجمته السابقة .

(٣) فى خ ، م : « المعرى » ، وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ١٢٨، والكامل ١٠/ ٤٩٢.

(٤) تاريخ الخلفاء ص ٤٣٧.

(٥) تاريخ دمشق ١٠/ ٤٣٣ (مخطوط) ، والمنتظم ١٨/ ١٧٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٠٩، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٥٦، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١١٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٨٠، وقد أجمعت المصادر المذكورة على أنه توفى سنة ثنتين وستين وخمسمائة ، إلا المنتظم ففيه أنه توفى سنة ثلاث وستين وخمسمائة . والتاريخ الذى ذكره المصنف هنا هو تاريخ مولده .

البَغْدادِيّ ، وذكَر له ابنُ خَلِّكانَ مصنَّفاتٍ عديدةً جدًّا[1] ؛ منها كتابُه الذى جمَع فيه ألفَ حديثٍ عن مائةِ شيخٍ ، وتكلَّم عليها إسْنَادًا ومَتْنًا ، وهو مفيدٌ جدًّا ، رحِمهُ اللَّهُ .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢١٠.

ثم دخلت سنة سبعٍ وخمسِمائةٍ

فيها[1] كانتْ وقعةٌ عظيمةٌ بينَ المسلمين والفِرنْجِ فى أرْضِ طَبَرِيَّةَ، كان فيها مَلِكُ دِمَشْقَ الأتابِكُ طُغتِكِينُ، وفى خدمتِه صاحِبُ سِنْجارَ، وصاحِبُ مَارِدِينَ، وصاحِبُ الموْصِلِ، فهزَمُوا الفِرنْجَ هزيمةً فاضِحةً، وقتَلُوا منهم خلقًا كثيرًا، وغَنِمُوا منهم أموالًا جزيلةً، وملَكُوا تلك النواحِيَ كلَّها، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ، ثم رجعُوا إلى دِمَشْقَ، [٢٢٢/٩ظ] فذكَر ابنُ السَّاعِى فى «تاريخِه» مقْتَلَ الملكِ مؤْدودٍ صاحبِ المَوْصِلِ فى هذه السنَةِ، قال[2]: صلَّى هو والأتابِكُ طُغْتِكِينُ يومَ الجُمُعةِ بالجامعِ، ثم خرَجا إلى الصَّحْنِ ويَدُ كلٍّ واحدٍ منهما فى يَدِ الآخرِ، فطفَرَ باطِنيٌّ على مَوْدُودٍ فقتَله، رحِمه اللَّهُ، ويُقالُ: إنَّ طُغتِكِينَ هو الذى مَالأ عليه. فاللَّهُ أعلمُ. وجاءَ كتابٌ مِنَ الفِرنْجِ إلى المسلمينَ وفيه[3]: إنَّ أمَّةً قتلَت عميدَها، فى يومِ عيدِها، فى بَيْتِ مَعْبُودِها لَحَقيقٌ على اللَّهِ أن يُبِيدَها.

وفيها ملَكَ حَلَبَ ألبُ أرْسَلَانَ بنُ رِضْوَانَ بنِ تُتُشَ بعدَ أبيه، وقامَ بأمْرِ السَّلْطَنةِ بينَ يديهِ لؤلؤٌ الخادِمُ، فلم يَبْقَ معه سِوَى الرَّسْمِ.

وفيها فُتِحَ المَارَسْتَانُ الذى أنشَأه كُمُشْتِكِينُ الخادِمُ ببَغْدادَ. وحجَّ بالناسِ زَنْكِى بنُ بُرْسُقَ[4].

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٣٣، والكامل ١٠/ ٤٩٥.

(٢) عيون التواريخ ١٢/ ٢١، والكامل ١٠/ ٤٩٦، ٤٩٧.

(٣) الكامل ١٠/ ٤٩٧، وعيون التواريخ ١٢/ ٢١.

(٤) فى الأصل: «يوسف»، وفى خ، م: «برشق». وانظر المنتظم ١٧/ ١٣٣.

ومن تُوفِّى فيها منَ الأعيانِ :

إسْماعيلُ بنُ الحافظِ أبى بكرٍ أحمدَ بنِ الحُسَيْنِ البَيْهَقِيُّ[1] ، سمِعَ الكثيرَ وتنقَّلَ فى البلادِ ، ودرَّسَ بمدينَةِ خُوارِزْمَ ، وكان فاضلًا مِن أهلِ الحديثِ ، مَرْضِيَّ الطريقَةِ ، وكانتْ وفاتُه ببلَدِه بَيْهَقَ[2] فى هذه السنَةِ .

شُجَاعُ بنُ أبى شُجاعٍ فارسِ بنِ الحُسَيْنِ بنِ فارِسٍ ، أبو غالبٍ الذُّهْلِيُّ[3] ، الحافظُ سمِعَ الحديثَ الكثيرَ ، وكان فاضلًا فى هذا الشأنِ ، وشرَعَ فى تتْمِيمِ « تاريخِ الخطيبِ » ، ثم غسَلَه ، وكان يُكثِرُ مِن الاسْتِغْفارِ والتوبَةِ ؛ لأنَّه كتَب شعرَ ابنِ الحجَّاجِ سبعَ مراتٍ . تُوفِّى فى هذا العامِ عن سبْعٍ وسبعينَ سنةً .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ إسْحاقَ بنِ الحسن[4] **بنِ مَنْصورِ ابنِ مُعاويةَ بنِ محمدِ بن عثمانَ** (5)**بنِ عنبسَةَ بنِ عُتْبَةَ بنِ عثمانَ بنِ عَنبسةَ**(5) **بنِ أبى سُفْيانَ صَخْرِ**[6] **بنِ حَرْبٍ الأُمَوِىُّ ، أبو المُظفَّرِ بنُ أبى العَبَّاسِ الأَبِيوَرْدِىُّ ،** الشاعرُ . كان عالمًا باللغةِ والأنسابِ ، سمِع الكثيرَ ، وصنَّفَ « تارِيخَ أبِيوَرْدَ » ، و « أنْسَابَ العربِ » ، وله كتابٌ فى المُؤتَلِفِ والمُخْتَلِفِ ، وغيرُ ذلك ، وكان يُنسَبُ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٥٦، والوافى بالوفيات ٩/ ٨٤، وطبقات الشافعية ٧/ ٤٤.

(٢) ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحى نيسابور. معجم البلدان ١/ ٨٠٤.

(٣) المنتظم ١٧/ ١٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٥٥، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٤٠. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٦٠، وعيون التواريخ ١٢/ ٤١.

(٤) فى النسخ : « الحسين » . والمثبت من مصادر الترجمة التالية : المنتظم ١٧/ ١٣٥، ومعجم الأدباء ١٧/ ٢٣٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٤٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٨٢، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٧، وطبقات الشافعية ٦/ ٨١.

(٥ - ٥) فى النسخ : « عتبة بن عنبسة بن معاوية » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٦) فى م : « بن صخر » .

إلى الكِبْرِ والتِّيهِ الزائدِ ، حتى إنَّه كان يدْعُو فى صلاتِه فيقولُ : اللَّهُمَّ ملِّكْنى مشارِقَ الأرضِ ومغارِبَها . وكتَب مرَّةً إلى الخليفةِ : الخادمُ المعاوِىُّ . فكشَطَ الخليفةُ الميمَ فبقِيتِ العاوِىَّ . ومِن شعرِه قولُه[1] :

تنكَّرَ لى دهْرِى ولم يدْرِ أننى ... أعِزُّ وأحْداثُ الزمانِ تَهُونُ

وظلَّ يُرِينى الخطْبَ[2] كيف اعتداؤه[3] ... وبتُّ أُرِيهِ الصَّبْرَ كيفَ يكونُ

محمدُ بنُ طاهرِ بنِ علىِّ بنِ أحمدَ ، أبو الفَضْلِ المَقْدِسِىُّ[4] ، الحافظُ ، وُلِد سنة ثمانٍ وأرْبعينَ وأربعِمائةٍ ، وأوَّلُ سماعِه سنةَ ستِّينَ ، وسافَر فى طلَبِ الحديثِ إلى بلادٍ كثيرةٍ ، وسمِعَ كثيرًا ، وكانت له معْرفةٌ جيِّدةٌ بهذه الصِّناعةِ ، وصنَّفَ كُتُبًا مفيدةً ، غيرَ أنَّه صنَّفَ كتابًا فى إباحَةِ السَّماعِ وفى التصوُّفِ ، واستعمَل فيه أحاديثَ منكَرةً جدًّا ، وأوْرَدَ أحاديثَ صحيحةً فى غيرِ كُنهِها ، وقد أثْنَى على حفْظِه غيرُ واحدٍ مِنَ الأئمةِ . وذكَر ابنُ الجَوْزِىِّ كتابَه هذا الذى سمّاه « صِفَةَ التصوُّفِ » ، وقال[5] : يضْحَكُ منه مَن رآه ، قال : وكان دَاوُدِىَّ المذْهبِ ، فمَن أثنَى عليه أثْنَى لأجْلِ حفْظِه للحديثِ ، وإلَّا فما يُجَرَّحُ به أوْلَى . قال : وذكَره أبو سعدٍ السَّمْعَانِىُّ ، وانْتَصَر له بغيرِ حُجَّةٍ ، بعدَ أن قال : سأَلتُ عنه شيخَنا إسْماعيلَ بنَ أحمدَ الطَّلْحِىَّ فأساء الثناءَ عليه ، وكان سَيِّئَ الرأيِ فيه . قال : وسمِعْنا

(١) البيتان فى : المنتظم ١٧/ ١٣٦، ومعجم الأدباء ١٧/ ٢٤٦، والكامل ١٠/ ٥٠٠.

(٢) فى خ ، م : « الدهر » .

(٣) فى النسخ : « اغتراره » .

(٤) فى الأصل ، ص : « القرشى » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ١٣٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٦١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٤٢. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٦٨، والوافى بالوفيات ٣/ ١٦٦.

(٥) المنتظم ١٧/ ١١٦.

أبا الفَضْلِ بنَ ناصرٍ يقولُ : محمدُ بنُ طاهرٍ لا يُحتَجُّ به ، صنَّفَ فى جَوازِ النظرِ إلى المُرْدِ ، وكان يذْهَبُ مذهبَ الإباحيةِ. ثم أوْرَد له مِن شعرِه قولَه فى هذه الأبياتِ[1] :

دَعِ التصوُّفَ والزُّهدَ الذى اشْتَغَلَتْ ... بـهِ جـوارحُ أقـوامٍ مِـن الـنـاسِ

وعُجْ علـى دَيْـرِ دارَيَّـا فـإنَّ بـه الـ ... ـرُّهبانَ ما بينَ قِسِّيسٍ وشمّاسِ

واشْرَبْ مُعَتَّقةً مِن كفِّ كافرةٍ ... تسْقِيكَ خَمْرَيْنِ مِن لحْظٍ ومِن كاسِ

ثم اسْتَمِعْ رنَّةَ الأوْتارِ مِن رَشأٍ ... مُهَفْهَفٍ طرْفُه أَمْضَى مِنَ الماسِ

[٢٢٣/٩و] غَنَّى بشِعْرِ امرئٍ فى الناسِ مُشْتَهِرٍ ... مُدَوَّنٍ عندَهمْ فى صَدْرِ قِرْطَاسِ

لولا نسيمٌ بذكراكمْ[2] يُرَوِّحُنِى ... لَكُنْتُ مُحْتَرِقًا مِن حرِّ أنْفاسِى

ثم قال السَّمْعانىُّ[3] : لعلَّه قد تابَ مِن هذا كلِّه . قال ابنُ الجَوْزىِّ[3] : وهذا غيرُ مَرْضِيٍّ أن يذكُرَ جرْحَ الأئمةِ له ، ثم يعْتذِرَ عن ذلك باحْتِمالِ توْبَتِه . وذكَرَ ابنُ الجَوْزِىِّ أنَّه لمَّا احْتُضِر جعَل يُرَدِّدُ هذا البيتَ[4] :

وما كُنتُمُ تعْرِفُونَ الجفا ... فممَّن تُرَى قد تعلَّمْتُمُ

ثم كانتْ وفاتُه بالجانبِ الغربىِّ مِن بَغْدادَ فى ربيعِ الأوَّلِ منها .

أبو بَكْرٍ الشَّاشِىُّ ، صاحبُ « المُسْتَظْهِرِىِّ » ، محمدُ بنُ أحمدَ بنِ الحُسَينِ ابنِ عمرَ الشَّاشِىُّ[5] ، أحدُ أئمَّةِ الشافِعيَّةِ فى زَمانِه ، وُلِدَ فى المحرَّمِ سنَةَ سَبْعٍ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٣٧.

(٢) فى خ ، م : « بدا منكم » .

(٣) المنتظم ١٧/ ١٣٧، بنحوه .

(٤) المنتظم ١٣٨/١٧ .

(٥) المنتظم ١٧/ ١٣٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٢١٩، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٦٥، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٧٠.

وعشْرِينَ وأرْبَعِمائةٍ ، وسمِعَ الحديثَ على أبى يَعْلَى بنِ الفَرَّاءِ ، وأبى بكرٍ الخطيبِ ، والشيخِ أبى إسْحاقَ الشِّيرازِىِّ ، وتفَقَّهَ عليه وعلى غيرِه ، وقرَأ «الشامِلَ» على مُصنِّفِه ابنِ الصَّبَّاغِ ، واخْتَصره . فى كتابِه الذى جمَعه للمُسْتَظْهِرِ باللَّهِ ، وسمَّاه «حِلْيَةَ العُلَماءِ بمعرفةِ مذاهبِ الفقهاءِ» ، ويُعْرَفُ بالمُسْتَظْهِرِىِّ ، وقد درَّسَ بالنِّظَامِيَّةِ ، ببَغْدادَ ثم عُزِلَ عنها ، وكان يُنشِدُ[1] :

تَعَلَّمْ يا فتى والعُودُ غَضٌّ وَطِينُكَ لَيِّنٌ والطَّبْعُ قَابِلْ
فحسْبُكَ يا فتَى شرَفًا وفخْرًا سكُوتُ الحاضِرِينَ وأنتَ قائلْ

تُوفِّى سحَرَ يومِ السبتِ السادسَ[2] عشَرَ مِن شوَّالٍ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن إلى جانبِ الشيخِ أبى إسْحَاقَ الشِّيرازِىِّ ببابِ أبرَزَ .

المُؤْتَمَنُ بنُ أحمدَ بنِ علىِّ بنِ الحُسَيْنِ بنِ عبيدِ اللَّهِ[3] ، أبو نَصْرٍ السَّاجِىُّ المَقْدِسِىُّ ، سمِعَ الحديثَ الكثيرَ ، وخرَّج ، وكان ثقةً صحيحَ النقْلِ ، حسَنَ الخطِّ ، مشْكورَ السيرةِ ، لطيفَ النفْسِ ، اشتَغَل فى الفقهِ على الشيخِ أبى إسْحاقَ الشِّيرازِىِّ مُدَّةً ، ورحَل إلى أَصْبهانَ وغيرِها ، وهو معْدودٌ مِن جملةِ الحفَّاظِ ، لا سِيَّما للمُتُونِ ، وقد تكلَّم فيه محمَّدُ بنُ طاهرٍ . قال ابنُ الجوزِىِّ[4] : وهو أحقُّ منه بذلك ، وأيْنَ الثُّرَيَّا مِنَ الثَّرَى ؟ تُوفِّى المُؤْتَمَنُ يومَ السبتِ ثامنَ[5] عشَرَ صفرٍ مِن هذه السنةِ ، ودُفِنَ ببابِ حَرْبٍ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) البيتان فى المنتظم ١٧/ ١٣٨، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٥.
(٢) فى الأصل ، ص : «الحادى» . وانظر المنتظم ١٧/ ١٣٨.
(٣) تاريخ دمشق ١٧/ ٢٥٣ (مخطوط) ، والمنتظم ١٧/ ١٣٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٩١، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٣٠٨.
(٤) المنتظم ١٧/ ١٣٩.
(٥) فى خ ، م ، ص : «ثانى» . وانظر المنتظم ١٧/ ١٣٩.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وخَمْسِمائةٍ

فيها[1] وقَعَ حريقٌ عظيمٌ ببَغْدادَ . وفيها كانتْ زَلْزَلَةٌ هائلةٌ بأرضِ الجزيرةِ ، هدَمَتْ منها ثلاثةَ عشَرَ بُرْجًا ، ومِنَ الرُّهَا بُيوتًا كثيرةً ، وبعضَ [2]سورِ حَرّانَ[2] ، ودورًا كثيرةً فى بلادٍ شتَّى ، فهلَكَ [3]أكثرُها ، وفى بالِسَ[4](3) نحوًا مِن مائةِ دارٍ[5] ، وقُلِبَ بنصْفِ قَلْعَةِ حَرَّانَ ، وسَلِم نصْفُها ، وخُسِفَ بمدينةِ سُمَيْساطَ ، وهلَكَ تحتَ الرَّدْمِ خلقٌ كثيرٌ ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفيها قُتِل صاحبُ حَلَبَ تاجُ الدولةِ أَلْبُ أَرْسَلانَ بنُ رِضوانَ بنِ تُتُشَ ، قتَله غِلْمانُه ، وقامَ مِن بعدِه أخوه سلْطانْشاه بنُ رِضوانَ .

وفيها ملَكَ السلْطانُ سَنجَرُ بنُ مَلِكْشَاه بلادَ غَزْنَةَ ، وخُطِب له بها بعدَ مُقاتلَةٍ عظيمةٍ ، وأخَذَ منها أموالًا كثيرةً ، مِن ذلكَ خمسةُ تِيجانٍ ، قِيمَةُ كلِّ تاجٍ منها ألفُ ألفِ دينارٍ ، وسبْعَةَ عشَرَ سَرِيرًا مِن ذهَبٍ وفضَّةٍ ، وألْفٌ وثلَاثُمائَةِ قطعةِ مَصاغٍ مُرَصَّعَةٍ ، وأقامَ بها أرْبعينَ يومًا ، وقرَّرَ فى مُلكِها بَهْرامْ شَاه ، مِن بيتِ بَنى سُبُكْتِكِينَ ، ولم يُخْطَبْ بغَزْنَةَ قبلَ السلطانِ سَنْجَرَ مِنَ السَّلْجُوقِيَّةِ لأحدٍ[6] .

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٤٠، والكامل ١٠/ ٥٠١.
(٢ - ٢) فى م : « ودور خراسان » .
(٣ - ٣) فى خ ، م : « من أهلها » .
(٤) بالس : بلدة بالشام بين حلب والرقة . معجم البلدان ١/ ٤٧٧.
(٥) فى خ ، م : « ألف » .
(٦) بعده فى خ ، م : « وإنما كان لها ملوك سادة أهل جهاد وسنة لا يجسر أحد من الملوك عليهم ، =

وفيها وَلَّى السلطانُ محمدٌ للأميرِ آقْ سُنقُرَ البُرسُقِيِّ المَوْصِلَ وأعمالَها ، وأمَره بمقاتلةِ الفِرنْجِ ، فقاتَلهم فى أواخرِ هذه السنَةِ ، فأخَذ منهمُ الرُّهَا وخرَّبها[1] وسُروجَ وسُمَيْساطَ ، ونهَب مارِدِينَ ، وأسَر ابنَ ملِكِها [٩/٢٢٣ظ] إياز بنِ إيلْغازى ، فأرسَلَ السلطانُ محمدٌ إليه مَن يتهَدَّدُه ، ففَرَّ منه إلى طُغْتِكِينَ صاحبِ دِمشْقَ ، واتَّفقَا على عِصْيانِ السلطانِ محمدٍ ، فجرَتْ بينَهما وبينَ نائبِ حِمْصَ قُرجانَ ابنِ قُراجةَ حروبٌ كثيرةٌ ، ثم اصْطلَحُوا .

وفيها ملَكَتْ زوجةُ مَرْعَشَ الإفْرنْجِيَّةُ بعدَ وَفاةِ زوْجِها ، لعَنهما اللَّهُ . وحَجَّ بالناسِ فيها أميرُ الجيوشِ أبو الخيرِ ، يَمَنٌ الخادمُ ، وشكَرَ الناسُ حجَّهم معه .

= ولا يطيق أحد مقاومتهم وهم بنو سبكتكين » .

(١) فى الأصل : « مر بها » ، وفى خ ، م : « حريمها » .

ثم دخلت سنة تِسْعٍ وخَمْسِمائَةٍ

فيها[1] جهَّز السلطانُ غِيَاثُ الدينِ محمدُ بنُ مَلِكْشَاه صاحبُ العراقِ جيشًا كثيفًا مع الأميرِ بُرْسُقَ بنِ بُرْسُقَ إلى إيلْغازى صاحبِ مَارِدِينَ، وإلى طُغتِكينَ صاحبِ دِمَشقَ[2]؛ ليقاتِلَهما على تمالئِهما على عصيانِ السلطانِ، وقَطْعِ خُطْبَتِه، وإذا فرَغ مِن ذلك عمَدَ لقتالِ الفِرنْجِ، فلمَّا اقترَب الجيشُ مِن بلادِ الشامِ هرَب صاحبُ مارِدينَ وصاحبُ دِمشقَ، وتحيَّزَا إلى الفِرنْجِ، وجاءَ الأميرُ بُرْسُقُ إلى كَفَرْ طابَ[3] ففتَحها عَنْوَةً، وأخَذَ ما كان فيها مِن النساءِ والذُّرِّيَّةِ، وجاءَ صاحبُ أنْطاكِيَةَ رُوجيلُ فى خَمْسِمائَةِ فارسٍ وألْفَىْ راجلٍ، فكبَسَ المسلمينَ فقتَل منهم خلقًا كثيرًا، وأخَذَ أموالًا جزيلةً، وهرَبَ بُرْسُقُ فى طائفةٍ قليلةٍ مِن الناسِ، وتمزَّقَ الجيشُ الذى كان معه شَذَرَمَذَرَ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ.

وفى ذى القَعْدَةِ منها قدِمَ الملكُ غِيَاثُ الدينِ محمدٌ إلى بغدادَ، وجاءَ إليه طُغتِكينُ صاحبُ دِمَشْقَ مُعْتَذِرًا إليه، فخلَعَ عليه، ورَضِىَ عنه وردَّه إلى عملِه.

ومِمن تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ:

إسْماعيلُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ مَلَّةَ[4] أبو عُثمانَ الأصْبهانِيُّ، أحدُ

---

(١) الكامل ١٠/ ٥٠٩.

(٢) بعده فى خ، م: «وإلى آق سنقر البرشقى».

(٣) كفر طاب: بلدة بين المعرة ومدينة حلب. معجم البلدان ٤/ ٢٨٩.

(٤) فى م: «على». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٧/ ١٤٣، والكامل ١٠/ ٥١٥، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٢١٦، وشذرات الذهب ٤/ ٢٣.

الرَّحّالينَ فى طلَبِ الحديثِ ، وقد وعَظ فى جامعِ المَنْصُورِ ثلاثينَ مَجْلِسًا ، واسْتَمْلَى عليه محمدُ بنُ ناصرٍ ، وتُوفِّى بأصْبهانَ .

مُنتجَبُ[(١)] **بنُ عبدِ اللهِ المُسْتَظْهِرِىُّ . أبو الحسَنِ الخادِمُ** ، كان كثيرَ العبادةِ ، وقد أثْنَى عليه محمدُ بنُ ناصرٍ ، وقال : وقَف على أصحابِ الحديثِ .

هبةُ[(٢)] **اللهِ بنُ المُبارَكِ بنِ مُوسَى ، أبو البَرَكاتِ السَّقَطىُّ** ، سمِع الكثيرَ ورحَل فيه ، وكان فاضلًا عارِفًا باللغةِ ، ودُفِنَ بباب حربٍ .

يَحْيَى بنُ تميمِ بنِ المُعِزِّ بنِ بادِيسَ[(٣)] ، صاحبُ إفْرِيقيَّةَ ، كان مِن خيارِ المُلوكِ ، عارفًا ، حسَنَ السيرةِ مُحِبًّا للفقراءِ والعلماءِ ، ولهم عليه أرْزاقٌ ، مات وله ثِنتان وخمسون سنةً ، وترَكَ ثلاثينَ ولَدًا ، وقامَ بالأمْرِ مِن بعدِه ولَدُه علىٌّ .

---

(١) فى الأصل ، م : « منجب » . وانظر ترجمته فى المنتظم ١٤٤/١٧، وفيه : « منتخب » .

(٢) فى م : « عبد » وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ١٤٤، (وفيه عبد الله) ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٢٣٥، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١١٤، وشذرات الذهب ٤/ ٢٦.

(٣) الكامل ١٠/ ٥١٢، ووفيات الأعيان ٦/ ٢١١، والبيان المغرب ١/ ٣٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٢٣٨، وشذرات الذهب ٤/ ٢٦.

ثم دَخلت سنةُ عشْرٍ وخمسِمائةٍ[1]

فيها وقع حريقٌ عظيمٌ ببغدادَ ؛ احترقت فيه دورٌ كثيرةٌ ، منها دارُ نُورِ الهُدَى الزَّيْنَبِيِّ ، ورِبَاطُ بِهْروزَ[2] ، ودارُ كتُبِ النِّظَامِيَّةِ ، وسَلِمَتِ الكتُبُ لأَنَّ الفقهاءَ نقَلُوها .

وفيها قُتِل صاحِبُ مَرَاغَةَ فى مجْلسِ السلْطانِ محمدٍ ، قتَله الباطِنيَّةُ . وفى يومِ عاشُوراءَ وقعتْ فتنةٌ عظيمةٌ بيـنَ الرَّوافِضِ والسُّنَّةِ بمشْهَدِ عليٍّ بنِ مُوسَى الرِّضَا بمدينةِ طُوسَ ، فقُتِلَ فيها خلقٌ كثيرٌ . وفيها سارَ السلْطانُ إلى فارِسَ بعدَ موتِ نائبِها خوْفًا عليها من صاحبِ كَرْمانَ . وحجَّ بالناسِ أميرُ الجيوشِ أبو الحسنِ ، نَظَرٌ الخادمُ ، وكانتْ سنةً مُخْصِبَةً آمِنَةً ، وللَّهِ الحمدُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ :

البَغَوِىُّ المفسِّرُ المحدِّثُ الفقيهُ[3] ، وقيل : فى سنةِ ستَّ عشْرةَ ، كما سيأتى واللَّهُ أعلمُ .

عَقِيلُ بنُ الإمامِ أبى الوَفَا[4] **علىِّ بنِ عَقِيلٍ الحنْبَلِىِّ** ، كان شابًّا قد برَعَ وحفِظَ القرآنَ وكتَب مَليحًا وفَهِمَ المعانِىَ جيِّدًا ، ولمَّا تُوفِّى تصبَّر عليه أبوه وتشَكَّر

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٤٥، والكامل ١٠/ ٥١٦.
(٢) فى الأصل : « ممدود » ، وفى خ : « نهرور » ، وفى م : « نهرزور » وفى ص : « نهزور » ، والمثبت من المنتظم ١٧/ ١٤٥، وانظر عيون التواريخ ١٢/ ٦٤.
(٣) ستأتى ترجمته فى وفيات سنة ست عشرة وخمسمائة .
(٤) المنتظم ١٧/ ١٤٨.

وأظْهَر التجلُّدَ ، فقرأ [٩/٢٢٤و] قارِئٌ في العزاءِ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ﴾ الآية [يوسف : ٧٨] ، فبكَى ابنُ عقيلٍ بكاءً شديدًا .

عليُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ محمدِ بنِ بَيَانٍ الرَّزَّازُ[١] ، آخِرُ مَن حدَّث عنِ ابنِ مَخْلَدٍ بجزءِ الحسَنِ بنِ عرَفَةَ ، وتفرَّدَ بأَشْياءَ غيرِه أيضًا . تُوفِّي فيها عن سَبْعٍ وتسعين سنةً .

محمدُ بنُ مَنْصُورِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الجبَّارِ ، أبو بَكْرٍ السَّمْعانِيُّ[٢] ، سمِع الكثيرَ وحدَّث ، ووعَظ بالنِّظامِيَّةِ ببَغْدادَ ، وأَمْلَى بمَرْوَ مائةً وأَرْبَعِينَ مَجْلِسًا ، وكانتْ له معرفةٌ تامَّةٌ بالحديثِ ، وكان أَدِيبًا شاعِرًا فاضلًا ، له قَبُولٌ عظيمٌ ، تُوفِّي بمَرْوَ عن ثلاثٍ وأَرْبعينَ سنةً .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ طاهرِ بنِ حَمَدٍ[٣] **أبو مَنْصُورٍ ، الخازنُ** ، فَقِيهُ الإمامِيَّةِ ومُفْتِيهم بالكَرْخِ ، وقد سمِع الحديثَ مِنَ التَّنُوخِيِّ وابنِ غَيْلَانَ ،وكانت وفاتُه في رمضانَ[٤] .

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٤٧، وفيه « الوزان » ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٥٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٢٤٧، وشذرات الذهب ٤/ ٢٧.

(٢) إنباه الرواة ٣/ ٢١٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٢١٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٧١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٢٥٩، وطبقات الشافعية للسبكي ٧/ ٥.

(٣) في م : « أحمد » . وانظر ترجمته في : المنتظم ١٧/ ١٥١، ومعجم الأدباء ١٧/ ٢٦٧، وإنباه الرواة ٣/ ٤٨، وفيه « محمد بن أحمد بن محمد » ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٢٥٤ ، ولسان الميزان ٥/ ٣٨.

(٤) الذى عليه المصادر أنه توفى فى شعبان .

محمدُ بنُ عليٍّ بنِ محمدٍ ، أبو بَكْرٍ النَّسَوِيُّ[1] ، الفقيهُ الشافعِيُّ ، سمِع الحديثَ ، وكانتْ إليه تَزْكِيَةُ الشُّهودِ بنَسَا[2] ، وكان فاضلًا دَيِّنًا وَرِعًا .

مَحْفُوظُ بنُ أحمدَ بنِ الحَسَنِ ، أبو الخَطَّابِ الكَلْوَذانِيُّ[3] ، أحدُ أئمةِ الحنابلةِ ومُصَنِّفِيهم ، سمِع الكثيرَ ، وتفَقَّه بالقاضِي أبى يَعْلَى ، وقرَأ الفرائضَ على الوَنِّيِّ ، ودرَّس وأفْتَى وناظَر ، وصنَّف فى الأُصولِ والفُروعِ ، وله شِعْرٌ حَسَنٌ ، وجمَع قصيدةً يَذْكُرُ فيها اعْتِقادَه ومَذْهَبه ، يقولُ فيها[4] :

دَعْ عنكَ تَذْكارَ الخليطِ المُنْجِدِ ... والشَّوْقَ نحوَ الآنِسَاتِ الخُرَّدِ

والنَّوحَ فى تَذْكارِ سُعْدَى إنَّما ... تَذْكارُ سُعْدَى شُغْلُ مَن لم يَسْعَدِ

واسْمَعْ مقالى إنْ أَرَدْتَ تَخَلُّصًا ... يَوْمَ الحسابِ وخُذْ بِهَدْيِى تَهْتَدِ

وذكَر تمامَها وهى طويلةٌ . وكانتْ وفاتُه فى جُمادَى الآخرةِ من هذه السَّنَةِ عن ثمانٍ وسَبْعِينَ سنةً ، وصُلِّيَ عليه بجامعِ القصرِ ، وجامعِ المنصورِ ، ودُفِنَ بالقربِ مِنَ الإمامِ أحمدَ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٢٥٩.

(٢) فى النسخ : « ببغداد » . والمثبت من المنتظم .

(٣) المنتظم ١٧/ ١٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٢٥١، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ١١٦، وشذرات الذهب ٤/ ٢٧.

(٤) الأبيات من قصيدة طويلة ذكرها بتمامها ابن الجوزى فى المنتظم ١٧/ ١٥٣.

ثم دخلت سنةُ إحْدَى عشْرَةَ وخَمْسِمِائَةٍ[١]

فى رابعَ عشرَ صَفرٍ منها انْكَسَفَ القمرُ كُسوفًا كُلِّيًّا[٢] . وفى تلك الليلةِ هجَم الفِرنْجُ على رَبَضِ[٣] حَمَاةَ ، فقتَلُوا خَلْقًا كثيرًا ، ورجَعُوا - لعَنهم اللَّهُ - إلى بلادِهم .

وفيها كانتْ زَلْزلةٌ عظيمةٌ ببَغْدادَ سقَطَتْ منها دورٌ كثيرةٌ بالجانبِ الغربيِّ ، وغلَتِ الغَلَّاتُ فى هذه السنةِ ببغدادَ جدًّا . وفيها قُتِل لؤلؤٌ الخادِمُ الذى كان قدِ اسْتَحْوذَ على مَمْلَكةِ حَلَبَ بعدَ موتِ أُسْتاذِه رِضْوانَ بنِ تُتُشَ ، قتَله جماعةٌ مِنَ الأَتْراكِ ، وكان قد خرَج مِن حَلَبَ مُتوجِّهًا إلى جَعْبَرَ ، فتنادَى جماعةٌ مِن مَماليكِه وغيرِهم فى أَثْناءِ الطريقِ : أَرْنَبٌ أَرْنَبٌ . فرَمَوْه بالسِّهامِ مُوهِمِينَ أَنَّهم يَصِيدُونَ صَيْدًا فقتَلُوه .

وفيها كانت وفاةُ السلطانِ **غِياثِ الدينِ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه بنِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ ابنِ داودَ بنِ مِيكائيلَ بنِ سَلْجُوقَ**[٤] ، ملِكِ بلادِ العراقِ وخُراسَانَ وغيرِ ذلك مِن البلادِ الشاسِعَةِ ، والأقاليمِ الواسِعَةِ ، وكان من خِيارِ المُلُوكِ وأَحْسَنِهم سيرةً ، عادِلًا رحيمَ القَلْبِ سَهْلَ الأَخْلاقِ محمودَ العِشْرَةِ ، رحِمه اللَّهُ ، ولمَّا حضَرَتْه الوفاةُ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٥٦، والكامل ١٠/ ٥٢٥.

(٢) عيون التواريخ ١٢/ ٧٢.

(٣) الربض : سور المدينة وما حولها . تاج العروس (ر ب ض) .

(٤) المنتظم ١٧/ ١٥٩، مرآة الزمان ٨/١/ ٦٩، ونهاية الأرب ٢٦/ ٣٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٢٧٠، وشذرات الذهب ٤/ ٣٠.

اسْتَدعَى وَلَدَه محمودًا وضمَّه إليه وبكَى كُلٌّ منهما ، ثم أمَره بالجلُوسِ على سَريرِ المَمْلَكةِ ، وعمرُه إذْ ذاكَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سنةً ، فجلَس وعليه التّاجُ والسِّواران وحكَم ، ولمَّا تُوفِّيَ أبوه صرَف الخزائنَ إلى العساكرِ ؛ وكان فيها أَحَدَ عشَرَ ألفَ ألفِ دينارٍ ، واسْتَقَرَّ المُلْكُ له ، وخُطِبَ له ببَغْدادَ وغيرِها منَ البلادِ ، وكان عمرُ أبيه السُّلطانِ محمدٍ تِسْعًا وثلاثينَ سنةً وأَربعَةَ أَشْهُرٍ وأيامًا ، وقد كان خُطِب له ببغدادَ عدَّةَ مرّاتٍ ، ونازَعه أخوه بَرْكْيَاروقُ ، ثم استقرَّ له المُلْكُ إلى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى وأكْرَم مَثْواه .

وفيها وُلِد الملكُ العادِلُ نورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِي بنِ آقْ سُنْقُرَ ، صاحبُ حَلَبَ ودِمَشْقَ .

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأَعْيانِ :

القاضى المُرْتَضَى أبو محمدٍ ، عبدُ اللَّهِ بنُ القاسمِ [٢٢٤/٩ظ] **بنِ المُظَفَّرِ بنِ عليِّ بنِ القاسمِ الشَّهْرَزُورِىُّ**[١] ، والدُ القاضى جمالِ الدينِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الشَّهْرَزُورِىِّ ، قاضى دِمَشْقَ فى أيامِ نُورِ الدينِ ، اشْتَغَلَ ببَغْدادَ وتفَقَّهَ بها ، وكان شافِعِيَّ المَذْهَبِ ، بارعًا دَيِّنًا ، حسنَ النَّظْمِ ، ثم عاد إلى بلدِه ، فكان يَعِظُ ويتكلَّمُ على القلوبِ ، وله قصيدةٌ بارعةٌ فى علمِ التَّصَوُّفِ أَوْرَدها القاضى ابنُ خَلِّكانَ[٢] بتمامِها ؛ لحُسنِها وفصاحتِها :

لمَعَتْ نارُهم وقد عَسْعَسَ اللَّيْـ ـلُ وملَّ الحادِى وحارَ الدَّليلُ

---

(١) خريدة القصر ٢/ ٣٠٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٩، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٢٦، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٩٧، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٣١ (أحداث سنة عشرين وخمسمائة) .

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٤٩ - ٥١. وانظر القصيدة أيضًا فى عيون التواريخ ١٢/ ٧٤ - ٧٦.

فتأمَّلْتُها وفِكْرِى مِنَ البَيْـ ـنِ عَليلٌ ولَحْظُ عَيْنِى كَلِيلُ
وفُؤادِى ذاكَ الفُؤادُ المُعَنَّى وغَرامِى ذاكَ الغَرامُ الدَّخيلُ

ومن شعرِه[1] :

ياليلُ ما جِئْتُكُم زائِرًا إلَّا وجدْتُ الأرضَ تُطْوَى لى
ولا ثَنَيْتُ العَزْمَ عن بَابِكُم إلَّا تَعَثَّرْتُ بأذْيالِى

ومِنْ شِعْرِه دُوبيْتُ[2] :

يا قَلْبُ إلامَ لا يُفِيدُ النُّصْحُ دَعْ مَزْحَكَ كَمْ جنَى عليْكَ المَزحُ
ما جارحةٌ منكَ عداها جُرْحُ ما تَشْعُرُ بالخُمارِ حتى تصْحُو

كانت وفاتُه فى هذه السنَةِ. قال ابنُ خَلِّكانَ[3] : وزَعَم العمادُ فى «الخَرِيدَةِ»[4] أنَّه تُوفِّى بعدَ العشرينَ. فاللَّهُ أَعْلَمُ.

محمدُ بنُ سعيدِ، ابنُ نَبْهانَ، أبو عليٍّ الكاتبُ[5]، سمِع الحديثَ وروَى، وعُمِّرَ مائةَ سنَةٍ، وتغيَّرَ قبلَ موْتِه، وله شِعْرٌ حسَنٌ، فمِن ذلك قولُه فى قصيدةٍ له[6] :

لى أَجَلٌ قدَّرَهُ اللَّهُ[7] نَعَم ورِزْقٌ أَتَوفَّاهُ

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٥٢. وانظر عيون التواريخ ١٢/ ٧٧.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٥١. وانظر عيون التواريخ ١٢/ ٧٦ والدوبيت: وزن فارسي غير داخل فى أوزان العروض العربية، استحدثه أدباء الفرس، وسمى كذلك لأنه لا يكون إلا بيتين. تاريخ آداب العرب للرافعى ٣/ ٧٢.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٥٣.

(٤) خريدة القصر ٢/ ٣٢١.

(٥) المنتظم ١٧/ ١٥٨، والمحمدون من الشعراء للقِفْطى ص ٤٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٢١، وعيون التواريخ ١٢/ ٧٣.

(٦) الأبيات فى المنتظم ١٧/ ١٥٨، والمحمدون من الشعراء ص ٤٨٦، ٤٨٧، وعيون التواريخ ١٢/ ٧٣.

(٧) فى مصادر التخريج: «خالقى».

حتى إذا اسْتَوْفَيْتُ منهُ الذى   قُـدِّر لـى لا أتَـعَـدَّاهُ
قال كِرامٌ كَنْتُ أَغْشَاهمُ   فى مَجْلِسٍ قد كنتُ أَغْشَاهُ
صارَ ابنُ نَبْهانَ إلى ربِّهِ   يَـرْحَـمُـنـا الـلَّـهُ وإيَّـاهُ

أميرُ الحاجِّ يُمْنُ بنُ عبدِ اللهِ ، أبو الخيرِ المُسْتَظْهِرِىُّ[1] ، كان جوادًا ، كريمًا ، مُمَدَّحًا ، ذا رأْيٍ وفِطْنَةٍ ثاقِبَةٍ ، وقد سمِع الحديثَ مِن أبى عبدِ اللَّهِ الحُسَيْنِ [2]بنِ أحمدَ[2] بنِ طلْحَةَ النِّعالىِّ بإفادَةِ أبى نَصْرٍ الأَصْبهانىِّ ، وكان يَؤُمُّ به فى الصلواتِ ، ولمَّا قدِمَ رسولًا إلى أَصْبهانَ حدَّث بها . واتَّفقَ وفاتُه فى ربيعٍ الآخرِ من هذه السنَةِ ودُفِنَ هناك ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٢٥، وعيون التواريخ ١٢/ ٧٣، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢١٤.

(٢ - ٢) سقط من النسخ والمثبت من المنتظم، وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ١٠١، والوافى بالوفيات ١٢/ ٣٣٩.

ثم دخلت سنة ثِنْتَىْ عشْرَة وخَمْسِمائَةٍ

فيها[1] خُطِبَ للسلطانِ محمودِ بنِ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه بأَمْرِ الخليفةِ المُسْتَظْهِرِ باللَّهِ . وفيها سأَل دُبَيْسُ بنُ صَدَقَةَ بنِ منصورٍ الأَسَدِىُّ مِنَ السُّلْطانِ محمودٍ أَنْ يَرُدَّه إلى الحِلَّةِ وغيرِها ، ممَّا كان أبوه يَتَوَلَّاه مِنَ الأَعْمالِ ، فأجابَه إلى ذلك ، وولَّاه ما كان أبوه يتولَّاه مِن ذلك ، فعَظُمَ وارتفعَ شَأْنُه .

وفاةُ الخليفةِ المُستَظْهِرِ باللَّهِ[2]

وهو أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ أميرِ المؤمنين المُقْتدِى بأَمْرِ اللَّهِ ، كان خَيِّرًا فاضِلًا ذَكِيًّا بارعًا ، كتَبَ الخطَّ المَنْسوبَ ، وكانت أيَّامُه بِبَغْدادَ كأَنَّها الأَعْيادُ ، وكان راغِبًا فى البِرِّ والخَيْراتِ مُسارِعًا إلى ذلك ، لا يَرُدُّ سائِلًا ، وكان جَمِيلَ المعاشرةِ لا يُصْغِى إلى أَقْوالِ الوُشَاةِ فى الناسِ ، ولا يَثِقُ بالمُباشِرِينَ ، قد ضبَط أمورَ الخلافةِ جَيِّدًا ، وأَحْكَمها وعرَفها وعلِمها ، ولَديْه علمٌ كثيرٌ وفضلٌ كبيرٌ ، وله شِعْرٌ حسَنٌ قد ذكَرْناه أوَّلًا عندَ ذِكْرِ خلافَتِه بعدَ والدِه ، وقد وَلِىَ غَسلَه الإمامُ ابنُ عَقِيلٍ وابنُ السُّنِّىِّ ، وصلَّى عليه ولدُه أبو مَنْصورٍ الفَضْلُ ، وكبَّر أَرْبعًا ، ودُفِنَ فى حُجْرَةٍ كان يَسْكُنُها .

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٦١، والكامل ١٠/ ٥٣٣.

(٢) المنتظم ١٧/ ١٦٥، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١٢/ ٢٦، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٩٦، وتاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٢٦.

والعَجَبُ أنَّه لمَّا ماتَ السُّلْطانُ أَلْب أَرْسَلَان ماتَ بعدَه الخليفةُ القائمُ بأمرِ اللَّهِ ، ثم لما ماتَ السُّلْطانُ مَلِكْشَاه مات بعدَه الخليفةُ المُقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ ، ثم لمَّا ماتَ السلطانُ محمدٌ ماتَ بعدَه الخليفةُ المُسْتَظْهِرُ باللَّهِ ، رحِمهم اللَّهُ ، وكانت وفاةُ المُسْتَظْهِرِ باللَّهِ ، فى سادِسَ عشَرَ ربيعِ الآخرِ مِن هذه السنةِ ، وله مِن العُمرِ إحْدَى وأَرْبَعُونَ سنةً ، وثلاثَةُ أَشْهرٍ وأَحَدَ عشَرَ يومًا .

[٢٢٥/٩و] خِلافَةُ المُسْتَرْشِدِ باللَّهِ أميرِ المؤمنينَ أبى منْصُورٍ الفَضْلِ بنِ المُسْتَظْهِرِ

لمَّا تُوفِّى أبوه - كما ذكَرْنا - بُويعَ له بالخلافةِ ، وخُطِبَ له على المنابرِ وقد كان وَلِى العهدَ مِن مُدَّةِ ثلاثةٍ وعِشْرينَ سنةً ، وكان الذى أخَذ البيعةَ له قاضى القُضاةِ أبو الحسَنِ الدّامَغانىُّ ، ولمَّا اسْتَقرَّتِ البيعةُ له هرَب أخوه أبو الحسَنِ فى سَفِينةٍ ومعه ثلاثةُ نَفَرٍ ، وقصَد دُبَيْسَ بنَ صَدَقَةَ بنِ منصورِ بنِ دُبَيْسِ بنِ علىِّ بنِ مَزْيَدٍ الأَسَدىَّ بالحِلَّةِ ، فأكْرَمَه وأحسنَ إليه ، فقلِق المُسْتَرْشِدُ باللَّهِ مِن ذلك ، (١) فراسَلَ دُبَيْسًا فى ذلك مع نقيبِ النُّقَباءِ الزَّيْنَبِىِّ ، فهرَب أخو الخليفةِ مِنْ دُبَيْسٍ (١) ، فأرسَل إليه جيْشًا فأَلْجَئُوه إلى البَرِّيَّةِ ، فلَحِقَه عطَشٌ شديدٌ ، فلَقِيَه بَدَوِيَّانِ فسقَيَاه ماءً ، وحمَلَاه إلى بَغْدادَ (٢) ، فأَحْضَره أخوه إليه فاعْتنَقَا وتباكَيَا ، وأَنْزَله الخليفةُ دارًا كان يَسْكُنُها قبلَ الخلافةِ ، وأحسنَ إليه ، وطيَّبَ نَفْسَه ، وكان مُدَّةُ غَيْبَتِه عن بَغْدادَ أحَدَ عشَرَ شَهْرًا ، واسْتَقَرَّتِ الخلافةُ بلا مُنازَعةٍ للمُسْتَرْشِدِ .

وفى هذه السنةِ كان غَلاءٌ شديدٌ ببَغْدادَ ، وانْقَطَع الغَيْثُ وعُدِمَتِ الأَقْواتُ ، وتفاقَمَ أَمْرُ العَيَّارينَ ، ونهَبُوا الدِّياراتِ نَهارًا جهارًا ، ولم تَسْتَطِعِ الشُّرْطةُ لذلك

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) المذكور فى الكامل ٥٣٨/١٠ أن البدويَّيْن حملا الأمير أبا الحسن إلى دبيس ، فسيّره إلى بغداد .

تغييرًا ولا إنكارًا .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ نَظَرٌ الخادِمُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأَعْيانِ :

الخليفةُ المُسْتَظْهِرُ باللَّهِ ، كما تقدَّم ذِكْرُ ذلك آنفًا فى هذا العامِ .

تُوفِّيَتْ بعدَه جَدَّتُه أَمُّ أبيه المُقْتَدِى ، **أُرْجُوانُ الأَرْمَنِيَّةُ**[1] ، وتُدْعَى قُرَّةَ العَيْنِ ، وكان لها بِرٌّ كَثِيرٌ ، ومَعْرُوفٌ وصَدَقاتٌ ، وقد حجَّتْ ثلاثَ حَجَّاتٍ ، وأَدْرَكَتْ خلافةَ ابنِها المُقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ ، وخلافةَ ابنِه المُسْتَظْهِرِ ، وخلافةَ ابنِه المُسْتَرْشِدِ ، ورَأَتْ للمسترشدِ ولَدًا ، وكانت وفاتُها فى هذه السنةِ ، رحِمها اللَّهُ تعالى .

بَكْرُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الفَضْلِ ، أبو الفَضْلِ الأَنْصارِىُّ[2] ، روَى الحديثَ ، وكان يُضْرَبُ به المثلُ فى حِفْظِ مَذْهبِ أبى حَنيفةَ ، وتفقَّهَ علَى عبدِ العزيزِ بنِ أحمدَ الحَلْوانِىّ[3] ، وكان يَذْكُرُ الدُّروسَ مِن أىِّ مَوْضِعٍ سُئِل مِن غيرِ مُطالَعةٍ ولا مُراجَعَةٍ ، ورُبَّما كان فى ابْتِداءِ طَلَبِه يُكَرِّرُ المَسْأَلةَ أَرْبَعَمائَةِ مرَّةٍ . وكانت وفاتُه فى شعبانَ مِن هذه السنةِ .

الحُسَيْنُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحسَنِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الوَهَّابِ الزَّيْنَبِىُّ[4] ، قرَأَ القرآنَ ، وسمِع الحديثَ ، وتفقَّهَ على أبى عبدِ اللَّهِ الدَّامَغانِىِّ ،

(١) المنتظم ١٧/ ١٦٥، وسير أعلام النبلاء ٤١٢/١٩ (ترجمة المستظهر باللَّه)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٢٩.

(٢) المنتظم ٩/ ٢٠٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٢٩، وعيون التواريخ ١/ ٨٦، والجواهر المضية ١/ ٤٦٥.

(٣) نسبة إلى عمل الحلوى وبيعها. انظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٧٧.

(٤) المنتظم ١٧/ ١٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٣٢، والمعين فى طبقات المحدثين ص ١٥٠، وعيون التواريخ ١٢/ ٨٧، والجواهر المضية ٢/ ١٣٣، وفيه : الحسين بن نظام ابن الخضر بن محمد بن أبى الحسن على الزينبى، أبو طالب المعروف بنور الهدى . والوافى بالوفيات ١٣/ ٤١، وشذرات الذهب ٤/ ٣٤.

فبرَع وأَفْتَى ودرَّس بمَشْهَدِ أبى حَنيفةَ ، ونظَر فى أَوْقافِها ، وانتهَتْ إليه رِياسَةُ مَذْهَبِ أبى حَنيفةَ ، ولُقِّبَ نُورَ الهُدَى ، وسارَ فى الرُّسليةِ إلى المُلوكِ ، ووَلِىَ نِقابةَ الطالِبِيِّينَ والعباسِيِّينَ ، ثم استَعْفَى بعدَ شهورٍ ، فوَلِىَ أخوه طِرادٌ نقابةَ العباسيين ، وكانت وفاتُه يومَ الاثنينِ الحادِى عشَرَ مِنَ صفَرٍ ، وله مِن العُمرِ ثِنْتانِ وتِسْعُون سنةً ، وصلَّى عليه ابنُه أبو القاسمِ علىٌّ ، وحضَره الأعيانُ والعلماءُ ، ودُفِنَ عندَ قبرِ أبى حَنيفةَ داخِلَ القُبَّةِ ، رحِمه اللَّهُ .

يُوسُفُ بنُ أحمدَ ، أبو طاهرٍ[1] ويُعْرَفُ بابْنِ الخَرزىِّ ، صاحِبُ المَخْزَنِ فى أيامِ المُسْتَظْهِرِ ، وكان لا يُوَفِّى المسترشدَ حقَّه مِنَ التَّعْظيمِ وهو ولىُّ عَهْدٍ ، فلمَّا صارَتْ إليه الخلافةُ صادَرَه بمائةِ ألفِ دينارٍ ، ثم اسْتَقَرَّ غُلامًا له فأَوْمَأَ إلى بيتٍ ، فوُجِدَ فيه أَربعُمِائةِ ألفِ دينارٍ ، فأخَذها الخليفةُ ، ثم كانتْ وفاتُه بعدَ هذا بقليلٍ فى هذا العامِ .

أبو الفَضْلِ بنُ الخازِنِ[2] ، كان أدِيبًا لطِيفًا شاعِرًا فاضلًا ، فمِنْ شِعْرِه قولُه[3] :

وافَيْتُ مَنْزِلَهُ فلم أَرَ صاحِبًا ... إلَّا تَلقَّانى بوَجْهٍ ضاحِكِ
[٩/٢٢٥ظ] والبِشْرُ فى وَجْهِ الغُلامِ نَتِيجَةٌ ... لمُقَدِّماتِ ضياءِ وَجْهِ المالِكِ
ودخَلْتُ جنَّتَهُ وزُرْتُ جَحِيمَهُ ... فشكَرْتُ رِضْوانًا ورَأْفَةَ مالكِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٦٨.
(٢) المنتظم ١٧/ ١٧٠، والكامل ١٠/ ٥٤٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢١٨.
(٣) الأبيات فى المنتظم ١٧/ ١٧٠، والكامل ١٠/ ٥٤٦.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة[1]

فيها كانتِ الحروبُ الشديدةُ بينَ السلطانِ محمودِ بنِ محمدِ بنِ مَلِكْشاه وبينَ عمِّه السلطانِ سَنْجَرَ بنِ مَلِكْشَاه . فكان النصرُ فيها لسَنْجَرَ ، فخُطِب له ببغدادَ فى سادِسَ عشَرَ جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنَةِ ، وقُطِعت خُطبةُ [2]السلطانِ محمودٍ ثم وقَع الصلحُ بينهما ورسَم السلطانُ سَنْجَرُ أن يُخطَبَ[2] لابنِ أخيه محمودٍ فى سائرِ أعْمالِه بعدَه .

وفيها سارَتِ الفِرنْجُ إلى مدينةِ حَلَبَ ففتَحوها عَنْوَةً وملَكوها ، فسارَ إليهم صاحِبُ مَارِدِينَ إيلْغَازِى بنُ أُرْتُقَ فى جيشٍ كثيفٍ ، فهزَمهم عنها ولحِقهم إلى جبَلٍ قد تحصَّنُوا فيه ، فقتَل منهم هُنالك مَقْتلةً عظيمةً ، وللّهِ الحمدُ ، ولم يُفْلِتْ منهم إلا اليسيرُ ، وأسَرَ مِن مُقَدَّمِهم نَيِّفًا وسبعين[3] رجُلًا ، وقُتِلَ فِيمَنْ قُتِل سرخالُ[4] صاحِبُ أنْطاكِيَة ، وحُمِلَ رأسُه إلى بغدادَ ، فقالَ بعضُ الشعراءِ فى ذلك - وقد بالَغ مُبالغةً فاحِشَةً[5] - :

قُلْ ما تشاءُ فقولُك المقبولُ وعليكَ بعدَ الخالقِ التَّعْويلُ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٧١، والكامل ١٠/ ٥٤٧.

(٢ - ٢) سقط من : خ، م .

(٣) فى م : « تسعين » .

(٤) فى م ، والكامل ١٠/ ٥٥٥: « سيرجان » . وانظر عيون التواريخ ١٢/ ٨٩.

(٥) الكامل ١٠/ ٥٥٥، وعيون التواريخ ١٢/ ٨٩.

واستَبشَرَ القرآنُ حِينَ نصَرْتَهُ وبكَى لفقدِ رِجالِهِ الإنْجيلُ

وفيها قُتِلَ الأميرُ مَنْكُبِرْسُ[1] الذى كان شِحْنةَ بغدادَ[2] ، وكان ظالمًا غاشمًا سيِّئَ السيرةِ ، قتَله الملكُ محمودُ بنُ محمدِ بنِ مَلِكْشاه صَبْرًا بينَ يدَيْه لأمورٍ ؛ منها أنَّه تزوَّجَ سُرِّيَّةَ أبيه قبلَ انْقِضاءِ عِدَّتِها ، ونِعْمَ ما فعَل ، وقد أراحَ اللَّهُ المسلمينَ منه ، قبَّحه اللَّهُ ما كان أظلمَه وأغشمَه .

وفيها تولَّى قضاءَ قُضاةِ بَغْدادَ الأكمَلُ أبو القاسمِ ، ابنُ علىٍّ بنِ أبى طالبٍ ، الحُسينُ بنُ محمدٍ الزَّيْنَبِىُّ ، وخُلِعَ عليه بعدَ موتِ أبى الحسَنِ بنِ الدَّامَغانِىِّ . وفيها ظهَر قَبْرُ إبْراهيمَ الخليلِ وقَبْرُ إسْحاقَ ويَعْقُوبَ عليهمُ السلامُ . وشاهَد ذلك الناسُ ، ولم تَبْلَ أجْسادُهم ، وعندَهم قَنادِيلُ مِن ذهبٍ وفضةٍ ، ذكَر ذلك ابنُ الخازِنِ فى « تاريخِه » ، وأظنُّه[3] نقَله مِنَ « المُنتظمِ » لابنِ الجَوْزِىِّ . واللَّهُ أعلمُ .

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ :

ابنُ عَقِيلٍ ، علىُّ بنُ عَقِيلِ بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ ، أبو الوَفاءِ[4] ، شيخُ الحنابلةِ ببَغْدادَ ، صاحِبُ « الفُنونِ » وغيرِها مِنَ التصانيفِ المفيدةِ ، وُلِد سنةَ إحْدَى

---

(١) فى الأصل : « منكر بن » ، وفى خ : « شكر » ، وفى م ، والكامل : « منكوبرس » ، وفى ص : « منكرس » . والمثبت من عيون التواريخ ١٢/ ٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٢٧٩.

(٢) الشحنة : من فيهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان ، وصار يطلق على رئيس الشرطة . لسان العرب (ش ح ن) ومعجم المصطلحات والألقاب التاريخية : ٢٦٩.

(٣) فى م : « أطال » .

(٤) طبقات الحنابلة ٢/ ٢٥٩، والمنتظم ١٧/ ١٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٤٩، وطبقات المفسرين ١/ ٤١٧، والوافى بالوفيات ٢١/ ٣٢٦.

وثلاثين وأربعِمائةٍ ، وقرأ القرآنَ على ابنِ شِيطَا[1] ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، وتفقَّهَ بالقاضِى أبى يَعْلَى بنِ الفَرّاءِ ، وقرَأ الأدبَ على ابنِ بَرْهانَ ، والفرائضَ على عبدِ الملكِ الهَمَذَانيِّ[2] ، والوَعْظَ على أبى طاهرِ بنِ العَلَّافِ ، صاحبِ ابنِ سَمْعُونَ[3] ، والأُصولَ على أبى الوليدِ المُعْتَزِلِيِّ ، وكان يجتمِعُ بجميعِ العلماءِ مِن كلِّ مذهبٍ ، فرُبَّما لامَه بعضُ أصحابِه فلا يلوِى عليهم ، فلِهذا برَّز على أقْرانِه وبذَّ أهلَ زمانِه فى فُنونٍ كثيرةٍ ، مع صِيانَةٍ ودِيانَةٍ وحسنِ صُورةٍ وكثرةِ اشْتغالٍ ، وقد وعَظ فى بعضِ الأحيانِ ، فوقَعَتْ فتنةٌ فترَك ذلك ، وقد متَّعه اللَّهُ بجميعِ حواسِّه إلى حينِ موْتِه ، وكانت وفاتُه بُكْرَةَ الجُمُعَةِ ثانى جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنَةِ ، وقد جاوَز الثمانين ، وقد كانتْ جِنازتُه حافلةً جدًّا ، ودُفِن قريبًا مِن قبرِ الإمامِ أحمدَ ، إلى جانبِ الخادِمِ مُخلِّصٍ ، رحِمهُ اللَّهُ .

علىُّ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ محمَّدِ بنِ الحسينِ بنِ [٢٢٦/٩و] **عبدِ الملكِ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ حمُّويَه ، أبو الحسنِ الدَّامَغَانِيُّ**[4] قاضى القُضاةِ ابنُ قاضى القُضــاةِ ، وُلِد فى رجَبٍ سنةَ تســعٍ[5] وأربعين[6] وأرْبَعِمائَةٍ ،

---

(١) فى خ : « سبط » ، وفى م : « سبطا » .

(٢) فى النسخ ، وعيون التواريخ ١٢/ ٩٠: « الهمدانى » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ١٨٠. وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣١، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٤٢.

(٣) فى عيون التواريخ : « شمعون » .

(٤) المنتظم ١٧/ ١٧٥، والعبر ٤/ ٣٠، وعيون التواريخ ١٢/ ٩١، ومرآة الجنان ٣/ ٢٠٤، وفيه : « أبو الحسين الدامغانى » ، وشذرات الذهب ٤/ ٤٠، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢١٩.

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « ست » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ١٧٥، وانظر النجوم الزاهرة ٥/ ٢١٩.

(٦) سقط من : الأصل ، ص .

(1) واشتغَل وبرَع وتولّى قضاءَ القُضاةِ بعدَ أبيه ، ثم عُزِل بأبى بكرِ الشاشِيِّ ، ثم أُعِيد إلى الحُكمِ . قال ابنُ الجوزيِّ(2) : ولا يُعرَفُ حاكمٌ ولِى الحكمَ أصغرُ سنًّا مِنه - يعنى ببغدادَ - مِن قُضاةِ القُضاةِ . وقال(1) : ولا يُعرَفُ حاكمٌ ولِى الحكمَ لأرْبَعَةٍ مَن الخلفاءِ غيرُه ، إلَّا شُرَيحٌ ، ثم ذكَر مِن أمانَتِه ودِيانتِه ما يدلُّ على تحرِّيهِ وتوقِّيه وقُوَّتِه ، رحِمه اللَّهُ ، وقد ولِى الحُكمَ أربعًا(3) وعِشْرِينَ سنةً ، (4) كذلك كانت وفاتُه فى المحرَّمِ مِن هذه السنةِ عن ثلاثٍ وستِّين(4) وستّةِ أشْهُرٍ ، وقبرُه عندَ مَشْهَدِ أبى حنيفةَ .

المُبارَكُ بنُ علىِّ بنِ الحُسَيْنِ ، أبو سعدٍ المُخَرِّمِيُّ(5) ، سمِع الحديثَ ، وتفقَّهَ على مَذْهَبِ أحمدَ ، وناظَر وأفتَى ودرَّس ، وجمَع كُتبًا كثيرةً لم يُسبَقْ إلى مثلِها ، ونابَ فى القضاءِ ، وكان حسَنَ السيرةِ جميلَ الطريقةِ ، سدِيدَ الأقْضِيَةِ ، وقد بنَى مدرسةً ببابِ الأزَجِ ، وهى المنسُوبَةُ إلى الشيخِ عبدِ القادرِ الجِيلِيِّ الحَنبلىِّ ، ثم عُزِل عنِ القضاءِ وصُودِر بأموالٍ جزيلةٍ ، وذلك فى سنَةِ إحْدَى عشْرَةَ وخَمْسِمائةٍ ، وكانت وفاتُه فى المحرَّمِ مِن هذه السنَةِ ، ودُفِن إلى جانبِ أبى بكرٍ الخَلَّالِ عندَ قبرِ أحمدَ .

(1 - 1) فى م : « وولى القضاء بباب الطاقة من بغداد وله من العمر ست وعشرون سنة » .
(2) المنتظم 17/ 175.
(3) فى النجوم الزاهرة 5/ 219: « تسعا » .
(4 - 4) سقط من : خ ، م .
(5) المنتظم 17/ 183، والعبر 4/ 31، وعيون التواريخ 12/ 102، وفيه : « المخزمى » ، ومرآة الجنان 3/ 205، والذيل على طبقات الحنابلة 1/ 166.

ثم دخلت سنة أرْبعَ عشْرَة وخَمْسِمائَةٍ[1]

فى النصفِ مِن ربيعِ الأوَّلِ كانت وقعةٌ عظيمةٌ بينَ الأخوَيْنِ السلطانَيْن محمودٍ ومَسْعودٍ، ابْنَىْ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه عندَ عَقَبَةِ أَسَدابَاذَ[2]، فانهزَم عسكرُ مسعودٍ، وأُسِر وزيرُه الأستاذُ أبو إسماعيلَ وجماعَةٌ مِن أمرائِه، فأمَر السلطانُ محمودٌ بقتلِ الوزيرِ أبى إسماعيلَ، فقُتِل وله نيِّفٌ وستُّون سنةً، وله تصانيفُ فى صناعةِ الكيمياءِ. ثم أرسَل إلى أخيه مسعودٍ الأمانَ، واستقدَمه عليه، فلمَّا اجتمَعا اعتنَقا وبكَيا واصطلَحا.

وفيها نهَب دُبَيْسُ بنُ صَدَقَةَ صاحبُ الحِلَّةِ البلادَ، وركِب بنفسِه إلى بغدادَ، فنصَب خَيْمَةً بإزاءِ دارِ الخلافَةِ، وأظهَر ما فى نفسِه مِنَ الضَّغائنِ، وذكَر كيفَ طِيفَ برأسِ أبيه فى البلادِ، وتهدَّد المسترشِدَ، فأرسَل إليه الخليفةُ يُسكِّنُ جأْشَه ويَعِدُه أنَّه سيُصلِحُ بينَه وبينَ السلطانِ محمودٍ، فلمَّا قدِم السلطانُ بغدادَ أرسَل دُبَيْسٌ يستأمِنُ، فأمَّنَه وأجْرَاه على عادَتِه، ثم إنَّه نهَب جيشَ السلطانِ، فركِب السلْطانُ محمودُ بنفسِه لقتالِه واسْتَصْحَبَ معه ألفَ سَفينَةٍ ليَعبُرَ بها إلى الحِلَّةِ، فهرَب دُبَيْسٌ مِن بين يدَيْه والتجأ إلى إيلْغازِى فأقام عندَه سنةً، ثم عاد إلى الحِلَّةِ وأرسَلَ إلى الخليفةِ والسلْطانِ يعتذِرُ إليهما، فلم يقبَلا منه، وجهَّز السلْطانُ إليه جيشًا فحاصَرُوه وضيَّقُوا عليه قريبًا مِن سنَةٍ، وهو فى منيعِ بلادِه لا يتمكَّنُ الجيشُ مِن الوُصولِ إليه فى تلك الأماكنِ.

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٨٥، والكامل ١٠/ ٥٦٢.

(٢) أسداباذ: مدينة بين العراق وهمذان. معجم البلدان ١/ ٢٤٥.

وفيها كانتْ الوقعةُ العظيمةُ بينَ الكُرْجِ والمسلمينَ بالقُربِ مِن تَفْلِيسَ ، ومع الكُرْجِ كُفَّارُ القُفْجَاقِ[1] فقتَلوا مِنَ المسلمينَ خَلقًا كثيرًا ، وغَنِموا أموالًا جزيلةً ، وأسَروا نحوًا مِن أرْبَعةِ آلافِ أسيرٍ ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون . ونهَبت الكُرْجُ تلكَ النواحِيَ وفعَلوا أشْياءَ مُنْكَرَةً ، وحاصَروا تَفْلِيسَ مدةً ثم ملَكوها عَنْوَةً ، بعدَ ما أحرَقوا القاضيَ والخطيبَ حِينَ خرجوا إليهم يطلُبون الأمانَ ، وقتَلوا عامَّةَ [٩/٢٢٦ظ] أهلِها ، وسَبَوْا الذُّرِّيَّةَ واستَحوَذوا على الأموالِ ، فلا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّهِ . وفيها أغارَ جُوسلينُ[2] الفَرَنْجِيُّ صاحبُ الرُّها على خلقٍ مِنَ العربِ والتُّرْكُمانِ فقتَلهم وغنِم أموالَهم .

وفيها تمَرَّدَتِ العَيَّارُونَ ببَغْدادَ وأخَذوا الدُّورَ جِهارًا ، ليلًا ونَهارًا ، فحسْبُنا اللَّهُ ونعمَ الوَكِيلُ .

وفى هذه السنةِ كان ابتداءُ مُلْكِ محمدِ بنِ تُومَرْتَ ببلادِ المَغْرِبِ ، كان ابتداءُ أمرِ هذا الرجلِ أنَّه قدِم فى حداثَةِ سنِّه مِن بلادِ المَغْرِبِ إلى بغدادَ فسكَن النِّظَامِيَّةَ ، واشتغَل بالعلمِ فحصَّل جانبًا جيِّدًا مِنَ الفُروعِ والأصولِ علَى الغَزَّاليِّ وغيرِه ، وكان يُظهِرُ التعبُّدَ والزهدَ والوَرَعَ ، ورُبَّما أنكَر على الغَزَّاليِّ حُسْنَ ملابسِه ، ولا سِيَّما حينَ لبِسَ خِلْعَةَ التدريسِ بالنِّظَامِيَّةِ ، ثم حجَّ وعادَ إلى بلادِه ، فكان يأمُرُ بالمعروفِ ويَنهَى عنِ المنكرِ ، ويُقرِئُ الناسَ القرآنَ ويشغَلُهم فى الفِقْهِ ، فطار ذِكرُه فى الناسِ ، واجتَمَع به يَحْيى بنُ تميمِ بنِ المُعِزِّ بنِ بادِيسَ صاحبُ بلادِ إفْرِيقيَّةَ ،

---

(١) فى الأصل : « الفجاق » ، وفى م : « الفقجاق » ، وفى ص : « التنجاق » . وانظر الكامل ١٠/ ٥٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٢٨٣، وعيون التواريخ ١٢/ ١٠٤.

(٢) فى الأصل ، ص : « جوسكير » ، وفى م : « جوسكين » . وانظر الكامل ١٠/ ٥٨٧، وعيون التواريخ ١٢/ ١٠٤، ١٢٠.

فعظَّمَه وأكرَمه وسأَله الدعاءَ، فاشتَهَر أيضًا بذلك وبعُد صيتُه، وليس معَه إلَّا رِكْوَةٌ وعصًا، ولا يسْكُنُ إلَّا المساجِدَ، ثم كان ينتقِلُ مِن بلدٍ إلى بلدٍ حتى دخَل مَرّاكُش ومعه تلميذُه عبدُ المؤمنِ بنُ عليٍّ، وكان قد توَسَّم فيه النَّجابةَ والشَّهامةَ، فرأَى فيها مِنَ المُنْكَراتِ أضْعافَ ما رأَى في غيرِها؛ مِنَ ذلك أنَّ الرجالَ يتلثَّمون والنساءَ يمشِينَ حاسِرَاتٍ عن وُجوهِهِنَّ، فأخَذ في إنْكارِ ذلك حتى إنّه اجتازَ به في بعْضِ الأيامِ أختُ أميرِ المسلمينَ [(١]عليٍّ بنِ[١)] يُوسُفَ [(١]بنِ تاشُفِينَ[١)] مَلِكِ مَرّاكُشَ وما حولَها، ومعها نِساءٌ راكباتٌ حاسراتٌ عن وجوهِهن، فشرَع هو وأصحابُه يُنكرون عليهنَّ، ويضرِبون الدَّوابَّ، فسقَطت أختُ المَلِكِ عن دابَّتِها، فأحضَره المِلْكُ وأحضَر الفقهاءَ فظهَر عليهم بالحُجَّةِ، وأخذ يَعظُ الملكَ في نفسِه[(٢)]، ومع هذا نفَاه عن بلَدِه، فشرَعَ يُشنِّعُ عليه ويدعُو الناسَ إلى قتالِه، فاتبَعه على ذلك خلقٌ كثيرٌ، فجهَّزَ إليه ابنُ تاشُفِينَ جيشًا كثيفًا فهزَمهمُ ابنُ تُومَرْتَ، فعَظُمَ شأنُه وارتفَع أمرُه، وقوِيت شوكتُه، وتَسمَّى بالمَهدِيِّ، وسمَّى جيشَه جيشَ المُوَحِّدينَ وأَلَّفَ كتابًا في التوحيدِ، وعقيدةً تُسمَّى المُرْشِدَةَ، ثم كانتْ له وقَعاتٌ مع جيوشِ ابنِ تاشُفِينَ، فقتَل في بعضِ الأيامِ منهم نحوًا مِن سبعين ألفًا، وذلك بإشارةِ أبي عبدِ اللَّهِ الوَنْشَريسيِّ[(٣)]، وكان ذكَر أنَّه نزَلَ إليه مَلَكٌ، وعلَّمه القرآنَ و «المَوَطَّأَ»، وله بذلك مَلائكَةٌ يشهَدونَ به في بِئْرٍ سمّاه، فلمَّا اجْتازَ به وقد أرصَد فيه رِجالًا، فلمّا سأَلهم والناسُ يسمَعون شهِدوا له

(١ - ١) سقط من: خ، م.

(٢) بعده في خ، م: «حتى أبكاه».

(٣) في الأصل، ص: «التوبشرى»، وفي خ، م: «التومرتى»، وكذا في المواضع التالية. والمثبت من عيون التواريخ ١٢/ ١٠٥. وانظر وفيات الأعيان ٥/ ٤٨، ومرآة الجنان ٣/ ٢٤٠.

والونشريسى: نسبة إلى ونشريس وهى بليدة بإفريقية من أعمال بجاية بين باجة وقسطنطينة المغرب. وفيات الأعيان ٥/ ٥٥.

بذلك ، فأمَر حِينَئذٍ بطَمِّ البئرِ عليهم فهلَكوا عن آخرِهم ، ولهذا يقالُ : مَن أعانَ ظالمًا سُلِّطَ عليه .

ثم جهَّز ابنُ تومَرْتَ الذى لَقَّبَ نفْسَه بالمَهْدِىِّ جيشا عليهم أبو عبدِ اللَّهِ الوَنْشَريسىُّ وعبدُ المؤمنِ لمُحاصرةِ مَرّاكُشَ ، فخرَج إليهم أهلُها فاقْتَتَلوا قتالًا عظيمًا ، فكان فى جملةِ من قُتِل أبو عبدِ اللَّهِ الوَنْشَريسىُّ هذا الذى زعَم أنَّ الملائكةَ تُخاطِبُه ، ثم افتقَدوه فى القَتْلَى فلم يجدُوه ، فقالوا : رفَعتْه الملائكةُ ، وقد كان عبدُ المؤمنِ دفَنه والناسُ فى المعْركَةِ ، وقُتِل مِن أصحابِ المَهْدِىِّ [٩/٢٢٧و] خلقٌ كثيرٌ ، وقد كان حِينَ جهَّزَ الجيشَ مريضًا مُدْنِفًا ، فلمّا جاءَه الخبرُ ازدادَ مَرَضًا إلى مرضِه ، وساءَه قتلُ أبى عبدِ اللَّهِ الوَنْشَريسِىِّ ، وجعَل الأمْرَ مِن بعدِه لعبدِ المؤمنِ بنِ علىٍّ ، ولقَّبه أميرَ المؤمنينَ ، وقد كان شابًّا حسَنًا حازِمًا عاقلًا . ثم مات ابنُ تُومَرْتَ ، وقد أتَت عليه إحدى وخمسون سنةً ، ومدةُ مُلْكِه عشْرُ سِنينَ . وحِينَ صار الأمرُ إلى عبدِ المؤمنِ بنِ علىٍّ أحْسَنَ إلى الرَّعايا ، وظَهَرتْ منه سيرةٌ جيِّدةٌ فأحبَّه الناسُ ، واتَّسَعتْ ممالِكُه ، وكثُرتْ جيوشُه ورعيَّتُه ، ونصَب العداوةَ لابنِ تاشُفِينَ صاحبِ مَرَّاكُشَ ، ولم يَزلِ الحربُ بينَهما إلى سنةِ خمسٍ وثلاثينَ ، فماتَ ابنُ تاشُفِينَ فقامَ ولَدُه تاشُفِينُ مِن بعدِه ، فمات فى سنَةِ تِسعٍ وثلاثين لَيلةَ سَبعٍ وعشرينَ مِن رمضانَ ، فولِى أخوه إسحاقُ بنُ علىٍّ بنِ يُوسُفَ ابنِ تاشُفِينَ ، فسار إليه عبدُ المؤمنِ فملَك تلك النواحِىَ ، وفتَح مدينةَ مَرَّاكُشَ ، وقتَل هُنالِك أُمَمًا لا يعلَمُ عددَهم إلّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ ؛ وقتَل مَلِكَها إسحاقَ وكان صغيرَ السنِّ فى سنَةِ ثِنْتَيْنِ وأربعينَ ، فكانَ إسْحاقُ هذا آخرَ ملُوكِ المُرابِطينَ ، وكان مدةُ مُلكِهم سَبْعينَ سنةً .

والذينَ ملَكوا منهم أربعةٌ ؛ عليٌّ ووالدُه يُوسُفُ ، وولَداه[1] تاشُفِينُ[2] وإسحاقُ ابْنَا عليٍّ المذكورِ .

فاستَوطَن عبدُ المؤمنِ مدينةَ مَرّاكُشَ ، واستقرَّ مُلْكُه بتلك النواحِى ، وظفِر فى سنَةِ ثلاثٍ وأربعينَ بدَكّالةَ[3] وهى قبيلةٌ عظيمةٌ نحوُ مِائتَىْ ألفِ راجلٍ وعِشْرِيَن ألفَ فارِسٍ مُقاتِلٍ مِن الشُّجعانِ الأبطالِ ، فقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وجَمًّا غفيرًا ، وسبَى ذَرارِيَّهم وغنِم أموالَهم حتى إنَّه ابْتِيعَتِ الجارِيَةُ الحسناءُ بدَراهِمَ معدودةٍ ، وقد رأَيتُ لبعضِهم فى سيرةِ ابنِ تُومَرْتَ هذا مجلَّدًا فى أحْكامِه وأيامِه ، وكيفَ تملَّكَ ببلادِ المغربِ ، وما كان يتعاطَاه مِن الأشياءِ التى تُوهِمُ أنَّها أحوالٌ بَرَّةٌ ، وهى مَحَالٌ لا تصدُرُ إلّا عن فَجرَةٍ ، وما قتَل مِن الناسِ وأزهقَ مِن الأنفُسِ .

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ عبدِ الوَهَّابِ بنِ السِّيبِىِّ[4] **أبو البَرَكاتِ** ، أسنَد الحديثَ وكان يُعلِّمُ أولادَ الخليفةِ المُستظهِرِ ، فلمّا صارَتِ الخلافَةُ إلى المُسترشِدِ ولَّاه المَخزَنَ ، وكان كثيرَ الأمْوالِ والصدَقاتِ ، يتعاهَدُ أهلَ العلمِ ، وخلَّف مالًا كثيرًا حُزِرَ بمائةِ ألفِ دينارٍ ، أوْصَى منه بثلاثينَ ألفَ دينارٍ لمكَّةَ والمدينةِ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن سِتٍّ وخمسينَ سنةً وثلاثةِ أشهرٍ ، وصلَّى عليه الوزيرُ أبو عليٍّ بنُ صَدَقَةَ ، ودُفِن ببابِ حربٍ .

---

(١) فى عيون التواريخ ١٢/ ١٠٦: « والده » . وانظر وفيات الأعيان ٧/ ١٢٦.

(٢) فى خ : « أباشقين » ، وفى م : « أبو سفيان » .

(٣) دكالة : بلد بالمغرب يسكنه البربر . معجم البلدان ٢/ ٥٨١.

(٤) فى خ ، م : « السنى » وانظر ترجمته فى : نزهة الألباء ص ٣٨٥، والمنتظم ١٧/ ١٨٨، والكامل ١٠/ ٥٨٧، ومرآة الزمان ٨/ ٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٦٢.

عبدُ الرَّحيمِ بنُ عبدِ الكريمِ[1] **بنِ هَوازِنَ ، أبو نَصْرِ القُشَيْرِىُّ** ، قرَأَ على أبيه وإمامِ الحرَمَيْنِ ، وروَى الحدَيثَ عن جماعةٍ ، وكان ذا ذكاءٍ وفِطنةٍ ، وله خاطرٌ حاضرٌ جرِىءٌ ، ولِسانٌ ماهرٌ فصيحٌ ، وقد دخَل بغدادَ فوعَظ بها ، فوقَع بسبَبِه فتنةٌ بيـنَ الحنابلةِ والشافِعيَّةِ ، فحُبِس بسببِها الشَّريفُ أبو جَعْفَرِ بنُ أبى مُوسى ، وأُمِر ابنُ القُشيرِىِّ بالخروجِ مِن بغدادَ لإطفاءِ الفتنةِ ، فعادَ إلى بلَدِه ، كانت وفاتُه فى هذه السنَةِ .

عبدُ العزيزِ بنُ علىِّ بنِ عمرَ[2] ، **أبو حامدٍ الدِّينَوَرِىُّ** ، كان كثيرَ المالِ والصدقاتِ ، ذا حِشْمةٍ ومُروءةٍ ووَجاهَةٍ عندَ الخليفةِ ، وقد روَى [٩/٢٢٧ظ] الحديثَ ووَعَظ ، وكان مليحَ الإيرادِ حُلْوَ المنطقِ ، وكانت وفاتُه بالرَّىِّ فى هذه السنةِ .

---

(١) فى خ ، م : « الكبير » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ١٩٠، ووفيات الأعيان ٣/٢٠٧ مع ترجمة أبيه ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٢٤، وفوات الوفيات ٢/ ٣١٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٥٩.

(٢) فى الأصل، ص، خ: « محمد » ، وفى م : « حامد » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ المنتظم ١٧/ ١٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٧١، ومرآة الزمان ٨/١/ ٩٥.

ثم دخلت سنة خَمْسَ عشْرَةَ وخمسِمائةٍ[1]

فيها أقطَع السلطانُ محمودٌ الأميرَ إيلْغازِى مدينةَ مَيَّافَارِقِينَ[2]، فبَقِيتْ فى يَدِ أولادِه إلى أنْ أخَذها صلاحُ الدينِ يوسُفُ بنُ أيوبَ، فى سنةِ ثمانين.

وفيها أقْطَع أيضًا آقْ سُنْقُرَ البُرْسُقىَّ[3] مدينةَ المَوْصِلِ، وأمَره بقتالِ الفِرنْجِ.

وفيها حاصَر بَلَكُ[4] بنُ بَهْرامَ - وهو ابنُ أخى إيلْغَازِى - مدينةَ الرُّهَا، فأسَر مِلِكَها جُوسلِينَ[5] الفِرِنْجىَّ وجماعةً مِن رُءوسِ أصْحابِه وسجَنهم بقلعةِ خَرْتَبِرْتَ[6].

وفيها هبَّتْ ريحٌ سوداءُ بمِصرَ، فاستَمرَّتْ ثلاثةَ أيامٍ، فأهلَكَتْ خلقًا كثيرًا مِن الناسِ والدوابِّ والأنعامِ.

وفيها كانتْ زلْزَلةٌ عظيمةٌ بالحجازِ، فتَضَعْضَع بسببِها الرُّكنُ اليَمانىُّ، زادَه اللَّهُ شرفًا، وتهدَّم بعضُه، وتهدَّم شىءٌ مِن حَرَمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ النبويةِ.

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٩٢، والكامل ١٠/ ٥٨٨.

(٢) فى الأصل: «الرسقى»، وفى خ، م: «البرشقى»، وفى ص: «الرسفى». والمثبت من الكامل ١٠/ ٥٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٢٨٩.

(٣) فى خ، م: «ملك»، وفى ص: «تلك». وانظر عيون التواريخ ١٢/ ١٢٠.

(٤) فى الأصل: «حوسكير»، وفى خ، م، ص: «جوسكين». والمثبت من الكامل ١٠/ ٥٩٣، وعيون التواريخ ١٢/ ١٢٠.

(٥) فى الأصل: «حرموت»، وفى ص: «خرهوت». وخرتبرت: هو حصن بأقصى ديار بكر من بلاد الروم بينه وبين ملطية مسيرة يومين. معجم البلدان ٢/٤١٧.

وفيها ظهَر رجلٌ عَلَوِىٌّ بمكةَ ، كان قد اشْتغَل بالنِّظامِيَّةِ فى الفقهِ وغيرِه ، وأمَر بالمعْروفِ ونهَى عنِ المنكرِ ، فاتَّبَعه ناسٌ كثيرٌ ، فنَفاه صاحِبُها ابنُ أبى هاشمٍ إلى البحرينِ .

وفيها احترَقَتْ دارُ السلطانِ بأصْبهانَ ، فلم يَبْقَ فيها شىءٌ مِن الأثاثِ والفراشِ والجواهرِ والذهبِ والفضةِ سوَى الياقُوتِ الأحمرِ ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجِعون .

وقبلَ ذلك بأُسبوعٍ[1] احْترَق جامِعُ أصْبهانَ أيضًا ، وكان جامعًا عظيمًا ؛ فيه أَخْشابٌ تساوى ألفَ ألفِ دِينارٍ ، وفى جملةِ ما احْترَق فيه خمسُمائةِ مصحفٍ ، مِن جُملَتِها مصحفٌ بخَطِّ أُبَىِّ بنِ كَعْبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون .

وفى شعبانَ جلَس الخليفةُ المُسترشِدُ باللَّهِ فى دارِ الخلافةِ فى أُبَّهَةِ الخلافةِ ؛ البُرْدةُ على كَتِفَيه والقَضِيبُ بينَ يدَيْه ، وجاءَ الأخَوان المِلكان محمودٌ ومسعودٌ فوَقَفا بينَ يدَيْه ، وقبَّلا الأرضَ ، فخلَع على محمودٍ سبعَ خِلَعٍ وطَوْقًا وسِوارَيْن وتاجًا ، وأُجلِس على كُرسىٍّ ووَعَظه الخليفةُ ، وتلَا عليه قولَه تعالَى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧، ٨] . وأمَره بالإحْسانِ إلى الرَّعايا ، وعقَد له الخليفةُ لواءَيْن بيَدِه ، وقلَّده المُلْكَ ، وخرجَا مِن بينِ يدَيْه مُطاعَيْن معظَّمَيْن ، والجيشُ بينَ أيْدِيهما إلى دارِهما فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ جدًّا .

وحجَّ بالناسِ نَظَرٌ الخادِمُ .

وقد تُوفِّى فيها : ابنُ القَطَّاعِ اللُّغوىُّ ، أبو القاسِمِ علىُّ بنُ جَعْفَرِ بنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ زيادةِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ

---

(١) فى الأصل ، خ ، ص : « بليلة » . وانظر الكامل ١٠/ ٥٩٥.

الأغلبِ السَّعدِىُّ[(١)] الصِّقِلِّىُّ ، ثم المِصرىُّ اللُّغوىُّ ، مصنِّفُ كتابِ « الأفْعالِ » ، الذى برَّز فيه على ابنِ القوطِيَّةِ ، وله مصنَّفاتٌ كثيرةٌ ، وقد قدِم مِصرَ فى حدودِ سنةِ خمسِمائةٍ لمَّا أشرَفَتِ الفِرنْجُ على أخْذِ صِقِلِّيةَ ، فأكْرَمه المصريُّون وبالَغوا فى إكْرامِه ، وكان يُنسَبُ إلى التساهُلِ فى الرِّوايةِ[(٢)] ، وله شِعرٌ جيِّدٌ قوىٌّ ، [(٣)]أورَد له القاضى ابنُ خَلِّكانَ منه قطعةً جيدةً[(٣)] ، وقد جاوَز الثمانين .

ومِمَّن تُوفِّى فيها من الأعيان :

أبو القاسِمِ شاهِنْشاه ، الأفضلُ بنُ أميرِ الجيوشِ بدرِ الجَمالىِّ[(٤)] ، مُدَبِّرُ دولةِ الفاطِمِيِّين بمِصرَ ، و [(٥)]إلى أبيه[(٥)] تُنْسَبُ قَيْساريَّةُ أميرِ الجيوشِ ، والعامَّةُ تقولُ : مَرْجيوشُ[(٦)] . وأبوه بانى الجامعِ الذى بثَغْرِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ بسُوقِ العَطَّارِين ، ومَشْهَدِ الرأسِ بعَسْقَلانَ أيضًا ، وكان أبوه نائبَ المُسْتَنْصِرِ [٢٢٨/٩و] على مدينةِ صُورَ ، وقيلَ[(٧)] : على عكَّا . ثم اسْتَدْعاه إليه فى فصْلِ الشتاءِ ، فرَكِب البحرَ ، فاسْتَنابَه على دِيارِ مِصرَ ، فسَدَّد الأمورَ بعدَ فسادِها ، وماتَ فى سنةِ ثمانٍ وثمانين وأرْبعِمائةٍ ، وقامَ فى الوزارةِ بعدَه ولَدُه الأفضلُ هذا ، فكان كأبيه فى الشَّهامَةِ والصَّرامَةِ .

---

(١) فى الأصل : « الصفدى » ، وفى ص : « الأسعدى » . وانظر ترجمته فى : معجم الأدباء ٢٧٩/١٢ ، وإنباه الرواة ٢٣٦/٢ ، ووفيات الأعيان ٣٢٢/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٤٣٣/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٣٩٠ ، والعبر ٣٥/٤ .

(٢) سقط من : الأصل ، ص ، وفى خ ، م : « الدين » . والمثبت من وفيات الأعيان ٣/ ٣٢٣.

(٣ - ٣) سقط من : خ ، م ، وانظر المصدر السابق ٣/ ٣٢٣، ٣٢٤.

(٤) الكامل ١٠/ ٥٨٩، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٤٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٨٥، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ١٠٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٢٢.

(٥ - ٥) فى خ ، م : « إليه » .

(٦) فى الأصل ، م : « مرجوش » .

(٧) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٠٨.

ولمَّا ماتَ المستنصرُ أقامَ المُسْتَعْلِيَ واستَمرَّتِ الأمورُ على يدَيْه ، وكان عادِلًا ، حسنَ السيرةِ ، موْصُوفًا بجودَةِ السريرَةِ . فاللَّهُ أعلمُ .

ضرَبَه فِدَاوِيٌّ وهو راكِبٌ فقَتَله فى رمضانَ مِن هذه السنةِ ، عن سبْعٍ وخمسين سنةً ، وكانتْ إمارتُه مِن ذلك بعدَ أبيه ثمانٍ[1] وعشرين سنةً .

وكانتْ دارُه دارَ الوَكالَةِ اليومَ بمِصرَ ، وقد وُجِدت له أموالٌ عظيمةٌ جدًّا ، تَفُوقُ العدَّ والإحْصاءَ من القناطيرِ المُقَنْطرةِ مِنَ الذهبِ والفضةِ والخيلِ المُسَوَّمَةِ والأنْعامِ والحَرْثِ ، والنفائسِ ، فانْتقَل ذلك كلُّه إلى الخليفةِ الفاطميِّ فجُعِل فى خزانتِه ، وذهب جامِعُه إلى سواءِ الحسابِ على الفَتِيلِ من ذلك والنقيرِ والقِطْميرِ . واعْتاضَ عنه الخليفةُ بأبى عبدِ اللَّهِ البَطائِحىِّ ، ولُقِّب المأمونَ .

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[2] : ترَك الأفْضَلُ مِنَ الذهبِ العَيْنِ سِتَّمائَةِ ألفِ ألفِ دينارٍ ، ومِنَ الدراهمِ مائتين وخمسين إرْدَبًّا ، وسبعين ألفَ ثوبِ دِيباجٍ أَطْلَسَ ، وثلاثين راحلةَ أحْقاقِ ذهبٍ عراقىٍّ ، ودواةَ ذهَبٍ فيها جوهرةٌ باثْنَىْ عشَرَ ألفَ دِينارٍ ، ومائةَ مِسْمارِ ذهبٍ زِنَةُ كلِّ مِسْمارٍ مائةُ مِثْقَالٍ ، فى عشَرَةِ مَجالِسَ ، على كلِّ مِسْمارٍ مِنْديلٌ مشدودٌ بذَهَبٍ ، كلُّ منديلٍ على لونٍ من الألوانِ مِن ملابِسِه ، وخمْسَمائةِ صندوقٍ كسوةٍ للُبْسِ بدَنِه . قال : وخلَّفَ مِنَ الرقيقِ والخيْلِ والبِغالِ والمراكبِ والمِسْكِ والطِّيبِ والحَلْيِ ما لا يعلَمُ قدْرَه إلَّا اللَّهُ ، عَزَّ وجلَّ ، وخلَّف مِنَ البقَرِ والجواميسِ والغنَمِ ما يُسْتَحْيَى مِن ذكْرِ عدِّه ، وبلَغ ضَمانُ ألْبانِها فى السنةِ ثلاثين ألفَ دِينارٍ ، وترَك صُندوقَيْن كبيرَيْن فيهما إبَرُ ذهَبٍ برسْمِ النساءِ .

---

(١) فى الأصل ، ص : « ثنتان » .
(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٤٥١.

عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عليٍّ بنِ إسْحاقَ، الطُّوسِيُّ[1]، ابنُ أخى نظامِ المُلْكِ، تفقَّهَ بإمامِ الحرمَيْن، وأفْتَى ودرَّس وناظَر، ووَزَر للملكِ سَنْجَرَ، وتُوفِّى فى هذه السنةِ.

خاتُونُ السفريَّةُ[2] حَظِيَّةُ السلطانِ مَلِكْشاه، وهى أمُّ السلْطانين محمدٍ وسَنْجَرَ، كانتْ كثيرةَ الصدَقةِ والإحْسانِ إلى الناسِ، لها فى كلِّ سنَةٍ سبيلٌ يخرُجُ مع الحُجَّاجِ، وفيها دِينٌ وخيرٌ، ولم تزَلْ تبْحَثُ حتى عرَفتْ مكانَ أمِّها وأهْلِها، فبعَثتِ الأموالَ الجزيلةَ حتى اسْتَحْضَرتهم. ولمَّا قدِمَتْ عليها أمُّها كان لها عنها أربعون سنةً لم ترَها، فأحبَّتْ أنْ تسْتَعْلِمَ فَهْمَها، فجلَسَتْ بينَ جَوارِيها، فلمَّا سمِعتْ أمُّها كلامَها عرَفَتْها، فقامَتْ إليها فاعْتنَقا وبكَيَا، ثم أسلَمتْ أمُّها على يدَيْها، جزَاها اللَّهُ خيْرًا، وأحسَن إليها. وقد تفرَّدَتْ بوِلادَةِ مَلِكَيْن فى دولةِ الأتْراكِ والعجَمِ، ولا يُعْرَفُ لهذا نظيرٌ إلَّا اليسيرُ؛ مِن ذلك: وَلَّادَةُ بنتُ العبَّاسِ ولَدتْ لعبدِ الملكِ الوليدَ وسليمانَ، وشاهفرندُ[3] ولَدَتْ للوليدِ يزيدَ وإبراهيمَ وَلِيَا الخلافةَ أيضًا، والخَيْزُرانُ ولَدَتْ للمهدِيِّ الهادِىَ والرَّشيدَ.

الطُّغْرَائىُّ[4] ناظِمُ «لاميَّةِ العجَمِ»، الحسينُ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ الصَّمَدِ،

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٩٩، والكامل ١٠/ ٥٩٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٢٢، والأعلام ٤/ ١٢٥.

(٢) مرآة الزمان ٨/١/٩٨، والمنتظم ١٧/ ١٩٩، والكامل ١٠/ ٥٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٢٨٦.

(٣) فى الأصل: «ماهر»، وفى خ، م: «شاهوند»، وفى ص: «شاهرند». والمثبت من المنتظم ١٧/ ١٩٩. والثابت أن شاهفرند هذه هى أم يزيد الناقص، وهى ابنة فيروز بن كسرى. وأن أم إبراهيم امرأة بربرية، فهما ابنا الوليد وليسا لأم واحدة، وانظر ما تقدم فى ١٣/ ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٧٥، ٣٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠هـ) ص ٣١١، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٦٧، وفيه «شاه مزيذ».

(٤) خريدة القصر ٢/ ١٥١، ومعجم الأدباء ١٠/ ٥٦، ووفيات الأعيان ٢/ ١٨٥، وسير أعلام النبلاء =

مُؤيَّدُ الدينِ الأصْبهانىّ، العميدُ فخرُ الكُتَّابِ المُنْشِئُ[1] الشاعرُ، المعْروفُ بالطُّغْرَائىِّ، وقد وَلِىَ الوِزارةَ بإرْبِلَ مدةً، أوْرَد له القاضى ابنُ خَلِّكانَ[2] [٩/ ٢٢٨ظ] قصِيدتَه اللَّامِيَّةَ التى ألَّفَها فى سنةِ خمسٍ وخَمسِمائةٍ ببَغْدادَ، يشرَحُ فيها أحوالَه وأمورَه، وتُعرَفُ بلامِيَّةِ العجَمِ، أوَّلُها:

أصالةُ الرأْيِ صانَتْنى عنِ الخَطَلِ ... وحِلْيَةُ[3] الفَضْلِ زانَتْنى لدَى العَطَلِ

مجْدِى أخيرًا ومجْدِى أوَّلًا شَرَعٌ ... والشمسُ رَأْدَ الضُّحَى كالشمس فى الطَّفَلِ

فِيمَ الإقامةُ بالزَّوْرَاءِ لا سَكَنِى ... بها ولا ناقَتِى فيها ولا جَمَلى

وقد سرَدَها القاضى ابنُ خَلِّكانَ بكَمالِها، وأوْرَدَ له غيرَ ذلك مِنَ الشِّعرِ أيضًا.

= ١٩/ ٤٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٦٤.

(١) فى خ، م: «الليثى». وانظر وفيات الأعيان ٢/ ١٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٥٤.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ١٨٥، وانظر ديوانه ص ٣٠١.

(٣) فى الأصل: «حيلة».

ثم دخلت سنة ستَّ عشْرَةَ وخمسِمائةٍ[1]

فى المحرَّمِ منها رجَع السلطانُ طُغْرُلُ[2] إلى طاعةِ أخيه محمودٍ ، بعدَ ما كان قد خرَج عنها ، وأخَذ بلادَ أذْرَبيجانَ .

وفيها أقْطَع السلطانُ محمودٌ مدينةَ وَاسطٍ وأعمالَها لآقْ سُنْقُرَ مَضافًا إلى المَوْصِلِ ، فسَيَّرَ إليها عِمادَ الدِّينِ زَنْكِى بنَ آقْ سُنْقُرَ ، فوَلِيها وأحْسَن السيرةَ بها ، وأبانَ عن حزْمٍ وكفايةٍ .

وفى صفَرٍ منها قُتِل وزيرُ السلطانِ محمودٍ أبو طالبٍ السُّمَيرَمِىُّ[3] ، قتَله باطِنىٌّ ، وكان قد برَز للمَسيرِ إلى هَمَذانَ ، وكانتْ قد خرَجَتْ زوجتُه فى مائةِ جاريةٍ بمراكبِ الذهبِ ، فلمَّا بلغَهُنَّ قتْلُه رجَعْنَ حافِيَاتٍ حاسراتٍ ، قد هُنَّ بعدَ العِزِّ . واسْتَوْزَرَ السلطانُ بعدَه شمسَ المُلْكِ عثمانَ بنَ نِظَامِ المُلْكِ .

وفيها اتَّقَع[4] آقْ سُنْقُرُ البُرْسُقِىُّ ودُبَيسُ بنُ صَدَقةَ ، فهزَمَه دُبيسٌ ، وقتَل خلقًا مِن جيشِه ، فاستَوْثَق السلطانُ منْصورَ بنَ صدقةَ أخا دُبَيسٍ وولَدَه ، ورفَعَهما إلى قلعةٍ ، فعندَ ذلك آذَى دُبَيسٌ تلك الناحيةَ ونهَب البلادَ ، وجَزَّ شعْرَه ولبِس السَّوادَ ، ونَهَب أموالَ الخليفةِ أيضًا مِنَ البلادِ ، فنُودِى فى بَغْدادَ للخروجِ لقتالِه ،

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٠٣، والكامل ١٠/ ٥٩٧.

(٢) فى الأصل : « طغرك » ، وفى م : « طغرلبك » . وانظر الكامل ١٠/ ٥٩٧.

(٣) سقط من : الأصل ، وفى خ : « السمرى » ، وفى ص : « السميرامى » . وانظر المنتظم ١٧/ ٢١٢، الكامل ١٠/ ٦٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٢٩٥.

(٤) فى خ ، م : « التقى » . والمعنى أنه دارت بينهما وقعة .

وبرَز الخليفةُ فى الجيشِ وعليه قَبَاءٌ أَسْوَدُ وعمامةٌ سوداءُ وطَرْحَةٌ ، وعلى كتِفَيْه البُرْدَةُ وبيَدِه القَضِيبُ ، وفى وسَطِه مِنْطَقَةُ حريرٍ[1] صِينِيٌّ ، ومعه وزيرُه نظامُ الدينِ أحمدُ بنُ نِظامِ المُلْكِ ، ونقيبُ النقَباءِ علىُّ بنُ طِرادٍ الزَّيْنَبِىُّ [2] وشيخُ الشيوخِ صدرُ الدينِ بنُ إسماعيلَ ، وتلقَّاه آقْ سُنْقُرُ البُرْسقىُّ ومعه الجيشُ [2] ، فقبَّلُوا الأرضَ ، ورتَّبَ البُرسُقىُّ الجيشَ ، ووَقَف القُرَّاءُ بيـنَ يدَىِ الخليفةِ ، وأقبَل دُبَيسٌ ، وبيـنَ يَدَيْه الإماءُ يَضْرِبْنَ بالدُّفوفِ ، والمَخانيثُ بالمَلاهِى ، والْتقَى الفريقان ، وقد شهَر الخليفةُ سيفَه وكبَّر واقْتَرب مِن المعركةِ ، فحمَل عَنْبَرُ[3] بنُ أبى العَسْكَرِ على مَيْمَنَةِ الخليفةِ ، فكسرَها وقتَل أميرًا ، ثم حمَل ثانيةً فكشَفَهم كالأُولى ، فحمَل عليه عمادُ الدينِ زَنْكِى بنُ آقْ سُنْقُرَ ، فأسَر عَنْبَرَ وأسَر معه بُديلَ بنَ زائدَةَ ، فانْهزَم عسْكَرُ دُبَيسٍ وألقَوا أنفُسَهم فى الماءِ ، فغَرِق كثيرٌ منهم ، فأمَر الخليفةُ بضَرْبِ أعْناقِ الأُسارَى صَبْرًا بيـنَ يدَيْه ، وحَصَلَتْ نِساءُ دُبيسٍ وسَرارِيُّه فى السَّبْىِ ، وعادَ الخليفةُ إلى بَغْدادَ فدخَلها فى يومِ عاشُوراءَ مِن السَّنةِ الآتيةِ وكان يومًا مَشهودًا ، وكانت غيْبَتُه سِتَّةَ عشَرَ يومًا ، وأمَّا دُبيسٌ فإنَّه نجَا بنفْسِه وقصَد غُزَيَّةَ[4] فصَحِبَهم إلى البَصْرَةِ فدَخلَها ونهَبَها وقتَل أميرَها ، ثم خافَ مِنَ البُرْسُقىِّ فخرَج عنها وسارَ إلى البَرِّيَّةِ والْتَحَق بالفِرَنْجِ ، وحضَر معهم حِصارَ حَلَبَ ، ثم فارَقَهم والْتَحقَ بالملكِ طُغْرُلَ أخى السلْطانِ محمودٍ .

وفيها ملَكَ السلطانُ [5] حُسامُ الدينِ تَمُرْتاشُ [5] بنُ إيلْغازى بنِ أُرْتُقَ قلْعَةَ

---

(١) فى الأصل ، ص : « حديد » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص . وانظر عيون التواريخ ١٢/ ١٣٠، ١٣١ .

(٣) فى خ : « عتير » ، وفى م : « عنتر » . وانظر عيون التواريخ ١٢/ ١٣٢ .

(٤) بعده فى م : « ثم إلى المنتفق » ، وغزية : موضع بالقرب من فيد . معجم البلدان ٣/ ٨٠١ .

(٥ - ٥) فى الأصل : « حسام الدين بن تمرشاه » ، وفى خ ، م : «سهام الدين بن تمراش » ، وفى =

مَارِدِينَ بعدَ وفاةِ أبيه ، وملَكَ أخوه سُلَيمانُ مَيَّافَارِقِينَ . وفيها ظهَر مَعْدِنُ نحاسٍ بدِيارِ بَكْرٍ قريبًا [٢٢٩/٩و] مِن قلْعَةِ ذى القَرْنَيْن . وفيها دخَل جماعةٌ مِنَ الوعَّاظِ إلى بَغْدادَ فوعَظُوا بها ، وحصَل لهم قَبُولٌ تامٌّ من العوامِّ .

وحجَّ بالناسِ نَظَرٌ الخادِمُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ أبى الأشْعَثِ[1] ، أبو محمدٍ السَّمَرْقَنْدِىُّ ، أخو أبى القاسمِ ، وكان أبو محمدٍ هذا أحدَ حُفَّاظِ الحديثِ ، وقد زُعِمَ أنَّ عندَه ما ليْسَ عندَ أبى زُرْعَةَ الرَّازِىِّ ، صحِبَ الخطيبَ مُدةً ، وجمَع وألَّفَ وصنَّفَ ورحَل إلى الآفاقِ ، وكانت وفاتُه يومَ الاثنينِ الثانىَ عشَرَ مِن ربيعٍ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ عن ثمانين سنةً .

علىُّ بنُ أحمدَ ، أبو طالبٍ السُّمَيْرَمِىُّ[2] ؛ نسبةً إلى قريةٍ بأَصْبهانَ ، كان وزيرَ السلْطانِ محمودٍ ، وكان مُجاهِرًا بالظُّلمِ والفِسْقِ ، وأحْدَثَ على الناسِ مُكوسًا ، وجدَّدَها بعدَ ما كانتْ قد أُزِيلَتْ مِن مُدةٍ مُتَطاوِلَةٍ ، وكان يقولُ[3] : قدِ اسْتَحْيَيْتُ مِن كثرةِ الظُّلمِ لِمَن لا ناصِرَ له ، وكثرةِ ما أحْدَثْتُ مِنَ السُّنَنِ السيِّئَةِ . ولمَّا عزَم عَلى الخُروجِ إلى هَمذَانَ أحضَر المنجِّمين فضرَبُوا له تحتَ[4] رمْلٍ لساعَةِ

= ص : « سهام الدين تمرتاش » . والمثبت من تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٠، وعيون التواريخ ١٢/ ١٣١.

(١) المنتظم ١٧/ ٢١١، والكامل ١٠/ ٦٠٥، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٢٦٦، وشذرات الذهب ٤/ ٤٩.

(٢) المنتظم ١٧/ ٢١٢، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٠٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٤٠٢، وشذرات الذهب ٤/ ٥٠.

(٣) المنتظم ١٧/ ٢١٢.

(٤) فى خ، م : « تخت » .

خُروجِه ليكونَ أسْرَعَ لعودِه ، فخرَج فى تلك الساعةِ ، وبيـنَ يدَيْه السيوفُ المسلولةُ ، والمماليكُ بالعُدَدِ الباهرةِ ، ومع هذا جاءَ باطِنىٌّ فضرَبَه فقتَله (١ فى الساعةِ الراهنةِ بعدما ضرَبه غيرَ ما مرةٍ فى مَقاتِلِه ثم ذبَحه كما تُذبَحُ الشاةُ ، والمماليكُ يضربون بالسيوفِ والنِّبالِ فى ظهرِه ولا يبالى بشىءٍ مِن ذلك حتى قتَله ثم مات بعدَه ١) ، ورجَع نِساؤه (٢) ، حاسِراتٍ عن وُجوهِهِنَّ ، قد أبْدَلَهُنَّ اللّهُ الذِّلَّةَ بعدَ العِزَّةِ ، والخوفَ بعدَ الأمْنِ ، وكان ذلك يومَ الثلاثاءِ سَلْخَ صفَرٍ ، وما أشْبَهَ حالَهنَّ بقولِ أبى العتاهِيَةِ فى الخَيْزُرانِ وجوارِيها حيـنَ ماتَ المَهْدِىُّ (٣) :

رُحْنَ فى الوَشْى وأصبحن عليهنَّ المُسُوحُ	كُلُّ نطَّاحٍ من الدهرِ له يومٌ نَطوحُ
لتَمُوتَنَّ ولو عُمِّرْتَ ما عُمِّرَ نُوحُ	فعلى نفسِكَ نحْ إن كنتَ لابُدَّ تنوحُ

الحريرىُّ صاحبُ المَقامَاتِ ، القاسمُ بنُ علىٍّ بنِ محمدِ بنِ عثمانَ ، فخرُ الدولةِ ، أبو محمدٍ الحريرىُّ البصرىُّ (٤) ، مؤلِّفُ المَقاماتِ التى سارَتْ بفصاحَتِها الرُّكْبانُ ، وكادَ يُربى فيها على سَحْبانَ (٥) ، وُلِدَ سنةَ سِتٍّ وأرْبَعِيـنَ وأرْبَعِمائةٍ ، وسمِع الحديثَ واشْتَغَل باللغةِ والنحوِ ، وصنَّفَ فى ذلك كلِّه ، وفاقَ أهلَ زمانِه ، وبرَّزَ على أقْرانِه ، وأقامَ ببَغْدادَ وعمِل صِناعةَ الإنْشاءِ مع الكُتَّابِ فى بابِ الخليفةِ ،

(١ - ١) فى خ،م : « ثم مات الباطنى بعده » .

(٢) بعده فى خ ، م : « بعد أن ذهبن بين يديه على مراكب الذهب » .

(٣) المنتظم ١٧/ ٢١٣، وانظر : أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٩٨، ٩٩.

(٤) المنتظم ١٧/ ٢١٤، وإنباه الرواة ٣/ ٢٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٦٣، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٦٠، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٥٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٦٦.

(٥) سحبان : هو اسم رجل من وائل بليغ لَسِنٌ يضرب به المثل فى البيان والفصاحة فيقال : أفصح من سحبان وائل. التاج (س ح ب) .

ولم يكُنْ ممَّنْ تُنْكَرُ بدِيهتُه ولا تتعَكَّرُ فكْرتُه وقرِيحَتُه . قال ابنُ الجَوْزِيِّ[1] : سمِع الحديثَ وحدَّث وقرَأ الأدبَ واللغةَ ، وفاقَ أهلَ زمانِه بالذكاءِ والفِطْنَةِ والفصاحَةِ وحُسْنِ العبارةِ ، وصنَّفَ المقاماتِ المعْروفَةَ ، مَن تأمَّلَها عرَف قدرَ مُنْشِئِها ، تُوفِّى فى هذه السَنةِ بالبَصْرَةِ . وقد قيل : إنَّ أبا زَيْدٍ والحارثَ بنَ هَمَّامٍ لا وُجودَ لهما ، وإنَّما جعَل هذه المَقاماتِ مِن بابِ الأمْثالِ ، ومنهم مَن يقولُ : أبو زَيْدٍ المطهَّرُ بنِ سَلَّارَ[2] السَّرُوجِيُّ كان له وجودٌ ، وكان فاضلًا ، وله علْمٌ ومعرفةٌ باللغةِ . فاللَّهُ أعلمُ . وذكرَ القاضى ابنُ خَلِّكانَ[3] أنَّ أبا زَيْدٍ كان اسمُه المطهَّرَ بنَ سَلَّارَ[4] ، وكان بَصْرِيًّا فاضلًا فى النحوِ واللغةِ ، وكان يشتغِلُ على الحريرِىِّ بالبَصْرَةِ ، وأمَّا الحارثُ بنُ همَّامٍ فإنَّما عنَى به نفسَه ، لِمَا جاءَ فى الحديثِ [٩/٢٢٩ظ] « كلُّكُمْ حَارِثٌ ، وَكُلُّكُمْ هَمَّامٌ » - كذَا قال القاضى . وإنَّما اللفظُ المحْفوظُ : « أَصْدَقُ الأَسْمَاءِ حَارِثٌ وَهَمَّامٌ »[5] - لأنَّ كلَّ أحَدٍ إمَّا حارِثٌ وهو الفاعلُ ، أو هَمَّامٌ مِن الهمِّ وهو العزمُ والخِطْرةُ ، وذكَرَ أنَّ أوَّلَ مَقامَةٍ عمِلَها الثامِنَةُ والأربعونَ وهى الحراميةُ ، وكان سببَها أنَّه دخَل عليهم فى مسْجدِ البَصْرَةِ رجلٌ ذُو طِمْرَيْنِ فصيحُ اللسانِ ، فاسْتَسْمَوْه فقالَ : أبو زَيْدٍ السَّرُوجِىُّ ، فعمِلَ فيه هذه المقامةَ ، فأشارَ عليه وزيرُ الخليفةِ المسترشدِ ، وهو جلالُ الدينِ عميدُ الدولةِ أبو علىٍّ الحسَنُ بنُ أبى ⁽⁶العزِّ علىٍّ⁶⁾ بنِ صَدَقَةَ ، قال ابنُ خَلِّكانَ : كذا رأيتُه فى نُسْخَةٍ بخطِّ المصنِّفِ ،

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢١٤.
(٢) فى النسخ : « سلام » . والمثبت من وفيات الأعيان ٤/ ٦٤، وانظر إنباه الرواة ٣/ ٢٧٦.
(٣) وفيات الأعيان ٤/ ٦٤.
(٤) فى الأصل ، خ ، م : « سلام » .
(٥) أخرجه ابن وهب فى جامعه ص ٧، وطرفه : « خير الأسماء عبد اللَّه .....» وبمعناه عند أبى داود (٤٩٥٠) والمسند ٤/ ٣٤٥، وانظر الصحيحة (١٠٤٠) ، وإرواء الغليل ٤/ ٤٠٨.
(٦ - ٦) فى خ : « العز » وفى م : « المعز » . والمثبت موافق لما فى وفيات الأعيان ٤/ ٦٤.

على حاشِيَتِها ، وهذا أصحُّ ممَّن قال : هو الوزيرُ شرَفُ الدينِ أبو نَصْرٍ أنوشُرْوانُ[1] بنُ خالدِ بنِ محمدِ القَاشَانيُّ ، وهو وزيرُ المسترشدِ أيضًا ، ويقالُ[2] : إنَّ الحرِيرىَّ كان قد عمِلَها أرْبَعِينَ مقامةً ، فلمَّا قدِمَ بَغْدادَ ولم يُصدَّقْ فى ذلك ، وامْتَحَنه بعضُ الوزراءِ فجلَس ناحيةً وأخَذ دواةً وقِرْطاسًا فلم يتَيسَّرْ له حتى عادَ إلى بلَدِه فعمِلَ عشَرَةً أخْرَى فأَتَمَّها بها ، وقد قال فيه أبو القاسمِ علىُّ بنُ أفْلَحَ الشاعِرُ ، وكانَ مِن جملةِ المُكَذِّبينَ له فيها[2] :

شيْخٌ لنا مِن رَبِيعَةِ الفَرَسْ ... ينْتِفُ عُثْنُونَهُ[3] مِنَ الهَوَسْ
أنْطقَهُ اللَّهُ بالمَشَانِ كما ... رمَاهُ وَسْطَ الديوانِ[4] بالخَرَسْ

ومعْنَى قولِه : بالمَشَانِ هو مكانٌ بالبَصْرَةِ[5] ، ويُذكرُ أنَّه كان صَدْرَ ديوانِ المَشانِ ، ويقالُ[6] : إنَّه كان دمِيمَ الخَلْقِ ، فاتَّفقَ أنَّ رجلًا رحَل إليه ، فلمَّا رآه ازْدَراه ، ففَهِمَ الحرِيرىُّ ذلك ، فأنشأَ يقولُ :

ما أنتَ أوَّلُ سارٍ غَرَّهُ قَمر ... ورائدٍ أعجَبَتْهُ خُضْرَةُ الدِّمَنِ[7]
فاخْتَرْ لنفْسِكَ غيرِى إنَّنى رَجلٌ ... مثلُ المُعَيْدِىِّ فاسْمَعْ بى ولا تَرَنى

ويقالُ[8] : إنَّ المعيدِىَّ اسمُ حصانٍ جوادٍ كان فى العرب ، دميمِ الخِلقةِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) بعده فى خ ، م : « بن محمد » . وانظر وفيات الأعيان ٤/ ٦٤.
(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٦٥.
(٣) العثنون : ما نبت على الذقن وتحته .
(٤) فى الأصل ، ص : « العراق » . والمثبت موافق لما فى وفيات الأعيان .
(٥) انظر معجم البلدان ٤/ ٥٣٦.
(٦) وفيات الأعيان ٤/ ٦٦.
(٧) الدمن : جمع دِمْنة وهى ما تدمنه الإبل والغنم بأبوالها وأبعارها : أى تلبده فى مرابضها ، فربما نبت فيها النبات الحسن النضير . النهاية ٢/ ١٣٤.
(٨) لم نجد هذا القول ، والمشهور أن المعيدى تصغير رجل منسوب إلى مَعَدٍّ ، وانظر الأمثال لأبى عبيد =

البَغَوِىُّ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودِ بنِ محمدٍ ، أبو محمدٍ البَغَوىُّ[1] ، صاحبُ « التفْسِيرِ » و « شرحِ السُّنَّةِ » ، و « التَّهْذِيبِ » فى الفقهِ ، و « الجمعِ بينَ الصحيحَيْنِ » و « المصابيحِ » فى الصِّحاحِ والحِسَانِ ، وغيرِ ذلك ، اشتغَل على القاضى حُسَيْنٍ ، وبرَعَ فى هذه العلُومِ ، وكان علَّامَةَ زمانِه فيها ، وكان دَيِّنًا وَرِعًا زاهِدًا عابدًا صالحًا . تُوفِّى فى شوَّالٍ مِن هذه السنةِ وقيلَ : فى سَنةِ عَشْرٍ . فاللَّهُ أعلمُ . ودُفن مع شيْخِه القاضى حُسَيْنٍ بالطَّالَقَانِ . واللَّهُ أعلمُ .

= ص ٩٧، وجمهرة الأنساب للعسكرى ٢٦٦/١ .

(١) وفيات الأعيان ١٣٦/٢، وتذكرة الحفاظ ١٢٥٧/٤، وسير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩، والوافى بالوفيات ٦٣/١٣، والنجوم الزاهرة ٢٢٤/٥.

ثم دخلت سنة سَبْعَ عشْرَةَ وخَمْسِمِائَةٍ

فى يومِ عاشُوراءَ[1] عادَ الخليفةُ مِن الحِلَّةِ بعدَ أن كسَر جيشَ دُبَيسٍ ومزَّق شملَه وقطَّع وصْلَه فى أوَّلِ هذا الشهرِ ، ثم عاد إلى بلدِه بَغْدادَ مُؤيَّدًا منصورًا ، ورجَع إلى أهلِه مسرورًا .

وفيها عزَمَ الخليفةُ على طُهورِ أولادِه وأولادِ أخيه ، وكانوا اثْنَىْ عشَرَ ، فزُيِّنَتْ بَغْدادُ سبْعَةَ أيامٍ بزينَةٍ لم يُرَ مثْلُها ، وأظهَر الناسُ مِن الحَلْى والمصاغِ والثيابِ ما لم يُرَ مثلُه .

وفى شعبانَ قدِمَ أسعدُ الـمِيهَنِىُّ مُدَرِّسُ النِّظاميَّةِ ببَغْدادَ ناظِرًا عليها ، وصُرِفَ الباقَرْحِىُّ عنها ، فوقَع بيْنَه وبيـنَ بعضِ الفقهاءِ بسببِ أنَّه قطَع منهم جماعةً ، واكْتَفى بثمانيـنَ طالبًا منهم ، فلم يَهُنْ ذلك على كثيرٍ منهم .

وفيها سارَ السلطانُ محمودٌ إلى بلادِ [٩/ ٢٣٠و] الكُرْجِ ، وقد وقَع بيْنَهم وبيـنَ القُفْجاقِ خُلْفٌ ، فقاتَلهم فهزَمَهم ، ولِلَّهِ الحمدُ ، ثم عادَ إلى هَمَذانَ مؤيَّدًا منصورًا .

وفيها ملَك طُغْتِكيـنُ صاحبُ دِمَشْقَ مدينةَ حَمَاةَ بعدَ وفاةِ صاحبِها محمودِ ابنِ قَراجا ،وقد كان ظالمًا غاشِمًا .

وفيها عُزِل نقيبُ العلَوِيِّـينَ ، وهُدِمتْ دارُ علىِّ بنِ أفْلَحَ ؛ لأنَّهما كانا عيْنًا لدُبَيْسٍ ، وأُضِيفَ إلى علىِّ بنِ طِرادٍ الزَّيْنَبِىِّ نِقابةُ العلَوِيِّـينَ مع نقابةِ العباسِيِّـينَ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢١٦، والكامل ١٠/ ٦٠٩.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ يحيى بنِ صَدَقةَ التَّغْلِبِىُّ[1] ، المعروفُ بابنِ الخَيَّاطِ ، الشاعرُ الدِّمَشْقِىُّ ، الكاتبُ الماهرُ ، له ديوانُ شعرٍ مشهورٌ . قال الحافظُ ابنُ عساكِرَ[2] : خُتِمَ به ديوانُ الشعراءِ بدِمَشْقَ وكان شاعرًا ، ماهرًا ، محسنًا ، مجيدًا ، مكثرًا ، حُفَظَةً لأشعارِ المتقدِّمين وأخبارِهم . وأوْرَدَ له القاضى ابنُ خلِّكانَ[3] مِن شعرِه الرائقِ قِطَعًا ، مِن ذلك قصيدَتُه التى لو لم يكُنْ له سِواها لكَفَتْه ، وهى التى يقولُ فى أوَّلِها :

خُذَا مِن صَبَا نَجْدٍ أمانًا لقَلْبِهِ ... فقدْ كادَ رَيَّاها يطيرُ بِلُبِّهِ
وإيَّاكُما ذاكَ النَّسيمَ فإنَّه ... متى هبَّ كان الوَجْدُ أيْسَرَ خَطْبِهِ
خلِيلَىَّ لو أحْبَبْتُما لَعَلِمْتُما ... محَلَّ الهوَى مِن مُغْرَمِ القلبِ صَبِّهِ
يُذَكَّرُ والذِّكْرَى تَشُوقُ وذو الهَوى ... يَتُوقُ ومَن يَعلَقْ به الحُبُّ يُصْبِهِ
غرامٌ على يأْسِ الهوَى ورَجائِهِ ... وشوقٌ على بُعدِ المَزارِ وقُرْبِهِ
وفى الرَّكبِ مَطْوِىُّ الضلُوعِ على جَوًى ... متى يَدْعُهُ داعِى الغَرامِ يُلَبِّهِ
إذا خطَرَتْ مِن جانبِ الرملِ نفْحَةٌ ... تضَمَّنَ منها داؤُهُ دونَ صَحْبِهِ
ومحتجبٍ بين الأسِنَّةِ مُعْرِضٍ ... وفى القلبِ مِن إعْراضِه مثلُ حُجْبِهِ
أغارُ إذا آنسْتُ فى الحىِّ أنَّةً ... حذارًا وخَوْفًا أنْ تكونَ لحُبِّهِ

وقد كانت وفاتُه فى رمضانَ سنةَ سبعَ عشْرةَ وخمسِمائةٍ عن سَبْعٍ وستِّين سنةً بدِمَشْقَ .

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٤١٩، ووفيات الأعيان ١/ ١٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٧٦، وعيون التواريخ ١٢/ ١٤٢، والوافى بالوفيات ٨/ ٦٧.

(٢) تاريخ دمشق ٥/ ٤١٩.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ١٤٦. وانظر الأبيات أيضا فى عيون التواريخ ١٢/ ١٤٣، والوافى بالوفيات ٨/ ٦٨.

ثم دخلت سنة ثمانى عشْرَة وخَمْسِمائَةٍ

فيها[1] ظهَرتِ الباطِنيَّةُ بآمِدَ فقاتَلهم أهلُها، فقتَلُوا منهم سَبْعَمائَةٍ، ولِلَّهِ الحمدُ. وفيها رُدَّتِ الشِّحْنَكِيَّةُ ببَغْدادَ إلى سعدِ الدولةِ يَرَنْقُش الزَّكَوِىِّ، وسُلِّمَ إليه منصورُ بنُ صَدَقَةَ أخو دُبَيسٍ ليُسَلِّمَه إلى دار الخلافةِ. وورَدَ الخَبَرُ بأنَّ دُبَيْسًا قد الْتَجأَ إلى طُغْرُلَ وقدِ اتَّفقَا على أخذِ بَغْدادَ، فأخَذ الناسُ فى التأهُّبِ لِقِتالِهما، وأُمِر آقْ سُنقُرُ البُرْسُقىُّ بالعودِ إلى المَوْصِلِ، فاسْتَناب على البَصْرَةِ عمادَ الدينِ زَنْكِىَّ بنَ آقْ سُنْقُرَ.

وفى ربيعٍ الأوَّلِ دخَل الملكُ حسامُ الدينِ تَمُرْتاشُ بنُ إيلْغازِى بنِ أُرْتُقَ مدينةَ حلَبَ، وقد ملَكَها بعدَ ملِكِها بَلَكَ بنِ بَهرامَ بنِ أُرْتُقَ، وكان قد حاصَر قلْعَةَ مَنْبِجَ، فجاءَه سَهْمٌ فى حلْقِه فماتَ، فاسْتَناب تَمُرْتاشَ بحَلَبَ، ثم عادَ إلى مارِدِينَ فأُخِذَتْ منه بعدَ ذلك، أخَذها آقْ سُنْقُرُ البُرْسُقىُّ مضافةً إلى المَوْصِلِ.

وفيها أرسَل الخليفةُ القاضى أبا سَعْدٍ الهرَوِىَّ؛ ليَخْطُبَ له ابنةَ السلطانِ سَنْجَرَ، وشرَعَ الخليفةُ فى بناءِ دارٍ على حافَّةِ دِجْلَةَ لأجْلِ العروسِ. وكمَل بناءُ المُثَمَّنةِ فى هذه السنةِ. وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ جمالُ الدولةِ، إقْبالٌ المُسْتَرْشِدِىُّ.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٢٤، والكامل ١٠/ ٦٢٥.

أحمدُ بنُ عليِّ بنِ بَرْهانَ [٢٣٠/٩ظ] **أبو الفَتْحِ**[1] ، ويُعْرَفُ بابنِ الحَمَّامِيِّ ، تفَقَّهَ على أبى الوَفَاءِ بنِ عَقيلٍ ، وبرَعَ فى مذهبِ الإمامِ أحمدَ ، ثم نقَمَ عليه أصْحابُه أشْياءَ ، فحمَله ذلك على الانْتِقالِ إلى مذهبِ الشافِعىِّ ، فاشْتَغَل على الغَزَّالىِّ والشَّاشِىِّ ، وبرَعَ وسادَ وشَهِدَ عندَ القاضى الزَّيْنَبِىِّ ، ودرَّس فى النِّظامِيَّةِ شهرًا . وتُوفِّى فى جُمادَى الأولى ، ودُفِنَ بيابِ أبْرَزَ .

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ [2]**علىِّ بنِ محمدٍ ، أبو**[2] **جَعفَرٍ الدَّامَغانِىُّ** ، سمِعَ الحديثَ ، وشَهِدَ عندَ أبيه ، ونابَ فى رَبْعِ الكَرْخِ عن أخيه ، ثم ترَكَ ذلك كلَّه ، ووَلِىَ حِجَابةَ بابِ النوبىِّ ، ثم عُزِلَ ، ثم أعيدَ ، وكان دَمِثَ الأخلاقِ ، وكانت وفاتُه فى جُمادَى الأولى من هذه السنةِ .

أحمدُ بنُ محمدِ [3]**بنِ أحمدَ**[3] **بنِ إبْراهيمَ ، أبو الفَضْلِ المَيْدَانِىُّ** ، صاحبُ كتابِ « الأَمْثالِ » ، وليْسَ مثلُه فى بابِه ، وله شعرٌ جيدٌ . قال ابنُ خَلِّكان[4] : تُوفِّى يومَ الأرْبعاءِ الخامسِ والعشرينَ مِن شهرِ رمضانَ من هذه السنةِ .

---

(١) المنتظم ٢٢٥/١٧ وفيه : أحمد بن على بن تركان ، ووفيات الأعيان ١/ ٩٩، وفيه أنه توفى سنة عشرين وخمسمائة ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٥٦، والوافى بالوفيات ٧/ ٢٠٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٣٠.

(٢ - ٢) سقط من : خ ، م . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٢٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٢٨.

(٣ - ٣) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : معجم الأدباء ٥/ ٤٥، وإنباه الرواة ١/ ٢١، ووفيات الأعيان ١/ ١٤٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٨٩، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٢٦.

(٤) وفيات الأعيان ١/ ١٤٨.

ثم دخلت سنة تِسْعَ عشْرَةَ وخمسِمائةٍ

فيها[1] قصَد دُبَيسٌ والسلطانُ طُغْرُلُ بَغْدادَ ؛ ليأخُذَاها مِن يَدِ الخليفةِ ، فلمَّا اقْتَربا منها برَزَ إليهما الخليفةُ فى جَحْفَلٍ عظيمٍ والناسُ مُشاةٌ بينَ يدَيْه ، وعليه السوادُ والبُرْدُ ، وبيدِه القضيبُ ، إلى أوَّلِ منْزِلَةٍ ، ثم ركِبَ الناسُ بعدَ ذلك ، فلمَّا أمسَتِ الليلةُ التى يقْتَتِلُونَ فى صَبيحتِها ، ومِن عزْمِهم أنْ ينْهَبُوا بَغْدادَ ، أرْسَلَ اللَّهُ عليهم مطَرًا عظيمًا ، ومرِضَ السلطانُ طُغرُلُ فى تلك الليلةِ ، فتفرَّقَتْ تلك الجموعُ ، ورجَعُوا على أعْقابِهم خائبينَ خائِفينَ ، والْتَجأ دُبَيسٌ ، قبَّحه اللَّهُ ، وطُغْرُلُ إلى الملكِ سَنْجَرَ ، وسأَلاه الأمانَ مِن الخليفةِ والسلطانِ محمودٍ ، فحبَسَ دُبَيْسًا فى قلعتِه ، ووَشَى وَاشٍ إلى الملكِ سَنْجَرَ أنَّ الخليفةَ يريدُ أنْ يستأثرَ بالمُلْكِ ، وقد خرَج مِن بَغْدادَ الآنَ لقتالِ الأعْداءِ ، فوقَع فى نفْسِ السلطانِ سَنْجَرَ مِن ذلك شىءٌ ، وأضْمَرَ سُوءًا ، مع أنَّه قد زوَّجَ ابْنَتَه مِن الخليفةِ .

وفيها قُتل القاضى أبو سعدٍ ، محمدُ بنُ نَصْرِ بنِ مَنْصُورٍ الهرَوِىُّ بهَمَذانَ ، قتلَتْه الباطِنيَّةُ ، وكان قد أرْسَله الخليفةُ إلى السلطانِ سَنْجَرَ يَخْطُبُ ابْنَتَه . وحجَّ بالناسِ نَظَرٌ الخادِمُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٢٨، والكامل ١٠/ ٦٢٦.

آقْ سُنْقُرُ البُرْسُقِيُّ(١) ، صاحبُ المَوْصلِ ، قتَلَتْه الباطِنِيَّةُ فى مقْصُورَةِ جامِعها فى يومِ جمُعةٍ ، وقد كان ، رحِمه اللَّهُ ، تُرْكِيًّا ، جيِّدَ السيرةِ ، صحيحَ السَّريرةِ ، محافظًا على الصلواتِ فى أوْقاتِها ، كثيرَ البِرِّ والصدَقاتِ والإحْسانِ إلى الرَّعايا ، ولما تُوفِّى قامَ فى المُلْكِ بعدَه ولَدُه السلطانُ عِزُّ الدينِ مسعودٌ ، وأقَرَّه السلطانُ محمودٌ على عملِه .

هلالُ(٢) **بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ شُرَيْحِ**(٣) **بنِ عمرَ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ إبْراهيمَ بنِ سُلَيمانَ بنِ بِلالِ بنِ رَباحٍ** ، مُؤَذِّنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، رحَل وجالَ فى البلادِ ، وكان شيْخًا جَهْورِيَّ الصوتِ ، حسنَ القراءةِ ، طيِّبَ النَّغْمَةِ ، تُوفِّى فى هذه السنةِ بسَمَرْقَنْدَ ، رحِمهُ اللَّهُ تعالى .

القاضى [٩/ ٢٣١و] **أبو سَعْدِ الهَرَوِىُّ ، محمدُ بنُ نَصْرِ بنِ منصورٍ ، أبو سعدٍ الهَرَوِىُّ**(٤) أحدُ مشاهيرِ الفقهاءِ ، والسادَةِ الكُبَراءِ ، قتلَتْه الباطِنِيَّةُ بهَمَذانَ حينَ ذهَب فى الرَّسليةِ عن الخليفةِ إلى السلطانِ سَنْجَرَ فى خِطبةِ ابنتِه . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٣٠، والكامل ١٠/ ٦٣٣، ووفيات الأعيان ١/ ٢٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٢٩، وعيون التواريخ ١٢/ ١٧٠.

وقد تابع المصنفُ ابنَ الجوزى والكتبىَّ ، فذكره فى وفيات هذه السنة ، والمذكور فى مصادر ترجمته الأخرى أنه قتل سنة عشرين وخمسمائة ، وقد صحح ذلك الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٠٦، ٣١١.

(٢) فى النسخ : « بلال » . والمثبت من مصادر ترجمته الآتية : المنتظم ١٧/ ٢٣٠، والكامل ١٠/ ٦٣٠، ومرآة الزمان ٨/١/١١٧.

(٣) فى المنتظم : « سريج » .

(٤) الكامل ١٠/ ٦٣٠، وعيون التواريخ ١٢/ ١٧٠، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٢٨، ضمن وفيات سنة ٥١٨.

سَنَةُ عِشْرِينَ وخَمْسِمائَةٍ مِن الهجرةِ النبويَّةِ

فيها[1] تراسَلَ السلطانُ محمودٌ والخليفةُ على السلطانِ سَنْجَرَ، وأنْ يكُونَا عليه، فلمَّا عَلِمَ بذلك السلطانُ سَنْجَرُ كتَب إلى ابنِ أخيه محمودٍ يَنْهاه عن ذلك، ويَسْتَمِيلُه إليه، ويحذِّرُه مِنَ الخليفةِ، وأنَّه متى ما فرَغا منه تفرَّغ له ورتَّبَ عليه، فأصْغَى إلى قولِ عمِّه، ورجعَ عن عزْمِه، وأقْبَلَ يقصِدُ بغدادَ ليدخلَها عامَه ذلك، فكَتب إليه الخليفةُ يَنْهاه عن ذلك لقِلَّةِ الأقْواتِ بها، فلم يَقْبَلْ منه، وأقبَل إليه، فلمَّا أَزِف قدومُه خرَج الخليفةُ مِن دارِه وتَحَيَّز إلى الجانبِ الغربيِّ، فشَقَّ ذلك عليه وعلى الناسِ، ودخَل عيدُ الأضْحَى فخطَب الخليفةُ الناسَ بنفْسِه خُطبةً عظيمةً بليغَةً فصيحةً جدًّا، وكبَّرَ وراءَه خُطَباءُ الجوامعِ، وكان يومًا مشْهُودًا. وقد سَرَدَها ابنُ الجَوْزِى فى المنتظم[2] بطُولِها، ورَواها عن مَن حضَرَها مِن الخليقةِ مَعَ قاضى القُضاةِ أبى القاسم الزَّيْنَبِيِّ، وجماعةٍ مِن العُدُولِ[3] ولما أراد الخليفةُ أن ينزِلَ عنِ المِنْبَرِ ابتدَره أبو المُظَفَّرِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ العزيزِ الهاشميُّ، فأنشدَه[4][3]:

(١) المنتظم ١٧/ ٢٣١، والكامل ١٠/ ٦٣١.

(٢) المنتظم ١٧/٢٣٣ - ٢٣٥.

(٣ - ٣) سقط من: خ، م.

(٤) الأبيات فى المنتظم ١٧/ ٢٣٥، وعيون التواريخ ١٢/١٧٣ ، ١٧٤.

(١) عليكَ سلامُ اللّهِ يا خيرَ مَن علا على منبرٍ قد حفَّ أعلامَه النصرُ

وأفضلَ مَن أمَّ الأنامَ وعمَّهم بسيرتِه الحُسْنى وكان له الأمرُ

لقد شنَّفَتْ أسماعَنا مِنك خُطبةٌ وموعظةٌ فَصْلٌ يلينُ لها الصخرُ

ملأتَ بها كلَّ القلوبِ مَهابةً فقد رجَفَت مِن خوفِ تخويفِها مِصْرُ

سما لفظُها فضلًا على كلِّ قائلٍ وجلَّ عُلاها أن يُلِمَّ بها حَصْرُ

أشدتَ بها سامِى المنابرِ رفعةً تقاصَرَ عن إدراكِها الأنجُمُ الزُّهْرُ

وزدتَ بها عَدْنانَ مجدًا مُؤَثَّلًا فأضحَى لها[٢] بينَ[٣] الأنامِ بكَ الفخرُ

فللهِ عصرٌ أنت فيه إمامُهُ وللّهِ دينٌ أنت فيه لنا الصدرُ

بَقِيتَ على الأيّامِ[٤] والمُلْكِ كلَّما تقادَم عصرٌ أنت فيه أتَى عصرُ

وأصبَحتَ بالعيدِ السعيدِ مُهَنَّأً يُشرِّفُنا فيه صلاتُك والنحرُ (١)

ولمَّا نزَل الخليفةُ عنِ المِنْبَرِ ذبَح البَدَنَةَ بيدِهِ ، ودخَل السُّرادِقَ وتَباكَى الناسُ ودَعَوا للخليفةِ بالتوفيقِ والنصرِ ، ثم دخَل السلطانُ محمودٌ إلى بَغْدادَ يومَ الثلاثاءِ الثامِنَ عشَرَ مِن ذى الحِجَّةِ ، فنزَلُوا فى بُيوتِ الناسِ وحصَل للناسِ ، أذًى كثيرٌ فى حَرِيمِهم ، فراسل الخليفةَ فى الصُّلْحِ ، فأبَى ذلك الخليفةُ ، وركِب فى جيْشِه وقاتَل الأتْراكَ ومعه شِرْذِمَةٌ قليلةٌ مِن المُقاتِلةِ ، ولكِنَّ العامَّةَ كلَّهم معه ، فقُتِل مِن الأتْراكِ خلقٌ كثيرٌ ، ثم جاءَ عِمادُ الدينِ زَنْكِى فى جيشٍ كثيفٍ مِن واسِطٍ فى السُّفنِ إلى السلطانِ نجْدَةً ، فلمَّا استَشعَر الخليفةُ ذلك دعَا إلى الصلحِ ، فوَقع الصلحُ بينَ

(١ - ١) سقط من : خ ، م .

(٢) فى الأصل ، ص : « بها » . والمثبت من المنتظم .

(٣) فى الأصل ، ص : « من » . والمثبت كما فى المنتظم .

(٤) فى المنتظم : « الإسلام » .

السلطانِ والخليفةِ ، وأخَذَ المَلِكُ يَسْتَبْشِرُ بذلك جدًّا ، ويعتذرُ إلى الخليفةِ مما وقَع ، ثم خرَج فى أوَّلِ السنَةِ الآتيةِ [٩/ ٢٣١ظ] إلى هَمَذانَ لمَرَضٍ حصَلَ له .

وفى هذه السنةِ كان أوَّلُ مجلسٍ تكلَّمَ فيه ابنُ الجَوْزِىِّ على المِنْبَرِ يعِظُ الناسَ ، و عمرُه إذْ ذاك ثلاثَ عشْرَةَ سنةً ، وحضَره الشيخُ أبو القاسِمِ علىُّ بنُ يعْلَى العَلَوِىُّ البَلْخِىُّ ، وكان سُنيًّا ، علَّمه كلماتٍ ، ثم أصْعَدَه المِنْبَرَ فقالَها ، وكان يومًا مشْهُودًا . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[١] : وحُزِرَ الجمعُ يَوْمَئذٍ بخمسينَ ألفًا .

وفيها اقْتَتَلَ طُغْتِكينُ صاحبُ دِمَشْقَ وأعداؤُه مِن الفِرنْجِ ، فقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وغنِم منهم أموالًا جزيلةً ، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدٍ ، أبو الفتوحِ الطُّوسِىُّ الغَزَّالِىُّ الواعظُ ، أخو أبى حامِدٍ الغَزَّالِىِّ[٢] ، كان واعِظًا مُفَوَّهًا ، ذا حظٍّ مِن الكلامِ والزهدِ وحسْنِ التَّأتِّى ، وله نُكَتٌ جيدةٌ ؛ وعَظَ مرةً فى دارِ المَلِكِ محمودٍ ، فأطْلَقَ له ألفَ دينارٍ ، وخرَجَ فإذا على البابِ فرَسُ الوزيرِ بسَرْجِها الذهبِ ، وسلاسلِها وما عليها مِنَ الحَلْى ، فرَكِبَها ، فبلَغَ ذلك الوزيرَ فقالَ : دَعُوه ، ولا يُرَدُّ علىَّ الفرسُ . وسمِعَ مرةً ناعُورَةً[٣] تَئِنُّ ، فألْقَى عليها رِداءَه فتَمَزَّقَ قِطَعًا . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[٤] : وقد كانتْ له نُكَتٌ ، إلَّا أنَّ الغالِبَ على كلامِه التَّخْليطُ وروايةُ الأحاديثِ الموضوعةِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٣٦.

(٢) المنتظم ١٧/ ٢٣٧، والكامل ١٠/ ٦٤٠، ووفيات الأعيان ١/ ٩٧، وعيون التواريخ ١٢/ ١٧٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٦٠.

(٣) الناعورة : واحدة النواعير التى يُستقى بها يديرها الماء ولها صوت . انظر التاج (ن ع ر) .

(٤) المنتظم ١٧/٢٣٨ - ٢٤٠.

المصنوعةِ ، والحكاياتِ الفارِغَةِ ، والمَعانى الفاسدةِ ، ثم أَوْرَدَ ابنُ الجَوْزِيِّ أشْياءَ مُنكرةً مِن كلامِه ، فاللَّهُ أعلمُ ، مِن ذلك أنَّه كانَ كلَّما أشْكَلَ عليه شىءٌ رأى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى اليَقَظَةِ ، فسأَله عن ذلك فدَلَّه على الصَّوابِ ، قال : وكان يتعَصَّبُ لإبليسَ ويَعْذُرُ له ، وتكلَّمَ فيه ابنُ الجَوْزِيِّ بكلامٍ طويلٍ كثيرٍ . قال : ونُسِبَ إلى محبَّةِ المُرْدَانِ ، والقولِ بالمُشاهدَةِ . فاللَّهُ أعلمُ بصِحَّة ذلك .

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : كان واعِظًا مليحَ الوعظِ ، حسنَ المَنظرِ ، صاحِبَ كَراماتٍ وإشاراتٍ ، وكان مِن الفقهاءِ ، غيرَ أنَّه مالَ إلى الوعظِ فغلَب عليه ، ودرَّسَ بالنِّظامِيَّةِ نِيابةً عن أخيه لمَّا تزَهَّدَ وترَكها ، واخْتَصَر « إحْياءَ علُومِ الدينِ » فى مُجلَّدٍ سمَّاه : « لُبابَ الإحْيَاءِ » ، وله « الذخيرةُ فى علمِ البَصِيرَةِ » ، وطافَ البلادَ ، وخدَم الصوفِيَّةَ بنفْسِه ، وكان مائلًا إلى الانْقِطاعِ والعُزلةِ .

أحمدُ بنُ عليِّ بنِ محمدٍ الوَكيلُ ، المعروفُ بابنِ بَرْهانَ ، أبو الفَتْحِ الفَقِيهُ الشافعيُّ[2] ، تفقَّهَ على الغَزَّالِيِّ وإلْكِيَا ، وأبى بكرٍ الشَّاشِيِّ ، وكان بارِعًا فى الأُصولِ ؛ له فيه كتابُ « الوجيزِ فى أصولِ الفِقهِ » ، وكانت له فُنونٌ جيدةٌ يُتْقِنُها جَيِّدًا . ووَلِى تدْرِيسَ النِّظامِيَّةِ ببَغْدادَ دونَ شهرٍ . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ ، كما ذكَره ابنُ خَلِّكانَ[3] ، رحِمه اللَّهُ .

بَهْرَامُ بنُ بهرامَ ، أبو شُجاعٍ البَيِّعُ[4] ، سمِعَ الحديثَ ، وبنَى مدرسةً لأصْحابِ الإمامِ أحمدَ بكَلْوَاذَى ، ووقَف قِطْعةً مِن أمْلاكِه على الفقهاءِ .

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٩٧.

(٢) تقدمت ترجمته فى ص ٢٦٦ .

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٩٩.

(٤) المنتظم ١٧/ ٢٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٤٣٩.

صاعِدُ بنُ سيَّارِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ إبْراهيمَ ، أبو العلاءِ الإسْحَاقِيُّ الهَرَوِيُّ الحافظُ[1] ، أحدُ المُتْقِنيـنَ ، سمِع الحديثَ ، وتُوفِّى بغَوْرَجَ ؛ قريةٍ على بابِ هرَاةَ ، فى هذه السنةِ .

---

(١) المنتخب من السياق ص ٢٥٩، والمنتظم ١٧/ ٢٤٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢١٤، وعيون التواريخ ١٢/ ١٨٦.

وقد تابع المصنف، رحمه الله، ابن الجوزى والكتبى، فذكره فى وفيات هذه السنة، والمذكور فى مصادر ترجمته الأخرى أنه توفى سنة خمس وتسعين وأربعمائة.

ثم دخَلَتْ سنةُ إحْدَى وعشْرِينَ وخَمسِمائةٍ

اسْتَهلَّتْ هذه السنَةُ[1] والخليفةُ والسلطانُ محمودٌ يتحارَبان ، والخليفةُ فى السُّرادِقِ فى الجانبِ الغربىِّ ، فلمَّا كان يومُ الأرْبعاءِ رابعِ المحرَّمِ ، توصَّل جماعةٌ مِن جُندِ [٩/٢٣٢و] السلطانِ إلى دارِ الخلافةِ ، فحصَل فيها ألفُ مُقاتِلٍ عليهمُ السِّلاحُ ، فنهَبوا الأموالَ ، وخرَج الجوارِى وهُنَّ حاسِراتٌ يَستغِثْنَ حتى دخَلْنَ دارَ الخاتُونِ .

قال ابنُ الجوزىِّ[2] : وأنا رأيتُهنَّ كذلك ، فلمَّا وقَع ذلك، رِكِب الخليفةُ فى جيشِه ، وجِىء بالسُّفُنِ فركِب فيها الجيشُ ، وانْقلَبتْ بَغْدادُ بالصُّراخِ حتى كأنَّ الدنْيَا قد زُلْزِلتْ ، وثارَتِ العامَّةُ مع جيشِ الخليفةِ ، فكَسَروا جيشَ السلطانِ وقتَلوا خلقًا مِن الأُمراءِ ، وأسَروا آخرِينَ ونهَبُوا دارَ السلطانِ ، ودارَ وزيرِه ، ودارَ طبيبِه أبى البرَكاتِ ، وأخَذوا ما كان فى دارِه مِن الوَدائعِ ، ومرّتْ خبْطةٌ عظيمةٌ جدًّا ، حتى إنَّهم نهَبوا الصُّوفيَّةَ ، برِباطِ بِهْروزَ .

وجرَتْ أمورٌ طويلةٌ وخطوبٌ جليلةٌ ، ونالَتِ العامَّةُ مِنَ السلطانِ ، وجعَلوا يقولون له : يا باطِنىُّ تتْرُكُ قتالَ الفِرنْجِ والرومِ وتُقاتلُ الخليفةَ ؟! ثم إنَّ الخليفةَ انْتقَل إلى دارِه فى سابعِ المحرَّمِ ، فلمَّا كان يومُ عاشُوراءَ تماثَلَ الحالُ ، وطلَب السلطانُ مِن الخليفةِ الأمانَ والصُّلحَ ، فلانَ الخليفةُ إلى ذلك ، وتباشر الناسُ بالصُّلحِ ،

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٤١، والكامل ١٠/ ٦٤١.
(٢) المنتظم ١٧/٢٤١ .

فأرْسَل الخليفةُ إليه نَقيبَ النُّقباءِ وقاضىَ القُضاةِ ، وشيخَ الشيُوخِ وبضْعةً وثلاثيـنَ شاهِدًا ، فاحْتبَسهمُ السلْطانُ عندَه سِتَّةَ أيامٍ ، فسَاء ذلك الناسَ ، وخافُوا مِن فتنةٍ أخرى أشدَّ مِن الأُولَى ، وكان يَرنُقْشُ الزَّكَوِيُّ شِحْنَةُ بَغدادَ يُغرِى السلطانَ بأهلِ بغدادَ ليَنهَبَ أموالَهم ، فلم يَقْبَلْ مِنه ، ثم أذِن لأولئك الجماعةِ ، فدخَلوا عليه وقتَ المَغْرِبِ فصلَّى به القاضى ،وقرَءوا عليه كتابَ الخليفةِ ، فقام قائمًا ، فأجاب الخليفةَ إلى جميعِ ما اقْتَرَح عليه ، ووقَع الصُّلحُ والتَّحْليفُ ، ودخَل جيشُ السلطانِ إلى بغدادَ ، وهم فى غايَةِ الجَهدِ من قلَّةِ الطعامِ عندَهم فى العسْكَرِ ، وقالوا : لو لم يُصالِحْ لمِتْنا جُوعًا . وظهَر مِنَ السلطانِ حِلْمٌ كثيرٌ عنِ العوامِّ ، ولِلَّهِ الحمدُ .

وأمَر الخليفةُ بردِّ ما نُهِب مِن دُورِ الجُندِ ، وأنَّ مَن كتَم شيئًا أُبِيحَ دمُه . وبعَث الخليفةُ عليَّ بنَ طِرادٍ الزَّيْنَبِيَّ النقيبَ إلى السلطانِ سَنْجَرَ ليُبْعِدَ عن بابِهِ دُبَيْسًا ، وأَرسَل معه الخِلَعَ والألْوِيةَ، فأكْرَمَ السلطانُ الرسولَ ، وأذِن بضَربِ الطبولِ على بابِه فى ثلاثَةِ أوْقاتٍ ، وظهَر منه طاعةٌ كبيرةٌ .

ثم مرِض السلطانُ محمودٌ ببغدادَ ، فأمَره الطبيبُ بالانْتِقالِ عنها إلى هَمَذانَ ، فسار فى ربيعٍ الآخرِ ، وفوَّض شِحْنَكِيَّةَ بغدادَ إلى عِمادِ الدينِ زَنْكِى ، فلما وصَل السلطانُ إلى همَذَانَ ، بعَث إلى شِحْنَكِيَّةِ بغدادَ مُجاهِدَ الدينِ بِهْروزَ ، وجعَل إليه الحِلَّةَ ، وبعَث عمادَ الدينِ زَنْكِى إلى المَوْصِلِ وأعْمالِها .

وفيها درَّس الحسنُ بنُ سَلْمانَ[1] بالنِّظامِيَّةِ ببغدادَ .

وفيها ورَد أبو الفُتوحِ الإسْفَرايينىُّ فوعَظ ببغدادَ ، فأوْرَد أحاديثَ كثيرةً منكرةً

---

(١) فى م ، والكامل : « سليمان » . وقد وقع الخلاف فى هذا الاسم ، وانظر تبيين كذب المفترى ص ٣١٨، وسير أعلام النبلاء ١/ ٦١١، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٦٢.

جدًّا ، فاسْتُتِيبَ منها ، وأُمِر بالانْتقالِ منها إلى غيرِها ، فشَدَّ معه جماعةٌ مِنَ الأكابرِ ، وردُّوه إلى ما كان عليه ، فوقَع بسببَه فتنٌ كثيرةٌ بينَ الناسِ ، ورجَمه بعضُ العامَّةِ فى الأسْواقِ ؛ وذلك لأنَّه كان يُطلِقُ عباراتٍ لا يُحْتاجُ إلى إيْرادِها ، فنفَرتْ عنه قلوبُ العامَّةِ وأبْغَضُوه ، وجلَس الشيخُ عبدُ القادرِ الجِيلِيُّ ، فتكلَّمَ على الناسِ فأعْجبَهم ، وأحبُّوه وترَكُوا [٩/ ٢٣٢ظ] ذاكَ .

وفيها قتَل السلطانُ سَنْجَرُ مِنَ الباطِنيَّةِ اثْنَىْ عشَرَ ألفًا . وحجَّ بالناسِ نَظَرٌ الخادِمُ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ إبراهيمَ بنِ أحمدَ ، أبو الحسنِ بنُ أبى الفَضْلِ الهَمَذانِيُّ الفَرَضِيُّ[1] ، صاحبُ « التاريخِ » من بيتِ الحديثِ والأئمَّةِ . وذكَر ابنُ الجَوْزِيِّ[2] عن شيْخِه عبدِ الوهَّابِ أنَّه طعَنَ فيه . توفِّى فجأةً فى شوَّالٍ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن إلى جانبِ ابنِ سُرَيْجٍ .

فاطمةُ بنتُ الحُسَينِ بنِ الحسَنِ بنِ فضْلُوَيْه[3] ، سمِعَتِ الخطيبَ وابنَ المُسْلِمةِ وغيرَهما ، وكانت واعِظةً ، لها رِباطٌ تجتمعُ فيه الزاهِداتُ ، وقد سمِع عليها ابنُ الجَوْزِيِّ « مسْنَدَ الشافِعيِّ » وغيرَه .

أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ السِّيدِ البَطَلْيَوْسِيُّ ، ثم البَلَنْسِيُّ[4] ،

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٤٨، والكامل ١٠/ ٦٤٨، وعيون التواريخ ١٢/ ١٩٣.
(٢) المنتظم ١٧/ ٢٤٨.
(٣) المنتظم ١٧/ ٢٤٧، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ١٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ٦٩.
(٤) الصلة ١/ ٢٢، وإنباه الرواة ٢/ ١٤١، ووفيات الأعيان ٣/ ٩٦، وعيون التواريخ ١٢/ ١٩١، وغاية النهاية ١/ ٤٤٩.

صاحبُ المصنَّفاتِ فى اللغةِ وغيرِها ، جمَع « المُثَلَّث » فى مجلَّدَيْن ، وزاد فيه على قُطْرُبَ شيئًا كثيرًا جدًّا ، وله « شرحُ سَقطِ الزَّنْدِ » لأبى العلاءِ ، أحسنُ مِن شرحِ المصنِّفِ ، وله « شرحُ أدَبِ الكاتبِ » لابنِ قُتيبةَ ، ومِن شعرِه الذى أوْرَدَه القاضى ابنُ خَلِّكانَ قولُه[1] :

أخو العلمِ حىٌّ خالدٌ بعدَ موْتِهِ ... وأوْصالُهُ تحتَ التُّرابِ رَمِيمُ

وذو الجهْلِ مَيْتٌ وهْوَ ماشٍ على الثَّرَى ... يُظَنُّ مِنَ الأحْياءِ وهْوَ عدِيمُ

(١) وفيات الأعيان . وانظر البيتين أيضا فى : الصلة ١/ ٢٣، وإنباه الرواة ٢/ ١٤٢، وعيون التواريخ ١٢/ ١٩٢.

ثم دخلت سنة ثِنتَيْنِ وعشرين وخمسِمائةٍ[1]

فى أوَّلِها قدِمَ رسولُ سَنْجَرَ إلى الخليفةِ يسألُ منه أنْ يُخطَبَ له على منابرِ بَغدادَ، فكان يُخطبُ له فى كلِّ جُمُعةٍ فى جامِعٍ.

وفيها مات ابنُ صَدَقةَ وزيرُ الخليفةِ، واسْتُنِيب فى الوِزارةِ نقيبُ النُّقَباءِ. وفيها اجتمَع السلطانُ محمودٌ بعمِّه سَنْجَرَ واصْطلَحا بعدَ خُشونةٍ، وسلَّم سَنْجرُ دُبَيْسًا إلى محمودٍ، على أنْ يَسترْضِىَ عنه الخليفةَ ويعزِلَ زَنْكِى عنِ المَوْصِلِ وبلادِها، ويُسلِّمَ ذلك إلى دُبَيْسٍ. واشْتَهر فى ربيعِ الأولِ ببَغْدادَ أنَّ دُبَيْسًا أقبَلَ إلى بَغْدادَ فى جيشٍ كثيفٍ، فكتَب الخليفةُ إلى المَلِكِ محمودٍ: لئن لم يَكُفَّه عن قُدومِ بَغْدادَ، وإلَّا خرَجْنا إليه ونقَضْنا ما بيْنَنا وبيْنَكَ مِنَ العهودِ والصلحِ.

وفيها ملكَ الأتابِكُ زَنْكِى بنُ آقْ سُنقُرَ مدينةَ حَلَبَ وما حَوْلَها مِن البلادِ. وفيها ملَكَ تاجُ الملوكِ بُورى بنُ طُغْتِكينَ مدينةَ دِمَشقَ بعدَ وفاةِ أبيه، وقد كان أبوه مِن مَماليكِ تاجِ الدولةِ تُتُشَ بنِ ألب أرْسَلانَ، وكان عاقلًا حازِمًا عادلًا خيِّرًا، كثيرَ الجهادِ للفِرنْجِ، رحِمهُ اللَّهُ.

وفيها عُمِل ببَغْدادَ مُصَلًّى للعيدِ ظاهِرَ بابِ الحَلْبَةِ، وحُوِّط عليه، وجُعِل فيه قِبْلَةٌ. وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ نَظَرٌ الخادِمُ.

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٤٩، والكامل ١٠/ ٦٤٩.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ :

الحسَنُ بنُ علىٍّ بنِ صَدَقةَ[1] ، **أبو علىٍّ وزيرُ المُسْتَرْشِدِ** ، تُوفِّى فى رجَبٍ منها . ومِن شعرِه الذى أورَده ابنُ الجَوْزِىِّ[2] ممّا بالغَ فيه قولُه :

وَجدْتُ الوَرَى كالماءِ طعْمًا ورِقَّةً ... وأنَّ أميرَ المؤمنينَ زُلَالُهُ

وصَوَّرْتُ مَعْنَى العَقْلِ شخْصًا مصوَّرًا ... وأنَّ أميرَ المؤمنينَ مِثالُهُ

فلوْلَا مكانُ[3] الدِّينِ والشَّرعِ والتُّقَى ... لقُلْتُ مِنَ الإعْظامِ جَلَّ جلالُهُ

الحُسَيْنُ بنُ علىٍّ بنِ أبى القاسمِ اللامِشىُّ[4] [٢٣٣/٩و] مِن أهلِ سَمَرْقَنْدَ ، روَى الحديثَ وتفَقَّهَ ، وكان يُضرَبُ به المثلُ فى المُناظَرَةِ ، وكان خيِّرًا ، دَيِّنًا على طريقةِ السَّلَفِ ، مُطَّرِحًا للتَّكلُّفِ ، أمَّارًا بالمعروفِ ، قدِمَ مِن عندِ الخاقانِ ملكِ ما وراءَ النهرِ فى رسالةٍ إلى دارِ الخلافةِ ، فقيلَ له : أَلَا تحُجُّ عامَكَ هذا ؟ فقال : لا أجعَلُ الحجَّ تبَعًا لرِسالَتِهم . فعادَ إلى بلَدِه ، فمات فى رمضانَ مِن هذه السَّنَةِ عن إحْدَى وثمانينَ سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

طُغْتِكِينُ الأَتابكُ[5] ، صاحبُ دِمَشْقَ التُّرْكِىُّ ، أحدُ غِلْمانِ تاجِ الدولةِ تُتُشَ

---

(١) خريدة القصر (قسم شعراء العراق) ٩٤/١، والمنتظم ٢٥٠/١٧، والكامل ٦٥٢/١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١- ٥٣٠هـ) ص ٧١ : وفيه « الحسين » وعيون التاريخ ٢٠٠/١٢ .

(٢) المنتظم ١٧/ ٢٥٠. وانظر الأبيات أيضًا فى : الكامل ١٠/ ٦٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ٧١.

(٣) فى المنتظم ، والكامل : « طريق » .

(٤) فى م : « اللامتنى » ، وانظر ترجمته فى : الأنساب ٥/ ٦٧١، والمنتظم ١٧/ ٢٥١، ومرآة الزمان ٨/ ١٢٧/١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ٧٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٧٢.

(٥) وفيات الأعيان ٤٢٣/٢، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١- ٥٣٠هـ) ص ٧٤، وعيون التواريخ ١٩٨/١٢.

ابنِ ألبِ أرسَلانَ السَّلْجوقيِّ ، كان مِن خِيارِ المُلوكِ وأعْدَلِهم وأكْثَرِهم جِهادًا للأعداءِ ، وكانت وفاتُه فى هذا العامِ ، وقام فى المُلْكِ مِن بعدِه ولَدُه تاجُ المُلوكِ بُورى .

ثم دخَلَتْ سنةُ ثلاثٍ وعِشْرِينَ وخَمْسِمائةٍ[1]

في المحرَّمِ منها دخَل السلْطانُ محمودٌ إلى بَغْدادَ ، واجْتَهد في إرْضاءِ الخليفةِ عن دُبَيْسٍ ، وأنْ يُسلِّمَ إليه بلادَ المَوْصِلِ ، فامتَنَع الخليفةُ مِن ذلك ، وأَبى أشدَّ الإباءِ ، هذا وقد تأخَّرَ دُبَيسٌ عن الدخُولِ إلى بَغْدادَ ، ثم دخَلها وركِب بينَ الناسِ فلَعَنُوه وشَتَموه في وَجْهِه ، وقدِمَ عمادُ الدينِ زَنْكِي بنُ آقْ سُنقرَ ، فبذَل للسلْطانِ في كلِّ سنَةٍ مائَةَ ألفِ دينارٍ ، وهدايا وتُحَفًا ، والْتزَم الخليفةُ للسلطانِ بمثلِها على أنْ لا يُوَلِّيَ دُبَيْسًا شيئًا ، وعلى أنْ يستمرَّ زَنكِي على عمَلِه بالمَوْصِلِ ، فأقرَّه على ذلك وخلَع عليه ، ورجَع إلى عملِه ، وملَكَ في هذه السنةِ مدينةَ حَلَبَ وحَماه . وأسَر ملِكَها سُونْجَ بنَ تاجِ الملوكِ ، فافتَدَى منه بخمسينَ ألفَ دينارٍ .

وفي يومِ الاثْنَيْنِ سلْخِ ربيعٍ الآخِرِ خلَع السلْطانُ على نقيبِ النُّقَباءِ بالوِزارةِ استِقلالًا ، ولا يُعْرَفُ أحدٌ من العباسيِّينَ باشَر الوِزارةَ غيرُه .

وفي رمضانَ جاءَ دُبَيسٌ في جيشٍ إلى الحِلَّةِ فملَكَها ، ودخَل إليها في أصحابِه ، وكانوا ثَلاثَمِائَةِ فارسٍ ، ثم إنَّه شرَع في جمعِ الأمْوالِ ، وأخْذِ الغَلَّاتِ مِنَ القُرَى حتى حصَّل نحْوًا مِن خَمْسِمِائَةِ ألفِ دينارٍ ، واستَخدَم قريبًا مِن عشَرَةِ آلافِ مُقاتلٍ ، وتفاقَم الحالُ بأمْرِه وسببِه ، وبعَث إلى الخليفةِ يَسْترْضِيه ، فلم يرْضَ عنه ، وعرَضَ عليه أموالًا كثيرةً جدًّا فلم يقبَلْها الخليفةُ ، وكتَب الخليفةُ إلى

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٥٢، والكامل ١٠/ ٦٥٤.

السلطانِ فبعَثَ إليه السلطانُ جيْشًا فانهزَم منهم وذهَب إلى البَرِّيَّةِ ، لا جمَع اللَّهُ به شَمْلًا ، وأغارَ على البَصْرَةِ فأخَذ منها حواصِلَ السلْطانِ والخليفةِ ، ثم دخَل البرِّيَّةَ فانْقَطَع خبرُه .

وفى هذه السنةِ قَتَل صاحبُ دِمَشْقَ مِنَ الباطنيَّةِ ستَّةَ آلافٍ ، وعلَّقَ رأسَ كبيرِهم على بابِ القلعةِ ، وأراحَ اللَّهُ أهلَ الشامِ منهم .

وفيها حاصَرَتِ الفِرنْجُ مدينةَ دِمَشْقَ ، فخرَج إليهم أهلُها ، فقاتَلُوهم قِتالًا شديدًا ، وبعَث أهلُ دِمَشْقَ (١ عبدَ الوهَّابِ ١) الواعظَ ومعه جماعةٌ مِن التجارِ إلى بغدادَ يسْتَغِيثُونَ بالخليفةِ ، وهمّوا بكَسْرِ مِنبَرِ الجامعِ ، حتى وُعِدوا بأنَّهم سيكتُبون إلى السلطانِ ؛ ليبْعَثَ جيْشًا كثيفًا نُصرةً لأهلِ الشَّامِ ، فلم يُبْعَثْ إليهم جيشٌ حتى نَصَرهم اللَّهُ من عندِه ، فهزَمهم المسلمون وقتَلوا منهم عَشَرةَ آلافٍ ، ولم يُفْلِتْ منهم سِوى أرْبَعِينَ نفْسًا ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ . وقتِل بَيْمَنْدُ الفِرنجيُّ صاحبُ أنْطاكِيَةَ .

وفى هذه السنةِ تخبَّطَ [٢٣٣/٩ظ] الناسُ فى الحجِّ حتى ضاق الوقتُ بسَببِ فِتْنَةِ دُبَيسٍ ، قبَّحه اللَّهُ ، حتى حجَّ بهم أحدُ مماليكِ يَرَنُقْشَ الزَّكَوِيِّ ، وكان اسمُه بغاجقَ (٢) .

ومِمَّنْ توُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أسْعَدُ بنُ أبى نَصْرٍ الـمِيهَنِيُّ (٣) أبو الفَتْحِ ، أحدُ أئمَّةِ الشَّافعِيَّةِ فى زمانِه ،

(١ - ١) فى م : « عبد الله » .

(٢) فى عيون التواريخ ١٢/ ٢٠٤: « تعاجق » . وانظر إتحاف الورى ٢/ ٥٠١.

(٣) المنتظم ١٧/ ٢٥٥، ووفيات الأعيان ١/ ٢٠٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٣٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٨٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٤٢/٧ وفيه : « أسعد من محمد بن أبى نصر » .

تفَقَّهَ على أبى المُظفَّرِ السَّمْعَانِىِّ ، وساد أهلَ زمانِه ، وتفَرَّدَ مِن بينِ أقْرانِه ، ووَلِىَ تدْريسَ النِّظَامِيَّةِ ببَغْدادَ ، وحصَل له وَجاهَةٌ عندَ الخاصِّ والعامِّ ، وعُلِّق عنه « تعْليقَةُ الخلافِ » ، ثم عُزِل عن النِّظَامِيَّةِ ، فسار إلى هَمَذانَ ، فمات بها فى هذه السَّنَةِ ، رحِمَه اللَّهُ تعالى .

ثم دَخلتْ سنَةُ أرْبَعٍ وعِشْرِينَ وخَمسِمائةٍ(١)

فيها كانتْ زَلْزلَةٌ عظيمةٌ بالعراقِ تهدَّمت بسبَبِها دورٌ كثيرةٌ ببَغْدادَ ، ووقَع بأرْضِ المَوصِلِ مطَرٌ عظيمٌ فسقَط بعضُه نارًا تأجَّجُ ، فاحترَقَت دُورٌ كثيرةٌ مِن ذلك ، وتهارَبَ الناسُ .

وفيها وُجِد ببغدادَ عقاربُ طيَّارةٌ لها شوْكَتانِ ، فخاف الناسُ منها خوفًا شديدًا . وفيها ملَك السلطانُ سَنْجَرُ مدينةَ سَمرقَنْدَ ، وكان بها محمدُ خان(٢) . وفيها ملَكَ عمادُ الدينِ زَنكِي بلادًا كثيرةً مِن الجزيرةِ ، ومِن بلادِ الفِرنْجِ ، وجرَتْ له معهم حروبٌ طويلةٌ وخطوبٌ جَليلةٌ ، ونُصِر عليهم فى تلك المواقفِ كلِّها ، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، وقتلَ خلقًا مِن جيشِ الرومِ حينَ قدِمُوا إلى الشامِ ، ومدَحه الشعراءُ على ذلك .

قَتْلُ خليفةِ مِصْرَ الفاطمىّ

وفى ثانى ذى القَعْدَةِ قُتِل الخليفةُ الفاطِمِىُّ الآمِرُ بأحكامِ اللَّهِ ابنُ المُسْتَعْلِى صاحِبُ مِصْرَ ، قتَلَتْه الباطِنِيَّةُ ، وله مِن العُمرِ أربعٌ وثلاثونَ سنةً ، وكانت مدَّةُ خلافتِه تِسْعًا وعشرينَ سنةً وخمسةَ أشهرٍ ونصْفًا ، وكان هذا الرجلُ هو العاشِرَ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٥٦، والكامل ١٠/ ٦٦٦.

(٢) فى خ ،م : « بن خاقان » .

مِن الفاطميين ، والعاشرَ مِن ولَدِ عُبَيْدِ اللَّهِ المَهْدِىِّ ، ولمَّا قُتِل الآمِرُ ، تغلَّبَ على الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ غلامٌ مِن غِلمانِ الخليفةِ أَرْمَنِىٌّ ، فاسْتَحوَذ على الأمورِ ثلاثةَ أيامٍ حتى حضَر أبو علىٍّ ، أحمدُ بنُ الأفْضَلِ بنِ بَدْرٍ الجَمالىُّ ، فأقام الخليفةَ الحافظَ أبا الميمُونِ عبدَ المجيدِ بنَ الأميرِ أبى القاسمِ بنِ المُسْتَنْصِرِ باللَّهِ ؛ وله مِن العُمرِ ثمانٍ وخمسونَ سنةً ، ولمَّا أقامَه اسْتحوَذ على الأمورِ دُونَه وحصَرَه فى مجلسٍ ، لا يدخُلُ إليه أحدٌ إلَّا مَن يريدُه ، ونقَل الأموالَ مِن القَصْرِ إلى دارِه ، ولم يَبْقَ للحافظِ سِوَى الاسْمِ فقط .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

إبْراهيمُ[1] **بنُ عثمانَ بنِ محمدٍ ، أبو إسْحاقَ الكَلْبىُّ**[2] مِن أهلِ غزَّةَ ، جاوَز الثمانينَ ، وله شعرٌ جيِّدٌ ، ومِن شعرِه فى الأتْراكِ قولُه[3] :

فى فتنةٍ مِن جيوشِ الترك ما تركَتْ ... للرَّعْدِ كَرَّاتُهُمْ صوْتًا ولا صِيتَا
قومٌ إذا قُوبلوا كانُوا ملائكَةً ... حُسْنًا وإنْ قُوتِلُوا كانوا عَفارِيتَا

وله[4] :

ليتَ الذى بالعشقِ دُونَكَ خصَّنى ... يا ظالِمى قسَمَ المحبَّةَ بيْننا
أَلْقَى الهِزَبْرَ فلا أخافُ وُثُوبَهُ ... ويَرُوعُنِى نظَرُ الغَزالِ إذا رَنَا

---

(١) بعده فى م : « بن يحيى » . وانظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ٧/ ٥١، والمنتظم ١٧/ ٢٥٧، وخريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٤، ووفيات الأعيان ١/ ٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٤، وفيه : « إبراهيم بن يحيى بن عثمان » ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ٩٠.

(٢) فى الأصل ، ص : « المغربى » ، وفى خ : « المصرى » . وهذا الشعر يعرف بالغَزِّى .

(٣) المنتظم ١٧/ ٢٥٧.

(٤) المنتظم ١٧/ ٢٥٨.

وله[1] :

إنَّما هذه الحياةُ مَتاعٌ والسَّفِيهُ الغَوِىُّ مَنْ يصْطَفِيها
ما مضَى فاتَ والمؤَمَّلُ غَيْبٌ ولكَ الساعَةُ التى أنتَ فيها

وله أيضًا :

قالوا هجَرْتَ الشعرَ قلْتُ ضرورةٌ بابُ البواعثِ والدَّواعِى مُغْلَقُ
خلَتِ البلادُ فلا كريمٌ يُرْتَجَى منه النَّوالُ ولا مَلِيحٌ يُعْشَقُ
ومِن العجائبِ [٩/٢٣٤و] أنَّهُ لا يُشْتَرَى ويُخانُ فيه مِن الكَسادِ ويُسْرَقُ

ومِمَّا أنشدَه ابنُ خَلِّكانَ فى الوفياتِ من شعرِه الرائقِ قولُه[2] :

إشارةٌ مِنكِ تكْفِينا وأحْسَنُ ما رُدَّ السلامُ غداةَ البيْنِ بالعَنَمِ[3]
حتى إذا طاح عنها المِرْطُ من دَهَشٍ وانْحَلَّ بالضَّمِّ سِلْكُ العِقْدِ فى الظُّلَمِ
تبسَّمَتْ فأضاءَ الليلُ فالْتَقَطَتْ حبَّاتِ مُنْتثرٍ فى ضوءِ مُنْتَظِمِ

كانتْ وفاتُه فى هذه السنَةِ ببلادِ بَلْخَ ، ودُفِنَ بها .

الحُسَيْنُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ الحُسَينِ بنِ (٤عُبَيْدِ اللَّهِ٤) بنِ القاسمِ (٥بنِ عبدِ اللَّهِ٥) بنِ سُلَيمانَ بنِ وَهْبِ الدَّبَّاسُ، أبو

---

(١) المنتظم ١٧/٢٥٨ .
(٢) وفيات الأعيان ١/ ٥٩.
(٣) العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراءُ يُشَبّه بها البَنانُ المخضوبُ . تاج العروس (ع ن م) .
(٤ - ٤) فى الأصل ، خ : « عبد اللَّه » وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٥٩، ومعجم الأدباء ١٠/ ١٤٧، وإنباه الرواة ١/ ٣٢٨، ووفيات الأعيان ٢/ ١٨١ ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٣٣، ومعرفة القراء الكبار ١/٣٨٦.
(٥ - ٥) سقط من الأصل ، خ ، ص ، والمنتظم ، وفى سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٣٤، ووفيات الأعيان ، وإنباه الرواة : « عبيد اللَّه» .

عبدِ اللَّهِ الشاعرُ المعروفُ بالبارِعِ ، قرَأ القِراءاتِ وسمِع الحديثَ ، وكان عارِفًا بالنحوِ واللغةِ والأدبِ ، وله شعرٌ رائقٌ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنَةِ ، وقد جاوَز الثمانين ، رحِمه اللَّهُ .

محمدُ بنُ سَعْدُونَ بنِ مُرَجَّى ، أبو عامرٍ العبدرِىُّ القُرَشِىُّ[1] **الحافظُ** ، أصلُه مِن مَيُورْقَةَ[2] مِن بلادِ المغربِ ، ودخَل بَغْدادَ فسمِع بها علَى طِرَادٍ الزَّيْنَبِىِّ ، والحُميدِىِّ ، وغيرِ واحدٍ ، وكانتْ له معرفةٌ بالحديثِ جيِّدةٌ ، وكان يذْهَبُ فى الفُروعِ مذْهبَ الظاهرِيَّةِ . تُوفِّى فى بَغْدادَ فى ربيعٍ الآخَرِ .

---

(١) تاريخ دمشق ١٥/ ٣٤٨، والمنتظم ١٧/ ٢٦١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٧٩، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٠٣، والوافى بالوفيات ٣/ ٩٣.

(٢) فى خ ، م : « بيروقه » ، وفى المنتظم : « برقة » .

ثم دَخلتْ سنةُ خمسٍ وعشرين وخمسِمائةٍ

فيها[1] ضلَّ دُبَيسٌ عن الطريقِ فى البرِّيَّةِ ، فأسَره بعضُ أمراءِ الأعْرابِ بأرضِ الشامِ ، وحمَله إلى ملكِ دمشقَ بُورِى بنِ طُغْتِكينَ ، فباعَه مِن زَنْكِى بنِ آقْ سُنْقُرَ صاحبِ المَوْصِلِ بخمسين ألفَ دينارٍ ، فلمَّا حصَل فى يَدِه لم يَشُكَّ دُبَيسٌ أنَّه سيُهْلِكُه ؛ لِما بينَهما مِن العَداوةِ ، فأكْرَمه زَنْكِى ، وأعْطاه أموالًا جزيلةً ، وقدَّمه واحْترَمَه ، ثم جاءتْ رسلُ الخليفةِ فى طلَبِه فبعَثه معهم ، فلمَّا وصَل إلى المَوْصِلِ حُبِس فى قلعَتِها .

وفيها وقَع بينَ الأخوَيْن محمودٍ ، ومسعودٍ ، فتواجَها للقتالِ ثم اصطَلَحا . وفيها كانتْ وفاةُ الملكِ محمودِ بنِ محمدِ بنِ مَلِكْشاه بنِ ألْبِ أرسَلانَ ، فأُقِيم فى المُلْكِ مكانَه ابنُه داودُ ، وجُعِل له أتابِكٌ ووزيرٌ ، وخُطِب له بأكثرِ البلادِ .

ومَّن توفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ القاهرِ ، [2]أبو نصْرٍ الطوسىُّ[2] سمِع الحديثَ ، وتفقَّهَ بالشيخِ أبى إسْحاقَ الشِّيرازِىِّ ، وكان شيْخًا لطيفًا ، عليه نورٌ .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ : أنشَدَنى[3] :

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٦٣، والكامل ١٠/ ٦٦٨.

(٢ - ٢) فى خ ، م : « الصوفى » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٦٥، والكامل ١٠/ ٦٧١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٨٤، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٢٢، وشذرات الذهب ٤/ ٧٣.

(٣) المنتظم ١٧/ ٢٦٥، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٢٢.

على كلِّ حالٍ فاجْعَلِ الحَزْمَ عُدَّةً   تقدِّمُهُ بين النَّوائبِ والدَّهْرِ
فإنْ نِلْتَ خيرًا نِلْتَهُ بعَزِيمَةٍ   وإنْ قصَّرَتْ عنكَ الخُطوبُ[1] فعَن عُذْرِ

قال : وأنشَدَنى أيضًا[2] :

لبِسْتُ ثوبَ الرَّجَا والناسُ قد رقَدُوا   وقمْتُ أشْكُو إلى موْلَاىَ ما أجِدُ
وقلْتُ يا عُدَّتِى فى كلِّ نائبَةٍ   ومَن عليه لكَشْفِ الضُّرِّ أعْتَمِدُ
وقد مدَدْتُ يَدِى [3]والضُّرُّ مُشتمِلٌ[3]   إليكَ يا خَيْرَ مَن مُدَّتْ إليه يَدُ
فلا تَرُدَّنَّها يارَبِّ خائِبةً   فبَحْرُ جُودِكَ يرْوِى كلَّ مَن يَرِدُ

الحسنُ بنُ سَلْمانَ[4] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ [5]عبدِ اللَّهِ[5] ، ابنُ الفتَى ، أبو علىٍّ الفقيهُ مدرِّسُ النِّظاميّةِ ، وقد وعَظَ بجامعِ القصرِ ، وكان يقولُ[6] : أنا فى الفقهِ مُنْتَهًى ، وفى الوَعْظ مُبْتَدًى . وقد توفِّى فى هذه السنةِ ، وغسَّلَه القاضى أبو العباسِ [٢٣٤/٩ظ] ابنُ الرُّطَبِىِّ ، ودُفِن عندَ أبى إسْحاقَ .

حَمَّادُ بنُ مسلمٍ الرَّحْبِىُّ الدَّبّاسُ[7] ، كان يُذْكَرُ له أحْوالٌ ومُكاشَفاتٌ واطِّلاعٌ على مُغَيَّباتٍ ، وغيرُ ذلك مِن المَقاماتِ ، ورأيْتُ ابنَ الجَوْزِىِّ يتكلَّمُ فيه ،

---

(١) فى خ ، م : « الأمور » .
(٢) المنتظم ١٧/ ٢٦٥، وعين التواريخ ١٢/ ٢٢٣.
(٣ - ٣) فى المنتظم : « بالذل صاغرة » . وانظر عيون التواريخ ١٢/ ٢٢٣.
(٤) فى خ ، م : « سليمان » . وانظر ترجمته فى : تبيين كذب المفترى ص ٣١٨ وفيه : « الحسن بن سليمان » ، والمنتظم ١٧/ ٢٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦١١، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٣٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٦٢.
(٥ - ٥) فى م : « عبد الغنى » .
(٦) المنتظم ١٧/ ٢٦٦.
(٧) المنتظم ١٧/ ٢٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٢٨، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٢٣، ومرآة الجنان ٣/ ٢٤٢.

ويقولُ[١] : كان عُرْيًا مِن العُلومِ الشرعِيَّةِ ، وإنَّما كان يَنْفُقُ على الجُهَّالِ .

وذُكِر عن ابنِ عقيلٍ أنَّه كان يُنَفِّرُ الناسَ عنه ، وكان حَمَّادٌ الدّباسُ يقولُ[١] : ابنُ عقِيلٍ عَدُوِّى . قال ابنُ الجوْزِىِّ[١] : وكان الناسُ يَنْذِرُون له ، فيَقْبَلُ ذلك ، ثم ترَك ذلك ، وصارَ يأخُذُ مِن المَناماتِ ، ويُنفِقُ على أصْحابِه . وكانت وفاتُه فى رمضانَ ، ودُفِن بالشُّونيزِيَّةِ .

علىُّ ابنُ المُستَظْهِرِ باللّهِ[٢] أخو الخليفةِ المُسْتَرْشِدِ ، تُوفِّى فى رجَبٍ من هذه السنةِ ، وله مِن العُمرِ إحْدَى وعِشْرونَ سنةً ، فتُرِكَ ضربُ الطُّبولِ ، وجلَس الناسُ للعزاءِ أيّامًا .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أبى الفَضْلِ الماهِيانىُّ[٣] ، أحدُ أئمَّةِ الشافعِيَّةِ ، تفَقَّهَ بإمامِ الحرَمَيْنِ ، وغيرِه ، ورحَل فى طلَبِ العلمِ والحديثِ إلى بلادٍ شتَّى ، ودرَّس وأفْتَى وناظَر . تُوفِّى فى هذه السنةِ وقد قارب التِّسْعِينَ ، ودُفِنَ بقريةِ ماهِيانَ مِن بلادِ مَرْوَ ، رحِمه اللّهُ .

محمودٌ السُّلْطانُ ابنُ السُّلْطانِ محمدِ بنِ مِلِكْشَاه [٤ بنِ ألبِ أرسَلانَ بنِ داودَ بنِ ميكائيلَ بنِ سَلجوقَ ٤] ، كان مِن خِيارِ المُلوكِ ، وكان فيه حلمٌ وأَناةٌ وبِرٌّ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٦٦.

(٢) المصدر السابق ١٧/ ٢٦٧، والكامل ١٠/ ٦٧٠.

(٣) فى النسخ : « الماهانى » . وانظر ترجمته فى : الأنساب ١٨٣/٥ وفيه : « محمد بن أحمد بن محمد ابن حفص الماهيانى » ، والمنتظم ٢٦٧/١٧ وفيه : « محمد بن أحمد بن الفضل » ، واللباب فى تهذيب الأنساب ٩١/٣ وفيه مثل ما فى الأنساب ، وطبقات الشافعية للسبكى ٦٩/٦ وفيه مثل ما فى المنتظم ، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٤٢٤.

(٤ - ٤) سقط من : خ ، م وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٦٨، والكامل ١٠/ ٦٦٩، ووفيات =

وصلابَةٌ ، وجلَسُوا لعَزائِه ثلاثةَ أيامٍ ، سامَحه اللَّهُ .

هِبَةُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ (1) **بنِ أحمدَ** (1) **بنِ العبَّاسِ بنِ الحُصَينِ ، أبو القاسِمِ الشَّيْبَانِيُّ** ، راوِى المُسْنَدِ عن أبى علىٍّ بنِ المُذْهِبِ(2) ، عن أبى بكرِ بنِ مالكٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ ، عن أبيه ، وقد سمِعَ قديمًا ؛ لأنَّه وُلِدَ فى سنةِ ثِنْتَيْنِ وثلاثينَ وأرْبَعِمائةٍ ، وباكَر به أبوه فأسْمَعه ، ومعه أخوه عبدُ الواحدِ ، على جماعَةٍ مِن عِلْيَةِ المشايخِ ، وقد روَى عنه ابنُ الجَوْزِىِّ ، وغيرُ واحدٍ ، وكان ثقةً ثَبَتًا صحيحَ السماعِ . تُوفِّى بينَ الظهرِ والعصرِ يومَ الأرْبعاءِ رابعَ شوالٍ مِن هذه السنةِ ، وله ثلاثٌ وتسعونَ سنةً ، رحِمهُ اللَّهُ تعالى .

= الأعيان ٥/ ١٨٢، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٢٤، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٤٩.

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٦٨، والكامل ١٠/ ٦٧١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٣٧، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٢٣.

(٢) فى م : « المندب » .

ثم دخلت سنة سِتٍّ وعِشْرِين وخَمْسِمائَةٍ

فيها[1] قدِمَ مسْعُودُ بنُ محمدٍ[2] بَغْدادَ، وقدِمَها قَراجَا الساقِى، ومعه سَلجوق شَاه بنُ محمدٍ، وكلٌّ منهما يطْلُبُ المُلْكَ لنفْسِه، وقدِمَ عمادُ الدينِ زَنْكِى بنُ آقْ سُنْقُرَ لِيَنْضَمَّ إليهما، فتلَقَّاه قَراجا الساقى فهزَمَه فهرَبَ منه إلى تَكْرِيتَ، فخدَمَه نائبُ قلْعَتِها نجمُ الدينِ أيُّوبُ - والدُ المَلِكِ صلاحِ الدينِ، الذى فتَح القدسَ فيما بعدُ حتى عاد إلى بلادِه - فكان هذا هو السببَ فى مَصِيرِ نجمِ الدينِ أيُّوبَ إليه، وهو بحَلَبَ، فخَدَم عندَه، ثم كان مِنَ الأمورِ ما سيأتى بيانُه مما قدَّرَه اللَّهُ تعالى. ثم إنَّ المِلِكين مسعودًا وسَلجوق شَاه اجْتمَعا فاصْطَلَحا، ورَكِبَا إلى المَلِكِ سَنْجَرَ فاقْتَتَلا معه، فكان جيشُه مِائَةً وسِتِّينَ ألفًا، وكان الذين معهما قريبًا مِن ثلاثينَ ألفًا، وكان جملةُ مَنْ قُتِلَ بينهم أربعينَ ألفًا، وأسَر جيشُ سَنْجَرَ [٢٣٥/٩و] قَراجَا الساقىَ فقتَله صَبْرًا بينَ يدَيْه، ثم أجلَس طُغْرُلَ بنَ محمدٍ على سريرِ المُلْكِ، وخُطِب له على المنابرِ، ورجَع سَنْجرُ إلى بلادِه، وكتَب طُغْرُلُ إلى دُبَيسٍ وزَنْكِى لِيَذْهَبا إلى بَغْدادَ فيأخُذاها، فأقْبَلا فى جيشٍ كثيفٍ فبرَزَ إليهما الخليفةُ فهزَمَهما، وقتَل خلقًا مِن أصْحابِهما، وأزاحَ اللَّهُ شرَّهُما عنه، ولِلَّهِ الحمدُ. وفيها قُتِل أبو علىٍّ بنُ الأفْضَلِ بنِ بدرٍ الجَمَالىِّ وزيرُ الحافظِ الفاطِمِىِّ[3]، فنقَل الحافظُ الأموالَ التى كان أخَذها إلى دارِه، واسْتَوْزَرَ بعدَه أبا الفَتْحِ يانسَ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٦٩، والكامل ١٠/ ٦٧٢.

(٢) فى المنتظم ١٧/ ٢٧٠، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٥٠: «محمود». وانظر وفيات الأعيان ٥/ ٢٠٠.

(٣) فى الأصل: «الهاشمى»، وفى الكامل ١٠/ ٦٧٢: «العلوى».

الحافِظِىَّ ، ولقَّبه أميرَ الجيوشِ ، ثم احْتال له فقتَله ، واسْتوزَر الحافظُ ولدَه حسنًا وخُطِبَ له بوِلايَةِ العهدِ . وفيها عزَل المسترشدُ وزيرَه علىَّ بنَ طِرادٍ ، واسْتَوْزَرَ أنوشِرْوانَ بنَ خالدٍ بعدَ تمنُّعٍ . وفيها ملَكَ دِمَشْقَ شمسُ المُلوكِ إسْماعيلُ بنُ بُورِى بنِ طُغْتِكينَ بعدَ وفاةِ أبيه ، واسْتَوْزَرَ يوسُفَ بنَ فَيْرُوزَ ، وكان خَيِّرًا ، فملَك بلادًا كثيرةً ، وأطاعَه أخوه .

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ حَمْدانَ ابنِ عمرَ بنِ عِيسى بنِ إبراهيمَ [(1)] **بنِ سعيدِ** [(1)] **بنِ عُتبةَ بنِ فَرْقدٍ** [(2)] **السُّلَمِىُّ ، ويعرَفُ بابنِ كادِشٍ ، العُكْبَرِىُّ ، أبو العِزِّ البَغْدادِىُّ** ، سمِعَ الحديثَ الكثيرَ ، وكان يفهَمُه ويَروِيه [(3)] وهو آخِرُ مَن روَى عن الماوَرْدِىِّ ، وقد أثْنَى عليه غيرُ واحدٍ ؛ منهم أبو محمدِ بنُ الخشَّابِ ، وكان محمدُ بنُ ناصرٍ يتَّهِمُه ويَرْمِيه بأنَّه اعْتَرَف بوَضْعِ حديثٍ ، فاللَّهُ أعلمُ . وقال عبدُ الوهَّابِ الأنْماطِىُّ [(4)] : كان مُخَلِّطًا [(5)] ، تُوفِّى فى جُمادَى الأُولى مِن هذه السنةِ .

محمدُ بنُ محمدِ بنِ الحُسَيْنِ بنِ [(6)] **محمدٍ ، أبو الحسين ابنُ** [(6)] **القاضى أبى**

(١ - ١) سقط من خ ، م . وفى المنتظم ١٧/ ٢٧٣: « بن سعد » . وانظر ترجمته فى : سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٤١، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٥١، وشذرات الذهب ٤/ ٧٨.

(٢) فى النسخ : « يزيد » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ٢٧٣. وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٨.

(٣) فى الأصل ، ص : « يدرسه » .

(٤) المنتظم ١٧/ ٢٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٩.

(٥) فى الأصل ، والمنتظم: « مخلصا » . وانظر : سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٩.

(٦ - ٦) سقط من : خ ، م .وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٧٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٠١، والعبر ٤/ ٦٩، والوافى بالوفيات ١/ ١٥٩، ومرآة الجنان ٣/ ٢٥٢، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٧٦.

يَعْلَى بنِ الفَرَّاءِ الحَنْبلىّ ، وُلِدَ فى شعبانَ سنةَ إحدى وخمسين وأربعِمائَةٍ ، سمِع أباه وغيرَه ، وتفَقَّهَ وناظَر وأفْتَى ودَرَّس ، وكان له بيتٌ فيه مالٌ ، فعُدِى عليه مِن الليلِ فقُتِلَ وأُخِذ مالُه ، ثم أظهَر اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، على قاتِله فقتَلوه .

ثم دَخلتْ سنَةُ سَبْعٍ وعِشْرِينَ وخَمْسِمائَةٍ[1]

فى صفَرٍ مِنها دخَل السلطانُ مسعودٌ إلى بَغْدادَ ، فخُطِب له على منابرِها ، وخَلَع عليه الخليفةُ وولَّاه السلْطَنةَ ، ولمّا ذُكِر على المنابرِ نُثِرتِ الدَّنانيرُ والذَّهبُ على الناسِ ، وخُلِع أيضًا على المَلِكِ داودَ بنِ محمودٍ . وفيها جمَع دُبَيْسٌ جَمْعًا كثيرًا بوَاسِطٍ ، وانضَمَّ إليه جماعةٌ فأرسَل إليه السلْطانُ جيْشًا فكسَرُوه وفرَّقُوا شمْلَه ، ثم إنَّ الخليفةَ عزَم على الخروجِ إلى المَوْصِلِ ليأخُذَها مِن يدِ زَنْكِى ، فخرَج فى جيشٍ كثيفٍ ، وخَلْقٍ مِن الأمراءِ والأكابرِ والوُزراءِ ، فلمّا اقترَب مِنها بعَث إليه عمادُ الدينِ زَنْكِى يعرِضُ عليه مِن الأمْوالِ الجزيلةِ والتُّحَفِ شيئًا كثيرًا ليَرجِعَ عنه فلم يقبَلْ ، ثم بلَغه أنَّ السلطانَ مسعودًا قد اصْطلَح مع دُبَيْسٍ وخلَع عليه ، فكرَّ راجِعًا سرِيعًا إلى بَغْدادَ سالمًا مُعَظَّمًا .

وفيها مات ابنُ الزَّاغُونِىِّ أحدُ أئمَّةِ الحنابِلَةِ ، فطلَب حلْقَته ابنُ الجَوْزِىِّ – وكان شابًّا – فحصَلتْ لغيرِه ، ولكِنْ أذِنَ له الوزيرُ أنوشِرْوان فى الوعظِ ، فتكلَّمَ فى هذه السنَةِ على الناسِ [٩/٢٣٥ظ] بأماكِنَ مُتَعَدِّدَةٍ مِن بَغْدادَ ، وكثُرتْ مجالِسُه وازْدَحَم عليه الناسُ .

وفيها ملَك شمسُ المُلوكِ إسمْاعيلُ صاحِبُ دِمَشْقَ مدينةَ حَمَاةَ ، وكانتْ بيَدِ زَنْكِى . وفى ذى الحِجَّةِ نهَب التُّرْكُمانُ مدينةَ طَرَابُلُسَ فخرَج إليهم القُومَصُ –

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٧٥، والكامل ١٠/ ٦٨٦.

لعَنه اللَّهُ - فهزَمُوه وقتَلُوا خلقًا مِن أصْحابِه، وحاصَرُوه بها مدةً طويلةً، حتى طال عليهِمُ الحصارُ، فانْصرَفُوا.

وفيها وُلِّى مَكَّةَ قاسِمُ بنُ أبى فُلَيْتَةَ بعدَ أبيه. وفيها قتَل شمسُ الملُوكِ أخاه سونجَ، وفيها اشترَى الباطِنيَّةُ بالشامِ حِصْنَ القُدْمُوسِ فسكَنوه، وحارَبُوا مَن جاوَرَهم مِن المسلمينَ والفِرنْجِ. وفيها اقْتَتلَتِ الفِرنْجُ فيما بينَهم قتالًا شديدًا فمحَق اللَّهُ مِنهم خلقًا كثيرًا، وغزَاهم فيها أيضًا عمادُ الدين زَنْكِى فقتَل مِنهم ألْفَ قتيلٍ، وغنِم أموالًا جزيلةً، ويقالُ لها: غَزاةُ أَسْوارٍ.

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ نَظَرٌ الخادِمُ، وكذا فى التى قبلَها وبعدَها.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

أحمدُ بنُ سلامةَ بنِ عُبَيْدِ[(1)] اللَّهِ بنِ مَخْلدِ بنِ إبراهيمَ، أبو العباسِ، ابنُ الرُّطَبِىِّ، تفقَّهَ على أبى إسحاقَ، وابنِ الصَّبَّاغِ ببَغْدادَ، وبأَصْبهانَ على محمدِ بنِ ثابتٍ الخُجَنْدِىِّ، ثم وُلِّى الحكمَ ببَغْدادَ بالحريمِ، والحِسْبَةَ ببَغْدادَ، وكان يُؤَدِّبُ أوْلادَ الخليفةِ، تُوفِّى فى رجَبٍ مِن هذه السنةِ، ودُفِنَ عندَ قبرِ الشيخِ أبى إسْحاقَ.

أَسْعَدُ بنُ أبى نَصْرِ بنِ أبى الفَضْلِ، أبو الفَتْحِ[(2)] المِيهَنِىُّ مَجْدُ الدِّينِ، أحدُ أئمَّةِ الشافِعيَّةِ، وصاحبُ «الطريقةِ فى الخِلافِ» المطرُوقَةِ، وقد درَّسَ بالنِّظامِيَّةِ ببغدادَ فى سنَةِ سَبْعٍ[(3)] وَخمسِمِائَةٍ إلى سنَةِ ثلاثَ عَشْرةَ[(4)] فعُزِلَ عنها، واشتُهِر

---

(1) فى خ، م: «عبد». وانظر ترجمته فى: تبيين كذب المفترى ص ٣٢١، والمنتظم ١٧/ ٢٧٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦١٠، والوافى بالوفيات ٦/ ٣٩٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٨.

(2) تقدمت ترجمته فى ص ٢٨٢.

(3) بعده فى خ، م: «عشرة». وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٣٣.

(4) فى خ، م: «وعشرين». وانظر المصدر السابق.

أصْحابُه هُنالك وبعُد صيتُه (١) وقد تقدَّم في سنةِ سبعَ عشْرَةَ(٢) أنه وَلِيها ، وأنه تُوفِّي في سنةِ ثلاثٍ وعشرينَ . وقال ابنُ خَلِّكانَ(٣) : تُوفِّي سنةَ سبعٍ وعشرين (١) .

الحسَنُ بنُ محمدِ بنِ إبْراهيمَ (٤) **بنِ أحمدَ بنِ عليٍّ ، أبو نصرٍ** (٤) **اليُونَارتِيُّ**(٥) ، مِن قُرى أصْبهانَ ، سمِع الحديثَ ، ورحَل وخرَّج ، وله تاريخٌ ، وكان يكتُبُ حسنًا ويقرَأُ فصيحًا ، تُوفِّي بأصْبهانَ في هذه السنَةِ ، واللَّهُ تعالَى أعلمُ .

ابنُ الزَّاغُونيِّ الحَنْبَليُّ ، عليُّ بنُ (٦) **عُبيدِ اللَّهِ** (٦) **بنِ نَصْرِ بنِ السَّرِيِّ الزَّاغُونِيُّ** ، الإمامُ الشَّهيرُ ، قرَأ القِراءاتِ وسمِع الحديثَ ، واشْتَغَل بالفِقْهِ والنحوِ واللغةِ ، وله المصنَّفاتُ الكثيرةُ في الأُصولِ والفُروعِ ، وله يَدٌ في الوعظِ ، واجْتَمَع الناسُ في جِنازتِه ، وكانت حافلةً جدًّا .

عليُّ بنُ يَعْلَى بنِ عوضٍ ، أبو القاسمِ العَلَوِيُّ الهرَوِيُّ(٧) ، سمِع « مُسْنَدَ أحمدَ » مِن ابنِ(٨) الحُصَينِ ، و« التِّرْمِذِيَّ » من أبي عامرٍ الأزْدِيِّ ، وكان يعِظُ

(١ - ١) في الأصل ، ص : « ثم كانت وفاته فيما ذكره ابن خلكان في هذه السنة ، رحمه اللَّه » .
(٢) تقدم في ص ٢٦٣ .
(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢٠٧.
(٤ - ٤) سقط من : خ ، م . وانظر ترجمته في : الأنساب ٥/ ٧١٠ - ٧١١، والمنتظم ١٧/ ٢٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٢١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٨٦، والوافي ١٢/ ٢١٥، وشذرات الذهب ٤/ ٨٠.
(٥) في م : « البورباري » .
(٦ - ٦) في خ ، م : « عبد اللَّه » . وانظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٥٤، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٥٤، والوافي بالوفيات ٢١/ ٢٩٤، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٨٠.
(٧) المنتظم ١٧/ ٢٧٩، والكامل ١١/ ٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٥٧، والوافي بالوفيات ٢٢/ ٣٣٣، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٨.
(٨) في خ ، م : « أبي » .

الناسَ بنَيْسابُورَ ، ثم قدِمَ بَغْدادَ فوعَظ بها ، فحصَل له القَبُولُ التامُّ مِن أهلِ بغدادَ ، وجمَع أمْوالًا وكتُبًا . قال ابنُ الجَوْزِيّ[1] : وهو أوَّلُ مَن سلكَنى فى الوَعْظِ ، وتكلَّمْتُ بينَ يدَيْه وأنا صغيرٌ ، وتكلَّمْتُ على الناسِ عندَ انْصِرافِه .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ يحيى ، أبو عبدِ اللَّهِ العُثْمانِىُّ الدِّيباجِىُّ[2] ، وكان ببَغْدادَ يُعرَفُ بالمَقْدِسِىِّ[3] ، تَفَقَّه ، وكان أشْعَرِىَّ الاعْتِقادِ ، ووعَظ الناسَ ببَغْدادَ ، قال ابنُ الجَوْزِىِّ[4] : سمِعتُه يُنشدُ فى مجلسِه قولَه :

دَعْ جُفُونى[5] يَحِقُّ لى أنْ أَنُوحَا ... لم تَدَعْ لى الذنُوبُ قلْبًا صحيحا

أخْلَقَتْ بَهْجَتِى أكُفُّ المعاصِى ... ونَعانِى المَشِيبُ نَعْيًا فصِيحا

كلّما قُلْتُ قد برَا [٩/٢٣٦و] جُرحُ قلْبِى ... عادَ قلْبِى مِن الذنوبِ جَرِيحا

إنَّما الفَوْزُ والنعيمُ لعَبْدٍ ... جاءَ فى الحشْرِ آمِنًا مُسْتَرِيحا

محمدُ بنُ محمدِ بنِ الحُسَيْنِ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ خلَفٍ ، [6]أبو خازمِ[6] ابنُ أبى يَعْلَى بنِ الفَرَّاءِ ، الفقيهُ ابنُ الفقيهِ ، وُلِد سنةَ سَبْعٍ وخَمْسِينَ وأرْبَعِمائةٍ ، سمِعَ الحديثَ ، وكان مِنَ الفُقَهاءِ الزاهدين الأخيارِ ، تُوفِّى فى صفَرٍ منها .

أبو محمدٍ ، عبدُ الجبَّارِ بنُ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ حَمْديسٍ الأزْدِىُّ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٧٩.

(٢) تبيين كذب المفترى ص ٣٢١، والمنتظم ١٧/ ٢٧٩، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٤، والوافى بالوفيات ٢/ ١٥٩، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٨٨.

(٣) فى المنتظم : « القدسى » .

(٤) المنتظم ١٧/ ٢٧٩، ٢٨٠.

(٥) فى خ ، م : « دموعى » .

(٦ - ٦) فى خ ، م : « ابن حازم » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٨١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٠٤، والوافى بالوفيات ١/ ١٦٠، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٨٤، وشذرات الذهب ٤/ ٨٢.

الصِّقِلِّىّ الشاعِرُ المشْهورُ[1] ، أورَد له ابنُ خَلِّكانَ أشْعارًا رائقةً ، فمنْها قولُه[2] :

قُمْ هاتِها مِن كفِّ ذاتِ الوِشاحْ فقدْ نَعَى الليلَ بشيرُ الصَّباحْ

باكِرْ إلى اللَّذَّاتِ وارْكبْ لها سَـوابِـقَ الـلَّـهْـوِ ذواتِ المِراحْ

مِن قبلِ أنْ تَرشُفَ شمسُ الضُّحا رِيقَ الغَوادِى من ثُغورِ الأقاحْ[3]

ومن جملةِ معانِيه النادرةِ[4] .

زادَتْ على كحَلِ الجفُونِ تكَحُّلًا ويُسَمُّ نَصْلُ السهمِ وهْو قَتُولُ

---

(١) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ٧/ ٣٢٠، وخريدة القصر (قسم شعراء المغرب) ٢/ ١٩٤، والمطرب من أشعار أهل المغرب ص ٥٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٢١٢، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٥٣.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢١٣. وانظر ديوانه ص ٨٩.

(٣) الأقاحى : جمع مفرده الأقحوان : نبت زهره أصفر أو أبيض . الوسيط (أقحوان) .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٢١٤. وانظر ديوانه ص ٥٥٨.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وعشرين وخمسمائةٍ

فيها[1] اصْطَلَح الخليفةُ وزَنْكِى . وفيها فتَح زَنْكِى قِلاعًا كثيرةً ، وقتَل خلقًا مِنَ الفِرنْجِ . وفيها فتَح شمسُ الملُوكِ [2]شَقيفَ تِيرُونَ[2] ، ونهَب بلادَ الفِرنْجِ .

وفيها قدِمَ سَلجوقْ شَاه بغْدادَ ، فنزَل بدارِ المَمْلَكةِ ، وأكْرَمه الخليفةُ وأرسَل إليه عشَرَةَ آلافِ دِينارٍ ، ثم قدِمَ السلطانُ مسعودٌ ، وأكثرُ أصْحابِه رِكابٌ على جِمالٍ لقِلَّةِ الخيلِ .

وفيها تولَّى إمْرَةَ بَنى عَقِيلٍ أوْلادُ سُليمانَ بنِ مُهارِشٍ العَقِيلىِّ ؛ إكْرامًا لجَدِّهم .

وفيها أُعِيدَ ابنُ طِرادٍ إلى الوزارةِ ، وفيها خُلِعَ على إقْبالٍ المُسْتَرْشِدِىِّ خِلَعَ الملُوكِ ، ولُقِّبَ ملِكَ العرَبِ سيفَ الدولةِ ، وركِب فى الخِلَعِ وحضَر الديوانَ كذلك . وفيها قَوِىَ أمرُ الملكِ طُغْرُلَ ، وضَعُفَ أمرُ الملكِ مسعودٍ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أَحمدُ بنُ علىِّ بنِ إبْراهيمَ ، أبو الوَفاءِ الفِيرُوزَاباذِىُّ[3] ، أحدُ مشايخِ الصوفِيَّةِ ، سكَن رِباطَ الزَّوْزَنِىِّ ، وكان كلامُه يُسْتَحْلَى ، وكان يحفَظُ مِن سِيَرِ

---

(1) المنتظم ١٧/ ٢٨٢، والكامل ١١/ ١١.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « السعيف وبيروت » . وفى خ : « الشقيف وبيروت » ، وفى م : « الشقيف تيروت » . والمثبت من الكامل ١١/ ١١، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٤٧. والشقيف كالكهف . وشقيف تيرون : حصن وثيق بالقرب من صور . معجم البلدان ٣/ ٣٠٩.

(3) المنتظم ١٧/ ٢٨٤، ضمن وفيات سنة سبع وعشرين ، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٤٨، والوافى بالوفيات ٧/ ١٨٥، ومرآة الجنان ٣/ ٢٥٣، وشذرات الذهب ٤/ ٨٢.

الصوفيّةِ أخبارِهم وأشْعارِهم شيئًا كثيرًا .

أبو عليٍّ الفارِقِيُّ ، الحسَنُ بنُ إبراهيمَ بنِ بَرْهُونَ[1] ، **أبو عليٍّ الفارِقِيُّ** ، وُلِدَ سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ وأرْبَعِمائةٍ ، وتفقَّه بها على أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ بيَانٍ الكازَرُونيِّ صاحبِ المَحامِلِيِّ ، ثم على الشيخِ أبى إسحاقَ ، وابنِ الصَّبَّاغِ ، وسمِع الحديثَ ، وكان يُكرِّرُ على « المُهذَّبِ » ، و« الشاملِ » ، ثم وَلِى القضاءَ بوَاسِطٍ ، وكان حسنَ السيرةِ ، جيدَ السرِيرَةِ ، مُمَتَّعًا بحواسِّه وعقلِه ، إلى أنْ تُوفِّى فى محرَّمِ هذه السنَةِ عن ستٍّ وتِسعينَ سنةً .

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ الحسينِ[2] ، أبو محمدِ بنُ أبى بَكْرٍ الشَّاشِيُّ ، سمِع الحديثَ وتفَقَّهَ على أبيه ، وناظَر وأفْتَى ، وكان فاضلًا ، واعِظًا ، فصِيحًا مُفَوَّهًا ، شكَر ابنُ الجوْزِىِّ مِن وعْظِه وحُسْنِ نظْمِه ونثْرِه ولفْظِه .

تُوفِّى فى المُحَرَّمِ وقد قارَب الخمسين ، رَحِمه اللَّهُ ، ودُفِن عندَ أبيه .

محمدُ بنُ[3] **أحمدَ بنِ عليٍّ** ، [4]**أبو بكرٍ**[4] **القَطّانُ** ، ويعْرَفُ بابنِ الحلّاجِ البَغْدادِيُّ ، سمِع الحديثَ ، وقرَأ [٩/٢٣٦ظ] القُرآنَ ، وكان خَيِّرًا زاهدًا عابدًا ، يُتَبَرَّكُ بدُعائِه ، ويُزارُ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) فى م : « مرهون » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٨٥، والكامل ١١/ ١٧، ووفيات الأعيان ٢/ ٧٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٠٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٥٧.

(٢) فى م ، والكامل ١١/ ١٨: « الحسن » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٧٦، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ١٤٩، والوافى بالوفيات ١٧/ ٤٢٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٢٧.

(٣) بعده فى الأصل، ص: « على بن ». وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٦٩.

(٤ - ٤) فى النسخ : « بن أبى بكر » . والمثبت من تاريخ الإسلام .

محمدُ بنُ عليِّ بنِ عبدِ الواحدِ الشافِعيُّ، أبو رشيدٍ[1] ، مِن أهلِ آمُلَ طَبَرِسْتَانَ ، وُلِدَ سنةَ سبعٍ وثلاثيـنَ وأرْبَعِمائةٍ ، وحجَّ وأقامَ بمَكَّةَ ، وسمِع الحديثَ ، وروَى شَيْئًا يَسِيرًا ، وكان زاهدًا مُنْقَطِعًا عن الناسِ ، مُشْتَغلًا بنفْسِه ، ركِبَ مرةً[2] مع تجارٍ في البحرِ ، فأوفَوا على جزيرةٍ ، فقال : دَعُونى فى هذه أعبُدِ اللَّهَ فيها ، فَمانَعُوه ، فأبَى إلَّا المُقامَ بها ، فترَكُوه وساروُا ، فرَدَّتهمُ الريحُ إليه ، فراوَدُوه على المسيرِ مَعَهم ، فامتنَع ، فساروا ، فرَدَّتْهمُ الريحُ إليه ، فراودُوه فامتنَع ، فساروا ، فرَدَّتْهمُ الريحُ إليه ، فقالُوا : إنَّه لا يمكِنُ أن نسيرَ إلَّا بكَ ، وإذا أرَدْتَ المُقامَ بها فارْجِعْ إليها . فسار معهم ، ثم رجَع إليها فأقام بها مدةً ، ثم ترحَّلَ عنها - ويقالُ[3] : إنَّه كان بها ثُعْبانٌ يَبْتَلِعُ الإنْسانَ ، وبها عَيْنُ ماءٍ يَشْربُ منها ويتوَضَّأُ - ثم رجَع إلى بلدِه آمُلَ ، فمات بها فى هذا العامِ ، وقبرُه مشهورٌ يُزارُ .

أُمُّ الخليفةِ المُسْتَرْشِدِ[4] ، تُوفِّيَتْ ليلةَ الاثنينِ بعدَ العَتَمَةِ تاسِعَ عشَرَ شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٨٩، والكامل ١١/ ١٨، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٧١، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٥٤.

(٢) المنتظم ١٧/ ٢٨٩.

(٣) المنتظم ١٧/ ٢٨٩.

(٤) المنتظم ١٧/ ٢٩٠، والكامل ١١/ ١٧، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٥٢.

ثم دخلتْ سنَةُ تِسْعٍ وعشرين وخَمْسِمائةٍ

فيها[1] كانتْ وفاةُ المُسْتَرْشِدِ ووِلايَةُ الراشدِ ، وكان سببَ ذلك أنَّه كان بينَ السلطانِ مسعودٍ وبينَ الخليفةِ وقائعُ كَثيرةٌ ، فاقْتَضى الحالُ أنَّ الخليفةَ أرادَ قَطْعَ الخُطْبةِ له مِن بَغْدادَ ، فاتَّفقَ موتُ أخيه طُغْرُلَ بنِ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه ، فسار إلى البلادِ فملَكها ، وقوِى جانبُه ، ثم شرَع يجمعُ العساكِرَ ؛ ليأْخُذَ بَغْدادَ من يدِ الخليفةِ ، فلمَّا علِم الخليفةُ بذلك انْزَعج واستعدَّ لذلك ، وقفَز جماعةٌ مِن رُءوسِ الأمراءِ إلى الخليفةِ ؛ خوْفًا على أنفُسِهم مِن سطْوَةِ المَلِكِ مسعودٍ ، وركِب الخليفةُ مِن بَغْدادَ فى جَحافِلَ كثيرةٍ ، فيهمُ القضاةُ ورءوسُ الدولةِ من جميعِ الأصْنافِ ، فمشَوْا بينَ يدَيْه أوَّلَ منزلِه حتى وصَل إلى السُّرادِقِ ، وبعَث بينَ يدَيْه مُقَدِّمَةً ، وأرسَل الملكُ مسعودٌ على مقدِّمتِه دُبيسَ بنَ صَدقةَ بنِ منصورٍ ، الذى كان صاحبَ الحِلّةِ ، فجرَتْ خطوبٌ كبيرةٌ ، وحروبٌ كثيرةٌ . وحاصلُ الأمرِ أنَّ الجيشَيْنِ الْتقَيا فى عاشرِ رمضانَ يومَ الاثنينِ فاقْتَتلُوا قِتالًا كثيرًا ، ولم يُقتَلْ بين الصفَّيْنِ سِوَى خمسةِ أَنفُسٍ ، ثم حمَل الخليفةُ على جيشِ الملكِ مسعودٍ فهزَمهم . ثم تراجَعُوا ، فحمَلُوا على جيشِ الخليفةِ ، فهَزُموهم وقتَلُوا منهم خلقًا ، وأسَرُوا الخليفةَ ، ونُهِبتْ أموالُه وحواصِلُه ، مِن جملةِ ذلكَ أربعةُ آلافِ ألفِ دينارٍ ، وغيرُ ذلك مِنَ الثيابِ والخِلَعِ والأثاثِ والقُماشِ والماعونِ ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجِعونَ . وطار الخبَرُ فى الأقاليمِ ، وحينَ بلَغَ الخبرُ إلى بَغْدادَ انْزعَج الناسُ

(١) المنتظم ١٧/ ٣٠٠، والكامل ١١/ ٢٧، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٩٢.

لذلك ، وزُلْزِلُوا زِلْزالًا شديدًا ، صُورَةً ومَعْنًى ، وجاءَتِ العامَّةُ إلى المنابرِ ، فكسَرُوها وامْتَنعُوا مِن حضُورِ الجماعاتِ ، وخرَج النساءُ فى البلدِ حاسِراتٍ يَنُحْنَ على الخليفةِ ، وما جَرَى عليه مِن الأسْرِ ، وتأسَّى بأهْلِ بَغْدادَ فى ذلك خَلْقٌ كثيرٌ مِن أهلِ البلادِ ، وتمَّتْ فتنةٌ كبيرةٌ ، وانْتَشرَتْ فى الأقاليمِ ، واستمَرَّ الحالُ على ذلك إلى مُستهَلِّ شهرِ ذى القَعْدَةِ [٢٣٧/٩و]والشناعَةُ فى الأقاليمِ مُنْتَشرةٌ ، فكتَب الملكُ سَنْجَرُ إلى ابنِ أخيه يحذِّرُه غِبَّ ذلك ، ويُبَصِّرُه بما وقَع مِنَ الأمْرِ العظيمِ والخَطْبِ الجسيمِ ، ويأمرُه أنْ يُعيدَ الخليفةَ إلى مُسْتَقَرِّ عزِّه ودارِ خلافَتِه ، فامْتثَل المَلِكُ مسعودٌ ذلك ، وضُرِبَ للخليفةِ سُرادِقٌ عظيمٌ ، ونُصِبَ له فيه قُبَّةٌ عظيمةٌ تحتَها سريرٌ هائلٌ ، وأُلبِسَ الخليفةُ السَّوادَ على عادتِه ، وأُركِب بعضَ ما كان يرْكَبُه مِن مَراكِبِه . وجاء المَلِكُ مسعودٌ ، فقبَّل الأرضَ بيـنَ يديهِ ، وأمْسَك لجامَ الفرَسِ ، وتمشَّى فى خِدْمَتِه والجيشُ كلُّهم مُشَاةٌ حتى أُجْلِس الخليفةُ على سريرِه ، ووقَف الملكُ مسعودٌ بيـنَ يدَيْه ، وخلَع الخليفةُ عليه ، وجِيءَ بدُبَيسٍ مكْتُوفًا وعن يمينِه أمِيران ، وعن يَسارِه أميرانِ ، وسيفٌ مسْلولٌ وشُقَّةٌ بيضاءُ ، فطُرِح بيـنَ يَديِ الخليفةِ ؛ ماذا يرسُمُ فيه تَطْييبًا لقلبِه ، فأقبَل السلْطانُ يَشفَعُ فى دُبَيسٍ وهو مُلْقًى يقولُ : العفوَ يا أميرَ المؤمنيـنَ ، أنا أخطَأْتُ والعفوُ عندَ المَقْدِرَةِ . فأمَر الخليفةُ بإطْلاقِهِ وهو يقولُ : لا تَثْرِيبَ عليكمُ اليومَ . فنهَض قائمًا والتمَس أنْ يقبِّلَ يدَ الخليفةِ فأَذِنَ له فقبَّلَها ، وأمَرَّها على صَدْرِه ، وسأَلَ العَفْوَ عنه وعمّا كان منه ، واستقرَّ الأمرُ على ما ذكَرنا ، وطار هذا الخَبَرُ فى الآفاقِ ، وفرِحَ الناسُ بذلك ، وطابت قلوبُهم . فلمّا كان مُستهَلُّ ذى القَعْدَةِ[1] جاءَتِ الرسلُ مِن جهَةِ

---

(١) فى النسخ ، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٩٣: «ذى الحجة» . والمثبت من المنتظم ١٧/ ٢٩٨.

الملكِ سَنجَرَ إلى ابنِ أخيه يسْتَحِثُّه على الإحسانِ إلى الخليفةِ ، وأنْ يبادِرَ إلى سُرْعَةِ ردِّه إلى وطنِه ، وأرسَل مع الرسُلِ جيْشًا ؛ ليكُونُوا فى خِدمةِ الخليفةِ إلى بَغْدادَ ، فصَحِب الجيشَ عشَرَةٌ مِن الباطِنِيَّةِ ، فقيل : من حيثُ لا يَشْعُرون . وقيل : بل كانوا مُجهَّزِينَ . فاللَّهُ أعلمُ ، إلا أنَّهم حالةَ وصولِهم إلى هنالِك حمَلوا على الخليفةِ فى خَيْمَتِه ، فقَتلوه فيها وقطَّعُوه قِطَعًا ، فلم يلْحَقِ الناسُ منه إلا الرُّسومَ ، وقتَلُوا معه جماعةً مِن أصْحابِه ؛ مِنهم عبدُ اللَّهِ ابنُ سُكَيْنَةَ ، فأُخِذ أولئكَ الرهطُ فأُحْرِقُوا ، قبَّحَهُم اللَّهُ ، وسارت بذلك الرُّكبانُ فى البلدانِ ، فما مِن أهلِ بلدةٍ إلا وهم أشدُّ حَزَنًا على الخليفةِ المسترشدِ مِن الأخرى ، لا سيَّما أهلَ بغدادَ ، وخرَجتِ النساءُ فى الطرقاتِ ينُحنَ عليه ويندُبْنَه ، وقد ذكَر أبو الفرجِ ابنُ الجوزىِّ[1] ما كُنَّ يَقُلْنَه مِن النِّياحةِ على الخليفةِ ، رحِمه اللَّهُ ، وكان مَقْتَلُه على بابِ مَراغةَ فى يومِ الخميسِ سابعَ عشَرَ ذى القَعدةِ ، فحُمِل إلى بغدادَ ، ولما استقرَّ خبرُ موتِه ببغدادَ عُمِل له العزاءُ ثلاثةَ أيامٍ بعدَما بُويع لولدِه الراشدِ .

ذكرُ شىءٍ مِن ترجمةِ المسترشدِ[2] ، رحِمه اللَّهُ

كان المسترشدُ ، شُجاعًا مِقْدامًا بعيدَ الهِمَّةِ ، فصيحًا بليغًا ، عذْبَ الكلامِ حسنَ الإيرادِ ، مليحَ الخطِّ ، كثيرَ العبادةِ ، محبَّبًا إلى العامَّةِ والخاصَّةِ ، وهو آخرُ خليفةٍ رُئِى خطيبًا ، قُتِل وعمرُه ثلاثٌ وأربعونَ سنةً ، وثلاثةُ أشهرٍ ، وكانتْ مدةُ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٩٩.

(٢) الإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٢١، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/ ٢٩، والكامل ١١/ ٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٦١، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٥٧.

خلافتِه سَبْعَ عشْرَةَ سنةً وستَّةَ أشهرٍ وعشْرِينَ يومًا، وكانت أُمُّه أمَّ وَلَدٍ من الأَتْراكِ.

خِلافةُ [٩/٢٣٧ظ] **الرّاشِدِ باللَّهِ أبى جعفرٍ، منْصورِ بنِ المسترشِدِ.**

كان أبوه قد أخَذ له العهدَ، ثم أرادَ أن يخْلَعَه فلم يقْدِرْ على ذلك؛ لأنه لم يُقَدَّرْ. فلمَّا قُتِل أبوه بباب مَراغَةَ فى يومِ الخميسِ السابعَ عشَرَ مِن ذى القَعْدَةِ مِن سنةِ تسعٍ وعِشْرِينَ وخمسِمائةٍ، كما ذكَرنا، كان هو ببغدادَ، فلمّا جاء خبرُه إليها بايعَه الأمراءُ والأعْيانُ، وخُطِب له على المنابرِ ببغدادَ وسائرِ البلادِ، وكان إذْ ذاكَ كبيرًا له أولادٌ، وكان أبيضَ، جسِيمًا حسنَ اللونِ، فلمَّا كان يومُ عرَفَةَ مِن هذه السَّنةِ جِىءَ بالمسترشِدِ - قد نُقِل من هناك إلى بغدادَ - فصَلَّى عليه ببَيْتِ النُّوبةِ، وكثُر الزحامُ، وخرَج الناسُ لصلاةِ العيدِ مِن الغَدِ وهم فى حزنٍ شديدٍ على المسترشِدِ، رحِمه اللَّهُ، وقد ظهَر الرفضُ قليلًا فى أوَّلِ أيامِ الراشدِ.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ الحسينِ بنِ عمرَ، أبو المُظفَّرِ بنُ أبى بكرٍ الشَّاشىُّ[1]، تفقَّه بأبيه، واخترَمته المَنِيَّةُ بعدَ أخيه، ولم يَبْلُغْ سنَّ الروايةِ.

إسماعيلُ بنُ [2]عبدِ المَلِكِ[2] بنِ علىٍّ، أبو القاسمِ الحاكمىُّ، تفَقَّهَ بإمامِ الحرَمَيْنِ، وكان رفيقَ الغَزَّالىِّ فى الاشتغالِ، وأسنَّ منه، فلهذا كان الغزّالىُّ يحْتَرِمُه ويُكرِمُه، وكان فقيهًا بارِعًا، وعابدًا ورِعًا. كانت وفاتُه فى هذه السنةِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٠٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٤٥، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٨٧.

(٢ - ٢) فى م: «عبد اللَّه». وانظر ترجمته فى: تاريخ دمشق ٩/ ١٨، والمنتظم ١٧/ ٣٠٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٦، والوافى بالوفيات ٩/ ١٥٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٤٧.

بطُوسَ ، ودُفِنَ إلى جانبِ الغَزّالِيِّ ، رحِمهما اللَّهُ .

دُبَيسُ بنُ صدقةَ بنِ مَنْصُورِ بنِ دُبَيسِ بنِ عليِّ بنِ مَزْيَدٍ ، أبو الأَغَرِّ الأَسَدِيُّ الأميرُ[1] ، مِن بيتِ الإمْرَةِ وسادةِ الأعْرابِ ، كان شُجاعًا بطَلًا ، فعَل الأفاعِيلَ وتَمزَّقَ فى البلادِ مِن خوفِه مِنَ الخليفةِ ، ثم اسْتُرْضِىَ عنه الخليفةُ المسترشِدُ ، كما ذكَرنا ، فلمَّا قُتِلَ الخليفةُ عاشَ بعدَه أربعةً وثلاثينَ يومًا . ثم اتُّهِمَ عندَ السلطانِ مسعودٍ بأنَّه قد كاتَب زَنْكِي يَنهاه عنِ القُدومِ على السلطانِ ، ويأمُرُه أن ينْجُوَ بنفْسِه ، فبعَث إليه السلطانُ غُلامًا أرْمَنِيًّا ، فوجَده مُنَكِّسًا رأسَه يُفكِرُ فى أمرِه ، فما كلَّمه حتى شهَر سيْفَه ، وضرَبَه به فأَبان رأسَه عن جثَّتِه ، ويقالُ : بلِ اسْتَدْعاه السلطانُ إليه ، فقَتله صَبْرًا بينَ يدَيْهِ ، فاللَّهُ أعلمُ .

طُغْرُلُ السلطانُ ابنُ السلطانِ محمدِ بنِ مَلِكْشاه[2] ، تُوفِّى بهَمَذانَ يومَ الأربعاءِ ثالثَ المحرَّمِ مِن هذه السنةِ .

عليُّ [3]بنُ الحسنِ الدَّرْزِيجانيُّ[3] كان عابدًا زاهدًا ، حكَى ابنُ الجَوْزِيِّ[4] عنه أنَّه كان يقولُ بأنَّ القدرَةَ تتعَلَّقُ بالمستحيلِ ، ثم أُنكِر عليه ذلك ، وعُذِر بجهلِه وعدمِ تعقُّلِه لِمَا يقولُ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٠٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٦٣، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦١٢، والعبر ٤/ ٧٨، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٥٦.

(٢) المنتظم ١٧/ ٣٠٣، والكامل ١١/ ١٩، والمختصر فى تاريخ البشر ٣/ ٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٧٤، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٩.

(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « أبو الحسن الروريجانى » ، وفى خ : « بن محمد الزوزجانى » . وفى م : « بن محمد النروجانى » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ٣٠٣.

(٤) المنتظم ١٧/ ٣٠٣.

الفَضْلُ أبو منصورٍ أميرُ المؤمنيـنَ المسترشِدُ باللَّهِ[1] ، كان مِن خِيارِ الخلفاءِ العباسيِّين ، شهمًا شجاعًا ، يباشِرُ الحروبَ بنفسِه ، وقد أسْلَفنا ذلك فيما تقدَّم . قتَلَتْه الباطنيةُ ببابِ مَراغَةَ يومَ الخميسِ السابعَ عشَرَ مِن ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ ، ثم نُقِل إلى بغدادَ فدُفِن بها ، رحِمه اللَّهُ وبَلَّ بالرحمةِ ثَراه ، وجعَل الجنةَ منزلتَه ومأواه .

---

(١) الإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٢١، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/ ٢٩، والكامل ١١/ ٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٦١، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٥٧.

ثم دخَلَتْ سنَةُ ثلاثيـنَ وخمسِمائةٍ

فيها[1] وقَع بيـنَ الخليفةِ الراشدِ وبيـنَ السلطانِ مسعودٍ ، بسبَبِ أنَّه أرسَل إلى الخليفةِ يطلُبُ منه ما كان كتَب له والدُه المسترشِدُ حِيـنَ أسرَه ؛ الْتزَمَ له بأربعِمائةِ ألفِ دينارٍ ، [٩/٢٣٨و] فامتنَع مِن أداءِ ذلك وقال : ليس بينَنا وبينَكم إلا السيفُ . فوقَع بينَهما الخُلْفُ ، فاسْتَجاش السلطانُ العساكرَ ، واسْتَنهَض الخليفةُ الأُمراءَ ، وأرسَلَ إلى عمادِ الدينِ زَنْكِى فجاء ، والْتَفَّ عليه خلائقُ ، وجاء فى غُبونِ ذلك السلطانُ داودُ بنُ محمودِ بنِ محمدِ بنِ مَلِكْشاه ، فخطَب له الخليفةُ ببغدادَ ، وخلَع عليه وبايَعه على المُلكِ ، فتأكَّدَتِ الوَحْشَةُ بيـنَ السلطانِ والخليفةِ جدًّا ، وبرَز الخليفةُ إلى ظاهرِ بغدادَ ، ومشَى الجيشُ بيـنَ يَدْيه ، كما كانوا يعامِلُونَ بِهِ أباه قبلَه ، وذلك يومَ الأربعاءِ سَلْخَ شعبانَ ، وخرَج السلطانُ داودُ مِن جانبٍ آخرَ ، فلمَّا بلَغهم كثرةُ جيوشِ السلطانِ مسعودٍ حسَّنَ عمادُ الدينِ زَنْكِى للخليفةِ أن يذْهبَ معه إلى بلادِ المَوْصِلِ . واتَّفَقَ دخولُ السلطانِ مسعودٍ إلى بغدادَ فى غَيْبَتِهم يومَ الاثنينِ رابعَ شَوَّالٍ ، فاسْتَحوذ على دارِ الخلافةِ بما فيها جميعِه ، ثم اسْتَخلَص مِن نساءِ الخليفةِ وحَظاياه الحُلِيَّ والمَصاغَ والثيابَ التى للزِّينَةِ ، وغيرَ ذلك ، وجمَع القضاةَ والفقهاءَ ، وأبْرَزَ لهم خطَّ الراشدِ أنَّه متى خرَج مِن بغدادَ لقتالِ السلطانِ فقد خلَع نفسَه مِنَ الخلافةِ ، فأفْتَى مَن أفْتَى مِن الفقهاءِ بخَلْعِه ، فخُلِعَ فى يومِ الاثنينِ سادِسَ عشَرَ شهرِ ذى القَعْدَةِ بحُكْمِ الحاكمِ ، وفُتْيا أكثرِ الفقهاءِ ،

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٠٥، والكامل ١١/ ٣٥.

وكانت خلافَتُه أحَدَ عشَرَ شهرًا ، وأحَدَ عَشَرَ يومًا ، واسْتَدعَى السلطانُ بعمِّه المُقْتَفِى بنِ المستظهرِ فبُويعَ بالخِلافَةِ ؛ عِوَضًا عن ابنِ أخيه الراشدِ باللَّهِ .

خِلافَةُ المُقْتَفِى لأمْرِ اللَّهِ أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ المُسْتَظْهِرِ باللَّهِ .

وأمُّه صفراءُ تسمَّى نسيمَ ، ويقالُ لها : ستُّ السَّادةِ ، وله مِن العُمرِ يومَئذٍ أربعونَ سنةً ، بُويعَ بالخلافةِ بعدَ خلعِ الراشدِ بيَوْمَيْن ، وخُطِب له على المنابرِ يومَ الجُمعَةِ العِشرينَ مِن ذى القَعدَةِ ، ولُقِّبَ بالمُقْتَفِى ؛ لأنَّه يُقالُ[1] : إنَّه رأى النبىَّ ﷺ ، وهو فى المنامِ وهو يقولُ له : سَيصِلُ هذا الأمْرُ إليكَ فاقْتَفِ بى . فصار إليه بعدَ ستةِ أيامٍ ، فلُقِّبَ بذلك لذلك .

فائدةٌ حسنَةٌ ينْبَغِى التَّنبيهُ عليها

وَلِىَ المُقْتَفِى والمسترشِدُ الخِلافةَ وكانا أخوَين ، وكذلك السَّفَّاحُ والمنصورُ ، وكذلك الهادِى والرشيدُ ، ابنا المَهْدِىِّ ، وكذلك الواثِقُ والمُتَوكِّلُ ابنا المُعْتَصِمِ أخَوان ، وأمّا ثلاثةُ إخْوَةٍ فالأمينُ والمأمونُ والمعتصِمُ بنُو الرشيدِ ، والمُنْتَصِرُ والمُعْتَزُّ والمعتمدُ بنُو المتوكِّلِ ، والمُكْتَفى والمُقْتَدِرُ والقاهِرُ بنُو المُعْتَضِدِ ، والرّاضِى والمُقْتَفِى والمُطِيعُ بنُو المقتدِرِ ، وأمَّا أربعةُ إخْوَةٍ فلم يكُنْ إلا فى بَنِى أُمَيَّةَ ، وهم الوليدُ وسُليمانُ ويزيدُ وهِشامٌ بنُو عبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ . ولمَّا استقرَّ المُقْتَفِى فى الخلافةِ استمرَّ الراشدُ ذاهبًا إلى المَوْصِلِ صُحْبَةَ صاحبِها عمادِ الدِّينِ زَنْكِى ، فدخَلها فى ذى الحجَّةِ مِن هذه السنَةِ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣١٤.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

محمدُ بنُ حَمُّويةَ بنِ محمدِ بنِ حَمُّويةَ ، أبو عبدِ اللَّهِ الجُوَيْنىُّ[1] ، روى الحديثَ وكان صدُوقًا ، مشْهُورًا بالعلمِ والزهدِ ، وله كراماتٌ ، دخَل إلى بلدٍ فلمَّا ودَّعَهم أنشَدَهم[2] :

لَئِنْ كان لى مِن بعدُ عَوْدٌ إليْكُمْ   قَضَيْتُ لُبَاناتِ الفُؤادِ لديْكمُ
وإنْ تَكُنِ الأُخْرى [٢٣٨/٩ظ] وفى الغَيْبِ عِبرةٌ   وحالَ قَضاءٌ فالسَّلامُ عليكمُ

محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ حبيبٍ ، أبو بكرٍ العامِرِىُّ[3] ، المعروفُ بابنِ الخَبّازةِ ، سمِع الحديثَ ورحَل فى طلَبِه ، وكانت له معرفةٌ بالفقهِ والحديثِ ، وقد شرَح كتابَ « الشِّهابِ » . وكان يعِظُ الناسَ على طريقةِ التصوُّفِ ، وكان ابنُ الجَوْزىِّ فيمَن تأدَّبَ به ، وقد أثْنَى عليه ، ومِن شعرِه[4] :

كيف احْتِيالى وهذا فى الهوَى حالى   والشَّوْقُ أمْلَكُ لى مِن عَذْلِ عُذَّالى
وكيف أسْلُو وفى حُبِّى له شُغُلٌ   يَحُولُ بينَ مُهمَّاتِى وأشْغالِى

وقد ابْتنَى[5] رِباطًا ، فكان عندَه جماعةٌ مِنَ المُتَعبِّدِينَ والزُّهَّادِ ، ولمَّا احتُضِرَ أوْصاهم بتَقْوَى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، والإخلاصِ ، ثم شرَع فى النَّزْعِ ، وعرِقَ جَبِينُه فمَدَّ يدَه ثم قال :

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣١٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٩٧، والعبر ٤/ ٨٣، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٨، وشذرات الذهب ٤/ ٩٥.
(٢) المنتظم ١٧/ ٣١٧.
(٣) المنتظم ١٧/ ٣١٧، والكامل ١١/ ٤٦، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ١٦٠، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٤٩.
(٤) الأبيات فى : المنتظم ١٧/ ٣١٨، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ١٦٠، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٤٩.
(٥) المنتظم ١٧/ ٣١٨.

ها قَدْ بسَطْتُ يَدِى إليكَ فرُدَّها   بالفَضْلِ لا بشَماتَةِ الأعداءِ[1]

ثم قال : أرَى المشايخَ بينَ أيْدِيهِمُ الأطْباقُ وهم ينْتَظِرُونَنى . ثم ماتَ ، وذلك ليلةَ الأرْبعاءِ نصفَ رمضانَ ، ودُفِنَ برِباطِه ، ثم غرِق رباطُه وقبرُه فى سنةِ أربعٍ وخمسين وخمسِمائةٍ ، رحِمه اللَّهُ .

محمدُ بنُ الفَضْلِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أبى العباسِ ، أبو عبدِ اللَّهِ الصاعِدِىُّ الفُراوِىُّ[2] ، كان أبوه مِن ثَغْرِ فُراوةَ[3] ، وسكَن نَيْسَابُورَ ، فوُلِدَ له بها محمدٌ هذا ، وقد سمِع الحديثَ الكثيرَ على جماعةٍ مِن المشايخِ بالآفاقِ ، وتفَقَّه وأفْتَى وناظَرَ ووعَظ ، وكان ظريفًا ، حسَنَ الوَجْهِ ، جميلَ المُعاشَرَةِ ، كثيرَ التبَسُّم ، وأمْلَى أكثرَ مِن ألفِ مجلسٍ ، ورحَل إليه الطلبةُ مِن الآفاقِ حتى كان يقالُ[4] : الفُراوِى ألفُ راوِى . وقيلَ[4] : إنَّ ذلك كان مكْتُوبًا فى خاتَمِه . وقد أسمَعَ « صحيحَ مسلمٍ » قريبًا مِن عشرين مرَّةً .

تُوفِّى فى شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ عن تسعينَ سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) قال ابن الجوزى فى المنتظم : وهذا البيت لأبى نصر القشيرى تمثل به شيخنا هذا .

(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٢٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦١٥، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٦٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٢٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٦٦.

(٣) فراوة : بليدة من أعمال نسا ، بينها وبين دهستان وخوارزم . معجم البلدان ٣/ ٨٦٦.

(٤) المنتظم ١٧/ ٣١٩.

ثم دخلَتْ سنَةُ إحْدَى وثلاثيـنَ وخمسِمائةٍ

فيها[1] كثُرَ موتُ الفجْأَةِ بأَصْبهانَ ، فمات ألوفٌ مِنَ النّاسِ ، وأُغلِقتْ دورٌ كثيرةٌ .

وفيها تزوَّجَ الخليفةُ بالخاتُونِ فاطمةَ بنتِ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه ، على صداقِ مائةِ ألفِ دينارٍ ، فحضَر أخوها السلطانُ مسعودٌ العقدَ وجماعةٌ مِن أعْيانِ الدولةِ ، والوزراءُ والأمراءُ ، ونُثِر على الناسِ أنْواعُ النِّثارِ .

وفيها صام أهلُ بغدادَ رمضانَ ثلاثينَ يومًا ولم يَرَوُا الهِلَال ليلةَ إحْدَى وثلاثينَ ، مع كَوْنِ السماءِ كانت مُصْحِيَةً .

قال ابنُ الجَوْزِيِّ[2] : وهذا شيءٌ لم يقَعْ مثلُه .

وفيها هرَب وزيرُ صاحبِ مصرَ ، وهو تاجُ الدولةِ بَهْرامُ النَّصْرانيُّ ، وقد كان تمكَّنَ فى البلادِ وأساء السيرةَ ، فتطَلَّبه الخليفةُ الحافِظُ حتى أخَذَه فسجَنه ، ثم أطْلَقَه فترَهَّبَ وترَك العملَ ، فاسْتَوزَرَ بعدَه رِضْوانَ بنَ الزَّنْجِيِّ[3] - ولقَّبه المَلِكَ الأفضلَ ، ولم يُلَقَّبْ وزيرٌ بذلك قبلَه ، ثم وقَع بينَه وبينَ الحافظِ ، فلم يَزَلْ به

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٢١، والكامل ١١/ ٤٧.

(٢) المنتظم ١٧/ ٣٢٤.

(٣) فى خ : « الوكى » ، وفى م ، والكامل : « الريحينى » ، وفى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١- ٥٤٠هـ) ص ٢٠١: « الوبخشى » ، وفى نهاية الأرب ٢٨/ ٣٠٢: « لولخشى » ، وفى المختصر فى أخبار البشر : « الوكحشى » . وفى إحدى نسخ الكامل : « الولحشى » ، وكتب فى الهامش : « الزنجى » ، وعليه علامة الصحة .

الخليفةُ حتى قتَله ، واشتغَل بتَدْبِيرِ أمورِه وحدَه .

وفيها ملَك عمادُ الدينِ زَنْكِى عِدَّةَ بلادٍ . وفيها ظهَر بالشامِ سَحابٌ أسودُ أظلَمَتْ له الدُّنيا ، ثم ظهَر بعدَه سحابٌ أحمرُ كأنَّه نارٌ أضاءَتْ له الدنيا ، ثم جاءَتْ ريحٌ عاصِفٌ فألقَتْ أشجارًا كثيرةً ، ثم وقَع مَطرٌ شديدٌ ، وسقَط بَرَدٌ كِبارٌ .

وفيها قصَد ملكُ الرومِ بلادَ الشامِ فأخَذ بلادًا كثيرةً مِن أيْدِى الفِرنْجِ ، وأطاعَه أَليونُ[1] بنُ ملكِ الأرْمَنِ .

ومِمَّن [٩/٢٣٩و] **تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :**

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ ثابتِ بنِ الحسَنِ ، أبو سَعْدٍ الخُجَنْدِىُّ[2] ، تفَقَّهَ على والدِه الإمامِ أبى بكرٍ الخُجَنْدِىِّ الأَصْبَهانىِّ ، ووَلِىَ التدْريسَ بالمدرسةِ النِّظاميَّةِ ببغدادَ مِرارًا ، ويُعْزَلُ عنها ، وقد سمِع الحديثَ ووَعَظ ، وتُوفِّى فى غُرَّةِ شعبانَ مِن هذه السنةِ وقد قارَب التسعين .

هِبَةُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ الحَرِيرِىُّ ، يُعْرَفُ بابنِ الطَّبَرِ[3] ، سمِع الكثيرَ ، وهو آخِرُ مَن روَى عن أبى الحسَنِ ابنِ زَوْجِ الحُرَّةِ ، وقد حدَّث عنه[4] أبو بكرٍ الخطيبُ ، وكان ثَبْتًا صحيحَ السماعِ ، كثيرَ الذِّكْرِ والتلاوةِ ، مُمَتَّعًا بحواسِّه وقُواه إلى أنْ تُوفِّىَ فى جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنةِ عن ستٍّ وتسعينَ سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) فى الكامل ١١/ ٥٣: «ليون».

(٢) المنتظم ١٧/ ٣٢٤، والكامل ١١/ ٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٢٣٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٥١، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٤٧٨.

(٣) المنتظم ١٧/ ٣٢٦، والكامل ١١/ ٥٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٢٥٨، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٣٩٢.

(٤) أى: عن أبى الحسن. وانظر المنتظم ١٧/ ٣٢٦، والكامل ١١/ ٥٤.

ثم دخلت سنة ثِنتَيْنِ وثلاثين وخمسِمائةٍ

فيها[1] قُتِل الخليفةُ الراشِدُ المخلوعُ ؛ وذلك أنَّه اجْتمَع معه الملكُ داودُ وجماعةٌ مِن كبارِ الأُمَراءِ ، فقصَدُوا قتالَ السلطانِ مسعودٍ بأرضِ مَراغَةَ فهزَمهم وبدَّدَ شمْلَهم ، وقتَل منهم خلْقًا صَبْرًا بينَ يدَيه ، منهم صَدَقةُ بنُ دُبَيسٍ ، ووَلَّى أخاه محمدًا مكانَه على الحِلَّةِ[2] ، وهرَب الخليفةُ الراشدُ المخلوعُ ، فدخَل أصْبهانَ فقتَله مَنْ كان يخْدُمُه مِن الخُرَاسَانِيَّةِ ، وكان قد بَرَأ مِن وجَعٍ أصابَه ، فقتَلُوه فى الخامسِ والعشرين مِن رمضانَ ، ودُفِن بشَهْرَسْتَانَ ظاهِرَ أَصْبهانَ . وقد كان حسنَ اللونِ مليحَ الوَجْهِ شديدَ القوَّةِ مَهِيبًا . أمُّه أمُّ ولدٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وفيها كسَا الكعبةَ رجلٌ مِن التُّجَّارِ يقالُ له : راستُ[3] الفارِسيُّ ، بثمانِيَةَ عشَرَ ألفَ دينارٍ ؛ وذلك لأنَّه لم تأْتِها كِسْوَةٌ فى هذا العامِ لاختلافِ المُلوكِ .

وفيها[4] كانتْ زلزلَةٌ عظيمةٌ ببلادِ الشامِ والجزيرةِ والعراقِ ، فانْهدَم شئٌ كثيرٌ ، ومات تحتَ الهَدْمِ خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ . وفيها كان بخُراسانَ غلاءٌ شديدٌ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٢٧، والكامل ١١/ ٥٥.

(٢) ظاهر كلام ابن كثير أن السلطان مسعود هزم الراشد وأتباعه ، وقتل منهم خلقًا ؛ منهم صدقة بن دبيس ، وقد ذكر ابن الأثير فى الكامل ١١/ ٦٠، ٦١: أن مسعودًا انتصر فى أول الوقعة ، ثم انهزم فى آخرها ، وأن بوزابة - وهو من أتباع الراشد - هو الذى قتل صدقة ، فلما قتل أقر السلطان مسعود الحلة على أخيه محمد بن دبيس .

(٣) فى الكامل ١١/ ٦٥: « رامشت » .

(٤) عيون التواريخ ١٢/ ٣٣٤.

حتى أكَلوا الكلابَ .

وفيها أخَذ الملكُ عمادُ الدينِ زَنْكِى مدينةَ حِمْصَ فى المحرَّمِ ، وتزوَّجَ فى رمضانَ بالستِّ زُمُرُّدْ خاتُون ، أمِّ صاحبِ دِمشْقَ ، وهى التى تُنْسَبُ إليها الخاتُونِيةُ البَرَّانِيَّةُ .

وفيها ملَك صاحبُ الرومِ مدينةَ بُزاعةَ ، وهى على سِتَّةِ فراسِخَ مِن حلَبَ ، فجاء أهلُها الذينَ نجَوْا مِن القَتْلِ والسَّبْيِ يسْتَغِيثُونَ بالمسلمينَ ببغدادَ ، فُمنِعَتِ الخُطْبَةُ ببَغْدادَ ، وجرَتْ فتنٌ طويلةٌ .

وفيها تزوَّجَ السلطانُ مسعودٌ سفرى بنتَ دُبَيْسِ بنِ صَدَقَةَ ، وزُيِّنَتْ بَغْدادُ لذلكَ سبعةَ أيامٍ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] : فحصَلَ بسبَب ذلك فسادٌ عريضٌ طويلٌ منتشرٌ . ثم تزوَّجَ ابْنَةَ عمِّه ، فزُيِّنتْ بَغْدادُ ثلاثةَ أيامٍ أيضًا .

وفيها وُلد السلطانُ الناصِرُ صَلاحُ الدينِ يوسُفُ بنُ أيُّوبَ بنِ شاذِى ، بقَلْعَةِ تَكْرِيتَ . وفيها حجَّ بالناسِ الأميرُ نظرٌ الخادمُ ، وكذا فى السنواتِ التى قبلَها ، أثابه اللَّهُ تعالى .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ ، أبو بَكْرِ بنُ أبى الفَتْحِ الدِّينَوَرِىُّ[2] الحَنْبَلِىُّ ، سمِع الحديثَ ، وتفقَّه على أبى الخَطَّابِ الكَلْوَذانِىِّ . وأفْتَى [٢٣٩/٩ظ] ودرَّسَ وناظَر ، كان أسْعَدُ المِيهَنِىُّ يقولُ[3] : ما اعْتَرَضَ أبو بكرٍ الدِّينَوَرِىُّ على دليلِ أحَدٍ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٢٨.

(٢) المنتظم ١٧/ ٣٢٨، والكامل ١١/ ٦٦، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٩٠، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٢٦٨.

(٣) المنتظم ١٧/ ٣٢٨، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٩٠.

إلَّا ثلَمَه ، وقد تخرَّج به الشيخُ أبو الفرجِ بنُ الجَوْزِيِّ ، وأنشدَ عنه قولَه[1] :

تمنَّيْتَ أنْ تُمسِى[2] فقيهًا مُناظِرًا بغيرِ عناءٍ فالجُنونُ فنونُ
وليسَ اكْتِسَابُ المالِ دونَ مشَقَّةٍ تلَقَّيْتَها فالعِلْمُ كيفَ يكونُ

عبدُ المُنْعِمِ بنُ عبدِ الكَرِيمِ بنِ هَوازِنَ ، أبو المُظَفَّرِ القُشَيْرِىُّ[3] ، آخرُ مَن بَقِى منهم ، سمِعَ أباه ، وأبا بَكْرٍ البَيْهَقِىَّ ، وغيرَهما ، وسمِعَ منه عبدُ الوهَّابِ الأنْماطِىُّ ، وأجازَ ابنَ الجَوْزِىِّ ، وقاربَ التِّسْعِينَ .

محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ محمدِ بنِ عمرَ ، أبو الحسَنِ الكَرَجِىُّ[4] ، سمِع الكثيرَ فى بلادٍ شتَّى ، وكان فقيهًا شافعيًّا ، تفَقَّهَ بأبى إسْحاقَ وغيرِه مِن أئمةِ الشافعِيَّةِ ، وكان أديبًا شاعرًا فصِيحًا ، وله مصنَّفاتٌ كثيرةٌ ؛ منها « الفُصولُ فى اعْتِقادِ الأئمةِ الفُحولِ » ، يذكرُ فيه مذاهبَ السَّلفِ فى بابِ الاعْتِقادِ ، ويحْكِى فيه أشياءَ غريبةً حسَنَةً ، وله تفْسيرٌ ، وكتابٌ فى الفقهِ ، وكان لا يقْنُتُ فى الفجرِ ، ويقولُ[5] : لم يصِحَّ ذلك فى حديثٍ ، وقد كان إمامُنا الشافعىُّ يقولُ : إذا صحَّ الحديثُ ، فاضرِبُوا بقَوْلِى هذا الحائطَ . وقد كان حسَنَ الصورةِ ، جميلَ المُعاشَرَةِ ، ومِن شعرِه[6] :

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٢٩، وانظر البيتين أيضا فى الكامل ١١/ ٦٦، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٩٠.
(٢) فى المنتظم ١٧/ ٣٢٩: « تسمى ».
(٣) المنتظم ١٧/ ٣٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٢٨٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٩٢، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٣٩.
(٤) المنتظم ١٧/ ٣٣١، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٢٩٤، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٣٥، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٣٤٨.
(٥) المنتظم ١٧/ ٣٣١، ٣٣٢.
(٦) المنتظم ١٧/ ٣٣٢، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٦٧، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٣٥، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٣٤٩.

تـنـاءَتْ دارُه عـنِّـى ولـكِـنْ خَيالُ جمالِهِ فى القلبِ ساكِنْ
إذا امْـتَـلأَ الـفـؤادُ بـهِ فـمـاذَا يضُرُّ إذا خلَتْ منهُ الأماكِنْ

تُوفِّى، رحِمه اللَّهُ، وقد جاوز السبعين.

الخليفةُ الرَّاشِدُ، منصُورُ بنُ المُسْتَرْشِدِ[١] ولِى الخلافةَ بعدَ أبيه، ثم خُلِع، فذهَب مع العمادِ زَنكِى إلى أرضِ المَوْصِلِ، ثم جمَع جموعًا، فاقتَتَل مع المَلِكِ مسعودٍ فى هذه السنةِ فهزَمهم، فذهَب إلى أصبهانَ فقُتِل بعدَ مرَضٍ أصابه، فقيل: إنَّه سُمَّ، وقيلَ: قتَلتْه الباطِنيَّةُ. وقِيلَ: بل قتَله الفرَّاشونَ الذين كانوا يَلُونَ أمْرَه[٢]. فاللَّهُ أعلمُ.

وقد حكَى ابنُ الجَوْزىِّ عن أبى بَكْرٍ الصُّولىِّ، أنَّه قال[٣]: الناسُ يقولُونَ: كلُّ سادسٍ يقومُ بأمرِ الناسِ مِن أوَّلِ الإسْلامِ لابدَّ أنْ يُخلَعَ. قال ابنُ الجَوْزِىِّ: فتأمَّلْتُ ذلك فرأيتُه عجَبًا؛ قام رسولُ اللَّهِ ﷺ، ثم أبو بكرٍ، ثم عمرُ، ثم عثمانُ، ثم علىٌّ، ثم الحسَنُ فخُلِع، ثم معاوِيَةُ ويزيدُ، ومعاوِيَةُ بنُ يزيدَ، ومَرْوانُ، وعبدُ الملكِ، ثم عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ، فخُلِعَ وقُتِلَ، ثم الوليدُ، وسُلَيمانُ، وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، ويزيدُ، وهشامٌ، ثم الوليدُ بنُ يزيدَ، فخُلِعَ وقُتِل، ولم ينْتَظِمْ لبَنِى أُمَيَّةَ بعدَه أمْرٌ حتى قامَ السَّفَّاحُ العباسِىُّ، ثم أخوه المَنْصورُ، ثم المَهْدِىُّ، والهادِى، والرشيدُ، ثم الأمينُ، فخُلِعَ وقُتِل، ثم المأمونُ، والمُعْتَصِمُ،

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٣٢، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٢٢، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ١٧٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٠٠.

(٢) المنتظم ١٧/ ٣٣٢.

(٣) المنتظم ١٧/ ٣٣٢، ٣٣٣، وانظر الكامل ١١/ ٦٢، ٦٣. هذا وسياق الخبر يوضح أن الذى تأمل فى قول الناس فرأى عجبا، هو أبو بكر الصولى لا ابن الجوزى.

والواثقُ ، والمُتوكِّلُ ، والمنتصرُ ثمَّ المُسْتَعِينُ فخُلِعَ وقُتِل ، ثم المُعْتَزُّ والمُهْتَدِى والمعتمدُ والمُعْتَضِدُ والمُكْتَفِى ، ثم المُقْتَدِرُ فخُلِعَ ، ثم أُعِيدَ فقُتِلَ ، ثم القاهِرُ ، والرَّاضِى ، والمُتَّقِى ، والمستكفِى ، والمُطِيعُ ، ثم الطائعُ فخُلِعَ ، ثم القادِرُ والقائمُ والمُقْتَدِى والمستظهرُ والمُسْتَرْشِدُ ، ثم الراشدُ ، فخلِعَ وقُتِل .

أنوشِرْوَانُ بنُ خالدِ بنِ محمدِ القَاشَانِيُّ الفِينِيُّ[1] ، **مِن قريةِ فِيـنَ مِن قاشَانَ ، الوزيرُ أبو نَصْرٍ** ، وزَر للسلطانِ محمودٍ وللخليفةِ المسترشدِ ، وكان عاقِلًا ، مَهِيبًا ، عظيمَ الخِلْقَةِ ، وهو الذى ألْزَم أبا محمدٍ الحَرِيرِىَّ بتَكْميلِ المقاماتِ ، وكان[2] سببَ [٩/٢٤٠و] ذلك أنَّ أبا محمدٍ الحَريرىَّ كان جالِسًا ذاتَ يومٍ فى مسجدِ بنى حرامٍ ، مِن محالِّ البَصْرَةِ ، فدخَل عليهم شيخٌ ذو طِمْرَيْن ، فقالوا : مَن أنت ؟ قال : أنا رجلٌ مِن سَرُوجَ ، يقالُ لى : أبو زيدٍ . فعَمِل الحَريرىُّ المقامةَ الحَرامِيَّةَ ، واشْتَهَرتْ فى الناسِ ، فلمَّا طالَعَها الوزيرُ أنوشِرْوانُ أُعْجِب بها ، وكلَّف أبا محمدٍ أنْ يزيدَ عليها غيرَها فعَمِل معها تَمامَ خمسين مقامةً ، فهى هذه المشهورةُ المُتَداوَلَةُ بيـنَ الناسِ ، وقد كان الوزيرُ كريمًا مُحَمَّدًا غيرَ أنَّه كان يُنْسبُ إلى التَّشيُّعِ . وقد مدَحه الحَرِيرِىُّ فقال[3] :

ألَا ليتَ شِعْرِى والتَّمنِّى تعِلَّةٌ	وإنْ كان فيه راحَةٌ لأخى الكَرْبِ
أتَدْرُونَ أنِّى مُذْ تناءَتْ دِيارُكُم	وشطَّ اقْتِرابى من جَنابِكُمُ الرَّحبِ
أكـابِـدُ شـوْقًـا مـا يـزالُ أُوارُه	يُقَلِّبُنِى باللَّيلِ جَنْبًا على جنْبِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٣٣، والكامل ١١/ ٧٠، ضمن وفيات سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، ووفيات الأعيان ٤/ ٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٠٤ وفيه : نوشروان ، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٤٠.

(٢) المنتظم ١٧/ ٣٣٣.

(٣) الأبيات فى المنتظم ١٧/ ٣٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٠٥.

وأذكُرُ أيامَ التَّلاقى فأنْثَنِى لتَذْكارِها بادِى الأسَى طائرَ اللُّبِّ
ولى حَنَّةٌ فى كلِّ وقتٍ إليكمُ ولاحَنَّةُ الصَّادِى إلى البارِدِ العَذْبِ
فواللّهِ لو أَنِّى كتَمْتُ هوَاكُمُ لَمَا كان مكْتومًا بشرقٍ ولا غربِ
ومِمَّا شجَا قلْبِى المُعَنَّى وشَفَّهُ رِضاكُم بإهْمالِ الإجابَةِ عن كُتْبِى
وقد كنتُ لا أخْشَى مع الذنْبِ جَفْوَةً فقد صِرْتُ أخْشاها ومالِىَ مِن ذنْبِ
ولمَّا سرَى الوفدُ العراقِىُّ نحْوَكُم وأعْوَزَنِى المسْرَى إليكم مع الرَّكْبِ
جعَلْتُ كتابِى نائِبى عن ضَرُورَةٍ ومَن لم يجِدْ ماءً تيَمَّم بالتُّرْبِ
ونفَّذْتُ أيضًا بَضْعَةً مِن جوارِحى لتُنْبِئَكُم عن شَرْحِ حالى وتَسْتَنْبى
ولستُ أرَى إذْ كارَكُم بعدَ خَبْرِكم بمَكْرُمةٍ حسْبى اهْتِزَازُكم حسْبى

ثم دخلَتْ سنةُ ثلاثٍ وثلاثين وخمسِمائةٍ[1]

فيها كانتْ زَلْزلةٌ عظيمةٌ بمدينةِ جَنْزةَ[2] ، ماتَ بسببِها مائتا ألفٍ وثلاثون ألفًا ، وصار مكانُها ماءً أسودَ ، عشَرَةَ فَراسِخَ فى مثْلِها ، وزُلْزِل أهلُ حَلَبَ فى ليلةٍ واحدةٍ ثمانين مَرَّةً .

وفيها وضَع السلطانُ مسعودٌ[3] مُكُوسًا كثيرةً عن الناسِ ، وكثُرتِ الأدْعِيَةُ له .

وفيها كانتْ وقعةٌ عظيمةٌ بينَ السلطانِ سَنْجَرَ وخُوَارِزْم شاه ، فهزَمَه سَنْجَرُ ، وقتِل فى المعركةِ ولدُه ، فحزِن عليه والدُه حزنًا شديدًا .

وفيها قُتِل صاحبُ دمشقَ شهابُ الدينِ محمودُ بنُ تاجِ الملوكِ بُورِى بنِ طُغْتِكينَ ، قتَله ثلاثةٌ مِن خواصِّه ليلًا ، وهرَبُوا مِن القلعةِ ، فأُدْرِك اثْنانِ فصُلِبا وأفْلَت واحدٌ . وملَك بعدَه أخوه كمالُ الدينِ محمدُ بنُ تاجِ الملوكِ ، وكان ببَعْلَبَكَّ قبلَ ذلك ، فملَك بعدَه بَعْلَبَكَّ عمادُ الدينِ زَنْكى ، واستَناب عليها الأميرَ نجمَ الدينِ أيوبَ والدِ الملكِ صلاحِ الدينِ والملكِ العادلِ أبى بكرٍ وذريَّتِهما .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٣٥، والكامل ١١/ ٧١.

(٢) فى الأصل : « جرة » ، وفى خ : « خيرة » ، وفى م : « جيرت » ، وفى ص : « حبرة » ، وفى الكامل ١١/ ٧٧: « كنجة » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ٣٣٥. وجنزة : اسم أعظم مدينة بأرَّان وهى بين شروان وأذربيجان ، وهى التى تسميها العامة كَنْجَه بينها وبين بَرْذَعة ستة عشر فرسخا . معجم البلدان ٢/ ١٣٢.

(٣) فى النسخ : « محمود » . والمثبت من الكامل ١١/ ٧١. وانظر عيون التواريخ ١٢/ ٣٤٣.

وفيها صُرِف اليهودُ والنصارى عن المُباشَراتِ ثم أعِيدُوا قبلَ شهرٍ . وحجَّ بالناسِ فيها نَظَرٌ الخادِمُ ، أثابَه اللَّهُ تعالى .

ومِمَّن تُوفِّي فيها مِن الأعْيانِ :

زاهرُ بنُ طاهرِ بنِ محمدٍ ، أبو القاسمِ بنُ أبى عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بكرٍ الشَّحَّاميُّ[1] المحدِّثُ المكْثِرُ ، الرَّحَّالُ الجوَّالُ ، سمِع الكثيرَ ، وأمْلَى بجامعِ نَيْسَابُورَ ألفَ مجلسٍ ، ويقالُ[2] : إنَّه كان [٩/٢٤٠ظ] به مرضٌ يُكثِرُ بسببِه الجمعَ بينَ الصلواتِ . فتكلَّم فيه أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ ، وقال[3] : إنَّه كان يُخِلُّ بالصلَواتِ . وقد ردَّ ابنُ الجَوْزيِّ[4] على السمعانيِّ بعُذْرِ المرَضِ ، فاللَّهُ أعلمُ .

بلَغ خمسًا وثمانين سنةً ، وكانت وفاتُه بنَيْسَابُورَ فى ربيعٍ الآخرِ ، ودُفِن بمقْبَرَةِ يحيى بنِ يحيى .

عليُّ بنُ أفْلَحَ[5] ، أبو القاسمِ الكاتبُ ، وقد خلَع عليه المسترشِدُ ، ولقَّبه جمالَ المُلْكِ ، وأعْطاه أربعةَ دورٍ ، وكانتْ له دارٌ إلى جانبِهنَّ فهدَمَهُنَّ كلَّهُنَّ ، واتَّخَذ مكانَهُنَّ دارًا هائلةً ، طولُها ستُّون ذِراعًا فى عرضِ أربعين ، وأطلَق له

---

(١) فى الأصل : « السحامى » ، وفى م : « السحامى » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٣٣٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٤٠هـ) ص ٣١٦، والوافى بالوفيات ١٤/ ١٦٧، وغاية النهاية ١/ ٢٨٨.

(٢) المنتظم ١٧/ ٣٣٧.

(٣) المنتظم ١٧/ ٣٣٧.

(٤) المنتظم ١٧/ ٣٣٧.

(٥) خريدة القصر (قسم شعراء العراق) ٢/ ٥٢، والمنتظم ١٧/ ٣٣٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٢٦، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٥٥ وأورده الكتبى فيمن توفى فى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة .

الخليفةُ أخْشابًا وآجُرًّا وذهَبًا ، فبناها ، وغرِم عليها ابنُ أفلحَ مالًا جزيلًا ، وكتَب على أبوابها وطرَازاتِها أشْعارًا حسنةً مِن نظْمِه ، ونظْمِ غيرِه ، فمِن ذلك ما هو على بابِ الدارِ[(1)] :

إنْ عجِب الرَّاءونَ[(2)] مِن ظاهِرى ... فباطِنِى لو علِموا أعْجَبُ

شَيَّدَنى[(3)] مَن كفُّه مُزْنَةٌ ... يحمِلُ منها العارِضُ الصَّيِّبُ

ودَبَّجتْ رَوضَةُ أخلاقِه ... فيَّ رِياضًا[(4)] نورُها مُذْهَبُ

صدرٌ كسَا صدْرِىَ مِن نورِهِ ... شمْسًا على الأيامِ لا تغْرُبُ

وعلى الطُّرُزِ مكتوبٌ :

ومِن المُروءةِ للفَتَى ... ما عاشَ دارٌ فاخِرهْ

فاقْنَعْ مِن الدنيا بها ... واعمَلْ لدارِ الآخِرَهْ

هاتِيكَ وافيةٌ بما ... وَعَدَتْ و(5)هذى ساحِرَهْ(5)

وفى موضعٍ آخرَ مكتوبٌ[(6)] :

ونادٍ كأنَّ جِنَانَ الخلودِ[(7)] ... أعارَتْه مِن حُسْنِها رَوْنَقَا

وأعْطَتْه مِن حادِثاتِ الزما ... نِ أنْ لا تُلِمَّ به مُوْثِقَا

---

(1) المنتظم ١٧/ ٣٣٨.

(2) فى المنتظم : « الزوار » .

(3) فى م : « شد بانى » .

(4) فى خ ، م : « ديار » .

(٥ - ٥) فى خ : « هاتى بايرة » ، وفى م : « هاتى باترة » . وانظر المنتظم ١٧/ ٣٣٩.

(6) المنتظم ١٧/ ٣٣٩.

(7) فى الأصل ، خ ، م : « الخلد » .

(1) فأضحَى يَتِيهُ (1) على كلِّ ما ... بُنِى مغرِبًا كان أو مشْرِقَا
تظَلُّ الوفودُ بهِ عُكَّفًا ... وتُمْسِى الضيوفُ بهِ طُرَّقَا
بقِيتَ لهُ يا جمالَ المُلو ... كِ والفَضْلِ مهما أرَدْتَ البقَا
وسالَمَهُ فيكَ ريْبُ الزمانِ ... ووُقِّيتَ منه الذى يُتَّقَى

فما صَدَقتْ هذه الأمانى ، بل عمَّا قريبٍ - بعدَ نَيْلِها - اتَّهَم الخليفةُ ابنَ أفلحَ بأنَّه يكاتِبُ دُبَيسًا ، فأمَر بتَخْريبِ هذه الدارِ ، فلم يَبْقَ فيها جِدارٌ ، وصارَتْ خَرابةً بعدَ ما كان قد حَسُن منها المُقامُ والقَرارُ ، وهذه حكمةُ مَن يقلِّبُ الليلَ والنهارَ ، وتجْرِى بمَشيئتِه الأقْدارُ[2] .

وقد أوْرَد ابنُ الجَوْزِىِّ أشْياءَ حسنةً مِن نظْمِه ، ونثْرِه ، فمِن ذلك[3] :

دَعِ الهوَى لأناسٍ يُعْرَفُون بهِ ... قد مارَسُوا الحبَّ حتى لانَ[4] أصْعَبُهُ
بَلَوتَ[5] نفْسَك فيما لسْتَ تَخْبُرُهُ[6] ... والشىءُ صعْبٌ على مَن لا يجرِّبُهُ
اقْنِ[7] اصْطِبارًا وإنْ لم تستَطِعْ جَلَدًا ... فرُبَّ مُدْرِكِ أمرٍ عزَّ مطْلَبُهُ
أحْنى[8] الضلُوعَ على قلْبٍ يُحَيِّرُنى[9] ... فى كلِّ يومٍ ويُعْيِينى تقَلُّبُهُ

(1 - 1) فى الأصل : « فلا نحى قبيه » ، وفى م : « فأضحى ينبئه » . وانظر المنتظم ١٧/ ٣٣٩.
(2) بعده فى خ ، م : « وهى حكمته فى كل دار بنيت بالأشر والبطر وفى كل لباس لبس على التيه والكبر والأشر » .
(3) المنتظم ١٧/ ٣٣٩.
(4) سقط من : م .
(5) فى خ ، م : « أدخلت » .
(6) فى م : « تجربه » .
(7) فى خ ، والمنتظم : « افن » ، وفى م : « أمن » ، وقَنِى قِنًا : رضى .
(8) فى الأصل : « اضوا » ، وفى م : « أحسن » ، وفى ص : « أحنو » . وانظر المنتظم ١٧/ ٣٣٩.
(9) فى خ : « يخبرنى » ، وفى م : « يخيرنى » ، وفى ص : « نخبرنى » .

تَناوحُ الريحِ مِن نجْدٍ يهيِّجُهُ ... ولامِعُ البرقِ مِن نعمانَ يُطْرِبُهُ

ومِن ذلك قولُه[1]:

هذه الخَيْفُ[2] وهاتِيكَ مِنَى ... فتَرفَّقْ أيُّها الحادِى بنا

واحْبِسِ الركْبَ علَيْنا ساعةً ... نَنْدُبُ الرَّبْعَ[3] ونَبْكِى الدِّمَنا[4]

فلِذَا الموقفِ أعْدَدْنا البُكا[5] ... ولذا [6]الدِّمْنِ دُموعى[6] تُقْتَنى

زمنًا[7] كانوا وكنَّا جِيرَةً ... يا أعادَ اللَّهُ ذاكَ الزَّمَنا

بَيْنُنا يومَ [8]أُثَيلاتِ النَّقَا[8] ... كان عن غيرِ تراضٍ بيْنَنا

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٤٠.

(٢) الخيف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، ومنه سمى مسجد الخيف من منى . معجم البلدان ٢/ ٥٠٧، ٥٠٨.

(٣) فى خ ، م : « الدار » .

(٤) فى م : « الدنا » .

(٥) فى المنتظم ١٧/ ٣٤٠: « الأسى » .

(٦ - ٦) فى النسخ : « اليوم الدموع » . والمثبت من المصدر السابق .

(٧) فى م ، ص : « زماننا » .

(٨ - ٨) فى خ ، م ، ص : « ائتلاف نلتقى » .

ثم دخلت سنة أربعٍ وثلاثين وخمسِمائةٍ[1]

[٢٤١/٩و] فيها حاصَر زَنْكِي دمشقَ، فحصَّنَها الأتابِكُ معينُ الدينِ أُنُرُ[2] مملوكُ طُغتِكينَ، فاتَّفَق موتُ مَلِكِها جمالِ الدينِ محمدِ[3] بنِ بُورِى بنِ طُغْتِكينَ، فأرسَل معينُ الدينِ إلى أخيه مُجيرِ الدينِ أَبَقَ[4]، وهو ببَعْلَبَكَّ فملَّكه دمشقَ، فذَهَب زَنْكِي إلى بَعْلَبَكَّ، فأخَذَها واسْتَناب عليها نجمَ الدينِ أيُّوبَ.

وفيها دخَل الخليفةُ المُقْتَفِى لأمرِ اللَّهِ على الخاتونِ فاطمةَ أختِ[5] السلطانِ مسعودٍ، وأُغلِقَتْ بغدادُ أيامًا، وكان وقتًا مشهودًا.

وفيها تزوَّج السلطانُ ببنتِ أميرِ المؤمنين، وكان يومًا مشهودًا.

وفيها نُودِى للصلاةِ على رجلٍ صالحٍ، فاجْتَمع الناسُ بمدرسةِ الشيخِ عبدِ القادِرِ، ثم اتَّفَق أنَّ الرجلَ عطس فأفاقَ، وحضَرتْ جِنازَةُ آخرَ، فصَلَّى عليه.

وفيها نقَصَتِ المياهُ مِن سائرِ الدنيا. وفيها وُلِد صاحِبُ حَمَاةَ، تقيُّ الدينِ

---

(١) المنتظم ١٨/٣، والكامل ١١/٧٣.

(٢) فى خ، م: «بن». وفى الكامل ١١/ ٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٢١٣. وانظر وفيات ١٨٤/٥، ونهاية الأرب ٨٧/٢٧، والوافى بالوفيات ٤١٠/٩.

(٣) فى م: «محمود». وانظر نهاية الأرب ٨٨/٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٢١٣.

(٤) فى خ: «ارتق»، وانظر الكامل ١١/ ٧٤.

(٥) فى م، ص، والكامل ١١/ ٧٧: «بنت». وانظر المنتظم ١٨/ ٣.

عمرُ بنُ شَاهِنْشَاه بنِ أَيُّوبَ بنِ شاذِى[1] .

وممَّن توفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ جعفرِ بنِ الفَرَجِ ، أبو العباسِ الحَرْبىُّ[2] ، أحدُ العبَّادِ الزُّهادِ ، سمِع الحديثَ ، وكانتْ له أحوالٌ ، حتى كان يقالُ[3] : إنَّه كان يُرَى فى بعضِ السِّنينَ بعرَفَاتٍ ، ولم يكُنْ حجَّ فى تلك السنةِ .

عبدُ السلامِ بنُ الفَضْلِ[4] ، **أبو القاسمِ الجِيلِىُّ** ، سمِع الحديثَ وتفَقَّهَ على إلْكِيَا الهَرّاسِىِّ ، وبرَع فى الأُصولِ والفروعِ ، وغيرِ ذلك ، ووَلِى قضاءَ البصرةِ ، وكان مِن خيارِ القضاةِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) فى م : « شارى » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٠٢.

(٢) المنتظم ١٨/ ٥، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٤٢.

(٣) المنتظم ١٨/ ٥.

(٤) المنتظم ١٨/ ٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٥٢، والوافى بالوفيات ١٨/ ٤٣٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٦٩.

ثم دخَلَتْ سنةُ خمسٍ وثلاثين وخمسِمائةٍ

فيها[1] وصَلتِ البُرْدَةُ والقَضِيبُ إلى بغدادَ ، وكانَا قد أُخِذا مع المسترشِدِ سنةَ تِسْعٍ وعشرينَ ، فحفِظَهما السلْطانُ سَنْجَرُ عندَه حتى ردَّهُما فى هذه السنةِ .

وفيها كَمَلَتِ المدرسةُ الكَماليَّةُ ببغدادَ المَنْسُوبةُ إلى كمالِ الدينِ أبى الفُتوحِ حمزةَ بنِ طَلْحَةَ ، صاحبِ المخزنِ ، ودرَّس فيها الشيخُ أبو الحسنِ بنُ الخَلِّ[2] ، وحضَر عندَه الأعيانُ والرؤساءُ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

ومِمَّن توفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

إسماعيلُ بنُ محمدِ بنِ الفضلِ بنِ علىِّ بنِ أحمدَ ، أبو القاسمِ الطَّلْحِىُّ الأَصْبهانِىُّ[3] ، سمِع الكثيرَ ، ورحَل وكتَب وأمْلَى بأَصْبهانَ قريبًا مِن ثلاثةِ آلافِ مجلسٍ ، وكان إمامًا فى الحديثِ والفِقهِ والتفسيرِ واللغةِ ، حافظًا متْقِنًا ، تُوفِّى ليلةَ عيدِ الأَضْحَى وقد قارَب الثمانين ، ولمَّا أراد الغاسِلُ تنْحِيَةَ الخِرْقَةِ عن فَرْجِه ردَّها بيَدِه[4] .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٨، والكامل ١١/ ٧٨.

(٢) فى خ، م: «الحلى». وانظر المنتظم ١٨/ ١٠، والكامل ١١/ ٨٠.

(٣) المنتظم ١٨/ ١٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٦٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٧٧، والوافى بالوفيات ٩/ ٢١١، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ٣٧.

(٤) بعده فى خ، م: «وقيل إنه وضع يده على فرجه».

محمدُ بنُ عبدِ الباقِى[1] **بنِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ابنِ الربيعِ بنِ ثابتٍ**[2] **بنِ وَهْبِ بنِ مَشْجَعَةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ كعبِ ابنِ مالكٍ الأنصارِىُّ**، سمِع الحديثَ، وتفرَّد عن جماعةٍ مِن المشايخِ، وأمْلَى الحديثَ فى جامعِ القَصْرِ، وكان مشارِكًا فى علومٍ كثيرةٍ[3]، وقد أُسِر فى صِغَرِه فى أيْدِى الرومِ، فأرادُوه على أن يتكلَّمَ بكلمةِ الكُفْرِ فلم يفْعَلْ، وتَعَلَّم منهم خطَّ الرومِ، وكان يقولُ: مَن خدَم المحابرَ خدَمتْه المنابرُ. ومِن شعرِه الذى أوْرَده ابنُ الجَوْزِىِّ عنه وسمِعه عنه قولُه[3]:

احفَظْ لسانَكَ لا تَبُحْ بثلاثةٍ ... سنٍّ ومالٍ [4]ما استَطعْتَ[4] ومذْهَبِ

فعلَى الثلاثةِ تُبْتَلَى بثَلاثةٍ ... [5]بمُكفِّرٍ وبحاسدٍ[5] ومُكَذِّبِ

ومِن ذلك قولُه[6]:

لى مُدَّةٌ لابُدَّ أبْلُغُها [٩/٢٤١ظ] ... فإذا انقَضَتْ وتصرَّمَتْ مِتُّ

لو عانَدَتْنى الأُسْدُ ضارِيَةً ... ما ضَرَّنى ما لم يَجِى الوقْتُ

[7]ومِن ذلك قولُه[7]:

---

(١) فى الأصل: «الربيع» وانظر ترجمته فى: تاريخ دمشق ١٥/٥٨٢ (مخطوط)، والمنتظم ١٨/١٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٩٠، وتذكرة الحفاظ ٤/١٢٨١، وذيل طبقات الحنابلة ١/١٩٢.

(٢) بعده فى الأصل: «وقد ألف أمر الاحضارى».

(٣) المنتظم ١٨/١٣، ١٤.

(٤ - ٤) فى خ، م: «إن سئلت». وانظر المنتظم ١٨/١٣.

(٥ - ٥) فى المنتظم: «بمموه ومكفر».

(٦) المنتظم ١٨/١٥.

(٧ - ٧) سقط من: خ، م. وانظر المنتظم ١٨/١٥.

(1) بغدادُ دارٌ لأهلِ العلمِ طيِّبةٌ ... وللمفاليسِ دارُ الضَّنْكِ والضِّيقِ
ظَلَلْتُ حَيْرانَ أمشِى فى أزِقَّتِها ... كأنَّنى مُصحفٌ فى بيتِ زِنْديقِ (1)

قال ابنُ الجَوْزِىِّ (2) : بلَغ مِن العُمرِ ثلاثًا وتسعين سنةً ، لم تتغَيَّرْ حواسُّه ولا عقلُه . وكانت وفاتُه ثانىَ رجبٍ مِن هذه السنةِ ، وحضَر جِنازتَه الأعْيانُ والناسُ ، ودُفِن قريبًا مِن قبرِ بِشْرٍ .

يوسفُ بنُ أيوبَ بنِ يوسفَ بنِ الحسنِ (3) بنِ وَهْرةَ (4) ، أبو يعقوبَ الهَمَذانىُّ ، تفَقَّهَ بالشيخِ أبى إسْحاقَ ، وبرَع فى الفقهِ والمناظرةِ ، ثم اشْتَغل بالتَّعَبُّدِ ، وصحِب الصالحين ، وأقام بالجبالِ ، ثم عادَ إلى بغدادَ فوعَظ بها ، وحصَل له قَبُولٌ . توفِّى فى ربيعٍ الأوَّلِ ببَعْضِ قُرَى هَرَاةَ ، رحمه اللَّهُ تعالى .

(1 - 1) سقط من : خ ، م . وانظر المنتظم 18/ 15.

(2) المنتظم 18/ 15.

(3) كذا بالنسخ والمنتظم 18/ 15، وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان 8/1/ 180، ووفيات الأعيان 7/ 78، وسير أعلام النبلاء 20/ 66، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 531 - 540هـ) ص 396: « الحسين » .

(4) فى خ ، م : « زهرة » .

ثم دخلت سنة ستٍّ وثلاثين وخمسمائةٍ

فيها[1] كانت حروبٌ كثيرةٌ بينَ السلْطانِ سَنْجَرَ وبينَ السلطانِ خُوارِزْم شَاه ، فاسْتَحوذَ خُوارَزْم شاه على مَرْوَ بعدَ هزيمةِ سَنْجَرَ ، فقُتِل بها ، وأساءَ التدبيرَ بالنسْبَةِ إلى الفقهاءِ الحنَفِيَّةِ الذين بها ، وكان جيشُ خُوارِزْم شاه ثلاثَمِائةِ ألفِ مقاتلٍ .

وفيها [2]كَمَل عملُ شَقِّ النهروانِ[2] ، وخلَع بِهْرُوزُ[3] الشِّحنةِ ببغدادَ على الصُّناعِ جِبابَ الحريرِ الروميِّ ، وركِب هو والسلطانُ مسعودٌ فى سفينةٍ فى ذلك النهرِ ، وفرِح السلْطانُ بذلك ، وكان قد صرَف السلطانُ على ذلك النهرِ سبعينَ ألفَ دينارٍ .

وفيها حجَّ كمالُ الدينِ بنُ طلْحَةَ ، صاحِبُ المخْزنِ ، وعادَ فتزَهَّد ، وترَك العملَ ولزِم دارَه .

وفيها عُقِدتِ الجُمُعةُ بمسجدِ العباسِيِّين بإذْنِ الخليفةِ . وحجَّ بالناسِ نَظَرٌ الخادمُ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٧، والكامل ١١/ ٨١.

(٢ - ٢) فى خ : « تحمل عمل بثق النهروان » ، وفى م : « تحمل عمل دمشق النهروز » .

(٣) فى خ ، م : « نهروز » . وانظر المنتظم ١٨/ ١٧، ووفيات الأعيان ٧/ ١٤٢.

إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ أبى الأشْعَثِ[1] ، أبو القاسمِ ابنُ أبى بكرٍ السَّمَرْقَنْدِىُّ ، الدِّمشْقِىُّ ، ثم البَغْدادِىُّ ، سمِع الكثيرَ ، وتفرَّد بمشايخَ ، وكان سماعُه صحِيحًا ، وأمْلَى بجامعِ المنصورِ مجالِسَ كثيرةً نحوَ ثلاثِمائةِ مجلسٍ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ وقد جاوَز الثمانين ، رحِمه اللَّهُ .

يحيى بنُ علىِّ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ ، أبو محمدِ بنُ الطَّرَّاحِ المُديرُ[2] ، وُلِد سنةَ تِسْعٍ وعشرين وأربعِمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ وأسْمَع ، وكان شيْخًا مَهِيبًا كثيرَ العبادَةِ والخيرِ ، وكانت وفاتُه فى رمضانَ من هذه السنةِ عن مائةٍ وسبعِ سنينَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، ورضِى عنه آمين .

---

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٣٥٧، والمنتظم ١٨/ ٢٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٤٠هـ) ص ٤٠٦، والوافى بالوفيات ٩/ ٨٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٤٦.
(٢) فى الأصل، م: «المدبر». وكذا فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٤٣٤، والعبر ٤/ ١٠١. وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ٢٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٧٧، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٧٢، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٧٠، وشذرات الذهب ٤/ ١١٤.

ثم دخلت سنةُ سبعٍ وثلاثين وخَمسِمائةٍ

فيها[1] ملَك عمادُ الدينِ زَنْكِي الحَدِيثَةَ ، ونقَل آلَ مُهَارِشٍ مِنها إلى المَوْصِلِ ، ورتَّب فيها نُوَّابًا من جهتِه .

(١) المنتظم ١٨/ ٢٦، والكامل ١١/٨٨ (حوادث ٥٣٦هـ).

ثم دخلَتْ سنةُ ثمانٍ وثلاثين وخمسِمائةٍ

فيها[1] تجهَّز السلطانُ مسعودٌ ؛ ليأْخُذَ المَوْصِلَ والشامَ مِن عمادِ الدينِ زَنْكِى ، فصالَحه على مائةِ ألفِ دينارٍ ، فدفَع إليه منها عشرين[2] ألفَ دينارٍ ، وأطْلَق له الباقِىَ ، وسبَبُ ذلك أنَّ ابْنَه سيفَ الدينِ غازِى كان لايزالُ فى خدمةِ السلطانِ .

وفيها ملكَ عمادُ الدينِ زَنْكِى بعضَ بلادِ بَكْرٍ . وفيها حصَر الملكُ سَنْجَرُ خُوَارِزم شَاه ، ثم أخَذ منه مالًا وأطْلَقَه .

وفيها وُجِد رجلٌ يفسُقُ بصَبِىٍّ ، فأُلْقِى مِن رأسِ مَنارَةٍ . [٢٤٢/٩و] وفى ليلةِ الثلاثاءِ الرابعِ والعشرين مِن ذى القَعْدَةِ زُلْزِلَتِ الأرضُ . وحجَّ بالناسِ نَظَرٌ الخادمُ ، أثابه اللَّهُ تعالى .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

عبدُ الوَهَّابِ بنُ المُبارَكِ بنِ أحمدَ ، أبو البركاتِ الأنْماطِىُّ[3] ، الحافظُ سمِع الكثيرَ وحدَّث ، كان ثقةً دَيِّنًا وَرِعًا ، طليقَ الوَجْهِ ، سَهْلَ الأَخْلاقِ ، تُوفِّى فى المحرَّمِ عن ستٍّ وتسعين سنةً .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٣٠، والكامل ١١/ ٩٣.

(٢) المنتظم ١٨/ ٣٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٣٤، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٤٦٦، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٨٣، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢٠١.

(٣) المنتظم ٣٤/١٨، والكامل ٩٧/١١، وسير أعلام النبلاء ١٤٩/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١- ٥٤٠هـ) ص ٤٦٩، وعيوان التواريخ ٣٧٨/١٢.

عليُّ بنُ طِرَادِ بنِ محمدِ بنِ عليٍّ الزَّيْـنَبِيُّ[1] ، الوزيرُ العبّاسِيُّ ، أبو القاسمِ نقيبُ النُّقَباءِ على الطائفَتَيْن[2] ، فى أيامِ المسْتَظْهِرِ ، ووَزَر للمسْتَرْشِدِ المُقتَفِى ، ثم عُزِل وأُعِيد ، ولم يلِ الوَ زارةَ مِن العباسيِّين غيرُه ، وقد سمِع الكثيرَ وأسمَع ، وتُوفِّى فى رمضانَ عن ستٍّ وسبعين سنةً ، رحِمه اللّٰهُ .

الزَّمَخْشَرِىُّ ، محمودُ بنُ عمرَ بنِ محمدِ بنِ عمرَ ، أبو القاسمِ الزَّمَخْشَرِىُّ[3] ، صاحبُ « الكَشَّافِ » فى التفسيرِ ، و « المُفَصَّلِ » فى النحوِ ، وغيرِ ذلك مِن المصنَّفاتِ المُفيدَةِ ، وقد سمِع الحديثَ ، وطافَ البلادَ فى طلبِ العلمِ ، وجاوَر بمَكَّةَ مدَّةً ، وكان يُظْهِرُ مذْهبَ الاعْتِزالِ ، ويُصَرِّحُ بذلك فى تفْسيرِه ، ويُناظِرُ عليه ، ثم كانتْ وَفاتُه بخُوَارِزْم ليلةَ عرَفَةَ مِن هذه السنةِ ، عن سِتٍّ وسبعين[4] سنةً .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٣٤، والكامل ١١/ ٩٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٤٦٩، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٧٨.

(٢) يعنى العلوية والعباسيّة .

(٣) نزهة الألباء ص ٣٩١، والمنتظم ١٨/ ٣٧، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٢٦، والكامل ١١/ ٩٧، وإنباه الرواة ٢/ ٢٦٥، ووفيات الأعيان ٥/ ١٦٨، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٤٨٦، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ١٢٠.

(٤) فى الأصل : « تسعين » . وفى مصادر ترجمته السابقة أنه ولد سنة ٤٦٧هـ ، وتوفى سنة ٥٣٨هـ .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

فيها[1] أخذ العمادُ زَنْكِى الرُّهَا ، وغيرَها مِن حصُونِ الجزيرةِ مِن أيْدِى الفِرنْجِ ، وقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وغنِم أموالًا جزيلةً ، وأزاح عن المسلمين كُرَبًا شديدةً كثيرةً ، جزاه اللَّهُ خيرًا . وحجَّ بالناسِ أميرُ الجيوشِ نَظَرٌ الخادمُ وتنافس هو وأميرُ مكةَ ، فنُهِب الحَجيجُ وهم يطُوفون .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

إبْراهيمُ بنُ محمدِ بنِ منصورِ بنِ عمرَ ، أبو البَدْرِ[2] الكَرْخِىُّ ، تفَقَّه بالشيخِ أبى إسْحاقَ ، وأبى سعدٍ المُتَولِّى ، حتى صارَ أوْحدَ زمانِه فِقْهًا وصلاحًا ، وماتَ فى هذه السنةِ .

سعيدُ[3] بنُ محمدِ بنِ عمرَ ، أبو منْصُورٍ الرَّزَّازُ[4] ، سمِع الحديثَ ، وتفَقَّهَ بالغزَّالِىِّ والشَّاشِىِّ ، والمتَولِّى ، وإلْكِيَا الهَرَّاسِىِّ ، وأسعدَ المِيهَنِىِّ ، ووَلِى تدريسَ النِّظَامِيَّةِ ، وكان له سَمْتٌ حسَنٌ ، ووَقارٌ وسكونٌ ، وكان يومُ جِنازتِه مشْهُودًا ،

---

(١) المنتظم ١٨/ ٣٩، والكامل ١١/ ٩٨.

(٢) فى م : « الوليد » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ٣٩، التقييد لابن نقطة ص ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٤٩٣، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٩٦.

(٣) فى م : « سعد » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ٤٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٦٩، والمعين فى طبقات المحدثين ص ٢٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٤٩٩، وشذرات الذهب ٤/ ١٢٢.

(٤) فى الأصل : « الرمزار » ، وفى م : « البزار » . وانظر مصادر ترجمته السابقة .

ودُفِن عندَ الشيخِ أبى إسْحاقَ .

عمرُ بنُ إبْراهيمَ بنِ محمدِ (١ **بنِ محمدِ** ١) **بنِ أحمدَ بنِ عليٍّ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ حمزةَ بنِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ زيدِ بنِ عليٍّ بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ بنِ أبى طالبٍ ، القُرَشِيُّ العَلَوِيُّ ، أبو البركاتِ الكُوفيُّ ، ثم البَغْداديُّ** ، سمِع كثيرًا ، وكتَب كثيرًا ، وأقامَ بدمشقَ مدَّةً ، وكانت له معرفةٌ جيِّدَةٌ بالفقهِ والحديثِ والتفسيرِ واللغةِ والأدبِ ، وله تصانيفُ فى النحوِ ، وكان خَشِنَ العيشِ ، صابرًا مُحْتَسِبًا ، تُوفِّى فى شعبانَ مِن هذه السنةِ عن سَبْعٍ وتسعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

(١ - ١) سقط من: النسخ والمنتظم ١٨/ ٤١. وانظر ترجمته فى: تاريخ دمشق ٦٩٤/١٢ (مخطوط) ، ونزهة الألباء ص ٣٩٩، ومعجم الأدباء ١٥/ ٢٥٧، وإنباه الرواة ٢/ ٣٢٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٥١٣، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ٨٧.

ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة

فيها[1] حصر علىُّ بنُ دُبَيسٍ أخاه محمدًا، ولم يزَلْ يحاصِرُه حتى اقْتلَعَ مِن يَدِه الحِلَّةَ وملَكَها، وفى رجَبٍ دخَل السلْطانُ مسعودٌ إلى بَغْداد؛ خوْفًا مِن اجْتماعِ عباسٍ صاحبِ الرَّىِّ، ومحمد شَاه بنِ محمودٍ، ثم خرَج منها فى رمضانَ. وحجَّ بالناسِ قايْمَازُ الأُرجوانىُّ مملوكُ أميرِ الجيوشِ [٢٤٢/٩ظ] نَظَرٍ بسبَبِ ما كان وقَع بينَ نَظَرٍ وأميرِ مَكَّةَ فى السنَةِ الماضيةِ.

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسَنِ بنِ علىِّ بنِ أحمدَ بنِ سُليمانَ، أبو سَعْدٍ الأَصْبهانِىُّ، ثم البَغْدادِىُّ[2]، سمِعَ الحديثَ وكان على طريقَةِ السلفِ، حُلْوَ الشمائلِ، مُطَّرِحًا الكُلْفَةَ، رُبَّما خرَج إلى السوقِ بقميصٍ وقَلَنْسُوَةٍ. وحجَّ إحدى عشْرَةَ حَجةً، وكان يُمْلِى الحديثَ، ويكثرُ الصومَ، تُوفِّى بنَهاوَنْدَ فى ربيعِ الأولِ مِن هذه السنَةِ، وقد قاربَ الثمانينَ.

علىُّ بنُ أحمدَ بنِ الحُسَيْنِ بنِ أحمدَ، أبو الحسَنِ اليَزْدِىُّ[3]، تفَقَّهَ بأبى

---

(١) المنتظم ١٨/ ٤٤، والكامل ١١/ ١٠٥.

(٢) المنتظم ١٨/ ٤٥، والكامل ١١/ ١٠٧، وفيه: أبو سعيد، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٨٤، وسير أعلام النبلاء ١١٩/٢٠ وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٥٢٩.

(٣) المنتظم ١٨/ ٤٦، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٤٢٥، والعبر ٤/ ١٤٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٣٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢١١.

بكرٍ الشَّاشِيِّ ، وسمِعَ الحديثَ وأسْمَعه ، وكان له ولأخيه قميصٌ وعِمامةٌ ؛ إذا خرَج هذا جلَس الآخرُ فى البيتِ ، وكذا الآخرُ .

مَوْهُوبُ بنُ أحمدَ[1] **بنِ محمدِ بنِ الخَضِرِ ، أبو منْصورٍ الجَوالِيقِيُّ** ، شيخُ اللغةِ فى زمانِه ، باشرَ مشْيخَةَ اللغةِ بالنِّظاميَّةِ بعدَ شيْخِه أبى زكَرِيَّا التِّبْرِيزِىِّ مدَّةً ، وكان يؤمُّ بالمُقْتَفِى ، وربُمَّا قرَأ عليه الخليفةُ شيئًا مِن الكتبِ ، وكان عاقِلًا ، متواضِعًا فى ملْبَسِه ، طويلَ الصَّمْتِ ، كثيرَ التفكُّرِ ، وكانتْ له حَلْقةٌ بجامعِ القصرِ أيامَ الجُمَعِ ، وكانت فيه لُكْنَةٌ ، وكان يجلسُ إلى جانبِه المغْرِبِيُّ مُعَبِّرُ المَناماتِ وكان فاضلًا لكِنَّه كان كثيرَ النُّعَاسِ فى مجلسِه ، فقال فيهما بعْضُ الأدباءِ[2] :

بَغْدادُ عندِى ذَنْبُها لنْ يُغْفَرا ... وعُيوبُها مكْشُوفةٌ لن تُسْتَرا
كونُ الجوالِيقىِّ فيها مُمْلِيًا ... لغةً وكونُ المغْربىِّ مُعَبِّرا
مأسورُ لُكْنَتِهِ يقولُ فصاحةً ... ونَئُومُ يقْظتِهِ يعبِّرُ فى الكَرَى

---

(١) المنتظم ١٨/ ٤٦، ومعجم الأدباء ١٩/ ٢٠٥، وإنباه الرواة ٣/ ٣٣٥، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٤٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٨٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٥٤٩.

(٢) الأبيات فى وفيات الأعيان ٥/ ٣٤٤، مع اختلاف فى الألفاظ.

ثم دخلت سنة إحْدَى وأربعين وخَمْسِمائَةٍ[1]

فى مُسْتَهَلِّ ليلةِ ربيعِ الأوَّلِ[2] احْتَرَقَ القصرُ الذى كان بَناه المسترشدُ، وكان فى غايةِ الحسْنِ، وكان الخليفةُ المُقْتَفِى قدِ انتقلَ بجوارِيه وحظاياه إليه ليقيمَ فيه ثلاثةَ أيامٍ، فما هو إلَّا أنْ نامُوا حتى احْتَرَقَ عليهِمُ القصرُ، بسبَبِ أنَّ جارِيةً أخَذتْ فى يَدِها شمعةً فعلِق لهَبُها ببَعْضِ الأخشاب فاحْتَرَقَ القصرُ، وسَلَّمَ اللَّهُ الخليفةَ وأهلَه، فأصبحَ فتصدَّقَ بأشْياءَ كثيرةٍ، وأطْلَق خلقًا مِن المحْبَسِين.

وفى رجَبٍ وقَع بينَ الخليفةِ وبين السلطانِ مسعودٍ واقعٌ، فبعَث الخليفةُ إلى الجوامعِ والمساجدِ فأُغْلِقَتْ ثلاثةَ أيامٍ حتى اصْطلَحا.

وفى يومِ الجُمعةِ المنتصفِ مِن ذى القَعْدَةِ جلَس ابنُ العَبَّادِىِّ الواعظُ، فتكلَّمَ والسلطانُ مسعودٌ حاضرٌ، وكان قد وضَع على الناسِ مَكْسًا فى البَيْعِ فاحِشًا، فقالَ فى جملةِ وعْظِه: يا سلطانَ العالَمِ، أنتَ تطلِقُ فى بعْضِ الأحْيانِ للمُغَنِّى إذا طرِبْتَ قريبًا ممَّا وضَعْت على المسلمينَ مِن هذا المَكْسِ، فهَبْنِى مُغَنِّيًا وقد طرِبْتَ، فهَبْ لى هذا المَكْسَ شكْرًا لِنعَمِ اللَّهِ عليكَ وأسقِطْه عن الناسِ. فأشارَ السلطانُ بيَدِه أنْ قد فعَلْتُ، فضجَّ الناسُ بالدُّعاءِ له، وكُتِب بذلك سجِلَّاتٌ، ونُودِىَ فى البلدِ بإسْقاطِ ذلك المَكْسِ، ففرِحَ الناسُ بذلك[3]، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

---

(١) المنتظم ١٨/ ٤٨، والكامل ١١/ ١٠٨.

(٢) فى المنتظم: «الآخر».

(٣) المنتظم ١٨/ ٤٩.

وفى هذه السنةِ قلَّ المطَرُ جدًّا ، وقلَّتْ مياهُ الأنهارِ ، وانْتَشرَ جرادٌ عظيمٌ ، وأصابَ الناسَ داءٌ فى حلُوقِهم ، فماتَ بذلك خلائقُ كثيرةٌ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ .

[٢٤٣/٣و] وفيها قُتِلَ الملكُ عمادُ الدينِ زَنْكِى بنُ قَسِيمِ الدولةِ آقْ سُنْقُرَ التركىُّ ، صاحِبُ المَوْصِلِ وحَلَبَ وغيرِهما مِن بلادِ الشامِ والجزيرةِ ، وكان محاصِرًا قلعةَ جَعْبَرٍ ، وفيها سالِمُ بنُ مالكٍ العُقيلىُّ[1] ، فبَرْطَلَ بعْضَ مماليكِ زَنْكِى حتى قتَلُوه فى الليلةِ الخامسةِ من ربيعٍ الأوَّلِ مِن هذه السنَةِ[2] . قالَ العِمادُ الكاتبُ[3] : وكان سَكْرانَ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد كان مِن خِيارِ المُلوكِ وأحْسَنِهم سِيرةً وشكْلًا ، وكان شُجاعًا مِقْدامًا حازِمًا ، خضَعتْ له ملُوكُ الأطْرافِ ، وكان مِن أشدِّ الناسِ غَيْرةً على نساءِ الرعِيَّةِ ، وأجْوَدَ المُلوكِ مُعاملَةً ، وأرْفَقَهم بالعامَّةِ ، وملَك مِن بعدِه بالمَوْصِلِ ولَدُه سيفُ الدينِ غازى ، وبحَلَبَ ولدُه نُورُ الدينِ محمودٌ ، فاسْتَعادَ نُورُ الدينِ هذا مدِينَةَ الرُّهَا ، وكان أبوه قد فتَحَها . ثم عصَوْا فقَهَرهم .

وفى هذه السنةِ ملَكَ عبدُ المُؤْمِنِ صاحِبُ المغْرِبِ جزيرةَ الأنْدُلُسِ ، بعدَ حروبٍ طويلةٍ .

---

(١) كذا فى النسخ ، والكامل ١١/ ١٠٩، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٠٧، ٤٠٨. هذا وقد ذكر أبو شامة فى الروضتين ١/ ١٠٧ نقلًا عن كتاب الأتابكة لابن الأثير ، أن قلعة جعبر قد سلمها السلطان ملكشاه إلى الأمير سالم بن مالك العقيلى لما ملك قسيم الدولة مدينة حلب ، فلم تزل بيده ويد أولاده من بعده إلى سنة إحدى وأربعين . وذكر أبو الفداء فى المختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٨، أن القلعة كانت بيد على بن مالك بن سالم بن مالك العقيلى ، وهو الصواب ، واللَّه أعلم .

(٢) ظاهر كلام المصنف أن سالم بن مالك العقيلى قد برطل - أى رشا - بعض مماليك زنكى فقتله ، والمذكور فى الروضتين ١/ ١٠٨، أن زنكى لما نام ركبه كبير خدمه ، فذبحه خوفا من سطوته .

(٣) تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٨٩.

وفيها ملَكَتِ الفِرنْجُ ، لعنَهم اللَّهُ ، مدينةَ طرَابُلُسَ الغربِ . وفيها اسْتَعادَ صاحِبُ دِمَشْقَ مدينةَ بَعْلبَكَّ وفيها الأميرُ نجمُ الدينِ أيُّوبُ من جهةِ زَنْكِى ، فسلَّمه القلعةَ ، وأعْطاه إمرتَه[1] عندَه بدِمَشْقَ .

وفيها قتَل السلطانُ مسعودٌ حاجِبَه عبدَ الرحمنِ طغايُركَ[2] وقتَلَ عبَّاسًا صاحِبَ الرَّىِّ ، وألْقَى رأسَه إلى أصحابِه ، فانْزعَج الناسُ ونهَبُوا خِيامَ عباسٍ ، وقد كان عباسٌ هذا مِن الشجعانِ المشْهُورينَ ، قتَلَتِ الباطنيةُ مخدومَه جَوْهَرًا ، فلم يزَلْ يقتُلُ منهم حتى بنَى مِئْذنةً مِن رُءوسِهم بمدينةِ الرَّىِّ .

وفيها ماتَ نقيبُ النقباءِ ببَغْدادَ محمدُ بنُ طِرَادٍ الزَّيْنَبِىُّ ، فوَلِى بعدَه علىُّ بنُ طلحةَ الزَّيْنَبِىُّ . وفيها سقَط جِدارٌ على ابنَةِ الخليفةِ ، وكانت قد بلغَتْ مبالِغَ النساءِ ، فماتَتْ ، فحضَر جنازتَها الأعيانُ . وحجَّ بالناسِ نَظَرٌ الخادِمُ . وحجَّ فى هذه السَنةِ نظامُ الدينِ بنُ جَهيرٍ الوزيرُ .

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

زَنْكِى بنُ آقْ سُنْقُرَ[3] تقدَّم ذكرُ شىءٍ من ترجمتِه فى الحوادثِ ، وقد أطْنَبَ الشيخُ شهابُ الدينِ ، أبو شامةَ فى « الرَّوْضَتينِ »[4] فى ترجَمتِه ، وما قيلَ فيه مِن نظمٍ ونثرٍ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) فى خ : « امديه » ، وفى م : « أمزيه » . وذُكر فى الكامل ١١٨/١١ أن صاحب دمشق ملك نجم الدين أيوب عدة قرى من دمشق .

(٢) فى النسخ : « طغرلبك » . والمثبت من الكامل ١١/ ١١٦.

(٣) المنتظم ١٨/ ٥١، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٢٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٦١، والوافى بالوفيات ١٤/ ٢٢١.

(٤) الروضتين ١/ ١٠٩ - ١١٨.

سعدُ الخَيْرِ بنُ محمدِ بنِ سهلِ بنِ سعدٍ ، أبو الحسَنِ المغْرِبىُّ الأنْدَلُسِىُّ الأنصارِىُّ[1] ، رحَل من الأندلسِ إلى الصينِ ، وسمِع الحديثَ وتفقَّه بالغزَّالىِّ ، وحصَّل كتبًا نفيسةً ، وروَى عنه ابنُ الجَوْزِىِّ وغيرُه ، وقد أوْصَى عندَ وفاتِه ببغدادَ أنْ يصلِّىَ عليه الغَزْنَوِىُّ ، وأنْ يُدفنَ إلى جانبِ قبرِ عبدِ اللَّهِ بنِ الإمامِ أحمدَ ، وحضَر جِنازتَه خلائقُ مِن الناسِ .

شافِعُ بنُ عبدِ الرشيدِ بنِ القاسمِ ، أبو عبدِ اللَّهِ الجِيلىُّ الشافِعىُّ[2] ، تفَقَّهَ على إلْكِيا الهَرّاسىِّ وعلى الغَزَّالىِّ ، وكان يسكنُ الكَرخَ ، وله حلْقَةٌ بجامعِ المنصورِ فى الرُّواقِ . قال ابنُ الجوزىِّ[3] : وكنتُ أحضُرُ حَلْقتَه .

عبدُ اللَّهِ بنُ علىِّ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أبو محمدٍ سِبْطُ أبى منصورٍ الزاهدِ[4] ، قرَأ القِراءاتِ وصنَّف فيها ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، واقْتنَى الكتبَ الحسنةَ ، وأمَّ فى مسجدِه نَيِّفًا وخمسينَ سنةً ، [٢٤٣/٩ظ] وعلَّم[5] خلقًا القرآنَ . قال ابنُ الجوزىِّ[6] : ما سمِعتُ أحدًا أحسنَ قراءةً منه ، وحضَر جِنازتَه خلقٌ كثيرٌ .

عباسٌ شِحْنَةُ الرَّىِّ[7] ، توصَّلَ إلى أنْ ملَكها ، ثم قتَله السلطانُ مسعودٌ ،

---

(١) المنتظم ١٨/ ٥١، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١- ٥٥٠هـ) ص ٦٥، والوافى بالوفيات ١٥/ ١٨٩، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٩٠.

(٢) المنتظم ١٨/ ٥١، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١- ٥٥٠هـ) ص ٦٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٠١، والوافى بالوفيات ١٦/ ٧٦.

(٣) المنتظم ١٨/ ٥١.

(٤) المنتظم ١٨/ ٥١، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/ ٨٣، وإنباه الرواة ٢/ ١٢٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٦٩، ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢٠٩.

(٥) من هنا يبدأ سقط فى مخطوطة «الأصل».

(٦) المنتظم ١٨/ ٥٢.

(٧) المنتظم ١٨/ ٥٢، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ١٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٦٩، والوافى بالوفيات ١٦/ ٦٥٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٧٩.

كما ذكَرنا ، وقد كان كثيرَ الصدقاتِ والإحسانِ إلى الرعِيَّةِ ، وقتَل مِن الباطِنيَّةِ خلقًا ، وابتنَى مِن رُءوسِهم مَنارَةً بالرَّىِّ ، وتأسَّفَ الناسُ عليه ، رحِمه اللَّهُ .

محمدُ بنُ طِرَادِ بنِ محمدٍ الزَّيْنَبِيُّ[1] ، أبو الحسَنِ نقيبُ الهاشمِّيين ، وهو أخو علىِّ بنِ طِرادٍ الوزيرِ ، سمِعَ الكثيرَ من أبيه وعمِّه أبى نصرٍ وغيرِهما ، وقاربَ السبْعينَ .

وَجِيهُ بنُ طاهرِ بنِ محمدٍ ، أبو بكرٍ الشَّحّامِيُّ[2] ، أخو زاهرٍ ، وقد سمِعَ الكثيرَ مِن الحديثِ ، وكانت له معرفةٌ به ، وكان شيْخًا حسنَ الوَجْهِ ، سريعَ الدَّمعةِ ، كثيرَ الذِّكْرِ ، صحيحَ السَّماعِ ، صدوقَ اللهْجَةِ . تُوفِّى ببَغْدادَ فى هذه السنَةِ .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٥٣، والكامل ١١/ ١١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٨٠، والوافى بالوفيات ٣/ ١٦٩.

(٢) المنتخب من السياق ص ٤٧٢، والمنتظم ١٨/ ٥٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٩٢، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٠.

ثم دخلت سنة ثِنْتَيْنِ وأرْبعين وخَمْسِمائَةٍ

فيها[1] ملكَتِ الفِرنْجُ عدةَ حصونٍ من جزيرةِ الأنْدلُسِ. وفيها ملَكَ نُورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى عدةَ حصونٍ مِن أيدى الفِرنْجِ بالسواحلِ وغيرِها. وفيها خُطِب للمُسْتَنْجِدِ باللَّهِ بولايةِ العهدِ من بعدِ أبيه المُقْتَفِى. وفيها وَلِى عونُ الدينِ يَحْيى بنُ هُبَيْرَةَ كتابةَ ديوانِ الزمامِ، ووَلِىَ زعيمُ الدينِ يَحْيَى بنُ جعفرٍ صَدريَّةَ المخزنِ المعمورِ. وفيها اشتدَّ الغلاءُ بإفْرِيقِيَّةَ، فهلَك بسببِه أكثرُ الناسِ حتى خلَتِ المنازلُ، وأقفَرتِ المعاقلُ. وفيها تزوَّج سيفُ الدينِ غازى بنتَ صاحبِ مَارْدِينَ حسامِ الدينِ تَمُرْتاشَ بنِ أُرْتُقَ، بعدَ أنْ حاصَره فصالَحه على ذلك، فحُمِلَتْ إليه إلى المَوْصِلِ بعدَ سنتَيْنِ، وهو مريضٌ قد أشرَف على الموتِ، فلم يدخُلْ بها حتى مات، فوَلِى بعدَه أخوه قطبُ الدينِ مودودٌ فتزَوَّجَها.

قال ابنُ الجوزىِّ[2]: وفى صفرٍ رأى رجلٌ فى المنامِ قائلًا يقولُ: مَن زارَ قبرَ أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ غُفِرَ له. قال: فلم يَبْقَ خاصٌّ ولا عامٌّ إلَّا زارَه. قال ابنُ الجوْزِىِّ[2]: وعقَدْتُ يومَئذٍ مجلسًا فاجْتمَع فيه ألوفٌ مِن الناسِ.

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

أسعدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الصَّمَدِ بنِ

---

(١) الكامل ١١/ ١٢١.

(٢) المنتظم ١٨/ ٥٥.

المُهْتَدِى باللَّهِ ، أبو منْصورٍ[1] ، سمِعَ الكثيرَ ، وكان خيِّرًا دَيِّنًا صالحًا ممتَّعًا بحواسِّه وقُوَاه إلى حينِ الوفاةِ . وقد جاوزَ المائةَ بنحوٍ من سبْعِ سِنيـنَ .

أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ [2] بنُ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ [2] بنِ خلفِ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ اللَّخْمِيُّ الأنْدَلُسِيُّ ، الرَّشَاطِيُّ[3] **الحافظُ** ، مصنِّفُ كتابِ « اقْتِباسِ الأنْوارِ والْتِماسِ الأزْهارِ » ، فى أنْسابِ الصحابةِ ورُواةِ الآثارِ ، وهو مِن أحسنِ المصنَّفاتِ الكِبارِ ، قُتِل شهيدًا صبيحةَ يومِ الجمعةِ العِشْرِيـنَ من جُمادَى بالمَرِيَّةِ[4] .

نَصْرُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ القَوِيِّ ، أبو الفتحِ اللَّاذِقِيُّ المِصِّيصِيُّ الشافِعِيُّ[5] ، تفَقَّهَ بالشيخِ نَصْرِ بنِ إبراهيمَ المَقْدِسِيِّ ، بِصُورَ ، وسمِعَ بها منه ومِن أبى بكرٍ الخطيبِ ، وسمِع ببَغْدادَ والأَنْبَارِ ، وكان أحدَ مشايخِ الشامِ ، فقيهًا فى الأُصولِ والفُروعِ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ وقد جاوزَ التسعينَ بأرْبَعِ سنِيـنَ .

هِبَةُ اللَّهِ بنُ عليِّ بنِ محمدِ بنِ حَمْزَةَ ، أبو السَّعاداتِ ، ابنُ الشَّجَرِيِّ النَّحْوِيُّ[6] ، وُلد سنةَ خَمْسِينَ وأرْبَعِمِائةٍ ، وسمِعَ الحديثَ ، وانتهَتْ إليه رِياسَةُ

---

(١) المنتظم ١٨/ ٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٠٥، وفيه : « أسعد ابن عبد اللَّه بن حميد » .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، وفى خ ، م : « بن محمد » والمثبت من مصادر ترجمته وانظر الصلة ١/ ٢٩٧، وبغية الملتمس ص ٣٤٩، ووفيات الأعيان ٣/ ١٠٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١١٠.

(٣) فى خ : « الرياطى » ، وفى م : « الرباطى » . وانظر مصادر ترجمته السابقة .

(٤) فى خ : « بالسرية » ، وفى م : « بالبرية » . وانظر مصادر ترجمته السابقة . والمرية : مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس . معجم البلدان ٤/ ٥١٧.

(٥) المنتظم ١٨/ ٦١، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢٦/ ١٢٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٢٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٣٢٠.

(٦) المنتظم ١٨/ ٦١، إنباه الرواة ٣/ ٣٥٦، ووفيات الأعيان ٦/ ٤٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٢٨.

النحاةِ . قال[1] : ما سمِعتُ بَيتًا فى الذَّمِّ أبلغَ مِن قولِ مَسْكَويهِ :

وما أَنا إلَّا المِسْكُ قد ضَاعَ عنْدَكُم   يضِيعُ وعندَ الأَكْثَرِيـنَ يضُوعُ

(١) المنتظم ١٨/ ٦٢.

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وأربعين وخمسمائةٍ

فيها[1] استغاث مُجيرُ الدينِ بنُ أتابك دِمَشْقَ بالمَلِكِ نُورِ الدينِ صاحبِ حَلَبَ على الفِرنج ، فركِبَ سريعًا فالْتقى معهم بأرضِ بُصْرَى فهَزَمهم ، ورجَع فنزَل على الكِسْوَةِ ، وخرَج ملكُ دِمَشْقَ مجيرُ الدينِ أَبَقُ فخدَمه واحْتَرَمه ، وشاهَد الدَّماشِقةُ حُرْمةَ نورِ الدينِ . وفيها ملَكَتِ الفِرنْجُ المَهْدِيَّةَ وهرَبَ منها صاحِبُها الحسَنُ بنُ عليِّ بنِ يَحْيَى بنِ تميمِ بنِ المُعِزِّ بنِ باديسَ بنِ منْصورِ بنِ يوسُفَ بنِ بُلُكِّينَ بنِ زِيرِى بأهْلِه وما خفَّ مِن أموالِه ، فتمَزَّق فى البلادِ ، وأَكَلتْهُمُ الأقْطارُ ، وكان آخِرَ مُلوكِ بنى باديسَ ، وقد كان ابْتِداءُ مُلْكِهم فى سنَةِ خمسٍ وثلاثينَ وثَلَاثِمائَةٍ ، فدخَل الفِرنْجُ إليها ، وخزائِنُها مشحونةٌ بالحواصِلِ والأموالِ والعُدَدِ وغيرِ ذلك ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ . وفيها حاصَرتِ الفِرنْجُ - وهم فى سَبْعِينَ ألفَ مقاتلٍ ، ومعَهم ملكُ الألْمانِ فى خلقٍ لا يعلَمُهم إلَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ - دِمَشْقَ وعليها مُجيرُ الدينِ أَبَقُ وأتابِكُه مُعِينُ الدينِ ، وهو مُدَبِّرُ المَمْلكةِ ، وذلك يومَ السبتِ سادِسَ ربيعٍ الأوَّلِ ، فخرَج إليهم أهلُها فى مائةٍ وثلاثينَ ألفًا ، فاقْتَتَلُوا معهم قتالًا عظيمًا ، وقُتِل من المسلمينَ فى أولِ يومٍ نحوٌ مِن المائتين ، ومن الفِرنْجِ خلقٌ كثيرٌ لا يُحْصَونَ ، واستمرَّتِ الحربُ مدَّةً ، وأُخْرِجَ مصحفُ عثمانَ إلى وسَطِ صَحْنِ الجامعِ ، واجْتَمعَ الناسُ حولَه يدْعُونَ اللَّهَ عزَّ وجلَّ ، والنساءُ والأطْفالُ مُكَشَّفِى الرءوسِ يدعونَ ويتَباكَونَ ، والرمادُ مفْروشٌ فى البلدِ ، فاسْتَغاثَ أَبَقُ بالمَلِكِ نُورِ

---

(١) الكامل ١١/ ١٢٩.

الدينِ محمودٍ صاحبِ حَلَبَ وبأخيه سيفِ الدينِ غازى صاحبِ المَوْصِلِ، فقَصَداه سريعًا فى نحوٍ مِن سَبْعِينَ ألفًا بمَنِ انْضافَ إليهم مِن الملُوكِ وغيرِهم، فلمَّا سمِعَتِ الفِرنْجُ، قبَّحهم اللَّهُ، بقُدومِ الجيوشِ نحوَهم أجْلَوْا عنِ البلدِ، فلَحِقَهمُ الجيشُ فقتَلُوا منهم خلقًا كثيرًا، وجَمًّا غفيرًا، وقتَلُوا فيمن قتَلوا معهم قِسِّيسًا اسمُه إلْيَاسُ، وهو الذى أغْرَاهم بدِمَشْقَ، وذلك أنَّه افْتَرى مَنامًا عن المسيحِ أنَّه وعدَه فَتْحَ دِمَشْقَ، فقُتِلَ، لعنَه اللَّهُ، وقد كادُوا يأخذونَ البلدَ، ولكِنَّ اللَّهَ سلَّم، وحمَاها بحوْلِه وقوتِه. قال اللَّهُ تعالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقال تعالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠] ومدينةُ دِمَشْقَ لا سبيلَ للأعْداءِ مِن الكفرَةِ عليها، لأنَّها المَحَلَّةُ التى أخْبَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أنَّها معقِلُ الإسْلامِ عندَ المَلاحِمِ والفتنِ، وبها ينزِلُ عِيسى ابنُ مريمَ[1]. وقد كان الفِرنْجُ قتَلوا خلقًا كثيرًا مِن أهلِ دِمَشْقَ، ومِمَّنْ قتَلُوا الفقيهُ الكبيرُ الملَقَّبُ حُجَّةَ الدينِ. شيخُ المالِكِيَّةِ بها، أبو الحجَّاجِ يُوسُفُ بنُ دوناسَ[2] الفِنْدَلاوِىُّ، بأرْضِ النَّيْرَبِ[3]، ودُفِنَ بمقابرِ بابِ الصَّغيرِ، وقد صالَح معينُ الدينِ الفِرنْجَ عن دِمَشْقَ ببَانْيَاسَ، فرحَلُوا عنها وَتسلَّمُوا بانْياسَ.

وفيها وقَع بينَ السلْطانِ مسعودٍ وأمرائِه ففارَقُوه، وقصَدُوا بَغْدادَ فاقْتَتلُوا مع العامَّةِ، فقَتلُوا خلْقًا كثيرًا منهم، مِنَ الصِّغارِ والكِبارِ، ثم اجْتَمعُوا قُبالَةَ التاجِ

---

(١) إلى هنا انتهى السقط من المخطوطة الأصل، وانظر ما تقدم فى ٢/ ٥٢٦.

(٢) فى خ، م: «درناس». وانظر اللباب ٢/ ٢٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٧٠.

(٣) النَّيرب: قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ فى وسط البساتين. معجم البلدان ٤/ ٨٥٥.

فقبَّلوا الأرضَ واعْتَذَرُوا إلى الخليفةِ ممَّا وقَع، وسارُوا نحوَ النَّهْرَوانِ فتفرَّقُوا فى البلادِ، ونهَبُوا أهلَها، فغلَتِ الأسْعارُ بالعراقِ بسبَبِ ذلك. وفيها وَلِىَ قضاءَ القضاةِ ببَغْدَادَ أبو الحسَنِ علىُّ بنُ أحمدَ بنِ علىٍّ بنِ الدَّامَغانىِّ، بعدَ وفاةِ الزَّيْنَبِىِّ. وفيها ملَكَ سورىٌّ[1] بنُ الحسَينِ - ملِكُ الغُورِ - مدينةَ غَزْنَةَ، فذهَبَ صاحِبُها بَهْرام شَاه بنُ مسْعودِ بنِ إبراهيمَ مِن أولادِ سُبُكتِكينَ إلى الهندِ فاستجاشَ ملِكَها، فجاءَ بجيوشٍ عظيمةٍ فاقْتلَعَ غَزْنَةَ مِن يدِ سورىٍّ[2]، وأخذَه أسِيرًا فصَلَبَه، وقد كان كرِيمًا جوادًا، كثيرَ الصدقاتِ.

وممَّنْ توفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

إبْراهيمُ بنُ محمدِ بنِ نَبْهانَ[3] بنِ مُحْرزٍ الغَنَوِىُّ الرَّقِّىُّ، سمِع الحديثَ وتفَقَّهَ بالشَّاشِىِّ والغَزّالىِّ، وكتَب شيئًا كثيرًا مِن مصنَّفاتِه، وقرَأها عليه، وصحِبَه كثيرًا، وكان حسنًا مهيبًا كثيرَ الصمْتِ بهىَّ السمتِ، توفِّى فى ذِى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ وقد جاوزَ الثمانينَ.

شاهِنْشاه بنُ أيُّوبَ بنِ شاذِى[4]، اسْتُشْهِدَ مع نُورِ الدينِ، وهو والدُ السِّتِّ عَذْرَاءَ، واقِفَةِ العذراويَّةِ، وتَقِىِّ الدينِ عمرَ واقفِ التَّقَوِيَّةِ وغيرِ ذلك.

---

(١) فى الأصل، ص: «سورلى»، فى خ، م: «سولى». والمثبت من: الكامل ١١/ ١٣٥.
(٢) فى الأصل، ص، خ: «سورلى» وفى م: «سولى».
(٣) فى خ، م: «نهار». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٨/ ٦٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٣٦، والوافى بالوفيات ٦/ ١١٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٣٦.
(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٤٥، ومرآة الجنان ٣/ ٢٨٠، والدارس فى تاريخ المدارس ٢/ ٢٩٩.

عليُّ بنُ الحسينِ[1] **بنِ محمدِ بنِ عليٍّ الزَّيْنَبيُّ**، أبو القاسمِ، الأكمَلُ بنُ أبى طالبِ نورِ الهُدَى بنِ أبى الحسنِ نظامِ الحَضْرَتَين، ابنِ نقيبِ النقَباءِ [2]أبى القاسمِ ابنِ القاضى[2] أبى تمامٍ العبَّاسيُّ، قاضى القُضاةِ ببَغْدادَ والعراقِ وغيرِ ذلك، سمِع الحديثَ، وكان فقيهًا رئيسًا، وقُورًا حسنَ الهيئةِ والسَّمْتِ، قليلَ الكلامِ، سافَر مع الخليفةِ الراشدِ إلى المَوْصِلِ، وجرَتْ له فصولٌ، ثم عادَ إلى بغدادَ، فماتَ بها فى هذه السنةِ، وقد جاوَز الستِّين، وكانتْ جِنازتُه حافلةً، رحِمه اللَّهُ رحمةً واسعةً.

أبو الحَجَّاجِ يوسفُ بنُ دوناسَ[3] **الفِنْدلاوىُّ**[4]، شيخُ المالِكيَّةِ بدمشقَ، قُتِل يومَ السبتِ سادسَ ربيعٍ الأوَّلِ - قريبًا مِن الرَّبْوَةِ مِن أرضِ النَّيْرَبِ - هو والشيخُ عبدُ الرحمنِ الحَلْحُولىُّ[5]، أحدُ الزُّهادِ، قُتِلا معًا، رحِمَهما اللَّهُ تعالى.

---

(١) فى الأصل، ص: «الحسن». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٨/ ٦٨، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٥٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٩٧، والوافى بالوفيات ٢١/ ٥١، والجواهر المضية ٢/ ٥٦٨.

(٢ - ٢) فى الأصل، ص: «ابن القاسم»، والمثبت كما فى المنتظم.

(٣) فى خ، م: «درباس»، وفى معجم البلدان ٣/ ٩١٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٢، «درناس»، وفى شذرات الذهب ٥/ ١٣٦: «دوباس». وانظر ترجمته فى: «مرآة الزمان ٨/ ١/ ٢٠٠، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٨٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٧٠، ومرآة الجنان ٣/ ٢٨٠.

(٤) فى الأصل: «العقد لاوى»، وفى ص: «العنذولانى».

(٥) فى الأصل: «الحلول»، وفى خ، م: «الجلجولى»، وفى ص: «الجلجول». وانظر معجم البلدان ٢/ ٣١٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٨٠، ٢١٠.

ثم دخَلَتْ سنةُ أربعٍ وأربعين وخمسِمائةٍ[1]

فيها كانتْ وفاةُ القاضى **عِياضِ بنِ موسى بنِ عِياضِ بنِ عمرِو بنِ موسى بنِ عِياضِ بنِ محمدِ بنِ موسى بنِ عِياضٍ**[2] **اليَحْصُبىُّ السَّبْتِىُّ**، قاضِيها، أحدُ مشايخِ العلماءِ المالِكيَّةِ، وصاحِبُ المصنَّفاتِ الكثيرةِ المفيدةِ، الشهيرةِ؛ منها «الشِّفا»، و«شرحُ مسلمٍ»، و«مشارِقُ الأنْوارِ»، وغيرُ ذلك، وله شعرٌ حسَنٌ، وكان إمامًا فى علومٍ كثيرةٍ، كالفِقْهِ واللغةِ والحديثِ والأدبِ وأيامِ الناسِ، وُلِد سنةَ ستٍّ وسبعين[3] وأربعِمائةٍ، وتوفِّى يومَ الجُمعةِ فى جُمادَى الآخرةِ، وقيل: فى رمضانَ مِن هذه السنةِ، بمدينةِ [٩/٢٤٤و] سَبْتَةَ. رحِمه اللَّهُ تعالى.

وفيها غَزا الملكُ نورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى - صاحبُ حَلَبَ - بلادَ الفِرنجِ، فقَتَل منهم خلقًا كثيرًا، وكان فى جملةِ مَن قُتِل البرنسُ صاحِبُ أَنْطاكِيَةَ، وفتَح شيئًا كثيرًا مِن قِلاعِهم، ولِلَّهِ الحمدُ والمنَّةُ. وكان قد اسْتَنجَد بمُعينِ الدينِ بنِ أتابِك دمشقَ، فأرسَل إليه بفريقٍ مِن جيشِه صُحْبَةَ الأميرِ مُجاهِدِ الدينِ بنِ [4]بُزَّانَ بنِ مَامِينَ[4]، نائبِ صَرْخَدَ، فأبْلَوا بلاءً حسنًا، وقد قال الشعراءُ فى هذه الغَزْوةِ أشْعارًا

---

(١) المنتظم ١٨/ ٧١، والكامل ١١/ ١٣٨.

(٢) الصلة لابن بشكوال ٢/ ٤٥٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٨٣، والمعين فى طبقات المحدثين ص ٢٣٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٩٨، الديباج المذهب ٢/ ٤٦.

(٣) فى الأصل، ص: «ستين»، وفى خ، م: «أربعين». والمثبت من مصادر الترجمة.

(٤ - ٤) فى الأصل: «مزان بن ماس»، وفى خ: «مران بن ماس»، وفى م: «مروان بن ماس»، وفى ص: «يزاد بن ماهن». والمثبت من مرآة الزمان ٨/١/ ٢٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٢، والروضتين ١/ ١٥١.

كثيرةٌ ؛ منهم ابنُ القَيْسَرانيِّ وغيرُه ، وقد سرَدَها أبو شامةَ فى « الرَّوْضَتَيْنِ »[1] .

وفى يومِ الأربعاءِ ثالثِ ربيعِ الآخرِ اسْتُوزِرَ للخلافةِ أبو المُظَفَّرِ يحْيَى بنُ محمدِ ابنِ هُبَيْرَةَ ، ولُقِّب عونَ الدينِ ، وخُلِع عليه .

وفى رجبٍ قصَد ملكْشاه بنُ محمودٍ بغدادَ ومعه خلقٌ مِن الأمراءِ ؛ منهم علىُّ بنُ دُبَيسٍ وجماعةٌ مِن التُّرْكُمانِ وغيرِهم ، وطلَبُوا مِن الخليفةِ أنْ يُخطَبَ له ، فامتَنَع مِن ذلك ، وتكرَّرَتِ المُكاتَباتُ ، وأرسَل الخليفةُ إلى السلْطانِ مسعودٍ يسْتَحِثُّه فى القدومِ ، فتمادَى عليه وضاقَ النِّطاقُ ، واتَّسَع الخَرْقُ على الرَّاقِعِ ، وكتَب المَلِكُ سَنْجَرُ إلى ابنِ أخيه مسعودٍ يَسْتَحثُّه إنْ لم يسرعْ المَشْىَ إلى الخليفةِ ، فما جاءَ إلَّا فى أواخرِ السنةِ ، فانْقَشعَتْ تلك الشرورُ كلُّها ، وتبدَّلَتْ سُرورًا أجْمَعُها .

وفى هذه السنةِ زُلزِلتِ الأرضُ زِلْزالًا شديدًا ، وتموَّجتِ الأرضُ عشْرَ مراتٍ ، وتقَطَّع جبلٌ بحُلْوانَ ، وانهَدَم الرِّباطُ البِهرُوزِىُّ[2] ، وهلَك خلقٌ كثيرٌ بالبِرْسامِ ، لا يتكلَّمُ المَرْضَى حتى يموتُوا .

وفيها ماتَ سيفُ الدينِ غازِى بنُ زَنْكِى صاحبُ المَوْصِلِ ، وملَك بعدَه أخوه قُطْبُ الدينِ مودودُ بنُ زَنْكى ، وتزوَّج بامرأةِ أخيه التى لم يدخُلْ بها الخاتونِ بنتِ تُمُرْتاشَ بنِ إيلْغازى بنِ أُرْتُقَ صاحبِ مَارِدِينَ ، فولَدَتْ له أولادًا ، كلُّهم ملَكُوا المَوْصِلَ ، وكانتْ هذه الخاتونُ تضَعُ خِمارَها بحضْرةِ خمسةَ عشَرَ مَلِكًا[3] .

---

(١) الروضتين ١/ ١٥٢.

(٢) فى م : « النهر جورى » .

(٣) أى : من آبائها وأخواتها وأبنائها ، والمقصود أنها سليلة ملوك وأم ملوك . وانظر عيون التواريخ ١٢/ ٤٣٦.

وفيها سار المَلِكُ نورُ الدينِ محمودٌ إلى سِنْجارَ ففتَحَها ، فجهَّز إليه أخوه قطبُ الدينِ مودودٌ جيشًا ليرُدَّه عنها ، ثم اصْطَلَحا ، فعوَّضَه منها الرَّحبَةَ وحِمْصَ ، واستمرَّتْ سِنْجارُ لقطبِ الدينِ ، وعادَ نورُ الدينِ إلى بلَدِه . وغزَا فى هذه السنةِ الفِرنْجَ فقتَل منهم خلقًا وأسَر البرنسَ صاحبَ أنْطاكِيَةَ ، فمدَحَه الشعراءُ منهمُ الفتحُ القَيْسَرانىُّ بقصيدةٍ طَنَّانةٍ يقولُ فى أوَّلِها[1] :

هذِى العزائمُ لا ما تَدَّعى[2] القُضُبُ ... وذى المكارِمُ لا ما قالَتِ الكُتُبُ

وهذه الهِمَمُ اللّاتى متى خُطِبَتْ ... تعثَّرَتْ خلْفَها الأشْعارُ والخُطَبُ

صافَحْتَ يا ابنَ عمادِ الدينِ ذرْوَتَها ... براحةٍ للمَساعى دونَها[3] تَعَبُ

ما زالَ جَدُّكَ يبْنِى كلَّ شاهقةٍ ... حتى بنَى قُبَّةً أوْتادُها الشُّهُبُ

وفيها فتَح نورُ الدينِ حِصْنَ أفَاميَةَ وهو قريبٌ مِن حَمَاةَ .

وفيها ماتَ صاحبُ مصرَ **الحافظُ لدينِ اللَّهِ عبدُ المجيدِ بنُ أبى القاسمِ محمدِ ابنِ المُسْتَنْصِرِ**[4] ، فقامَ بالأمرِ مِن بعدِه ولَدُه الظّافرُ[5] إسماعيلُ ، وقد كانَ أحمدُ ابنُ الأفضلِ ابنِ أميرِ الجيوشِ قد اسْتَحوذ على الحافظِ وخطَب بمصرَ للقائمِ آخِرَ الزمانِ ، وأذَّنَ بـ حىَّ على خَيْرِ العمَلِ . وللحافظِ وُضِع طَبْلُ القُولَنْجِ الذى[6] إذا ضربه من به القولنجُ يخرجُ منه القولنجُ والريحُ الذى به[6] .

---

(1) انظر الكامل ١١/ ١٤٥. والروضتين ١/ ١٥٢.

(2) فى خ، م: «تنعق».

(3) فى الأصل، ص: «تعبها».

(4) الكامل ١١/ ١٤١، ووفيات الأعيان ١/ ٢٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٩٣، والوافى بالوفيات ٩/ ١٥١، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٣٧.

(5) فى الأصل: «الظاهر».

(٦ - ٦) فى الأصل، ص: «كان من جرجه يخرج الجروح».

وخرَج بالحَجيجِ [٩/٢٤٤ظ] الأميرُ نَظَرٌ الخادِمُ فمرِض بالكوفةِ ، فرجَع واسْتَخلَف عليهم مَوْلَاه قَايْمازُ ، وحينَ وصُولِه إلى بَغْدادَ تُوفِّى - رحِمه اللَّهُ - بعدَ أيام ، وطمِعَت العربُ فى الحَجيجِ ، فوقَفُوا لهم فى الطريقِ وهم راجِعون ، فضَعُفَ قَايْمازُ عن مقاوَمتِهم ، فأخَذ لنفْسِه أمانًا وهرَب وأسْلَم إليهم الحَجيجَ ، فقَتلُوا أكثرَهم وأخَذُوا أموالَ الناسِ ، وقلَّ مَن سلِم ممَّن نجَا ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجِعون .

وفيها ماتَ **مُعينُ الدينِ أُنُرُ**[1] أتابِكُ العساكرِ بدمشقَ ، وكان أحدَ مماليكِ طُغْتِكينَ ، ثم كان بعدَ ذلك أتابِكَ المُلوك بدمشقَ ، وهو والدُ الستِّ عِصْمَةَ الدينِ خاتونَ زوجةِ الملكِ نُورِ الدينِ ، وهو واقفُ المدرسةِ المُعِينيَّةِ ، داخِلَ بابِ الفَرَجِ ، وقبْرُه فى قُبَّةٍ قِبْلىَّ الشاميَّةِ البَرَّانيَّةِ ، بمحلَّةِ العُوَيْنَةِ ، عندَ دارِ البِطِّيخِ ، رحِمه اللَّهِ .

ولمَّا ماتَ مُعينُ الدينِ قوِيَتْ شوكةُ الوزيرِ الرئيسِ[2] مؤيِّدِ الدولةِ علىِّ بنِ الصُّوفىِّ وأخيه زَيْنِ الدولةِ حَيْدَرَةَ ، ووقَعَتْ بينَهما وبينَ الملكِ مُجيرِ الدينِ أبَقَ[3] وحْشَةٌ ، اقْتضتْ أنَّهما حشَدا مِن العامَّةِ والغَوْغاءِ ما يقاوِمُه ، فاقْتَتلوا وقُتِل خلقٌ مِن الفريقَيْن ، ثم وقَع الصلحُ بعدَ ذلك ، وامتَدَحه الشعراءُ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ نِظامِ المُلْكِ الحسنُ بنُ علىٍّ ، أبو نصرٍ[4] الوزيرُ للمُسْتَرْشِدِ ،

---

(١) فى خ ، م ، ص : « ابن » . وانظر ترجمته فى : الكامل ١١/ ١٤٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٨٥، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٣٠، والوافى بالوفيات ٩/ ٤١٠.

(٢) فى الأصل : « الدبيس » ، وفى ص : « الرسيد » .

(٣) فى الأصل ، خ ، ص : « أتق » ، وفى م : « أرتق » . والمثبت من عيون التواريخ ١٢/ ٤٣٠.

(٤) المنتظم ١٨/ ٧٢، والكامل ١١/ ١٤٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٣٦، والوافى بالوفيات ٦/ ٣٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٧٣.

والسلطانِ محمودٍ ، وقد سمِع الحديثَ ، وكان مِن خيارِ الوزراءِ ، رحِمه اللَّهُ .

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسينِ الأرَّجانِيُّ[1] ، قاضى تُسْتَرَ ، روى الحديثَ ، وكان له شعرٌ حسنٌ يَبتَكِرُ معانِيَ حسنةً ، فمِن ذلك قولُه[2] :

ولمَّا بلَوْتُ الناسَ أطلُبُ منهمُ ... أخَا ثِقَةٍ عندَ اعْتِراضِ الشدائدِ

تَطمَّعْتُ فى حالَيْ رخاءٍ وشدةٍ ... ونادَيْتُ فى الأحْياءِ هل مِن مساعدِ

فلم أرَ فيما ساءَنى غيرَ شامِتٍ ... ولم أرَ فيما سرَّنِى غيرَ حاسدِ[3]

تَمَتَّعْتُما يا ناظِرَىَّ بنظْرَةٍ ... وأوْرَدْتُما قلْبِى أمَرَّ المواردِ

أَعَيْنَىَّ كُفَّا عن فؤادى فإنَّه ... مِن البَغْيِ سَعْىُ اثْنَيْن فى قتْلِ واحدِ

عيسى بنُ هبةِ اللَّهِ بنِ عيسى ، أبو عبدِ اللَّهِ النَّقَّاشُ[4] ، سمِع الحديثَ ، ومولدُه سنةَ سبعٍ وخمسين وأربعِمائةٍ .

قال ابنُ الجَوْزِيِّ : وكان ظريفًا خفيفَ الرُّوحِ ، له نوادرُ حسنةٌ ، قد رأى الناسَ ، وعاشَر الأكْياسَ ، وكان يحضُرُ مجلِسِى ويكاتِبُنى وأكاتِبُه ، كتَبتُ إليه

---

(١) المنتظم ١٨/ ٧٢، وخريده القصر (قسم العراق) ١/ ١٤١، ١٨٧، ١٨٨، ٢/ ١٩٠، ووفيات الأعيان ١/ ١٥١، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢١٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٧٦، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٧٣.

(٢) المنتظم ١٨/ ٧٣، والكامل ١١/ ١٤٧.

(٣) بعده فى خ :

فطلقت ود العالمين جميعهم ... ورحت فلا ألوى على غير واحد

وخلصت قلبى ثم أخلصت للذى ... له الملك فى الدنيا وما بك فى غد

وبعده فى م :

فطلقت ود العالمين جميعهم ... ورحت فلا ألوى على غير واحد

(٤) المنتظم ١٨/ ٧٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٨٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٠١، والديباج المذهب ٢/ ٥٠، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٦.

مرَّةً ، فعظَّمْتُه فى الكتابةِ ، فكتَب إلىَّ :

قد زِدْتَنى فى الخطابِ حتى ... خَشِيتُ نقصًا مِن الزِّيادهْ
فاجعَلْ خِطابى خطابَ مِثلى ... ولا تُغيِّرْ علىَّ عادهْ

وله[1] :

إذا وجَد الشيخُ فى نفْسِه ... نَشاطًا فذلك مَوْتٌ خَفِى
أَلَسْتَ ترَى أنَّ ضوْءَ السِّراجِ ... له لَهَبٌ قبلَ أنْ يَنْطَفِى

غازِى بنُ آقْ سُنْقُرَ[2] الملكُ سيفُ الدينِ صاحِبُ المَوْصِلِ ، وهو أخو نُورِ الدينِ محمودٍ صاحبِ حَلَبَ ، ثم دِمَشْقَ فيما بعدُ ، وقد كان سيفُ الدينِ هذا مِن خيارِ المُلوكِ وأحْسَنِهم سِيرةً ، وأجْوَدِهم سَريرةً ، وأصْبَحِهم صورةً ، شُجاعًا كريمًا ، يذبَحُ كلَّ يومٍ لجيشِه مِائةً مِن الغنَمِ ، ولمماليكِه ثلاثينَ رأسًا ، وفى يومِ العيدِ ألفَ رأسٍ سِوَى البقَرِ والدَّجاجِ ، وهو أوَّلُ مَن حُمِل على رأسِه سَنْجَقٌ[3] مِن ملُوكِ الأطْرافِ ، وأمَر الجُندَ أنْ لا يركَبُوا إلَّا بسيفٍ ودَبُّوسٍ[4] ، وبنَى مدرسةً بالمَوصِلِ ، ورِباطًا للصوفِيَّةِ ، وامْتدَحه الحَيْصَ بَيْصَ فأعْطَاه [٩/٢٤٥و] ألفَ دينارٍ عَيْنًا ، وخِلْعَةً .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٧٥.

(٢) الكامل ١١/ ١٣٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٠٣، وشذرات الذهب ٤/ ١٣٩.

(٣) السنجق : هو الراية التى تحمل خلف السلطان عند ركوبه وهى من شعار الملك القديمة . والسنجق بالفارسية : اللواء . والسنجق باللغة التركية معناه الطعن ، سميت الراية بذلك لأنها تكون فى أعلى الرمح . وحامله يسمى « سنجقدار » . وانظر الوسيط (س ن ج ق) .

(٤) الدبوس ، ويسمى العامور : وهو آلة من حديد ذات أضلاع ينتفع بها فى قتال لابس البيضة ومن فى معناه . ويقال إن خالد بن الوليد ، رضى الله عنه ، كان به يقاتل . انظر صبح الأعشى ٢/ ١٣٥.

ولمَّا تُوفِّى بالحُمَّى فى جَمادَى الآخرةِ مِن هذه السنةِ دُفِنَ فى مدْرسَتِه المذْكورَةِ، وله مِن العمرِ أرْبعونَ سنةً، وكانت مدةُ مُلْكِه بعدَ أبيه ثلاثَ سنينَ وخمسين يومًا، رحِمه اللَّهُ.

نَظَرٌ[1] **الخادِمُ، أميرُ الحاجِّ** مدَّةَ عشرين[2] سنةً وأكثرَ، وسمِع الحديثَ وقرَأ على ابنِ الزَّاغُونيِّ، وكان يحِبُّ العلمَ والصَّدقةَ والبِرَّ، وكان الحاجُّ معه فى غايَةِ الدَّعَةِ والأمْنِ، وذلك لشجاعتِه ووَجاهتِه عندَ الخلفاءِ والملُوكِ والأمراءِ.

تُوفى ليلةَ الثلاثاءِ الحادِىَ عشَرَ مِن ذى القَعْدَةِ، ودُفِن بالرُّصَافَةِ.

---

(١) فى خ، م: «قطز». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٨/ ٧٦، والكامل ١١/ ١٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢١٣، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ٢٠٥، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٣٧.
(٢) فى الأصل، ص: «عشر».

ثم دخلت سنة خمسٍ وأربعِين وخمسِمائةٍ

فيها[1] فتَح نُورُ الدينِ محمودٌ حصْنَ أفامِية ، وهو مِن أحْصَنِ القِلاعِ وأوسعِ البِقاعِ ، وقيل : فى السنةِ التى قبلَها .

وفيها قصَد دمشقَ فلم يتَسنَّ له أخْذُها ، فخلَع على ملِكِها مجيرِ الدينِ أَبَقَ[2] ، وعلى وزيرِه الرئيسِ ابنِ الصُّوفىِّ ، وتقرَّر الحالُ على الخطْبَةِ له بها بعدَ الخليفةِ والسلْطانِ ، وكذلك السِّكَّةِ .

وفيها فتحَ نورُ الدينِ حِصْنَ عَزَازَ ، وأسَر ملِكَها ابنَ جُوسلينَ ، ففَرِح المسلمون بذلك كافَّةً ، ثم أسَر بعدَه والدَه جُوسلينَ الملكَ الإفرَنجىَّ ، [3]فكانتِ الفرحةُ أعظمَ ، وفتَح بعدَ أسرِه مِن بلادِه شيئًا كثيرًا مِن الحصونِ ، ولِلَّهِ الحمدُ والمنةُ ، وبه التوفيقُ والعِصْمةُ[3] .

وفى المحرَّمِ حضَر يوسُفُ الدِّمَشْقِىُّ تدريسَ النِّظامِيَّةِ ، وخُلِع عليه ، وحضَر عندَه الأعيانُ ، ولمَّا لم يكُنْ ذلك بإذْنِ الخليفةِ ، بل بمَرْسُومِ السلْطانِ ، وابنِ نظامِ المُلْكِ مُنِع مِن ذلك ، فلَزِم بيتَه ولم يَعُدْ إلى المدرسةِ بالكُلِّيَّةِ ، ووَلِى بعدَه الشيخُ

---

(١) المنتظم ١٨/ ٧٧، والكامل ١١/ ١٤٨.

(٢) فى الأصل ، ص : « ابن أبق » ، وفى م : « أرتق » . وانظر مرآة الزمان ٨/١/ ٢٠٦، والعبر ٤/ ١٢٣.

(٣ - ٣) فى خ ، م : « فتزايدت الفرحة بذلك وفتح بلادا كثيرة من بلاده » .

أبو النجيبِ بإذْنِ الخليفةِ ومرْسُومِ السلْطانِ .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] : وفى هذه السنةِ وقَع باليَمنِ مطرٌ كلُّه دَمٌ ، حتى صبَغ ثِيابَ الناسِ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها من الأعْيانِ :

الحسنُ بنُ ذى النُّونِ بنِ أبى القاسمِ بنِ أبى الحسنِ[2] ، **أبو المفاخرِ النَّيْسَابُورِىُّ** ، قدِم بغدادَ فوعَظَ ، وجعَل ينالُ مِن الأشعريَّةِ فأحبَّه الحنابلةُ ، ثم اختبَرُوه ، فإذا هو مُعْتَزِلىٌّ ، ففتَر سُوقُه ، وجرَتْ بسببِه فتنةٌ ببغدادَ ، وقد سمِع منه ابنُ الجَوْزِىِّ شيئًا مِن شعرِه ، مِن ذلك[3] :

مَاتَ الكِرامُ ومَرُّوا وانقَضَوْا ومَضَوْا ... ومات مِن بعْدِهمْ تلكَ الكَراماتُ

وخلَّفُونىَ فى قومٍ ذَوِى سَفَهٍ ... لو أبْصَرُوا طَيْفَ ضيفٍ فى الكَرَى ماتُوا

عبدُ الملكِ بنُ عبدِ الوهَّابِ الحَنْبَلىُّ[4] ، القاضى بهاءُ الدينِ ، كان يعرِفُ مَذهبَى أبى حنيفةَ وأحمدَ ، ويُناظِرُ عنهما ، ودُفِن مع أبيه وجدِّه بقبورِ الشهداءِ .

عبدُ الملكِ بنُ أبى نَصْرِ بنِ عمرَ ، أبو المَعالِى الجِيلِىُّ[5] ، كان فقيهًا صالحًا

---

(١) المنتظم ١٨/ ٧٨.

(٢) المنتظم ١٨/ ٧٨، والكامل ١١/ ١٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢١٧. وعيون التواريخ ١٢/ ٤٣٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٩٨.

(٣) المنتظم ١٨/ ٧٩.

(٤) مرآة الزمان ٨/١/ ٢٠٧ وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٢٤، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٣٩، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢١٩، وشذرات الذهب ٤/ ١٤٣.

(٥) فى الأصل، ص: «الحنبلى». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٨/ ٨٠، وفيه (عبد الملك بن أبى نضر)، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٢٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٨٩.

ديِّنًا متعبِّدًا فقيرًا ، ليس له بيتٌ يسكُنُه ، وإنَّما يبيتُ بالمساجدِ المهجورةِ ، وقد خرَج مع الحجيجِ ، فأقامَ بِفَيْدَ[1] ، فكان أهلُها يثْنُون عليه خيْرًا .

الفَقِيهُ أبوُ بكرِ بنُ العَربيِّ[2] المالِكِيُّ ، شارِحُ « التِّرْمِذِيِّ » ، كان فقيهًا عالمًا ، وزاهدًا عابدًا ، وسمِع الحديثَ بعدَ اشْتِغالِه فى الفقهِ ، وصحِب الغَزَّاليَّ ، وأخَذ عنه ، وكان يتَّهِمُه برأيِ الفلاسفَةِ ، ويقولُ : دخَل فى أجْوافِهم فلم يخْرُجْ منها . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ .

---

(١) فى خ ، م : « بمكة يعبد ربه ويفيد العلم » . وفَيْد : منزل بطريق مكة . معجم البلدان ٣/ ٩٢٧.

(٢) بغية الملتمس ص ٩٢، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٩٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٩٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٥٩، والديباج المذهب ٢/ ٢٥٢، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ١٠٥.

ثم دخَلَتْ سنَةُ سِتٍّ وأرْبعيـنَ وخمسِمائةٍ

فيها[1] أغارَ جيشُ السلْطانِ على بلادِ الإسْماعِيلِيَّةِ، فقتَلوا خلقًا ورجَعُوا سالِميـنَ.

وفيها حاصَر نورُ الدينِ دِمشقَ شهرًا، ثم رحَل عنها إلى دَارَيّا[2]، وكان الصلحُ على يدَيِ البُرْهانِ [٩/٢٤٥ظ] البَلْخِيِّ، رَحِمه اللَّهُ.

وفيها اقتَتَل الفَرَنْجُ وجيشُ نورِ الدينِ محمودٍ فانهزَم المسلمونَ، وقُتِل منهم خلْقٌ، فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجعونَ، ولمّا وقَع هذا الأمرُ شقَّ على الملكِ نورِ الدينِ وهجَر اللَّذَّةَ والتَّرَفُّه حتى يأْخُذَ بالثأْرِ، وأغرَى بهم جماعةً من التُّرْكُمانِ، فترصَّدوا لملكِهم جُوسلينَ الإفْرَنجِيِّ، فلم يزالُوا به حتى أسَرُوه فى بعضِ مُتَصيَّداتِه، فأرسَلَ نورُ الدينِ، فكبَسَ التُّرْكُمانَ وأخَذَ منهم جوسلينَ أسيرًا، وكان مِن أعْتَى الكَفَرةِ، وأعظمِ الفَجرَةِ، لعَنه اللَّهُ، فأوْقَفَه بيـنَ يدَيْه فى أذَلِّ حالٍ، ثم سجَنه، وسارَ نورُ الدينِ إلى بلادِه فأخَذَها كلَّها بما فيها.

وفى ذى الحِجَّةِ جلَس ابنُ العَبَّادِيِّ فى جامعِ المنْصُورِ وتكلَّمَ، وعندَه جماعةٌ مِن الأعيانِ، فكادتِ الحنابلةُ يُثيرونَ فتنةً ذلك اليومَ؛ [3]لكونِه غيرَ حنْبَلِيٍّ[3].

---

(١) المنتظم ١٨/ ٨١، والكامل ١١/ ١٥٤.

(٢) فى الأصل، ص: «مدينة بسرى»، وفى خ، م: «حلب». والمثبت من مرآة الزمان ٨/١/ ٢٠٩، وانظر عيون التواريخ ١٢/ ٤٤٢.

(٣ - ٣) فى خ، م: «ولكن اللَّه لطف وسلم».

وحجَّ بالناسِ فيها قايْماز الأُرجُوانيُّ .

ومِمَّنْ تُوفِّي فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخ بُرْهانُ الدينِ أبو الحسَنِ عليٌّ البَلْخِيُّ[1] ، شيخُ الحنفيّةِ بدِمَشْقَ ، درَّس بالبَلْخِيَّةِ ، ثم بالخاتُونِيَّةِ البَرَّانِيَّةِ ، وكان عالمًا عاملًا ، وَرِعًا زاهدًا ، ودُفِن بمقابرِ بابِ الصغيرِ .

(١) الروضتين ١/ ٢٢٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٣١٧.

ثم دخلت سنة سَبْعٍ وأَرْبَعِين وخَمْسِمِائةٍ

فيها[1] تُوفِّى السلْطانُ مسعودٌ ، وقامَ بالأمرِ مِن بعدِه [2]ابنُ أخيهِ[2] مَلِكْشَاه بنُ محمودٍ ، ثم جاءَ السلطانُ محمدٌ فأخَذَ المُلْكَ ، واستقرَّ له ، وقتَلَ الأميرَ خاصَّ بَك ، وأخَذَ أموالَه ، وألْقَاه للكلابِ فاختبَطَتْ بغدادُ ، واضطربَتِ الأمورُ ، وتغيَّرتِ القواعِدُ ، وبلَغ الخليفةَ أنَّ وَاسِطًا قد تخبَّطَتْ أيضًا ، فركِبَ إليها فى الجيشِ فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ ، وأصلَحَ شأْنَها ، وكَرَّ على الكُوفَةِ والحِلَّةِ ، ثم عادَ إلى بَغْدادَ مؤيَّدًا منصورًا ؛ فزُيِّنَتْ له البلدُ ، ولِلَّهِ الحمدُ .

وفيها مَلكَ عبدُ المؤمنِ صاحِبُ بلادِ المغْرِبِ بِجايَةَ ، وهى بلادُ بَنِى حَمَّادٍ ، فكان آخرَ ملُوكِهم يَحْيَى بنُ عبدِ العزيزِ بنِ حَمَّادٍ ، ثم بعَثَ جيْشًا إلى صِنْهَاجَةَ فحاصَرها ، وأخَذَ أموالَها .

وفيها كانتْ وقعةٌ عظيمةٌ بيـنَ نورِ الدينِ محمودٍ وبيـنَ الفَرَنْجِ ، فكسَرهم وقتَلَ منهم خلْقًا كثيرًا ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفيها اقْتتَلَ سَنْجَرُ ومَلِكُ الغُورِ علاءُ الدينِ الحُسَيْنُ بنُ الحسينِ[3] أوَّلُ

---

(١) المنتظم ١٨/ ٨٣، والكامل ١١/ ١٥٨.

(٢ - ٢) فى النسخ : «أخوه» . والمثبت من الكامل ١١/ ١٦١. وانظر مختصر تاريخ دولة سلجوق ص ٢٠٨، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ٢٣.

(٣) فى الأصل، خ، ص : «الحسن» ، وانظر لكامل ١١/ ١٦٤، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ٢٤.

ملُوكِهم ، فكسَره سَنْجَرُ وأسَره ، فلمَّا أحْضَره بيـنَ يَديْه قال له[1] : ماذا كنتَ تصنَعُ بى لو أسَرْتَنى ؟ فأخْرجَ قيْدًا مِن فِضَّةٍ وقال : كنتُ أُقيِّدُكَ بهذا . فعَفَا عنه وأطْلَقه إلى بلادِه ، فسارَ[2] إلى غَزْنَةَ فانْتزَعَها مِن يَدِ صاحبِها بَهْرامْ شاه السُّبُكْتِكينى ، واسْتَخلفَ عليها أخاه سيْفَ الدينِ فغدَرَ به أهلُ البلدِ ، وسلَّمُوه إلى بَهْرَام شاه فصلَبَه ، وماتَ بَهرامْ شاه قريبًا ، فسارَ إليها علاءُ الدينِ فهرَبَ خُسْرُو ابنُ بَهْرامْ شاهَ عنها ، فدخَلها علاءُ الدينِ فنهبَها ثلاثةَ أيامٍ ، وقتَل مِن أهْلِها بشَرًا كثيرًا ، وسخَّرَ أهلَها ، فحُمِّلُوا تُرابًا فى مَخالٍ إلى محلَّةٍ هناك بعيدةٍ عن البلدِ ، فعمَّرَ مِن ذلك الترابِ قلعةً معْرُوفةً إلى الآنَ ، وبذلك انْقَضَتْ دولةُ بنِى سُبُكْتِكِيـنَ عن بلادِ غَزْنَةَ وغيرِها . وقد كان ابْتِداءُ أمْرِهم فى سنَةِ سِتٍّ وستِّيـنَ وثلاثِمائةٍ[3] ، وكانوا مِن خيارِ الملُوكِ ، وَأكْثَرِهم جِهادًا فى الكفَرةِ ، وأكثرِهم أموالًا ونساءً وعَددًا وعُدَدًا ، قد كسَروا الأصنامَ ، وأبادُوا الكفّارَ ، وجمَعوا مِن الأموالِ ما لم يجمَعْ غيرُهم مِن الملوكِ ، مع أن بلادَهم مِن أطيبِ البلادِ وأكثرِها ريفًا ومياهًا ففَنِى جميعُه ، وزال عنهم ؛ ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران : ٢٦] . ثم ملَكَ الغُورَ والهِنْدَ وخُرَاسَانَ ، واتَّسعَتْ ممالِكُهم وعظُمَ سلْطانُهم .

وحكَى ابنُ الجَوْزِىِّ فى « المنتظَمِ »[4] أنَّ فى هذه السنَةِ باضَ دِيكٌ بيضةً

(١) الكامل ١١/ ١٦٤.
(٢) المقصود علاء الدين الحسين بن الحسين . انظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٣٦، ٣٧.
(٣) بعده فى م : « إلى سنة سبع وأربعين وخمسمائة » .
(٤) المنتظم ١٨/ ٨٣.

واحدةً ، ثم باضَ [٢٤٦/٩و] بازٍ بيْضتَيْنِ ، وباضَتْ نعامةٌ ليس لها ذكَرٌ ، وهذا شيءٌ عجيبٌ .

ومِمَّنْ تُوفِّي فيها مِن الأعيانِ :

المُظَفَّرُ بنُ أرْدَشِيرَ ، أبو منْصورٍ العَبَّادِيُّ[1] ، الواعظُ ، سمِعَ الحديثَ ، ودخَلَ بَغْدادَ فأمْلَى بها ووعَظَ ، وكان يكتُبُ ما يعِظُ الناسَ به ، فاجتمعَ له مِن ذلك مجلَّداتٌ . قال ابنُ الجَوْزِيِّ[2] : لا تكادُ تجِدُ فى المجلَّدِ خمسَ كلماتٍ جيدةٍ . وتكلَّم فيه ، وأطالَ الحطَّ[3] عليه ، واسْتَحْسنَ مِن كلامِه قولَه[4] : وقد سقَطَ مطَرٌ وهو يعِظُ الناسَ ، ففَرَّ الناسُ إلى ما تحتَ الجدْرانِ ، فقال ، لا تَفِرُّوا مِن رشاشِ ماءِ رحمةٍ ، قَطَرَ مِن سحابِ نعمةٍ ، ولكِن فِرُّوا مِن شَرارِ نارٍ اقتُدِح مِن زِنادِ الغضَبِ . تُوفِّى وقد جاوَز الخمسينَ بقليلٍ .

مسعودُ السلْطانُ (٥) بنُ (٦) محمدِ بنِ (٦) مَلِكْشاه بنِ ألبِ أرسَلانَ بنِ داودَ بنِ ميكائيلَ بنِ سَلجوقَ التركيُّ السَّلْجوقيُّ (٥) ، صاحِبُ العراقِ وغيرِها ، حصَلَ له مِن التَّمَكُّنِ والسعادةِ شيءٌ كثيرٌ لم يحصُلْ لغيرِه ، وجرَتْ له خطُوبٌ كثيرةٌ ،

---

(١) فى الأصل ، ص : « بن العبادى » ، وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ٨٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٨٨، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٦٣، وطبقات الشافعية ٧/ ٢٩٩.

(٢) المنتظم ١٨/ ٨٨.

(٣) فى الأصل : « فيه الحث » .

(٤) المنتظم ١٨/ ٨٧.

(٥ - ٥) سقط من خ ، م ، وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ٨٨، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٠٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٨٦، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٦٢، وتاريخ الخلفاء ص ٤٣٩.

(٦ - ٦) سقط من النسخ والمثبت من مصادر ترجمته السابقة .

وحروبٌ طويلةٌ[1] ، وقد أسَرَ فى بعضِ تلك الحروبِ الخليفةَ المُسْتَرْشِدَ ، كما تقدَّم[2] ، تُوفِّى يومَ الأرْبعاءِ سلْخَ جُمادَى الآخرةِ مِن هذه السنةِ .

يَعْقُوبُ الخَطَّاطُ الكاتبُ[3] ، تُوفِّى بالنِّظامِيَّةِ ، فجاءَ دِيوانُ الحشْرِيَّةِ ؛ ليأخذُوا مِيراثَه لبيتِ المالِ ، فمنَعهمُ الفقهاءُ ، فجرَتْ فتنةٌ عظيمةٌ ، آل الحالُ إلى عَزْلِ مدرِّسِها الشيخِ أبى النَّجيبِ ، وضَرْبه بالديوانِ تَعْزِيرًا .

---

(١) بعده فى خ ، م : « كما تقدم بعض ذلك » .

(٢) تقدم فى ص ٣٠٣ .

(٣) المنتظم ١٨/ ٨٩، والكامل ١١/ ١٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٩١.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وأربعين وخمسمائة

فيها[1] وقعتِ الحربُ بينَ السلطانِ سَنْجَرَ وبينَ الأتراكِ ببلادِ بَلْخَ ، فقتَلُوا مِن جيشِه خلقًا كثيرًا جدًّا بحيثُ بَقِيتِ القتْلَى مثلَ التلالِ العظيمةِ ، وأسَرُوا السلطانَ سَنْجَرَ ، وقتَلُوا مَن كان معه مِن الأمراءِ صَبْرًا ، ولما استحْضَرُوه قبَّلُوا الأرضَ بينَ يديه ، وقالُوا : نحنُ عبيدُكَ ، وكانوا عدَّةً مِن الأمراءِ الكِبارِ ، فأقام عندَهم شهرَيْنِ ثم جاءوا معه ، فدخَلُوا مَرْوَ ، وهي كُرْسِيُّ مَمْلكَةِ خُرَاسَانَ ، فسأَلَه بعضُهم أنْ يجْعلَها له إقْطاعًا ، فقالَ : هذا لا يمكِنُ ؛ هذه كُرْسِيُّ المَمْلكَةِ . فضَحِكُوا منه وأضرَط به بعضُهم ، فنزَل عن سريرِ المَمْلكَةِ ، ودخَل خانقاه ، وصار فقيرًا مِن جملةِ أهْلِها ، وتاب عن المُلْكِ ، واسْتَحْوذ أولئك الأتراكُ على البلادِ فنَهبُوها ، وترَكُوها قاعًا صفْصَفًا ، وأقامُوا سليمان شَاه مَلِكًا ، فلم تَطُلْ مدَّتُه حتى عزَلُوه ، ووَلَّوا ابنَ أختِ سَنْجَرَ الخاقانَ محمودَ بنَ محمدِ بنِ كوخانَ[2] ، وتفرَّقَتِ الأمورُ واسْتَحوذ كلُّ إنسانٍ على ناحِيَةٍ مِن تلك الممالِكِ ، وصارَتِ الدولةُ دُوَلًا .

وفيها كانتْ حروبٌ كثيرةٌ بينَ عبدِ المؤمنِ وبينَ العرَبِ ببلادِ المغرِبِ . وفيها أخذَتِ الفِرنْجُ مدينةَ عَسْقَلَانَ مِن السواحلِ . وفيها خرَج الخليفةُ إلى وَاسِطٍ فى جَحْفَلٍ فأصلَح شأْنَها وعادَ إلى بَغْدادَ . وحجَّ بالناسِ فيها قايْمازُ الأُرْجوانيُّ[3] .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٩٠، والكامل ١١/ ١٧٦.

(٢) فى الكامل ١١/ ١٨٣: «بغراخان».

(٣) بعده فى الأصل ، ص : «وممن توفى فيها أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح ، أبو الحسينِ الأَطْرابلسيُّ الشاعرُ الرَّفَّاءُ ، قال الحافظُ ابنُ عساكرَ : كان أبوه يُنشِدُ بأسواقِ أطرابُلُسَ . أشعارَ ابنِ العَوْنِيِّ ويُغَنِّى ، ونشَأ أبو الحسينِ هذا ، فقرَأ القرآنَ وتعلَّم العربيةَ والأدبَ ، وصار إلى مذهبِ الإماميةِ ؛ فكان رافضيًّا خبيثًا يكثِرُ الهجوَ =

وفيها كانتْ وفاةُ الشاعِرَيْنِ القرينَيْنِ المُشَبَّهَيْنِ فى الزمانِ الأخيرِ بالفَرَزْدَقِ وجَرِيرٍ ، وهما أبو الحسينِ أحمدُ بنُ مُنِيرٍ الجُونِيُّ[1] بحَلَبَ ، وأبو عبدِ اللَّهِ محمدُ ابنُ نَصْرِ بنِ صَغِيرٍ القَيْسَرانيُّ الحلَبِيُّ[2] بدمشقَ ، رحِمهما اللَّهُ .

وعليُّ بنُ السَّلَّارِ الملَقَّبُ بالعادِلِ ، وزيرُ الظافِرِ صاحِبِ مِصْرَ[3] ، وهو بانى المدرسةِ بالإسْكَنْدَرِيَّةِ للشافِعيَّةِ ؛ للحافظِ أبى طاهرٍ السِّلَفِيِّ ، رحِمه اللَّهُ ، وقد كان العادِلُ هذا ضِدَّ اسْمِه ؛ كان ظَلُومًا غَشُومًا حَطُومًا ، وقد ترجَمه ابنُ خَلِّكانَ[4] .

= والفُحشَ ، وقد سجَنه بورى بنُ [٩/ ٢٤٦ظ] طُغْتِكِينَ بدمَشقَ على سوءِ طريقتِه وأراد قطعَ لسانِه ، فاستوهَبَه منه الحاجبُ يوسفُ بنُ فَيْرُوزَ فوهَبه له ونفاه . وذكَر ابنُ عساكرَ من أشعارِه طَرَفًا ؛ فمِن ذلك قولُه :

وإذا الكريمُ رأى الخمولَ نَزِيلَهُ ... فى منزلٍ فالحزمُ أن يترحَّلا

كالبدرِ لما أَنْ تضاءلَ نورُهُ ... طلَب الكمالَ فحازَه متنقِّلا

وصِلِ الهجيرَ بهجرِ قومٍ كلَّما ... أمطَرتَهم عسلًا جَنَوا لك حَنْظَلا

للَّهِ عِلْمِى بالزمانِ وأهلِهِ ... ذَنْبُ الفضيلةِ عندَهم أن تَكْمُلا

طُبِعوا على لُؤمِ الطِّباعِ فَخَيرُهم ... إن قلتَ قال وإن سكَتَّ تَقَوَّلا

ثم روى ابنُ عساكرَ بسندِه أنَّ بعضَهم رآه بعدَ وفاتِه فى المنامِ فى شرٍّ خَيْبةٍ ورائحةٍ قبيحةٍ فقال : أتدرى ما جرَى علىَّ من هذه القصائدِ التى كُنتُ أقولُها ؟ إنَّ لسانى قد طال وثخُن وصار مدَّ البصرِ ، كلما أنشدتُ قصيدةً مِنها صارت كُلَّابًا يتعلَّقُ فى لسانِى . قال الرائى : وسمِعتُ قارِئًا يقرأُ من فوقِ رأسِه : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر : ١٦]. فانتبهتُ مَرْعُوبًا .

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٣٢، وخريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٧٦، وبغية الطلب ٣/ ١٤٤ (مخطوط)، ووفيات الأعيان ١/ ١٥٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٩٦. وهو المذكور فى الحاشية السابقة.

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٩٦، ومعجم الأدباء ١٩/ ٦٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٥٨، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٣٣٣.

(٣) الكامل ١١/ ١٨٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٤١٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٣١٨، والوافى بالوفيات ٢١/ ١٣٨، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٩٩.

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٤١٦.

ثم دخلت سنة تِسعٍ وأرْبَعِين وخَمْسِمائةٍ

فيها[1] ركِب الخليفةُ المُقْتَفِى فى جيشٍ كثيفٍ إلى تَكْرِيتَ فحاصَر قلْعتَها، والتقَى جَمْعًا هنالك مِنَ الأتراكِ والتُّرْكُمانِ، فأظْفرَه اللَّهُ بهم، وهزَمهم له، وأعلى كلمتَه عليهم، ثم عادَ إلى بَغْدادَ مؤيَّدًا منصورًا.

وجاءَتِ الأخبارُ بأنَّ مِصْرَ قد قُتِل خليفتُها الظافِرُ، ولم يَبْقَ مِنهم إلَّا صبىٌّ صغيرٌ ابنُ خمسِ سنين، قد ولَّوه عليهم ولقَّبُوه الفائزَ، فكتَب الخليفةُ عَهْدًا للملكِ نورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى على البلادِ الشاميةِ والديارِ المِصْرِيَّةِ، وأرسَله إليها.

وفيها هاجَتْ ريحٌ شديدةٌ بعدَ العِشاءِ فيها نارٌ، فخاف الناسُ أنْ تكونَ الساعَةَ، وزُلْزلتِ الأرضُ، وتغيَّرَ ماءُ دِجْلَةَ إلى الحُمْرةِ. وظهَر بأرضِ واسِطٍ مِن الأرضِ دمٌ لا يُعرفُ سببُه. وجاءَتِ الأخبارُ بأنَّ الملكَ سَنْجَرَ فى أَسْرِ التركِ، فى غايةِ الذُّلِّ والإهانةِ، وأنَّه يبْكِى على نفْسِه فى كلِّ وقتٍ.

وفيها انْتزَع الملكُ نورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى دمشقَ مِن يَدِ مَلِكِها مُجيرِ الدينِ أَبَقَ بنِ محمدِ بنِ بُورِى بنِ طُغْتِكِينَ، وذلك لسوءِ سيرتِه وضَعْفِ دوْلتِه، ومُحاصرَةِ العامَّةِ له فى القَلْعَةِ غيرَ مرَّةٍ، معَ وزيرِه الرئيسِ مؤيِّدِ الدولةِ المُسَيَّبِ[2]

---

(١) المنتظم ١٨/ ٩٥، والكامل ١١/ ١٩١.

(٢) هنا وفيما يأتى فى النسخ: «على». والمثبت من تاريخ دمشق ٧/ ٢٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٣٨٢.

ابنِ الصوفيِّ ، وتغلَّبِ الخادمِ عَطاءِ على المَمْلكَةِ مع ظلْمِه وغَشْمِه ، فكان الناسُ يدْعُونَ اللَّهَ ليلًا ونَهارًا أن يُبدِلَهم بالملكِ نورِ الدينِ ، واتَّفَق مع ذلك أنَّ الفرنْجَ أخَذُوا عسْقَلانَ ، فتحرَّق الملكُ نورُ الدينِ على ذلك ، ولا يمْكِنُه الوصولُ إليهم ؛ لأنَّ دِمشقَ بينَهم وبينَه ، ويخْشَى أنْ يُحاصِرَ دِمَشْقَ بعَسْفٍ ؛ فينْبَعِثَ مَلِكُها إلى الفرنْجِ فيُنْجِدُونه كما جرَى غيرَ مرَّةٍ ؛ لأنَّ الفرنْجَ لا يُريدُون أنْ يملِكَ نورُ الدينِ دِمَشقَ ؛ لأنه يقوَى بها عليهم ولا يُطيقُونَه ، فأرسَل بينَ يدَيْه الأميرَ أسدَ الدينِ شِيركُوه [٩/٢٤٧و] فى ألفِ فارِسٍ فى صِفَةِ طلَبِ الصلحِ ، فلم يلتفِتْ إليه مُجِيرُ الدينِ ، ولا خرَج إليه أحَدٌ مِن أهلِ البلدِ ، فكتَب إلى نورِ الدينِ بذلك ، فركِب الملكُ نورُ الدينِ فى جيْشِه ، فنزَل عُيونَ الفاسَرْيا مِن أرضِ دمشقَ ، ثم انتقَل إلى قريبٍ مِن البابِ الشرقِيِّ ، ففتَحها قَهْرًا ودخَل البلدَ بعدَ حصارِ عشَرَةِ أيامٍ ، وكان دُخولُه يومَ الأحدِ عاشرَ صفَرٍ مِن هذه السنَةِ ، وتحصَّنَ مجيرُ الدينِ فى القلْعَةِ فأنْزَله مِنها ، وعوَّضَه مدينةَ حِمْصَ ، ودخَل نورُ الدينِ القلْعَةَ ، واستقرَّتْ يدُه على دِمَشْقَ ، ولِلَّهِ الحمدُ ، فنادَى فى البلدِ بالأمَانِ ، وأنَّه يُبشِّرُ الناسَ بالخيرِ ، فرفَع عنهمُ المُكوسَ ، وقُرِئتْ التَّواقيعُ بذلك على المِنبرِ ، ففرِح المسلمون وأكْثَرُوا الدعاءَ له ، وكتَب ملُوكُ الفرنْجِ إليه يُهَنئونَه ويتقرَّبُونَ إليه ، ويخضَعُونَ له .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الرئيسُ مُؤَيِّدُ الدولةِ المُسَيَّبُ بنُ الصوفيِّ ، وزيرُ دِمَشْقَ لمُجيرِ الدينِ[1] ، وقد ثار على المَلِكِ غيرَ مرَّةٍ ، ويَستَفْحِلُ أمرُه ، ثم يقَعُ الصلحُ بيْنَهما ، كما تقدَّم .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٣٨٢، ومرآة الجنان ٣/ ٢٩٦، وشذرات الذهب ٤/ ١٥٤ .

عَطَاءٌ الخادمُ[1] أحدُ أمراءِ دِمَشْقَ ، وقد تغلَّبَ على الأمورِ أيامَ مُجيرِ الدينِ ، وكان ينوبُ ببَعْلَبَكَّ فى بعضِ الأحيانِ ، وكان ظالمًا، غاشِمًا وهو الذى يُنْسَبُ إليه مسجدُ عَطاءٍ خارِجَ بابِ شرقىٍّ .

(١) الكامل ١١/ ١٩٧، والروضتين ١/ ٢٣٨، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٧٨.

ثم دخلت سنة خَمْسِين وخَمْسِمائةٍ

فيها[1] خرَج الخليفةُ المقتفى لأمرِ اللّهِ فى تجَمُّلٍ عظيمٍ إلى دَقُوقا[2] فحاصَرها ، فخرَج إليه أهلُها فسألوه أنْ يرحَل عنهم ؛ فإنَّ أهلَها قد هلَكُوا بينَ الجَيْشَيْنِ ، فأجابَهم ، ورحَل عنهم ، وعادَ إلى بَغْدادَ بعدَ شَهْرَيْنِ ونصفٍ ، ثم خرَج نحوَ الحِلَّةِ والكُوفَةِ ، والجيشُ بينَ يدَيْه ، وقال له سُلَيمان شَاه : أنا وَلِيُّ عهدِ سَنْجَرَ ، فإنْ قرَّرتَ لى ذلك وإلَّا فأنا كأحَدِ الأمراءِ . فوعَده خيرًا ، وكان يحمِلُ الغاشِيَةَ بينَ يدَيِ الخليفَةِ على كاهِلِه ، فمهَّدَ الأمورَ ووطَّدها ، وسلَّم على مَشْهَدِ عليٍّ إشارَةً بأُصْبُعَيه وكان قد عزَم علَى دخولِ المشهدِ ، فنهاه الوزيرُ ابنُ هُبَيْرَةَ عن ذلك كأنَّه خافَ عليه مِن غائلةِ الرَّوافِضِ ، واللَّهُ أعلمُ .

وفيها افْتَتَح نورُ الدينِ بَعْلَبَكَّ عَوْدًا على بَدْءٍ ؛ وذلكَ أنَّ نجمَ الدينِ كان نائبًا على البلدِ والقلعةِ ، فسلَّمه إلى رجلٍ يقالُ له : الضَّحَّاكُ البِقاعِيُّ . فكاتَب نجمُ الدينِ لنورِ الدينِ ، ولم يزَلْ نورُ الدينِ يتلطَّفُ حتى أخذَ القَلْعَةَ أيضًا ، واسْتَدْعَى بنَجْمِ الدين إليه إلى دِمَشْقَ فأقْطَعه إقْطاعًا ، وأكْرَمَه مِن أجلِ أخيه أسَدِ الدينِ ؛ فإنَّه كانتْ له اليَدُ الطُّولَى فى فَتْحِ دِمَشْقَ للملكِ العادلِ نورِ الدينِ ، وجعَل الأميرَ شمسَ الدولةِ تُورانْشَاه بنَ نجمِ الدينِ شِحْنَةَ دِمَشْقَ ثمَّ مِن بعدِه جعَل أخاه صلاحَ الدينِ يُوسُفَ هو الشِّحْنَةَ ، وجعَله مِن خواصِّه لا يُفارِقُه حضرًا ولا سفَرًا ؛ لأنَّه

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٠١ ، والكامل ١١/ ٢٠١ .

(٢) فى م : « دموقا » . ودقوقا بألف ممدودة ومقصورة : مدينة بين إربل وبغداد معروفة لها ذكر فى الأخبار والفتوح . معجم البلدان ٢/ ٥٨١.

كان حسنَ الشكلِ ، حسنَ اللَّعِبِ [٩/٢٤٧ظ] بالكرةِ ، وكان نورُ الدينِ يحبُّ لعِبَ الكرةِ ؛ لتمرينِ الخيْلِ وتَعْليمِها الكَرَّ والفَرَّ ، وفى شِحْنَكِيَّةِ صلاحِ الدينِ يُوسُفَ يقولُ عَرْقَلَةُ الشاعرُ[1] :

رُوَيْدَكُمُ يالُصوصَ الشآمِ ... فإنِّى لكم ناصِحٌ فى مقالِ

فإيَّاكُمُ وسمِىَّ النبىِّ يُوسُفَ ربِّ الحِجَا والجمالِ

فذاك مُقَطِّعُ أَيْدِى النساءِ ... وهذا مُقَطِّعُ أيْدِى الرجالِ

وقد ملَك أخوه تورانْشَاه هذا بلادَ اليمنِ فيما بعدَ ذلك ، وكان يلقَّبُ شمسَ الدولةِ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

محمدُ بنُ ناصرِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عمرَ الحافظُ ، أبو الفَضْلِ البَغْدادِىُّ[2] . وُلِد ليلةَ النصفِ من شعبانَ سنةَ سَبْعٍ وسِتِّينَ وأرْبَعِمائَةٍ ، وسمِع الكثيرَ ، وتفرَّد بمشايخَ ، وكان حافظًا ، ضابطًا ، مُكْثِرًا ، مِن أهلِ السُّنةِ ، كثيرَ الذِّكْرِ ، سريعَ الدَّمعَةِ . وقد تخرَّج به جماعةٌ ؛ منهم الشيخُ أبو الفَرَجِ ابنُ الجَوْزِىِّ ، سَمِع بقراءَتِه « مُسْنَدَ الإمامِ أحمدَ » ، وغيرَه مِن الكتُبِ الكِبارِ ، وكان يُثْنِى عليه كثيرًا ، وقد رُدّ على أبى سَعْدٍ السَّمْعانِىِّ فى قولِه فى محمدِ بنِ ناصرٍ : يحبُّ أنْ يقَع فى الناسِ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[3] : والكلامُ فى الجَرْحِ والتَّعْديلِ ليسَ مِن هذا القَبِيلِ ، وإنَّما ابنُ السَّمْعانِىِّ يحبُّ أنْ يتعَصَّبَ على أصحابِ الإمامِ أحمدَ ، نعوذُ

---

(١) الأبيات فى كتاب الروضتين ١/ ٢٥١.

(٢) المنتظم ١٨/ ١٠٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٩٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٤٠٤، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢٢٥.

(٣) المنتظم ١٨/ ١٠٣.

باللَّهِ مِن سوءِ القَصْدِ والتَّعَصُّبِ . وكانت وفاةُ محمدِ بنِ ناصرٍ ليلةَ الثلاثاءِ الثامِنَ عشَرَ من شعبانَ مِن هذه السَّنةِ ، عن ثلاثٍ وثمانِينَ سنةً ، وصُلِّى عليه مرَّاتٍ ، ودُفِنَ بباب حربٍ ، رَحِمه اللَّهُ .

مُجلِّى بنُ جُمَيْعِ بنِ نجا ، أبو المَعالِى المخْزُومِىُّ الأُرْسُوفِىُّ ، ثم المِصْرِىُّ قاضِيها ، الفقيهُ الشافِعِىُّ[1] ، مصنِّفُ « الذَّخائِرِ » فى المذهبِ ، وفيها غرائبُ كثيرةٌ ، وهى مِن الكتبِ المفيدةِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ١٥٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٤١٣، ومرآة الجنان ٣/ ٢٩٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٧٧.

ثم دَخلتْ سنَةُ إحْدَى وخَمْسِينَ وخَمْسِمائَةٍ[1]

فى المحرَّم منها دخَل السلطانُ سُلَيمان شَاه بنُ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه بنِ أَلبِ أرسَلانَ السَّلْجُوقىُّإلى بَغْدادَ وعلى رأسِه الشَّمْسِيَّةُ، فتلَقَّاه الوزيرُ ابنُ هُبَيرَةَ، وأدْخَله على الخليفةِ، فقبَّل الأرضَ وحلَّفه على الطاعَةِ وصفاءِ النِّيَّةِ والمُناصَحَةِ والمَوَدَّةِ، وخلَع عليه خِلَعَ الملُوكِ، وتقرَّرَ أنَّ للخليفةِ العِراقَ ولسُلَيمانَ شَاه ما يفْتَحُه مِن خُرَاسَانَ، ثم خُطِب له ببَغْدادَ بعدَ الملكِ سَنْجَرَ، ثم خرَج منها فى ربيعٍ الأوَّلِ فاقْتَتَل هو والسلْطانُ محمدُ بنُ محمودِ بنِ مَلِكْشاه، فهزَمه محمدٌ وهزَم عسْكَرَه، فذهَبَ هاربًا فتلَقَّاه نائبُ قُطْبِ الدينِ مودودِ بنِ زَنْكِى، صاحِبِ المَوْصِلِ، فأسَره وحبَسه بقلْعَةِ المَوْصِلِ، وأكْرَمه مدَّةَ حبْسِه وخدَمه، وهذا مِن أغربِ الاتِّفاقاتِ.

وفيها ملكتِ الفِرنْجُ المَهْدِيَّةَ مِن بلادِ المَغْرِبِ بعدَ حصارٍ شديدٍ. وفيها فتَح نورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى قلعةَ تلِّ حارِمٍ[2] واقْتلَعَها مِن أيْدِى الفِرنْجِ، وكانتْ مِن أحْصَنِ القِلاعِ وأمْنَعِ البِقاعِ، وذلكَ بعدَ قتالٍ عظيمٍ ووقْعَةٍ هائلةٍ كانتْ مِن أكبرِ الفُتوحاتِ، وقد امتدَحَه الشعراءُ عندَ ذلك. وفيها هرَب الملكُ سَنْجَرُ مِن الأسْرِ وعادَ إلى مُلْكِه بمَرْوَ، وكان له فى أَيْديهم نحوٌ من خَمْسِ سِنينَ. وفيها استعمَل عبدُ المؤمنِ أوْلادَه على بلادِه [٩/٢٤٨و]؛ اسْتَنابَ كلَّ واحدٍ فى بلَدٍ كبيرٍ.

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٠٦، والكامل ١١/ ٢٠٣.

(٢) حارم: حصن حصين وكورة جليلة تجاه أنطاكية، وهى الآن من أعمال حلب. معجم البلدان ٢/ ١٨٤.

ذِكرُ حِصارِ بَغْدادَ

وسبَبُ ذلك أنَّ السلْطانَ محمدَ بنَ محمودِ بنِ مَلِكْشَاه أرسَل إلى الخليفةِ المُقْتَفِى يطلُبُ منه أنْ يُخطَبَ له ببغدادَ ، فلم يُجِبْه إلى ذلكَ ، فسارَ مِن هَمَذانَ إلى بَغْدادَ ليُحاصِرَها ، فانجَفَل الناسُ ، وحصَّنَ الخليفةُ البلدَ ، وجاءَ السلطانُ محمدٌ فحصَر بَغْدادَ ، ووقَف تُجاهَ التاجِ مِن دارِ الخلافةِ فى جَحْفلٍ عظيمٍ ، ورَمَوْا نحْوَه بالنُّشَّابِ ، وقاتَلتِ العامَّةُ قتالًا عظيمًا بالنِّفْطِ وغيرِه ، واستمرَّ القتالُ إلى مدَّةٍ ، فبيْنَما هم كذلك إذْ بلَغ السلطانَ أنَّ أخاه قد خلفَه فى هَمَذانَ ، فانْشَمَر عن بَغْدادَ راحلًا إلى هَمَذانَ فى ربيعِ الأوَّلِ مِن سنَةِ اثْنتَيْنِ وخَمْسِينَ ، وتفرَّقَتِ العساكِرُ الذينَ كانُوا معه فى البلادِ ، وأصابَ الناسَ بعدَ هذا القِتالِ مرضٌ شديدٌ ، وموتٌ ذَرِيعٌ ، واحْتَرقَتْ محالٌّ كثيرةٌ مِن بَغْدادَ ، واستمرَّ ذلك فيها مدَّةَ شهْرَيْنِ .

وفيها أُطْلِقَ أبو[1] البَدْرِ ابنُ الوزيرِ ابنِ هُبَيْرَةَ مِن قلعةِ تَكْرِيتَ ، وكان له فيها ، مُعتقَلًا ، ثلاثُ سِنينَ ، فتلقَّاه الناسُ إلى أثناءِ الطريقِ ، وامْتَدحَه الشعراءُ ، فكان فى جملَتِهم الأبْلَهُ الشاعِرُ[2] ، أنْشَد الوزيرَ قصيدةً يقولُ فى أوَّلِها :

بـأىِّ لـسـانٍ لـلـوُشَـاةِ أُلَامُ وقد علِمُوا أنِّى سهِرْتُ وناموا

---

(١) بعده فى م : « الوليد » . وانظر الكامل ١١/ ٢١٦.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله المولد . انظر وفيات الأعيان ٤/ ٤٦٣.

إلى أنْ قال :

ويَسْتَكْثِرُونَ الوَصْلَ لى منك ليلةً　　وقد مَرَّ عامٌ بالصُّدودِ وعامُ

فطرِبَ الخليفةُ عندَ ذلك . وخلَع عليه ثِيابَه وأطْلَقَ له خمسينَ دِينارًا ، وحجَّ بالناسِ قايْماز .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها من الأعْيانِ :

علىُّ بنُ الحُسَيْنِ ، أبو الحسَنِ الغَزْنَوِىُّ[1] الواعظُ ، كان له قَبُولٌ كثيرٌ مِن العامَّةِ ، وبنَتْ له الخاتونُ زوْجَةُ المُستظهِرِ رِباطًا ببَابِ الأَزَجِ ، ووقَفتْ عليه أوْقافًا كثيرةً ، فحصَل له جاهٌ عريضٌ وزارَه السلطانُ . وكان حسَنَ الإيرادِ مليحَ الوَعْظِ ، يحضُرُ مجلسَه خلقٌ كثيرٌ ، وجَمٌّ غفيرٌ مِن أصْنافِ الناسِ . وقد استملَح ابنُ الجَوْزِىِّ أشياءَ مِن وعْظِه ، قال[2] : وسمِعتُه يومًا يقولُ : حُزْمَةُ حُزْنٍ خيْرٌ مِن أعْدالِ أعْمالٍ . ثم أنشَد :

كم حَسْرَةٍ لى فى الحشَا　　مِنْ ولَدٍ إذا نَشَا
أَمَّلْتُ فيهِ رُشْدَهُ　　[3]فما نشا كما أشَا[3]

قال[2] : وسمِعْتُه يومًا ينشدُ :

يحْسُدُنِى قوْمِى على صَنْعَتِى　　لأنَّنِى فى صنْعَتِى فارِسُ
سهِرْتُ فى لَيْلِىَ واسْتَنْعَسُوا　　هل يسْتَوِى الساهِرُ والناعِسُ ؟

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٠٨، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٥٩ وفيه : « أبو الحسين الغزنوى » ، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٩٣، والوافى بالوفيات ٢١/ ٢٩.
(٢) المنتظم ١٨/ ١٠٩.
(٣ - ٣) فى النسخ : « فما يشا كما نشا » . والمثبت من المنتظم . والبيتان ينسبان أيضا إلى أبى نصر القشيرى . انظر طبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٦٣.

قال[1] : وكان يقولُ : تَولَّونَ اليهودَ والنصارَى فيسُبُّونَ نبيَّكم فى يومِ عيدِهم ويصْبِحونَ يجلِسونَ إلى جانبِكم ؟! ثمَّ يقولُ : ألَا هل بلَّغْتُ ؟ قال : وكان يتشَيَّعُ ، ثم سُعِىَ فى منْعِه مِنَ الوعظِ ، ثم أُذِنَ له ، ولكِنْ ظهَر للناسِ ابنُ العَبَّادىِّ ، فكان كثيرٌ مِن الناسِ يميلُونَ إليه ، وقد كان السلْطانُ مسعودٌ يعظِّمُه ويحضُرُ مجْلسَه ، فلمَّا ماتَ السلطانُ مسعودٌ ذُلَّ الغَزْنَوِىُّ بعدَه ، وأُهِينَ إهانةً بالغةً ، فمرِضَ وماتَ فى المحرَّمِ مِن هذه السنَةِ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[2] : وبلَغنى أنَّه كان يعرَقُ فى نَزْعِه ثم يفِيقُ وهو يقولُ : رِضًى وتَسْلِيمٌ . ولمَّا ماتَ دُفِنَ فى رِباطِه الذى كان فيه .

محمودُ بنُ إسْماعيلَ بنِ قادُوسَ ، أبو الفتحِ الدِّمْياطِىُّ[3] ، [٩/٢٤٨ظ]

كاتبُ الإنْشاءِ بالديارِ المِصْريَّةِ ، وهو شيخُ القاضى الفاضلِ ، وكان يُسَمِّيه ذا البلاغَتَيْنِ ، وذَكره العِمادُ الكاتبُ فى « الخريدةِ » وأثنَى عليه ، ومن شعرِه فِيمَنْ يكرِّرُ التكْبيرَ فى أوَّلِ الصلاةِ[4] :

وفـاتـرِ الـنِّـيَّـةِ عِـنِّـينِهـا مـعْ كـثْـرَةِ الرِّعْـدَةِ والـهِـزَّهْ[5]
يُـكَـبِّـرُ سـبـعـين فـى مـرَّةٍ كـأنـهُ صَـلَّـى عـلـى حَـمْـزَهْ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٠٩.
(٢) المنتظم ١٨/ ١١٠.
(٣) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ٢٢٦، والروضتين ١/ ٢٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٦٦، وبدائع الزهور ١/١/ ٣١، وفيه: أنه توفى سنة ست وخمسين وخمسمائة.
(٤) البيتان فى : الروضتين ٢٥٩/١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٦٦ .
(٥) فى النسخ : « الهمزه » . والمثبت من المصادر السابقة .

الشيخُ أبو البيَانِ ، نبا بنُ محمدٍ المعْروفُ بابنِ الحَوْرَانِيِّ[1] ، الفقيهُ الزاهدُ العابدُ الفاضِلُ الخاشِعُ ، قدَّس اللَّهُ رُوحَه ، قرَأ القرآنَ وكتابَ « التَّنْبِيهِ » على مذْهبِ الشافعيِّ ، وكان حسَنَ المعرفةِ باللغةِ ، كثيرَ المُطالعَةِ ، وله كلامٌ يؤْثَرُ عنه ، ورأيْتُ له كتابًا بخَطِّه فيه النظائمُ التى له ، يقولُها أصْحابُه وأتْباعُه بلهْجَةٍ غريبةٍ ، وقد كان مِن نشْأَتِه إلى أنْ تُوفِّى على طريقةٍ صالحةٍ ، وقد زارَه الملكُ نورُ الدينِ فى رِباطِه داخِلَ دربِ الحَجَرِ[2] ، ووقفَ عليه شيئًا ، وكانت وفاتُه فى يومِ الثلاثاءِ الثالثِ مِن ربيعٍ الأوَّلِ مِن هذه السنَةِ ، ودُفِنَ بمقابرِ بابِ الصغيرِ ، وكان يومًا مشهودًا . وقد ذكرتُه فى « طبَقاتِ الشافِعيَّةِ » رحِمهُ اللَّهُ .

عبدُ الغافرِ بنُ إسْماعِيلَ بنِ عبدِ الغافرِ[3] **بنِ محمدِ بنِ عبدِ الغافرِ بنِ أحمدَ بنِ سعيدٍ الفارِسيُّ الحافظُ** ، تفَقَّهَ بإمامِ الحرَمَيْنِ وسمِعَ الكثيرَ على جدِّه لأمِّه أبى القاسمِ القُشَيْرِيِّ ، ورحَل إلى البلادِ وأسمَع الكثيرَ ، وصنَّفَ « المُفْهِمَ فى غريبِ مسلمٍ » وغيرَه ، ووَلِىَ خطابةَ نَيْسَابُورَ ، وكان فاضلًا بارعًا دَيِّنًا حافظًا .

---

(١) معجم الأدباء ١٩/ ٢١٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٦٧، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٩٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٣١٨.

(٢) داخل باب شرقى بدمشق . الدارس فى تاريخ المدارس ٢/ ١٩٢.

(٣) فى م : « القادر » . وانظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ٣/ ٢٢٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٦، وتذكرة الحفاظ ٥/ ١٢٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٧١، وشذرات الذهب ٤/ ٩٣.

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة[1]

اسْتَهَلَّتْ هذه السنةُ ومحمد شَاه بنُ محمودٍ محاصِرٌ بغْدادَ ، والعامَّةُ والجندُ مِن جهةِ الخليفةِ المُقْتَفِى يقاتلُونَ أشدَّ القتالِ ، والجُمُعةُ لا تقامُ لعُذْرِ القتالِ ، والفتنةُ كبيرةٌ ، ثم يسَّر اللَّهُ بذَهابِ السلطانِ ، كما تقدَّم ذِكرُ ذلك فى السنةِ التى قبلَها ، وقد بسَط ذلك ابنُ الجَوْزِىِّ فى هذه السنَةِ فطوَّلَ .

وفيها كانتْ زلْزلَةٌ عظيمةٌ بالشامِ ، هلَك بسبَبِها خلقٌ كثيرٌ لا يعْلَمُهم إلَّا اللَّهُ ، وتهدَّمَ أكثرُ حَلَبَ وحَمَاةُ وشَيْزَرُ وحِمْصُ وكَفَرْ طابَ وحِصْنُ الأَكْرادِ واللَّاذقِيَّةُ والمَعَرَّةُ وأفامِيَةُ وأنْطاكِيَةُ وطَرَابُلُسُ . قال ابنُ الجوْزِىِّ[2] : وأمَّا شَيْزَرُ فلم يسْلَمْ منها إلَّا امرأةٌ وخادِمٌ لها ، وهلَكَ الباقونَ ، وأمَّا كَفَرْ طابَ فلم يسلَمْ منها أحدٌ ، وأمَّا أفامِيَةُ فساخَتْ قلْعتُها ، وتلُّ جَرَّانَ انقسَم نصفَيْنِ ، فأَبْدَى نواويسَ وبُيوتًا كثيرةً فى وسَطِه . قال[3] : وهلَكَ مِن مدائنِ الإفْرَنْجِ شىءٌ كثيرٌ ، وتهدَّم أسوارُ أكثرِ مُدُنِ الشامِ مِن ذلك ، حتى إنَّ مكْتبًا بحَمَاةَ انهدَم على الصِّبيانِ فهلَكُوا عن آخرِهم ، فلم يجئْ أحدٌ يسأَلُ عن أحدٍ منهم . وقد ذكَر هذا الفصلَ الشيخُ أبو شامةَ فى كتابِ « الروضتَيْنِ »[4] مُسْتقْصًى ، وذكَر ما قالَه الشعراءُ فى ذلك[5] .

---

(١) المنتظم ١٨/ ١١١، والكامل ١١/ ٢١٨.

(٢) المنتظم ١٨/ ١١٩.

(٣) أى : أبو شامة ، وهذا الكلام بنحوه فى الروضتين ١/ ٢٦٤.

(٤) الروضتين ١/٢٦١ - ٢٦٨.

(٥) بعده فى ص ، م : « وفيها ملك السلطان محمود بن محمد بعد خاله سنجر جميع بلاده » .

وفيها ملَكَ السلطانُ محمودُ بنُ زَنْكِى حِصْنَ شَيزرَ بعدَ حصارٍ ، وأخَذ مدينةَ بَعْلَبَكَّ ، وكان بها الضَّحَّاكُ البِقاعِىُّ ، وقد قيلَ[1] : [٩/٢٤٩و] إنَّ ذلك كانَ فى سنَةِ خمسينَ ، كما تقدَّم واللَّهُ أعلمُ . وفيها مرِضَ نورُ الدينِ فمرِضَ الشامُ بمَرَضِه ثم عُوفِى ففرِحَ المسلمون بذلك فرحًا شديدًا ، واسْتَوْلَى أخوه قطبُ الدينِ مودودٌ على جزيرةِ ابنِ عمرَ .

وفيها عمِلَ الخليفةُ بابًا للكَعْبَةِ مُصَفَّحًا بالذهبِ ، وأخَذ بابَها الأوَّلَ فجعَله لنفْسِه تابُوتًا . وفيها أغارَتِ الإسْماعِيلِيَّةُ على حُجَّاجِ خُرَاسَانَ فلم يُبقُوا منهم على أحدٍ ، لا زاهِدٍ ولا عالمٍ . وفيها كان غلاءٌ شديدٌ بخُرَاسَانَ حتى أكلُوا الحشَراتِ ، وذبَح إنسانٌ رجلًا علَوِيًّا فطبَخه وباعَه فى السوقِ ، فحينَ ظُهِرَ عليه قُتِل .

وذكَر أبو شامةَ أنَّ فتحَ بانْيَاسَ كان فى هذه السنَةِ على يدِ الملكِ نورِ الدينِ بنفْسِه ، وقد كان مُعينُ الدينِ سلَّمها إلى الفِرنجِ صلحًا عن دِمشقَ ، فعوَّضَهم بها ، وقتَل ملِكَها وغنِمَ شيئًا كثيرًا ، وللَّهِ الحمدُ . وفيها قدِمَ الشيخُ أبو الوَقْتِ عبدُ الأوَّلِ بنُ عِيسى بنِ شُعَيْبٍ السَّجْزِىُّ ، فسُمِع عليه « البُخارِىَّ » فى دارِ الوزيرِ ببَغْدادَ . وحجَّ بالناسِ قايْمازُ .

وممَّنْ تُوفِّى فيها من الأعْيانِ :

أحمدُ[2] بنُ عمرَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ إسْماعيلَ ، أبو الليْثِ النَّسَفِىُّ ، مِن أهلِ سَمَرْقَنْدَ ، سمِعَ الحديثَ وتفَقَّهَ ووَعظَ ، وكان حسنَ السَّمْتِ ، قدِمَ

---

(١) الروضتين ١/ ٢٥٠.

(٢) بعده فى خ ، م : « بن محمد » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٧٧، (وفيه : أحمد بن عمر بن محمد بن لقمان) ، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٩٩، والنجوم الزاهرة٥/ ٣٢٦.

بغْدادَ فوَعَظ ، ثم عادَ إلى بلدِه فقتَله قُطَّاعُ الطريقِ ، رحِمَه اللَّهُ تعالَى .

أحمدُ بنُ بَخْتِيَارَ بنِ عليِّ بنِ محمدٍ ، أبو العباسِ ، المَنْدائىُّ[1] الواسِطِيُّ قاضِيها ، سمِعَ الحديثَ وكانتْ له معرفةٌ تامَّةٌ بالأدبِ واللغةِ ، وصنَّفَ كتُبًا فى التاريخِ وغيرِ ذلك ، وكان ثقةً صدُوقًا ، تُوفِّى ببَغْدادَ وصُلِّى عليه بالنِّظامِيَّةِ .

السلطانُ سَنْجَرُ بنُ ملكشاه بنِ ألْب أرْسَلان بنِ داودَ بنِ مِيكائيلَ بنِ سَلجوقَ[2] ، أبو[3] الحارثِ ؛ واسمُه أحمدُ ، ولُقِّبَ بسَنْجَرَ ، مولدُه فى رجَبٍ سنةَ تِسْعٍ وسبعِين[4] وأربعِمائةٍ ، وأقام فى المُلْكِ نَيِّفًا وستِّين سنةً ، من ذلك استقلالًا إحدى وأربعين سنةً ، وقد أسَره الغُزُّ نحوًا مِن خمسِ سنِين ، ثم هرب منهم فعَاد إلى مُلْكِه بمَرْوَ ، ثم كانت وفاتُه فى ربيعِ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ ، ودُفِنَ فى قُبَّةٍ بناها سمَّاها : دارَ الآخِرةِ ، رحِمه اللَّهُ .

محمدُ بنُ عبدِ اللطيفِ بنِ محمدِ بنِ ثابتٍ ، أبو بكرٍ الخُجَنْدِىُّ[5] الفقيهُ الشافِعِىُّ ، وَلِىَ تدريسَ النِّظامِيَّةِ ببغدادَ ، وكان يناظرُ حَسَنًا ويعِظُ الناسَ وحولَه السيوفُ مُسلَّلةٌ . قال ابنُ الجوزىِّ[6] : ولم يكُنْ ماهرًا فى الوعظِ ، حالُه أشْبَهُ

---

(١) فى الأصل والكامل : « الماندای » وفى ص : « المادناى » ، وفى خ ، م : « الماردانى » ، والمثبت من مصادر ترجمته التالية المنتظم ١٨/ ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٧٥، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٦١، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٤، وتبصير المنتبه ٤/ ١٣٩٩.

(٢) المنتظم ١٨/ ١٢١، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٢٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٨٢، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٧١.

(٣) فى الأصل : « ابن » .

(٤) فى الأصل ، ص : « أربعين » .

(٥) المنتظم ١٨/ ١٢٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٩٨، مرآة الجنان ٣/ ٣٠٠.

(٦) المنتظم ١٨/ ١٢٢.

بالوزراءِ مِن العلماءِ، وتقدَّم عندَ السلاطينِ حتى كانوا يَصْدُرونَ عن رأيِه، تُوفِّى بأَصْبهانَ فجأَةً.

محمدُ بنُ المُبارَكِ بنِ محمدِ بنِ الخَلِّ، أبو الحسَنِ بنُ أبى البَقاءِ[1]، سمِع الحديثَ، وتفقَّهَ على الشَّاشِىِّ، ودرَّس وأفتَى، وتُوفِّى فى محرَّمِ هذه السنةِ، وتُوفِّى أخوه الشيخُ أبو الحُسيْنِ بنُ الخَلِّ الشاعِرُ فى ذى القَعْدَةِ منها.

يحيى بنُ عيسى بنِ إدرِيسَ، أبو البركاتِ الأَنْبَارِىُّ[2] الواعظُ، قرَأ القرآنَ وسمِع الحديثَ، وتفَقَّه ووَعَظ الناسَ على طريقةِ الصالحين، وكان يبْكِى مِن أوَّلِ صُعودِه إلى حينِ نزولِه، وكان عابدًا زاهدًا وَرِعًا آمِرًا بالمعروفِ ناهيًا عن المنكرِ [٢٤٩/٩ظ]، ورُزِقَ أولادًا صالحين سمَّاهم بأسماءِ الخلفاءِ الأربعةِ؛ أبو بكرٍ، وعمرُ، وعُثْمانُ، وعلىٌّ، وحفَّظَهمُ القرآنَ كلَّهم، وختَّمَ خلْقًا كثيرًا، وكان هو وزَوْجَتُه يصُومانِ الدهرَ، ويقُومانِ الليلَ، ولا يفْطِرانِ إلَّا بعدَ العِشاءِ، وكانت له كراماتٌ ومناماتٌ صالحةٌ. ولمَّا مات قالت زوجتُه[3]: اللهمَّ لا تُحْيِنى بعدَه. فماتت بعدَه بخمسةَ عشَرَ يومًا، وكانت مِن الصالحاتِ، رحِمهما اللَّهُ تعالى.

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٢٢٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٠١، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٧٦، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٤٨٦.
(٢) المنتظم ١٨/ ١٢٣، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٠٨، وعيون التواريخ ١٢/ ٥٠٢.
(٣) المنتظم ١٨/ ١٢٤.

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وخمسين وخمسمائة

فيها[1] كثُرَ فسادُ التُّرْكُمانِ مِن أصحابِ بُرْجُمٍ[2] الإيوائيِّ، فجُهِّز إليهم منكورسُ[3] المُسْتَرْشِديُّ في جيشٍ كثيفٍ، فالْتَقَوا معهم فهزَموهم أقبحَ هزيمةٍ، وجاءوا بالأُسارى والرءُوسِ إلى بغدادَ.

وفيها كانت وقْعةٌ عظيمةٌ بينَ الغُزِّ وبينَ الملكِ محمودٍ، فكسَرُوه وقتَلوا من أصحابِه وغيرِهم خلْقًا كثيرًا ونهَبُوا البلادَ، وأقامُوا بمَرْوَ، ثم إنَّهم طَلبُوه إليهم فخاف على نفْسِه، فأرسَل ولدَه بينَ يدَيه فأكرَموه، ثم قدِم عليهم فاجتمَعوا عليه وعظَّمُوه.

وفيها وقَعت فتنةٌ كبيرةٌ بمَرْوَ بينَ فقيهِ الشافعيةِ المُؤَيَّدِ بنِ الحُسَينِ، وبينَ نقيبِ العلوِيِّين بها أبي القاسمِ زيدِ بنِ الحسنِ، فقُتِل بينَهم خلقٌ كثيرٌ، واحترَقتِ المساجدُ والمدارسُ والأسواقُ، وانهزَم المُؤَيَّدُ الشافعِيُّ إلى بعضِ القِلاعِ.

وفيها وُلِدَ الناصِرُ لدينِ اللَّهِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ المُسْتضِيءِ بأمرِ اللَّهِ، وفيها خرَج المُقْتَفِي نحوَ الأَنبارِ مُتَصَيِّدًا وعبَرَ الفُراتَ وزار الحسينَ، ومضَى إلى واسِطٍ وعاد إلى بغدادَ، ولم يكُنْ معه الوزيرُ.

وفيها كسَر جيشُ مصرَ الفِرنجَ بأرضِ عَسْقلانَ كَسرةً فظيعةً صُحْبَةَ الملكِ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٢٥، والكامل ١١/ ٢٢٩.

(٢) في النسخ: «ابن برجم». والمثبت من الكامل ١١/ ٢٣٩.

(٣) في الكامل: «منكبرس».

الصالحِ أبى الغاراتِ ، فارسِ الدينِ طلائعِ بنِ رُزِّيكَ ، وامتدَحه الشعراءُ .

وفيها قدِم الملكُ نورُ الدينِ من حَلبَ إلى دمشقَ ، وقد شُفِى من المرضِ ففرِح به المسلمون ، وخرَج إلى قتالِ الفِرنجِ ، فانهزَم جيشُه ، فبقِى هو وشِرْذِمَةٌ مِن أصحابِه فى لَجَّةِ العدُوِّ ، فرمَوهم بالسِّهامِ الكثيرةِ ، ثم خافوا أن يكونَ وقوفُه فى هذه الشِّرْذمةِ القليلةِ ؛ خديعةً لمجىءِ كمينٍ إليهم ، ففَرُّوا منهزِمين ، وللَّهِ الحمدُ .

وحجّ بالنّاسِ فيها قايْمازُ الأُرجوانيُّ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها من الأعيانِ :

عبدُ الأوَّلِ بنُ عيسى بنِ شُعيبِ بنِ إبراهيمَ بنِ إسحاقَ ، أبو الوقتِ السِّجْزِىُّ الصُّوفِىُّ الهَرَوِىُّ(١) ، راوِى « البُخارِىِّ » و « مُسْنَدِ الدَّارِمِىِّ » ، و « المُنْتَخَبِ مِن مُسْندِ عبدِ بنِ حُمَيْدٍ » ، قدِم بغدادَ فسمِع عليه الناسُ هذه الكتبَ ، وكان مِن خِيارِ المشايخِ وأحسنِهم سمْتًا ، وأصبرِهم على قراءةِ الحديثِ . قال ابنُ الجوزىِّ(٢) : أخبَرنى أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ الحسينِ التَّكْريتىُّ الصوفىُّ ، قال : أسنَدْتُه إلىَّ فمات ، فكان آخرَ ما تكلَّم به أن قال : ﴿ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس : ٢٦- ٢٧] .

نصرُ بنُ منصورِ بنِ الحسينِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الخالقِ العطَّارُ ، أبو القاسمِ الحرَّانِىُّ(٣) ، كان كثيرَ المالِ ، يعملُ مِن صدَقاتِه المعروفَ الكثيرَ مِن أنواعِ القُرُباتِ

(١) المنتظم ١٨/ ١٢٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٢٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٠٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ١١٢ ، والوافى بالوفيات ١٨/ ١٠.
(٢) المنتظم ١٨/ ١٢٧.
(٣) المنتظم ١٨/ ١٢٧، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٣٤، وعيون التواريخ ١٢/ ٥٠٩، وشذرات الذهب ٤/ ١٦٨.

الحسنَةِ، ويُكثِرُ تلاوةَ القرآنِ، ويحافظُ على الصلواتِ فى الجماعةِ، ورُويَت له منامات صالحةٌ، وقارَب [٩/٢٥٠و] الثمانين.

يحيى بنُ سَلامةَ بنِ الحسينِ بنِ محمدٍ، أبو الفضلِ الشَّافِعِيُّ، الحَصْكَفِيُّ[١]؛ نسبةً إلى حِصنِ كَيْفَا[٢]، كان إمامًا فى علومٍ كثيرةٍ مِنَ الفقهِ والأدبِ، ناظِمًا ناثِرًا، غيرَ أنَّه كان يُنسَبُ إلى الغُلُوِّ فى التشَيُّعِ، وقد أورَد له ابنُ الجوزيِّ قطعةً مِن نظمِه، فمِن ذلك قولُه فى جملةِ قصيدةٍ له[٣]:

تقَاسَمُوا يومَ الوداعِ كَبِدِى ... فليْسَ لى منذُ تولَّوا كَبِدُ
على الجُفونِ رحَلُوا وفى الحشَا ... تَقَيَّلوا وماءَ عَيْنى وَرَدوا
فأَدْمُعِى مَسْفُوحَةٌ وكَبِدِى ... مقْرُوحةٌ وغُلَّتِى لا تَبْرُدُ
وصَبْوَتِى دائمةٌ ومُقْلَتِى ... دامِيَةٌ ونَوْمُها مُشَرَّدُ
تَيَّمَنِى منهم غَزالٌ أغْيَدُ ... يا حبَّذا ذاك الغزالُ الأغْيَدُ
حُسَامُه مجرَّدٌ وصَرْحُه ... مُمَرَّدٌ وخَدُّهُ مُوَرَّدُ
وصُدْغُه فوقَ احْمِرارِ خدِّه ... مُبَلْبلٌ مُعَقْرَبٌ مُجَعَّدُ
كأنَّما نكْهَتُهُ وريقُهُ ... مِسْكٌ وخمرٌ والثَّنايَا بَرَدُ
يُقْعِدُه عندَ القيامِ رِدْفُه ... وفى الحشَا منه المُقِيمُ المُقْعِدُ
له قَوامٌ كقَضِيبِ بانَةٍ ... يهْتَزُّ قصْدًا ليسَ فيه أَوَدُ

وهى طويلةٌ جدًّا، ثم خرَج من هذا التَّغزُّلِ إلى مدحِ أهلِ البيتِ والأئمةِ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٢٨، وخريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٤٣١، ومعجم الأدباء ٢٠/ ١٨، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٠٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٧٠، ضمن وفيات سنة ٥٥١هـ، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٣٣٠.

(٢) حصن كيفا، ويقال: كَيْبَا: بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. معجم البلدان ٢/ ٢٧٧.

(٣) المنتظم ١٨/ ١٢٩، ١٣٠. وانظر الأبيات فى خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٤٩٣.

الاثْنى عشَرَ، رضِى اللَّهُ تعالى عنهم، ونفَعنا بهم، حيثُ يقولُ[1]:

وسائِلى عن حُبِّ أهلِ البيتِ هل ... أُقِرُّ إعْلانًا به أم أجْحَدُ
هيْهاتَ ممْزُوجٌ بلَحْمِى ودَمِى ... حبُّهمُ وهْو الهُدَى والرَّشَدُ
حَيْدَرَةٌ والحسَنانِ بعدَهُ ... ثم علىٌّ وابنُه محمدُ
وجَعْفرٌ الصادِقُ وابنُ جَعْفرٍ ... مُوسَى ويتْلُوه علىٌّ السيدُ
أعْنِى الرِّضَا ثم ابنُه محمدٌ ... ثم علىٌّ وابنُهُ المسدَّدُ
والحسَنُ التَّالى ويتْلُو تِلوَهُ ... محمدُ بنُ الحسَنِ المُفْتَقَدُ
فإنَّهم أئمَّتى وسادَتِى ... وإنْ لحَانِى معْشرٌ وفنَّدُوا
أئمةٌ أكْرِم بهم أئمةً ... أسْماؤهُم مسْرودةٌ تَطَّرِدُ
هم حُجَجُ اللَّهِ على عبادِهِ ... وهم إليه منهجٌ ومقصِدُ
قومٌ لهم فضلٌ ومجْدٌ باذِخٌ ... يعرِفُهُ المُشْرِكُ والموحِّدُ
قومٌ لهم فى كلِّ أرضٍ مشْهَدٌ ... لا بل لهم فى كلِّ قلبٍ مشهدُ
قومٌ مِنًى والمَشْعَرانِ لهم ... والمَرْوَتانِ لهم والمسجدُ
قومٌ لهم مكَّةُ والأَبْطَحُ والْـ ... ـخِيفُ وجَمعٌ والبَقِيعُ الغَرْقَدُ

ثم ذكَر مقتلَ الحُسينِ بالطَّفِّ[2] إلى أن قال:

يا أهلَ بيتِ المصطَفى يا عُدَّتِى ... ومَن علَى حبِّهمُ أعتَمِدُ
أنتم إلى اللَّهِ غدًا وسِيلَتِى ... وكيف أخشى وبكم أعْتَضِدُ
وَلِيُّكُم فى الخلدِ حىٌّ خالدٌ ... والضِّدُّ فى نارِ لظَى مخلَّدُ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٣٠، ١٣١.

(٢) بعده فى م، خ: «عبارة». وهو تصحيف وزيادة. والطَّفُّ: بفتح الطاء والفاء مشددة: أرض من ضاحية الكوفة، كان فيها مقتل الحسين رضى الله عنه. معجم البلدان ٣/ ٥٣٩.

ولستُ أهْواكُمْ ببُغْضِ غيرِكُمْ إنِّى إذًا أشْقَى بكم لا أسْعَدُ
فـلا يـظُـنَّ رافِـضِـىٌّ أنَّـنـى وافَـقْـتُـهُ أو خـارِجـىٌّ مـفْـسِـدُ
مـحـمـدٌ والخلـفـاءُ بـعـدَهُ أفضَلُ خلـقِ اللَّـهِ فيما أجِدُ
هم أسَّسُوا قواعدَ الدينِ لنا وهـم بـنَـوا أرْكـانَـهُ وشـيَّـدُوا
ومَن يَخُنْ أحمدَ فى أصحابِهِ فـخَـصْـمُـه يـومَ المعـادِ أحـمـدُ
هذا اعْتِقادِى فالْزَمُوهُ تُفْلحُوا هذا طريقِى فاسْلُكوهُ تهْتَدُوا
والـشـافِـعـىُّ مـذْهَـبِـى مـذْهَـبُـهُ لأنَّـهُ فـى قـولِـه مُـؤَيَّـدُ
أتْبعُه فى الأصلِ والفرعِ معًا فَليَتَّبعنى [٩/٢٥٠ظ] الطالبُ المسترْشِدُ
إنِّـى بـإذْنِ الـلَّـهِ نـاجٍ سـابِـقٌ إذا وَنَـى الـظـالمُ (١)والمقْـتـصِـدُ(١)

وله أيضًا(٢) :

إذا قلَّ مالِى لم تجدْنِىَ ضَارِعًا كثيرَ الأسَى مُغْرًى بعضِّ الأنامِلِ
ولا بَطِرًا إنْ جدَّدَ اللَّهُ نعْمةً ولو أنَّ ما أُوتِى جميعُ الأنَامِ لِى

تُوفِّى ، رحِمه اللَّهُ ، فى ربيعِ الأوّلِ من هذه السنةِ بميّافارِقينَ .

(١ - ١) فى الأصل ، ص : « والمفسد » ، وفى خ ، م : « ثم المفسد » . والمثبت من المنتظم .
(٢) البيتان فى المنتظم ١٨/ ١٣٣.

ثم دخلت سنةُ أربعٍ وخمسين وخمسِمائةٍ

فيها[1] مرِضَ الخليفةُ المُقْتَفِى مرضًا شديدًا، ثم عُوفِى منه فزُيِّنَت له بغدادُ أيامًا، وتصدَّقَ بصدقاتٍ عظيمةٍ كثيرةٍ. وفيها استعادَ عبدُ المؤمنِ مدينةَ المَهْديَّةِ من أيدِى الفرنجِ، وقد كانوا أخَذوها من المسلمين فى سنةِ ثلاثٍ وأربعين، وقاتَل خلقًا كثيرًا [2]ببلادِ المغربِ[2] حتى صارَت عِظامُ القتلَى هنالكَ كالتلِّ العظيمِ، فإنَّا للَّه وإنّا إليه راجعون.

وفى صفرٍ سقَط بَرَدٌ بالعراقِ كبارٌ، زِنَةُ البرَدَةِ قريبٌ مِن خمسةِ أرطالٍ، ومنها ما هو تسعةُ أرطالٍ بالبغدادىِّ، فهلَك بذلك شىءٌ كثيرٌ مِن الغلَّاتِ، وخرَج الخليفةُ إلى واسِطٍ فاجتازَ بسُوقِها ورأى جامعَها، وسقَط عن فرسِه فشُجَّ جبِينُه، ثم عُوفِى.

وفى ربيعٍ الآخرِ زادَت دِجلةُ زيادةً عظيمةً، فغرِقت بسببِ ذلك محالٌّ كثيرةٌ مِن بغدادَ، حتى صار أكثرُ الدورِ بها تُلُولًا، وغرِقت تربةُ الإمامِ أحمدَ، وتخسَّفت هنالك القبورُ، وطفَتِ الموتَى على وجهِ الماءِ، قاله ابنُ الجوزىِّ[3].

وفى هذه السنةِ كثُرَ المرضُ والموتُ، وفيها أقبَل ملكُ الرومِ فى جحافِلَ قاصِدًا بلادَ الشامِ، فردَّه اللَّهُ خائبًا خاسرًا؛ وذلك لضِيقِ حالِهم مِنَ الـمِيرَةِ، وأسَر

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٣٤، والكامل ١١/ ٢٤١.

(٢ - ٢) فى م: «من الغرب»، وفى ص: «بيلاد الفرنجة».

(٣) المنتظم ١٨/ ١٣٥.

المسلمون ابنَ أختِه ، ولِلّهِ الحمدُ والمِنّةُ . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ قايْماز الأُرْجوانىُّ .

ومِمّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ معالى بنِ برَكَةَ الحَرْبىُّ[1] ، تفقَّه بأبى الخطَّابِ الكَلْوَذانىِّ ، وبرَع فى النَّظَرِ ، ودرَّس وأفتى ، ثم صار شافعِيًّا ، ثم عاد حنْبليًّا ، ووعَظ ببغدادَ ، وتُوفِّى فى هذه السنةِ ؛ دخَلت به دابّتُه فى مكانٍ ضيِّقٍ ، فدخَل قَرَبُوسُ[2] سَرْجِهِ فى صدْرِه .

السلْطانُ محمدُ شاه بنُ محمودِ بنِ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه ، بنِ ألب أرسَلان[3] لمَّا رجَع مِن محاصرَةِ بغدادَ إلى هَمَذانَ ، أصابَه مرضُ السُّلِّ ، فلم يَنْجَعْ منه ، بل تُوفِّى فى ذى الحِجَّةِ من هذه السنةِ ، وقبلَ وفاتِه بأيّامٍ أمَر أنْ يُعْرضَ عليه جميعُ ما يملِكُه ويقدِرُ عليه ، وهو جالسٌ فى المَنْظَرَةِ ، فركِب الجيشُ بكَمالِه وأُحْضِرت أموالُه كلُّها ، ومماليكُه حتى جوارِيه وحظَاياه ، فجعَل يبكِى ويقولُ[4] : هذه العساكِرُ لا يدْفعُون عنِّى مِثقالَ ذَرَّةٍ ، ولا يزيدون فى عُمرِى لحظةً ، ثم تأسَّفَ على ما كانَ منه إلى الخليفةِ المُقْتَفِى ، وأهلِ بغدادَ وحصارِهم وأذِيَّتِهم[5] ،

---

(١) فى الأصل : « الحرير » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ١٣٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٣٩، والوافى بالوفيات ٧/ ١١٢، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٢٣٢.

(٢) القربوس : حِنْوُ السرج ، وهما قربوسان . تاج العروس (قربس) .

(٣) سقط من : م ، وانظر ترجمته فى : الكامل ١١/ ٢٥٠، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٥٣، وعيون التواريخ ١٢/ ٥١٨، ومرآة الجنان ٣/ ٣٠٨، وشذرات الذهب ٤/ ١٧٢.

(٤) الكامل ١١/ ٢٥١.

(٥) بعده فى خ ، م : « ثم قال : وهذه الخزائن والأموال والجواهر لو قبلهم ملك الموت منى فداء لجدت بذلك جميعه له ، وهذه الحظايا والجوارى الحسان والمماليك لو قبلهم فداء منى لكنت بذلك سمحًا له ثم قال : ﴿ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه﴾ [الحاقة : ٢٨، ٢٩] .

ثم فرَّقَ شيئًا كثيرًا مِن تلك الحواصلِ والأموالِ ، وتُوفِّي عن ولدٍ صغيرٍ ، واجتمَعتِ العساكِرُ والأمراءُ على عمِّه سُليمان شَاه بنِ محمدِ بن ملِكْشاه ، وكان مسجُونًا بالموصِلِ فأُفْرِجَ عنه ، وانعقَدَتِ السلْطَنةُ [٩/٢٥١و] له ، وخُطِبَ له على تلك البلادِ ، سوى بغدادَ والعراقِ .

ثم دخلت سنة خمسٍ وخمسين وخمسِمائةٍ

فيها[1] كانت وفاةُ الخليفةِ المُقْتَفِى لأمرِ اللَّهِ ، **أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ المُسْتَظْهِرِ باللَّهِ**[2] ، وأمُّه نَسيمُ ، المدعُوَّةُ : ستُّ السادةِ ، سمراءُ مِن خيارِ الجوارى ، مرِضَ بالتَّراقِى ، وقيلَ : بدُمَّلٍ خرَج فى حَلْقِه . فمات ليلةَ الأحدِ ثانى ربيعٍ الأوَّلِ من هذه السنةِ عن سِتٍّ وستِّينَ سنةً ، إلَّا ثمانيةً وعشرين يومًا ، وكانت خلافتُه أرْبعًا وعشرين سَنةً وثلاثةَ أشهرٍ وستَّةَ عَشَرَ يومًا ، ودُفِن بدارِ الخلافةِ ، ثم نُقِل إلى التُّرَبِ ، وقد كانَ شَهْمًا شُجاعًا مِقْدامًا ، يباشرُ الأمورَ بنفْسِه ، ويشاهدُ الحروبَ ويبذُلُ الأموالَ الكثيرةَ لأصحابِه الأخيارِ ، وهو أوَّلُ مَن اسْتبدَّ بالعراقِ منفرِدًا عنِ السلاطينِ ، مِن أوَّلِ أيامِ الدَّيْلَمِ إلى أيامِه ، وتمكَّن فى الخلافةِ وحكَم على العسكَرِ والأمراءِ ، وقد وافَق أباه فى أشياءَ ؛ مِن ذلك مرضُه بالتَّراقى ، وموْتُه فى ربيعِ الأوَّلِ ، وتقدَّم موتُ السلطانِ محمد شَاه قبلَه بثلاثةِ أشهرٍ ، وكذلك المُسْتَظْهِرُ مات قبلَه محمدٌ[3] بثلاثةٍ ، وبعدَ غرَقِ بغدادَ بسنَةٍ [4]مات القائمُ ، وكذلك هذا[4] . قال عَفِيفٌ الناسِخُ[5] : رأيتُ فى المنامِ قائلًا

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٣٨، والكامل ١١/ ٢٥٤.

(٢) الإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٢٥، والمنتظم ١٨/ ١٤٤، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/ ٣٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٧١، والوافى بالوفيات ٢/ ٩٤.

(٣) فى النسخ : « محمود » . والمثبت من المنتظم .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ص : « وكذا الآخر » ، وفى خ ، م : « مات أبوه ، وكذلك هذا » . والمثبت من المنتظم .

(٥) المنتظم ١٨/ ١٤٤.

يقولُ : إذا اجتمَعت ثلاثُ خَاءاتٍ مات المُقْتَفِى . يعنى : خمسًا وخمسين وخمسَمِائةٍ .

خِلافَةُ المُسْتَنْجِدِ باللَّهِ ، أبى المُظَفَّرِ يُوسُفَ بنِ المُقْتَفِى

لمَّا تُوفِّى أبوه ، كما ذكَرْنا ، بُويعَ له فى صبِيحَةِ يومِ الأحدِ ثانى ربيعٍ الأوَّلِ من هذه السنَةِ ، بايَعَه أشرافُ بنى العباسِ ، ثم الوزيرُ والقضاةُ والعلماءُ والأُمراءُ وعُمرُه يومَئذٍ خمسٌ وأربعون سنةً ، وكان رجلًا صالحًا ، وكان وَلِيَّ عهدِ أبيه مِن مدَّةٍ مُتطاولةٍ ، ثم عُمِل عزاءُ أبيه ، ولمَّا خُطِب له يومَ الجُمُعة نُثِرَتِ الدَّراهمُ والدنانيرُ على الناسِ ، وفرِح المسلمون به بعدَ أبيه ، وأقرَّ الوزيرَ ابنَ هُبَيْرَةَ على منْصبِه ووَعدَه بذلك إلى المَماتِ ، وعزَل قاضىَ القضاةِ ابنَ الدامَغانىِّ ، ووَلَّى مكانَه أبا جعفرٍ عبدَ الواحدِ الثَّقَفِىَّ ، وكان شيْخًا كبيرًا ، له سماعٌ بالحديثِ ، وباشَرَ الحكمَ بالكُوفَةِ مُدَّةً ، فتُوفِّى فى ذى الحِجَّةِ من هذه السنةِ ، فولِى مكانَه ابنُه جعفرٌ .

وفى شَوَّالٍ من هذه السنَةِ اتَّفَق الأتراكُ ببابِ هَمَذانَ على خلْعِ سُليمان شاه ، وخطَبُوا لأرْسَلانَ بنِ طُغْرُلَ .

وفيها تُوفِّى الفائزُ بنصْرِ اللَّهِ الفاطِمِىُّ[1] صاحبُ مصرَ ، وهو أبو القاسِمِ عيسى بنُ إسماعيلَ الظافِرِ ، وكانَت وفاتُه فى صفَرٍ وعُمرُه يومَئذٍ إحْدى عشْرةَ

(١) المنتظم ١٨/ ١٤٣، والكامل ١١/ ٢٥٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٩١، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٦٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٠٦.

سنةً ، ومدَّةُ ولايتِه مِن ذلك سِتُّ سنينَ وشهرانِ ، وكان مُدَبِّرَ دولَتِه أبو الغاراتِ ، ثم قام بعدَه العاضِدُ آخرُ خُلفائِهم ، وهو أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ يُوسُفَ بنِ الحافظِ ، ولم يكُنْ أبوه خليفةً ، وكان يومَئذٍ قد ناهَز الاحتِلامَ ، فقامَ بتَدبيرِ مملكَتِه الملكُ الصالِحُ طلائعُ بنُ رُزِّيكَ الوزيرُ ، أخَذ له البيعةَ وزوَّجَه بابنتِه ، وجهَّزها بأمرٍ عظيمٍ ، وقد عُمِّرَتْ بعدَ زوجِها العاضِدِ ، ورأت زوالَ دولةِ الفاطمِيِّينَ على يدِ الملكِ صلاحِ الدينِ يُوسُفَ بنِ أيوبَ بنِ شاذِى ، فى سنةِ أربعٍ وستِّين ، كما سيأتى مفُصَّلًا إن شاء [٢٥١/٩ظ] اللَّهُ تعالى .

وفيها كانت وفاةُ السلطانِ الكبيرِ صاحبِ غَزْنَةَ **خُسْرُوشَاه بنِ بَهْرام شَاه بنِ مَسْعُودِ بنِ إبراهيمَ بنِ مسعودِ بنِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِينَ**[1] ، مِن بيتِ مُلْكٍ ورياسةٍ باذخَةٍ ، يَرِثُونها كابِرًا عن كابرٍ ، وكان مِن ساداتِ الملوكِ وأحْسَنِهم سيرةً ، يحبُّ العلمَ وأهلَه . وكانت وفاتُه فى رجَبٍ من هذه السنةِ ، وقام مِن بعدِه ولَدُه مَلِكْشَاه ، فسار إليه علاءُ الدينِ الحسينُ ملكُ الغُورِ ، فحاصَرَ غَزْنَةَ مدّةً فلم يقْدِرْ عليها ، فرجَع خائبًا .

وفيها مات مِلِكْشَاه بنُ السلطانِ محمودِ بنِ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه بنِ ألْب أرْسَلان السَّلجوقىُّ[2] ، بأَصْبَهانَ مَسْمُومًا ، يُقالُ[3] : إنَّ الوزيرَ عونَ الدينِ بنَ هُبَيْرَةَ دسَّ إليه مَن سقاه إيَّاه . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) الكامل ١١/ ٢٦٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٦١، والوافى بالوفيات ١٣/ ٣١٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٣٣.

(٢) المنتظم ١٨/ ١٤٥، وتاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٧٠، والكامل ١١/ ٢٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٨٦، ومآثر الإنافة ٢/ ٤٨.

(٣) الكامل ١١/ ٢٦٣.

وفيها مات أميرُ الحاجِّ قايْمَازُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأُرجوانيُّ[1] سقَط عن فرَسِه وهو يلعبُ بالكرةِ بمَيْدانِ الخليفةِ، فسالَ دِماغُه مِن أُذُنِه، فماتَ مِن ساعتِه، رحِمه اللَّهُ، وقد كانَ مِن خِيارِ الأمراءِ، فتأسَّفَ الناسُ عليه، وحضَرَ جِنازتَه خلقٌ كثيرٌ. مات فى شعبانَ من هذه السنةِ، فحجَّ بالناسِ فيها الأميرُ أَرْغَشُ[2] مُقْطَعُ الكُوفَةِ. وحجَّ فى هذه السنةِ الأميرُ الكبيرُ شِيرَكُوه بنُ شاذِى، مقدَّمُ عساكرِ الملكِ نُورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى، وتصدَّقَ بأموالٍ كثيرةٍ.

وفيها[3] اسْتَعفى القاضى زَكِيُّ الدينِ أبو الحسَنِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ يحيى القُرَشِيُّ من القضاءِ بدِمَشْقَ، فأعْفاه الملكُ نورُ الدينِ، ووَلَّى مكانَه القاضىَ كمالَ الدينِ محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ الشَّهْرُزُورِىَّ، وكانَ مِن خِيارِ القضاةِ وأكْثَرِهم صدقةً، وله صدقاتٌ جارِيَةٌ بعدَه، وكان عالمًا، بارعًا، وإليه يُنْسَبُ الشُّبّاكُ الكَمالِيُّ الذى يجلسُ فيه الحكّامُ فى الجامعِ بعدَ صلاةِ الجُمُعةِ.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

الأميرُ مُجاهِدُ الدينِ بُزّانُ[4] **بنُ مامِينَ الكُرْدِىُّ**، أحدُ مُقَدَّمِى جيشِ الشّامِ، قبلَ المَلِكِ نورِ الدينِ وبعدَه، وقد نابَ فى مدينةِ صَرْخَدَ[5] مدَّةً، وكان شَهْمًا، شجاعًا، كثيرَ البِرِّ والصَّدقاتِ والصِّلاتِ، وهو واقفُ المدْرسةِ المُجاهِدِيَّةِ بالقربِ مِن النُّورِيَّةِ، وله المدرسةُ المُجاهديةُ التى داخِلَ بابِ الفَراديسِ البَرّانِىِّ، وبها

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٤٣، والكامل ١١/ ٢٦٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٣٢.
(٢) فى النسخ: «برغش». والمثبت من الكامل ١١/ ٢٧٩.
(٣) الروضتين ١/ ٣١٠.
(٤) فى خ: «بزار»، وفى م، ودول الإسلام ٢/ ٧١: «نزار». وانظر: الكامل ١١/ ٢٠٧، والروضتين ١/ ٣٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٥٧.
(٥) صرخد: بلد ملاصق لبلاد حَوْران من أعمال دمشق. معجم البلدان ٣/ ٣٨٠.

قبْرِه ، وله السَّبعُ المجاهدِىُّ[1] داخلَ بابِ الزِّيادَةِ مِنَ الجامعِ بمقْصُورةِ الخَضِرِ . وكانَت وفاتُه بدارِه فى صفَرٍ من هذه السنةِ ، فحُمِل إلى الجامعِ وصُلِّى عليه ، ثم أُعِيدَ إلى مدرسَتِه ، ودُفِنَ بها داخِلَ بابِ الفَراديسِ ، وتأسَّف الناسُ عليه ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ عَدِىُّ بنُ مسافرِ بنِ إسْماعيلَ بنِ موسى بنِ مَرْوانَ بنِ الحسنِ بنِ مَرْوانَ الهكَّارِىُّ[2] ، شيخُ الطائفةِ العدَوِيَّةِ ، أصلُه مِن البِقاعِ غربِىَّ دِمشقَ ، مِن قريةِ بيتِ فارٍ ، ثم رحَل إلى بغدادَ فاجتَمَع فيها بالشيخِ عبدِ القادرِ ، والشيخِ حمَّادٍ الدَّبَّاسِ ، والشيخِ عَقيلٍ المَنْبِجِىِّ ، وأبى الوَفاءِ الحُلْوانىِّ ، وأبى النَّجيبِ السُّهْرَوَرْدِىِّ وغيرِهم ، ثم انْفرَد عن الناسِ وتخلَّى بجبَلِ الهَكَّارِيَّةِ[3] وبنَى له هنالك زاويةً واعْتقَد فيه أهلُ تلك الناحيةِ اعْتِقادًا بليغًا ، حتى إن منهم مَنْ يغلُو فيه غُلُوًّا كبيرًا مُنْكَرًا . ثم كانت وفاتُه فى هذه السَّنَةِ بزاوِيَتِه وله تسعون سنةً .

عبدُ الواحِدِ بنُ أَحمدَ بنِ محمدِ بنِ حَمْزَة ، أبو جَعْفَرٍ الثَّقَفِىُّ[4] ، قاضى قُضاةِ بَغْدادَ ، وَلِيَها بعدَ أبى الحسَنِ الدَّامَغانىِّ فى أوَّلِ هذه السنَةِ ، وقد كانَ قاضيًا بالكُوفَةِ قبلَ ذلك [٩/٢٥٢و] ، ثم كانت وفاتُه فى ذى الحجَّةِ مِن هذه السَّنةِ وقد

---

(١) السبع المجاهدى : وقف على من يقرأ السبع الطوال كل يوم بمقصورة الخضر بجامع دمشق . انظر الروضتين ١/ ٣٠٩.

(٢) الكامل ١١/ ٢٨٩، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٥٤، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ٤٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٢٣٠. وقد ذكره ابن الأثير وأبو الفداء والذهبى ضمن وفيات سنة ٤٥٧هـ غير أن ابن خلكان قال فى الوفيات : وتوفى الشيخ سنة سبع ، وقيل : خمس وخمسين وخمسمائة .

(٣) فى النسخ : « هكار » . والمثبت من وفيات الأعيان ٣/ ٣٥٤. والهكارية : بلدة فوق الموصل فى بلد جزيرة ابن عمر ، يسكنها أكراد يقال لهم : الهكارية . معجم البلدان ٤/ ٩٧٨.

(٤) المنتظم ١٨/ ١٤٣، والعبر ٤/ ١٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٦٤، ومرآة الجنان ٣/ ٣٠٨، وشذرات الذهب ٤/ ١٧٥.

ناهَزَ الثمانين ، ووَلِىَ بعدَه ابنُه جَعْفَرٌ .

الفائزُ صاحِبُ مِصْرَ ، تقدَّم فى الحوادثِ .

قايمازُ الأُرجوانىُّ ، تقدَّم أيضًا .

الخليفةُ المُقتَفِى أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ أبى العباسِ أحمدَ المستظهرِ ، تقدَّمت ترجمتُه عندَ وفاتِه .

محمدُ بنُ يَحْيَى بنِ علىِّ بنِ مُسْلِمٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ الزَّبِيدِىُّ[1] ، وُلِدَ بمدينةِ زَبِيدَ باليمنِ سنَةَ ثمانين[2] ، وقدِمَ بَغْدادَ سنةَ تسعٍ وخمْسِمائةٍ ، فوعَظ ، وكانتْ له معرفةٌ بالنحوِ والأدَبِ ، وكان صبُورًا على الفقرِ لا يشْكُو حالَه إلى أحدٍ ، وكانت له أحْوالٌ صالحةٌ ، رحِمهُ اللَّهُ تعالى .

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٤٥، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٠٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٧٩، والوافى بالوفيات ٥/ ١٩٨، والجواهر المضية ٢/ ١٤٢، وفيه : « مسلمة » بدل « مسلم » .

(٢) ذكر الذهبى أنه ولد فى المحرم سنة ستين وأربعمائة .

ثم دخلت سنة سِتٍّ وخَمْسِين وخَمْسِمائَةٍ

فيها[1] قُتِل **السلطانُ سُلَيمان شَاه بنُ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه**[2] ، وكان عندَه تهوُّرٌ وقلَّةُ مُبالَاةٍ بالدِّينِ ، يُدْمِنُ شربَ الخمرِ حتى فى رمضانَ ، فثارَ عليه مُدَبِّرُ مملكَتِه كُردبازو الخادِمُ فقتلَه ، وبايَع بعدَه السلطانَ أرْسَلَان شاه بنَ طُغْرُلَ بنِ محمدِ بنِ ملِكْشَاه .

وفيها قُتِل **الملكُ الصالِحُ فارِسُ الدِّينِ أبو الغاراتِ طلائعُ بنُ رُزِّيكَ الأَرْمَنِيُّ**[3] ، وزيرُ العاضِدِ صاحبِ مِصْرَ ، ووالدُ زوْجَتِه ، وكان قد حَجَر على العاضدِ لصِغَرِه واسْتَحوَذ على الأمورِ ، فقتَلَتْه الحاشِيَةُ ، ووَزَرَ بعدَه ولَدُه رُزِّيكُ ، ولُقِّبَ بالعادلِ ، وقد كان أبوه الصالحُ كريمًا أديبًا ، يُحِبُّ أهلَ العلمِ ويُحْسِنُ إليهم ، كان مِن خِيارِ الملُوكِ والوزراءِ ، وقدِ امْتَدَحَه غيرُ واحدٍ مِن الشعراءِ .

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[4] : كان أوَّلًا مُتولِّيًا بمُنْيَةِ بنى خَصيبٍ ، ثم آلَ به الحالُ إلى أنْ وزَرللفائزِ ، وذهَبت له وزارةُ عباسٍ فى سنةِ تسعٍ وأربعين ، ثم لمَّا هلَك فى هذه السنةِ قامَ فى الوزارةِ بعدَه ولَدُه العادِلُ رُزِّيكُ بنُ طلائعَ ، فلم يزَلْ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٤٦، والكامل ١١/ ٢٦٦.

(٢) تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٦٧، والكامل ١١/ ٢٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٩٥، والعبر ٤/ ١٦٠، ومرآة الجنان ٣/ ٣١٠.

(٣) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ١٧٣، والكامل ١١/ ١٧٤، ووفيات الأعيان ٢/ ٥٢٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٩٦.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٥٢٦.

فيها حتى انْتزَعَها شاوِرٌ ، كما سيَأْتى . قال[١] : والصالِحُ هذا هو بانى الجامعِ عندَ بابِ زُوَيْلةَ ظاهِرَ القاهرةِ . قال : ومِنَ العجائبِ أنَّه وَلِىَ الوِزارةَ فى تاسِعَ عشَرَ شهرٍ ، وقُتِل فى تاسعَ عشرَ شهرٍ ، ونُقِلَ مِن دارِ الوِزارةِ إلى القَرافَةِ فى تاسِعَ عشَرَ شهرٍ آخرَ ، وزالَتْ دوْلَتُهم فى تاسِعَ عشَرَ شهرٍ آخرَ . قال[٢] : ومِن شعرِه ما روَاه عنه الواعظُ زينُ الدينِ علىُّ بنُ نجَا الحنبلىُّ ، وهو قولُه :

مَشِيبُكَ قد نَضا صِبْغَ الشَّبابِ ... وحلَّ البازُ فى وَكْرِ الغُرابِ
تَنامُ ومُقْلَةُ الحَدَثانِ يَقْظَى ... وما نابُ النوائبِ عنكَ نابِ
وكيفَ بقاءُ عُمْرِكَ وَهْوَ كَنْزٌ ... وقد أنفَقْتَ منهُ بلا حِسابِ

وقولُه[٣] :

كم ذا يُرِينا الدَّهْرُ مِن أحْداثِهِ ... عِبَرًا وفِينا الصَّدُّ والإعْراضُ
نَنْسَى المماتَ وليْسَ يجْرِى ذِكْرُهُ ... فِينا فتُذْكِرُنا به الأمراضُ

ومِن شعرِه الجيِّدِ أيضًا قولُه[٤] :

أبَى اللَّهُ إلَّا أنْ يَدُومَ لنا الدَّهرُ ... ويخدُمَنا فى مُلْكِنا [٥]العِزُّ والنَّصرُ[٥]
عَلِمْنا بأنَّ المالَ تَفْنَى أُلُوفُهُ ... ويَبْقَى لنا مِن بعدِه الأجْرُ والذِّكْرُ
خلَطْنا النَّدَى بالبأسِ حتى كأنَّنا ... سحَابٌ لدَيه البَرْقُ والرعْدُ والقَطْرُ

وله أيضًا ، وهو ممَّا نظَمَه قبلَ موتِه بثلاثِ ليالٍ[٦] :

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٥٢٩، ٥٣٠.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٥٢٧. وانظر الأبيات فى الخريدة ١/ ١٨٥.
(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٥٢٦.
(٤) الكامل ١١/ ٢٧٥.
(٥ - ٥) فى الأصل، خ، ص: «النهى والأمر».
(٦) الخريدة ١/ ١٨٠، والكامل ١١/ ٢٧٦.

نحنُ فى غفْلَةٍ ونَوْمٍ وللمَوْ ... تِ عُيونٌ يَقْظَانَةٌ لا تَنامُ
قَدْ رحَلْنا إلى الحِمَامِ سنِينًا ... ليتَ شِعْرِى متى يكونُ الحِمَامُ [٩/٢٥٢ظ]

ثم قتَله غِلمانُ العاضدِ فى النَّهارِ غِيلةً وله إحْدَى وستُّونَ سنةً ، وخُلِعَ على ولدِه العادلِ بالوِزارةِ ، ورَثاه عُمارةُ اليَمَنىُّ بقصائدَ حِسانٍ ، ويومَ نُقِل إلى تُرْبَتِه بالقرافةِ سارَ العاضِدُ معه حتَّى وصَل إلى قبرِه فى التابوتِ .

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[1] : فعمِل الفقيهُ عُمارةُ فى ذلك قصيدةً طويلةً أجاد فيها ، فمِن ذلك فى صفةِ التابوتِ قولُه :

وكأنَّه تابوتُ مُوسى أُودِعَتْ ... فى جانِبَيْه سَكِينَةٌ ووقارُ

وفيها أوقَعَتْ بنو خَفاجةَ بأهلِ الكوفةِ وقعةً عظيمةً ، فقتَلُوا خلقًا ، منهمُ الأميرُ قَيْصَرُ وجرَحُوا أميرَ الحاجِّ أَرْغَشَ[2] جراحاتٍ ، فنهَضَ إليهم وزيرُ الخلافةِ عَوْنُ الدِّينِ بنُ هُبَيْرَةَ فى جيشٍ ، فتَبِعَهم حتى أَوْغَلَ فى البرِّيَّةِ ، فبعثُوا يطلبونَ العفوَ .

وفيها وَلِىَ مَكَّةَ الشريفُ عِيسى بنُ قاسمِ بنِ أبى هاشمٍ ، وقيلَ : قاسِمُ بنُ فُليتةَ بنِ قاسمِ بنِ أبى هاشمٍ .

وفيها أمَر الخليفةُ المستنجدُ بإزالةِ الدَّكاكينِ التى تُضيِّقُ الطُّرقاتِ ، وأنْ لا يجلسَ أحدٌ مِن الباعَةِ فى عَرْصَةِ الطرقاتِ ؛ لِئلَّا يضُرَّ ذلك بالمارَّةِ . وفيها وقَع رُخْصٌ عظيمٌ ببَغْدادَ جدًّا .

وفيها فُتحتِ المدرسةُ التى بنَاها ابنُ الشَّمحلِ فى المأْمُونِيةِ ، ودرَّس فيها أبو

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٥٢٩.
(٢) فى النسخ : « برغش » . والمثبت من الكامل ١١/٢٧٩ .

حكيمٍ إبْراهيمُ بنُ دِينارٍ النَّهْروانيُّ الحنْبَليُّ ، وقد تُوفِّى مِن آخرِ هذه السَّنةِ ، ودرَّس بعدَه فيها أبو الفَرَجِ بنُ الجَوْزِيِّ ، وقد كان عندَه مُعِيدًا ، ونزَل له عن تدْريسِ آخرَ بابِ الأزَجِ عندَ موْتِه .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

حَمْزَةُ بنُ عليِّ بنِ طَلْحَةَ ، أبو الفُتُوحِ الحاجِبُ[1] ، كان خِصِّيصًا عندَ المُسْتَرْشِدِ والمُقْتَفِى أيضًا ، وقد بنَى مدرسةً إلى جانبِ دارِه ، وحجَّ فرجَع متزَهِّدًا ، فلزِمَ بيْتَه مُعَظَّمًا نحوًا مِن عشرينَ سنةً ، وكانت وفاتُه فى هذه السَّنةِ ، وقدِ امْتدحَه بعضُهم فقال :

يا عَضُدَ الإسْلامِ يا مَنْ سمَتْ ... إلى العُلَا هِمَّتُهُ الفاخِرَهْ

كانتْ لكَ الدُّنْيا فلم ترْضَها ... مُلْكًا فأخلَدْتَ إلى الآخِرَهْ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٥٠، والكامل ١١/ ٢٨٠، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٩٤، والوافى بالوفيات ١٣/ ١٧٩.

ثم دخلت سنة سَبْعٍ وخَمْسِين وخَمْسِمائةٍ

فيها[1] دخَلتِ الكُرْجُ بلادَ المسلمينَ، فقتَلُوا خلقًا مِن الرجالِ وأَسَرُوا مِن الذَّرارِىِّ أممًا؛ فاجْتَمع لحربِهم ملوكُ تلك الناحيةِ؛ إيلدكزُ صاحِبُ أَذْرَبيجانَ، وابنُ سُكْمانَ صاحِبُ خِلَاطَ، وابنُ آقْ سُنْقُرَ صاحِبُ مَراغَةَ، وسارُوا إلى بلادِهم فى السَّنَةِ الآتيةِ فنَهَبُوها، وأَسَرُوا ذَرارِيَّهم، والْتَقَوا معهم فكسَرُوهم كسرةً ذريعةً فظيعةً منكرةً، مكَثُوا يقتلُونَ فيهم ويأسِرُونَ ثلاثةَ أيامٍ.

وفى رجَبٍ أُعِيدَ يوسفُ الدِّمَشْقِىُّ إلى تدريسِ النِّظامِيَّةِ بعدَ عَزْلِ ابنِ نظامِ المُلكِ بسببِ أنَّ امرأةً ادَّعَتْ أنَّه تزوَّجَها فأنْكَرَ، ثم اعْتَرفَ، فعُزِلَ عنِ التدريسِ.

وفيها كمَلَتِ المدرسةُ التى بنَاها الوزيرُ ابنُ هُبَيْرَةَ بباب البصرَةِ، ورتَّبَ فيها مدرِّسًا وفقِيهًا. وحجَّ بالناسِ أميرُ الكُوفَةِ أَرْغَشُ[2].

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

شُجاعٌ[3]، شيخُ الحنَفِيَّةِ بمشْهَدِ أبى حنيفةَ، وكان جيِّدَ الكلامِ فى النَّظَرِ، أخَذ عنه الحنفِيَّةُ، ودُفِن عندَ المشهدِ.

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٥٢، والكامل ١١/ ٢٨٦.

(٢) فى خ، م: «برغش».

(٣) المنتظم ١٧/ ١٥٤، والكامل ١١/ ٢٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٢٢٥، والوافى بالوفيات ١٦/ ١١٢، والجواهر المضية ٢/ ٢٤٦.

صَدَقةُ بنُ وزيرٍ الواسطيُّ[1] ، دخَل بَغْدادَ ووعَظ بها [٩/٢٥٣و] وأظْهرَ تقَشُّفًا ، وكان يميلُ إلى التشَيُّعِ وعِلْمِ الكلامِ ، ومع هذا كلِّه راجَ على العوامِّ وبعضِ الأمراءِ ، وحصَل له فَتوحٌ كثيرةٌ ، ابْتَنى منه رِباطًا ودُفِنَ فيه ، سامَحه اللَّهُ تعالَى .

[٢]**زُمُرُّد خاتُون**[٣] بنتُ جاولى أختُ الملكِ دُقَاقِ[٤] بنِ تُتُش لأُمِّه ، وهى بانِيَةُ الخاتُونِيَّةِ ظاهِرَ دِمَشْقَ عندَ قريةِ صَنْعاءَ بمكانٍ يُقالُ له : تلُّ الثعالبِ . غربيَّ دِمَشْقَ ، على جانبِ الشرقِ القِبْليِّ بصَنْعاءِ الشامِ ، وهى قريةٌ معروفةٌ قديمًا ، وأوْقَفَتْها على الشيخِ بُرْهانِ الدينِ عليِّ بنِ محمدٍ البَلْخِيِّ الحنفيِّ المتقدِّمِ ذكْرُه[٥] ، وكانتْ زوْجةَ الملكِ بورِى بنِ طُغتِكِينَ ، فولدَتْ له ابْنَيْه شمسَ المُلوكِ إسماعيلَ المذكُورَ ، وقد ملَكَ بعدَ أبيه وسارَ سِيرتَه ، ومالأَ الفرَنْجَ على المسلمينَ ، وهَمَّ بتَسْليمِ البلَدِ والأمْوالِ إليهم ، فقَتلُوه وتملَّكَ أخوه وذلك بعدَ مُراجعَتِها ومُساعَدَتِها ، وقد كانتْ قرأتِ القرآنَ ، وسمِعتِ الحديثَ ، وكانتْ حنَفيَّةَ المذْهبِ تُحِبُّ العلماءَ والصالحينَ ، وقد تزوَّجَها الأتابكيُّ زَنْكِى صاحبُ حَلَبَ ؛ طمَعًا فى أنْ يأخُذَ بسببِها دِمَشْقَ ، فلم يظفَرْ بذلك ، بل ذهبَتْ إليه إلى حَلَبَ ، ثم عادَتْ إلى دِمَشْقَ بعدَ وفاتِه ، وقد دخَلتْ بَغْدادَ وسارَتْ مِن هناكَ إلى[٢]

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٥٤، والكامل ١١/ ٢٨٩، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٢٢٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١١٢، والوافى بالوفيات ١٦/ ٢٩١.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) تاريخ دمشق (تراجم النساء) ص ١١٢، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٢٢١، والوافى بالوفيات ١٤/ ٢١٣.

(٤) فى م : « دقماق » .

(٥) تقدم فى ص ٣٦٣ .

(1) الحِجَازِ ، وجاوَرَتْ بمَكَّةَ سنةً ، ثم جاءَتْ فأقامَتْ بالمدينةِ النبوِيَّةِ حتى ماتَتْ بها ، ودُفِنَتْ بالبَقِيعِ فى هذه السَّنَةِ ، وقد كانتْ كثيرةَ البِرِّ والصَّدقاتِ والصلاةِ والصومِ . قال السِّبْطُ (2) : ولم تَمُتْ حتى قَلَّ ما بيَدِها ، فكانت تُغَرْبِلُ القمحَ والشَّعِيرَ وتتقَوَّتُ بأُجْرَتِه ، وهذا مِن تمامِ الخيرِ والسَّعادةِ وحُسْنِ الخاتمةِ ، رحِمَها اللَّهُ تعالَى (1) .

(1 - 1) سقط من : الأصل ، ص .

(2) أى سبط ابن الجوزى ، انظر مرآة الزمان ٨/١/ ٢٤٢.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وخَمْسين وخَمْسِمائةٍ

فيها[1] ماتَ صاحبُ المغْرِبِ عبدُ المؤمنِ بنُ عليٍّ تلميذُ ابنِ التُّومرتِ وخليفتُه مِن بعدِه فى المُلكِ بمدينةِ سَلَا ، حضره ابنُه يوسفُ ، وحمَله إلى مَرَّاكُش فى صفةِ أنَّه مريضٌ ، فلمَّا وصلَها أظهرَ موْتَه ، فعزَّاه الناسُ وبايَعُوه على المُلكِ مِن بعدِه ، ولقَّبُوه أميرَ المؤمنينَ ، وقد كان عبدُ المؤمنِ هذا حازِمًا ، شُجاعًا ، جَوادًا ، معظِّمًا للشَّريعةِ ، وكان مَن لا يحافظُ على الصلواتِ فى زمانِه يُقْتَلُ ، ولكِنْ كان سفَّاكًا للدِّماءِ ، حتى على الذَّنبِ الصغيرِ ، فاللَّهُ يحْكمُ فيه بما يشاءُ .

وفيها قُتِل الملكُ سيفُ الدينِ محمدُ بنُ علاءِ الدينِ الغُوريُّ ، قتلَه الغُزُّ ، وكان عادِلًا .

وفيها كبَسَتِ الفِرنجُ نورَ الدينِ وجيْشَه ، فانهزَم المسلمونَ لا يلْوِى أحدٌ على أحدٍ ، ونهَض الملكُ نورُ الدينِ فركِب فرسَه والشِّبْحةُ[2] فى رِجْلِه ، فنزَل رجلٌ كُرْدِيٌّ فقطَعها حتى سار السلطانُ نورُ الدينِ فنَجا ، وأدركتِ الفِرنْجُ الكُرْدِيَّ فقتَلُوه ، رحِمهُ اللَّهُ ، فأحْسنَ نورُ الدينِ إلى ذُرِّيَّتِه ، وكان لا يَنْسَى ذلك له .

وفيها أمَر الخليفةُ بإجْلاءِ بنى أسَدٍ عن الحِلَّةِ ، وقتلِ مَن تخلَّفَ منهم ، وذلك لإفْسادِهم ومُكاتبَتِهم السلطانَ محمد شَاه ، وتحرْيضِهم له على حصارِ بَغْدادَ ،

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٥٥، والكامل ١١/ ٢٩١.

(٢) الشبحة : هى التى تُربط بها يد الفرس إلى رِجله من لبَادٍ ونحوه . « تكملة المعاجم العربية » ١/ ٧١٩، ومعجم متن اللغة ٣/ ٢٦٦.

فقتَل مِن بنى أسَدٍ أربعةَ آلافٍ ، وخرَج الباقونَ منها ، وتسلَّم نُوَّابُ الخليفةِ الحِلَّةَ المَزْيَدِيَّةَ . وحجَّ بالناسِ فى هذه السَّنةِ الأميرُ أَرْغَشُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

السلطانُ الكبيرُ أبو محمدٍ عبدُ المُؤمِنِ بنُ علىٍّ القيسىُّ الكُومىُّ[1] ، تلميذُ ابنِ التُّومرتِ ، كان أبوه يعملُ فى الطِّينِ فاعِلًا ، فحِيـنَ وقَع نظَرُ ابنِ التُّومرتِ عليه أحبَّه ، وتفرَّسَ فيه أنَّه سعيدٌ ، فاستَصْحبَه فعَظُمَ شأنُه ، والْتفَّت عليه العساكرُ التى جمعَها ابنُ التُّومرتِ مِن المَصامدَةِ وغيرِهم ، وحارَبُوا صاحِبَ مَرَّاكُش علىَّ بنَ يوسفَ بنِ تاشْفِينَ ، مَلِكَ المُلَثَّمِينَ ، فاسْتَحوذ عبدُ المؤمنِ على وَهْرانَ وتِلِمْسَانَ وفاسَ وسَلَا وسَبتةَ ، ثم حاصرَ مَرَّاكُشَ أحدَ عشَرَ شهرًا ، فافْتَتَحَها فى سنَةِ ثِنْتَيْنِ وأرْبَعِينَ وخَمْسمائَةٍ ، وتمهَّدَتْ له الممالِكُ ، وصفَا له الوقتُ . وكان عاقِلًا ، حازمًا ، وقورًا ، شكِلًا ، حسَنًا ، وكانت وفاتُه سنةَ ثمانٍ وخمسين ، وله فى المُلْكِ ثلاثٌ وثلاثون سنةً ، وكان يُسمِّى نفْسَه أميرَ المؤمنيـنَ .

طَلْحَةُ بنُ علىٍّ بنِ طرادٍ ، أبو أحمدَ الزَّيْـنَبِىُّ[2] ، نقيبُ النقَباءِ ، ماتَ فجأَةً ، رحِمه اللَّهُ ، ووَلِىَ النِّقابةَ مِن بعدِه ولدُه أبو الحسَنِ علىٌّ ، وكان أمرَدَ فعُزِلَ وصُودِرَ فى هذه السَّنَةِ .

محمدُ بنُ عَبْدِ الكَرِيمِ بنِ إبْراهيمَ بنِ عبدِ الكريمِ ، أبو عبدِ اللَّهِ بنِ الأَنْبَارِىِّ[3] ، كاتبُ الإنشْاءِ ببَغْدادَ ، كان شيْخًا ، حسَنًا ، ظريفًا ، وانْفردَ بصِناعَةِ

---

(١) الكامل ١١/ ٢٩١، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٤٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٣٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٢٥٢.

(٢) المنتظم ١٧/ ١٥٦، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٤٥.

(٣) المنتظم ١٨/ ١٥٧، والكامل ١١/ ٢٩٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٢٧١، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٧٩.

الإنْشاءِ، وبُعِثَ رسولًا إلى الملكِ سَنْجَرَ وغيرِه، وخدَم الملوكَ والخلَفاءَ، وقاربَ التسعينَ. ومِن شعرِه قولُه[1]:

[٢٥٣/٩ظ] يا مَنْ هجَرْتِ فما تُبالِى ... هل تَرْجِعُ دَوْلةُ الوِصالِ

ما أطْمَعُ يا عذابَ قلْبِى ... أنْ يَنْعَمَ فى هَواكِ بالِى

الطَّرْفُ كما عهِدتِ باكٍ ... والجسمُ كما تَرَيْنَ بالِ

ماضرَّكِ أنْ تُعَلِّلِينى ... فى الوَصْلِ بمَوْعِدٍ مُحالِ

أهواكِ وأنتِ حظُّ غيرِى ... يا قاتِلَتِى فما احْتِيالِى

أيامُ عَنائى فيكِ سُودٌ ... ما أشْبَهَهُنَّ بالليالِى

العُذَّلُ فيكِ يعْذلُونِى ... عن حبِّكِ مالَهُم ومالِى

يا مُلْزِمِى السُّلُوَّ عنها ... الصَّبُّ أنا وأنتَ سالِى

والقولُ بتَرْكِها صوابٌ ... ما أحْسَنَهُ لوِ اسْتَوى لِى

طلَّقْتُ تجلُّدِى ثلاثًا ... والصَّبْوَةُ بعدُ فى خيالِى

---

(١) هذه الأبيات نسبها ابن كثير لمحمد بن عبد الكريم هذا، وهى لهبة اللَّه بن الفضل وقد توفى هبة اللَّه فى هذه السنة أيضًا. وانظر المنتظم ١٨/ ١٥٧، والكامل ١١/ ٢٩٧.

ثم دخَلَتْ سنةُ تِسْعٍ وخمسين وخمسِمائَةٍ

فيها[1] قدِمَ شاورُ بنُ مُجيرِ الدينِ ، أبو شُجاعٍ السَّعْدِيُّ الملقَّبُ بأميرِ الجيوشِ ، وهو إذْ ذاك وزيرُ الديارِ المصريةِ بعدَ آلِ رُزِّيكَ ، لمَّا قُتِل الناصِرُ رُزِّيكُ بنُ طلائعَ ، وقامَ فى الوِزارَةِ بعدَه ، واسْتَفحَلَ أمْرُه فيها ، فثار عليه أميرٌ يقالُ له : الضِّرْغامُ بنُ سَوّارٍ . وجمَع له جُموعًا كثيرةً ، واسْتَظهَرَ عليه ، وقتَل ولَدَيْه طيًّا[2] وسليمانَ ، وأسَر الثالثَ وهو الكامِلُ بنُ شاورٍ ، فسجَنَه ولم يقْتُلْه ؛ ليَدٍ كانت لأبيه عندَه ، واسْتُوْزِرَ ضِرْغَامٌ بعدَه ولُقِّبَ بالمَنْصُورِ ، فخرَج شاورٌ مِن الديارِ المصريةِ هارِبًا مِن العاضِدِ وضِرْغامٍ ، مُلْتَجِئًا إلى نورِ الدينِ محمودٍ ، [3]فأمَر له نورُ الدينِ[3] بجَوْسَقِ[4] المَيْدانِ الأخْضَرِ ، وأحسَنَ ضِيافتَه وكرامتَه[5] ، وطلَب منه شاورٌ عسْكَرًا يكونون معه ؛ ليفْتَحَ بهم الديارَ المصريَّةَ ، ويكونَ لنورِ الدينِ ثُلُثُ مُغلِّها ، فأرسَلَ معه جيشًا عليهم أسَدُ الدينِ شِيرَكُوه بنُ شاذِى ، فلمَّا دخَلوا بلادَ مصرَ خرَج إليهم الجيشُ الذين بها ، فاقْتتَلُوا أشدَّ القتالِ ، فهزَمهم أسدُ الدينِ ، وقتَل منهم خلقًا ، وقُتِل ضِرْغامُ بنُ سَوّارٍ ، وطِيفَ برأسِه فى البلادِ ، واستقَرَّ أمرُ شاورٍ فى الوِزارةِ ، وتمَهَّدَ حالُه ، ثم اصْطلَحَ العاضِدُ وشاورٌ على أسَدِ الدينِ ، ورجَع

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٥٩، والكامل ١١/ ٢٩٨.

(٢) فى الأصل : « طنا » ، وفى خ : « ظبيان » ، وفى م : « طيبا » ، وانظر نهاية الأرب ٢٨/ ٣٣١.

(٣ - ٣) فى خ ، م : « وهو نازل » .

(٤) الجوسق : القصر ، معرب . تاج العروس (ج س ق) .

(٥) فى خ ، م : « أنزله بالجوسق المذكور » .

شاورٌ عمَّا كان عاهَدَ عليه نورَ الدينِ ، وأَمَر أسدَ الدينِ بالرجوعِ ، فلم يقبَلْ منه ، وعاثَ فى البلادِ ، وأخَذ أموالًا كثيرةً ، وافْتَتَح بُلْدانًا كثيرةً مِن الشرْقِيَّةِ وغيرِها ، فاسْتَغاثَ شاورٌ عليهم بملكِ الفرنْجِ الذى بعَسْقَلانَ ، واسمُه مُرِّى ، فأقبَل إليه فى خلقٍ كثيرٍ فتحوَّلَ أسدُ الدينِ إلى بُلْبَيسَ ، وقد حصَّنَها وشحَنَها بالعُدَدِ والآلاتِ ، وغيرِ ذلك ، فحصَرُوه فيها ثمانيةَ أشهرٍ ، وامْتنَعَ أسدُ الدينِ وأصحابُه أشدَّ الامْتِناعِ ، فبينما هم على ذلك إذ جاءَتِ الأخْبارُ بأنَّ المَلِكَ نورَ الدينِ قد اغْتَنَم غَيْبَةَ الفرَنجِ فسار بالعساكرِ إلى بلادِهم فقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وفتَح حارمًا وقتَل مِن الفرنْجِ خلقًا ، وسارَ إلى بانْيَاسَ ، فضَعُفَ (١أمرُ الفرنجِ بديارِ مصرَ عندَ ذلك١) ، وطلَبُوا مِن أسَدِ الدينِ المُصالحةَ فأجابَهم إلى ذلك ، وقبَض مِن شاورٍ سِتِّينَ ألفَ دينارٍ ، وخرَج أسدُ الدينِ وجيشُه فساروا إلى الشامِ فى ذى الحجَّةِ منها .

وَقْعَةُ حارِمٍ

كان فتحُ حارِمٍ فى رمضانَ مِن هذه السنةِ ، وذلك أنَّ نورَ الدينِ اسْتَغاثَ بعساكرِ المسلمين - فجاءوا مِن كلِّ فجٍّ عميقٍ - ليأْخُذَ ثأْرَه مِن الفرنْجِ ، فالْتَقَى معهم بتلِّ حارِمٍ فكسَرهم كسْرةً عظيمةً ، وأسَر البِرِنْسَ صاحِبَ أنْطاكِيَةَ ، والقُومَصَ صاحِبَ طَرابُلُسَ ، والدُّوكَ مقدَّمَ الرومِ ، [٢٥٤/٩و] وابنَ جُوسلينَ ، وقتَل منهم عشَرةَ آلافٍ ، وقيلَ : عِشْرينَ ألفًا .

(١ - ١) فى خ ، م : « صاحب عسقلان الفرنجى » .

وفى ذى الحِجَّةِ منها فتَح نورُ الدينِ مدينةَ بانْيَاسَ ، وقيلَ : إنَّما كان فتحُه لها فى سنَةِ ستِّينَ . فاللَّهُ أعلمُ . وكان معه أخوه نُصْرةُ الدينِ أميرُ أميرانَ ، فأصابَه سَهْمٌ فى إحْدَى عيْنَيْه فأذْهبَها ، فقال له الملكُ نورُ الدينِ[1] : لو نظَرْتَ إلى ما أعدَّ اللَّهُ لكَ مِن الأجْرِ فى الآخرةِ لأحْبَبْتَ أن تذهَبَ الأُخْرَى . وقال لابنِ مُعينِ الدينِ أُنَرَ[2] : إنَّه اليومَ قد برَدَتْ جِلْدَةُ والدِكَ مِن نارِ جهنَّمَ ؛ لأنَّه كان سلَّمها إلى الفِرنجِ ، صُلْحًا عن دِمَشْقَ .

وفى شهرِ ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ احْتَرَقَ قصرُ جَيْرُونَ حريقًا عظيمًا ، فحضَرَ فى تلك الليلةِ الأمراءُ ؛ منهم أسدُ الدينِ شِيرَكُوه ، بعدَ رجُوعِه مِن الديارِ المصريةِ ، وسعَى سعيًا عظيمًا فى إطفاءِ هذه النارِ وصَوْنِ حَوْزَةِ الجامِعِ منها ، جزاه اللَّهُ خيرًا ، وأثابَه دارَ القرارِ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

[3]**جمالُ الدينِ**[3] وزيرُ صاحبِ المَوْصِلِ ، محمدُ بنُ علىِّ بنِ أبى منصورٍ ، أبو جعفرٍ الأصبهانىُّ الملقَّبُ بالجَوَادِ[4] وزيرُ قُطْبِ الدينِ مودودِ بنِ زَنْكِى ، كان كثيرَ المعْروفِ والصَّدقاتِ ، وقد أثَّر آثارًا حسَنةً بمَكَّةَ والمدينةِ ؛ مِن ذلك أنَّه ساقَ عَيْنًا إلى عَرَفاتٍ ، وعمِل هناك مصانِعَ ، وبنَى مسجدَ عرفاتٍ ودرَّجَه وأكمَل أبوابَ

---

(١) الكامل ١١/ ٣٠٤.

(٢) الكامل ١١/ ٣٠٥.

(٣ - ٣) فى الأصل ، خ ، ص : « الجمال » . وانظر ترجمته فى المنتظم : ١٨/ ١٦١، والكامل ١١/ ٣٠٦، ووفيات الأعيان ٥/ ١٤٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٢٩١.

(٤) فى النسخ والمنتظم : « بالجمال » . والمثبت من وفيات الأعيان ، وانظر سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام .

الحَرَمِ ، وبنَى مسجدَ الخَيْفِ ، وبنَى الحِجْرَ ، وزخرَف الكعبةَ وذهَّبها ، وعمِلها بالرُّخامِ ، وبنَى على المدينةِ النبويَّةِ سُورًا ، وبنَى جِسْرًا على دِجْلَةَ عندَ جزيرةِ ابنِ عُمرَ بالحَجَرِ المَنْحُوتِ ، والحديدِ والرَّصاصِ ، وبنَى الرُّبُطَ الكثيرةَ ، وكان يتصدَّقُ كلَّ يومٍ على بابِه بمائةِ دينارٍ ، ويفْتَدِى مِن الأُسارَى فى كلِّ سنَةٍ بعشَرةِ آلافِ دينارٍ ، ولاتزالُ صدَقاتُه وافِدَةً إلى الفقهاءِ والفقراءِ ؛ حيثُ كانوا مِن بغدادَ وغيرِها مِن البلادِ ، وقد حُبِسَ فى سنَةِ ثمانٍ وخمسين ، فذكَر ابنُ السَّاعِى فى « تاريخِه » عن شخصٍ كان معه فى السِّجنِ أنَّه نزَل إليه طائرٌ أبيضُ قبلَ موْتِه فلم يزَلْ عندَه وهو يَذكُرُ اللَّهَ عزَّ وجلَّ حتى تُوفِّى فى شعبانَ مِن هذه السنةِ ، ثم طارَ عنه ، ودُفِن فى رِباطٍ بَناه لنفسِه بالمَوْصِلِ ، وقد كان بينَه وبينَ أسَدِ الدينِ شِيرَكُوه بنِ شاذِى مُؤاخاةٌ وعهدٌ ، أيُّهما ماتَ قبلَ الآخرِ أن يحْمِلَه إلى المدينةِ النبويَّةِ ، فاستأجَر له أسدُ الدينِ شِيرَكُوه رجالًا فنقَلُوه إلى المدينةِ ، فما مرُّوا به على بلْدَةٍ إلا صلَّوا عليه ، وترحَّمُوا عليه ، وأثْنَوْا خيرًا ، فصلَّوا عليه بالمَوْصِلِ وتَكْرِيتَ وبغدادَ والحِلَّةِ والكُوفَةِ وفَيْدَ ومَكَّةَ ، وطِيفَ به حولَ الكعبةِ ، ثم نُقِل إلى المدينةِ النبويَّةِ فدُفِن برِباطٍ بَناه شرْقِيَّ المسجدِ النبويِّ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] وابنُ السَّاعى : ليس بينَه وبينَ حرمِ النبىِّ ﷺ وقَبْرِه سوى خمسةَ عشَرَ ذِراعًا . قال ابنُ السَّاعِى : ولمَّا صَلَّوا عليه بالحِلَّةِ صعِدَ شابٌّ نَشْزًا فأنشَد يقولُ[2] :

سَرَى نعْشُهُ فوقَ الرقابِ وطالَما ... سَرَى جُودُهُ فوقَ الرِّكابِ ونائِلُهْ
يمُرُّ على الوادِى فتُثْنِى رِمالُهُ ... عليهِ وبالنّادِى فتُثْنِى أرامِلُهْ

ومِمَّن تُوفِّى فيها بعدَ الخمسينَ :

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٦١.

(٢) الكامل ١١/ ٣٠٧.

ابنُ الخازنِ الكاتِبُ ، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الفَضْلِ بنِ عبدِ الخالقِ[1] ، أبو الفَضْلِ المعرْوفُ بابنِ الخازِنِ ، الكاتبُ البغدادِيُّ الشاعرُ ، كان يكتُبُ جيدًا فائقًا ، اعْتنَى بكتابةِ [٩/٢٥٤ظ] الخَتَماتِ ، وأكثَرَ ابنُه أبو الفتحِ نَصْرُ اللَّهِ مِن كتابةِ المَقاماتِ ، وجَمَع لأبيه ديوانَ شعرٍ أوْرَدَ منه ابنُ خَلِّكانَ[2] قطعةً كبيرةً .

---

(١) المنتظم ١٧/١٠٧، ووفيات الأعيان ١/ ١٤٩، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٤٢٠، وعيون التواريخ ١٢/١٥٦. وقد ذكره ابن الجوزى ضمن وفيات سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ، وابن خلكان والذهبى والكتبى ضمن وفيات سنة ثمانى عشرة .

(٢) وفيات الأعيان ١/ ١٤٩، ١٥٠.

ثم دخَلَتْ سنةُ سِتِّينَ وخمسِمائةٍ[1]

فى صفَرٍ منها وقَعَتْ بأَصْبهانَ فتنةٌ عظيمةٌ بيـنَ الفقهاءِ بسبَبِ المذاهبِ دامَتْ أيّامًا ، وقُتِلَ فيها خلقٌ كثيرٌ . وفيها كان حريقٌ عظيمٌ ببغدادَ فاحْتَرَقَتْ مَحالُّ كثيرةٌ جدًّا ، وذكَر ابنُ الجَوْزِىِّ[2] أنَّ فى هذه السنَةِ ولَدَتِ امرأةٌ ببغدادَ أربعَ بناتٍ فى بَطْنٍ واحدٍ . وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الأميرُ أَرْغَشُ الكبيرُ ، أثابَه اللَّهُ تعالى .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

عمرُ بنُ بهليقا الطَّحَّانُ[3] الذى جدَّدَ جامِعَ العُقَيبةِ[4] ببغدادَ ، واسْتَأْذَنَ الخَليفةَ فى إقامَةِ الجُمعةِ فيه ، فأذِنَ له فى ذلك ، وكان قد اشْتَرى ما حولَه مِن القُبورِ فأضافَ ذلك إليه ، ونبَشَ الموْتَى منها ، فقيَّض اللَّهُ له مَن نَبَشَه مِن قبرِه بعدَ دفْنِه ، جزاءً وِفاقًا ، وما ربُّك بظلَّامٍ للعبيدِ .

محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ العبَّاسِ بنِ عبدِ الحميدِ ، أبو عبدِ اللَّهِ الحَرَّانِىُّ[5] ،

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٦٤، والكامل ١١/ ٣١٩.

(٢) المنتظم ١٨/ ١٦٣.

(٣) المنتظم ١٨/ ١٦٤، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٣١٠.

(٤) فى الأصل، والمنتظم «العقبة»، وفى ص: «القبة». وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٣١٠.

(٥) المنتظم ١٨/ ١٦٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٣١٢، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٣٠، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢٥٠.

كان آخرَ مَن بَقِى مِن الشُّهودِ المقْبُولِينَ عندَ أبى الحسنِ الدامَغانىِّ ، وقد سمِعَ الحديثَ ، وكان لطِيفًا ظريفًا ، جمَع كتابًا سمَّاه « رَوْضَةَ الأُدباءِ » ، فيه نُتَفٌ حسَنةٌ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] : زُرْتُه يومًا فأطَلْتُ الجلوسَ عندَه ، فقلْتُ : أقومُ فقد ثقَّلْتُ ، فأنَشَدنى :

لئنْ سمَّيتَ إبرامًا وثُقلًا   زياراتٍ رَفَعْتَ بهِنّ قَدْرِى
فما أبْرمْتَ إلَّا حبْلَ وُدِّى   ولا ثقَّلْتَ إلَّا ظَهْرَ شُكْرِى

مَرْجانُ الخادِمُ[2] كان يقرَأُ القرآنَ ، وتفَقَّهَ لمذهبِ الشافعىِّ ، وكان يتعَصَّبُ على الحنابلةِ ويكرَهُهم ، ويُعادِى الوزيرَ ابنَ هُبَيْرَةَ وابنَ الجَوْزِىِّ مُعاداةً شديدةً ، ويقولُ لابنِ الجَوْزِىِّ[3] : مقْصُودِى قلْعُ المذهبِ . ولمّا مات ابنُ هُبَيْرَةَ قوِىَ أمرُه على ابنِ الجَوْزِىِّ ، وخافَه ابنُ الجَوْزِىِّ ، فلمَّا تُوفِّى فى هذه السنَةِ فرِح ابنُ الجوْزِىِّ فرَحًا شديدًا ، وكانت وفاتُه فى ذى القَعْدَةِ منها .

ابنُ التلميذِ[4] الطبيبُ الماهرُ الحاذِقُ ، اسمُه هِبَةُ اللَّهِ بنُ صَاعِدٍ . كانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن خمسٍ وتسعين سنةً ، وكان مُوَسَّعًا عليه فى الدنْيا ، وله عندَ الناسِ وجَاهَةٌ كبيرةٌ ، وقد تُوفِّى ، قبَّحَه اللَّهُ ، على دينِه ، ودُفِن بالبَيْعَةِ العتِيقَةِ ، لا رَحِمَه اللَّهُ إن كان ماتَ نصْرانِيًّا ، فإنه كان يزعُمُ أنه مسلمٌ ، ثم مات على دينِه .

الوزيرُ ابنُ هُبَيْرَةَ ، يَحيَى بنُ محمدِ بنِ هُبَيْرَةَ ، أبو المُظَفَّرِ[5] الوزيرُ للخلافةِ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٦٥.
(٢) المنتظم ١٨/ ١٦٦، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٣٢٠.
(٣) المنتظم ١٨/ ١٦٦.
(٤) معجم الأدباء ١٩/ ٢٧٦، وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء ١/ ٣٤٩، ووفيات الأعيان ٦/ ٦٩، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٣٢١.
(٥) خريدة القصر (قسم العراق) ١/ ٩٦، والمنتظم ١٨/ ١٦٦، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٥٥، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٣٠، وسيرأعلام النبلاء ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠) ص ٣٢٨.

المعظَّمةِ ، مصنِّفُ كتابِ « الإفْصاحِ » ، قرَأ القراءاتِ ، وسمِع الحديثَ ، وكانت له معرفةٌ جيدةٌ بالنحوِ واللغةِ والعَروضِ ، وتَفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ أحمدَ ، وصنَّفَ كتبًا جيدةً مفيدةً ؛ مِن ذلك « الإفْصاحُ » فى مجلَّداتٍ ، يشرَحُ فيه الأحاديثَ ، ويتكلَّمُ على مَذهبِ العلماءِ ، وكان على مذهبِ السَّلفِ فى الاعْتِقادِ ، وقد كان فقيرًا لا مالَ له ، ثم تعرَّضَ للخِدْمةِ ، فتقَدَّم إلى أن وزَر للمقْتَفِى ثم لابنِه المُسْتَنْجِدِ ، وكان مِن خيارِ الوُزراءِ وأحْسَنِهم سيرةً ، وأبْعَدِهم عن الظُّلمِ ، وكان لا يلبَسُ الحريرَ ، وكان المُقْتَفِى يقولُ[1] : ما وزَر لبنى العبّاسِ مثلُه . وكذلكَ ابنُه المُستنجِدُ ، وكان مُعْجَبًا به ، قال مَرْجانُ الخادِمُ[2] : سمِعتُ أميرَ المؤمنين المُستنجِدَ يُنشِدُ لابنِ هُبَيْرَةَ وهو بينَ يدَيْه مِن شعرِه[3] :

صفَتْ نعْمتَانِ خصّتَاك وعمَّتَا ... فذِكْرُهما حتى القيامةِ يُذْكَرُ
وجُودُك والدنيا إليك فقيرةٌ ... وجُودُك والمعروفُ فى الناسِ يُنْكَرُ [٩/٢٥٥و]
فلو رامَ يا يحيى مكانَك جعْفَرٌ ... ويحيى لكَفَّا عنه يحيى وجعفرُ
ولم أرَ مَنْ ينْوِى لك السُّوءَيا أبا الـ ... ـمُظفَّرِ إلَّا كنتَ أنتَ المظفرُ

وقد كان يبالِغُ فى إقامَةِ الدولةِ العباسيَّةِ ، وحسَم مادَّةَ المُلوكِ السَّلجوقِيَّةِ عنهم بكلِّ مُمكِنٍ ،حتى استقرَّتِ الخلافةُ فى العراقِ كلِّه ؛ ليس للملُوكِ معهم حكمٌ بالكُلِّيَّةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وكان يعقِدُ فى دارِه للعلماءِ مجْلِسًا للمناظرَةِ يبحَثُون فيه ، ويَتناظَرُونَ عندَه

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٦٧.
(٢) المنتظم ١٨/ ١٦٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٢٧.
(٣) البيتان الأخيران له ، أما الأولان فلابن حيّوس من قصيدة يمدح فيها نصر بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس أمير حلب . انظر سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٢٧، حاشية (٣) .

وبينَ يدَيْه ، ويسْتَفِيدُ منهم ، ويستفيدُون منه ، فاتَّفقَ يومًا أنَّه كلَّم رجلًا مِن الفقهاءِ كلمةً فيها بشاعةٌ ؛ قال له[1] : يا حِمارُ . ثم ندِم وقال : أريدُ أن تقولَ لى كما قلتُ لك . فتمنَّعَ ذلك الفقيهُ ، فصالَحه على مائتَىْ دينارٍ . وكانت وفاتُه فجأةً ، ويقالُ[2] : إنَّه سمَّه طبيبٌ ، فسُمَّ ذلك الطبيبُ بعدَ سِتَّةِ أشهرٍ ، فكان يقولُ : سمَمْتُه فسُمِمْتُ . مات يومَ الأحدِ الثانى عشَرَ مِن جُمادَى الأولى مِن هذه السنَةِ ، عن إحدى وستِّين سنةً ، وغسَّلَه ابنُ الجَوْزِىِّ ، وحضَر جِنازتَه خلقٌ كثيرٌ جدًّا ، وغُلِّقَتِ الأسواقُ ، وتَباكَى الناسُ عليه ، ودفِن بالمدرسةِ التى أنْشأَها ببابِ البصرةِ رحِمَه اللَّهُ . وقد رَثاه الشعراءُ بمراثٍ كثيرةٍ .

وأبو القاسمِ ، عُمرُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ عِكْرمةَ البَزْرِىُّ الجَزَرِىُّ[3] ، شيخُ الشافعيَّةِ بها[4] ، وكان يلقَّبُ زينَ الدينِ جمالَ الإسلامِ ، دخَل بغدادَ ، فأخَذ عن إلْكِيا الهَرَّاسىِّ ، والغَزَّالىِّ ، والشَّاشِىِّ صاحبِ « المُسْتَظهِرى » ، وجمَع كتابًا على « المُهذَّبِ »[5] ، وذكَر فيه إشكالاتِ ما سِوَاه ، وأسماءَ رجالِه ولغتَه ، وهو فى مجلدٍ ، على ما ذكَره ابنُ خَلِّكانَ[6] ، ورحَلتْ إليه الطلبةُ مِن كلِّ ناحيةٍ ، وكان أحفظَ الناسِ فى وقتِه لمذهبِ الشافعىِّ . توفِّى فى هذه السنةِ .

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٦٨، ١٦٩.

(٢) المنتظم ١٨/ ١٦٩.

(٣) وردت ترجمته فى وفيات سنة ستين وأربعمائة وهو خطأ، والصواب أنه من وفيات هذه السنة (أعنى سنة ستين وخمسمائة). وانظر ترجمته فى: الكامل ١١/ ٣٢١، وفيه: «عمر بن عكرمة»، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٣٠٩، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٥١، وفيه: «عمر بن محمد بن عكرمة»، وشذرات الذهب ٤/ ١٨٩.

(٤) أى بجزيرة ابن عمر. انظر معجم البلدان ٢/ ٧٩، وطبقات الشافعية ٧/ ٢٥١، وفيه: «إمام جزيرة ابن عمر ومفتيها ومدرسها».

(٥) «المهذب» للشيخ أبى إسحاق الشيرازى، وشرح ابن البزرى غريب ألفاظه وأسماء رجاله، وسماه: «الأسامى والعلل من كتاب المهذب». وانظر وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٥.

(٦) وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٥.

ثم دخلت سنةُ إحدَى وستّين وخمسِمائةٍ

فيها[1] فتَح الملكُ نورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى حِصْنَ المُنَيْطِرَةِ[2]، وقتَل عندَه خلقًا كثيرًا مِن الفِرنجِ، وغَنِم أموالًا جزيلَةً.

وفيها هرَب عِزُّ الدينِ ابنُ الوزيرِ ابنِ هُبَيْرَةَ مِن السِّجنِ، ومعه مملوكٌ تركيٌّ، فنُودِى عليه فى البلدِ: مَن ردَّه فله مائةُ دينارٍ، ومَن وُجِد عندَه هُدِّمَتْ دارُه وصُلِب على بابِها، وذُبِحَتْ أوْلادُه بينَ يدَيْه، فدلَّهم رجلٌ مِن الأعْرابِ عليه، فأُخِذ مِن بُسْتَانٍ، فضُرِب ضربًا شديدًا مُنْكرًا، وأُعِيد إلى السِّجنِ، وضُيِّق عليه.

وفيها أظْهَر الرَّوافِضُ سبَّ الصحابةِ وتظاهَروا بأشْياءَ مُنْكرةٍ، ولم يكُونوا يتمَكَّنون منها فى هذه الأعْصارِ المتقدِّمةِ؛ خوفًا من ابنِ هُبَيْرَةَ، ووقَع بينَ العَوامِّ كلامٌ فيما يتعلَّقُ بخَلْقِ القرآنِ. وحجَّ بالناسِ أَرْغشُ.

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

الحسنُ بنُ العباسِ بنِ أبى الطيبِ بنِ رُسْتُمَ[3]، أبو عبدِ اللَّهِ الأصْبَهانىُّ الرُّسْتُمِىُّ، كان مِن كبارِ عبادِ اللَّهِ الصالحين والبَكَّائين، قال[4]: حضَرتُ يومًا

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٧١، والكامل ١١/ ٣٢٢.

(٢) المنيطرة: حصن بالشام قريب من طرابلس. معجم البلدان ٤/ ٦٧٣.

(٣) المنتظم ١٨/ ١٧٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٧٣، والوافى بالوفيات ١٢/ ٦١، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٦٤.

(٤) المنتظم ١٨/ ١٧٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٣٤.

مجلسَ ابنِ[1] ماشَاذه وهو يتكلَّمُ على الناسِ ، فرأيْتُ رَبَّ العِزَّة فى تلك الليلةِ وهو يقولُ لى : وقَفْتَ على مُبْتَدِعٍ وسمِعْتَ كلامَه ؟ لأَحْرِمَنَّكَ النظَرَ فى الدنيا .
قال : فأصْبَح لا يُبْصِرُ وعَيْناه مفْتُوحَتان كأنَّه بصيرٌ .

عبدُ العزيزِ بنُ الحُسينِ[2] بنِ الجَبَّابِ[3] الأَغْلَبىُّ السَّعدِىُّ القاضى ، أبو المَعالى المِصْرىُّ ، المعروفُ بالجَلِيسِ ؛ لأنَّه كان يُجالِسُ صاحبَ مصرَ ، وقد ذَكَره العمادُ فى « الخريدةِ » قال[4] : وله فضلٌ مشهورٌ وشعرٌ مأثورٌ ، فمِن ذلك قولُه :

ومِن عجَبٍ أنَّ السيوفَ لدَيْهِمُ ... تَحِيضُ دماءً والسيوفُ ذُكورُ
وأعجَبُ مِن ذا أنها فى أَكُفِّهِمْ ... تأَجَّجُ نارًا والأَكُفُّ بُحورُ

الشيخُ عبدُ القادرِ الجِيلىُّ[5] ، عبدُ القادرِ بنُ أبى صالحٍ أبو محمدٍ الجِيلىُّ ، وُلدَ سنةَ سبعين وأربعِمائةٍ ، ودخَل بغدادَ فسمِع الحديثَ ، وتفَقَّهَ على أبى سعيدٍ المُخَرِّمِىِّ الحنْبَلِىِّ ، وكان قد بنَى مدرسةً ففوَّضَها إلى الشيخِ عبدِ القادرِ ، فكانَ يتكلَّمُ على الناسِ بها ، ويَعِظُهم ، وانتفَع به الناسُ انتفاعًا كثيرًا ، وكان له سَمْتٌ حسَنٌ ، وصَمْتٌ عن غيرِ الأمرِ [٢٥٥/٩ظ] بالمعروفِ والنَّهْىِ عن المنكرِ ، وفيه زهْدٌ

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخريج .
(٢) فى م : « الحسن » . وانظر ترجمته فى : خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ١٨٩، والروضتين ١/ ٣٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٨٥، والوافى بالوفيات ١٨/ ٤٧٣، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٧١.
(٣) فى النسخ ، والخريدة ، والروضتين ، والنجوم الزاهرة : « الحباب » والمثبت من تاريخ الإسلام والوافى بالوفيات . وانظر الإكمال ٢/ ١٣٩، وتبصير المنتبه ١/ ٣٩٣، وتاج العروس (ج ب ب). وسمى بالجَبَّاب لجلوس جده عبد اللّه فى سوق الجباب .
(٤) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ١٨٩، ١٩٠.
(٥) المنتظم ١٨/ ١٧٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٨٦، وفوات الوفيات ٢/ ٣٧٣، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٢٩٠.

كبيرٌ ، وله أحوالٌ ومُكاشَفاتٌ ، ولأتْباعِه وأصْحابِه فيه مَقالاتٌ ، ويذْكُرونَ عنه أقوالًا وأفْعالًا ومُكاشفاتٍ أكثرُها مُغالَاةٌ ، وقد كان صالحًا وَرِعًا ، وقد صنَّفَ كتابَ « الغُنْيَةِ » ، و « فتوحِ الغَيْبِ » ، وفيهما أشياءُ حسَنةٌ ، ولكنْ ذكَر فيهما أحاديثَ كثيرةً ضعيفةً وموْضُوعةً ، وبالجملةِ كان مِن ساداتِ المشايخِ الكبارِ ، قدَّس اللَّهُ روحَه ، ونوَّر ضريحَه . كانت وفاتُه ليلةَ السبتِ ثامنَ ربيعِ الآخرِ مِن هذه السنةِ وله تسعون سنةً ، ودُفِن بالمدرسةِ التى كانتْ له .

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وخمسمائة[1]

فيها أقبلت الفرنج في جحافل كثيرة إلى الديار المصرية، وساعدهم المصريون، فتصرفوا في بعض البلاد، فبلغ ذلك أسد الدين شيركوه بن شاذي، فاستأذن الملك نور الدين في العود إليها، وقد كثر الحنق على الوزير شاور، فأذن له فسار إليها في ربيع الآخر، ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، وقد وقع في النفوس أنه سيملك الديار المصرية، وفي ذلك يقول عرقلة المسمى بحسان الشاعر[2]:

أقول والأتراك قد أزمعت ... مصر إلى حرب الأعاريب
رب كما ملكتها يوسف الصديق من أولاد يعقوب
يملكها في عصرنا يوسف الصادق من أولاد أيوب
من لم يزل ضراب هام العدا ... حقا وضراب العراقيب

ولما بلغ الوزير شاورا قدوم أسد الدين والجيش معه، بعث إلى الفرنج فجاءوا من كل فج عميق، ولما بلغ أسد الدين ذلك من شأنهم - وإنما معه ألفا فارس - فاستشار من معه من الأمراء، فكلهم أشار عليه بالرجوع إلى الملك نور الدين؛ لكثرة الفرنج، إلا أميرا واحدا يقال له: شرف الدين برغش[3]؛ فإنه قال: من

(١) المنتظم ١٨/ ١٧٤، والكامل ١١/ ٣٢٤.

(٢) الروضتين في أخبار الدولتين ١/ ٣٦٤.

(٣) في م: «برغش».

خافَ القَتْلَ والأسْرَ فَلْيَقْعُدْ فى بَيْتِه عندَ زوْجَتِه ، ومَن أكَل مِن أمْوالِ المسلمين فلا يُسلِّمْ بلادَهم إلى العدُوِّ . وقال مثلَ ذلك ابنُ أخيه صلاحُ الدينِ يُوسُفُ بنُ نجمِ الدينِ أيُّوبَ بنِ شاذى ، فعزَم اللَّهُ لهم فسارُوا نحوَ الفرنجِ ، فاقْتَتلُوا هم وإيَّاهم قتالًا عظيمًا ، فكَسَروا الفرنجَ ، وهزَمُوهم ، وقتَلُوا منهم خلقًا كثيرًا لا يعْلَمُهم إلَّا اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ على كلِّ حالٍ .

فَتْحُ الإسْكَنْدَريَّةِ على يَدِ أسدِ الدينِ شِيرَكُوه

ثم سارَ أسدُ الدينِ شِيرَكُوه بعد أن كسَر الفرَنجَ والمصريين إلى الإسكندريَّةِ ، فمَلَكَها وجَبَى أموالَها ، واسْتَناب عليها ابنَ أخيه صلاحَ الدينِ يُوسُفَ ، وعادَ إلى الصَّعيدِ فملَكَه ، وجمَع منه أموالًا جزيلةً جدًّا ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ . ثم إنَّ الفرنْجَ والمصريِّين اجْتَمَعوا على حِصارِ الإسكندريَّةِ ثلاثَةَ أشهرٍ ؛ ليَنْتَزِعُوها مِن يَدِ الملكِ صلاحِ الدينِ ، وذلك فى غَيْبَةِ عمِّه فى الصعيدِ ، وامْتَنع بها صلاحُ الدينِ ومَن معه أشدَّ الامْتِناعِ ، ولكِنْ ضاقَتْ عليهمُ الأقْواتُ وضاقَ الحالُ جدًّا ، فسارَ إليهم أسدُ الدينِ شِيرَكُوه ، أيَّده اللَّهُ ، فصالحَه شاورٌ الوزيرُ عن الإسكندريَّةِ بخمسين ألفَ دينارٍ ، فأجابَه إلى ذلك ، وخرَج صلاحُ الدينِ[1] منها وسلَّمها إلى المصريِّين ، وعادَ إلى الشامِ فى منتصفِ شوَّالٍ وذى القَعْدةِ ، وقرَّر شاورٌ للفرنجِ على مِصْرَ فى كلِّ عامٍ مائةَ ألفِ دينارٍ ، وأنْ يكونَ لهم شِحْنَةٌ بالقاهرةِ ، وعادَ الفرنجُ إلى بلادِهم بعدَ أنْ كان الملكُ نُورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنكى قد عقَّبهم فى بلادِهم ، وافتتَح حُصونًا كثيرةً مِن بلادِهم ، وقتَل خلقًا مِن رجالِهم ، [٩/٢٥٦و] وأسَر أُممًا مِن

---

(١) هكذا فى النسخ ، والثابت فى المصادر أن الذى سلم الإسكندرية فى شوال وعاد إلى الشام فى ذى القعدة هو شيركوه. وانظر الكامل ١١/ ٣٢٦، والروضتين ١/ ٣٦٦، والعبر ٤/ ١٧٦، ونهاية الأرب ٢٨/ ٣٣٧، ٣٣٨.

نسائهم وأطفالِهم ، وغنِم شيئًا كثيرًا مِن أمْتِعتِهم وأموالِهم ، ولِلَّهِ الحمدُ . وكان معه أخوه قطبُ الدينِ مودودٌ ، فأطْلَق له الرَّقَّةَ ، فسارَ فتسلَّمها .

وفى هذه السنةِ فى شعبانَ منها كان قدومُ العِمادِ الكاتِبِ مِن بغدادَ إلى دمشقَ ، وهو أبو حامدٍ محمدُ بنُ محمدٍ الأَصْبهانىُّ ، صاحبُ « الفتحِ القُدْسِىِّ » ، و « البَرْقِ الشامِىِّ » ، و « الخريدَةِ » ، وغيرِ ذلك مِن المصنَّفاتِ ، وأنْزَله قاضى القضاةِ كمالُ الدينِ الشَّهْرَزُورِىُّ بالمدرسةِ النُّورِيَّةِ الشافِعيَّةِ داخِلَ بابِ الفرَجِ ، فنُسِبَتْ إليه لسُكْنَاه بها ، فيقالُ لها : العِمادِيَّةُ . ثم وَلِى تدْرِيسَها فى سنةِ سبعٍ وستِّين بعدَ الشيخِ الفقيهِ ابنِ عَبْدٍ ، وأوَّلُ مَن جاءَ للسلامِ عليه نجمُ الدينِ أيُّوبُ وكانتْ له به معرفةٌ مِن تَكْرِيتَ ، فامْتَدحَه العمادُ بقصيدةٍ ذكَرها الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ[1] ، وكان أسدُ الدينِ شِيرَكُوه وصلاحُ الدينِ يوسفُ بمِصْرَ ، فبشَّرَه فيها بولايَةِ صلاحِ الدينِ الدِّيارَ المِصْرِيَّةَ حيثُ يقولُ :

ويسْتَقِرُّ بمِصْرَ يوسُفٌ وبه ... تقَرُّ بعدَ التَّنائى عَيْنُ يعْقُوبِ
ويلتَقى يُوسُفٌ فيها بإخْوَتِهِ ... واللَّهُ يجْمَعُهم مِن غيرِ تَثْرِيبِ

ثم وَلِى العمادُ كتابةَ الإنْشاءِ للملكِ نُورِ الدينِ ، رحِمه اللَّهُ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أَرْغَشُ[2] أميرُ الحاجِّ سنين متعدِّدَةً كان مقدَّمًا على العساكرِ ، خرَج مِن بَغْدادَ لقتالِ شُمْلَةَ التُّرْكُمانِىِّ فسَقَط عن فرَسِه فماتَ .

---

(١) الروضتين ١/ ٣٦٩.

(٢) فى خ ، م ، وإتحاف الورى : « برغش » ، وانظر الكامل ١١/ ٣٢٩.

أبو المعالِي الكاتِبُ[1] محمدُ بنُ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ حَمْدُونَ ، صاحبُ « التَّذْكِرَةِ الحَمْدُونِيَّةِ » ، وقد وَلِى ديوانَ الزِّمامِ مدَّةً ، وكانت وفاتُه فى ذى القَعْدَةِ ، ودُفِن بمقابرِ قريشٍ .

[2]**الرَّشيدُ الصُّوفيُّ**[2] كان يجلِسُ بيـنَ يدَيِ[3] العبَّادِيِّ على الكُرْسِيِّ ، كانتْ له شَيْبَةٌ حسنةٌ ، وسمْتٌ ووَقارٌ ، وكان يُدمنُ حضورَ السماعاتِ ، فاتَّفَق أنَّه ماتَ وهو يرقُصُ فى بعضِ السماعاتِ ، سامَحه اللَّهُ سبحانَه وتعالى .

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٧٥، والكامل ٣٣٠/١١ (وفيه محمد بن الحسين) ، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/ ١٨٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١٣٦، والوافى بالوفيات ٢/ ٣٥٧.
(٢ - ٢) فى الأصل: « السيد الصوفى » ، وفى م: « الرشيد الصدفى » . ولم نقف على ترجمته .
(٣) فى الأصل ، ص: « ابن » .

ثم دَخلت سنةُ ثلاثٍ وستّين وخمسِمائةٍ(١)

فى صفَرٍ منها وصَل شرَفُ الدينِ أبو جعفرٍ بنُ البلدِىِّ مِن واسِطٍ إلى بغدادَ ، فخرَج الجيشُ لتَلقِّيه والنَّقيبان والقاضى ، ومشَى الناسُ بينَ يدَيْه إلى الدِّيوانِ ، فجلَس فى دَسْتِ الوزارةِ ، وقُرِئَ عهدُه ، وكان يومًا مشهُودًا ، ولُقِّب بالوزيرِ شرَفِ الدينِ ، جَلالِ الإسلامِ ، مُعِزِّ الدولةِ ، سيِّدِ الوزراءِ ، صَدْرِ الشرقِ والغربِ .

وفيها أفْسدَتْ خفَاجَةُ فى البلادِ ونَهُبوا القُرَى ، فجُهِّز إليهم جيشٌ مِن بغدادَ فهرَبُوا فى البرارِى فانحَسَر الجيشُ عنهم خوفًا مِنَ العطَشِ ، فكَرُّوا على الجيشِ فقَتلُوا منهم خلْقًا وأسَرُوا آخرِين ، وكان قد أسَر الجيشُ منهم خلقًا فصُلِبُوا على الأسْوارِ . وفى شوَّالٍ وصلَتِ امْرأةُ الملكِ نُورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى إلى بغدادَ تريدُ أن تحُجَّ مِن هناك ، وهى السِّتُّ عِصْمَتُ الدينِ خاتون بنتُ مُعِينِ الدينِ أُنُرَ ، فتلقّاها الجيشُ ، ومعهم صَنْدَلٌ الخادِمُ ، وحُمِلتْ لها الإقَاماتُ وأُكْرِمَتْ غايةَ الإكرامِ .

وفيها مات قاضى قضاةِ بغدادَ جَعْفرُ بنُ الثَّقفىِّ ، فشغَر البلَدُ عن حاكمٍ ثلاثةً وعشرين يومًا ، حتى وُلِّىَ رَوْحُ بنُ [٩/٢٥٦ظ] الحَدِيثىِّ(٢) قاضى القضاةِ فى رابعِ رجَبٍ(٣) .

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٧٦، والكامل ١١/ ٣٣١.

(٢) بعده فى الأصل، ص: «وحج بالناس برغش والله أعلم» وقد تقدمت وفاته فى وفيات السنة السابقة.

(٣) فى الأصل: «الحدمى»، وفى خ، م: «الحدثنى»، وفى ص: «الحديبى». والمثبت من: المنتظم ١٨/ ١٧٦، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠.

ومَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

جعفرُ بنُ عبدِ الواحدِ[1] ، **أبو البَرَكاتِ الثَّقفِيُّ** ، قاضى القضاةِ ببغدادَ بعدَ أبيه ، وُلِدِ سنةَ تِسْعَ عشْرَةَ[2] وخمسِمائةٍ ، وكانت وفاتُه فى هذا العامِ ، وسببُ وفاتِه أنَّه طُلِب منه مالٌ وكلَّمه الوزيرُ ابنُ البلدىِّ كلامًا خَشِنًا فخاف فرمى[3] الدمَ ومات ، رحِمه اللَّهُ .

أبو سَعْدِ السَّمْعَانىُّ ، عبدُ الكَريمِ بنُ محمدِ بنِ منصُورٍ ، أبو سَعْدِ السَّمْعانىُّ[4] ، رحَل إلى بغدادَ فسمِع بها وذَيَّل على تاريخِها ، للخطيبِ البغدادِىِّ ، وقد ناقشَه ابنُ الجوزِىِّ فى « المنتظمِ »[5] ، وذكَر عنه أنَّه كان يتعَصَّبُ على أهلِ مذْهبِه ، ويطْعَنُ فى جماعَةٍ منهم ، وأنَّه يُترجِمُ بعبارةٍ عاميَّةٍ ، مثلَ قوْلِه عن بعضِ الشَّيْخاتِ : إنَّها كانت عفيفةً . وعن الشاعرِ المشهُورِ بالحَيْصَ بَيْصَ : إنَّه كانتْ له أخْتٌ يقالُ لها : دخَلَ خَرَجَ ، وغيرِ ذلك .

عبدُ القَاهرِ بنُ محمدِ[6] **بنِ عبدِ اللَّهِ** [7]**ابنِ عَمُّويَه**[7] **أبو النجيبِ**

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٧٨، والكامل ١١/ ٣٣٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٧٤، دون ترجمة، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١٥٤، والوافى بالوفيات ١١/ ١١١، وشذرات الذهب ٤/ ٢٠٨.

(٢) فى خ، م: «وعشرين».

(٣) رمى الدم: قاءه.

(٤) تاريخ دمشق ١٠/ ٤٣٣ (مخطوط)، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١١٨. وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٨٠.

(٥) المنتظم ١٨/ ١٧٩.

(٦) المنتظم ١٨/ ١٨٠، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١٦٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٧٥، والطبقات الكبرى للشعرانى ١/ ١٤٠.

(٧ - ٧) فى الأصل: «ابن حمويه»، وفى ص: «ابن حويه». والمثبت من المنتظم ١٨/ ١٧٨، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٥٦.

السُّهْرَوَرْدِىُّ ، كان يذْكُرُ أنَّه مِن سُلالةِ أبى بكرٍ الصِّديقِ ، سمِع الحديثَ وتفقَّهَ وأفتى ودرَّس بالنِّظامِيَّةِ وابتنَى لنفسِه مدرسةً ورِباطًا ، وكان مع ذلك متصوِّفًا يعِظُ الناسَ ، ودُفِنَ بمدْرَستِه .

محمدُ بنُ عبدِ الحميدِ بنِ أبى الحَسَنِ[1] أبو الفَتْحِ الرَّازِىُّ ، المعروفُ بالعَلاءِ العَالمِ ، وهو مِن أهْلِ سَمَرْقَنْدَ ، وكان مِن الفُحولِ فى المُناظَرَةِ ، وله طريقةٌ فى الخِلافِ والجدَلِ ، ويقالُ لها التعليقةُ العالِمِيةُ . قال ابنُ الجوزىِّ : وقدورَد بغدادَ وحضَر مجْلِسِى ، وقال أبو سَعْدِ بنُ السَّمْعَانِىِّ[2] : كان يُدْمِنُ الخمرَ ، وكان يقولُ : ليس فى الدنيا أطْيَبُ مِن كتابِ أطَالعُه[3] وبَاطِيَةٍ[4] من الخمرِ أشربُ منها . قال ابنُ الجوزىِّ : ثم بلغَنى أنَّه أقلَعَ عن شربِ الخمرِ والمُناظرَةِ ، وأقبَل على التَّنَسُّكِ والخيرِ ، رحِمه اللَّهُ .

يوسفُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ بُنْدارٍ الدِّمشْقِىُّ[5] ، مدرِّسُ النِّظامِيَّةِ ببغدادَ ، تفقّه على أسْعَدَ الميهَنِىِّ ، وبرَع فى المناظرةِ ، وكان يتعَصَّبُ للأشْعَرِيَّةِ ، وقد بُعِثَ رسولًا فى هذه السنةِ إلى شَمْلَةَ التُّرْكُمانىِّ ، فمات فى تلك البلادِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) فى خ ، م : « الحسين » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ١٨٠، والوافى بالوفيات ٣/ ٢١٨، والجواهر المضية فى طبقات الحنفية ٣/ ٢٠٨، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٧٩، وطبقات المفسرين للداودى ٢/ ١٧٧.

(٢) المنتظم ١٨/ ١٨٠.

(٣) فى خ ، م ، ص : « المناظرة » .

(٤) فى الأصل : « ياجبة » والباطية : إناء عظيم من الزجاج وغيره يتخذ للشراب . الوسيط (ب ط ن) .

(٥) المنتظم ١٨/ ١٨١، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ٢٧٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١٨٥، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٥٤٠.

ثم دَخلتْ سنةُ أربعٍ وستّين وخمسِمائةٍ[١]

فيها كان فتحُ مِصرَعلى يدِ الأميرِ أسَدِ الدين شِيرَكُوه ، وفيها طغَتِ الفرنْجُ بالديارِ المِصريَّةِ ؛ وذلك لمّا جُعِل لهم شِحْنةٌ بها ، وتحكَّمُوا فى أبوابِها ، وسكَنَها أكثرُ شُجْعَانِها ، ولم يَبْقَ شىءٌ مِن أنْ يَسْتَحْوِذُوا عليها ويُخْرِجُوا منها أهلَها مِن المسلمين ، فعندَ ذلك ركِب أمَدادُ الفرنْجِ من كلِّ ناحيةٍ وساروا صُحْبةَ مُرِّى ملِكِ عسْقَلانَ فى جَحافِلَ هائلةٍ ، فأوَّلُ ما أخَذُوا مدينةُ بُلْبَيْسَ ، فقتَلوا منها خلْقًا وأسَرُوا آخرِينَ ، ونزلُوا بها وترَكُوا فيها أثْقالَهم ، وجعلوها موئِلًا ومعقِلًا ، ثم جاءوا فنزَلَوا على القاهرةِ من ناحيةِ بابِ البرقيَّةِ ، فأمَرَ الوزيرُ شاورُ الناسَ أنْ يحْرِقُوا مِصْرَ ، وأنْ ينتقلَ الناسُ منها إلى القاهرةِ ، فنُهِب البلدُ وذهَب للناسِ أموالٌ كثيرةٌ جدًّا ، وبقِيتِ النارُ [٢٥٧/٩و] تعْمَلُ فى مصرَ أربعةً وخمسينَ يومًا ، فعندَ ذلك أرسَلَ الخَليفةُ العاضِدُ يَسْتغيثُ بالملكِ نورِ الدينِ ، وبعَث إليه بشُعُورِ نسائِه يقول[٢] : أدْرِكْني واسْتَنْقِذْ نسائى مِن أيدِى الفرنْجِ . والتزَم له بثُلُثِ خَراجِ مِصْرَ ، على أنْ يكونَ أسدُ الدينِ مُقِيمًا عندَهم ، ولهم إقطَاعاتٌ زائدةٌ على الثُّلُثِ ، فشرَع نورُ الدينِ فى تجْهيزِ الجيوشِ إلى الديارِ المصريةِ ، فلمَّا استشعَر الوزيرُ شاورُ بوُصولِ المسلمين ، أرسَل إلى ملكِ الفرنجِ يقولُ له[٣] : قد عرَفْتَ محَبَّتِى ومَوَدَّتِى ، ولكِنَّ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٨٢، والكامل ١١/ ٣٣٥.

(٢) الكامل ١١/ ٣٣٦.

(٣) المصدر السابق ١١/ ٣٣٧.

العاضِدَ والمسلمين لا يُوافقُونَنِي على تسْليمِ البلَدِ . وصالَحَهم ليرجِعوا عامَهُم ذلك عنِ البَلدِ بألفِ ألفِ دينارٍ ، وعجَّل لهم مِن ذلك بمائةِ ألفِ دينارٍ ، فأخذوها وانشَمرُوا راجعين إلى بلادِهم خوفًا مِن وصولِ الملكِ نورِ الدينِ ، وطمعًا في العَوْدَةِ إليها مرةً ثانيةً ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران : ٥٤] .
ثم شرَع الوزيرُ شاوَرُ في مُطالبَةِ الناسِ بتحْصيلِ الذَّهَبِ الذي صالح الفِرنجَ عليه ، وضَيَّق على الناسِ مع ما نالَهم مِنَ الحَريقِ والخوفِ ، فجبَر اللَّهُ مُصابَهم وأحسَن مآبَهم ، واسْتَدْعَى الملكُ نورُ الدينِ الأميرَ أسدَ الدينِ شيركُوه مِن حِمْصَ إلى حَلَبَ فسَاق في يومٍ واحدٍ ، مِن حِمْصَ[1] فدخَل حَلَبَ في ذلك اليومِ[2] ، فسُرَّ بذلك نورُ الدينِ وتفاءل به ، فقدَّمَه على العساكرِ التي قد جهَّزها إلى الديارِ المصريّةِ وأنْعمَ عليه بمائَتَىْ ألفِ دينارٍ وأضاف إليه مِن الأمراءِ الأعْيانِ جماعةً ، كلٌّ منهم يبْتَغِي بمسِيرِه ذلك رضا الرَّحمنِ ، وكان في جملَتِهم ابنُ أخيه صلاحُ الدينِ يوسُفُ بنُ أيُّوبَ بنِ شاذى ، ولم يكُنْ منْشَرِحًا لخروجِه هذا ، بل كان كارِهًا له ، وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ﴾ [البقرة : ٢١٦] ، وأضاف إليه ستَّةَ آلافٍ مِن التُّرْكُمانِ ، وسار هو وإيّاه من حلَبَ إلى دِمشقَ ، ثمّ جهَّزه إلى الديارِ المصريةِ بمن معه ، ولمَّا وصلَتِ الجيوشُ النُّوريَّةُ إلى الديارِ المصريةِ وجدُوا الفِرنْجَ قدِ انْشَمرُوا عن القاهرَةِ راجعين إلى بلادهِم بالصَّفْقةِ الخاسرةِ ، وكان وصولُه إليها في سابعِ ربيعِ الآخرِ ، فدخَل الأميرُ أسدُ الدينِ على العاضِدِ في ذلك اليومِ ، وخلَع عليه خِلْعَةً سَنِيَّةً فلَبِسها ،

---

(١) بعده في خ ، م : « بعد أن صلى الصبح ثم دخل منزله فأصاب فيه شيئا من الزاد ثم ركب وقت طلوع الشمس » .

(٢) بعده في خ ، م : « ويقال إن هذا لم يتفق لغيره إلا للصحابة » .

وعاد إلى مُخَيَّمِه بظاهرِ البلدِ ، وفرِح المسلمون بقُدومِه إليهم ، وأُجْرِيَتْ عليهمُ الخيراتُ ، وحُمِلتْ إليهمُ التحَفُ والكَراماتُ ، وخرَجت وجُوهُ الناسِ إلى مُخَيَّمِ أسدِ الدينِ خِدمةً له ، وكان فِيمَنْ جاء إليه المُخَيَّمَ الخليفةُ العاضدُ مُتَنَكِّرًا ، فأسَرَّ إليه أُمُورًا مهِمَّةً منها قتلُ الوزيرِ شاورٍ ، وقرَّر معه ذلك ، وعَظُم أمرُ الأميرِ أسَدِ الدينِ بمصرَ ، ولم يَقْدِرِ الوزيرُ شاورٌ على مَنعِ شيءٍ من ذلك لكَثرةِ الجيشِ الذين مع أسدِ الدينِ ، ولكِنْ شرَع يُماطِلُ فيما كان تقرَّرَ لهم وللملكِ نُورِ الدينِ ممّا كانوا التزَموا له ولهم ، وهو مع ذلك يتردَّدُ إلى الأميرِ أسَدِ الدينِ ويركَبُ معه ، وعزَمَ على عملِ ضِيافَةٍ له ، فنَهاه أصحابُه عنِ الحضُورِ خوفًا عليه من غائلَتِه ، وشاوَرُوه فى قَتْلِ شاورٍ ، فلم يمكِّنْهمُ الأميرُ أسدُ الدينِ من ذلك ، فلمَّا كان فى بعضِ [٩/٢٥٧ظ] الأيامِ جاء شاورٌ إلى منزلِ الأميرِ أسَدِ الدينِ ، فوجَده قد ذهَب لزيارةِ قبرِ الشافِعىِّ ، وإذا ابنُ أخيه صَلاحُ الدِّينِ هنالِكَ ، فعندَ ذلك أمَر صلاحُ الدينِ بالقبضِ عليه ، ولم يمْكِنْه قتلُه إلَّا بعدَ مُشاورَةِ عمِّه ، وانهزَم أصْحابُه فأعْلَمُوا العاضدَ لعلَّه يبعثُ يُنقذُه ، فأرسَل إلى الأميرِ أسَدِ الدينِ يطلبُ منه رأسَه ، فقُتِلَ شاورٌ وأرْسَلُوا رأسَه إلى العاضدِ فى سابعَ عشَرَ ربيعِ الآخرِ ، ففرِح المسلمون بذلك ، وأمَر الأميرُ أَسدُ الدينِ بنَهْبِ دارِ شاورٍ ، فنُهبتْ ، ودخَل أسدُ الدينِ شيركُوه على العاضِدِ فاستَوْزَره وخلَع عليه خِلْعَةً عظيمةً ، ولَقَّبَه الملكَ المنصورَ ، فسكَنَ دارَ شاورٍ وعظُمَ شأنُه هُنالكَ . (٢قال ابنُ أبى طيٍّ٢) : ولما بلغَ نورَ الدينِ خبَرُ فتحِ مِصْرَ فرِح بذلك وقصدَتْه الشعراءُ بالتهنئةِ ، غيرَ أنَّه لم ينْشَرِحْ لكونِ أسَدِ الدينِ صارَ وزيرًا ، وكذلك لمَّا انْتَهَتِ الوِزارةُ إلى ابنِ أخيه صلاحِ الدينِ وشرَع

(١ - ١) فى خ ، م : « قل اللهم مالك الملك » الآية .

(٢ - ٢) سقط من خ ، م ، والخبر فى الروضتين ١/ ٤٣٧ .

فى إعْمالِ الحِيلةِ فى إزالَةِ ذلك فلم يتمَكَّنْ ، ولا قَدَرَ عليه ، ولا سِيَّما حينَ بلغَه أنَّ صلاحَ الدينِ استحوَذ على خزائنِ العاضِدِ كما سيأْتى بيانُه ، واللَّهُ أعلمُ .

وأرسَل أسدُ الدينِ إلى القصرِ يطلبُ كاتبًا ، فأرسَلُوا إليه بالقاضى الفاضِلِ ، رجاءَ أن (١) يقبَلَ منه إذا قال ، وأفاض (١) فيما كانُوا يُؤَمِّلُونَ ، وبعَث العُمَّالَ فى الأعْمالِ وأقطَعَ الإقْطاعاتِ ، ووَلَّى فى الوِلاياتِ ، وفرِح بنفسِه أيَّامًا معْدُوداتٍ ، فأدْرَكه حِمَامُه فى يومِ السبتِ الثانى والعِشرين مِن جُمادَى الآخرةِ [٢] من هذه السنَةِ ، فكانت ولايتُه شَهْرَيْنِ وخمسةَ أيامٍ ، فلمَّا تُوفِّى أسدُ الدينِ شيرَكُوه ، رحِمهُ اللَّهُ ، أشار الأمراءُ الشامِيُّونَ على العاضدِ بتوليةِ صلاحِ الدينِ يُوسُفَ الوِزارةَ بعد عمِّه ، فولَّاه الوِزارةَ وخلَعَ عليه خِلْعةً سَنِيَّةً ، ولقَّبه الملكَ الناصِرَ .

صِفَةُ الخِلْعَةِ التى لَبِسَها صَلاحُ الدينِ يومَئذٍ فيما ذكَره الشيخُ شهابُ الدِّينِ فى « الروْضَتيْنِ » [٣] :

عِمامَةٌ بَيْضاءُ تِنِّيسيٌّ [٤] بطَرَفِ ذهَبٍ ، وثَوْبٌ دَبِيقيٌّ [٥] بطِرازِ ذَهَبٍ ، وجُبَّةٌ بطِرازِ ذهَبٍ ، وطَيْلَسانٌ بطِرازٍ مُذهَّبَةٍ ، وعِقْدُ جَوْهَرٍ بعشَرَةِ آلافِ دينارٍ ، وسَيْفٌ محَلًّى بخمسةِ آلافِ دينارٍ ، وحِجْرٌ [٦] بثمانيةِ آلافِ دينارٍ ، وعليها طَوْقُ ذهبٍ

(١ - ١) فى الأصل ، ص : « يقتل معه إذا قتل » .

(٢) فى خ : « الأولى » .

(٣) الروضتين ١/ ٤٣٩.

(٤) فى الأصل : « ملس » ، وفى ص : « بيسى » ، وتنيسى : نسبة إلى تنيس ؛ جزيرة فى بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط ، وبها تعمل الثياب الملونة . معجم البلدان ١/ ٨٨٢.

(٥) فى الأصل : « ديسعى » . وفى خ ، م ، ص : « ديقى » ، والمثبت من الروضتين ، والدبيقى نسبة إلى دبيق : بليدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر ينسب إليها الثياب . معجم البلدان ٢/ ٥٤٨.

(٦) فى الأصل ، خ ، ص : « حجرة » ، وفى م : « حجزة » . والمثبت من الروضتين . والحجر : أنثى الخيل ، ولا يقال فيها : حجرة . تاج العروس (ح ج ر) .

وسرفسارُ[1] ذهَبٍ مُجَوْهَرٌ ، وفى رأسِها مائتَا حَبَّةِ جَوْهَرٍ ، وفى قَوائِمِها أرْبَعَةُ عُقودِ جَوْهَرٍ ، وفى رأسِها قصَبَةُ ذهَبٍ ، وفى رأسِها مشدةٌ[2] بَيْضاءُ بأعْلامٍ بيضٍ ، ومع الخِلْعَةِ عدَّةُ بُقَجٍ[3] ، وخيلٌ وأشْياءُ أُخَرُ ، ومنْشُورُ الوزارةِ ملفُوفٌ بثَوْبٍ أطْلَسَ أبيضَ ، وكان ذلك فى يومِ الاثْنَيْنِ الخامسِ والعِشْرينَ مِن جُمادَى الآخرةِ ، مِن هذه السنَةِ ، وكان يومًا مشْهُودًا ، وسارَ الجيشُ بكَمالِه فى خدْمَتِه ، ولم يتخلَّفْ عنه سِوَى عينِ[4] الدولةِ الياروقىِّ ؛ قال[5] : لا أخْدُمُ يُوسُفَ بعدَ نُورِ الدينِ ، ثم سارَ بجَيْشِه إلى الشامِ ، فلامَه نورُ الدينِ على ذلك ، وأقامَ الملكُ صلاحُ الدينِ بمِصْرَ بصِفَةِ نائبٍ للمَلكِ نُورِ الدينِ ، يخطُبُ له على المنابرِ بالديارِ المِصْريَّةِ ، ويكاتِبُه الأميرُ نورُ الدينِ بالأميرِ الأسْفَهْسِلارِ[6] صلاحِ الدينِ ويتَواضَعُ له صلاحُ الدينِ فى الكتُبِ والعلَامَةِ ، لكِنْ قدِ التفَّتْ عليه القلوبُ ، [٢٥٨/٩و] وخضَعَتْ له النفوسُ ، واضْطُهِدَ العاضِد فى أيامِه غايةَ الاضْطِهادِ ، وارْتفَعَ قدرُ صلاحِ الدينِ بينَ العِبادِ بتلك البلادِ ، وزادَ فى إقْطاعَاتِ الذينَ معه فأحَبُّوه واحْترَمُوه وخدَموه ، وكتَبَ إليه نورُ الدينِ يعنِّفُه على قَبُولِ الوزارةِ بدونِ مرْسُومِه ، وأمَرَه أنْ يُقَيِّمَ حِسابَ الديارِ المِصْرِيَّةِ ، فلم يلتفِتْ صلاحُ الدينِ إلى ذلك وجعَل نورُ الدينِ يقولُ فى غُبون ذلك : ملَكَ ابنُ أيُّوبَ . وأرسَلَ إلى الملكِ نورِ الدينِ يطلُبُ منه أهْلَه وإخْوتَه وقرابَته ، فأرْسَلَهم إليه وشرَطَ عليهمُ السَّمْعَ والطاعةَ له ، فاستقرَّ أمْرُه

---

(١) سرفسار : كلمة فارسية معناها : لجام الرأس « قاموس الفارسية » : ٣٥٨ .

(٢) فى الأصل ، خ ، ص : « شدة » ، وفى م : « تندة » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٣) البقج ، جمع بقجة : فارسية معربة تعنى صرة الملابس .

(٤) فى الأصل ، خ ، ص : « عز » . وانظر الكامل ١١/ ٣٤٤.

(٥) الكامل ١١/ ٣٤٤.

(٦) الأسفهسلار : لقب من ألقاب أرباب السيوف ، وكان فى الدولة الفاطمية لقبًا على صاحب وظيفة تلى صاحب الباب ، وهو مركب من لفظين ؛ فارسى ، وتركى ، فأسْفَه بالفارسية ، بمعنى المقدَّم ، وسِلار بالتركية بمعنى العسكر ، على أن الأمراء أعرضوا عن هذا اللقب عندما وجدوا العامة يطلقونه على بعض من يقف بباب السلطان من الأعوان . صبح الأعشى ٦/ ٧، ٨.

هنالِك وحفِظ دولَتَه بذلك ، وكَمَلَ أمْرُه وتمكَّنَ سلْطانُه وقوِيَتْ أرْكانُه .

وقد قالَ بعضُ الشعراءِ فى قَتْلِ صلاحِ الدينِ لشاور الوزيرِ[1] :

هنيئًا لِمِصْرَ حَوزَ يوسُفَ مُلكَها بأمْرٍ مِن الرحْمنِ كان موْقُوتا

وما كانَ فيها قتْلُ يُوسُفَ شاورًا يماثِلُ إلّا قتْلَ داودَ جَالُوتَا

قال أبو شامةَ[2] : وقتَل العاضِدُ فى هذه السنَةِ أوْلادَ شاور ، وهم : شُجاعٌ المَلَقَّبُ بالكاملِ ، والطارِى الملقَّبُ بالمُعَظَّمِ ، وأخُوهما الآخرُ الملقَّبُ بفارِسِ المسلميـنَ ، وطِيفَ برءُوسِهم ببلادِ مِصْرَ .

ذِكْرُ قَتْلِ الطَّواشِىّ مُؤْتَمَنِ الخلافةِ ، وأصْحابِه على يَدِ الملكِ صلاحِ الدينِ

وذلك أنَّه كتَبَ مِن دارِ الخلافةِ بمصْرَ إلى الفرنجِ ليَقْدَموا إلى الديارِ المصْرِيَّةِ ليُخْرِجُوا منها الجيوشَ الإسْلاميَّةَ الشامِيَّةَ والعساكرَ النُّورِيَّةَ ، وكان الذى نفَّذَ الكتابَ إليهمُ الخادمُ مؤتَمَنُ الخلافةِ ، مُقدَّمُ العساكرِ بالقَصْرِ ، وكان حبَشِيًّا ، وكان قد أرسَلَه مع إنْسانٍ أمِنَ إليه ، فصادَفَه فى بعْضِ الطريقِ مَن أنْكَرَ حالَه ، فحمَله إلى الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ ، فقَرَّرَه ، فأخرَجَ الكتابَ ، ففَهِمَ صلاحُ الدينِ الحالَ فكتَمه ، واسْتَشْعَرَ مؤتَمَنُ الخلافةِ الخادمُ أنَّ الملكَ صلاحَ الدينِ قدِ اطَّلَعَ على الأمرِ ، فلازَمَ القَصْرَ مدةً طويلةً خَوْفًا على نفْسِه ، ثم عَنَّ له فى بعْضِ الأيامِ أنْ خرَج إلى الصيدِ ، فأرْسَل الملكُ صلاحُ الدينِ إليه مَن قبَضَ عليه وقتَله وحمَل رأسَه إليه ، ثم

---

(١) البيتان فى كتاب الروضتين ١/ ٤٥٥.

(٢) المصدر السابق.

عزَل جميعَ الخُدَّامِ الذين يَلُونَ خِدْمَةَ القَصْرِ ، واسْتَنابَ على القَصْرِ عِوَضَهم بهاءَ الدينِ قَراقُوشَ ، وأمَرَه أنْ يُطالعَه بجميعِ الأمورِ ، صِغارِها وكبارِها .

وَقْعَةُ السُّودَانِ[1]

وذلكَ أنَّه لمَّا قُتِلَ الطَّواشِيُّ[2] ، مؤتَمَنُ الخلافةِ الخادِمُ الحبَشيُّ ، وعُزِلَ بقِيَّةُ الخُدَّامِ ، غضِبُوا لذلك واجْتَمعُوا قريبًا مِن خَمْسِينَ ألفًا ، فاقْتَتلُوا هم وجيشُ الملكِ صلاحِ الدينِ بينَ القَصْرَيْنِ ، فقُتِلَ خلقٌ كثيرٌ مِن الفريقَيْنِ ، وكان العاضِدُ ينظُرُ مِن القَصْرِ إلى المعرَكَةِ ، وقد قُذِفَ الجيشُ الشامِيُّ مِن القَصْر بحِجارَةٍ ، وجاءَهم منه سِهامٌ ، فقيل : كان ذلك بأمرِ العاضدِ ، وقيلَ : لم يكُنْ بأمْرِه . ثم إنَّ أخا الناصرِ شمسَ الدولةِ تُورانشاه[3] - وكان حاضِرًا للحَرْبِ قد بعَثَه نورُ الدينِ إلى أخيه ليَشُدَّ أَزْرَه - أمرَ بإحْراقِ مَنْظَرةِ العاضدِ ، ففُتِحَ البابُ ونُودِيَ : إنَّ أميرَ المؤمنينَ يأمُرُكم أن تُخرِجُوا هؤلاءِ السُّودانَ مِن بينِ أظْهُرِكم ، ومِن بلادِكم ، فقَوِيَ الشامِيُّونَ وضَعُفَ جأشُ السُّودانِ جدًّا ، وأرسَلَ الملكُ الناصرُ [٩/٢٥٨ظ] إلى محِلَّتِهم المعرُوفةِ بالمَنْصُورَةِ ، التي فيها دورُهم وأهلُوهم ببابِ زَوِيلَةَ فأحْرقَها ، فولَّوا عندَ ذلك مُدْبِرينَ ، ورَكِبهم السيفُ فقتَلَ منهم خلقًا كثيرًا ، ثم طلَبُوا الأمانَ مِن الملكِ صلاحِ الدينِ ، فأجابَهم إلى ذلك ، وأخْرَجَهم إلى الجِيزةِ ، ثم خرَجَ إليهم شمسُ الدولةِ تُورانشاه أخو الملكِ صلاحِ الدينِ[4] فقتَل أكثَرَهم أيضًا ،

(١) الروضتين ١/ ٤٥١، والكامل ١١/ ٣٤٥.

(٢) الطواشي : جمعه طواشية ؛ وهم الخصيان الذين استخدموا فى الطباق المملوكة ، وفى الحريم السلطانى ، وكانت لهم حرمة وافرة وكلمة نافذة ، ويعد شيخهم من أعيان الناس . المواعظ للمقريزى ٤/ ٢١٩.

(٣) فى خ، م: « نورشاه » . وانظر الكامل ١١/ ٣٤٧، الروضتين ١/ ٤٥٢.

(٤) بعده فى الأصل، ص: « الأكثر » .

ولم يَبْقَ منهم إلَّا القليلُ ، ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ ﴾ [النمل : ٥٢] .

وفيها[(١)] افْتتح الملكُ نورُ الدينِ بنُ محمودِ بنِ زَنكِي قلعةَ جعْبَرٍ ، وانْتزَعَها مِن يَدِ صاحبِها شِهَابِ الدينِ مالكِ[(٢)] بنِ عليٍّ [(٣)]بنِ مالكٍ[(٣)] العُقَيْليِّ ، وكانتْ فى أيْدِيهم مِن أيامِ السلْطانِ مَلِكْشَاه .

وفيها احْترَقَ جامِعُ حَلَبَ فجدَّدَه نورُ الدينِ .

وفيها [(٤)]ماتَ يارُوقُ[(٤)] الذى تُنْسَبُ إليه المَحَلَّةُ بظاهرِ حَلَبَ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

سَعْدُ اللَّهِ بنُ نَصْرِ بنِ سعيدٍ ، الدَّجاجِىُّ ، أبو الحَسَنِ[(٥)] ، الواعِظُ الحَنْبَلىُّ ، وُلِدَ فى سنةِ ثمانينَ وأربعِمائةٍ ، وسمِعَ الحديثَ وتفَقَّهَ ووعَظ ، وكان لطيفَ الوعْظِ ، وقد أثْنَى عليه ابنُ الجَوْزِىِّ فى ذلك[(٦)] ، وذكَر أنَّه سُئِل مرَّةً عن أحاديثِ الصِّفاتِ ، فنَهَى عنِ التعرُّضِ لذلك ، وأنشدَ[(٦)] :

أبى العاتبُ[(٧)] الغَضْبانُ يا نفْسُ أن يرْضَى ... وأنتِ [(٨)]التى صيَّرْتِ طاعَتَه[(٨)] فرْضَا

---

(١) الكامل ١١/ ٣٣٤.

(٢) فى الأصل ، ص : « بلل » . وانظر الكامل ١١/ ٣٣٤.

(٣ - ٣) سقط من : خ ، م ، وفى الأصل ، ص : « بن بلل » . والمثبت من الكامل ١١/ ٣٣٤.

(٤ - ٤) فى الأصل : « باب باروق » . وفى خ ، م ، ص : « مات ماروق » . والمثبت من الروضتين ١/ ٤٥٦.

(٥) المنتظم ١٨/ ١٨٤، والتقييد لابن نقطة ٢٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١٩٠، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٣٠٢، والوافى بالوفيات ١٥/ ١٨٦، وغاية النهاية ١/ ٣٠٣.

(٦) المنتظم ١٨/ ١٨٤.

(٧) فى الأصل ، م ، ص ، ومصدر التخريج : « الغائب » . والمثبت كما فى ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٠٤.

(٨ - ٨) فى الأصل : « الذى صبرت لطاعته » .

فلا تهْجُرِى مَن لا تُطِيقينَ هَجْرَه   وإن هَمَّ بالهِجْرانِ خدَّيْك والأرْضَا

وذكَر ابنُ الجَوْزِىِّ عنه أنَّه قال[1] : خِفْتُ مرَّةً مِن الخليفةِ ، فهتَفَ بى هاتفٌ فى المنامِ وقال : اكتُبْ :

ادْفَعْ بصَبْرِكَ حادِثَ الأيامِ   وترَجَّ لُطْفَ الواحدِ العلَّامِ

لا تَيْأَسَنَّ وإنْ تضايقَ كرْبُها   ورَماك رَيْبُ صُروفِها بسِهَامِ

فلَهُ تعالَى بينَ ذلكَ فَرْجةٌ   تخْفَى على الأبْصارِ[2] والأوْهامِ

كَمْ مَن نجَا مِن بينِ أطْرافِ القَنَا   وفرِيسَةٍ سلِمَتْ مِنَ الضِّرْغَامِ

تُوفِّى فى شَعْبانَ مِن هذه السنةِ عن أرْبَعٍ وثمانيـنَ سنةً ، ودُفِنَ إلى جانبِ رِباطِ الزُّوزنىِّ[3] ، ثم نُقِل إلى مقْبَرَةِ الإمامِ أحمدَ .

شاورُ[4] بنُ مُجيرٍ[4] ، أبو شُجاعٍ السعدِىُّ ، الملَقَّبُ أميرَ الجُيوشِ ، وزيرُ الديارِ المِصْريَّةِ أيامَ العاضِدِ ، وهو الذى انْتَزَعَ الوِزارةَ مِن يَدَىْ رُزِّيكَ ، وهو أوَّلُ مَنِ اسْتَكْتَبَ القاضِىَ الفاضلَ ، اسْتَدْعَى به مِن إسْكَنْدَرِيَّةَ مِن بابِ السِّدْرَةِ[5] ، فحظِىَ عندَه وانْحصرَ منه الكُتَّابُ بالقَصْرِ ، لِمَا رأَوْا مِن فضْلِه وفضِيلَتِه . وقدِ امْتدحَه الشعراءُ ؛ فمنهم عُمارَةُ اليَمنىُّ حيثُ يقول[6] :

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٨٤.

(٢) فى خ ، م : « الأفهام » .

(٣) فى خ ، م : « الزورى » .

(٤ - ٤) فى خ ، م : « مجير الدين » . وانظر ترجمته فى : الروضتين ١/ ١٥٦، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١٩٢، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٨٢.

(٥) فى الأصل ، ص : « السورة » .

(٦) البيتان فى : وفيات الأعيان ٢/ ٤٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١٩٣.

ضجرَ الحديدُ مِنَ الحديدِ وشاورٌ في نَصْرِ دِينِ محمدٍ لم يضْجرِ
حلَفَ الزمانُ ليأْتِيَنَّ بمثْلِه حَنِثَتْ يمينُكَ يا زمانُ فكَفِّرِ

ولم يزَلْ أمرُه قائمًا إلى أنْ ثارَ عليه الأميرُ ضِرْغامُ بنُ سَوَّارٍ، فالْتَجأَ إلى الملكِ نورِ الدينِ فأرسَلَ معه الأميرَ أسَدَ الدينِ شِيرَكُوه فنَصرُوه على عدُوِّه، فنكَثَ عهدَه، فلم يزَلْ أسدُ الدينِ حَنِقًا عليه حتى كان قتلُه في هذه السنَةِ، على يدَى ابنِ أخيه صلاحِ الدينِ يوسفَ، ضرَبَ عنُقَه بينَ يديه الأميرُ جُرْديكُ[1] في السابعَ عشَرَ مِن ربيعٍ الآخرِ، واسْتَوْزَرَ بعدَه أسدَ الدينِ شِيرَكُوه كما ذكَرْنا، فلم تطُلْ مدَّتُه بعدَه إلَّا شهْرينِ[2] وخمسةَ أيامٍ.

قال ابنُ خَلِّكانَ[3]: هو أبو شُجاعٍ شاوِرُ بنُ مُجِيرِ الدينِ بنِ نِزارِ بنِ عشائرَ بنِ شأسِ بنِ مُغيثِ بنِ حَبيبِ بنِ الحارثِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ يخنسَ[5] بنِ أبى ذُؤَيْبٍ عبدِ اللَّهِ؛ وهو والدُ حَليمَةَ السَّعْدِيَّةِ. كذا قال، وفيما قالَ نظَرٌ لقِصَرِ هذا النَّسَبِ بالنسبةِ إلى بُعْدِ المدَّةِ، واللَّهُ أعلمُ.

شِيرِكُوه بنُ شاذِى[6]، أسدُ الدينِ الكُرْدِيُّ الرَّوادِيُّ[7]، وهم أشْرَفُ شُعوبِ

---

(١) فى خ، م: «جردتك».
(٢) فى الأصل، ص: «شهر». وسيأتى قريبًا فى ترجمته.
(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٤٣٩.
(٤) فى الأصل: «شاير».
(٥) فى الأصل: «محسن»، وفى خ، م: «مخيس». وانظر وفيات الأعيان ٢/ ٤٣٩.
(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٤٧٩، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١٩٤، والعبر ٤/ ١٨٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٣٥٢.
(٧) فى الأصل: «الرزارى»، وفى خ، م: «الزرزارى»، وفى ص: «الزورادى». والمثبت من مصادر الترجمة.

الأكْرادِ ، وهو مِن قَرْيَةٍ [٩/٢٥٩و] يقالُ لها : دُوِينُ[1] مِن أعمالِ أَذْرَبِيجَانَ ، خدَمَ هو وأخوه نجمُ الدينِ أيُّوبُ - وكان الأكبرَ - الأميرَ مُجاهِدَ الدينِ بِهْرُوزَ الخادِمَ شِحْنَةَ العراقِ ، فاسْتَنابَ نجْمَ الدينِ أيُّوبَ على قلْعَةِ تَكْرِيتَ ، فاتَّفقَ أنْ دخَلَها الملكُ عمادُ الدينِ زَنْكِي هارِبًا مِن قراجا السَّاقِي ، فأحْسنَا إليه وخدَمَاه ، ثم اتَّفقَ أن قتَلَ[2] رجلًا مِن العامَّةِ فى تأديبٍ ، فأخْرَجَهما بِهْروزُ مِن القلعةِ فصارَا إلى زَنْكِي بحلَبَ ، فأحْسَنَ إليهما ، ثم حَظِيَا عندَ ولَدِه نُورِ الدينِ محمودٍ ، فاسْتَنابَ أيُّوبَ على بَعْلَبَكَّ[3] ، وأقَرَّه ولَدُه نورُ الدينِ ، وصارَ أسدُ الدينِ عندَ نورِ الدينِ أكبرَ أُمَرائِه ، وأخَصَّهم عندَه وكان قد أقْطَعه الرَّحبَةَ وحِمْصَ مع ما لَه عندَه مِن الإقْطاعاتِ ، وذلك لشهامتِه وشجاعتِه وصَرامَتِه وجِهادِه فى أعداءِ اللَّهِ الفِرنْجِ وغيرِهم ، فى أيامٍ معْدُوداتٍ ووَقَعاتٍ مُعْتَبراتٍ ، ولا سِيَّما يومَ فَتْحِ دِمَشْقَ ، وأعجبُ مِن ذلك ما فعَلَه بديارِ مِصْرَ ، بلَّ اللَّهُ بالرحمةِ ثرَاه وجعَلَ الجنةَ مأْوَاه .

كانتْ وفاتُه يومَ السبتِ فجأةً بخانُوقٍ حصَلَ له ، وذلك فى الثانى والعِشْرِينَ مِن جُمادَى الآخرةِ مِن هذه السنَةِ ، رَحِمهُ اللَّهُ . قال أبو شامة[4] : وإليه تُنْسَبُ الخَانِقَاه الأسَدِيَّةُ داخلَ بابِ الجابِيَةِ بدربِ الهاشميِّينَ ، والمدرسةُ الأسَدِيَّةُ بالشرفِ[5] القِبْلِيِّ . ثم آلَ الأمرُ مِن بعدِه إلى ابنِ أخيه صلاحِ الدينِ يُوسُفَ ، ثم اسْتَوْسَقَ له المُلْكُ وأطاعته المَمالكُ هُنالِكَ ، ولِلَّهِ الحمدُ .

---

(١) فى الأصل : « دويب » ، وفى خ ، م : « درين » ، ودوين : بليدة بطرف أذربيجان مما يلى بلاد الكرج . سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٨٨، وانظر معجم البلدان ٢/ ٦٣٣.

(٢) فى الأصل ، ص : « قتلا » . وانظر الكامل ١١/ ٣٤١.

(٣) بعده فى الأصل ، ص : « زنكى » .

(٤) الروضتين ١/ ٤٣٨.

(٥) فى الأصل م ، ص : « بالشرق » .

محمدُ بنُ [١]**عبدِ الباقى بنِ أحمدَ**[١] **بنِ سَلْمانَ**[٢] ، **المعْروفُ بابنِ البَطِّيِّ** ، سمِعَ الحديثَ الكثيرَ ، وأسمَعَ ورُحِلَ إليه ، وقاربَ التسعين ، رحِمه اللَّهُ .

محمدٌ الفارِقِيُّ ، أبو عبدِ اللَّهِ[٣] ، الواعِظُ ، يقالُ : إنَّه كان يحْفَظُ « نَهْجَ البلاغَةِ » ويُغَيِّرُ[٤] ألْفاظَه ، وكان فصِيحًا بليغًا يُكْتَبُ كلامُه ويرْوَى عنه كتابٌ يعرفُ بـ « الحِكَمِ الفارِقِيَّةِ » .

مَعْمَرُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ رَجاءٍ[٥] ، **أبو أحمدَ**[٦] **الأَصْبهانِيُّ** ، أحدُ الحفَّاظِ الوعَّاظِ ، روَى عن أصحابِ أبى نُعَيْمٍ ، وكانتْ له معرفةٌ جيدةٌ بالحديثِ ، تُوفِّى وهو ذاهبٌ إلى الحجِّ بالبادِيَةِ ، رحِمه اللَّهُ .

(١ - ١) فى النسخ : « عبد اللَّه بن عبد الواحد » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ١٨٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٠٥، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٠٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٨٢.

(٢) فى م : « سليمان » .

(٣) المنتظم ١٨/ ١٨٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٠٨، والوافى بالوفيات ٤/ ٤٤، وشذرات الذهب ٤/ ٢١٤.

(٤) فى خ ، م : « يعبر » والمثبت كما فى المصادر .

(٥) فى م : « رجار » وكذا فى الكامل ١١/ ٣٤٩. وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ١٨٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢١٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣١٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٨٢.

(٦) فى الأصل ، خ ، ص : « محمد » .

ثم دخلت سنة خَمْسٍ وسِتيِّنَ وخَمْسِمائَةٍ

فى صفَرٍ منها[1] حاصَرَتِ الفرنْجُ مدينةَ دِمْياطَ مِن بلادِ مِصْرَ خمسينَ يومًا ، بحيثُ ضيَّقُوا على أهلِها ، وقتَلُوا أُمَمًا كثيرةً ؛ جاءُوا إليها مِنَ البَرِّ والبحرِ ؛ رَجَاءَ أنْ يَمْلِكُوا الديارَ المصريَّةَ ، وخَوْفًا مِنَ اسْتِيلاءِ المسلمينَ على القُدْسِ ، فكتَبَ الملكُ صلاحُ الدينِ إلى الملكِ نورِ الدينِ يَسْتَنْجِدُه عليهم ، ويطلُبُ منه أنْ يُرسِلَ إليه بأمْدادٍ مِنَ الجيوشِ ؛ فإنَّه إن خرَجَ مِن مصرَ خلَفَه أهلُها بسوءٍ ، وإن قعَدَ عن الفرنْجِ أخذوا دِمْياطَ وجعَلوها مَعْقِلًا لهم يتَقَوَّونَ بها على أخذِ مِصْرَ ، فأرسَلَ إليه نورُ الدينِ ببُعوثٍ كثيرةٍ ، يتْبَعُ بعضُها بعْضًا . ثم إنَّ نورَ الدينِ اغْتَنَم غَيْبَةَ الفرنْجِ عن بلادِهم فصمَدَ إليهم فى جُيوشٍ كثيرةٍ ، فجاسَ خِلالَ ديارِهم ، وغنِمَ مِن أمْوالِهم ، وقتَلَ مِن رجالِهم ، وسَبَى مِن نسائِهم وأطفالِهم شيئًا كثيرًا . وكان مِن جملةِ مَن أَرْسَلَ إلى صلاحِ الدينِ أبوه الأميرُ نَجْمُ الدِّينِ أيُّوبُ فى جيشٍ مِن تلك الجيوشِ ، ومعه [٩/٢٥٩ظ] بَقِيَّةُ أولادِه ، فتلَقَّاه الجيشُ مِن مِصرَ فى رجبٍ ، وخرَجَ العاضِدُ لتلَقِّيه إكْرامًا لولَدِه صلاحِ الدينِ ، وأقْطعَه الإسْكَنْدَريَّةَ ودِمْيَاطَ والبُحَيْرَةَ ، وكذلك بقيَّةَ أولادِه ، وقد أمَدَّ العاضدُ صلاحَ الدينِ فى هذه الكائنةِ بألفِ ألفِ دينارٍ حتى انْفصَلتِ الفرنْجُ عن دِمْياطَ .

وأجْلَتِ الفرنْجُ عن دِمْياطَ ؛ لأنَّه بلَغَهم أنَّ الملكَ نورَ الدينِ قد غزَا بلادَهم ، وقتَلَ خلقًا مِن رجالِهم ، وسبَى كثيرًا مِن نسائِهم وأطفالِهم ، وغنِم مالًا جزيلًا مِن

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٨٧، والكامل ١١/ ٣٥١.

أموالِهم ، فجزَاه اللّهُ عنِ المسلمينَ خَيْرًا . ثم سارَ نورُ الدينِ فى جُمادَى الآخرةِ إلى الكَرَكِ[1] ، فحاصَرَها - وكانتْ مِن أمْنَعِ البلادِ - وكادَ أنْ يفْتَحَها ، ولكِنْ بَلَغَه أن مُقَدَّمَيْنِ مِن الفرَنجِ قد أقْبَلَا نحوَ دِمَشْقَ ، فخافَ أنْ يلْتَفَّ عليهما الفرنجُ ، فترَكَ الحصارَ وأقبلَ نحوَ دِمَشْقَ فحصَّنَها ، ولمَّا انجلَتِ الفرنجُ عن دِمْياطَ فرِحَ نورُ الدينِ والمسلمون فرحًا شديدًا ، وأنشَدَ الشعراءُ كلٌّ منهم قصِيدًا ، وقد كان الملكُ نورُ الدينِ شديدَ الاهْتِمامِ ، قويَّ الاغْتِمامِ بذلك ، حتى إنّه قرَأ عليه بعضُ طلَبَةِ الحديثِ جُزْءًا فيه حديثٌ مُسَلْسَلٌ بالتَّبَسُّمِ ، فطلَبَ منه أنْ يتبسَّمَ ؛ ليتَّصِلَ التسلسلُ ، فامْتَنَع مِن ذلك ، وقال[2] : إنِّى لأَسْتَحيى مِنَ اللّهِ أنْ يرانى مُتَبَسِّمًا والمسلمونَ تحاصِرُهمُ الفرنجُ بثَغْرِ دِمْياطَ .

وقد ذكَرَ الشيخُ أبو شامةَ[2] أنَّ إمامَ مسجدِ أبى الدَّرْدَاءِ بالقلعةِ المَنْصُورَةِ رأَى فى تلكَ الليلةِ التى أجْلَى فيها الفرنجُ عن دِمْياطَ رسولَ اللّهِ ﷺ وهو يقولُ له : سلِّمْ على نُورِ الدينِ ، وبشِّرْه بأنَّ الفرنجَ قد رحَلُوا عن دِمْياطَ . فقلتُ : يا رسولَ اللّهِ ، بأىِّ علامَةٍ ؟ فقالَ : بعلَامَةِ ما سجَدَ يومَ تَلِّ حارِمٍ وقال فى سجُودِه : اللّهُمَّ انْصُرْ دِينَكَ ، (٣ولا تَنْصُرْ محمودًا ، ومَنْ هو محمودٌ الكَلْبُ حتى يُنْصرَ٣) ؟ فلمَّا صلَّى نورُ الدينِ عندَه الصبحَ بشَّرَه بذلك وأَعْلَمه بالعلَامَةِ ، وكشَفوا تلك الليلةَ فإذا هى هى .

قال العمادُ الكاتِبُ[4] : وفى هذه السنَةِ عمَّرَ الملكُ نورُ الدينِ جامِعَ دارَيَّا ،

---

(١) فى م : « الكرخ » . والكرك : قلعة حصينة جدًّا فى طرف الشام من نواحى البلقاء . معجم البلدان ٤/ ٣٦٣.
(٢) الروضتين ١/ ٤٥٩.
(٣ - ٣) فى النسخ : « ومن هو محمود الكلب » . والمثبت من الروضتين .
(٤) الروضتين ١/ ٤٦٣.

وعمَّرَ مَشْهَدَ الشيخِ أبى سُلَيمانَ الدَّارَانِيِّ بها ، وشَتَّى بدِمَشْق .

وفيها حاصَر نورُ الدينِ الكَرَكَ أرْبَعَةَ أيامٍ ، وفارَقه مِن هناك نَجمُ الدينِ أيُّوبُ والدُ صلاحِ الدينِ مُتوجِّهًا إلى ابْنِه بمِصْرَ ، وقد وصَّاه الملكُ نورُ الدينِ أنْ يأمُرَ ابنَه صلاحَ الدينِ أنْ يخْطُبَ بمِصرَ للخليفةِ المُسْتَنْجِدِ باللَّهِ العباسِيِّ ، وذلك أنَّ الخليفةَ بعَثَ يُعاتِبُه فى ذلك .

وفيها قدِمَ الفرنْجُ مِن السواحِلِ ؛ ليمنَعُوا الكَرَكَ مع قَرِيبِ[1] بنِ الرقيقِ وابنِ هَنْفَرى[2] ، وكانَا أشجعَ فُرْسَانِ الفِرنجِ ، فقصَدَهما نورُ الدينِ ليلقَاهما ، فحادَا عن طريقِه .

وفيها كانتْ زَلْزَلَةٌ عظيمةٌ بالشامِ والجزيرةِ وعمَّتْ أكثرَ الأرضِ ، فتهَدَّمَتْ أسْوارٌ كثيرةٌ بالشامِ ، وسقَطَتْ دورٌ كثيرةٌ على أهْلِها ، ولا سِيَّما بدِمَشْقَ وحِمْصَ وحَمَاةَ وحَلَبَ وبَعْلَبَكَّ ؛ سقَطتْ أسْوارُها وأكثرُ قلْعَتِها ، فجدَّدَ الملكُ نورُ الدينِ عِمارةَ أكثرِ ما سقَط بهذه الزَّلزلةِ .

وفيها تُوفِّى :

الملِكُ قُطْبُ الدينِ مَوْدُودُ بنُ زَنْكِى[3] ، أخو نُورِ الدينِ محمودٍ صاحِبِ المَوْصِلِ ، وله مِن العمرِ أرْبَعُونَ سنةً ، ومدَّةُ مُلكِه منها إحْدَى وعِشْرونَ سنةً ، وكان مِن خيارِ الملوكِ ، مُحبَّبًا إلى الرعِيَّةِ ، عَطُوفًا عليهم ، [٢٦٠/٩و] مُحْسِنًا

---

(١) فى الأصل : « بيت » ، وفى خ ، م : « ثبيب » ، وفى ص : « ملتب » . والمثبت من الكامل ١١/ ٣٥٣.

(٢) فى الأصل ، ص : « الليقرى » ، وفى خ ، م : « القنقرى » . والمثبت من الكامل ١١/ ٣٥٣.

(٣) الكامل ١١/ ٣٥٥، والروضتين ١/ ٤٧٢، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٠٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٣٩.

إليهم ، حسَنَ الشكلِ . وتملَّكَ مِن بعدِه ولَدُه سيفُ الدينِ غازِى مِن السِّتِّ خاتُونَ بنتِ تَمُرْتاشَ بنِ إيلغازى بنِ أُرْتُقَ أصْحابِ مارِدِينَ ، وكان مُدَبِّرَ مملَكتِه والمُتَحَكِّمَ فيها فَخْرُ الدينِ عبدُ المسيحِ ، وكان ظالِمًا غاشِمًا .

وفيها كانتْ حروبٌ كثيرةٌ بينَ ملُوك الغربِ بجزيرةِ الأنْدَلُسِ ، وكذلك كانتْ حروبٌ كثيرةٌ بين ملُوكِ الشرقِ أيضًا .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ ، والتى قبلَها الأميرُ أَرْغَشُ الكبيرُ[1] .

(١) بعده فى خ ، م : « ولم أر أحدًا من أكابر الأعيان توفى فيها » .

ثم دَخلتْ سنةُ سِتٍّ وسِتّين وخمسِمائةٍ

فيها[1] كانت وفاةُ المُسْتَنْجِدِ[2] وخِلافَةُ ابنِه المُسْتَضِيءِ ، وذلك أنَّ الخَلِيفةَ المستنجدَ كان قد مرِض فى أوَّلِ هذه السنَةِ ، ثم عُوفِيَ فيما يبدو للناسِ ، فعُمِلت ضِيافةٌ عظيمةٌ بسببَبِ ذلك ، وفرِح الناسُ بذلك ، ثم أدخَله الحكيمُ إلى الحمَّامِ وعندَه ضعْفٌ شديدٌ فماتَ فى الحمَّامِ ، رحِمه اللَّهُ . ويقال[3] : إنَّ ذلك كان بإشارةِ بعضِ الدولةِ على الطبيبِ ؛ اسْتِعجالًا لموتِه ، وكانت وفاتُه يومَ السبتِ بعدَ الظهرِ ثامنَ ربيعِ الآخرِ عن ثَمانٍ وأربعين سنةً ، وكانت مدَّةُ خلافتِه إحدَى عشْرَةَ سنةً وشهْرًا ، وكان مِن خيارِ الخلفاءِ وأعْدَلِهم وأرفقِهم بالرَّعايا ، وضَع عنهم المُكُوسَ والضرائبَ ، ولم يترُكْ بالعراقِ مَكْسًا ، وقد شفَع بعضُ أصحابِه فى رجلٍ شِرِّيرٍ ، وبذَل فيه عشَرَةَ آلافِ دينارٍ ، فقال له الخليفةُ[4] : أنا أُعطِيكَ عشَرَةَ آلافِ دِينارٍ وائْتِنِى بمِثْلِه ؛ لأُرِيحَ المسلمينَ مِن شرِّه .

وكان المستنجدُ أسْمَرَ ، طوِيلَ اللحْيةِ ، وهو الثانى والثلاثونَ مِنَ العباسِيِّينَ ، وذلك فى الجُمَّلِ لامٌ باءٌ ، ولهذا قال فيه بعضُ الأدباءِ[5] :

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٩٠، والكامل ١١/ ٣٦٠.

(٢) الإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٢٦، والمنتظم ١٨/ ١٩٥، والكامل ١١/ ٣٦٠، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٨٤، والروضتين ١/ ٤٨٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٥٥.

(٣) الكامل ١١/ ٣٦٠، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٨٥.

(٤) الكامل ١١/ ٣٦٢، ومرآة الزمان ٨/ ٢٨٤.

(٥) الروضتين ١/ ٤٨٤.

أَصْبَحْتَ لُبَّ بنى العباس كُلِّهِمُ إنْ عُدِّدتْ بحِسَابِ الجُمَّلِ[1] الخُـلَفا

وكان أمَّارًا بالمعروفِ ، نَهَّاءً عنِ المنكرِ ، رحِمه اللَّهُ ، وقد رأَى[2] فى منامِه رسولَ اللَّهِ ﷺ غيرَ مرّةٍ ، فكانت آخِرُهُنّ قبلَ أن يلِىَ بأربعةِ أيّامٍ وهو يقولُ له : « قُلِ : اللَّهُمَّ اهْدِنى فِيمَنْ هدَيْتَ ، وعافِنِى فِيمَنْ عافَيْتَ »[3] . دُعاءَ القُنوتِ بتَمامِه .

وصُلِّى عليه يومَ الأحدِ قبلَ الظهرِ ، ودُفِن بدارِ الخلافةِ ، ثم نقِل إلى التُّرَبِ مِن الرُّصافَةِ .

خِلافَةُ المُسْتَضِىءِ

وهو أبو محمدٍ الحسَنُ بنُ يُوسُفَ المُسْتَنْجِدِ بنِ المُقْتَفِى ، وأمُّه أرْمَنِيَّةٌ تُدْعَى غَضَّةَ ، وكان مولدُه فى شعبانَ سنةَ سِتٍّ وثلاثيـنَ وخَمْسِمائةٍ . بُويعَ بالخلافَةِ يومَ ماتَ أبوه وحُبِس ، بُكْرَةَ الأحَدِ تاسعِ ربيعٍ الآخرِ ، وبايعَه الناسُ ولم يَلِ الخلافَةَ أحدٌ اسمُه الحسَنُ بعدَ الحسَنِ بنِ علىٍّ غيرُ هذا ، ووافقَه فى الكُنْيَةِ أيضًا . وخلَع يومَئذٍ على الناسِ أكثرَ مِن ألفِ خلْعةٍ ، وكان يومًا مشْهُودًا ، وولّى قضاءَ قُضاةِ بغدادَ لرَوْحِ ابنِ الحَدِيثىِّ يومَ الجُمعةِ[4] رابعَ عشرَ[4] ربيعِ الآخرِ ، وخلَع على الوزيرِ خِلعةً عظيمةً وهو الأستاذُ عَضُدُ الدينِ . وضُرِبَتْ على بابِه نوبةٌ فى ثلاثَةِ أوْقاتٍ ؛ الفَجْرِ والمغربِ والعشاءِ ، وأمَّرَ سبْعَةَ عشرَ أميرًا مِن المماليكِ ، وأذِنَ للوعَّاظِ

---

(١) حساب الجمل : ضرب من الحساب يُجعل فيه لكل حرف من الحروف الأبجدية عدد من الواحد إلى الألف . انظر الوسيط (أبجد) ، (ج م ل) .

(٢) المنتظم ١٨/ ١٣٣.

(٣) جزء من حديث الحسن بن على رضى اللَّه عنه ، أخرجه أبو داود (٤٦٤) ، والترمذى (٤٦٤) ، والنسائى (١٧٤٤ ، ١٧٤٥) ، وابن ماجه (١١٧٨) ، وأحمد (١٧١٨) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٢٦٣) .

(٤ - ٤) فى الأصل ، خ ، م : « حادى وعشرين » ، وفى ص : « حادى عشر » . والمثبت من المنتظم ١٨/ ١٩١.

فتكلَّموا بعدَما كانوا قد مُنِعوا مدةً طويلةً ، ثم كَثُرَ احْتِجابُه بعدَ ذلك . ومِمّا نظَمه العِمادُ الكاتبُ[1] [٩/٢٦٠ظ] حينَ جاءتهمُ البِشَارةُ بخلافةِ المستضيءِ وهم بأرضِ المَوصلِ :

قد أضاءَ الزمانُ بالمستضيِّ وارِثِ البُرْدِ وابنِ عمِّ النبيِّ

جاءَ بالحقِ والشريعَةِ والعَدْ لِ فيا مَرْحَبًا بهذا المجيِّ

فهنِيئًا لأهلِ بَغْدادَ فازُوا بعدَ بُؤْسٍ بكلِّ عيشٍ هَنيِّ

ومُضِيٌّ إنْ كانَ فى الزمنِ المظْـ ـلمِ فالعَوْدُ فى الزمانِ المُضِيِّ

وفيها[2] سار الملكُ نورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى إلى الرَّقَّةِ فأخَذها ، وكذلك نَصِيبِين والخابورِ وسِنْجارَ ، وسلَّمها إلى زوْجِ ابنَتِه ابنِ أخِيه عمادِ الدينِ زَنْكِى بنِ مَوْدُودٍ ، ثم سار إلى المَوْصلِ فأقام بها أربعةً وعشرِينَ يومًا ، وأقرَّها على ابنِ أخيه سَيْفِ الدينِ غازِى بنِ قُطْبِ الدينِ مَوْدُودٍ ، مع الجزيرةِ ، وزوّجه ابْنتَه الأُخرى ،وأمَرَ بعمارةِ جامعِها وتوْسِعتِه ، ووقَف على تأسيسِه بنفْسِه ، وجعَل له خطِيبًا ودرْسًا للفِقهِ ، وولَّى التدريسَ للفقيهِ أبى بَكْرٍ النَّوْقانيِّ ، تلميذِ محمدِ بنِ يحيى تلميذِ الغزَّاليِّ ، وكتَب له منشُورًا بذلك ، ووقَف على الجامعِ قَرْيةً مِن قُرَى المَوْصِلِ ، وذلك كلُّه بإشارةِ الشيخِ الصالحِ العابدِ عمرَ المَلَّاءِ[3] ، وقد كانت له زاوِيةٌ يُقْصَدُ فيها ، وله فى كلِّ سنَةٍ دعوةٌ فى شهرِ المَوْلدِ ، يحضُرُ عندَه المُلوكُ والأمراءُ والعلماءُ والوزراءُ ، ويحتَفلُ بذلك ، وقد كان الملكُ نورُ الدينِ صاحِبَه ، وكان يسْتَشِيرُه فى أمورِه ، وما يعْتَمِدُه فى المُهِمَّاتِ وهو الذى أشار عليه فى مدةِ

---

(١) الروضتين ١/ ٤٨٥.

(٢) الروضتين ١/ ٤٧٦.

(٣) سمى بذلك ؛ لأنه كان يملأ تنانير الجص بأجرة يتقوّت بها. الروضتين ١/ ٤٨٠.

مُقامِه بالمَوْصِلِ بجميعِ ما فعَله مِن الخيراتِ ، فلهذا حصَل بقُدومِه كلُّ مَسرَّةٍ ، واندفَعت عنهمُ المَصائبُ ، وأسقَط عنهمُ المُكُوسَ والضَّرائبَ ، وأخرَج مِن بينِ أهلِهَا الظالِمَ الغاشِمَ عبدَ المسيحِ ، وسمَّاه عبدَ اللَّهِ ، وأخَذه معه إلى دِمَشْقَ ، فأقْطَعه إقطاعًا حسَنًا ، فجزاه اللَّهُ خيرًا .

وقد كان عبدُ المسيحِ هذا نصْرانِيًا ، فأظهَر الإسلامَ ، وكان يقالُ[1] : إنَّ له كنيسةً فى جوفِ دارِه . وكان سيِّئَ السيرةِ فى حقِّ العلماءِ وخاصَّةِ المسلمين ، ولمَّا دخَل نورُ الدينِ المَوصِلَ كان الذى اسْتأمَن له الشيخُ عمرُ المَلَّاءُ[2] ، وحينَ دخَل نُورُ الدينِ على المَوْصِلِ خرَج إليه ابنُ أخيه ، فوقَف بينَ يديْه فأكرَمه وأحسَن إليه ، وألْبَسه خِلْعَةً جاءَتْه مِن الخليفةِ ، فدخَل بها إلى البلدِ فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ ، ولم يَدْخُلْ نورُ الدينِ الموصِلَ حتى قوِىَ الشتاءُ ، فأقَام بها ، كما ذكَرْنا ، أربعةً وعشرينَ يوْمًا ، فلمّا كانت آخرُ ليلةٍ أقَام بها رأى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المَنامِ يقولُ له[2] : « طابَتْ لكَ بلدُكَ وترَكْتَ الجهادَ وقتالَ أعْداءِ اللَّهِ ! » . فنهَض مِن فَوْرِه إلى السَّفرِ ، وما أصبح إلّا وهو سائرٌ إلى الشامِ ، واسْتَقْضَى الشيخَ شرَفَ الدينِ بنَ أبى عَصْرُونَ ، وكان معه على سِنْجَارَ ونصِيبِينَ والخابورِ ، فاسْتَناب بها ابنُ أبى عَصْرُونَ نُوَّابًا وأصْحابًا .

وفيها عزَل الملكُ صلاحُ الدين يوسفُ قضاةَ مِصْرَ ؛ لأنَّهم كانوا شِيعةً ، ووَلَّى قضاءَ القضاةِ بها لصَدْرِ الدينِ عبدِ الملكِ بنِ دِرْباسٍ المارانىِّ[3] الشافعِىِّ ، واستناب

---

(١) الروضتين ١/ ٤٨١.

(٢) الروضتين ١/ ٤٨٣.

(٣) فى الأصل ، ص : « المازنى » ، وفى خ ، م : « الماردانى » . والمثبت من سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٧٥. والمارانى : بفتح الميم ، وبعد الألف راء مفتوحة ، وبعد الألف الثانية نون ، هذه نسبة إلى بنى ماران بالمروج تحت الموصل . وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٣.

فى سائرِ الأعمالِ الشافعيَّةَ ، وبنَى مدرسةً للشافِعيَّةِ ، وأخرَى للمالِكيَّةِ . واشْترى ابنُ أخيه تَقِيُّ الدينِ عمرُ بنُ شَاهِنْشَاه دارًا كانت تُعرفُ بمنازِلِ العِزِّ ، وجعَلها مدرسةً [٩/ ٢٦١و] للشافِعيَّةِ ، وأوقَف عليها الرَّوْضَةَ وغيرَها .

وعمَّرَ الملكُ صلاحُ الدينِ أسْوارَ البلَدِ ، وكذلك أسْوارَ إسْكَنْدرِيَّةَ ، وأحْسَن إلى الرَّعايا إحسانًا كثيرًا . ورَكِب فأغار على بلادِ الفرنْجِ بنَواحِي عَسْقلانَ وغَزَّةَ ، وخرَّب قلعةً كانتْ لهم على أيْلَةَ ، وقتلَ خلقًا كثيرًا مِن مُقاتِلَتِهم . وتلَقَّى أهلَه وهم وارِدُون مِن الشامِ ، واجتَمع شملُه بهم بعدَ فُرْقةٍ طويلةٍ . وفيها قطَع صلاحُ الدينِ الأذانَ بـ« حيَّ على خيْرِ العمَلِ » مِن ديارِ مصرَ كلِّها ، وشرَع فى تمهيدِ الخُطْبةِ لبنى العبَّاسِ على المنَابرِ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

طاهِرُ بنُ محمدِ بنِ طاهِرٍ ، أبو زُرْعةَ المقْدِسِيُّ الأصلِ ، الرَّازِيُّ المولدِ ، الهَمذَانِيُّ الدارِ[1] ، وُلد سنةَ إحدى وثمانين وأرْبعِمائةٍ ، وأسْمعَه والدُه الحافظُ محمدُ بنُ طاهِرٍ الكَبِيرُ ، ومِمَّا كان يرْوِيه « مُسْندُ الشافِعيِّ » ، وكانت وفاتُه بهَمَذَانَ يومَ الأربعاءِ ، سابعَ ربيعٍ الآخرِ ، وقد قارب التسْعِينَ .

يُوسُفُ القاضى[2] ، **أبو الحجَّاجِ بنُ الخَلَّالِ** ، صاحِبُ دِيوانِ الإنشاءِ بالديارِ المصريَّةِ ، وهو شيخُ القاضى الفاضِلِ فى هذا الفَنِّ ، اشتغل عليه فيه ، وبرَع حتى قُدِّرَ أنَّه صار مكانَه حين ضعُف الشيخُ عنِ القيامِ بأعباءِ الوظيفةِ لكِبَرِه ، فكان

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٤٦، والوافى بالوفيات ١٦/ ٤٠٦، ومرآة الجنان ٣/ ٣٧٨، وشذرات الذهب ٤/ ٢١٧.

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ٢٣٥، والكامل ١١/ ٣٦٦، ووفيات الأعيان ٧/ ٢١٩، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٦١.

القاضى الفاضلُ يقومُ به وبأهْلِه حتى مات ، ثم كان كثيرَ الإحْسانِ إلى أهْلِه ، رحِمَهُمُ اللَّهُ .

يُوسُفُ الخليفةُ المُسْتَنْجِدُ باللَّهِ بنُ المُقْتَفِى بنِ المُسْتَظْهِرِ ، تقدَّم ذكرُ وفاتِه وترْجمتِه فى الحوادثِ ، وقد تُوفِّى بعدَه عمُّه أبو نَصْرِ بنُ المُسْتَظْهِرِ بأشهُرٍ ، ولم يبقَ بعدَه أحدٌ مِن ولدِ المستظهرِ ، وكانتْ وفاتُه يومَ الثلاثاءِ الثامِنَ والعِشْرِينَ مِن ذى القَعْدَةِ .

ثم دخلت سنة سبعٍ وستينٍّ وخمسِمائةٍ

فيها[(١)] كانت وَفاةُ العاضدِ . فى أوَّلِ جُمعةٍ منها أمَر الملكُ صلاحُ الدينِ بإقامةِ الخُطْبةِ لبنى العبَّاسِ بمِصرَ ، [(٢)]وفى الجُمُعةِ الثانيةِ بالقاهرةِ[(٢)] ، وكان ذلك يوْمًا مشهُودًا ، ولمَّا انتهَى الخبرُ إلى الملكِ نُورِ الدينِ بالشامِ أرسَل إلى الخليفةِ يعْلِمُه بذلك مع ابنِ أبى عَصْرُونَ وهو شهابُ الدينِ أبو المعالى المُطَهِّرُ[(٣)] ، فزُيِّنَتْ بَغْدادُ ، وغُلِّقتِ الأسواقُ ، وعُمِلتِ القِبابُ ، وفرِح المسلمون فرحًا شديدًا ، وكانت الخُطْبةُ قد قُطِعتْ مِن ديارِ مِصرَ سنةَ تِسعٍ وخمسينَ وثلاثِمائةٍ فى خلافةِ المُطِيعِ العباسِىِّ ، حين تغلَّب الفاطمِيُّون عليها أيامَ المُعِزِّ الفاطِمىِّ ، بانى القاهرةِ ، إلى هذا الأوانِ ، وذلك مائتَا سنةٍ وثمانى سِنين . قال ابنُ الجوزىِّ[(٤)] : وقد أَلَّفْتُ فى ذلك كتابًا سمَّيْتُه : « النصرَ على مِصرَ » .

موْتُ العاضدِ آخرِ خُلَفاءِ العُبَيْدِيِّين

والعاضِدُ فى اللغةِ القاطِعُ : « لَا يُعْضَدُ شَجَرُها »[(٥)] فبه قُطِعَتْ دوْلَتُهم ،

---

(١) المنتظم ٨/ ١٩٦، والكامل ١١/ ٣٦٨.

(٢ - ٢) فى خ ، م : « وأعمالها فى الجمعة الثانية » .

(٣) سقط من : خ ، م ، وفى الأصل ، ص : « المظفر » . والمثبت من تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٦. وانظر الروضتين ١/ ٥٠٢.

(٤) المنتظم ١٨/ ١٩٦.

(٥) جزء من حديث فى حرمة مكة تقدم فى ٦/ ٥٧٩.

واسمُه عبدُ اللَّهِ ، ويُكَنَّى بأبى محمدٍ بنُ يُوسُفَ الحافظِ (١) بنِ محمدِ بنِ المُسْتنصرِ ابنِ الظاهرِ بنِ (١) الحاكمِ بنِ العزيزِ بنِ المُعِزِّ بنِ المَنْصُورِ (٢) بنِ القائمِ (٢) بنِ المَهْدِىِّ أوَّلِ مُلوكِهم ، كان مولدُ العاضدِ فى سنَةِ سِتٍّ وأربعِين ، فعاش إحْدَى وعِشرِينَ سنةً ، وكانتْ سيرَتُه مذْمُومةً ، وكان شِيعِيًّا خَبِيثًا [٩/ ٢٦١ظ] ، لو أمْكَنه قَتَلَ كلَّ مَن قدَرَ عليه مِن أهلِ السُّنَّةِ ، واتَّفقَ أنَّه لمَّا استقرَّ أمرُ الملكِ صلاحِ الدينِ رسَم بالخُطْبَةِ لبنى العبَّاسِ عن مرْسُومِ الملكِ نُورِ الدينِ له بذلك ؛ لمُعَاتبةِ الخَليفةِ المُسْتَنْجِدِ إيّاه قبلَ وفاتِه ، (٣) وكان المُستَنجِدُ إذ ذاك مُدْنِفًا مريضًا ، فلمّا مات تولَّى بعدَه ولدُه ، فكانت الخطبةُ بمصرَ له ، ثم إنّ العاضِدَ مرِض (٣) ، فكانتْ وفاتُه فى يومِ عاشُوراءَ ، فحضَر الملِكُ صلاحُ الدينِ جِنازَتَه ، وشهِد عزَاءَه ، وبكَى عليه وتأسَّف ، وظهَر منه حُزْنٌ ، وقد كان مُطِيعًا له فيما يأمُرُه به ، وكان العاضدُ كريمًا جَوادًا مُمَدَّحًا ، سَامَحه اللَّهُ تعالَى . ولمَّا مات استَحوَذ المَلِكُ صلاحُ الدينِ على القَصْرِ بما فيه ، وأخرَج منه أهلَ العاضدِ إلى دارٍ أفرَدها لهم ، وأجرَى عليهمُ النَّفقَاتِ والأرْزَاقَ الهَنِيَّةَ ، والعِيشَةَ الرَّضِيَّةَ ، عِوَضًا عمَّا فاتَهم مِن الخلافَةِ ، وكان يتنَدَّمُ على إقامَةِ الخُطْبَةِ لبنى العبّاسِ بمصرَ قبلَ وفاتِه ، وهَلَّا صبَر بها إلى بعدِ مَماتِه ، ولكِنْ كان ذلك قدَرًا مقْدُورًا ، وفى الكتابِ مسْطورًا ، وممّا نظَمه العِمَادُ الكاتبُ فى ذلك (٤) :

تُوفِّيَ العاضِدُ الدَّعِيُّ فما ... يفْتَحُ ذو بِدْعَةٍ بمِصْرَ فَمَا

(١ - ١) فى خ ، م : « بن المستنصر بن الحاكم » ، وفى الأصل : « محمد المنتصر » . وانظر وفيات الأعيان ٣/ ١٠٩ .

(٢ - ٢) فى خ ، م : « أبى الغنائم » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « وكان إذ ذاك العاضد مريضا مدنفا » .

(٤) الروضتين ١/ ٤٩٥ ، ٤٩٦ .

وَعَصْرُ فِرْعَوْنِها انْقَضَى وغَدَا ... يُوسُفُها فى الأمورِ مُحْتَكِمَا

(١ وانطَفأتْ ١) جَمْرَةُ الغُواةِ وقد ... باخَ(٢) مِن الشِّرْكِ كلُّ ما اضْطَرَمَا

وصارَ شملُ الصَّلاحِ مُلْتَئِمًا ... بها وعِقْدُ السَّدادِ مُنْتَظِما

لمَّا غدَا مُعْلَنًا(٣) شِعَارُ بَنى الْـ ... عبّاسِ حقًّا والباطِلُ اكْتَتَما

وبات داعِى التَّوْحيدِ مُنْتَصِرًا(٤) ... ومِن دُعاةِ الإشْراكِ مُنْتَقِمَا

وظلَّ أهلُ الضَّلالِ فى ظُلَلٍ ... داجِيَةٍ مِن غَيابَةٍ(٥) وَعَمَى

(٦ وارْتَبَكَ ٦) الجاهلُون فى ظُلَمٍ ... لمّا أضاءَتْ منابِرُ العُلَما

وعادَ بالمُسْتَضِىءِ مُمْتَهَدًا(٧) ... بِناءُ حَقٍّ قد كانَ مُنْهَدِمَا

واعتلَّتِ(٨) الدَّوْلةُ التى اضطهَدَت ... وانْتَصَر الدينُ بعدَما اهْتُضِما

واهْتَزَّ عِطفُ الإسْلامِ مِن جَذَلٍ(٩) ... وافْتَرَّ ثَغْرُ الإسْلامِ وابْتَسَما

واسْتبْشرَتْ أوْجُهُ(١٠) الهُدَى فرَحًا ... فليَقْرَعِ الكُفْرُ سِنَّهُ نَدَمَا

عادَ حَرِيمُ الأعْداءِ مُنْتَهَكَ الْـ ... حِمَى وفىءُ الطُّغاةِ مُقْتَسَمَا

قُصورُ أهلِ القُصُورِ أخْرَبَها ... عامِرُ بيتٍ مِن الكَمالِ سَمَا

(١ - ١) فى خ: «بلغت»، وفى م: «قد طفئت».

(٢) فى خ، م: «داخ» وباخ: من باخت النار: إذا سكنت. اللسان (ب و خ).

(٣) فى الأصل: «معلما»، وفى م: «مشعرا».

(٤) فى م: «منتظرًا».

(٥) فى الأصل، وفى م: «غبائه»، وفى ص: «عنايه». والمثبت من خ، والروضتين.

(٦ - ٦) فى الأصل: «وارتكب»، وفى خ، م: «وارتكس».

(٧) فى خ، م: «معتليا».

(٨) فى الأصل: «واعلت»، وفى خ، م: «أعيدت».

(٩) فى خ، م: «جلل».

(١٠) فى الأصل: «أوبه»، وفى ص «وجوه».

أزعجَ بعدَ السُّكُونِ ساكِنَها ومَـاتَ ذُلًّا وأنْـفُـهُ رَغِـمَـا

وممَّا قِيل مِن الشِّعرِ ببَغْدادَ يُبَشَّرُ به الخليفةُ المُسْتَضِىءُ بأمرِ اللَّهِ بالخطبةِ له بمِصْرَ[1] :

لِيَهْنِكَ يا مَوْلاىَ فتْحٌ تتابَعَتْ إليكَ بِهِ خُوصُ[2] الرَّكائبِ تُوْجَفُ

أخَذْتَ بِهِ مِصْرًا وقد حَالَ دونَها مِن الشِّرْكِ بأسٌ[3] فى لَهَى الحقِّ يُقذَفُ

فعادتْ بحمْدِ اللَّهِ باسْمِ إمامِنا تَتِيهُ على كلِّ البلادِ وتشْرُفُ

ولا غَرْوَ أنْ ذلَّتْ ليُوسُفَ مِصْرُهُ وكانتْ إلى عَلْيائهِ تَتَشَوَّفُ

تملّكها من قَبْضةِ الكُفْرِ يُوسُفٌ وخَلَّصَها مِن عُصْبةِ الرَّفْضِ يُوسُفُ

يُشَابِهُهُ خَلْقًا وخُلْقًا وعِفَّةً وكلٌّ عن الرحمنِ فى الأَرْضِ يَخْلُفُ

كشَفْتَ بها عن آلِ هاشِمٍ سُبَّةً وعارًا أبَى إلَّا بسَيْفِكَ يُكْشَفُ

وقد ذكَرها الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ فى الرَوْضَتَيْنِ[4] ، وهى أطولُ مِن هذه ، وذكَر[5] أنَّ أبا الفَضائلِ الحُسَيْنَ بنَ محمدِ بنِ تُرْكانَ[6] حاجبَ[7] ابنِ هُبَيْرةَ أنشَدَها [٩/ ٢٦٢و] للخليفةِ المُستنجِدِ قبلَ موتِه عند تأويلِ مَنامٍ رآه بعضُ الناسِ للخَليفةِ فى هذا المعنَى ، وأراد بيُوسُفَ الثانى الخليفةَ المُسْتَنْجدَ ، وهكذا ذكَر هذه القصيدةَ فى حياةِ المُسْتَنْجدِ ابنُ الجوزىِّ[8] وغيرُه ، ولم يخْطَبْ إلَّا

---

(١) الروضتين ١/ ٥٠١.

(٢) فى الأصل : « قوص » ، وفى خ ، م : « خوض » . وانظر الروضتين ١/ ٥٠١.

(٣) فى م : « يأس » .

(٤) الروضتين ١/ ٥٠١.

(٥) الروضتين ١/ ٥٠٠.

(٦) فى النسخ : « بركات » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٧) فى النسخ : « وزير » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٨) المنتظم ١٨/ ١٦٠.

لوَلدِه المُستَضِيءِ ، فجرَى المقالُ باسْمِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ يُوسُفَ بنِ أيُّوبَ ، رحِمَه اللَّهُ ، وقد أرسَل الخليفةُ المسْتَضِيءُ بأمرِ اللَّهِ إلى الملكِ نُورِ الدينِ خِلْعَةً سَنيَّةً سُنِّيَّةً ، وكذلك للملكِ صلاحِ الدينِ إلى الديارِ المصريَّةِ ومعها أعْلامٌ سُودٌ ، ولواءٌ معْقُودٌ ، ففُرِّقَتْ على الجوامعِ بالشامِ وبلادِ مصْرَ ، فللَّهِ الحَمْدُ على ما منَح من العِزِّ والنَّصْرِ . قال ابنُ أبى طيٍّ[1] فى « كتابِه » : ولمَّا تفرَّغ الملكُ صلاحُ الدينِ الملكُ الناصرُ مِن تَوْطيدِ المملَكَةِ وإقامَةِ الخُطْبةِ العبّاسيَّةِ والتَعْزِيةِ بانقِضاءِ الدَّوْلةِ العُبَيْديّةِ الزَّاعِمةِ أنَّها فاطِميّةٌ ، استَعرض حواصِلَ القصْرَيْنِ ، فوجَد فيهما مِنَ الحواصِلِ والأمتعةِ والآلاتِ والثِّيابِ والملابسِ والمَفارشِ شيئًا باهِرًا ، وأمْرًا هائلًا ، فمن ذلك سَبْعُمِائَةِ يتيمَةٍ مِن الجواهرِ ، وقَضِيبُ زُمُرُّدٍ طولُه أكثرُ مِن شِبْرٍ وسُمْكه نحوُ الإبْهامِ ، وحبْلٌ مِن ياقُوتٍ ، ووُجِد فيه إبْرِيقٌ عظيمٌ مِنَ الحجَرِ المانعِ ، وطَبْلٌ للقُولَنْجِ[2] إذا ضرَب عليه أحَدٌ يحصُلُ له خروجُ ريحٍ مِن دُبُرِه ، ينْصَرِفُ عنه ما يجِدُه مِنَ القُولَنْجِ ، فاتَّفَق أنَّ بعضَ أمراءِ الأكْرادِ أخَذه فى يَدِه ، ولم يَدْرِ ما شأنُه ، فلمَّا ضرَب عليه حَبَق[3] فألْقاه مِن يَدِه على الأرضِ فكسَره فبَطَل أمْرُه . وأمَّا القضيبُ فإنّ السُّلْطَانَ كسَره ثلاثَ فِلَقٍ فقسَمه بينَ نسائِه ، [4]وقسَم بين[4] الأمراءِ شيئًا كثيرًا مِن قِطَعِ البَلْخشِ[5] والياقُوتِ والذَّهَبِ والأثاثِ ، وغيرِ ذلك ، واستمرّ البيعُ فيما كان هُنالِكَ مِن الأثاثِ والأمتعةِ نحوًا مِن عَشْرِ سِنِينَ ، وأرسَل إلى

---

(١) الروضتين ١/ ٥٠٦.

(٢) القولنج : مرض معوى مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح ؛ وسببه التهاب القولون . الوسيط (ق و ل) .

(٣) حبق : أى أخرج ريح الحدث . الوسيط (ح ب ق) .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ص : « وقطع من » . وانظر الروضتين ١/ ٥٠٧.

(٥) البلخش : جوهر يجلب من بلخشان ، والعجم يقولون له : بدخشان . الألفاظ الفارسية المعربة ص ٢٦.

الخليفةِ ببَغْدادَ هدايَا عَظيمةً سَنِيَّةً ، وكذلكَ إلى الملكِ نُورِ الدينِ ، أرسَل جانبًا كبيرًا صالحًا ، وكان لا يدَّخِرُ لنفسِه شيئًا ممَّا يحصُلُ له مِن الأمْوالِ والغَنائمِ ، بل يُعْطِى ذلك كلَّه لمَن حولَه مِن الأمراءِ والوزراءِ والمُلوكِ والأصحابِ ، رحِمَه اللَّهُ ، وكان ممَّا أرْسَلَه إلى نورِ الدينِ ثلاثُ قِطَعِ بَلْخَشٍ زِنَةُ الواحدَةِ أحَدٌ وثلاثُونَ مِثْقالًا ، والأخْرَى ثمانِيَةَ عشَرَ مِثْقَالًا ، والثالثةُ دونَهما ، مع لآلِئَ كثيرةٍ ، وسِتُّونَ ألفَ دينارٍ ، وعِطْرٌ لم يُسْمَعْ بمثْلِه ، ومِن ذلك حِمارَةٌ عَتَّابيَّةٌ وفيلٌ عظيمٌ جِدًّا ، فأُرْسِلَتِ الحمارةُ إلى الخليفةِ فى جملةِ هدايا وتُحَفٍ هَائلةٍ . قال ابنُ أبى طيٍّ[1] : ووجَد خِزَانَةَ كتُبٍ ليسَ فى مَدائنِ الإسْلامِ لها نظيرٌ ، تشتَمِلُ على نحوِ ألْفَىْ ألفِ مجلَّدٍ ، قال : ومِن عجائبِ ذلك أنَّه كان بها ألْفٌ ومِائتَانِ وعشْرُونَ نُسْخَةً مِن تاريخِ الطَّبَرِىِّ . كذا قال العمادُ الكاتبُ : كانتِ الكُتبُ قريبةً مِن مِائَةٍ وعِشْرِينَ ألفَ مجلَّدٍ ، وقال ابنُ الأثيرِ[2] : كان فيها مِن الكتُبِ بالخُطوطِ المَنْسُوبَةِ مِائةُ ألفِ مجلَّدٍ ، وقد تسلَّمها القاضى الفاضلُ ، فأخَذ منها شيئًا كثيرًا ممَّا اخْتارَه وانْتَخَبه ، قال : وقسَم القَصْرَ الشماليَّ بينَ الأمراءِ فسكَنوه ، وأسْكَنَ أباه نَجْمَ الدينِ أيُّوبَ فى قصرٍ عظيمٍ على الخليجِ ، يقالُ له : اللُّؤْلُؤَةُ ، الذى فيه بُسْتَانُ الكافُورِىِّ ، وسكَن أكْثرُ الأمراءِ فى دُورِ مَنْ كان ينْتَمِى إلى الفاطمِيِّينَ ، ولا يَلْقَى أحدٌ مِن الأتْراكِ أحدًا مِن [٩/ ٢٦٢ظ] أولئكِ الذين كانُوا بها إلَّا شَلَّحُوا ثِيابَه ، ونهَبُوا دارَه ، حتى تمزَّقَ كثيرٌ منهم فى البلادِ ، وتفرَّقُوا شَذَرَمَذَرَ ، وصارُوا أيادِىَ سَبَا[3] .

وقد كانت مدةُ مُلكِ الفاطمِيِّينَ مِائتَيْنِ وثمانينَ سنةً وكَسْرًا ، فصارُوا

---

(١) الروضتين ١/ ٥٠٧.

(٢) الكامل ١١/ ٣٧٠، بنحوه.

(٣) أى تفرقوا تفرقًا لا اجتماع معه. مجمع الأمثال ٢/ ٤ .

كأمْسِ الذَّاهِبِ وكأنْ لم يَغْنَوْا فيها ، وكان أوَّلُ مَن ملَكَ منهم المَهْدِىَّ ، وكان مِن أهلِ سَلَمْيَةَ حدَّادًا ، اسمُه سَعِيدٌ[1] ، وكان يهُودِيًّا ، فدخَل بلادَ المغربِ وتسمَّى بعُبَيْدِ اللَّهِ ، وادَّعَى أنَّه شريفٌ علَوِىٌّ فاطمِىٌّ ، وقال : إنَّه المَهْدِىُّ ، وقد ذكَر هذا غيرُ واحدٍ مِن ساداتِ العُلَماءِ الكُبَراءِ كالقاضِى أبى بَكْرٍ البَاقِلَّانىِّ والشيخِ أبى حَامدٍ الإسفرايينىِّ وغيرِ واحدٍ مِن سَاداتِ الأئمةِ بعدَ الأرْبَعِمائَةِ ، كما بَسَطْنا ذلك فيما تقدَّمَ ، والمقصودُ أنَّ هذا الدَّعِىَّ المُدَّعِىَ الكذَّابَ راجَ له ما افْتَراه فى تلك البلادِ ، ووازَرَه جماعةٌ مِن جَهَلةِ العُبَّادِ ، وصارَت له دولةٌ وصَوْلَةٌ ، فتمكَّن إلى أنْ بنَى مدينةً سمَّاها المَهْدِيَّةَ نِسْبةً إليه ، وصار مَلِكًا مُطاعًا ، يُظْهِرُ الرَّفضَ وينْطَوِى على الكفرِ المحْضِ .

ثم كان مِن بعدِه ابنُه القائمُ ، ثم المَنْصورُ ، ثم المُعِزُّ - وهو أوَّلُ مَن دخَل مِصْرَ منهم ، وبُنِيَتْ له القاهرةُ - ثم العَزِيزُ ، ثم الحاكِمُ ، ثم الظاهِرُ ، ثم المُسْتَنْصِرُ ، ثم المُسْتَعْلِى ، ثم الآمِرُ ، ثم الحافِظُ ، ثم الظَّافِرُ ، ثم الفائزُ ، ثم العاضِدُ وهو آخِرُهم ، فجمْلَتُهم أربَعَةَ عشَرَ مَلِكًا ، ومدَّتُهم مِائَتان ونَيِّفٌ وثمانونَ سنةً ، وكذلك عِدَّةُ خُلَفاءِ بنى أُمَيَّةَ أربعَةَ عشَرَ أيضًا ، ولكِن كانتْ مدَّتُهم نَيِّفًا وتسعين[2] سنةً ، وقد نظَمتُ أسماءَ هؤلاءِ بأرجوزةٍ تابعةٍ لأُرجوزةِ بنى العبّاسِ عندَ انقضاءِ دولتِهم ببغدادَ فى سنةِ ستٍّ وخمسين وستِّمائةٍ ، كما سيأتى ، وقد كان الفاطميُّون أغنَى الخُلَفاءِ وأكثَرَهم مالًا ، وكانوا مِن أعتَى الخُلَفاءِ وأجبرِهم وأظلَمِهم ، وأنجَسِ المُلُوكِ سيرةً ، وأخْبَثِهم سريرةً ، ظهَرَت فى دوْلَتِهمُ البِدَعُ والمُنْكَراتُ وكثُرَ أهلُ الفسادِ ،

---

(١) فى خ ، م : « عبيد » .

(٢) فى خ ، م : « وثمانين » . وانظر الروضتين ١/ ٥١٤.

(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « وقد كانوا » .

وقلَّ عندَهم الصالحون مِنَ العلماءِ والعُبَّادِ ، وكثُرَ بأرضِ الشامِ النُّصَيْرِيَّةُ[(١)] والدَّرْزِيَّةُ[(٢)] والحُشيشيَّةُ ، وتغلَّب الفِرنْجُ على سواحلِ الشامِ بكَمالِه ، حتى أخَذُوا القُدْسَ الشَّريفَ ونابُلُسَ وعَجْلُونَ والغَوْرَ وبلادَ غَزَّةَ وعَسْقَلانَ وكَرَكَ الشَّوبَكِ وطَبَرِيَّةَ وبَانْيَاسَ وصُورَ وعَثْلِيثَ وصَيْدَا وبَيْرُوتَ وعكَّا وصَفَدَ وطَرَابُلُسَ وأنْطاكِيَةَ وجميعَ ما وَالَى ذلك ، إلى بلادِ آيَاسَ[(٣)] وسِيسَ[(٤)] ، واسْتَحْوَذوا على بلادِ آمِدَ والرُّهَا ورأسِ العينِ وبلادِ شَتَّى ، وقتَلُوا خَلْقًا لا يعلَمُهم إلَّا اللَّهُ ، وسَبَوْا من ذَرَارِيِّ المسلمين مِن النساءِ والوِلْدانِ ما لا يُحَدُّ ولا يوصَفُ ، وكادُوا أنْ يتَغَلَّبُوا على دمَشْقَ ، ولكِن صانَها اللَّهُ بعنايتِه وسلَّمها برعَايتِه ، وحيـنَ زالتْ أيامُهم وانتقَض إبْرامُهم أعادَ اللَّهُ هذه البلادَ كُلَّها على أهْلِها من السَّادةِ المسلميـنَ ، وردّ اللَّهُ الكَفرةَ خائبين ، وأركَسَهُم بما كسَبُوا فى هذه الدنيا ويومَ الدينِ ، وقد قال حسانُ الشاعرُ المدعُوُّ بعَرْقَلَةَ[(٥)] :

أصبـحَ المُـلْكُ بعـدَ آلِ علـيٍّ ... مُشْرِقًا بالمُلوكِ مِن آلِ شاذِى
وغَدَا الشرقُ يحْسُدُ الغربَ للقو ... مِ ومِصْـرٌ تـزْهُـو عـلـى بـغْـداذِ
مـا حَـوَوْهـا[(٦)] إلّا بـحَـزْمٍ وعـزمٍ ... وصَلِيلِ الفُـولَاذِ [(٧)]فـى الفُـولاذِ[(٧)]

(١) فى م : « النصرانية » . والنصيرية : طائفة من الزنادقة مشهورة يقولون بألوهية على ، تعالى اللَّه علوًّا كبيرا . التاج (ن ص ر) .

(٢) الدرزية : طائفة خارجة عن جادة الشريعة ، الكائنة بجبال الشام ، وهم الإسماعيلية . التاج (د ر ز) .

(٣) أياس : مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر . صبح الأعشى ٤/ ١٣٣ .

(٤) سيس : قاعدة بلاد الأرمن . صبح الأعشى ٤/ ١٣٤ . وفى معجم البلدان ٣/ ٢١٧ : « سِيسيَّة وعامة أهلها يقولون : سيس . بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشمالية بين أنطاكية وطرسوس » .

(٥) الخريدة (قسم شعراء الشام) ١/ ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، والروضتين ١/ ٥٠٩ .

(٦) فى الخريدة : « حواها » .

(٧ - ٧) سقط من الأصل ، وفى خ ، م : « فى الأكباد » .

لا كَفِرْعَونَ والعزيزِ ومَن كا نَ بها كالخَصيبِ[1] والأسْتاذِ

قال الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ ، رحِمه اللَّهُ[2] : يعْنى بالأستاذِ كافورَ[3] الإخشيديَّ ، وقولُه بعدَ : آلِ عليٍّ . يعنى الفاطِمِيِّين ، ولم يكونُوا فاطِمِيِّينَ ، وإنَّما كانوا أدْعِياءَ يُنْسَبُونَ إلى عُبَيْدٍ ، وكان اسمُه سَعِيدًا ، وكان يهودِيًّا حدَّادًا بِسَلَمْيَةَ ، ثم ذكَر ما ذكَرْنا مِن كلامِ الأئمةِ فيهم وطَعْنِهم فى نسَبِهم . قال[4] : وقد [٩/٢٦٣و] اسْتَقْصَيْتُ الكلامَ فى ذلك فى مُخْتَصَرِ تاريخِ دِمَشْقَ فى ترجمةِ عبدِ الرّحيمِ[5] بنِ إلْيَاسَ ، ثم ذكَرَ فى « الروْضتيْنِ » فى هذا الموضعِ أشْياءَ كثيرةً مِن قبائحِهم ، وما كانوا يجْهَرُونَ به فى بعضِ الأحْيانِ مِن الكُفْرِيّاتِ والمصَائبِ المُعظَّماتِ ، لعَنهم اللَّهُ . وقد ذكَرتُ أنا أشياءَ كثيرةً فى عُبُونِ[6] ما مشقْتُه[7] مِن سيرتِهم فى السنين المتقدِّمةِ مِمّا يسُدُّ الأسْماعَ ، ويُنفِّرُ الطِّباعَ . قال أبو شامةَ[8] : وقد أفْرَدْتُ كِتابًا سمَّيْتُه « كَشْفَ ما كانَ عليه بنُو عُبَيْدٍ مِنَ الكُفْرِ والكَذِبِ والمكْرِ والكَيْدِ » . وكذا صنَّفَ العلماءُ فى الردِّ عليهم كتُبًا كثيرةً ، مِن أجْلِ ما وُضِعَ فى ذلك كتابُ القاضى أبى بكرٍ البَاقِلَّانيِّ ، الذى سمّاه « كَشْفَ الأسْرارِ وهَتْكَ الأسْتارِ » . وما أحْسَنَ ما قالَه بعضُ الشعراءِ فى بنى أيُّوبَ يمدَحُهم على ما فعَلُوه

---

(١) فى م : « كالخطيب » . والخصيب هو الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر فى عهد الخليفة هارون الرشيد ، وإليه تنسب مُنية الخصيب . النجوم الزاهرة ٥/ ٣٠٩، وقد وردت منية الخصيب فى معجم البلدان ٤/ ٦٧٥: « منية أبى الخصيب » .

(٢) الروضتين ١/ ٥٠٩.

(٣) فى م : « كأنه نور » .

(٤) الروضتين ١/ ٥١١.

(٥) فى م ، ص : « الرحمن » . وانظر مصدر التخريج .

(٦) فى النُّسَخ : « عيون » . وأثبتنا المعتاد من أسلوب المؤلف فيما سبق . والمقصود : فى أثناء .

(٧) مشق من الطعام : تناول منه شيئا قليلًا . اللسان (م ش ق) .

(٨) الروضتين ١/ ٥١٤.

بديارِ مِصْرَ[1] :

[2]أَلسْتُم مُزِيلى[2] دولةِ الكُفرِ مِن بنى عُبَيْدٍ بمِصْرَ إنَّ هذا هو الفَضْلُ
زَنادِقَةٌ شِيعِيَّةٌ باطِنيَّةٌ مَجُوسٌ وما فى الصالِحِينَ لهمْ أصْلُ
يُسِرُّونَ كُفْرًا يُظْهِرونَ تَشَيُّعًا ليستتروا [3]شيئًا و[3]عَمَّهمُ الجهْلُ

وفى هذه السنةِ أسْقَط الملكُ صلاحُ الدينِ عن أهلِ مِصْرَ المُكُوسَ والضرائبَ ، وقُرِئَ المَنْشورُ بذلك على رُءوسِ الأَشْهادِ يومَ الجُمُعةِ بعدَ الصلاةِ ثالثَ صَفرٍ . وفيها حصَلتْ نُفْرَةٌ بينَ الملكِ نُورِ الدينِ والملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ ، وذلك أنّ الملكَ نورَ الدينِ غزَا فى هذه السنَةِ بلادَ الفرنْجِ فى السواحلِ ، فأحلَّ بهم بأْسًا شديدًا ، وقرَّرَ فى أنفُسِهم منه نِقْمَةً ووعِيدًا ، ثم عزَم على محاصرةِ الكَرَكِ وكتَب إلى صلاحِ الدينِ أنْ يلْتَقِيَه بالعساكرِ المصريّةِ إلى بلادِ الكَرَكِ ؛ ليجْتَمِعَا هُنالِكَ على المصالحِ فيما يعودُ نفْعُه على المسلمين ، فتَوَهَّمَ من ذلك الملكُ صلاحُ الدينِ ، وخافَ أنْ يكونَ لهذا الأمرِ غائلةٌ يزولُ بها ما حصَل له مِن التمكينِ ، ولكنَّه مع ذلك ركِبَ فى جيْشِه من الديارِ المصريّةِ ليقصِدَ امْتِثالَ المرْسُومِ ، فسارَ أيامًا ، ثم كرَّ راجعًا مُعْتَلًّا بقلَّةِ الظَّهْرِ ، والخوفِ على اخْتِلالِ الأمورِ إذا بعُد عن مِصرَ واشْتَغَل عنها ، وأرسَل يعتذِرُ بذلك إلى السُّلْطانِ الملكِ العَادِلِ نورِ الدينِ ، فوقَع فى نفْسِه منه ، واشتدَّ غَضَبُه عليه ، وعزَم على الدخولِ إلى الديارِ المصريّةِ وانتزاعِها مِن صلاحِ الدينِ وتوْلِيةِ غيرِه فيها ، ولمَّا بلَغ هذا الخبرُ صلاحَ الدينِ ضاقَ بذلك ذَرْعُه ، وذكَره بحَضْرَةِ الأمراءِ والكبراءِ ، فبادَر ابنُ أخيه

(١) الروضتين ١/ ٥١٥.
(٢ - ٢) فى خ ، م : « أبدتم من بلى » .
(٣ - ٣) فى خ ، م : « سابور » .

تقىُّ الدينِ عمرُ فقال[1] : واللَّهِ لو قصَدَنا نورُ الدينِ لنُقاتِلَنَّه ، فشَتَمَه الأميرُ نجمُ الدينِ أيُّوبُ والدُ الملكِ صلاحِ الدينِ وأسْكتَه ، ثم قال لابنِه : اسمَعْ ما أقولُ لكَ ، واللَّهِ ما هَـٰهُنا أحدٌ أشْفَقُ عليْك منِّى ومِن خالِكَ هذا - يعْنى شِهَابَ الدينِ الحارِمىَّ - ولو رأيْنَا الملِكَ نورَ الدينِ لبادَرْنا إليه ، ولقبَّلْنا الأرضَ بين يدَيْه ، وكذلك بقيةُ هؤلاءِ الأُمَراءِ ، ولو كتَب إلىَّ أنْ أبْعَثَكَ مع نجَّابٍ لفعَلْتُ ، ثم أمَر مَنْ هُنالِكَ بالانْصرافِ [٩/٢٦٣ظ] والذَّهابِ ، فلمَّا خلا بابنِه قال له : أمَا لَكَ عَقْلٌ ؟ تذْكُرُ مثلَ هذا بحَضْرَةِ هؤلاءِ ، فيقولُ عمرُ مِثْلَ هذا الكلامِ ، فتُقِرُّه عليه ، فلا يبْقَى عندَ نُورِ الدينِ أهمُّ مِن قَصْدِكَ وقتالِكَ ، ولو قد رآه هؤلاء لم يَبْقَ معكَ منهم أحَدٌ ، ولكِن ابْعَثْ إليه ، وترفَّقْ له ، وتواضَعْ عندَه ، وقلْ له : وأىُّ حاجَةٍ إلى مَجِىءِ مؤلَانا ؟ ابْعَثْ إلىَّ بنجَّابٍ حتى أجِىءَ معه إلى بينِ يَدَيكَ . فلمَّا سمِعَ نورُ الدينِ مثلَ هذا لانَ قلبُه ، وانصرفَتْ همَّتُه عنه ، واشتغَل بغيرِه ، وكان أمرُ اللَّهِ قَدرًا مقْدُورًا .

وفيها اتَّخذ نورُ الدين الحمَامَ الهَوادِىَ ، وذلك لامتدادِ مملَكتِه واتِّساعِها ؛ فإنَّه ملَك مِن حدِّ النُّوبةِ إلى هَمَذانَ ، لا يتخَلَّلُها إلَّا بلادُ الفِرنْجِ ، لعَنهم اللَّهُ ، وكلُّهم تحتَ قهْرِه وهُدْنَتِه ، فلذلك اتَّخذ فى كلِّ قلْعةٍ وحِصْنٍ الحمامَ التى تحمِلُ الرسائلَ إلى الآفاقِ فى أسرعِ مدةٍ ، وأيسَرِ عُدَّةٍ ، وما أحسَنَ ما قال فيهنَّ القاضى الفاضلُ[2] : الحمَامُ ملائكةُ الملُوكِ . وقد أطْنَبَ فى ذلك العمادُ الكاتبُ ، وأطْرَب وأعْجَب وأغْرَب[3] .

---

(١) الكامل ١١/ ٣٧٢، والروضتين ١/ ٥١٩.

(٢) الروضتين ١/ ٥٢١.

(٣) المصدر السابق .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

عبدُ اللّهِ بنُ أحمدَ بنِ أحمدَ بنِ أحمدَ ، أبو محمدِ بنُ الخشَّابِ[1] ، قرَأ القرآنَ ، وسمِع الحديثَ ، واشْتغَل بالنحوِ واللُّغَةِ حتى ساد أهلَ زمانِه فيهما ، وشرَح « الجملَ » لعبدِ القاهرِ الجُرْجَانيِّ ، وكان رجلًا صالحًا متطوِّعًا ، وكانت وفاتُه فى شعبانَ مِن هذه السنَةِ ، ودُفِنَ قريبًا مِنَ الإمامِ أحمدَ ، ورُئِىَ فى المنامِ فقِيل له[2] : ما فعَل اللّهُ بكَ ؟ فقال : غفَر لى ، وأدْخلَنى الجنةَ ، إلَّا أنَّه أعرَض عنِّى وعن جماعةٍ مِن العلماءِ ترَكُوا العمَلَ[3] . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[4] : كان مُطَّرِحَ الكُلْفةِ فى مأْكَلِه وملْبَسِه ، رحِمه اللّهُ تعالى .

محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدٍ[5] ، أبو المُظَفَّرِ البَرُّوِىُّ[6] ، تفقَّه[7] على محمدِ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٩٨، ومعجم الأدباء ١٢/ ٤٧، وإنباه الرواة ٢/ ٩٩، ووفيات الأعيان ٣/ ١٠٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٦٧، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣١٦.

(٢) المنتظم ١٨/ ١٩٨.

(٣) بعده فى خ ، م : « واشتغلوا بالقول » .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ١٠٣، بنحوه .

(٥) المنتظم ١٨/ ١٩٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٢٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٩٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٣٨٩، والوافى بالوفيات ١/ ٢٧٩.

(٦) فى الأصل : « الردى » ، وفى م ، ص : « الدوى » ، وفى خ : « المروزى » ، وفى الكامل ١١/ ٣٧٦: « البورى » . والمثبت من مصادر ترجمته السابقة . وضبط البروى من شذرات الذهب ٤/ ٢٢٤، حيث قال : البروى بفتح الموحدة وتشديد الراء المضمومة نسبة إلى برويه جد . وانظر لب اللباب فى تحرير الأنساب ١/ ١٢٢.

وقال ابن خلكان : البروى بفتح الباء الموحدة والراء وبعدها واو ، لا أعلم هذه النسبة إلى أى شىء هى ، ولا ذكرها السمعانى ، وغالب ظنى أنها من نواحى طوس ، واللّه أعلم . وانظر (البرويى) فى الأنساب ١/ ٣٣٣، واللباب ١/ ١١٧.

(٧) فى الأصل : « قرأ القرآن » ، وفى ص : « قرأ الفقه » ، وانظر وفيات الأعيان الموضع السابق .

ابنِ يحيى تلميذِ الغَزَّالِيِّ ، وناظَر ووعَظَ ببغدادَ ، وكان يُظهِرُ مذهبَ الأشعَرِيِّ ، ويتكلَّمُ فى الحنابلةِ ، ومات فى رمضانَ منها .

ناصِرُ بنُ الخُوَيِّى[1] **الصُّوفِيُّ** كان يَمْشِي فى طلبِ الحديثِ حافِيًا ، تُوفِّى ببغدادَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

قال الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شَامةَ[2] : وفيها تُوفِّى : **نَصْرُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، أبو الفُتُوحِ**[3] الإسْكَنْدَرِيُّ المعروفُ بابنِ قَلاقِسَ الشاعرُ ، بعَيْذابَ عن خمسٍ [4]وثلاثين[4] سنةً .

والشيخُ أبو بكرٍ يحيى بنُ سَعْدُونَ القُرْطُبِيُّ[5] ، نزيلُ المَوْصِلِ المُقْرِئُ النحْوِيُّ ، رحِمه اللَّهُ .

قال[6] : وفيها وُلِد العزيزُ والظاهرُ ابْنا صلاحِ الدينِ ، والمنصورُ محمدُ بنُ تقيِّ الدينِ عمرَ .

---

(١) فى خ ، م : « الجونى » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ١٩٨.

(٢) الروضتين ١/ ٥٢٣.

(٣) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ١٤٥، ومعجم الأدباء ١٩/ ٢٢٦، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٨٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٠٠.

(٤ - ٤) فى خ ، م : « وأربعين » .

(٥) معجم الأدباء ٢٠/ ١٤، وإنباه الرواة ٤/ ٣٧، ووفيات الأعيان ٦/ ١٧١، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٥٤٦، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٤٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٠٣، وغاية النهاية ٢/ ٣٧٢.

(٦) الروضتين ١/ ٥٢٣.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وستين وخمسمائة[1]

فيها[2] أرسل الملكُ نورُ الدينِ إلى الملكِ صلاحِ الدينِ، المُوَفَّقَ خالدَ بنَ القَيْسرانيِّ؛ ليُقيِّمَ له حسابَ الديارِ المصريَّةِ، ولأنَّه استقلَّ الهَدِيَّةَ التى أرسَلَ إليه مِن خزائنِ العاضدِ. ومقصودُه أنْ يقرِّرَ على الديارِ المصريةِ خَراجًا يُحملُ إليه فى كلِّ عامٍ.

وفيها حاصَر الملكُ صلاحُ الدينِ الكَرَكَ والشَّوْبَكَ[3]، فضَيَّقَ على ساكنِيها، وخرَّبَ أماكِنَ كثيرةً مِن معاملاتِها، ولكِن لم يظْفَرْ بها عامَه ذلك.

وفيها اجْتمعَتِ الفِرنْجُ بالشامِ لقَصْدِ مدينةِ زُرْعَ[4]، فوصلُوا إلى سمكينَ[5]، فبرزَ إليهم نورُ الدينِ، فهرَبُوا منه إلى الفوارِ[6]، ثم إلى السَّوَادِ[7]، ثم إلى الشلالةِ، فبعثَ سريةً إلى طَبَرِيَّةَ، فعاثُوا هنالكَ وسَبَوْا وقتلَوا وغنِمُوا [٩/٢٦٤و] وعادُوا وقد سلَّمهمُ اللَّهُ، ورجَعتْ الفِرنجُ خائبين، لعَنهمُ اللَّهُ أجمعين، وقد

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٩٩، والكامل ١١/ ٣٧٧.

(٢) الروضتين ١/ ٥٢٥.

(٣) الشوبك: قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عَمَّان وأيلة والقُلْزُم، قرب الكرَك. معجم البلدان ٣/ ٣٣٢.

(٤) زرع: كان اسمها زُرًّا، وهى من حوران. انظر معجم البلدان ٢/ ٩٢١.

(٥) فى النسخ: «سمسكين». والمثبت من الروضتين ١/ ٥٢٨. وسمكين: ناحية من أعمال دمشق، من جهة حوران. معجم البلدان ٣/ ١٤٠.

(٦) فى الأصل: الفرار»، وفى خ، م: «الغور». والمثبت موافق لما فى الروضتين ١/ ٥٢٨.

(٧) السواد: نواحٍ قرب البلقاء سميت بذلك؛ لسواد حجارتها. معجم البلدان ٣/ ١٧٤.

امتدَحه العمادُ الكاتبُ[1] بقصيدةٍ طَنَّانةٍ فى هذه الغزوةِ .

فتحُ بلادِ النُّوبةِ

وفيها أرسَل الملكُ صلاحُ الدينِ أخاه شمسَ الدولةِ تُورانْشاه إلى بلادِ النوبةِ فافْتتَحَها ، واسْتَحوذَ على معْقِلِها ، وهو حِصْنٌ يقالُ له : إِبْرِيمُ . ولمَّا رآها بلدًا قليلةَ الجدْوَى لا يَفِى خَرْجُها بكُلْفَتِها ، استخلَف على الحِصْنَ المذْكُورِ رجلًا مِنَ الأَكْرادِ يقالُ له : إبراهيمُ . فجعَله مقدَّمًا مُقَرَّرًا بحِصْنِ إبريمَ ، وانْضافَ إليه جماعةٌ مِن الأكرادِ البَطَّالِينَ ، فكثُرَتْ أموالُهم ، وحسُنَتْ حالُهم هُنالك ، وشَنُّوا الغاراتِ ، وحصَلُوا على الغنائمِ والمسراتِ ، وللَّهِ الحمدُ الذى بنعمتِه تتمُّ الصالحاتُ .

وفيها كانتْ وفاةُ الأميرِ نَجْمِ الدين أيُّوبَ والدِ الملكِ صلاحِ الدينِ ، سقَطَ عن فرَسِه فماتَ ، وستأْتى ترجمتُه فى الوفياتِ ، إن شاء اللَّهُ .

وفيها سارَ الملكُ نورُ الدينِ إلى بلادِ عِزِّ الدينِ قِلجَ أَرْسَلان بنِ مسعودِ بنِ قِلجَ أَرْسَلان بنِ سُلَيمانَ السَّلجوقىِّ ، ملكِ الرومِ ، وافتقَد فى طريقِه بلادَه ، وأصْلَحَ ما وجَده فيها مِنَ الخلَلِ . ثم سارَ فافْتَتَحَ مَرْعَشَ وبَهَسَنَا ، وعمِل فى كلٍّ منهما بالحُسْنَى .

قال العمادُ الكاتبُ[2] : وفى هذه السنةِ وصَل الفقيهُ الإمامُ الكبيرُ قُطبُ الدينِ

---

(١) الروضتين ١/ ٥٢٩.

(٢) المصدر السابق ١/ ٥٤٥.

النَّيْسَابُورِىُّ ، وهو فقيهُ عصْرِه و نَسِيجُ وحْدِه ، فسُرَّ به نورُ الدينِ وأنْزَله بحَلَبَ بمدرسةِ بابِ العراقِ ، ثم أطلَعه إلى دِمَشْقَ ، فدرَّسَ بزاويةِ الجامعِ الغربيَّةِ المعْروفةِ بالشيخِ نَصْرٍ المَقْدِسِىِّ ، ونزَل بمدرسةِ الجاروخيةِ[1] ، وشرَعَ نورُ الدينِ فى إنشاءِ مدرسةٍ كبيرةٍ للشافعيَّةِ ، فأدْركَه الأجلُ قبلَ ذلك . قال أبو شامةَ[2] : هى العادِليَّةُ الكبيرةُ التى عمَّرَها بعدَه الملكُ العادلُ أبو بَكْرِ بنُ أيُّوبَ .

وفيها عادَ شهابُ الدينِ بنُ أبى عَصْرُونَ مِن بَغْدادَ حين سارَ بالهناءِ بالخُطْبَةِ العباسِيَّةِ بالديارِ المصريةِ ، ومعه توقيعٌ مِن الخليفةِ بإقْطاعِ دَرْبِ هارونَ وصَرِيفِينَ للملكِ نورِ الدينِ ، وقد كانَتا قديمًا لأبيه عمادِ الدينِ زَنْكِى ، فأرادَ الملكُ نورُ الدينِ أنْ يبنىَ ببَغْدادَ مدرسةً على دِجلةَ، ويجعلَ هذَيْنِ المكانَيْنِ وَقْفًا عليها ، فعاقَه القَدرُ عن ذلك ، رحِمه اللَّهُ . وفيها جَرَتْ بناحيةِ خُوَارِزْمَ حروبٌ كثيرةٌ بينَ سلطانْشاه وبينَ أعْدائِه ، تقصَّاها ابنُ الأثيرِ[3] وابنُ السَّاعِى .

وفيها هزَمَ ملكُ الأرْمَنِ مليحُ بنُ لِيونَ عساكِرَ الرومِ ، وغنِم منهم شيئًا كثيرًا ، وبعَث إلى نُورِ الدينِ بأموالٍ كثيرةٍ مِن ذلك ، وبثلاثين رأسًا مِن رءوسِهم ، فأرْسَلَها نورُ الدينِ إلى الخليفةِ المُسْتَضِىءِ بأمرِ اللَّهِ العباسىِّ .

وفيها بعَث الملكُ صلاحُ الدينِ سَرِيَّةً صُحْبَةَ قراقُوشَ مملوكِ تقىِّ الدينِ عمرَ بنِ شَاهِنْشَاه إلى بلادِ إفْرِيقِيَّةَ ، فملَكُوا طائفةً كثيرةً منها ، من ذلكَ مدينةُ طَرابُلُسَ الغربِ ، وعدَّةُ مدُنٍ معها .

---

(١) فى النسخ ، والروضتين : « الجاروق » . والمثبت من الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٣٦١. والمدرسة الجاروخية كانت داخل بابى الفرج والفراديس شمالى الجامع الأموى ، بناها جاروخ التركمانى . الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٢٢٥.

(٢) الروضتين ١/٥٤٥ .

(٣) الكامل ١١/ ٣٧٧.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

إيلْدِكِزُ التركىُّ الأتابِكىُّ[1] ، صاحبُ أَذْرَبِيجَانَ وغيرِها ، كان مملُوكًا للكَمالِ السُّمَيْرمىِّ وزيرِ السلطانِ محمودٍ ، فلما قتَله محمودٌ حظِى إيلْدِكِزُ هذا عندَ السلطانِ ، ثم علَا أمْرُه وتمكَّنَ حتى ملَك أَذْرَبِيجَانَ وبلادَ الجَبَلِ وغيرَها ، وكان عادِلًا ، منصفًا ، [٢٦٤/٩ظ] شجاعًا ، محسِنًا إلى الرعِيَّةِ ، رحِمه اللَّهُ ، تُوفِّى فى هذه السنةِ .

الأميرُ نَجْمُ الدينِ أبو الشُّكْرِ أيُّوبُ بنُ شاذِى[2] والدٌ للملوكِ بنى أيوبَ ، الكردىُّ الرَّوَادىُّ[3] - وهم خيارُ الأكرادِ - الدُّوِينىُّ ؛ نسبةً إلى دُوِينَ شمالىَّ بلادِ أَذْرَبِيجَانَ مما يلى الكُرْجَ ، ومنهم مَن يقولُ : أيوبُ بنُ شاذِى بنِ مَرْوانَ ، وزادَ بعْضُهم بعدَ مَرْوانَ ابنَ يَعْقُوبَ ، والذى عليه الجمهورُ أنَّه لا يعْرَفُ بعدَ شاذِى أحدٌ فى نسَبِهم ، وأغرَب بعْضُهم فزعَم أنَّه مِن سُلالَةِ مَرْوانَ بنِ محمدٍ الجَعْدىِّ آخرِ خلفاءِ بنى أُمَيَّةَ ، وهذا ليسَ بصحيحٍ ، والذى نُسِبَ إليه ادِّعاءُ هذا هو الملكُ أبو الفداءِ إسْماعيلُ بنُ طُغْتِكِين بنِ أيُّوبَ بنِ شاذِى ويُعْرَفُ بابنِ سيفِ الإسْلامِ ، وقد ملَكَ اليمنَ بعدَ أبيه فتَعاظَمَ فى نفْسِه وادَّعَى الخلافةَ وتلَقَّبَ بالإمامِ الهادِى بنُورِ اللَّهِ ، المعزِّ لدينِ اللَّهِ ، أميرِ المؤمنين ، وزعَم أنَّه أُمَوىٌّ ، ومدَحه الشُّعراءُ وأطرَوه ولهَجوا بذلك ، وقال هو فى ذلك أيضًا[4] :

---

(١) الكامل ١١/ ٣٨٨، والعبر ٤/ ٢٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٠٩، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٨١. والوافى بالوفيات ٩/ ٣٥٨.

(٢) الكامل ١٣/ ٣٩٣، والروضتين ١/ ٥٣٣، ووفيات الأعيان ١/ ٢٥٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣١٠.

(٣) الرَوَادية : بطن من الهَذْبانِية ، وهى قبيلة كبيرة من الأكراد . وفيات الأعيان ٧/ ١٣٩.

(٤) الروضتين ١/ ٥٣٥.

وإنِّى أنا الهادِى الخليفةُ والذى   أدُوسُ رِقابَ الغُلب بالضُمَّرِ الجُرْدِ
ولا بُدَّ مِن بَغْدادَ أطوِى رُبوعَها   وأنشُرُها نشْرَ السَّماسِرِ[1] للبردِ
وأنصبُ أعْلامِى على شُرُفَاتِها   وأُحْيِى بها ما كان أسَّسه جدِّى
ويُخْطَبُ لى فيها على كلِّ مِنْبَرٍ   وأُظهِرُ دينَ اللَّهِ فى الغَوْرِ والنَّجْدِ

وهذا الادِّعاءُ ليسَ بصحيحٍ ، ولا أصلَ له يَعتمدُ عليه ، ولا سندَ يستندُ إليه .

والمقْصودُ أنَّ الأميرَ نجمَ الدينِ كان أسَنَّ مِن أخيه أسَدِ الدينِ شِيرَكُوه ، وُلِدَ بأرْضِ المَوْصِلِ . وكان الأميرُ نجمُ الدينِ شجاعًا باسلًا ، يخدُمُ الملكَ محمدَ بنَ مَلِكْشَاه ، فرأى فيه شهامةً وأمانةً ؛ فوَلَّاه قلعةَ تَكْرِيتَ ، فحكمَ فيها فعدَلَ ، فكان مِن أكرمِ الناسِ ، ثم أقْطَعها الملكُ مسعودٌ لمُجاهِدِ الدينِ بِهْروزَ شِحْنَةِ العراقِ ، فاستمرَّ به فيها ، فاجْتازَ به فى بعضِ الأحْيانِ الملكُ عمادُ الدينِ زَنْكِى مُنْهَزِمًا مِن قُراجا السَّاقِى فآوَاه وخدَمَه خدمةً تامَّةً ، وداوَى جِراحَه وأقامَ عندَه خمسةَ عشَرَ يومًا ، ثم ارْتحَل إلى بلَدِه المَوْصِلِ . ثم اتَّفق أنَّ نجمَ الدينِ أيُّوبَ عاقَب رجلًا نَصْرانيًّا فقتَله ، وقيلَ : إنَّما قتَله أخوه أسَدُ الدينِ شِيرَكُوه . وهذا الذى ذكَره القاضى ابنُ خَلِّكانَ قال[2] : رجَعتْ جارِيَةٌ مِن بعْضِ الخدَمِ ، فذكَرتْ أنَّه تعرَّضَ لها إسفهسلارُ الذى ببَابِ القلْعَةِ ، فخرَج إليه أسدُ الدينِ شِيرَكُوه ، فطعَنه بحَرْبَةٍ فقتَله ، فحبَسه أخوه نجمُ الدينِ أيوبُ ، وكتَبَ إلى مُجاهِدِ الدينِ بِهْروزَ يخبرُه بصُورَةِ الحالِ ، فكتَب إليه يقولُ : إنَّ أباكُما كانتْ له علىَّ خدمةٌ - وكان قدِ اسْتَنابَه فى هذه القلْعَةِ قبلَ أبيه نجمِ الدينِ أيُّوبَ - وإنِّى أكْرَهُ أنْ أسُوءَكُما ، ولكنِ

---

(١) فى الأصل، خ، م: «الشماس»، وفى ص: «السمامس». والمثبت من الروضتين. والسماسر: جمع سمسار، وهو الذى يبيع البز. التاج (س م س ر).
(٢) وفيات الأعيان ١/ ٢٥٧.

انْتَقِلَا منها . فأخْرجَهُما بِهْروزُ مِن قلْعَتِه ، وفى ليلةِ خُروجِه منها وُلِدَ له الملكُ الناصِرُ صلاحُ الدينِ يُوسُفُ . قال[1] : فتشاءَمْتُ به ؛ لفَقْدِى بلَدِى ووَطَنِى ، فقال لى بعضُ الناسِ : قد نَرَى ماأنتَ فيه مِنَ التشاؤمِ بهذا المؤْلُودِ ، فما يُؤمِنُكَ أنْ يكونَ هذا المولودُ مَلِكًا عظيمًا له صِيتٌ كبيرٌ ؟ فكانَ كذلك ، فاتَّصَلا بخدْمَةِ الملكِ عمادِ الدينِ زَنْكِىّ ، ثم كانَا عندَ ابنِه نُورِ الدينِ محمودٍ الملكِ العادلِ وتقدَّما عندَه ، [٩/٢٦٥و] وعَظُمَا ، فاسْتنابَه الملكُ نُورُ الدينِ بِبَعْلَبَكَّ ، ولمَّا سُلِّمت إليه أقامَ بها مدةً طويلةً ، ووُلِد له بها أكثرُ أوْلادِه ، ثم كان مِن الأمرِ ، ما ذكَرْناه فى دخولِه الديارَ المصريةَ ، وصيرورةِ الأميرِ نجمِ الدينِ إلى ابنِه بها فى سنةِ أربعٍ وستين ، ثم اتَّفق أنَّه فى ذى الحِجَّة سقَطَ عن فرَسِه وماتَ بعدَ ثمانيةِ أيامٍ فى اليومِ السابعِ والعِشْرِينَ مِن ذى الحِجَّةِ من هذه السنةِ ، وكان ابنُه الملكُ صلاحُ الدينِ محاصِرًا للكَرَكِ والشَّوْبكِ ، فلمَّا وصَله الخبرُ تألَّم لعدمِ حضُورِه ذلك ، وأرسَل يتحرَّقُ ، ثم أنشَد يقولُ[2] :

وتخطَّفَتْه يدُ الرَّدَى فى غَيْبَتِى ‏ ‏ ‏ ‏ هَبْنِى حضَرْتُ فكنْتُ ماذا أصْنَعُ

وقد كان نَجْمُ الدينِ أيُّوبُ كثيرَ الصلاةِ والصيامِ والصدقةِ ، كريمَ النفسِ ، جَوادًا مُمدَّحًا . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[3] : وله خَانِقَاه بالديارِ المِصْرِيَّةِ ، ومسجدٌ وقناةٌ خارِجَ بابِ النَّصْرِ فى القاهرةِ ، وقَفَها فى سنةِ سِتٍّ وستِّينَ ، وله بدِمَشْقَ خَانِقَاه أيضًا ، تعرفُ بالنَّجْمِيَّةِ . وقدِ اسْتَنابَه ابنُه على الديارِ المصريةِ حينَ خرَجَ إلى الكَرَكِ ، وحكَّمه فى الخزائنِ ، فكان مِن أكرمِ الناسِ ، وقد امْتدَحه الشعراءُ

---

(١) الروضتين ١/ ٥٣٩.

(٢) الروضتين ١/ ٥٣٤، ووفيات الأعيان ١/ ٢٥٩.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢٥٧، ٢٥٩.

كالعمادِ الكاتبِ وعرقلةَ وعُمارةَ اليمنىِّ وغيرِ واحدٍ، ورثَوه حينَ ماتَ بمَراثٍ كثيرةٍ، وقد ذكَر ذلك مُسْتَقْصًى الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ فى كتابِه «الروْضَتيْنِ»[(١)] ، ولما مات دُفِنَ مع أخيه أسَدِ الدينِ شِيرَكُوه بدارِ الإمارَةِ، ثم نُقِلَا إلى المدينةِ النبوِيَّةِ فى سَنةِ ثمانين، فدُفِنَا بتُرْبَةِ الوزيرِ جمالِ الدينِ المَوْصِلىِّ، الذى كان مُؤَاخِيًا لأسَدِ الدينِ شِيرَكُوه.

قال شهابُ الدينِ أبو شامةَ[(٢)] : وفى هذه السنةِ تُوفِّى **ملكُ النُّحاةِ الحسَنُ بنُ صافى**[(٣)] .

يَزْدنُ التُّرْكِىُّ[(٤)] ، كان مِن أكابرِ أُمراءِ بَغْدادَ المُتحكِّمِينَ فى الدولةِ، ولكِنَّه كان رافِضِيًّا خَبيثًا مُتعصِّبًا للروافضِ، وكانُوا فى خِفارتِه وَجاهِهِ، حتى أراحَ اللَّهُ المسلمين منه فى هذه السنَةِ فى ذى الحِجَّةِ منها، ودُفِنَ بدارِه، ثم نُقِل إلى مقابرِ قريشٍ، فللَّهِ الحمدُ. وحينَ ماتَ فرِح أهلُ السُّنَّةِ بموتِه، وغضِبَ الشيعَةُ مِن ذلك، وكان بسببِ ذلك فتنةٌ. وذكَر ابنُ السَّاعِى فى «تاريخِه» أنَّه كان فى صِغَرِه شابًّا حسنًا مليحًا، قال: ولشَيْخِنا أبى اليُمْنِ الكِنْدىِّ فيه وقد رمِدَتْ عينُه:

بكلِّ صباحٍ لى وكلِّ عَشِيَّةٍ ... وقوفٌ على أبْوابكُم وسَلامُ
وقد قيلَ لى يشْكو سَقَامًا بعَيْنِه ... فها نحنُ منها نشْتَكِى ونُضَامُ

---

(١) الروضتين ١/ ٥٤٠.
(٢) المصدر السابق ١/ ٥٢٤.
(٣) بعده فى م: «بن». وانظر ترجمته فى: خريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/ ٨٨، وإنباه الرواة ١/ ٣٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣١٤، والوافى بالوفيات ١٢/ ٥٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٦٣.
(٤) المنتظم ١٨/ ٢٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٢٧.

ثم دخلت سنة تسعٍ وستّين وخَمْسِمِائةٍ(١)

قال ابنُ الجَوْزِىِّ فى « المُنْتَظَم »(٢) : إنَّه سقط عندَهم بَرَدٌ كبارٌ كالنَّارَنْجِ ، ومنه ما وَزْنُه سَبْعَةُ أرْطالٍ ، ثم عَقِبَ ذلك زيادةٌ عظيمةٌ بدِجْلةَ ، لم يُعْهَدْ مثلُها أصلًا ، فخرَّبت شيئًا كثيرًا مِن العُمْرانِ والقُرَى والمَزارعِ حتى القبورِ ، وخرَج الناسُ إلى الصَّحْراءِ ، وكثُرَ الضَّجيجُ والابْتِهالُ فى الدعاءِ حتى فرَّجَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، وتناقَصَتْ زِيادَةُ الماءِ ، فللهِ الحمدُ ربِّ الأرضِ والسماءِ ، وأمَّا المَوْصِلُ فإنَّه كان بها نحوٌ [٩/٢٦٥ظ] مما كان ببغدادَ وأكثرُ ، وانهدَمَ بالماءِ نحوٌ مِن ألْفَىْ دارٍ ؛ واسْتُهدِمَ بسببِه مثلُ ذلك ، وهلَكَ تحتَ الهدْمِ خلقٌ كثيرٌ ، وكذلك الفُرَاتُ زادَتْ زِيادةً عظيمةً أيضًا ، فهلَكَ بسببِها شىءٌ كثيرٌ مِنَ القُرَى ، وغلَتِ الأسْعارُ بالعِراقِ فى هذه السنةِ فى الزُّروعِ والثِّمارِ ؛ ووَقَع الوباءُ فى الغنَمِ ، وأُصِيبَ شىءٌ كثيرٌ ممَّنْ أكَل منها بالعراقِ وغيرِها .

قال ابنُ السَّاعِى : وفى رمضانَ(٣) توالَتِ الأمْطارُ بديارِ بَكْرٍ والمَوْصِلِ أربعينَ يومًا وليلةً لم يرَوا الشمسَ فيها سِوَى مرَّتَيْنِ ؛ لحْظَتَيْنِ يسِيرَتَيْنِ ، فتهدَّمَتِ البُيوتُ والمساكِنُ على أهْلِها ، وزادَت دِجْلَةُ بسببِ ذلك زيادةً عظيمةً ، وغرِقَتْ كثيرٌ مِن مساكنِ بَغْدادَ والمَوْصِلِ ، ثم تناقَص الماءُ بإذْنِ اللَّهِ ، عزَّ و جلَّ .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٠٤، والكامل ١١/ ٤٠٩.
(٢) المنتظم ١٨/ ٢٠٤.
(٣) فى خ، م: « شوال منها ». وانظر الكامل ١١/ ٤٠٩.

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] : وفى رجَبٍ وصَل [2]ابنُ الهَرَوِىِّ[2] مِن نُورِ الدينِ ومعه ثيابٌ مصريةٌ ، وحِمارَةٌ ملوَّنَةٌ ؛ جلْدُها مُخَطَّطٌ مثلُ الثوبِ العتَّابِىِّ . قال : وعُزِلَ ابنُ الشَّاشىِّ[3] من تدْريسِ النِّظَامِيَّةِ ووَلِى أبو الخيْرِ القَزْوِينىُّ . قال : وفى جُمادَى الآخرةِ اعْتُقِلَ المُجِيرُ الفقيهُ ونُسِبَ إلى الزَّنْدَقَةِ والانْحِلالِ وتَرْكِ الصَّلاةِ والصَّومِ ، ثم تعصَّبَ له أُناسٌ وزَكَّوه فأُخرِجَ . وذَكَرَ أنَّه وعَظَ [4]بالحَرْبِيةِ ذاتَ يومٍ[4] فاجْتَمَعَ عندَه قرِيبٌ من ثلاثين ألفًا[5] .

قال ابنُ السَّاعِى : وفيها سقَط أبو العباسِ أحمدُ بنُ أميرِ المؤمنين المُسْتَضِىءِ مِن قُبَّةٍ شاهقَةٍ إلى الأرضِ فسَلِمَ وللَّهِ الحمدُ ، ولكِنْ نَبَتْ[6] يدُه اليُمْنَى وساعِدُ يدِه اليُسْرَى ، وانْسلَخ شىءٌ مِن أنفِه ، وكان معه خادِمٌ أسْوَدُ يقالُ له : نجاحٌ . فلمَّا رأى سيِّدَه قد سقَط ، ألقَى هو نفْسَه أيضًا ، وقال : لا حاجَةَ لى بالحياةِ بعدَه . فسَلِمَ أيضًا ، فلمَّا صارَتِ الخِلافَةُ إلى أبى العباسِ الناصرِ - وهو هذا الذى قد سقَط - لم ينسَهَا لنجاحٍ هذا ، فحكَّمه فى الدولةِ وأحْسَن إليه[7] .

وفيها سارَ الملكُ نورُ الدينِ نحوَ بلادِ الرومِ وفى خدْمَتِه الجيشُ وملكُ الأرْمَنِ وصاحبُ مَلَطْيَةَ ، وخلقٌ مِن الملُوكِ والأمراءِ ، وافْتَتَحَ عدَّةً مِن حصُونِهم ، وللَّهِ الحمدُ ، وحاصَرَ قلْعَةَ الرومِ فصالحَه صاحِبُها بخَمْسِين ألفَ دينارٍ ؛ جزْيَةً ، ثم عادَ

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٠٤.

(٢ - ٢) فى الأصل : « ابن الشهرزورى » ، وفى خ ، م : « ابن الشهرزورى من عند » . وفى ص : « الشهرزوزى » . والمثبت من المنتظم ١٨/ ٢٠٤.

(٣) فى خ ، م ، ص : « الشامى » .

(٤ - ٤) فى م : « بالحدثية » والحربية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب . معجم البلدان ٢/ ٢٣٧.

(٥) الذى فى المنتظم ٢٠٣/١٨ : أنهم كانوا نحو ثلاثمائة ألف .

(٦) فى الأصل : « وينت » ، وفى ص : « قتيت » . ونبت يده : أى تباعدت . اللسان (ن ب و) .

(٧) بعده فى خ ، م : « وقد كانا صغيرين لما سقطا » .

إلى حَلَبَ وقد وجَد النجاحَ فى كلِّ ما طلَبَ ، ثم عادَ إلى دِمَشْقَ مؤيَّدًا منصورًا مسْرُورًا مَحْبُورًا .

وفى هذه السنةِ كان فتحُ بلادِ اليَمنِ للملكِ صلاحِ الدينِ يُوسُفَ بنِ أيوبَ ، وكان سبَبَ ذلك أنه بلَغه أنَّ بها رجُلًا يقالُ له : عبدُ النبيِّ بنُ مَهْدِىٍّ . قد تغلَّبَ عليها ودَعَا إلى نفسِه وتسمَّى بالإمامِ ، وزعَم[1] أنَّه سيَمْلِكُ الأرضَ كلَّها ، وقد كان أخوه علىُّ بنُ مَهْدىٍّ قد تغلَّبَ قبلَه على اليمنِ ، وانْتزَعَها مِن أيْدى أهلِ زَبِيدَ[2] ، وماتَ سنةَ ستِّين فملَك بعدَه أخُوه هذا ، وكلٌّ منهما كان سيِّئَ السيرةِ والسَّريرَةِ ، فعزَم الملكُ صلاحُ الدينِ ، لكَثْرَةِ جيْشِه وقُوَّتِه ، على إرسالِ سريَّةٍ إليه ، وكان أخوه الأكبرُ شمسُ الدولةِ شُجاعًا مهيبًا بطَلًا ، وكان ممَّنْ يُجالِسُ عُمارةَ اليمنىَّ الشاعِرَ ، فكان ينْعَتُ له بلادَ اليَمنِ وحُسْنَها وكثْرَةَ خَيْرِها ، فحدَاه ذلك على أنْ خَرَج فى هذه السَّرِيَّةِ فى رجَبٍ مِن هذه السَّنَةِ ، فورَد مكَّةَ ، شرَّفها اللَّهُ ، فاعْتَمَر بها ثم سار منها إلى زَبِيدَ ، فخرَج إليه عبدُ النبىِّ [٩/ ٢٦٦و] فقاتَله فهزَمه تُورانشاه ، وأسَره وأسَر زوْجتَه الحُرَّةَ ، وكانتْ ذاتَ أمْوالٍ جزيلةٍ فاسْتقَرَّها على أشياءَ نفيسةٍ ، وذخائرَ جليلةٍ ، ونهَبَ الجيشُ زَبِيدَ ، ثم سار إلى عَدَنَ فقاتَله ياسرٌ[3] مَلِكُها فهزَمه تورانشاه وأسَره ، وأخَذ البلدَ بيَسيرٍ مِن الحصارِ ، ومنَع الجيشَ مِن نَهْبِها ، وقال[4] : ما جِئْنَا لنخرِّبَ البلادَ ، وإنَّما جئْنَا لعمارَتِها ومُلْكِها . ثم سارَ فى الناسِ سيرةً حسنةً عادِلةً فأحبُّوه ، ثم تسلَّمَ بقيةَ الحصُونِ والمعاقِلِ

---

(١) فى الأصل ، ص : « يزعم لأصحابه » .

(٢) زبيد : مدينة مشهورة باليمن . معجم البلدان ٢/ ٩١٥.

(٣) فى الأصل : « بامير » ، وفى ص : « بامر » . وانظر الكامل ١١/ ٣٩٧.

(٤) الكامل ١١/ ٣٩٧.

والمَخَالِيفِ ، واسْتَوْسَقَ له مُلْكُ اليمَنِ بحَذافِيرِه وألْقَى إليه بأفلاذِ كبدِه ومَطاميرِه ، وخطَب فيها للخليفةِ العباسِيِّ أبى محمدِ الحسنِ المستضىءِ ، وقَتل الدَّعِيَّ المسمَّى بعبدِ النبيِّ ، وصفَتِ اليمنُ مِن أكْدارِها ، وعادَتْ إلى ما سبَق مِن مضْمارِها ، وكتَب بذلك إلى أخيه الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ يُخبِرُه بما فتَح اللَّهُ عليه ، وأحْسَنَ إليه ، فكتَب الملكُ صلاحُ الدِّينِ بذلك إلى نُورِ الدِّينِ ، فأرسَل نُورُ الدينِ بذلك إلى الخليفةِ يبشِّرُه بفتحِ اليمنِ والخُطْبَةِ بها له .

وفيها خرَج المُوَفَّقُ خالدُ بنُ القَيْسَرانيِّ مِن الديارِ المصْرِيَّةِ ، وقد أقامَ له الملكُ الناصرُ حسابَ الدِّيارِ المصريَّةِ وما خرَج مِن الحواصِلِ حسبَما رسَمَ به الملكُ نورُ الدينِ كما تقدَّم ، وقد كادَ الملكُ الناصرُ - لمَّا جاءَتْه الرسالةُ بذلك - يُظْهِرُ شَقَّ العصَا ويُكاشِرُ[1] بالمُخالَفةِ والإباءِ ، ولكن عادَ إلى طِباعِه الحسنَةِ وأظهَر الطَّاعةَ المُسْتَحْسنَةَ ، وأمَر بكتابَةِ الحسابِ وتحْريرِ الكتابِ فامتثَل[2] ذلك جماعةُ الدَّواوينِ والحسابِ والكُتَّابِ ، وبعَث مع ابنِ القَيْسَرانيِّ بهَديَّةٍ سَنيَّةٍ وتحَفٍ هائلةٍ هَنِيَّةٍ ، فمِنْ ذلك خمسُ خَتَماتٍ شريفاتٍ مغطَّاتٍ[3] بخُطوطٍ مسْتوياتٍ ، ومائةُ عِقْدٍ مِن الجواهِرِ النَّفِيساتِ ، خارجًا من قِطَعِ البلخشِ والياقوتِ ، والفُصوصِ والثيابِ الفاخِراتِ ، والأوانِى والأباريقِ والصِّحافِ الذهبيّاتِ والفضيّاتِ ، والخُيولِ ، والغِلْمانِ والجوارِى الحسانِ والحسناتِ ، ومن الذهبِ عشَرَةُ صنادِيقَ مُقفَلاتٍ مختوماتٍ ، ممَّا لا يُدرَى كم عدَّةُ ما فيها مِن مِئِينَ أُلُوفٍ مِن الذهَبِ المصرىِّ

---

(١) فى خ ، م : « والجواب فبادر إلى » .

(٢) فى خ ، م : « يواجه » ، وكَشَرَ فلان لفلان إذا تنمر له وأوعده . اللسان (ك ش ر) .

(٣) فى الأصل ، ص : « معظمات » . وانظر الروضتين ١/ ٥٥٨.

المُعَدِّ للنَفقاتِ . فلمَّا فصَلتِ العيرُ مِن الديارِ المصريَّةِ لم تَصِلْ إلى الشَّامِ حتى كانت وفاةُ الملكِ نورِ الدينِ ، رحِمهُ اللَّهُ ، فأرسَلَ الملكُ الناصرُ مَنْ ردَّها عليه وأعادَها إليه ، ويقالُ : إنَّ منها ما عُدِىَ عليه ، وعلِم بذلك حينَ وُضِعَت بينَ يَدَيه .

مقْتَلُ عُمَارَةَ بنِ أبى الحسَنِ بنِ زَيْدانَ الحكَمىِّ[1] ، مِن قَحْطَانَ ، أبى محمدٍ الملَقَّبِ بنَجْمِ الدِّينِ ، اليمنىِّ الشاعرِ الفقيهِ الشافعىِّ . وسببُ قتْلِه أنَّه اجْتَمَع جماعةٌ مِن رُءوسِ الدولةِ الفاطِميَّةِ الذين كانوا حُكَّامًا فاتَّفَقُوا فيما بيْنَهم أنْ يُعيدوا الدولةَ الفاطِميَّةَ ، فكتَبُوا إلى الفِرنجِ يَسْتَدْعُونَهم إليهم ، وعيَّنُوا خليفةً مِن ذُرِّيَّةِ الفاطمِيِّين ووَزِيرًا وأمراءَ ، وذلك فى غَيْبةِ السلْطانِ ببلادِ الكَرَكِ ، ثم اتَّفَقَ مَجيئُه فحرَّضَ عمارةُ اليمنىُّ شمسَ الدولةِ تُورَانشَاه على المسيرِ إلى اليمَنِ ؛ ليَضْعُفَ بذلك الجيشُ عن مُقاومَةِ الفِرنْجِ إذا قدِمُوا لنُصْرَةِ [٢٦٦/٩ظ] الفاطمِيِّين ، فخرَج تُورانشَاه ولم يخرُجْ معه عمارةُ ، بل أقامَ بالقاهرةِ يُفيضُ فى هذا الحديثِ ، ويُداخِلُ المُتَكَلِّمين فيه ، وكان مِن أكابرِ الدُّعاةِ إليه والمُحَرِّضِين عليه ، وقد أدخَلُوا معهم فى هذا الأمرِ مَن يُنْسَبُ إلى المَلِكِ الناصرِ ؛ وذلك مِن قلَّةِ عقلِهم وكثرةِ جهلِهم ، فخانَهم أحْوَجَ ما كانُوا إليه ؛ وهو الشيخُ زَيْنُ الدينِ علىُّ بنُ نَجا الواعظُ ، جاء إلى السلطانِ فأخبرَه بما تمالأ القومُ عليه ، وبما انتهَى أمرُهم إليه ، فأطلَقَ له السلْطانُ أموالًا جزيلةً ، وأفاضَ عليه حُلَلًا جميلةً ، ثم اسْتَدْعاهُمُ السلْطانُ واحِدًا واحِدًا فقرَّرَهم فأقرُّوا له بذلك ، فاعْتَقَلَهم ثم اسْتَفْتَى الفقهاءَ فى

---

(١) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٣/ ١٠١، ومرآة الزمان ٨/١/ ٣٠٢، والروضتين ١/ ٥٦٠، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٣١، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٥١.

أمرِهم فأفْتَوه بقَتْلِهم وتبديدِ شملِهم ، فعندَ ذلك أمَر بصَلْبِ رُءوسِهم وأعْيانِهم ، دونَ أتْباعِهم وغِلْمانِهم ، وأمَرَ بنَفْيِ مَن بَقِيَ مِن جيشِ العُبَيْديِّين إلى أقصَى البلادِ ، وأفرَد ذُرِّيَّةَ العاضدِ وأهلَ بيتِه فى دارٍ ، فلا يصِلُ إليهم إصْلاحٌ ولا إفْسادٌ ، وأجْرَى عليهم مِن الأرْزاقِ كفايتَهم ، وقد كان عمارةُ مُعادِيًا للقاضى الفاضلِ ، فلمَّا أُحضِر بينَ يدَىِ السلْطانِ ، قامَ القاضى الفاضِلُ فاجتَمَعَ بالسلطانِ ليَشْفَعَ فيه عندَه ، فتوَهَّمَ عُمارةُ أنَّه تكلَّم فيه ، فقال[1] : يا مَوْلَانا السلطانَ لا تسْمَعْ منه . فغضِبَ القاضِى الفاضِلُ وخرَج مِن القصرِ ، فقال له السلطانُ : إنَّه كان قد شفَع فيك . فندِم ندَمًا عظيمًا . ولمَّا ذُهِبَ به ليُصْلَبَ مَرَّ بدارِ القاضِى فطلَبَه فتغَيَّبَ عنه فأنشدَ[2] :

عبدُ الرحيمِ قدِ احْتَجَبْ إنَّ الخلاصَ هو العَجَبْ

قال ابنُ أبى طيٍّ[3] : وكان الذينَ صُلِبُوا ؛ المفضَّلَ[4] بنَ القاضى ، وهو أبو القاسمِ هبةُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ كاملٍ قاضى قضاةِ الديارِ المصْريَّةِ زمنَ الفاطِميِّينَ ، ويلقَّبُ بفَخْرِ الأُمناءِ ، وكان أوَّلَ مَن صُلِبَ فيما قالَه العمادُ الكاتبُ ، وقد كان يُنْسَبُ إلى فضيلةٍ وأدَبٍ ، وله شعرٌ رائقٌ ، فمِنْ ذلك قولُه فى غلامٍ رَفَّاءٍ[5] :

يا رافِيًا خَرْقَ كلِّ ثوبٍ و[6]يا رَشًا[6] حُبُّه اعْتِقادى

---

(١) الكامل ١١/ ٤٠٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الروضتين ١/ ٥٦١.

(٤) فى النسخ : « الفضل » ، والمثبت من الروضتين ١/ ٥٦١.

(٥) الروضتين ١/ ٥٧١، وخريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ١٨٧.

(٦ - ٦) فى م : « ومارفا ».

عسَى بكَفِّ الوِصالِ ترْفُو ما مَزَّقَ الهجْرُ مِن فُؤادى

وابنَ عبدِ القَوِىِّ داعِىَ الدُّعاةِ ، وكان يعْلَمُ بدفائنِ القصرِ فعُوقِبَ ليُعْلِمَ بها ، فامْتَنَعَ مِن ذلك فماتَ واندَرَسَتْ . (١والعُوريسَ الذى كان١) ناظِرَ الديوانِ ، وتولَّى مع ذلك القضاءَ . وشُبرُما[2] كاتبَ السِّرِّ . وعبدَ الصَّمدِ القشةَ[3] أحدَ أمراءِ المصْرِيِّينَ . ونجاحَ الحمّامىَّ ، ورجلًا مُنجِّمًا نصرانيًّا أرمنيًّا كان قد بشَّرَهم بأنَّ هذا الأمرَ يتِمُّ بعلْمِ النجومِ ، **وعُمارَةَ اليَمَنِىَّ الشاعِرَ** ، وقد كان شاعِرًا مُطَبِّقًا بليغًا فصِيحًا ، لا يُلْحَقُ شأْوُه فى هذا الشأنِ ، وله ديوانٌ مشْهورٌ وقد ذكَرْتُه فى « طبَقاتِ الشافِعيَّةِ » ؛ فإنَّه كان يشتغلُ بمذْهبِ الشافعىِّ ، وله تصنيفٌ فى الفرائضِ ، وكتابُ « الوزراءِ الفاطِمِيِّينَ » ، وكتابٌ جمَع فيه سيرةَ نفيسةَ التى كان يعتقدُها عوَامُّ مصرَ ، وقد كان أديبًا فاضلًا فقيهًا فصيحًا ، غيرَ أنَّه كان يُنْسَبُ إلى مُوالاةِ الفاطِميِّين ، وله فيهم وفى وزَرائِهم وأمْرائِهم مدائحُ كثيرةٌ جدًّا ، وأقلُّ ما نُسِب إلى الرفضِ ، وقد اتُّهِم باطنُه بالكُفرِ المَحْضِ .

وذكَر العمادُ فى « الخريدَةِ » أنَّه قال فى قصيدَتِه التى يقولُ فى أوَّلِها[4] :

العِلْمُ مُذْ كان مُحْتاجٌ إلى العَلَمِ وشفْرَةُ السيفِ تَسْتَغْنِى عنِ القَلَمِ

وهى طويلةٌ جدًّا فيها كفرٌ وزَنْدَقةٌ كثيرةٌ ، قال فيها :

قد كان [٩/٢٦٧و] أوَّلُ هذا الدِّينِ مِن رجُلٍ سعَى إلى أن دَعَوهُ سيِّدَ الأُمَمِ

(١ - ١) فى الأصل : « العورويس » ، وفى م ، والكامل : « العويرس » .

(٢) فى النسخ : « شبريا » ، والمثبت من الروضتين ١/ ٥٦١.

(٣) فى م : « الكاتب وهو » .

(٤) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٣/ ١٠٤.

قال العمادُ : فأفْتَى علماءُ مِصْرَ بقتلِه ، وحرَّضُوا السلطانَ على المُثْلَةِ بمثْلِه .
قال : ويجوزُ أنْ يكونَ هذا البيتُ معْمُولًا عليه . فاللَّهُ أعلَمُ . وقد أوْرَد ابنُ السَّاعِى شيئًا مِن رقيقِ شعْرِه ، فمِنْ ذلك قولُه يمدَحُ بعضَ الملُوكِ[١] :

مَلِكٌ إذا قابَلْتُ بِشْرَ جبينِهِ ... فارَقْتُهُ والبِشْرُ فوقَ جَبِيْنِى
وإذا لَثَمْتُ يمِينَهُ وخرَجْتُ مِن ... أبْـوابِـه لَـثَـم المُلُـوكُ يَمِـينِى

ومِن ذلك قولهُ يتغزَّلُ[٢] :

لى فى هوَى الرَّشأ العُذْرِىِّ أعْذارُ ... لم يَبْقَ لى مُذْ أقَرَّ الدمعُ إنكارُ
لى فى القُدودِ وفى لَثْمِ الخُدودِ وفى ... ضَمِّ النُّهـودِ لُبَانـاتٌ وأوْطَـارُ
هذا اخْتِيارِى فوافِقْ إنْ رَضِيتَ به ... أوْ لا فدَعْنِى لِمَا أهْوَى وأخْتارُ

ومِمَّا أنشَدَه تاجُ الدينِ الكِنْدىُّ فى عُمارةَ اليمنىِّ حينَ صُلِب[٣] :

عُمارةُ فى الإسْلامِ أبْدَى خِيانةً ... وبـايَـع فيهـا بِيْعَـةً وصَـلِيـبـا
وأمْسَى شَرِيكَ الشِّرْكِ فى بُغْضِ أحمدٍ ... فأصْبَح فى حُبِّ الصَّلِيبِ صَلِيبا
وكان خبيثَ المُلتقَى إن عَجَمتَهُ[٤] ... تَجِدْ مِنهُ عُودًا فى النفاقِ صَلِيبا
سيَلْقَى غدًا ما كانَ يسْعَى لأجلِه ... ويُسْقَى صَدِيدًا فى لَظًى وصَلِيبا

قال الشيخُ شهابُ الدينِ[٥] : فالأوَّلُ صليبُ النصارَى ، والثانى بمعْنى

---

(١) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٣/ ١٠٦، والروضتين ١/ ٥٧٢.
(٢) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٣/ ١٠٧، والروضتين ١/ ٥٧٢.
(٣) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٣/ ١٠٥، والروضتين ١/ ٥٦٦.
(٤) عجم العودَ : إذا عضَّه ليعرف صلابته من رخاوته . اللسان (ع ج م) .
(٥) الروضتين ١/ ٥٦٦.

مصْلُوبِ ، والثالثُ بمغْنَى القوىِّ ، والرابعُ ودَكُ العظامِ[1] .

ولمَّا صلَب الملكُ الناصِرُ هؤلاءِ - وكان ذلك يومَ السبتِ الثانى مِن شهرِ رمضانَ مِن هذه السنةِ بينَ القَصْرَيْن مِن القاهرةِ - كتَب إلى الملكِ نُورِ الدينِ يُعْلِمُه بما وقَع منهم وما أوقَع بهم مِن الخِزْىِ والنكالِ ، قال العمادُ[2] : فوصَل الكتابُ بذلك يومَ تُوفِّى المَلِكُ نورُ الدينِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وكذلك قتَل الملكُ صلاحُ الدينِ رجلًا مِن أهلِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ يقالُ له : قُديدٌ القفّاصُ[3] . قدِ افْتتَنَ به الناسُ ، وجعَلُوا له جُزْءًا مِن أكْسابِهم ، حتى النساءُ مِن أمْوالِهنَّ ، فأُحِيطَ به فأرادَ الخلاصَ ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ . فقُتِل أُسوةً بمَن سلَفَ ، ولقد كان بئسَ الخلَفُ ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ ، وبه التوفيقُ والعصمةُ .

ومِمَّا وُجِدَ مِن شعرِ عُمارةَ يَرْثِى العاضدَ ودولتَه وأيامَه[4] :

أَسَفِى على زَمَنِ الإمامِ العاضدِ ... أسفَ العَقيمِ على فِراقِ الواحدِ

جالَستُ مِن وُزَرائِه وصحِبتُ مِنْ ... أُمرائِه أهلَ الثناءِ الماجدِ

لَهْفِى على حُجُراتِ قَصْرِكَ إذْ خلَتْ ... يا ابنَ النبىِّ مِنَ ازْدِحامِ الوافدِ

وعلى انْفِرادِكَ مِن عساكِرِكَ الذى ... كانوا كأمْواجِ الخِضَمِّ الراكدِ

قلَّدْتَ مُؤْتَمَنَ الخلافةِ أمرَهمْ ... فكبَا وقصَّرَ عن صلاحِ الفاسدِ

فعسَى الليالِى أنْ تردَّ عليْكُمُ ... ما عَوَّدَتْكُم من جميلِ عوائدِ

---

(١) الودك : الدسم . اللسان (و د ك) . ولعل المقصود به ما يسيل من عظام أهل النار من القيح وغيره ، وانظر مصدر التخريج .

(٢) الروضتين ١/ ٥٦٢.

(٣) فى الأصل : « القصاص » ، وفى م : « القفاجى » . وانظر الروضتين ١/ ٥٦٦.

(٤) الروضتين ١/ ٥٦٩.

وله مِن جملةِ قصيدةٍ[(١)] :

يا عاذِلى فى هوَى أبناءِ فاطمةٍ	لكَ الملامَةُ إنْ قصَّرْتَ فى عَذْلى
باللّهِ زُرْ ساحةَ القَصْرَيْنِ وابْكِ مَعِى	عليهما لا عَلى صِفِّينَ والجَمَلِ
وقلْ لأهْلِهما واللّهِ ما التحَمَتْ	فيكم قُروحِى ولا جُرْحِى بمُنْدَمِلِ
ماذا ترَى كانتِ الإفْرَنْجُ فاعلةً	فى نسْلِ آلِ أميرِ المؤمنينَ عَلِى

وقد أورَدَ الشيخُ أبو شامةَ فى « الروْضَتَيْن » مِن أشعارِ عُمارةَ اليمنىِّ ومدائحِه فى الخلفاءِ الفاطميِّين وذويهم شيئًا كثيرًا ، وكذا القاضى ابنُ خَلِّكانَ .

ابنُ قُرْقُولٍ[(٢)] إبراهيمُ بنُ يوسفَ بنِ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللّهِ بنِ باديسَ [٩/ ٢٦٧ظ] **ابنِ القائدِ الحَمْزِىُّ أبو إسحاقَ بنُ قُرْقُولٍ الأندلسىُّ** ، صاحِبُ كتابِ « مطالعِ الأنْوارِ » الذى وضَعه على مثالِ[(٣)] كتابِ « مشارِقِ الأنْوارِ » للقاضى عِياضٍ ، وكان مِن علماءِ بلادِه وفُضلائِهم المشْهُورِين ، ماتَ فجأةً بعدَ صلاةِ الجُمُعةِ سادسَ شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ عن أرْبَعٍ وستِّين سنةً ؛ قالَه ابنُ خَلِّكانَ[(٤)] .

---

(١) الروضتين ١/ ٥٧٠.

(٢) فى خ : « قرول » . وفى م : « قسرول » . وفى ص : « قوقول » . وانظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ١/ ٦٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٣٢، والعبر ٤/ ٢٠٥، ومرآه الجنان ٤/ ١٧٠.

(٣) زيادة من وفيات الأعيان ١/ ٦٢.

(٤) وفيات الأعيان ١/ ٦٢.

فصلٌ فى وَفاةِ الملكِ العادلِ نُورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى بنِ آقْ سُنْقُرَ التُّركىُّ السَّلْجوقِىُّ فى هذه السنةِ، وذِكرُ شىءٍ مِن سيرتِه العادلةِ وأيامِه الكاملةِ

هو الملكُ العادلُ نورُ الدينِ، أبو القاسمِ محمودُ بنُ المَلِكِ الأتابِكِ قسِيمِ الدولةِ عمادِ الدينِ أبى سعيدٍ زَنْكى، المُلَقَّبِ بالشهيدِ بنِ الملكِ آقْ سُنْقُر الأتابِكِ الملقَّبِ بقَسِيمِ الدولةِ أيضًا، التركىُّ السَّلْجوقىُّ مؤْلَاهُم[1]، وُلِد وقتَ طُلوعِ الشمسِ يومَ الأحدِ السابعَ عشَرَ مِن شَوَّالٍ سنةَ إحْدَى عشْرَةَ وخمسِمائةٍ بحَلَبَ، ونشَأَ فى كَفالةِ والدِه صاحبِ حَلَبَ والمَوْصِلِ وغيرِهما مِن البلدانِ الكثيرةِ، وتعلَّم الفروسيةَ والرَّمْىَ، وكان شهْمًا شُجاعًا، ذا همةٍ عاليةٍ، وقصْدٍ صالحٍ، وحُرْمَةٍ وافرةٍ، ودِيانَةٍ مَتِينةٍ، فلمَّا قُتِل أبوه سنةَ إحْدَى وأربعين وهو محاصِرٌ جَعْبَرَ، كما ذكَرْنا، صارَ المُلْكُ بحَلَبَ إلى ابنِه هذا، وأعْطَاه أخوه سيْفُ الدينِ غازِى المَوْصِلَ، كما تقدَّم.

ثم افْتتَح الملكُ نورُ الدينِ دِمَشقَ فى سنةِ تسعٍ وأربعين، فأحسَن إلى أهْلِها وبنَى لهمُ المدارسَ والمساجدَ والرُّبُطَ، ووسَّعَ الطريقَ والأسواقَ، ووَضَع المُكوسَ بدارِ البِطِّيخِ، والغنمِ، والعَرْصَةِ، وغيرِ ذلك، وكان حنفىَّ المذْهبِ، يُحِبُّ العلماءَ والفقراءَ، ويكرِمُهم ويحتَرِمُهم، ويحسِنُ إليهم، ويقومُ فى أحْكامِه

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٠٩، والكامل ١١/ ٤٠٢، ومرآة الزمان ١/ ٣٠٥، والروضتين ١/ ٥٧٧، ووفيات الأعيان ٥/ ١٨٤، ومختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ١٢١، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٧٠.

بالمَعْدِلةِ الحسنةِ ، واتِّباعِ الشرعِ المُطَهَّرِ ، ويعقِدُ مجالسَ العَدْلِ ، ويتولَّاها بنفْسِه ، ويجتَمِعُ إليه القاضى والفقهاءُ والمُفْتون مِن سائرِ المذاهبِ ، ويجلِسُ فى يومِ الثلاثاءِ بالمسجدِ المُعلَّقِ ، الذى بالكشكِ ؛ ليصِلَ إليه كلُّ أحدٍ مِن المسلمين وأهلِ الذِّمَّةِ ، وأحاطَ السُّورَ على حارةِ اليهودِ ، وكان خَرابًا ، وأغلَق بابَ كَيْسانَ ، وفتَح بابَ الفرَجِ ، ولم يكُنْ قبلَه هناك بابٌ بالكُلِّيَّةِ ، وأظهَر ببلادِه السُّنَّةَ ، وأماتَ البِدْعَةَ ، وأمَر بالتأْذينِ بـ حيَّ على الصلاةِ ، حيَّ على الفَلاحِ ، ولم يَكُنْ يُؤَذَّنُ بهما فى دوْلتَىْ أبيه وجدِّه ، وإنما كان يُؤَذَّنُ بـحيَّ على خيرِ العملِ ؛ لأنَّ شعارَ الروافضِ كان ظاهرًا بها . وأقامَ الحدودَ وفتحَ الحصُونَ ، وكسَر الفِرنْجَ غيرَ مرةٍ ، واسْتَنقَذ مِن أيْدِيهم مَعاقِلَ كثيرةً مِن الحصُونِ المنيعةِ ، التى كانُوا قد اسْتَحوَذُوا عليها مِن بلادِ المسلمين ، كما تقدَّم بَسْطُ ذلك فى السنين المتقدِّمَةِ فى أيامِه .

وأقطَع أمراءَ العربِ إقطاعاتٍ ؛ لِئَلَّا يتعرَّضُوا للحَجِيجِ ، وبنَى بدِمَشقَ مَارَسْتَانًا حسنًا لم يُبْنَ فى الشامِ قبلَه مثلُه ولا بعدَه أيضًا ، ووَقَفَ وَقْفًا على مَن يعلِّمُ الأيتامَ الخَطَّ والقرآنَ ، وجعَل لهم نفقةً وكِسوةً ، وعلى مَن يُقْرِئُ الأيتامَ ، وعلى المجاوِرين بالحرمَيْنِ[1] .

وكان الجامِعُ داثِرًا ، فوَلَّى نظَرَه القاضىَ كمالَ الدينِ محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ الشَّهْرَزُورِىَّ المَوْصِلىَّ ، الذى قُدِم به فولَّاه قضاءَ القُضاةِ بدِمَشقَ ، فأصلَح أمورَه وفتَح المشاهِدَ الأربعةَ ، وقد كانتْ حواصِلُ الجامعِ بها مِن حينَ احْترَق سنةَ إحْدَى وستِّين وأربعِمائةٍ ، وأضافَ إلى أوْقافِ الجامعِ المعلُومَةِ الأوْقافَ التى لا يُعْرَفُ واقِفُوها ، ولا يُعرَفُ شرُوطُهم فيها ، وجعَلَها قلَمًا واحدًا ، وسمَّاه مالَ

(١) بعده فى خ ، م : « وله أوقاف دارة على جميع أبوب الخير وعلى الأرامل والمحاويج » .

المصالحِ ، فرتَّب عليه [٢٦٨/٩و] لذَوِى الحاجاتِ والفقراءِ والمساكينِ والأراملِ والأيْتامِ ، وما أشْبَهَ ذلك وشاكَله .

وقد كان الملكُ نورُ الدينِ حسنَ الخَطِّ ، كثيرَ المُطالعَةِ للكتُبِ الدينيةِ ، مُتَّبِعًا للآثارِ النبويَّةِ ، مُحافِظًا على الصَّلَواتِ فى الجماعاتِ ، كثيرَ التلاوةِ ، محبًّا لفعْلِ الخيراتِ ، عفيفَ البَطْنِ والفَرْجِ ، مُقْتَصِدًا فى الإنْفاقِ علَى نفْسِه وأهلِه وعيالِه فى المَطْعَمِ والمَلْبَسِ[1] ، لم تُسْمَعْ منه كلمةُ فُحْشٍ فى غضَبٍ ولا رِضًا .

قال ابنُ الأثيرِ[2] : لم يكُنْ فى ملوكِ الإسلامِ بعدَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ مثلُ المَلِكِ نورِ الدينِ ، ولا أكثرُ تحرِّيًا للعدلِ والإنْصافِ منه ، كان قد استفْتَى العلماءَ فى مقدارٍ يَحِلُّ له فى بيتِ المالِ ، فكان يتناولُه لا يزيدُ عليه . وكانتْ له دَكاكِينُ بحِمْصَ قدِ اشْتَرَاها ممَّا يخصُّه مِن المغانمِ ، فزاد كِرَاءَها لامرأتِه على نَفَقَتِها حينَ استَقَلَّتْها عليها .

وكان يكثِرُ اللَّعِبَ بالكرةِ ، فعاتَبه بعضُ الصالحين فى ذلك ، فقال[3] : إنما أُريدُ تَمْرِينَ الخيلِ ، وتعْليمَها الكرَّ والفرَّ . وكان لا يلْبَسُ الحريرَ ، ويأْكُلُ مِن كَسْبِ يدِه ، رحِمه اللَّهُ .

وركِب يومًا مع بعضِ أصْحابِه والشمسُ فى ظُهورِهما ، وظِلُّها بينَ أيْدِيهما لا يدْرِكانِه ، ثم رجَعا فصارَ الظلُّ وراءَهم ، فَساقَ الملكُ نورُ الدينِ وجعَل يلتَفِتُ وظلُّه يتْبَعُه ، ثم قال لصاحبِه[4] : قد شَبَّهْتُ ما نحنُ فيه بالدنيا ، تَهْرُبُ ممَّن

---

(١) بعده فى خ ، م : « حتى قيل : إنه كان أدنى الفقراء فى زمانه أعلى نفقة منه من غير اكتناز ولا استئثار بالدنيا » .

(٢) الكامل ١١/ ٤٠٣.

(٣) الروضتين ١/ ١٢.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٣.

يطْلُبُها ، وتطلُبُ مَن يَهْرُبُ منها . وقد أنشَد بعضُهم فى هذا المعنى[1] :

مثَلُ الرِّزْقِ الذى تطْلُبُه　　مثلُ الظلِّ الذى يمْشِى معكْ
أنتَ لا تُدْرِكُه مُتَّبِعًا　　فإذا وَلَّيتَ عنه تَبِعَكْ

وكان فَقِيهًا على مذْهبِ أبى حنيفةَ ، وسمِع الحديثَ وأسْمَعه ، وكان كثيرَ الصلاةِ بالليلِ مِن وقتِ السَّحَرِ إلى أنْ يركَبَ[2] :

جمَعَ الشجاعةَ والخشوعَ لدَيْهِ　　ما أحْسَنَ المِحْرابَ[3] فى المِحْرابِ

وكذلك كانتْ زوجتُه عصمتُ الدينِ خاتُون بنتُ الأتابِكِ مُعِينِ الدينِ أُنُرَ ، تُكثِرُ قيامَ الليلِ ، فنامَتْ ذاتَ ليلةٍ عن وِرْدِها ، فأصبحَتْ وهى غَضْبَى ، فسألها عن أمْرِها ، فذكَرَتْ ما حصَل لها مِن النومِ الذى قطَعها عن وِرْدِها ، فأمَر بضَرْبِ طَبْلخَانةٍ فى القَلْعَةِ وقْتَ السَّحَرِ ؛ ليُوقِظَها وأمثالَها مِن النومِ لقيامِ الليلِ[4] :

وألْبَس اللَّهُ هَاتِيكَ العِظامَ وإنْ　　بَلِينَ تحتَ الثَّرَى عفْوًا وغُفْرانَا
سقَى ثَرًى أُودِعُوه رَحْمَةً مَلأَتْ　　مَثْوى قُبورِهِمُ رَوْحًا ورَيْحانَا

وذكَر ابنُ الأثيرِ[5] أنَّ الملكَ نورَ الدينِ بينَما هو يومًا يلعَبُ بالكرةِ إذْ رأى رجلًا يحدِّثُ آخرَ ويُومِئُ إليه ، فبعَث الحاجِبَ ؛ ليسْأَلَه ما شأنُه ، فإذا هو رجلٌ معه رسولٌ مِن جهةِ الحاكمِ ، وهو يزعُمُ أنَّ له على الملكِ نورِ الدينِ حقًّا يريدُ

---

(١) الروضتين ١/١٣ .
(٢) الكامل ١١/٤٠٣، والروضتين ١/ ١٤.
(٣) فى خ ، م : « الشجعان » . والمحراب : كثير الحرب .
(٤) البيتان لأسامة بن منقذ قالهما فى مرثية رهطه لما هلكوا بشيزر عام الزلازل المتتابعة ، وكانت بدايتها فى رجب سنة إحدى وخمسين وخمسمائة . انظر الديوان ص ٣٠٩.
(٥) الروضتين ١/ ١٥.

خَلْوتَه وإيَّاه إلى القاضى ، فلمَّا أعْلَمه الحاجبُ بذلك ألْقَى الجُوكَانَ[1] مِن يَدِه ، وأقبَل مع خَصْمِه إلى القاضى كمالِ الدينِ الشَّهْرَزُورِىِّ ، وقد أرسَل إليه مِن أثناءِ الطريقِ أن لا تعامِلْنى إلَّا معاملةَ الخصومِ ، فحينَ وصَلَا وقَف نورُ الدينِ مع خَصْمِه ، حتى انْفصَلَتِ الحكومةُ ، ولم يَثْبُتْ للرجلِ حقٌّ ، بل ثبَت الحقُّ للسلطانِ ، فلمَّا تبيَّنَ ذلك قال السلطانُ : إنَّما جئتُ معه ؛ لِئَلَّا يتَخلَّفَ أحدٌ عن الحضورِ إلى الشَّرْعِ ، فإنَّما نحنُ شِحْنَكِيةٌ بينَ يَدَيه ، وأنا أعلَمُ أنَّه لا حقَّ له عندى ، ومع هـذا أُشْهِدُكم أنِّى قد ملَّكْتُه ذلكَ ووَهَبْتُه له .

[2]وأرسَل القاضى تاجُ الدينِ رسولًا [٩/٢٦٨ظ] مِن جهتِه يقالُ له : سويدٌ . ليُحْضِرَ الملكَ نورَ الدينِ إلى مجلسِ الحُكمِ لسماعِ دَعوى مِن رجلٍ عليه ، فبَلَّغ سويدٌ الرسالةَ إلى الحاجبِ ، فدَخَل عليه وهو يضحَكُ ويقولُ : ليقُمِ المَوْلى إلى القاضى لسماعِ دعوى . وكأنَّه يَستهزِئُ بذلك ، فقال له الملكُ : وما لكَ تَستهزئُ بذلك ! ثم قال : ائتونى بفرسِى . فنَهَض وهو يقولُ : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [النور : ٥١] . وذهَب إلى الحاكمِ وكان يومًا مَطِرًا ، كثيرَ الوَحَلِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى[2] .

قال ابنُ الأثيرِ[3] : وهو أوَّلُ مَن ابْتَنَى دارًا للعدلِ ، فكان يجلِسُ فيها فى الأسبوعِ يومين ، وقيل : أربعةً . وقيلَ : خمسةً . ويحضُرُ القاضى والفقهاءُ مِن المذاهبِ ، ولا يحجُبُه يومَئذٍ حاجبٌ بل يصِلُ إليه القوِىُّ والضعيفُ ، فيُكلِّمُ الناسَ ، ويسْتَفْهِمُهم ويخاطِبُهم بنفْسِه ، فيكشِفُ الظالمَ ، ويُنْصِفُ المظلومَ مِن

---

(١) الجوكان : المِحْجَن الذى تضرب به الكرة فى ألعاب الفروسية . صبح الأعشى ٥/ ٤٥٨.

(٢ - ٢) سقط من : خ ، م . والخبر فى الروضتين ١/ ٣٦ .

(٣) الروضتين ١/ ١٧، ١٨، ومرآة الزمان ١/ ٣٠٩.

الظالمِ ، قال : كان سبَبَ ذلك أنَّ أسدَ الدينِ شِيرَكُوه بنَ شاذِى كان قد عَظُم شأنُه ، حتى صارَ كأنَّه شرِيكُه فى المملكةِ ، واقْتَنَى الأمْلاكَ والأموالَ والمزارعَ والقُرَى ، فربَّما ظلَم نُوَّابُه جِيرانَهم فى الأراضِى ، وكان القاضى كمالُ الدينِ يُنْصِفُ كلَّ مَن اسْتَعْدَاه على جميعِ الأمراءِ إلَّا أسدَ الدينِ هذا ، فلمَّا ابْتَنَى الملكُ نورُ الدينِ دارَ العدلِ تقدَّمَ أسدُ الدينِ إلى نُوَّابِه أنْ لا يدَعُوا لأحَدٍ عندَه ظُلامةً ، وإنْ كان عظيمًا ، فإنَّ زوالَ مالِه أحبُّ إليه مِن أنْ يرَاه نورُ الدينِ بعَيْنِ ظالمٍ ، أو يُوقِفَه مع خَصْمٍ مِن العامَّةِ ، ففَعَلوا ذلك ، فلمَّا جلَس نورُ الدينِ بدارِ العَدْلِ مدةً مُتَطاوِلَةً لم يرَ أحدًا يَسْتَعْدِى على أسَدِ الدينِ ، فسأل القاضِىَ عن ذلك ، فأعْلَمه بصُورَةِ الحالِ ، فسَجد نورُ الدينِ عندَ ذلك شكْرًا للَّهِ ، وقال : الحمدُ للَّهِ الذى جعَل أصْحابَنا ينْصِفُون مِن أنفُسِهم .

وأمَّا شجاعتُه فكان يقالُ[1] : إنَّه لم يُرَ على ظهرِ الفرَسِ أحسنُ ولا أثبتُ منه . وكان يُحسِنُ اللعبَ بالكرةِ ورُبَّما ضرَبَها ثم يسوقُ وراءَها ويأخُذُها مِن الهواءِ بيَدِه ، ثم يرْمِيها إلى آخرِ الميدانِ ، ولم يُرَ جُوكَانُه يعْلُو على رأسِه ، ولا يُرَى الجُوكَانُ فى يدِه ؛ لأنَّ الكُمَّ ساترٌ لها ، ولكنَّه اسْتِهانةٌ بلعبِ الكرةِ .

وكان شُجاعًا صبُورًا فى الحربِ ، يُضرَبُ المثلُ به فى ذلك ، وكان يقول[2] : قد تعرَّضْتُ للشهادةِ غيرَ مرةٍ فلم يَتَّفِقْ لى ذلك . وقال له يومًا الفَقِيهُ قطبُ الدينِ النَّيْسَابُورِىُّ : باللَّهِ يا موْلَانا السلطانَ لا تُخاطِرْ بنَفْسِكَ ؛ فإنَّك لو قُتِلتَ قُتِل جميعُ مَن معكَ ، وأُخِذَتِ البلادُ . فقال : اسْكُتْ يا قُطْبَ الدينِ مَن هو

---

(١) الروضتين ١/ ١٨.
(٢) المصدر السابق ١/ ١٩.

محمودٌ ؟ مَن كان يحفَظُ البلادَ قبْلِي ؟ اللَّهُ لا إلهَ إلَّا هو . قال : فبَكَى مَن حضَر .

وقد أسَر بنفْسِه فى بعضِ الغزَواتِ بعْضَ ملوكِ الفِرنجِ ، فاسْتَشار الأمراءَ فيه هل يقْتُلُه أو يأخُذُ منه ما يبْذُلُ له مِن المالِ فى الفداءِ ؟ فاختَلفوا عليه ، ثم حسُنَ فى رأيِه إطلاقُه ، وأخْذُ الفداءِ ، فحينَ جهَّز بَعْثَ الفِداءِ مات ببلَدِه ، فأعْجَب ذلك نورَ الدينِ وأصْحابَه ، وابتَنَى نورُ الدينِ مِن ذلك المالِ البِيمارَسْتانَ الذى بُنِى بدمشقَ ، وهو أحسنُ ممَّا بُنِى مِن البِيمارَسْتاناتِ بالبلادِ ، ومِن شَرْطِه أنَّه على الفقراءِ والمساكينِ وإذا لم يوجَدْ بعضُ الأدويةِ التى يعِزُّ وجودُها إلَّا فيه فلا يُمْنَعُ منه الأغنياءُ ، ومَن جاءَ مستوصِفًا فلا يُمْنَعُ مِن شَرابِه ، ولهذا جاء إليه نورُ الدينِ وشرِب مِن شرابِه ، رحِمه اللَّهُ .

[٢٦٩/٩و] قلتُ : ويقولُ بعضُ الناسِ : إنَّه لم تَخْمُدْ منه النارُ منذُ بُنِى إلى زمانِنا هذا ، فاللَّهُ أعلمُ .

وقد بنَى الخاناتِ فى الطرقِ ، والأبْراجَ ، ورتَّب الخُفراءَ فى الأماكنِ المَخُوفَةِ ، وجعَل فيها الحَمامَ الهوادِىَ التى تطالِعُ الأخبارَ فى أسرعِ مدةٍ ، وبَنى الرُّبُطَ والخانقاهاتِ ، وكان يجمَعُ الفقهاءَ عندَه للبحثِ ، والمشايخَ والصوفِيَّةَ للزيارةِ ، ويكرِمُهم ويعظِّمُهم ، وقد نالَ بعضُ الأُمَراءِ عندَه مِن بعضِ العلماءِ ، وهو قطبُ الدينِ النَّيْسابُورِىُّ ، فقالَ له نورُ الدينِ[1] : وَيْحَكَ ! إنْ كانَ ما تقولُ حقًّا فله مِن الحسناتِ الكثيرةِ ما ليس عندَك ممَّا يكفِّرُ عنه سيئاتِ ما ذكَرْتَ إنْ كنتَ صادِقًا ، على أنِّى واللَّهِ لا أُصَدِّقُكَ ، وإنْ عُدْتَ ذكَرْتَه أو أحدًا غيرَه بسُوءٍ لأُدَّبَنَّكَ . قال : فكَفَّ عنه ولم يذْكُرْه بعدَ ذلك .

---

(١) الروضتين ١/ ٢٢.

وابْتَنى بدِمَشْقَ دارًا لسَماعِ الحديثِ وإسْماعِه ، قال ابنُ الأثيرِ[1] : وهو أوَّلُ مَن بنَى دارَ حديثٍ ، وقد كان مَهِيبًا وقُورًا شديدَ الهيْبَةِ فى قلُوبِ أمرائِه ، لا يتَجاسَرُ أحدٌ أنْ يجلِسَ بينَ يدَيْه إلَّا بإذْنِه ، ولم يكُنْ أحدٌ مِن الأمراءِ يجلِسُ بلا إذْنٍ سوى الأميرِ نجْمِ الدينِ أيُّوبَ ، وأمَّا أسدُ الدينِ شِيرَكُوه ومَجْدُ الدينِ ابنُ الدَّايَةِ نائبُ حلَبَ والأكابرُ وغيرُهم ، فكانُوا يقِفُون بينَ يدَيْه ، ومع هذا إذا دخَل أحدٌ مِن الفقهاءِ والفقراءِ قامَ له ومشى له خُطُواتٍ ، وأجْلَسه معه على سَجَّادَتِه وشرَع يحادثُه فى وقارٍ وسُكونٍ ، وإذا أعْطَى أحدًا منهم يقولُ[2] : هؤلاءِ لهم فى بيتِ المالِ حقٌّ أضعافُ ما أُعْطِيهم ، فإذا رَضُوا منَّا ببعضِه فلَهُمُ المِنَّةُ علَينا .

وقد سُمِع[3] عليه جزءُ حديثٍ وفيه : « فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ متقلِّدًا السيفَ » . فجعَل يتعجَّبُ مِن تغْيِيرِ عاداتِ الناسِ ، وكيفَ يربُطُ الأجْنادُ السيوفَ فى أوْساطِهم ولا يفْعَلُون هذا ، ثم أمَر الجندَ بأنْ لا يحْمِلُوا السيوفَ إلَّا مُتَقَلِّدِيها ، ثُم خرَج فى اليومِ الثانى إلى الموكبِ وهو مُتَقَلِّدٌ السيفَ وجميعُ الجيشِ كذلك ، يريدُ به الاقْتِداءَ برسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقصَّ[4] عليه وزيرُه موفَّقُ الدينِ خالدُ بنُ محمدِ بنِ نصْرِ بنِ صغيرٍ ، ابنُ القَيْسَرانىِّ الشاعرُ أنَّه رأَى فى منامِه أنَّه يغسِلُ ثِيابَ الملكِ نُورِ الدينِ ، فأمَره أنْ يكتُبَ مَناشِيرَ بوَضعِ المُكوسِ والضرائبِ عن البلادِ ، وقال : هذا تفسيرُ رُؤياكَ .

وكتَب إلى الناسِ يستَعجلُ منهم فى حِلٍّ ممَّا كان أخَذ منهم ، ويقولُ : إنَّما

(١) الروضتين ١/ ٢٣.

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٧.

(٤) المصدر السابق ١/ ٢٨.

صُرِف فى قتالِ أعْدائِكُم مِن الكَفَرةِ ، قبَّحهمُ اللَّهُ ولعَنهم .

وكتَب بذلك إلى سائرِ ممالِكِه وبُلْدانِ سُلْطانِه ، وأمَر الوُعَّاظَ أنْ يَسْتَحِلُّوا له مِن التُّجارِ لنورِ الدينِ ، وكان يقولُ فى سُجودِه[1] : اللَّهُمَّ ارْحمِ العَشَّارَ المَكَّاسَ . وقيلَ[2] : إنَّ بُرْهانَ الدينِ البَلْخِيَّ أنكَر على الملكِ نورِ الدينِ اسْتعانتَه فى الحروبِ بأمْوالِ المكوسِ ، وقال : كيف تُنْصَرون وفى عساكِرِكُم الخمورُ والطُّبولُ والزُّمورُ ؟! ويقالُ[3] : إنَّ سببَ وضْعِه المُكوسَ عن الناسِ أنَّ الواعِظَ أبا عثمانَ المُنْتَجَبَ بنَ أبى محمدٍ الواسِطِيَّ - وكان مِن الصالِحِين الكبارِ - أنشَد نورَ الدينِ[4] :

مـثِّـلْ وقـوفَـك أيُّـهـا المغْـرورُ	يـومَ الـقـيـامـةِ والـسـمـاءُ تَمُـورُ
إنْ قيلَ نورُ الدينِ رُحْتَ مُسلِّمًا	فاحْذَرْ بأنْ تبْقَى وما لَكَ نورُ
أنْهَيْتَ عن شُربِ الخمورِ وأنتَ مِن[5]	كـأسِ المظالمِ طـافحٌ مَـخْـمـورُ
عطَّلْتَ كـاسَاتِ المُدامِ تعَفُّفًا	وعـلـيـكَ كـاسـاتُ الحرامِ تـدورُ
ماذا تقولُ إذا نُقِلتَ إلى البِلى	فَـرْدًا وجـاءَكَ مـنـكَـرٌ ونـكـيـرُ
وتعلَّقَتْ فيكَ الخُصومُ وأنتَ [٩/٢٦٩ظ] فى	يومِ الحسابِ مُسَحَّبٌ مجرورُ
وتَفرَّقَتْ عنك الجنودُ وأنتَ فى	ضِيقِ اللُّحودِ مُوَسَّدٌ مقْبُورُ
ووددْتَ أنكَ ما وَلِيتَ ولايةً	يـومًـا ولا قـال الأنـامُ أمـيـرُ

(١) الروضتين ١/ ٢٨.
(٢) المصدر السابق ١/ ٣٨.
(٣) المصدر السابق ١/ ٢٨.
(٤) المصدر السابق ١/ ٢٨.
(٥) فى النسخ : « فى » والمثبت من الروضتين .

وبقِيتَ بعدَ العزِّ رَهْنَ حُفَيْرَةٍ فى عالمِ الموْتَى وأنتَ حقيرُ
وحُشِرْتَ عُرْيانًا حزينًا باكيًا قَلِقًا وما لكَ فى الأنامِ مُجيرُ
أرَضِيتَ أنْ تحْيَا وقلبُكَ دارِسٌ عافِى الخَرابِ وجسْمُكَ المعمُورُ
أَرضِيتَ أَنْ يَحْظَى سِوَاكَ بقُربهِ أبدًا وأنتَ مبَعَّدٌ مهجورُ
مهِّدْ لنفْسِكَ حُجَّةً تنْجُو بها يومَ المَعادِ لعلَّكَ المعذورُ

فلمَّا سمِعها الملكُ نورُ الدينِ بكَى ، وأمَر بوضْعِ المكوساتِ والضرائبِ فى سائرِ بلادِه .

وكتَب[1] إليه الشيخُ عمرُ الملَّاءُ مِن الموْصلِ ، وكان قد أمَر الولاةَ بها أنْ لا يَفْصِلُوا بها أمْرًا حتى يُعْلِمُوه ، فما أمَرهم به مِن شىءٍ امْتَثَلُوه - وكان مِن الصالحِين الزاهِدين ، وكان نورُ الدينِ يَسْتَقْرِضُ منه فى كلِّ شهرِ رمضانَ ما يُفطِرُ عليه ، فكان يرسِلُ إليه بفَتِيتٍ ورقاقٍ ، فيُفطِرُ عليه - كتَب إليه[2] : إنَّ المُفْسِدِين قد كَثُروا ، ويُحتاجُ إلى نوعِ سياسةٍ ، ومثلُ هذا لا يجِىءُ إلَّا بقتلٍ وصَلْبٍ وضربٍ ، وإذا أُخِذ مالُ إنسانٍ فى البرِّيَّةِ مَن يجِىءُ فيشهَدُ له ؟ فكتَب الملكُ نورُ الدينِ على ظهرِ الكتابِ : إنَّ اللَّهَ خلَق الخَلْقَ ، وشرَع لهم شريعةً ، وهو أعلَمُ بما يُصْلِحُهم ، ولو علِم أنَّ فى الشريعةِ زيادةً فى المصلحةِ لشرَعَها ، فما لنا حاجةٌ إلى الزيادةِ على ما شرَعه اللَّهُ تعالى . قال : فجَمَع الشيخُ عمرُ الملَّاءُ جمْعَ الناسِ بالمَوْصِلِ وأقرَأهمُ الكتابَ ويقولُ : انظرُوا إلى كتابِ الزاهدِ إلى الملِكِ ، وكتابِ الملكِ إلى الزاهدِ !

---

(١) الروضتين ١/ ٣٢.

(٢) أى : الشيخ عمر الملاء .

وجاءَ[1] إليه أخو الشيخِ أبى البَيانِ يسْتَعْدِيه على رجلٍ أنَّه يسُبُّه ويَرمِيه بأنَّه مُراءٍ مُتَنامِسٌ[2] ، وجعَل يبالِغُ فى شِكايتِهِ منه ، فقال له السلطانُ : أليس اللَّهُ تعالَى يقولُ : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] . فسكَت الشيخُ ولم يُحِرْ جوابًا .

وقال الفقيهُ أبو الفَتْحِ الأَشْتَرِىُّ[3] معيدُ النِّظامِيَّةِ ببَغْدادَ ، وكان قد جمَع سيرةً مختصرةً لنورِ الدينِ ، قال[4] : وكان يحافِظُ على الصلواتِ فى أوْقاتِها فى جماعةٍ بتَمامِ شُروطِها وأرْكانِها ورُكوعِها وسجُودِها ، وكان كثيرَ الصلاةِ بالليلِ ، والابْتِهالِ إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، فى أمورِه كلِّها .

قال[4] : وبلَغَنا عن جماعةٍ مِن الصوفيَّةِ ممَّن يُعْتَمدُ على قوْلِهم أنَّهم دخَلُوا بلادَ القدسِ للزيارةِ أيامَ الفرَنْجِ ، فسُمِع الكفارُ يقولُون : ابنُ القَسِيمِ - يعْنُونَ نورَ الدينِ - له مع اللَّهِ سِرٌّ ؛ فإنَّه ما يظْفَرُ علينا بكَثْرَةِ جُنْدِه وجيْشِه ، وإنَّما يظفَرُ علينا بالدعاءِ وصلاةِ الليلِ ، فإنَّه يصلِّى بالليلِ ، ويرفَعُ يدَه إلى اللَّهِ ويدْعُو ، فاللَّهُ سبحانَه وتعالى ، يستَجِيبُ له دعاءَه ويُعْطِيه سُؤْلَه ، وما يرُدُّ يدَه خائبةً ، فيظفَرُ علينا . قال : فهذا كلامُ الكفارِ فى حقِّه ، رحِمه اللَّهُ .

وحكَى الشيخُ شهابُ الدينِ[5] أنَّ الملكَ نورَ الدينِ وقَف بُسْتَانَ المَيْدانِ - سِوَى الغَيْضَةِ التى تَلِيهِ - نِصْفَه على تَطْييبِ جامعِ دمشقَ ، والنصفُ الآخرُ يُقْسَمُ أحدَ عشَرَ جزءًا ؛ جزآنِ منها على تَطْييبِ المدرسةِ التى أنْشَأها للحنفيَّةِ ، والتسعةُ

---

(١) الروضتين ١/ ٣٤، ٣٥.

(٢) أى : محتال . تاج العروس (ن و س) .

(٣) واسمه بَنْجير بن على ، توفى سنة (٥٧٩) هـ . توضيح المشتبه ١/ ٢٣٦.

(٤) الروضتين ١/ ٣٤.

(٥) الروضتين ١/ ٤١.

أجْزاءِ الباقيةُ على تَطْيِيبِ المساجدِ التسْعَةِ ؛ وهى جامعُ الصالحين بجبَلِ قاسِيُونَ ، وجامعُ القلعةِ ، ومسجدُ عطيَّةَ ، ومسجدُ ابنِ لَبيدٍ بالفسقارِ ، ومسجدُ الرمَّاحِينَ ، والمسجدُ العباسىُّ ، (١ والمسجدُ المُعَلَّقُ ١) بالصاغةِ ، ومسجدُ [٢٧٠/٩و] دارِ البِطِّيخِ المعلَّقُ ، والمسجدُ الذى جدَّدَه نورُ الدينِ جوارَ بِيعَةِ اليهودِ ، لكلٍّ مِن هذه المساجدِ جزءٌ مِن أَحَدَ عشَرَ جزءًا مِن النصفِ .

ومناقبُه ومآثرُه ومحاسِنُه كثيرةٌ جدًّا ، وقد ذكَرْنا نُبْذَةً مِن ذلك يُستدلُّ بها على ما عَداها .

وقد ذكَر الشيخُ شهابُ الدينِ فى أوَّلِ « الرَّوْضَتَيْنِ »[٢] شيئًا كثيرًا مِن ذلك ، وذكَر ما مُدِح به مِن القصائدِ ، وقد أورَدنا فى غبونِ دولتِه طرَفًا صالحًا مِن عدْلِه وقصْدِه الصالحِ ، وذكَرنا أنَّه لمَّا فتَح أسدُ الدينِ الديارَ المصريةَ ثم مات ، ثم تولَّى صلاحُ الدينِ هَمَّ بعَزْلِه عنها واسْتِنابةِ غيرِه فيها غيرَ مرَّةٍ ، ولكنْ يعوقُه عن ذلك القدرُ ، ويصُدُّه اقترابُ أجلِه وفراغُ عملِه ، ولكن كان فى هذه السنةِ - سنةَ تسعٍ وستِّين - وهى آخِرُ مدَّتِه ، قد صمَّم على الدُّخولِ إلى الديارِ المصريةِ ، وأرسَل إلى عساكرَ مِن بلادِ المَوْصِلِ وغيرِها ؛ ليكونُوا ببلادِ الشامِ ويركَبُ هو فى جمهورِ جيشِه إلى مِصْرَ ، وقد خافَ منه الملكُ صلاحُ الدينِ خوْفًا شديدًا . فلمَّا كان يومُ عيدِ الفطرِ مِن هذه السنَةِ وهو فى المَيْدانِ الأخضرِ القِبْلىِّ ، وصلَّى به الخطيبُ فيه صلاةَ العيدِ ، وكان ذلك يومَ الأحَدِ ، ورمَى القبقَ[٣] فى المَيْدانِ الأخْضَرِ

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من الروضتين ١/ ٤١.

(٢) الروضتين ١/ ٩.

(٣) القبق : لعبة من ألعاب الفروسية ، الغرض منها التدريب على الرماية .

الشمالىِّ ، والقَدرُ يقولُ له : هذا آخرُ الأعْيادِ . ومدَّ يومَ العيدِ سِماطًا حافلًا ، وأمَر بانْتِهابِه على العادةِ ، وطهَّر ولدَه الملكَ الصالِحَ إسماعيلَ فى هذا اليومِ ، وزُيِّن له البلدُ ، وضُرِبتْ البشائرُ للعيدِ ولِلخِتانِ ، وركِب يومَ الاثنينِ فى المَوْكبِ على العادةِ ، ثم لعِب بالكرةِ فى يومِه ، فحصَل له غيظٌ مِن بعْضِ الأمراءِ ، ولم يكُنْ ذلك مِن سجِيَّتِه ، فبادَر إلى القلعةِ وهو كذلك فى غايةِ الغضبِ ، وحصَل له انزعاجٌ ، ودخَل فى حَيْرةِ سوءِ المزَاجِ ، واشتَغَل بنفْسِه وإزعاجِه ، وتنكَّرَتْ عليه جميعُ حواسِّه وطِباعِه ، واحْتَبس أسْبُوعًا عن الناسِ ، والناسُ فى شغلٍ عنه بما هم فيه مِن اللعبِ والانْشراحِ بالزِّينةِ التى قد نصَبُوها ، فهذا يجودُ برُوحِه ، وهذا يروحُ بجودِه ، وانْعكَسَتْ تلك الأفراحُ بالأتْراحِ ، ونسَخ الجِدُّ ذلك المزاحَ ، وحصَلَتْ للملكِ خَوانِيقُ فى حلْقِه منَعَتْه مِن أداءِ المنطقِ ، وهذا شأنُ أوْجاعِ الخنَقِ ، وكان قد أُشِيرَ عليه بالفَصْدِ فلم يفعَلْ ، وكان أمْرُ اللَّهِ قدَرًا مقْدُورًا ، وكان ذلك فى الكتابِ مسطورًا .

فلمَّا كانَ يومُ الأرْبعاءِ الحادِى عشَرَ مِن شوَّالٍ مِن هذه السنةِ قُبِض إلى رحمةِ اللَّهِ تعالَى عن ثمانٍ وخمسين سنةً ، وله فى المُلْكِ ثمانٍ وعشرون سنةً ، رحِمه اللَّهُ ، وصُلِّى عليه بجامعِ القلعةِ بدِمَشْقَ ، ودُفِن بها حتى حُوِّل إلى تُربةٍ بُنِيتْ له ببابِ المدرسةِ التى أنشأها للحنفيَّةِ ، رحِمه اللَّهُ ، وبلَّ بالرحْمةِ ثَراه ، وجعَل الجنةَ مأواه .

وقد رثَاه الشُّعراءُ بمَراثٍ كثيرةٍ قد أوْرَدها أبو شامةَ فى « الروضتَين » . وما أحسَنَ ما قال العمادُ[1] :

---

(١) الروضتين ١/ ٥٨١.

عجِبْتُ مِن الموتِ كيف اهتَدَى   إلى مَلِكٍ فى سَجايَا مَلَكْ
وكيفَ ثَوَى الفَلَكُ المُستَدِيـ   ـرُ فى الأرضِ والأرضُ وسْطَ الفَلَكْ

وقال حسّانُ الشاعرُ الملقَّبُ بالعَرْقَلةِ فى مدرسةِ نورِ الدينِ حينَ دُفِن فيها[1] :

ومدرسةٍ سَيَدْرُسُ كلُّ شىءٍ   وتبْقَى فى حِمَى علمٍ ونُسْكِ
تَضَوَّعَ ذكْرُها شرْقًا وغربًا   بنُورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى
يقولُ وقولُه حقٌّ وصِدْقٌ   بغيرِ كِنايَةٍ وبغيرِ شَكٍّ
[٩/٢٧٠ظ] دمشقٌ فى المدائنِ بيتُ مُلْكِى   وهَذِى فى المدارسِ بيتُ مِلْكِى

وقبرُه مشهورٌ بدِمشقَ يُزَارُ ، ويُخَلَّقُ[2] شُبَّاكُه ، فيَطَّيَّبُ بريحِه كلُّ مارٍّ ، وإنَّما يقولُ الناسُ : نورُ الدينِ الشهيدُ . لِمَا حصَل له فى حلْقِه من الخَوانيقِ ، وكذا كان يُقالُ لأبيه : الشهيدُ . ويُلقَّبُ بالقَسِيمِ ، وكانتِ الفِرنْجُ يقولُون له : ابنُ القَسيمِ .

صفةُ الملكِ نورِ الدينِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى

كان طويلَ القامةِ ، أسمرَ اللونِ حُلْوَ العيْنَيْنِ واسِعَ الجبينِ ، حسنَ الصورةِ ، تُرْكِيَّ الشكلِ ، ليس له لحيَةٌ إلَّا فى حنَكِه ، مَهيبًا متواضِعًا ، عليه جلالةٌ ونورُ الإسلامِ وتعظيمُ قواعدِ الشرعِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٢١٨، والروضتين ١/ ٥٨٣.
(٢) يُخَلَّق : يُطَيَّب بالخَلُوق ، والخلوق ضرب من الطيب يتخذ من الزعفران وغيره . التاج (خ ل ق) .

فصلٌ

فلمَّا ماتَ الملكُ نورُ الدينِ فى شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ بُويعَ مِن بعدِه بالمُلْكِ لولَدِه الملكِ الصالحِ إسماعيلَ، وكان صغيرًا، وجعَل أتابِكَه الأميرَ شمسَ الدينِ ابنَ مقدَّمٍ، فاخْتلَفَ الأمراءُ وحارَتِ الآراءُ وظهرَتِ الشرورُ، وكثُرَتِ الخمورُ، وانْتَشَرتِ الفواحِشُ حتى إنَّ ابنَ أخيه سيْفَ[1] الدينِ غازِى بنَ مودودٍ صاحبَ المَوْصِلِ لمَّا تحقَّقَ موتَ عَمِّه - وكان محْصُورًا منه - نادَى مُنادِيه بالبلدِ بالمُسامحَةِ فى اللَّعبِ واللَّهوِ والشُّربِ والطَّربِ، ومع المنادِى دُفٌّ وقَدَحٌ ومِزْمارٌ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ. وقد كان ابنُ أخيه هذا وغيرُه مِن الملوكِ والأمراءِ الذين له حُكْمٌ عليهم، لا يستطيعُ أحدٌ منهم أن يفعَلَ شيئًا مِن المناكرِ والفَواحشِ، فلمَّا ماتَ مَرِج أمْرُهم وعاثُوا فى الأرضِ فسادًا وتحقَّقَ حينَئذٍ قولُ الشاعرِ[2]:

ألَا فاسْقِنِى خَمْرًا وقُلْ لى هى الخمرُ ... ولا تَسْقِنى سِرًّا إذا[3] أمْكَنَ الجَهْرُ

وطمِعَتِ الأعْداءُ مِن كلِّ جانبٍ فى المسلمين، وعزَم الفِرنْجُ على قَصْدِ دِمشقَ وانْتِزاعِها مِن أيدِى المسلمين، فبرَز إليهِمُ ابنُ مقدَّمٍ الأتابِكُ، فواقَعَهم عندَ بانْيَاسَ فضَعُفَ عن مُقاومَتِهم، فهادَنَهم مدةً، ودفَع إليهم أموالًا جزيلةً عجَّلَها لهم، ولولا أنَّه خوَّفَهم بقدومِ الملكِ صلاحِ الدينِ لمَا هادَنُوه. ولمَّا بلَغ ذلك السلطانَ الملكَ الناصرَ صلاحَ الدينِ بنَ أيوبَ صاحبَ الديارِ المصريةِ كتَب إلى الأمراءِ - وخاصَّةً إلى ابنِ مقدَّمٍ - يلُومُهم على ما صنَعُوا مِنَ المُهادنَةِ ودفْعِ

(١) فى الأصل: «شرف».
(٢) البيت لأبى نواس فى ديوانه ص ٢٧٣.
(٣) فى الأصل، ص، م: «وقد».

الأمْوالِ إلى الفِرنج ، وهم أقلُّ وأذَلُّ ، وأخْبرَهم أنَّه عزَم على قصدِ البلادِ الشامِيَّةِ لِيَحْفَظَها مِن الفِرنْجِ ، فرَدُّوا إليه كِتابًا فيه غِلْظَةٌ ، وكلامٌ فيه بشاعةٌ ، فلم يلتفِتْ إليهم . ومِن شدَّةِ خوْفِهم منه كتَبُوا إلى سَيْفِ الدينِ غازِى صاحبِ المَوْصِلِ ليملِّكُوه عليهم ؛ ليدفَعوا به الملكَ الناصرَ صاحبَ مصرَ ، فلم يفعَلْ ؛ لأنَّه خافَ أن يكونَ مكيدةً منهم له ، وذلك أنَّه كان قد هرَب منه الطَّواشِيُّ سعدُ الدولةِ[1] كُمُشْتِكِينُ الذى كان قد جعَله عندَه الملكُ نُورُ الدينِ عَيْنًا عليه ، وحافِظًا له مِن تَعاطِى ما لَا يليقُ مِنَ الفَواحِشِ والخمرِ واللعبِ واللهوِ ، فلمَّا ماتَ نورُ الدينِ ونادَى فى الموصلِ تلك المُناداةَ القبيحَةَ خافَ منه الطَّواشِىُّ المذْكورُ أن يُمسِكَه فهرَب منه سِرًّا ، فحينَ تحقَّق غازِى موتَ عمِّه تعِب فى طَلَبِ الخادِمِ ففاتَه ، فاستَحوَذ على حواصلِه ، ودخَل الطواشِىُّ حلَبَ ، ثم سارَ إلى دمشقَ فاتَّفقَ مع الأمراءِ على أنْ يأخُذَ ابنَ أستاذِه الملكِ الصالحِ إسماعيلَ إلى حلَبَ فيُرَبِّيه هُنالك ، وتكونُ دمشقُ مسلَّمةً إلى الأتابَكِ شمسِ الدولةِ بنِ مقدَّمٍ ، والقلعةُ إلى الطواشِىِّ جمالِ الدينِ ريحانٍ . فلمَّا سار الملكُ الصالِحُ مِن دمشقَ خرَج معه الأمراءُ والكُبَراءُ مِن دمشقَ إلى حلَبَ ، وذلك فى الثالثِ والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وحينَ وصَلُوا حلَبَ جلَس الصبىُّ على سريرِ مملكتِها واحْتاطُوا على بَنِى الدايةِ ؛ شمسُ الدينِ علىُّ بنُ الدايةِ - أخو مَجْدِ الدينِ الذى كان رَضِيعَ نُورِ الدينِ - وإخْوَتُه الثلاثَةُ ، وقد كان شمسُ الدينِ علىُّ بنُ الدايةِ يظُنُّ أنَّ ابنَ نورِ الدينِ يُسلِّمُ إليه [٩/٢٧١و] فيُرَبِّيه ؛ لأنَّه أحقُّ الناسِ بذلك ، فخيَّبُوا ظنَّه وسجَنُوه وإخوتَه فى الجُبِّ ، فكتَب الملكُ صلاحُ الدينِ إلى الأمراءِ يلُومُهم على نَقْلِ الولدِ مِن دمشقَ إلى حلَبَ ، ومِن سَجنِهم لبَنى الدايةِ وقد كانوا مِن خيارِ الأمراءِ ورُءوسِ الكُبَراءِ ، ولِمَ لا يسلِّمُون الولدَ إلى مَجدِ الدينِ بنِ الدايةِ الذى هو أحْظَى

---

(١) فى الروضتين : « سعد الدين أمين الدولة » .

الناسِ عندَ نُورِ الدينِ وعندَ الناسِ منهم ؟! فكتبُوا إليه يسيئون عليه الأدبَ ، وكلُّ ذلك ممَّا يَزيدُه حَنَقًا عليهم ، ويحرِّضُه على القُدومِ بجيشِه إليهم ، ولكنَّه فى هذا الوقتِ فى شُغْلٍ شاغلٍ لِمَا دهَم بلادَه مِن الأمْرِ الهائلِ ، كما سيأتى بَيانُه إن شاءَ اللَّهُ تعالَى فى أوَّلِ السنةِ الآتيةِ .

ومِمَّنْ تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ والمشاهيرِ :

الحَسَنُ بنُ (١) أحمدَ بنِ (١) الحسنِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ العَطَّارُ ، أبو العلاءِ الهَمَذانىُّ الحافظُ ، سمِع الكثيرَ ورحَل إلى بُلْدانٍ كثيرةٍ ، اجْتَمَعَ بالمشايخِ وقدِمَ بغدادَ وحصَّلَ الكُتبَ الكثيرةَ ، واشْتَغَل بعلمِ القراءاتِ واللغةِ ، حتى صار أوْحَدَ زمانِه فى عِلْمَيِ الكتابِ والسُّنَّةِ ، وصنَّفَ الكتبَ الكثيرةَ المفيدةَ ، و كان على طريقَةِ السَّلفِ مَرْضِىَّ الطريقةِ ، سخِيًّا عابدًا زاهِدًا ، صحيحَ الاعْتِقادِ حسنَ السَّمْتِ ، له ببلَدِه المكانةُ والقَبُولُ التامُّ ، وكانت وفاتُه ليلةَ الخميسِ الحادِى عشَرَ مِن جُمادى الآخرةِ مِن هذه السنَةِ ، وقد جاوَزَ الثمانين بأربعةِ أشهرٍ وأيَّامٍ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ (٢) : وقد بلَغَنى أنَّه رُئِى فى المنامِ أنَّه فى مدينةٍ جميعُ جُدْرانِها كتبٌ وحولَه كتبٌ لا تُحَدُّ ، وهو مشتغِلٌ بمُطالَعَتِها ، فقيلَ له : ما هذا ؟ فقال : سألتُ اللَّهَ أن يشْغَلَنِى بما كنتُ أشتغلُ به فى الدنيا فأعْطانى .

الأَهْوازِىُّ (٣) خازِنُ كتُبِ مَشْهَدِ أبى حنيفةَ ببغدادَ ، تُوفِّى فجأةً فى ربيعِ

(١ - ١) سقط من النسخ ، والمثبت من مصادر ترجمته الآتية : معجم الأدباء ٨/ ٥، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٠، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٣٤، والوافى بالوفيات ١١/ ٣٨٤، وغاية النهاية ١/ ٢٠٤، وبغية الوعاة ١/ ٤٩٤.

(٢) المنتظم ١٨/ ٢٠٨.

(٣) المصدر السابق ١٨/ ٢٠٩.

الأوَّلِ مِن هذه السنةِ ، وكذلك تُوفِّى أبوه وأخوه فجأةً كما مات ، رحِمهمُ اللَّهُ تعالى .

محمودُ بنُ زَنْكِى بنِ آقْ سُنْقُرَ ، السلطانُ الملكُ العادِلُ نُورُ الدينِ ، صاحِبُ بلادِ الشامِ وغيرِها مِن البُلْدانِ الكثيرةِ ، وقد تقدَّم فى ذكرِ الحوادثِ ، رحِمه اللَّهُ .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] : انتزَع نورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، مِن أيْدِى الكفارِ نَيِّفًا وخمسين مدينةً ، وقد كان يُكاتِبُنى وأكاتبُه ، رحِمه اللَّهُ تعالى . قال : ولمَّا حضَرتْه الوفاةُ أخَذ العهدَ على الأمراءِ مِن بعدِه لولَدِه - يعنى الصالحَ إسماعيلَ - وجدَّدَ العهدَ مع صاحبِ طَرابُلُسَ أن لا يُغِيرَ على الشامِ فى المدةِ التى كان مادَّه عليها ، وذلك أنَّه كان قد أسَره فى بعضِ غزواتِه وأسَر معه جماعةً مِن أهلِ دولتِه ، فافْتدَى نفسَه منه بثلاثِمائةِ ألفِ دينارٍ وخمسِمائةِ حصانٍ و خمسِمائةِ زَرَدِيَّةٍ ، ومثْلُها أتراسٌ وقنطورياتٌ ، وخمسِمائةِ أسيرٍ مِن المسلمينَ ، وعاهَدَه أن لا يُغِيرَ على بلادِ المسلمين إلى مدةِ سبْعِ سنِينَ وسبعةِ أشهرٍ وسبعةِ أيامٍ ، وأخَذ منه رهائنَ على ذلك ؛ مائةً مِن أولادِ أكابرِ الفِرنجِ وبَطارِقَتِهم ، فإن نكَث أراقَ دماءَهم ، وكان قد عزَم على فتحِ بيتِ المَقْدِسِ ، شرَّفه اللَّهُ ، فوافَتْه المَنِيَّةُ فى شوَّالٍ مِن هذه السنةِ . وكانت ولايتُه ثمانِ وعشرين سنةً وأشهرًا ، وقد تقدَّم ذلك . وهذا مُقْتَضَى ما ذكَره ابنُ الجوْزِىِّ ومَعْناه .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٠٩.

الخَضِرُ بنُ نَصْرِ [(1)] **بنِ عقيلٍ** [(1)] بنِ نَصْرِ الإِرْبِلِيُّ الفقيهُ الشافِعِيُّ، أولُ مَن درَّس بإِرْبلَ فى سنةِ ثلاثٍ وثلاثين [(2)] وخمسِمائةٍ، وكان فاضلًا دَيِّنًا، انتفَعَ به الناسُ، وكان قد اشْتَغَل [٩/٢٧١ظ] على إِلْكِيا الهَرّاسِيِّ وغيرِه ببغدادَ، وقدِم دمشقَ فأرَّخه ابنُ عساكِرَ [(3)]، وترجَمه القاضى ابنُ خَلِّكانَ فى «الوفياتِ»، وقال [(4)]: قبرُه يُزارُ، وقد زُرْتُه غيرَ مرةٍ رحِمه اللَّهُ تعالى.

وفيها [(5)] هلَكَ ملكُ الفِرنجِ مُرِّى لعنَه اللَّهُ، وأظنُّه ملكَ عَسْقَلانَ ونحوَها مِن البلادِ، وقد كان قارَبَ أن يملِكَ الديارَ المصريةَ لولا فضلُ اللَّهِ ورحمتُه بعبادِه المؤمنين [(*)].

(١ - ١) فى خ، م: «على». وانظر ترجمته فى: تاريخ دمشق ١٦/ ٤٤٩، ولم يذكر سنة وفاته، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٣٧، وتاريخ إربل ١/ ٣٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٦٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٨٣، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ٥٠. وقد ذكرته هذه المصادر ضمن وفيات سنة سبع وستين وخمسمائة.

(٢) فى الأصل، ص: «ستين».

(٣) تاريخ دمشق ١٦/ ٤٤٩.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٢٣٨.

(٥) الكامل ١١/ ٤١٩، والروضتين ١/ ٥٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٥٧.

(*) إلى هنا تنتهى النسخة الخليلية والمشار إليها بالرمز «خ».

ثم دخلت سنة سبْعِين وخَمْسِمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّتْ هذه السنةُ والسلطانُ الملكُ الناصِرُ صلاحُ الدينِ يوسفُ بنُ أيُّوبَ قد عزَم على الدخولِ إلى بلادِ الشامِ لأجْلِ حِفْظِه مِن أيدى الفِرنجِ المخذولِ، ولكنْ قد دهَمَه أمرٌ شغَلَه عنه؛ وذلكَ أنَّ الفِرنجَ قدِمُوا إلى الساحلِ المصرىِّ فى أسطولٍ لم يُسْمَعْ بمثلِه فى كثرةِ مراكبِه وما فيه مِن آلاتِ الحصارِ، وكثرةِ الرجالِ والمُقاتِلةِ؛ مِن جُملةِ ذلك مائتا شِينىٍّ[2] فى كلٍّ منها مائةٌ وخمسونَ مقاتِلًا، وأرْبعُمائةِ قطعةٍ أخْرَى، وكان قدومُهم مِن صِقِلِّيَّةَ إلى ظاهِرِ إسْكَنْدرِيَّةَ قبلَ رأسِ السنَةِ بأربعةِ أيامٍ، فنصَبُوا المَنْجَنيقاتِ والدبّاباتِ حولَ البلدِ، وبرزَ إليهم أهلُها فقاتَلُوهم دونَها قتالًا شديدًا، واستمَرَّ القتالُ أيامًا، وقُتِل مِن كِلَا الفريقَيْنِ خلْقٌ كثيرٌ، ثم اتَّفقَ أهلُ البلَدِ على تحريقِ ما نصَبوه مِن المَنجنيقاتِ والدباباتِ، ففعَلُوا ذلك، فأَضعَفَ ذلك قلُوبَ الفِرنجِ، ثم كبَسَهمُ المسلمونَ فى منازِلِهم فقتَلوا منهم جماعةً وغنِمُوا منهم ما أرادُوا، فانْهزَم الفِرنجُ فى كلِّ وَجْهٍ، ولم يكُنْ لهم ملجأٌ إلَّا البحرُ أوِ القتلُ أو الأسْرُ، واسْتَحوَذَ المسلمونَ على أموالِهم وأثقالِهم وخُيولِهم وخِيامِهم - وبالجملةِ قتَلُوا خلْقًا مِن الرجالِ وغنِموا شيئًا كثيرًا مِن الأموالِ - وركِبَ مَن بَقِى منهم فى الأسطولِ راجعِين إلى بلادِهم خائبين.

ومِمَّا عوَّقَ الملكَ الناصِرَ عن الشامِ أيضًا أنَّ رجُلًا يُعْرَفُ بالكَنزِ - سمَّاه

---

(١) الكامل ١١/٤١٣.

(٢) الشينى: مفرد شوانى وشون، وهو المركب الطويل أو السفينة الحربية الكبيرة. انظر التاج (ش ى ن)، والسلوك ١/١/٥٦.

بعضُهم عبَّاسَ بنَ شادِى - وكان مِن مقدَّمِى الديارِ المصريَّةِ ومِن الدولةِ الفاطِميَّةِ - وإنما هى العُبَيْدِيَّةُ - كان قد انتزَح إلى أُسوانَ ، وجعَلَ يجمَعُ عليه الناسَ ، فاجْتَمَعَ عليه خلْقٌ كثيرٌ مِن الرَّعاعِ مِن الحاضِرَةِ والعُرْبانِ ، وكان يَزْعُمُ لهم أنَّه سيعيدُ الدولةَ الفاطِميَّةَ ، ويدْحَضُ الأتابكةَ التركيةَ ، فالتَفَّ عليه خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ ، ثم قصَد قُوصَ وأعْمالَها ، وقتَلَ طائفةً مِن أمرائِها ورِجالِها ، فجرَّدَ إليه الملكُ صلاحُ الدينِ طائفةً مِنَ الجيشِ المصرىِّ وأمَّرَ عليهم أخاه الملكَ العادِلَ سيفَ الدينِ أبا بكرٍ الكُرْدِىَّ ، فلمَّا الْتَقيَا هزَمه أبو بكرٍ وأسَرَ أهلَه وقتلَه ، (١كما جرَى لمقدَّمِ بَنِى حنيفةَ ، ولهذا جعَل اللَّهُ دولةَ بنى أيُّوبَ عاليةً منيفةً١) .

فَصْــلٌ

لمَّا تمهَّدَتِ الديارُ المصريَّةُ ولم يَبْقَ بها رأسٌ مِن بقيَّةِ الدولةِ العُبَيْدِيَّةِ برزَ السلطانُ الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ يوسُفُ فى الجيوشِ التُّركيةِ قاصِدًا البلادَ الشامِيَّةَ ، وذلك حينَ ماتَ سلْطانُها نورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى ، وأُخِيفَ سكَّانُها وتضَعْضَعَتْ أرْكانُها ، واختلَفَ حُكَّامُها ، وفسَدَ نقْضُها وإبْرامُها ، وقصْدُه ، رَحِمه اللَّهُ ، جَمْعُ شمْلِها والإحْسانُ إلى أهْلِها ، وأمْنُ سهْلِها وجبَلِها ، ونُصْرَةُ الإسْلامِ ودَفْعُ الطَّغامِ ، وإظْهارُ القرآنِ ، وإخْفاءُ سائرِ الأديانِ ، وتكسيرُ الصُّلْبانِ ورِضَا الرحمنِ ، وإرْغامُ الشيطانِ ، فخرَج مِن الديارِ المصريَّةِ إلى البِرْكَةِ[٢] فى مُسْتهَلِّ صفَرٍ ، وأقامَ بها حتى اجْتَمَعَ إليه العسكرُ ، [٩/٢٧٢و] وقد اسْتَنابَ على مِصْرَ أخاه سيفَ الدينِ أبا بكرٍ ، ثم سارَ إلى بُلْبَيْسَ فى الثالِثَ عشَرَ مِن ربيعٍ

(١ - ١) سقط من : م . وفى العبارة إشارة إلى ظفر سيدنا أبى بكر الصديق بمسيلمة الكذاب مقدَّم بنى حنيفة فى حروب الردة ، وانظر ما تقدم فى : ٩/٤٤١ ، ٤٦٥ .

(٢) البركة : هى بركة الحبش تلى الفسطاط من غربيه . صبح الأعشى ٣/ ٣٣٦. وانظر معجم البلدان ١/ ٥٩١.

الأوَّلِ ، ثم ساق حتى اجتازَ بمدينةِ بُصْرَى ، فسار فى خدْمتِه صاحبُها صديقُ بنُ جَاوليٍّ ، فدخَلَ مدينةَ دِمَشْقَ فى يومِ الاثنينِ سلْخِ ربيعِ الأوَّلِ ، ولم ينْتَطِحْ فيها عَنْزانِ ، ولا اخْتلَفَ عليه سيْفانِ ؛ وذلكَ أنَّ نائبَها شمسَ الدينِ بنَ مقدَّمٍ ، كان قد كتَبَ إليه أوَّلًا فأغْلظَ له فى الكتابِ ، فلمَّا رأَى أمْرَه متوجِّهًا جعَلَ يُكاتِبُه ويسْتَحِثُّه على القُدومِ إلى دِمَشْقَ ، ويَعِدُه بتَسْليمِ البلدِ ، فلمَّا رأَى الجدَّ لم يمكِنْه المُخالفَةُ ، فسلَّمَ البلدَ إليه بلا مدافَعةٍ ، فنزَلَ السلطانُ أوَّلًا فى دارِ والدِه ؛ وهى دارُ العَقيقِيِّ[1] التى بُنِيتْ مدرسةً للملكِ الظاهرِ ، وجاءَ القاضى وأعْيانُ الدَّماشقةِ للسَّلامِ على السلطانِ فرأَوْا منه غايةَ الإحْسانِ ، وكان فى القلعةِ إذْ ذاك الطواشِيُّ جمالُ الدينِ رَيْحانُ الخادمُ ، فلم يزَلْ يُكاتِبُه ، ويفتِلُ له فى الذِّروةِ والغاربِ[2] حتى استَماله ، وأجزَل ثوابَه ، فسلَّمها إليه ، ووفَد عليه ، ومثَل بينَ يدَيْه ،فأكرمَه واحْترَمه وأحسنَ إليه ، وأظهَر الملكُ الناصرُ أنَّه أحقُّ الناسِ بتَرْبيَةِ ولدِ نُورِ الدينِ ؛ لِمَا لنورِ الدينِ عليهم مِنَ الإحْسانِ المتينِ ، وذُكِر أنَّه خُطِب لنورِ الدينِ بالديارِ المصريةِ ، وضُرِب باسمِه السِّكَّةُ ، ثم عامَل الناسَ بالإحْسانِ ، وأمَر بإبْطالِ ما أُحْدِثَ بعدَ نورِ الدينِ مِنَ المُكوسِ والضرائبِ ،وأقامَ الحدودَ وأمرَ بالمعروفِ ونهَى عنِ المنكرِ ، وللَّهِ عاقبةُ الأمورِ .

فَصْــلٌ

فلمَّا استقَرَّتْ له دِمَشْقُ بحَذافيرِها لم يلبَثْ أن نهَض إلى حَلَبَ مسرعًا ؛ لِمَا فيها مِنَ التَّخْبيطِ والتَّخْليطِ ، واسْتَنابَ على دِمَشْقَ أخاه طُغْتِكِينَ بنَ أيُّوبَ ،

---

(١) فى م : « العقيلى » . وانظر الكامل ١١/٤١٦ .

(٢) مثل يقال ذلك للرجل لا يزال يخدع صاحبه حتى يظفر به . جمهرة الأمثال ٢/٩٨.

الملَقَّبَ بسَيْفِ الإسْلامِ ، فلمَّا اجْتازَ بحِمْصَ أخَذَ رَبَضَها ، ولم يشتغِلْ بقَلْعَتِها لعلمِه بحصولِها ، ثم سارَ إلى حَمَاةَ فتسلَّمَها مِن صاحبِها عِزِّ الدينِ جُرْدَيكَ[1] ، وسأَله أنْ يكونَ سفِيرَه بينَه وبينَ الحلَبِيِّينَ ، فأجابَه إلى ذلك ، فسارَ إليهم فحذَّرَهم بأسَ صلاحِ الدينِ فلم يَلْتَفِتُوا إليه ، ولم يُعوِّلوا عليه ، بل أمَرُوا بسَجْنِه واعْتقالِه ، فجَمَعوا بينَه وبيَنى الدايَةِ فى البئرِ الذى هم فيه فأبْطأَ الجوابُ على صلاحِ الدينِ ، فكتَبَ إليهم كتابًا بليغًا يلُومُهم فيه على ماهم فيه مِن الاخْتلافِ ، وعدَمِ الائتِلافِ ، فردُّوا عليه أسوأَ جَوابٍ ، وأحدَّ مِن الحرابِ ، فأرسَل إليهم يذكِّرُهم أيامَه وأيامَ أبيه وعمِّه فى خدْمةِ نُورِ الدينِ فى المواقفِ المحْمُودَةِ التى يشْهَدُ لهم بها أهلُ الدِّينِ ، ثم سارَ إلى حلَبَ فنزَل على جبَلِ جَوْشَنَ[4] ، فخاف مِن سطوتِه كلُّ ذى جَوْشنٍ ، فنُودِى فى أهلِ حلَبَ بالحضُورِ فى مَيْدانِ بابِ العراقِ ، فاجْتَمعُوا ، فأشرَفَ عليهم ابنُ الملكِ نُورِ الدينِ فتَوَدَّدَ إليهم ، وتَباكَى لدَيْهم ، وحرَّضَهم على قتالِ صلاحِ الدينِ ، وذلكَ عن إشارةِ الأمراءِ المُقَدَّمِينَ ، فأجابَه أهلُ البلدِ بوجوبِ طاعتِه على كلِّ أحدٍ ، واشترَط عليه الروافِضُ منهم أن يُعادَ الأذانُ بـ حيَّ على خيرِ العمَلِ ، وأنْ يُذْكَرَ فى الأسْواقِ ، وأنْ يكونَ لهم فى الجامعِ الجانبُ الشرقىُّ ، وأنْ يُذْكَرَ أسماءُ الأئمةِ الاثْنَى عشَرَ بينَ يدَىِ الجنائزِ ، وأنْ يكَبِّرُوا على الجِنازةِ خَمْسًا ، وأنْ تكونَ عقودُ أنْكِحَتِهم [٢٧٢/٩ظ] إلى

---

(١) فى الأصل : « جبريل » ، وفى م : « بن جبريل » ، وفى الكامل ١١/ ٤١٨ : « جورديك » . وانظر الروضتين ١/ ٦٠٧.

(٢) بعده فى الأصل ، ص : « وأحد من الحراب » .

(٣) بعده فى الأصل ، ص : « إنه » .

(٤) جوشن : جبل مطل على حلب فى غربيها . معجم البلدان ٢/ ١٥٥.

الشَّريفِ الطاهرِ[1] أبى المكارِمِ حَمْزةَ بنِ زُهرةَ[2] الحُسَيْنىِّ[3] ، فأُجِيبُوا إلى ذلك كلِّه ، فأُذِّنَ فى الجامعِ وغيرِه بسائرِ البلدِ بـ حىَّ على خيرِ العَملِ ، وعجَزَ أهلُ البَلدِ عن مقاومةِ الناصرِ ، وأَعْمَلُوا فى مكيدتِه كلَّ خاطرٍ ، فأرْسَلُوا أوَّلًا إلى سِنانٍ صاحبِ الحُشَيشيَّةِ[4] ، فأرسَلَ نَفرًا مِن أصحابِه إلى الناصرِ ؛ ليقتُلوه فلم يظفَروا منه بشىءٍ ، بل قَتَلُوا بعضَ الأمراءِ ، ثم ظُهِرَ عليهم فقُتِلُوا عن آخرِهم ، فللهِ الحمدُ والمنَّةُ ، فراسَلوا عندَ ذلك القُومَصَ صاحِبَ طرابُلُسَ الفرَنْجىَّ ، ووَعَدُوه بأموالٍ جزيلةٍ إنْ هو رحَّلَ عنهم السلطانَ الملكَ الناصِرَ ، وكان هذا القُومصُ قد أسَرَه نورُ الدينِ ، وهو مُعْتَقَلٌ عندَه مدةَ عَشْرِ سنِين ، ثم افْتَدَى نفْسَه بمائةِ ألفِ دينارٍ وألفِ أسيرٍ مِن أُسارَى المسلمين ، فكان لا ينْسَاها لنورِ الدينِ ، رَحِمه اللَّهُ ، فركِب القُومَصُ - لعَنه اللَّهُ - مِن بلدِه طَرابُلُسَ فى جيشِه ، فلم يتجاسَرْ على مُقاتلةِ السلطانِ ، بل قصَدَ حِمصَ ليأخُذَها بغْتَةً ، فركِبَ إليه السلْطانُ الناصِرُ ، وقد أرسَل سريَّةً إلى بلدِه فقتَلوا منها وأسَرُوا وغنِمُوا ، فلمَّا اقْتَرَبَ السلطانُ منه نكَصَ على عَقِبَيْه وكرَّ راجعًا إلى بلَدِه ، ورأَى أنَّه قد [5]أجابَهم إلى ما أرادوا منه[5] ، فلمَّا رجَع صلاحُ الدينِ إلى حِمْصَ لم يكُنْ قد أخَذَ قلْعتَها فى ذَهابِه ، فتصَدَّى لأخْذِها ، فنصَبَ عليها المَنْجَنِيقاتِ [6]التى ملَّكَتْه إياها قسْرًا ، وقهَرتْ ساكنيها قهرًا[6] ، ثم كرَّ راجعًا إلى حلَبَ ، فأنالَه اللَّهُ فى هذه الكَرَّةِ ما طلَبَ .

---

(1) فى الأصل : «أبى الطاهر» ، وفى م : «أبى طاهر ابن» . وانظر الروضتين ١/ ٦٠٩.
(2) فى الأصل : «زهر» ، وفى م : «زاهر» .
(3) فى ص ، والروضتين ١/ ٦٠٩: «الحسنى» . التاج (ز هـ ر) .
(4) فى الأصل : «الحشيسة» ، وفى م : «الحسبة» .
(٥ - ٥) فى الأصل ، ص : «أجاب إلى ما سألوا وحصل على ما له بذلوا وإذ نكلوا» .
(٦ - ٦) فى م : «فأخذها قسرا وملكها قهرا» .

وكتَبَ إليهم القاضى الفاضلُ على لسانِ السلْطانِ كتابًا بليغًا فصِيحًا رائقًا فائقًا، على يدَىِ الخطيبِ شمسِ الدينِ يقولُ فيه[1]: فإذا قضَى التسليمُ حقَّ اللقاءِ، واستَدْعَى الإخلاصُ جهْدَ الدعاءِ، فليَعُدْ وليُعِدَّ حوادِثَ ما كانت حديثًا يُفْتَرى، وجَوارِىَ أمورٍ إنْ قال فيها كثيرًا، فأكْثَرُ منه ما قد جرَى، ولْيشرَحْ صَدْرًا منها لعلَّه يشرَحُ منّا صَدْرًا، ولْيوضِّحِ الأحْوالَ المُسْتَسِرَّةَ[2] فإنَّ اللَّهَ لا يُعبَدُ سِرًّا:

ومِنَ الغرائبِ[3] أن تسِيرَ غرائبٌ[4] فى الأرضِ لم يعلَمْ بها المأْمُولُ
كالعِيسِ[5] أقْتَلُ ما يكونُ لها الصَّدَى والماءُ فوقَ ظهورِها محمولُ

فإنَّا كنَّا نقْتَبِسُ النارَ بأكُفِّنا وغيرُنا يستنيرُ، ونستنبِطُ الماءَ بأيْدِينا وسِوانا يستَمِيرُ، ونَلْقَى السِّهامَ بنُحورِنا وغيرُنا يعتمِدُ التَّصْويرَ، ونُصافِحُ الصُّفّاحَ بصدورِنا، وغيرُنا يدّعِى التصديرَ، ولابُد أنْ نستردَّ بِضاعتَنا بمَوْقِفِ العَدْلِ الذى تُرَدُّ به الغُصوبُ، وتَظهَرَ طاعتُنا فنأْخُذَ بحظِّ الألسُنِ كما أخَذْنا بحظِّ القُلوبِ، وكان أوَّلَ أمْرِنا أنَّا كُنَّا فى الشامِ نفتَحُ الفتوحَ مباشِرين بأنفُسِنا، ونجاهِدُ الكفارَ متقدِّمين بعساكرِنا نحنُ ووالدُنا وعمُّنا، فأىُّ مدينةٍ فُتِحتْ أو مَعْقِلٍ مُلِكَ أو عسكرٍ للعدُوِّ كُسِر أو مصافٍ للإسْلامِ معه ضُرِبَ [6]ولم نكُنْ فيه[6]؟ فما يجْهَلُ أحدٌ صُنْعَنا، ولا يجْحَدُ عدُوُّنا أنَّا نصْطَلِى الجمرةَ ونمْلِكُ الكرَّةَ، ونتقدَّمُ الجماعةَ

---

(١) الروضتين ١/ ٦١٦.
(٢) فى الأصل، م: «المسبشرة». وانظر مصدر التخريج.
(٣) فى الأصل، م: «العجائب».
(٤) فى مصدر التخريج «عرائب».
(٥) العيس: كرام الإبل.
(٦ - ٦) سقط من النسخ. والمثبت من مصدر التخريج.

ونرتِّبُ المُقاتِلةَ ، ونُدَبِّرُ التَّعْبِئةَ ، إلى أنْ ظهَرتْ فى الشامِ الآثارُ التى لنا أجْرُها ، ولا يَضرُّنا أنْ يكونَ لغيرِنا ذكْرُها . ثم ذكَرَ ما صنَعُوا بمِصْرَ مِن كسرِ الكُفْرِ وإزالةِ المنكرِ وقَمْعِ الفِرنجِ وهَدْمِ البِدَعِ التى كانت هنالك ، وما بُسِطَ مِن العدلِ ومُدَّ مِن الفضلِ ، وما أقامَه مِن الخُطَبِ العباسيَّةِ ببلادِ مِصْرَ واليمنِ والنُّوبةِ وإفْرِيقِيَّةَ وغيرِ ذلك ، بكلامٍ بسيطٍ حسَنٍ .

فلمَّا وصَلَهمُ الكتابُ [٢٧٣/٩و] أساءوا الجوابَ ، وقد كانوا كاتَبُوا صاحِبَ المَوْصِلِ ؛ سيفَ الدينِ غازِى بنَ مَوْدُودٍ أخى نورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى ، فبعَثَ إليهم أخاه عزَّ الدينِ فى عساكرِه ، وأقبلَ عليهم فى دسَاكرِه ، فانْضافَ إليهمُ الحَلَبِيُّون ، وقصَدُوا حَمَاةَ فى غيبةِ الناصرِ واشْتِغالِه بقلعةِ حِمْصَ وعِمارَتِها ، فلمَّا بلَغَه خبرُهم سارَ إليهم فى قُلٍّ مِنَ الجيشِ ، فانْتَهَى إليهم وهم فى جَحافِلَ كثيرةٍ ، فواقَفُوه وطمِعُوا فيه لقلَّةِ مَن معه ، وهمُّوا بمُناجزَتِه فجعَلَ يُدارِيهم ويدْعُوهم إلى المُصالحَةِ لعلَّ الجيشَ يلْحَقُونَه ، حتى قالَ لهم فى جملةِ ما قال[1] : أنا أقْنَعُ بدِمَشْقَ وحدَها وأقيمُ بها الخُطْبَةَ للملكِ الصالحِ إسْماعيلَ ، وأترُكُ ما عدَاها مِن أرضِ الشامِ . فامتَنَع مِنَ المُصالحَةِ الخادِمُ سعدُ الدينِ[2] كُمُشْتِكِين ، إلَّا أنْ يجعَلَ لهم الرَّحبَةَ التى هى بيَدِ ابنِ عمِّه ناصرِ الدينِ بنِ أسَدِ الدينِ ، فقالَ : ليسَ لى ذلك ، ولا أقْدِرُ عليه . فأَبَوُا الصلحَ ، وأقدَموا على القتالِ ، فجعَلَ جيشَه كُرْدُوسًا واحدًا ، وذلك يومَ الأحدِ التاسِعَ عشَرَ مِن شهرِ رمضانَ عندَ قرونِ حَمَاةَ ، وصبَرَ صَبْرًا عظِيمًا ، وجاءَه فى أثْناءِ الحالِ ابنُ أخيه تَقىُّ الدينِ عمرُ بنُ شَاهِنْشَاه ومعه أخوه فرُّوخْشاه فى طائفةٍ مِن الجيشِ ، وقد ترجَّحَ دَسْتُه عليهم ، وخلَصَ رعْبُه

---

(١) الروضتين ١/ ٦٣٧، ٦٣٨، بنحوه.

(٢) فى النسخ : « الدولة » . والمثبت من الروضتين ١/ ٦٣٧. وانظر الكامل ١١/ ٤١٥.

إليهم ، فوَلَّوا هُنالِكَ هاربين ، وتولَّوْا مُنْهَزِمين ، فأُسِر مَن أُسِر مِن رُءوسِهم ، ونادَى أن لا يُتْبَعَ مُدْبِرٌ ولا يُذَفَّفُ على جريحٍ ، ثم أطلَقَ مَنْ وقَعَ فى أسرِه ، وسارَ على الفورِ إلى حَلَبَ ، وقد انعَكَسَ عليهمُ الحالُ وآلَوا إلى شرٍّ مآلٍ ؛ فبالأمسِ كان يطلُبُ منهم المُصالحَةَ والمُسالمَةَ ، وهم اليومَ يطلُبُون منه أن يكُفَّ عنهم ويرجِعَ ، على أنَّ المعَرَّةَ وكَفَرْطابَ وبَارِينَ[1] له زِيادةً على ما بيَدِه مِن أراضى حَماةَ وحِمْصَ وبعلَبَكَّ مع دِمَشقَ ، فقبلِ ذلك ، وكفَّ عنهم ، وحلَفَ على أنْ لا يغْزُوَ بعدَها الملكَ الصَّالحَ ، وأنْ يدْعُوَ له علَى سائرِ منابرِ بلادِه وممالكِه ، وشفَع فى بنى الدايةِ أخوه مَجْدُ الدينِ ، أنْ يُخْرَجُوا مِن السِّجنِ ، ففعَلَ ذلك ثم رجَعَ مؤيَّدًا منْصُورًا مسلَّمًا محبورًا .

فلمَّا كان بحَمَاةَ وصَلتْ إليه رسُلُ الخليفةِ المُسْتَضِىءِ بأمرِ اللَّهِ ومعهم الخِلَعُ السَّنِيَّةُ والتشْرِيفاتُ العباسِيَّةُ والأعْلامُ السُّودُ وتوقيعٌ مِنَ الديوانِ بالسلْطنَةِ ببلادِ مِصْرَ والشامِ ، وأُفِيضَتِ الخِلَعُ على أهْلِه وأقاربه وأصحابِه وأصهارِه وأعْوانِه وأنصارِه ، وكان يومًا مشْهُودًا ، واسْتَنابَ على حَمَاةَ ابنَ خالِه وصِهْرَه الأميرَ شِهَابَ الدينِ محمودًا ، ثم سارَ إلى حِمْصَ فأطْلَقها إلى ابنِ عمِّه ناصرِ الدينِ ، كما كانتْ مِن قبْلِه لأبيه شِيركُوه أسَدِ الدينِ ، ثم إلى بَعْلَبَكَّ ، ثم إلى البِقاعِ ، ورجَع إلى دِمَشْقَ فى ذى القَعْدَةِ .

فى هذه السنةِ[2] ظهَرَ رجلٌ مِن قرْيَةِ مَشْغَرَا[3] مِن مُعاملَةِ دِمَشْقَ وكان مغْرِبيًّا فادَّعَى النبوَّةَ ، وأظهَرَ شيئًا مِنَ المخاريقِ والمَخَاييلِ والشعْبَذَةِ والأبْوابِ النيرنجيَّةِ[4] ،

---

(١) فى م : « ماردين » . وبارين : مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب . معجم البلدان ١/ ٤٦٦.

(٢) الروضتين ١/ ٦٤٣.

(٣) مشغرا : قرية من قرى دمشق من ناحية البقاع . معجم البلدان ٤/ ٥٤٠ .

(٤) النيرنجية : تشبيه وتلبيس كالسحر وليس به . التاج (ن رج) .

فافْتَتَنَ به طوائفُ مِن أهلِ تلك الناحيةِ مِن الطَّغامِ والهَمَجِ والعَوامِّ ، فتطلَّبه السلطانُ ، فهرَبَ فى الليلِ مِن مَشْغَرا إلى معاملَةِ حَلَبَ ، فالتفَّ عليه كلُّ مقْطُوعِ الذَّنَبِ ، وأضَلَّ خلقًا مِن الفلَّاحِينَ لا المُفلِحينَ ، وتزوَّجَ امرأةً أحَبَّها ، وكانتْ مِن أهلِ تلك البِطاحِ ، فعلَّمَها أنِ ادَّعَتِ النبُوَّةَ ، فأشْبَها قِصَّةَ مُسَيْلِمَةَ وسَجَاح ، فلعَنهما اللَّهُ كلَّما غَبَّ الحَمَامُ وهدَر ، وكلمّا ضَبَّ الغَمامُ وقطَر .

[٢٧٣/٩ظ] وفيها هرَبَ وزيرُ الخليفةِ ونُهِبَتْ دارُه .

وفيها درَّسَ أبو الفَرجِ بنُ الجَوْزِىِّ بمدرَسةٍ أُنْشِئَتْ للحنابلةِ ، فحضَرَ عندَه قاضِى القُضاةِ أبو الحسَنِ بنُ الدامَغانِيِّ ، والفقهاءُ والكبراءُ ، وكان يومًا مشْهُودًا ، وخُلِعَتْ عليه خِلْعَةٌ سَنِيَّةٌ .

وفيها تُوفِّى مِن الأعْيانِ :

رَوْحُ بنُ أحمدَ ، أبو طالبٍ الحَدِيثِيُّ[١] قاضى القضاةِ ببَغْدادَ فى بعضِ الأحْيانِ ، وكان ابنُه بأرضِ الحجازِ ، فلمَّا بلَغَه موتُ أبيه مرِضَ بعدَه فماتَ بعدَ أيامٍ ، وكان يُنْبَزُ بالرَّفْضِ .

شَمْلَةُ التُّرْكُمانِيُّ[٢] كان قد تغلَّبَ على بلادِ فارِسَ واسْتَحدَثَ قِلاعًا ، وتغلَّبَ على السَّلْجوقِيَّةِ ، وانْتَظَمَ له الدَّسْتُ نحوًا مِن عِشْرِين سنةً ، ثم إنَّه حارَبَه بعضُ التُّركمانِ فقتَلُوه .

---

(١) فى خ ، م : « الحدثنى » . اللباب ١/ ٢٨٥. وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ٢١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٩٣.

(٢) المنتظم ١٨/ ٢١٦، والكامل ١١/ ٤٢٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٩٤، والوافى بالوفيات ١٦/ ١٨٦.

قَايْماز بنُ عبدِ اللَّهِ[1] قطبُ الدينِ المُسْتَنْجِدِيُّ ، وزَر للخليفةِ المُسْتَضِىءِ ، وكان مقدَّمًا على العساكرِ كلِّهم ، ثم إنَّه خرَج على الخليفةِ ، وقصَد أنْ ينْهَبَ دارَ الخلافةِ ، فصعَد الخليفةُ فوقَ سطْحٍ فى دارِه ، وأمرَ العامَّةَ بنَهْبِ دارِقايْمازَ فنُهِبَتْ ، وكان ذلك بإفْتاءِ الفقهاءِ ، فهرَبَ فهلَكَ ، وهلَك مَن كان معه فى المَهامِهِ والقِفَارِ .

---

(١) المنتظم ١٨/٢١٧، والكامل ١١/ ٤٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٩٩ ، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٨٥، وشذرات الذهب ٤/ ٢٣٨.

ثم دخلَتْ سنَةُ إحْدَى وسَبْعِين وخَمْسِمائةٍ[1]

فيها طلَب الفِرنْجُ مِنَ السلْطانِ صلاحِ الدينِ - وكان قد أقامَ بدِمَشقَ فى مرجِ الصُّفَّرِ - أَنْ يُهادِنَهم فأجابَهم إلى ذلك ؛ لأنَّ الشامَ كان مُجْدِبًا ويحتاجُ إلى ذلك . وأرسَلَ جيْشَه صُحْبَةَ القاضى الفاضلِ إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ ؛ ليسْتَغِلُّوا المغلَّ ثم يُقْبِلُوا ، وعزَمَ هو على المُقامِ بالشامِ ، واعْتَمَد على كاتبِه العمادِ عِوَضًا عنِ أفصحِ العبادِ بتلك البلادِ ، وهو القاضى [2]الفاضلُ قدوةُ العلماءِ والأفاضلِ ، ورُحْلَةُ الطالبين ، وزينُ المحافلِ زينُ الإسلامِ ، ومَن لسانُه أحدُّ مِن حُسامٍ ، ولكنِ احتاجَ السلطانُ إلى إرسالِه إلى الديارِ المصريةِ ليكونَ عينًا وعونًا له بها ، ولسانًا فصيحًا يعبِّرُ عنها ، فاحتاجَ إلى أن يتعوَّضَ عنه[2] ، ولم يكُنْ أحدٌ أعزَّ عليه ولا أحبَّ إليه منه :

وما عَنْ رِضًا كانتْ سُلَيْمَى بدِيلَةً   بليلى ولكن للضَّرُوراتِ أحكامُ

وكانت إقامتُه ببلادِ الشامِ وإرسالُ الجيشِ صحبةَ القاضى الفاضلِ غايةَ الحَزْمِ والتدْبيرِ والاهتمامِ ؛ ليَحْفظَ ما اسْتَجدَّ مِنَ المَمالكِ خوفًا عليه مِن سطوةِ مَن هُنالِكَ .

فلمَّا أرسَلَ الجيوشَ إلى مِصْرَ وبَقِيَ هو فى طائفةٍ قَليلةٍ من عسكرِه ، واللَّهُ قد

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢١٨، والكامل ١١/ ٤٣١.

(٢ - ٢) سقط من : خ، م.

تكفَّلَ له ولهم بالنصرِ ، كتَبَ صاحِبُ المَوْصِلِ سيْفُ الدينِ غازِى ابنُ أخى نُورِ الدينِ إلى جماعَةِ الحَلَبِيِّين يلومُهم على ما وقَعَ بيْنَهم وبينَ الملكِ صلاحِ الدينِ مِنَ المُصالَحةِ ، وقد كان إذْ ذاكَ مشْغُولًا بمحاصرةِ أخيه عِمادِ الدينِ زَنْكِى بسِنْجَارَ - وليسَتْ هذه بفِعْلَةٍ صالحةٍ - وما كان سبَبَ قتالِه لأخيه إلَّا انتماؤُه إلى طاعةِ الملكِ الناصرِ وذويه ، فاصْطَلَحَ مع أخيه حينَ عرَفَ قوَّةَ الناصرِ وناصريه ، ثم حرَّضَ الحلَبِيِّينَ على نبذِ العهودِ إلى الملكِ صلاحِ الدينِ ، فأرسَلُوا إليه بالعُهودِ التى عاهَدُوه عليها ودَعَوه إليها ، فاسْتَعانَ عليهم باللَّهِ وأرسَلَ إلى الجيوشِ المصريَّةِ ليقْدَموا إليه ، فأقبَلَ صاحِبُ المَوْصِلِ فى عساكرِه ومشاريه[1] ودساكرِه . واجْتمعَ بابنِ عمِّه الملكِ الصالحِ عِمادِ الدينِ إسْماعيلَ ، وسارَ فى عِشْرينَ ألفَ مُقاتِلٍ على الخيولِ الضُّمَّرِ الجُرْدِ الأبابيلِ ، وسارَ نحْوَهم الناصرُ وهو كالهِزَبْرِ الكاسِرِ ، [٩/٢٧٤و] وإنَّما معه ألْفُ فارسٍ مِنَ الحُماةِ و ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ، ولكِنَّ الجيوشَ قد خرَجت مِن الديارِ المصريةِ فى جَحافِلَ كالجبَالِ وعُدَّةٍ وعَددٍ كالرمالِ ، فاجْتَمَعَ الفريقانِ وتَداعَوا للنِّزَالِ ، وذلك فى يومِ الخميسِ العاشرِ مِن شوَّالٍ ، فاقْتتَلُوا قِتالًا هائلًا ، حتى حمَلَ السلطانُ بنفْسِه الكريمةِ ، فكانتْ بإذْنِ اللَّهِ الهزيمةُ ، فقتَلُوا خلقًا مِنَ الحلَبِيِّينَ والمَوَاصِلةِ ، وأخذُوا مضارِبَ الملكِ سَيْفِ الدينِ غازِى وحواصِلَه ، وأسَرُوا جماعةً مِن رُءوسِهم فأطْلَقَهمُ السلطانُ بعدَ ما أفاضَ الخِلَعَ على أبْدانِهم ورُءوسِهم ، وقد كانُوا اسْتَعانُوا بجماعةٍ من الفِرنجِ فى حالِ القتالِ ، وليْسَ هذا مِن صنيعِ الصناديدِ الأبْطالِ . وقد وجَد السلطانُ فى مُخَيَّمِ السلْطانِ غازِى شيئًا مِن الأقْفَاصِ التى فيها الطيورُ المُطْرِبَةُ - وذلكَ فى مجْلِسِ شرابِه المُسْكِرِ ، وكيف مَن كان هذا

(١) هذا من المصطلحات المملوكية ، وهو يرجع إلى معنى المشورة . انظر كنز الدرر ٧/٩ وفهارسه .

مسْلَكه ومذهبَه يَنْتَصِرُ ؟ ! – فأمَر السلطانُ بردِّها عليه وتَسْيِيرِها إليه ، وقال للرسولِ : قُلْ له بعدَ وصُولِكَ إليه وسَلامِكَ عليه : اشْتِغالُكَ بهذه الطُّيورِ أحَبُّ إليْكَ مِن الوقوعِ فيما رأيتَ مِن المحْذُور . وغنِمَ السلطانُ مِن أموالِهم شيئًا كثيرًا ففرَّقَه على أصحابِه وأحبابِه وأنصارِه غُيَّبًا كانوا أو حُضُور[1] ، وأنْعَمَ بخَيْمَةِ المَلِكِ سيفِ الدينِ غازِى على ابنِ أخيه عِزِّ الدينِ فَرُّوخْشاه[2] بنِ شاهنشاه بنِ نجْمِ الدينِ ، وردَّ ما كان فى وِطاقِه[3] مِن الجوارِى والمغنِّياتِ ، وقد كان معه أكثرُ مِن مائةِ مغنيةٍ ، وردَّ الأقفاصَ وآلاتِ اللعبِ إلى حَلَبَ ، وقال : قُولُوا له : هذا أحَبُّ إليكَ مِنَ الحربِ . ووَجَدَ عسْكَرَ المَواصِلَةِ كالحانَةِ مِن كثرةِ الخمورِ والبرابِطِ والملاهِى ، وهذه سبيلُ مَن هو عن طريقِ الخيرِ ساهٍ لاهٍ .

فصلٌ

لما رجَع الحلبيُّون إلى حَلَبَ وقد انْقلَبُوا شرَّ مُنْقلَبٍ ، وندِمُوا على نقضِهم الأيْمانَ ومخالفتِهم طاعةَ الرحمنِ وشَقِّهم العَصَا على السلطانِ ، فحصَّنُوا البلدَ ، خوفًا مِنْ وُثوبِ الأسَدِ ، وأسرَعَ صاحبُ المَوْصِلِ فوَصَلَها ، وما صدَّقَ حتى دخَلَها ، وأما السلطانُ صلاحُ الدينِ فإنَّه لمَّا فرَغ مِن قسمةِ ما غَنِم مما ترَكه مَن عطِب ومَن سلِم ، أسرَع السيرَ إلى حَلَبَ الشهباءِ وهو فى غايةِ السَّطوةِ والقُوَّةِ والعِزَّةِ القَعْساءِ[4] ، فوجَدهم قد حصَّنُوها ، والقلعةَ قد أحكَموها فقالَ : مِن المصْلحَةِ أنْ نبادِرَ إلى فتحِ الحصُونِ التى حولَ البلدِ ، ثم نعودُ إليهم فلا يمتَنِعُ علينا

---

(١) فى النسخ : « حضورا » أعطاه حق الإعراب ، والمثبت هو ما يقتضيه حق السجع .

(٢) فى الأصل ، ص : « فرخشاه » ، وانظر وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٢، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٢٦٦.

(٣) الوطاق : الخيمة الكبيرة التى تعد للعظماء .

(٤) سقط من : م ، وهى غير واضحة فى الأصل ، ص ، والعزة القعساء : الممتنعة الثابتة .

منهم أحدٌ . فشرَع يفتحُ الحصونَ حِصْنًا حصنًا ، ثم يعودُ إليهم ويَهْدِمُ مِن أرْكانِ دوْلَتِهم رُكْنًا ركنًا ، ففتَح بُزَاعَةَ[1] ومَنْبِجَ ، ثم سارَ إلى عَزَازَ[2] فأرسَلَ الحلبِيُّونَ إلى سِنانٍ ، فأرْسَلَ جماعةً مِن أصحابِه ليقتُلوا صلاحَ الدينِ ، فدخَل طائفةٌ منهم فى جيْشِه فى زِىِّ الجُندِ فقاتَلُوا أشدَّ القتالِ ، حتى اخْتلَطُوا بهم فوجَدُوا فرصةً ذاتَ يومٍ والسلْطانُ ظاهِرٌ للناسِ ، فحمَلَ عليه واحدٌ منهم فضَرَبه بالسكينِ على رأسِه فإذا هو مُحْتَرِسٌ منهم باللَّأْمَةِ ، فسلَّمه اللَّهُ ، غيرَ أنَّ السكينَ مرَّتْ على خدِّه فجرَحَتْه جُرحًا هَيِّنًا ، ثم أَخَذ الفِداوِىُّ رأسَ السلْطانِ فوضَعَه على الأرضِ ليذْبحَه ، ومَن حولَه قد أخذَتْهُم دهشةٌ ، ثم ثابَ إليهم عقْلُهم فبادَرُوا إلى الفِداوِىِّ فقَتَلُوه وقطَّعُوه ، ثم هجَم آخرُ فى الساعةِ الراهِنَةِ على السلطانِ فقُتِلَ ، ثم هجَمَ آخرُ على بعْضِ الأمراءِ فقُتِلَ أيضًا ، وهرَبَ الرابعُ ، فأُدْرِكَ فقُتِلَ ، وبطَل القِتالُ ذلك اليومَ . ثم صمَّمَ السلطانُ على البلدِ ففتَحه وأقطَعه ابنَ أخيه تَقِىَّ الدينِ عمرَ بنَ شَاهِنْشَاه بنِ أيُّوبَ ، وقدِ اشتدَّ حَنَقُه على أهلِ حَلَبَ لِما فعلوا ولما أرسَلُوا مِنَ الفداوِيَّةِ إليه وإقْدامِهم عليه ، فجاءَ فنزَلَ تُجاهَ البلَدِ على جبَلِ جَوْشَنَ ، وضُرِبتْ خيْمَتُه على رأسِ البادوقِيَّةِ[3] ، وذلك فى خامِسَ عشَرَ ذى الحِجَّةِ ، وجَبَى الأموالَ وأخَذ الخَراجَ مِنَ القُرَى ، ومنَع أنْ يَدْخُلَ البلدَ شىءٌ أو يخرُجَ منه شىءٌ ، واستمرَّ حصارُه إيَّاها حتى انْسَلخَتِ السنةُ .

وفى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنَةِ عادَ شمسُ الدولةِ تُورانْشاه [٩/ ٢٧٤ظ] أخو

---

(١) فى الأصل، ص: «بزاغة»، وفى م: «مراغة»، والمثبت من الروضتين ١/ ٦٥٥، وبزاعة: بلدة من أعمال حلب . معجم البلدان ١/ ٦٠٣.

(٢) فى م: «أعزاز» وكلاهما صواب، وهى قرية فيها قلعة، شرقى حلب بينهما مسيرة يوم. معجم البلدان ٣/ ٦٦٧.

(٣) فى الأصل، ص: «الباروفيه».

السلْطانِ مِن بلادِ اليمَنِ ، وذلك من كثرةِ اشتياقِه إلى أخيه وذويه وإلى الشامِ وطيبِه وظلالِه ؛ لأنَّه ضجِر مِن حرِّ اليمنِ ، وإن كان قد حصَل على أموالٍ جزيلةٍ مِن مالِه ، ففرِحَ به أخوه الملكُ الناصرُ ، واشتدَّ أَزْرُه بسببِه ، ولمَّا اجتمَعا قال الناصرُ الناصحُ البرُّ الوفيُّ : أنا يُوسُفُ وهذا أخى ، وقد اسْتنابَ شمسَ الدينِ على بلادِ اليمنِ ، وإنما استنابَ على مخاليفِها مَن لا يخالفُه مِن ذى قراباتِه ومَن له سالفُ المِنِن ، فلمّا استقرَّ عندَ أخيه اسْتَنابَه على دِمَشْقَ وأعمْالِها ، وقيلَ : إنَّ قدومَه كان قبلَ وقْعةِ المَواصِلَةِ ، وكان مِن أكبرِ أسْبابِ الفتحِ والنصرِ ؛ لشهامتِه وشَجاعتِه وفروسِيَّتِه وبسالتِه .

وفيها أنفَذَ تَقِيُّ الدينِ عمرُ ابنُ أخِى السلطانِ مملُوكَه بهاءَ الدينِ قَراقُوشَ فى جيْشٍ إلى بلادِ المغربِ ، ففتَحَ بلادًا كثيرةً هنالك ، وغنِمَ أموالًا جزيلةً ، ثم عادَ إلى مِصْرَ وطابَت له وترَك تلك البلادَ .

وفيها قدِمَ إلى دِمَشْقَ الواعظُ الكبيرُ أبو الفُتوحِ عبدُ السلامِ بنُ يُوسُفَ بنِ محمدِ بنِ مقلّدٍ التَّنُوخِيُّ الدِّمشقِيُّ الأصْلِ ، البَغْدادِيُّ المَنْشَأَ ، ذكَره العمادُ فى الخريدَةِ[1] ، قال : وكان صاحِبى ، وجلَس للوعظِ ، وحضَر عندَه السلطانُ صلاحُ الدينِ . وأوْرَدَ له مُقطَّعاتِ أشعارٍ ، فمِنْ ذلك ما كان يقولُ فى مجلسِه[2] :

يا مالِكًا مُهْجَتِى يا مُنْتَهى أمَلِى ... يا حاضِرًا شاهِدًا فى القلْبِ والفكْرِ
خلَقْتَنى مِن ترابٍ أنتَ خالِقُهُ ... حتى إذا صِرْتُ تمثالًا مِن الصورِ
أجْرَيْتَ فى قَالِبِى رُوحًا مُنوَّرَةً ... تمرُّ فيه كَجَرْىِ الماءِ فى الشجرِ

---

(١) الخريدة (شعراء العراق) ٣/١/٣٠٨ - ٣٢٢.
(٢) الأبيات باختلاف قليل فى الخريدة ٣/١/ ٣١٥، وهى بنصها فى الروضتين ١/ ٦٦٧.

جمعتَ بين صَفا رُوحٍ مُنَوَّرَةٍ وهَيْكَلٍ صُغْتَهُ مِن معدنٍ كدِرِ
إنْ غبتُ فيك فيَا فَخْرِى ويا شرَفِى وإنْ حضرتُ فياسَمْعِى ويابَصَرِى
إن احْتَجَبْتَ فسِرِّى فيكَ فى وَلَهٍ وإنْ خطَرتَ فقَلْبِى منكَ فى خطَرِ
تبْدُو فتَمْحُو رسُومِى ثم تثْبِتُها وإنْ تَغَيَّبْتَ عنِّى عِشتُ بالأَثَرِ

وفيها تُوفِّى مِن الأعْيانِ :

الحافظُ أبو القاسمِ بنُ عساكِرَ[1] :

علىُّ بنُ الحسَنِ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ عساكِرَ ، أبو القاسِمِ الدِّمَشْقِىُّ ، أحدُ أكابرِ حُفَّاظِ الحديثِ ومَن عُنِىَ به سماعًا وَجمْعًا وتصْنِيفًا واطِّلاعًا ، وحفْظًا لأسانيدِه ومُتونِه ، وإتقانًا لأساليبِه وفُنونِه ، صنَّف « تاريخَ الشامِ » فى ثمانيـنَ مجلَّدَةً ، فهى باقيةٌ بعدَه مخلَّدَةٌ ، وقد برز على مَن تقدَّمه مِنَ المؤرِّخِين ، وأتْعَبَ مَن يجِىءُ بعدَه مِن المتأخِّريـنَ ، فحازَ فيه قَصَبَ السِّباق ، وجاز حدًّا يأمَنُ فيه اللحاق ، ومَن نظَرَ فيه وتأمَّله ورأَى ما وصفَه فيه وأصَّله ، حكَم بأنَّه فريدٌ فى التواريخِ ، وأنه فى الذِّروةِ العُلْيَا مِن الشَّماريخِ ، هذا مع ما لَه فى علُومِ الحديثِ مِن كتبٍ مفيدةٍ ، وما كان مشتملًا عليه مِن العبادةِ والطَّرائقِ الحميدةِ ، فله : « أطرافُ الكتُبِ السِّتَّةِ » ، و « الشيوخُ النَّبَلُ » ، و « تَبْيِينُ كذِبِ المفْتَرِى على أبى الحسَنِ الأشْعَرِى » ، وغيرُ ذلك مِن المصنَّفاتِ الكبارِ والصغارِ ، والأجْزاءِ والأسْفارِ ، وقد أكثَر فى طلَبِ الحديثِ مِنَ التَّرْحالِ والأسْفارِ ، وجاب المُدنَ والأقاليمَ والأمْصارَ ، وجمَع مِنَ الكتُبِ ما لم يجْمَعْه أحدٌ مِن الحفَّاظِ ، نَسْخًا واستِنْسَاخًا ومقابلةً وتصْحيحًا

---

(١) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٢٧٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠٩، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٥٤، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٧٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢١٥، والنجوم الزاهرة ٦/ ٧٧.

للألْفاظِ ، وكان مِن أكابرِ بيوتاتِ الدَّمَاشِقَةِ ، ورِياسَتُه فيهم عاليةٌ باسقَةٌ ، مِن ذوِى الأقْدارِ والهيْئاتِ ، والأموالِ الجزيلةِ والصلاتِ ، كانتْ وفاتُه فى الحادِى عشَرَ مِن رجبٍ ، وله مِنَ العُمرِ ثِنْتانِ وسبعونَ سنةً ، وحضَر السلطانُ صلاحُ الدينِ جِنازَتَه ، ودُفِنَ بمقابرِ باب الصغيرِ ، رحِمهُ اللَّهُ تعالَى . [٩/٢٧٥و] وكان الذى صَلَّى عليه الشيخُ قُطْبُ الدينِ النَّيْسابُورِىُّ . قال ابنُ خَلِّكانَ[١] : وله أشعارٌ كثيرةٌ منها قولُه :

أيا نفسُ وَيْحَكِ جاءَ المشِيبُ ... فما ذا التَّصابِى وماذا الغزَلْ ؟
تولَّى شبابى كأنْ لم يكُنْ ... وجاءَ المشيبُ[٢] كأَنْ لم يزَلْ
كأنِّى بنفْسِى على غِرَّةٍ ... وخطْبُ المَنُونِ بها قد نزَلْ
فياليتَ شِعْرِىَ ممَّنْ أكونُ ... وما قدَّرَ اللَّهُ لى [٣]فى الأزَلْ[٣]

قال[٤] : وقدِ التَزم فيها ما لا يلْزَمْ ؛ وهو الزَّاىُ قبلَ اللَّامِ . قال[٤] : وكان أخوه صائنُ الدينِ هبةُ اللَّهِ بنُ الحسَنِ محدِّثًا فقيهًا ، اشْتَغلَ ببَغْدادَ على أسعدَ الميهَنِىِّ ، ثم قدِمَ دمشْقَ فدرَّس بالغَزَّالِيَّةِ ، وتُوفِّى بها فى سنةِ ثلاثٍ وستِّينَ رحِمهما اللَّهُ تعالى وإيَّانا بمنِّه .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣١٠.
(٢) فى الأصل : « شيب » وفى المصدر : « مشيبى » .
(٣ - ٣) فى المصدر : « بالأزل » .
(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣١١.

ثم دخلت سنة ثِنْتَيْنِ وسَبْعِين وخَمْسِمِائةٍ[1]

استَهَلَّتْ هذه السنةُ والسلطانُ صلاحُ الدينِ محاصرٌ حَلَبَ ، وقد أشرَف منها على نيلِ الطَّلبِ ، فسألوه وتوسَّلُوا إليه أنْ يصالِحَهم ، فصالَحَهم على أنْ تكونَ حلَبُ وأعْمالُها للملكِ الصالحِ فقَطْ ، فكُتِب بذلك الكتابُ ، وأُبرِم الحسابُ ، فلمَّا كان الليلُ بعَث الملكُ الصالحُ إسْماعيلُ إلى الملكِ الناصرِ يسأَلُ منه زِيادةَ قَلْعَةِ عَزازَ ، على ما شرَّفه به من الإعزازِ ، وأرسَل بأُخْتٍ له صغيرةٍ وهى الخاتُونُ بنتُ نورِ الدينِ ؛ ليكونَ ذلك أدْعَى إلى قَبُولِ السؤالِ ، وأنجعَ لحُصولِ النَّوالِ ، فحيـنَ رآها الناصرُ قامَ قائمًا كالقَضيبِ الناضرِ ، وقبَّل الأرضَ ، وأجابَها إلى سُؤالِها ، وأطلَق لها مِنَ الجواهرِ والتُّحَفِ ما رأَى أنَّه عليه فَرْضٌ ، ثم ترحَّلَ عن حلَبَ فقَصَد الإسماعيليةَ الذينَ اعْتَدَوا عليه فحاصَر حِصْنَهم مِصْيَابَ[2] فقتَل وضرَب وسبَى ، وأخَذ أبقارَهم ، وخرَّب دِيارَهم ، وقصَّر أعمارَهم ،حتى شفَع فيهم خالُه شِهابُ الدينِ محمودُ بنُ تِكِشَ صاحِبُ حمَاةَ ؛ لأنَّهم جِيرانُه ، فقبِلَ شفاعتَه ، وقد أحضَر إليه نائبُ بَعْلَبَكَّ الأميرُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مُقدَّمٍ -

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٢٦، والكامل ١١/ ٤٣٦.

(٢) فى الأصل ، ص ، والروضتين ١/ ٦٦٩: « مصيات » ، وفى م : « مصباف » ، وفى صبح الأعشى ٤/ ٢٠٢: « مصياف » . والمثبت من الكامل ١١/ ٤٣٦. ومصياب : حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشمالى قرب طرابلس ، وبعضهم يقول : مصياف . معجم البلدان ٤/ ٥٥٦.

الذى كان نائبَ دِمَشْقَ - جماعةً مِن أُسارى الفِرِنْجِ الذينَ عاثُوا بالبِقاعِ فى غيبةِ السلطانِ واشتغالِه بحصارِ مِصْيابَ، فجدَّد له العَزْمَ على غَزْوِ الفِرِنْجِ والانبعاثِ فصالحَ الإسْماعيليةَ أصْحابَ سِنانٍ، ثم كرَّ راجِعًا إلى دِمَشْقَ فى حراسةِ الرحمنِ، وقد تلقّاه أخوه شمسُ الدولةِ تُورانْشَاه [٢٧٥/٩ظ] فتسَالَمَا وتعانَقَا وتناشَدا الأشعارَ، ولمَّا دخَل السلطانُ إلى دمشقَ فى سابعَ عشَرَ صفرٍ فوَّضها إلى أخيه شمسِ الدولةِ تُورانْشاه ولقَّبه المَلِكَ المعظَّمَ، وعزَم السلطانُ على السَّفرِ إلى مِصْرَ، وكان القاضى كمالُ الدينِ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الشَّهْرَزُورىُّ قد تُوفِّى فى سادسِ المحرَّمِ مِن هذه السنَةِ، وقد كان مِن خيارِ القضاةِ، وأخصِّ الناسِ بنُورِ الدينِ الشهيدِ، فوَّضَ إليه نظرَ الجامعِ ودارَ الضَّرْبِ وعمارَةَ الأسْوارِ والنظَرَ فى المصالحِ العامَّةِ.

ولمَّا حضَرتْه الوفاةُ أوصَى بالقضاءِ لابنِ أخيه ضياءِ الدينِ بنِ تاجِ الدينِ الشَّهْرَزُورىِّ، فأمضَى ذلك السلطانُ الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ؛ رعايةً لحقِّ الكمالِ الشَّهْرَزُورىِّ، مع أنَّه كان يَجِدُ عليه؛ بسببِ ما كان بَيْنَه وبيْنَه حينَ كان صلاحُ الدينِ شِحْنةً[1] بدِمَشْقَ، وكان يعاكِسُه ويخالِفُه، ومع هذا أمْضَى وصيَّتَه لابنِ أخيه، فجلَس فى مجلسِ القضاءِ على عادةِ عمِّه وقاعِدَتِه ورسمِه، وبَقِى فى نفسِ السلْطانِ مِن توليةِ شرَفِ الدينِ أبى سعدٍ[2] عبدِ اللَّهِ بنِ أبى عَصْرُونَ الحَلَبىِّ، وكان قد هاجَر إلى السلطانِ إلى دِمَشْقَ فوعَده أن يُولِّيَه قضاءَها، فأَسَرَّ بذلك إلى القاضى الفاضلِ، فأشارَ القاضى الفاضلُ على الضياءِ أنْ يَسْتَعْفِىَ من

---

(١) فى م: «سجنه».
(٢) فى النسخ: «سعيد». والمثبت من وفيات الأعيان ٣/ ٥٣. وانظر سير أعلام النبلاء ٢١/ ١٢٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٣٢.

القضاءِ فاسْتَعْفَى فأُعْفِيَ ، وتُرِك له وَكالةُ بيتِ المالِ ، ووَلَّى السلْطانُ ابنَ أبى عَصْرُونَ على أنْ يَسْتنيبَ القاضىَ مُحْيِى الدينِ أبا المعالى محمدَ بنَ زكِيِّ الدينِ ، والأَوْحَدَ[1] ، عنه ففعَل ذلك ، ثم بعدَ سِنواتٍ اسْتَقلَّ بالحكمِ مُحْيِى الدينِ ، أبو حامدِ بنُ أبى عَصْرونَ عِوَضًا عن أبيه شَرَفِ الدينِ ؛ بسبَبِ ضَعْفِ بصَرِه .

وفى صفَرٍ مِن هذه السنةِ وقَف السلْطانُ الملكُ الناصِرُ قريةَ حَزْمٍ على الزاويةِ الغَزَّالِيَّةِ ، ومَنْ يشتغِلُ بها بالعلُومِ الشرعِيَّةِ ، أو ما يحْتاجُ إليه الفقيهُ ، وجعَل النَّظَرَ لقُطْبِ الدينِ النَّيْسابُورِىِّ مُدَرِّسِها .

وفى هذا الشهرِ تزوَّجَ السلطانُ صلاحُ الدينِ بالستِّ خاتُونَ عِصْمَةِ الدينِ بنْتِ مُعِينِ الدينِ أُنَرَ ، وكانتْ زوجةَ الملكِ نورِ الدينِ محمودٍ ، فأقامت بعدَه فى القلعةِ محترمةً مكرَّمةً ، ووَلِىَ تزْوِيجَها منه أخوها الأميرُ سعدُ الدينِ مسعودُ بنُ أُنَرَ ، وحضَر القاضى ابنُ أبى عَصْرونَ العَقْدَ ، ومَن معه مِن العُدولِ ، وباتَ الناصِرُ عندَها تلك الليلةَ والتى بعدَها ، ثم سافَر إلى مِصْرَ بعدَ يومينِ مِن الدخولِ بها ، فركِبَ يومَ الجُمُعةِ قبلَ الصلاةِ فنزل بمَرْجِ الصُّفَّرِ ، ثم سار فعَشا قريبًا مِن الصَّنَمَيْنِ[2] ، ثم أجَدَّ السيرَ حتى كان [٩/٢٧٦و] دخولُه الديارَ المصريةَ[3] يومَ السبتِ سادِسَ عشَرَ ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ فى أُبَّهةِ المُلْكِ . وقد تلَقَّاه أخوه

---

(١) سقط من م . والأوحد هو داود بن إبراهيم بن عمر بن بلال الشافعى وكان ينوب عن كمال الدين . الروضتين ١/ ٦٧٤.

(٢) فى م ، ص : « الصفين » . وفى الروضتين ١/ ٦٩٧: « الصنمتين » . وانظر صبح الأعشى ١٤/ ٣٨٠، ٣٩٣، ٣٩٦.

وعند ياقوت : الصنمان : قرية من أعمال دمشق فى أوائل حوران بينها وبين دمشق مرحلتان . معجم البلدان ٣/ ٤٢٩.

(٣) بعده فى ص : « إلى القاهرة المعزية » .

ونائبُه الملكُ العادِلُ سيفُ الدينِ أبو بكرٍ إلى عندِ بَحْرِ القُلْزُم ، ومعه مِنَ الهدَايا والتُّحَفِ شيءٌ كثيرٌ ولا سيّما المآكِلُ المتنوِّعَةُ ، وكان فى صُحْبَةِ السلْطانِ العِمادُ الكاتبُ ، ولم يكُنْ ورَد الديارَ المصرِيَّةَ قبلَ ذلك ، فشرَع يذكُرُ محاسِنَها ، وما اخْتَصَّتْ به مِن بينِ البُلْدانِ ، ووصَف الهرَمَين ، وشبَّهَهما بأنواعٍ مِن التشْبيهاتِ ، وبالَغ فى ذلك حسَبَ ما ذكر فى « الروْضَتَيْنِ » [1] .

وفى شعبانَ ركِبَ السلطانُ الناصِرُ بنُ أيوبَ إلى الإسْكَنْدَرِيَّةِ ، فأسْمَع ولدَيْه الأفضلَ عليًّا ، والعزيزَ عثمانَ على الحافظِ السِّلَفِيِّ ، وتردَّدَ بهما إليه ثلاثةَ أيامٍ ؛ الخميسَ والجُمعةَ والسبتَ رابعَ رمضانَ ، وعزَم السلطانُ على الصيامِ بها ، وقد كمَّلَ عمارةَ السورِ على البلدِ ، وأمَر بتَجْديدِ الأسْطُولِ وإصْلاحِ مراكبِه وسُفُنِه وشَحْنِه بالرجالِ والمقاتِلةِ ، وأمَرهم بغَزْوِ جزائرِ البحرِ ، وأقْطعَهم الإقْطاعاتِ الجزيلةَ ، وأرْصَد لصالحِ الأسطولِ مِن بيتِ المالِ ما يكْفِيه لجميعِ شُئونِه ، ثم عادَ إلى القاهرةِ فى أثناءِ رمضانَ فأكْمَل صومَه بها .

وفيها أمَر الناصِرُ صلاحُ الدينِ ببناءِ مدرسةٍ للشافِعيَّةِ على قبرِ الإمامِ الشافِعِيِّ ، وجعَل الشيخَ نجْمَ الدينِ الخُبُوشانِيَّ [2] مدَرِّسَها وناظِرَها .

وفيها أمَر ببناءِ المَارَسْتَانِ بالقاهرةِ ، ووقَف عليه أوقَافًا كثيرةً . وفيها بنَى الأميرُ مُجاهِدُ الدينِ قايْمازُ نائبُ قلعةِ المَوْصِلِ جامِعًا حسَنًا ورِباطًا ومدرسةً ومَارَسْتانًا

---

(١) الروضتين ١/ ٦٨٥.

(٢) هو محمد بن الموفق بن سعيد بن على بن الحسن بن عبد الله الخبوشانى . وفيات الأعيان ٤/ ٢٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٠٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٤. والخُبُوشانى ، بضم الخاء ، وقيده بالفتح ياقوت فى معجم البلدان ٢/ ٤٠٠.

مُتَجاوِراتٍ بظاهِرِ مدينةِ المَوْصِلِ ، وقد تأخَّرَتْ وفاتُه إلى سنَةِ خمسٍ وتِسْعِينَ وخَمْسِمِائةٍ ، وله عدَّةُ مدارِسَ وخَانْقاهاتٍ وجوامِعَ غيرَ ما ذكَرْنا ، وكان ديِّنًا خيِّرًا فاضلًا حنفِيَّ المذْهبِ ، يذاكِرُ فى الأدَبِ والأشْعارِ والفقهِ ، كثيرَ الصيامِ وقيامِ الليلِ - قدَّس اللَّهُ رُوحَه .

وفيها أُخرِجَ المَجْذُومونَ مِن أهلِ بغَدادَ إلى ناحِيَةٍ منها ليتَميَّزُوا عن أهلِ العافيةِ - نسْأَلُ اللَّهَ العافيةَ بفضلِه وكرمِه - وذكرَ ابنُ الجَوْزِىِّ فى « المنتظمِ » عنِ امرأةٍ أنها قالتْ[1] : كنتُ أمْشِى فى الطريقِ وكان رجلٌ يُعارِضُنى كلَّما مرَرْتُ به ، فقلتُ له : إنَّه لا سبيلَ إلى هذا الذى تَرُومُه منِّى إلَّا بكتابٍ ، فتزوَّجَنى عندَ الحاكمِ ، فمكَثْتُ معه مدَّةً ثم اعْتَراه انْتِفاخٌ ببطْنِه فكُنَّا [٢٧٦/٩ظ] نظُنُّ أن به اسْتِسْقاءً فنُداوِيه لذلك ، فلمَّا كان بعدَ مدَّةٍ وَلَدَ ولدًا كما تلِدُ النِّساءُ ، وإذا هو خُنْثَى مُشْكِلٌ ، وهذا مِن أغربِ الأشْياءِ . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

علىُّ بنُ عَساكِرَ بنِ المُرَحَّبِ بنِ العَوَّامِ ، أبو الحسَنِ البَطائحىُّ المُقْرِئُ اللغوىُّ[2] ، سمِع الحديثَ وأسْمَعه ، وكان حسنَ المعرفةِ بالنحوِ واللغةِ ، وقَفَ كتُبَه بمسجدِ ابنِ جرْدَةَ[3] ببغْدادَ ، وكانت وفاتُه فى شعبانَ وقد نَيَّفَ على الثمانين رحمهُ اللَّهُ .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٣١.

(٢) المنتظم ١٨/٢٣٣، ومعجم الأدباء ١٤/ ٦١، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٥٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٠٠، وغاية النهاية ١/ ٥٥٦، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٣٥، وبغية الوعاة ٢/ ١٧٩.

(٣) فى م : « جرارة » . وفى معجم الأدباء ١٤/ ٦٢: أنه وقف كتبه على مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلى ، وفى ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٣٧: أنه وقفها بمدرسة الحنابلة بباب الأزج .

محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ القاسمِ ، أبو الفَضْلِ ، قاضى القضاةِ بدِمَشْقَ ، كمالُ الدينِ الشَّهْرَزُورِىُّ ، المَوْصِلِىُّ[1] ، وله بها مدرسةٌ[2] على الشافِعيَّةِ ، وأخْرَى بنَصِيبِينَ ، وكان فاضلًا دَيِّنًا أمينًا ثقةً ورِعًا ، وَلِى القضاءَ بدِمَشْقَ لنورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى ، واسْتَوْزَرَه أيضًا فيما حكَاه ابنُ السَّاعى . قال : وكان يبْعَثُه فى الرسائلِ ، كتَب مرَّةً على أعلى قصَّةٍ إلى الخليفةِ المُقْتَفِى : محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الرسولُ ، فكتَب الخليفةُ تحتَ ذلك : ﷺ . قلتُ : وقد فوَّض إليه نورُ الدينِ نظَرَ الجامعِ ودارِ الضَّرْبِ ، وعمَّرَ له المَارَسْتَانَ والمدارسَ ، وغيرَ ذلك مِنَ الأمورِ المُهمّاتِ ، وكانتْ وفاتُه ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، فى المحرمِ مِن هذه السنَةِ بدِمَشْقَ .

الخطيبُ شمسُ الدينِ ابنُ الوزيرِ أبى المضاءِ[3] ، خطيبُ الديارِ المصريَّةِ ، وابنُ وزيرِها ، كان أولَ مَن خطَب بديارِ مِصْرَ للخليفةِ المُسْتَضِىءِ بأمرِ اللَّهِ العباسِىِّ ، بأمْرِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ يوسفَ بنِ أيوبَ ، ثم حَظِىَ عندَه حتى جعَله سَفِيرًا بيْنَه وبينَ الملُوكِ والخلفاءِ ، وكان رئيسًا مُطاعًا كريمًا مُمَدَّحًا ، يترامَى عليه الشعراءُ والأُدباءُ . ثم جعَل مكانَه فى السفارةِ وأداءِ الرسائلِ ضياءَ الدينِ ابنَ قاضى القضاةِ الشّهْرَزُورِىَّ المتقدِّمَ بمَرْسُومٍ سُلْطانِىٍّ ، وكانت وظيفةً مُقَرَّرَةً .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٣٣، وخريدة القصر (قسم الشام) ٢/ ٣٢٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٤١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٧، وتاريخ الإسلام حوادث ووفيات (٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٠٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١١٧.

(٢) هكذا فى النسخ ، ولعل تمام الكلام : وقفها على الشافعية .

(٣) فى م : « الضياء » . وانظر ترجمته فى : الروضتين ١/ ٦٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٠٩، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٨٩.

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وسبعِينَ وخمسِمائةٍ[1]

فيها أمَر السلطانُ ببناءِ قلْعَةِ الجبَلِ وإحاطَةِ سورٍ على القاهرةِ ومِصْرَ يشمَلُهما جميعًا ، فعُمِّرت قلعةٌ للملكِ لم يكُنْ فى الديارِ المصريةِ مثْلُها ولا على شكْلِها ، ووَلِىَ عِمارَةَ ذلك الأميرُ بهاءُ الدينِ قَراقُوشُ مملوكُ تَقِىِّ الدينِ عمرَ بنِ شَاهِنْشَاه بنِ أيُّوبَ .

وفيها كانتْ وقعةُ الرَّمْلَةِ على المسلمينَ .

وفى جُمادَى الأُولَى منها سارَ السلطانُ الملكُ الناصِرُ صلاحُ الدينِ يوسُفُ بنُ أيوبَ مِن مصرَ قاصِدًا غَزْوَ الفِرنجِ ، فانْتَهَى إلى [٩/٢٧٧و] بلادِ الرَّمْلَةِ ، فسبَى وسلَب وغنِم وقسَر وكسَر وكسَب ، ثم تشاغَل جيشُه بالغنائمِ ، وتفرَّقُوا فى القُرَى والمحالِّ تفرُّقَ الهائمِ ، وبَقِى السلطانُ فى طائفةٍ مِن الجيش مُنْفرِدًا ، فهجَمَتْ عليه الفِرنجُ فى جَحْفَلٍ مِنَ المقاتِلةِ ، فما سَلِم السلطانُ إلّا بعدَ جَهْدٍ جهيدٍ ، وللَّهِ الحمدُ ، ثم تراجَعَ الجيشُ بعدَ تفرُّقِهم ، واجْتمَعُوا عليه بعدَ أيامٍ ، ووقعَتِ الأراجِيفُ فى الناسِ بسببِ ذلك ، وما صدَّقَ أهلُ الديارِ المصريَّةِ برؤيتِه بعدَ ما بلَغهم مِن الإرْجافِ والإرهابِ ، وصارَ الأمرُ كما قيل[2] :

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٣٥، والكامل ١١/ ٤٤٢.

(٢) فى ص : «قال الشاعر». وهو مثل يضرب للرجل يشقى فى طلب الحاجة حتى يرضى بالخلوص سالمًا. جمهرة الأمثال ١/ ٤٨٤.

وهو شطر بيت لامرئ القيس وصدره :

وقد طوفت فى الآفاق حتى ....

ديوان امرئ القيس ص ٩٩.

* رَضِيتُ مِن الغنيمةِ بالإيابِ *

ومع هذا دقَّتِ البشائرُ فى البُلْدانِ فرحًا بسلامةِ السلْطانِ ، ولم تَجْرِ مثلُ هذه الوقعةِ إلَّا بعدَ عَشْرِ سنِينَ ، وذلك يومَ حِطِّينَ ، والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين ، وقد ثبَتَ السلْطانُ فى هذه الوقْعةِ ثَباتًا عظِيمًا ، وأُسِرَ للملكِ المظفَّرِ تَقِيِّ الدينِ عمرَ بنِ أخى السلْطانِ وَلَدُه شاهِنْشَاه ، فبَقِىَ عندَهم سَبْعَ سنِينَ ، وقُتِلَ ابنُه الآخرُ ، وكان شابًّا قد طَرَّ شارِبُه ، فحزِنَ على المقْتُولِ والمفْقُودِ ، وصَبَر تأسِّيًا بأيُّوبَ ، وناحَ كما ناحَ داودُ ، وأُسِر الفَقِيهانِ الأخَوانِ ، ضِياءُ الدينِ عِيسى[1] ، وظهيْرُ الدينِ ، فافْتدَاهما السلطانُ بعدَ سنين[2] بسبعين[3] ألفَ دينارٍ .

وفيها تخبَّطَتِ الدولةُ بحَلبَ ، وقبَضَ السلْطانُ الملكُ الصالِحُ إسْماعيلُ بنُ نُورِ الدينِ على الخادمِ كُمُشْتِكينَ ، وألْزَمه بتَسْليمِ قلعةِ حارِمٍ ، وكانتْ له ، فأَبَى مِن ذلك ، فعلَّقَه منْكُوسًا ، ودخَّنَ تحتَ أنْفِه حتى ماتَ مِن ساعَتِه . وقصَدتِ الفِرنجُ حارِمًا فامتَنَعت عليهم ، ثم سُلِّمت إلى الملكِ الصالحِ .

وفيها جاءَ ملكٌ كبيرٌ مِن ملُوكِ الفِرنجِ يَرُومُ أخْذَ الشَّامِ لغَيْبَةِ السلْطانِ واشْتِغالِ نُوَّابِه بلذَّاتِهم .

قالَ العمادُ الكاتبُ[4] : ومِن شَرْطِ هُدْنَةِ الفِرنجِ أنَّه متى جاء مَلِكٌ كبيرٌ مِن ملُوكِهم لا يمكِنُهم دفْعُه فإنّهم يقاتِلُونَ معه ويُؤازِرُونَه وينْصُرونه ، فإذا انْصرَفَ

---

(١) انظر ص ٦١١ .

(٢) فى م : « سنتين » .

(٣) فى م : « بتسعين » . وانظر الروضتين ١/ ٧٠١.

(٤) المصدر السابق ١/ ٧٠٦.

عنهم عادَتِ الهُدْنَةُ كما كانتْ ؛ فقصَدَ هذا الملكُ وجملةُ الفِرنجِ معه مدينةَ حَمَاةَ ، وصاحِبُها شِهابُ الدينِ محمودٌ خالُ السلْطانِ مريضٌ ، ونائبُ دِمَشْقَ ومَن معه مِن الأمراءِ مشْغولُونَ بلذَّاتِهم ، فكادُوا يأخُذُونَ البلَدَ ، ولكِن هزَمَهمُ اللَّهُ بعدَ أرْبَعةِ أيامٍ ، فانْصَرَفُوا إلى حارِمٍ فلم يتمَكَّنُوا مِن أخْذِها ، وكشَفَهم عنها الملكُ الصالِحُ صاحِبُ حلَبَ ، وقد دفَع إليهم مِنَ الأمْوالِ والأُسارَى ما طلَبُوه . وتُوفِّى صاحِبُ حمَاةَ الأميرُ شِهابُ الدينِ محمودُ بنُ تِكِشَ ، خالُ السلْطانِ الناصرِ ، وتُوفِّى قبلَه ولدُه بثلاثَةِ أيامٍ ، رحِمهما اللَّهُ .

ولمَّا سمِعَ الملكُ الناصِرُ بنزُولِ الفِرنجِ على حارِمٍ خرَج مِن مصْرَ [٩/٢٧٧ظ] قاصدًا بـلادَ الشـامِ ؛ لغزوِ الفِرنجِ - لعنَهم اللَّهُ تعالى - فكان دخولُه إلى دِمَشْقَ فى [1]الرابعِ والعشرين مِن[1] شوَّالٍ ، وصُحْبتَه العِمادُ الكاتبُ ، وتأخَّرَ القاضِى الفاضِلُ بمِصْرَ ناويًا أداءَ الحَجِّ فى هذا العامِ ، تقبَّلَ اللَّهُ منه .

وفيها جاءَ كتابُ القاضِى الفاضِلِ إلى الناصِرِ يهنِّئُه بوجودِ مؤْلُودٍ له ، وهو أبو سُلَيمانَ داودُ ، وبه كمَل له اثْنَا عشَرَ ذكَرًا ، وقد وُلِد له بعدَه عدَّةُ أوْلادٍ ذكُورٍ أيضًا ، فإنَّه تُوفِّى عن سَبْعَةَ عشَرَ ذكرًا وابنةٍ صغيرةٍ اسْمُها مُؤنِسةُ ، التى تزوَّجَها ابنُ عمِّها الملكُ الكامِلُ محمدُ بنُ العادِلِ ، كما سيأْتى بيانُ ذلكَ فى موْضعِه ، إنْ شاءَ اللَّهُ تعالَى .

وفى هذه السنةِ جرَتْ فتنةٌ عظيمةٌ بيـنَ اليهودِ والعامَّةِ ببَغْدادَ ، وكانت بسبَبِ أنَّ مؤذِّنًا عندَ كنيسَةِ اليهودِ نال منه بعضُ اليهودِ بكلامٍ ، فشَتَمه المسلمُ ، فاقْتَتلَا ،

(١ - ١) فى م : « رابع عشر » . وانظر الروضتين ١/ ٧٠٧.

فجاءَ المؤذِّنُ يشْتَكِى منه إلى الديوانِ ، وتفاقَم الحالُ ، وكثُرتِ العوامُّ ، وأكْثَرُوا الضَّجيجَ ، ولمَّا كان يومُ الجُمُعةِ منَعَتِ العامَّةُ إقامةَ الخُطبةِ فى بعضِ الجوامعِ ، وخرَجُوا مِن فوْرِهم ، فنهَبُوا سُوقَ العَطَّارِينَ الذى فيه اليهودُ ، وذهَبُوا إلى كنيسةِ اليهودِ فنهَبُوها ، ولم يتمكَّنِ الشُّرَطُ مِن ردِّهم ، فأمَر الخليفةُ بصَلْبِ بعضِ العامَّةِ ، فأُخْرِجَ فى الليلِ جماعةٌ مِن الشُّطَّارِ الذين كانوا فى الحبُوسِ وقد وجَبَ عليهمُ القتلُ فصُلِبُوا ، فظَنَّ كثيرٌ مِن الناسِ أنَّ هذا كان بسبَبِ هذه الكائنةِ . فسكَنت الفتنةُ ، وللَّهِ الحمدُ .

وفيها خرَجَ وزيرُ الخليفةِ عضُدُ الدولةِ ابنُ رئيسِ الرُّؤساءِ ابنِ المُسلمةِ قاصدًا الحَجَّ ، وخرَجَ الناسُ فى خدْمَتِه ليوَدِّعُوه ، فتقدَّمَ إليه ثلاثةٌ مِن الباطِنيَّةِ فى صورةِ فقراءَ ومَعهم قِصَصٌ ، فتقدَّم أحدُهم ليُناوِلَه القصةَ فضرَبه بالسكينِ ضرَباتٍ ، وهجَم الثانى ، وكذا الثالثُ فهَبَرُوه وجرَحُوا جماعةً حولَه ، وقُتِل الثلاثةُ مِن فوْرِهم وحُرِّقوا ، ورجَعَ الوزيرُ إلى منْزِلِه محمولًا فمات فى يومِه ، وهذا الوزيرُ هو الذى قتَل ولَدَيِ الوزيرِ ابنِ هُبَيْرَةَ وأعدمَهما ، فسلَّطَ اللَّهُ عليه مَن قتَله ، وكما تَدِينُ تُدَانُ ، جزاءً وِفاقًا . ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت : ٤٦] .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

صَدَقَةُ بنُ الحُسَيْنِ ، أبو الفَرَجِ بنُ[1] **الحدَّادِ** ، قرَأ القرآنَ ، وسمِعَ الحديثَ ، وتفَقَّهَ وأفْتَى ، وقالَ الشعرَ ونظَر فى الكلامِ وناظَر ، وله تارِيخٌ ذَيَّل فيه على شيْخِه ابنِ الزَّاغُونِىِّ ، وفيه غرائبُ وعجائبُ .

---

(١) سقط من النسخ ، والمنتظم ١٨/ ٢٤٣. والمثبت من مصادر ترجمته التالية : سير أعلام النبلاء ٢١/ ٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١١٩، والوافى بالوفيات ١٦/ ٢٩٢، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٣٩.

وقالَ ابنُ السَّاعِي : كان شيْخًا عالمًا فاضلًا وكان فقيرًا يأكُلُ مِن أُجْرَةِ النَّسْخِ ، وكان يأْوِى إلى مسجدٍ ببَغْدادَ عندَ البَدْرِيَّةِ يَؤُمُّ فيه ، وكان يتعتَّبُ[٢٧٨/٩و] على الزمانِ وبَنيه .

ورأيْتُ ابنَ الجَوْزِيِّ فى « المنتظَمِ »[١] يذُمُّه ويرْمِيه بالعَظائمِ ، وأوْرَدَ له من أشعارِه ما فيه مُشابهَةٌ لابنِ الرّاوَنْدِيِّ فى الزنْدَقةِ ، فاللَّهُ أعلمُ . وكانت وفاتُه فى ربيعٍ الآخرِ مِن هذه السنَةِ عن خمسٍ وسَبعِينَ سنةً ، ودُفِنَ ببابِ حربٍ ، ورُوِيَتْ له مناماتٌ غيرُ صالحةٍ ، نسْأَلُ اللَّهَ العافيةَ فى الدنْيَا والآخرةِ .

[٢]**محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الجبّارِ ، أبو المظفَّرِ الحنَفيُّ** ، المعروفُ بالمشَطِّبِ ، كان مِن الفُضلاءِ المشاهيرِ ، تفقَّه ، ودرَّسَ ، وأفتى ، وناظَر . تُوفِّى فى هذه السنةِ وقد جاوَز الثمانينَ[٢] .

محمدُ بنُ أسْعَدَ بنِ محمدٍ ، أبو منْصُورٍ العَطَّارُ[٣] ، المعرُوفُ بحَفَدةَ ، سمِعَ الكثيرَ وتفَقَّهَ وناظَرَ وأفْتَى ودرَّس ، وقدِمَ بَغْدادَ فماتَ بها فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمودُ بنُ تِكِشَ[٤] ، **شِهَابُ الدينِ الحارِمىُّ** ، خالُ السلطانِ صلاحِ

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ٢٤٦، والكامل ١١/ ٤٤٩، والجواهر المضية فى طبقات الحنفية ٣/ ٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٢٧، والوافى بالوفيات ٢/ ١٠٦.

(٣) المنتظم ١٨/ ٢٤٦، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٣٨، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٨٦، ١٢٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٩٢.

(٤) فى م : « تتش » . وانظر ترجمته فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠) ص ١٣٠، والروضتين ١/ ٧٠٧، ومرآة الزمان ٨/١/ ٣٤٣، وكتاب السلوك ١/١/ ٦٦.

الدينِ ، مِن خيارِ الأمراءِ وشُجْعانِهم ، وقد أَقْطَعه ابنُ أخْتِه حَمَاةَ حيـنَ فتَحها ، وقد حاصَره الفِرنجُ بها فى هذه السنةِ وهو مريضٌ ، ففتَحوها وقتَلُوا بعضَ أهْلِها ، فردُّوهم خائِبيـنَ ، وللَّهِ الحمدُ .

فاطِمَةُ بنتُ (1**نَصْرِ بنِ العَطَّارِ** 1) ، كانتِ مِن ساداتِ النساءِ ، وهى مِن سُلالةِ أختِ صاحبِ المخْزَنِ ، وكانت مِنَ العابِداتِ المتوَرِّعاتِ المُخَدَّراتِ ، يقالُ : إنَّها لم تخرُجْ مِن منزلِها سِوَى ثلاثِ مرَّاتٍ ، وقد أثْنَى عليها الخليفةُ وغيرُه ، واللَّهُ أعلمُ .

(1 - 1) فى م : « نصر العطار » . وانظر ترجمتها فى : المنتظم ١٨/ ٢٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٢٦.

ثم دخَلَتْ سنَةُ أربعٍ وسَبْعِينَ وخمسِمائةٍ[1]

فيها ورَد كتابٌ مِن القاضى الفاضلِ مِن مِصْرَ إلى السلطانِ وهو بالشام يُهَنِّئُه بسلامةِ أولادِه المُلوكِ الاثْنَىْ عشَرَ، يقولُ فى بعضِه[2] : وهم بحمدِ اللَّهِ بهْجَةُ الدنيا وزينتُها، ورَيْحانةُ الحياةِ وزَهْرتُها، وإنَّ فُؤادًا وسِعَ فِراقَهم لواسِعٌ، وإنَّ قلبًا قنَعَ بأخْبارِهم لقانِعٌ، وإنَّ طرْفًا نامَ عنِ البُعْدِ عنهم لهاجِعٌ، وإنَّ مَلِكًا مَلكَ تصبُّرَه عنهم لحازِمٌ، وإنَّ نِعمةَ اللَّهِ بهِم لنعمةٌ بها العيشُ ناعِمٌ، أمَا يشتاقُ جِيدُ المَوْلَى أنْ يتطوَّقَ بدُرَرِهم؟ أمَا تَظمأُ عينُه أنْ تَترَوَّى بنظَرِهم؛ أمَا يحِنُّ قلبُه إلى قلبِه؟ أمَا يلتقِطُ هذا الطائرُ بتقْبيلِهم مَن خرَج مِن حبِّه؟ وللمولَى أبْقاهُ اللَّهُ أنْ يقولَ :

وما مِثلُ هذا الشوْقِ تَحْمِلُ مُضغةٌ ولكنَّ قلْبِى فى الهوَى يتقَلَّبُ

وفيها أسقَطَ السلطانُ صلاحُ الدينِ المُكُوسَ والضرائبَ عنِ الحُجّاجِ بمَكَّةَ، وقد كان يؤخَذُ مِن حُجَّاجِ الغربِ شيءٌ كثيرٌ، ومَنْ عجزَ عن أدائِه حُبِس فرُبَّما فاتَه الوقوفُ [٢٧٨/٩ظ] بعرَفَةَ، وعَوَّضَ أميرَها بمالٍ يُقْطَعُه بديارِ مصرَ، وأنْ يُحْمَلَ إليه فى كلِّ سنَةٍ ثمانيةُ آلافِ إرْدَبٍّ غلَّةً إلى مَكَّةَ؛ ليكونَ عوْنًا له ولأَتْباعِه، ورِفْقًا بما تيسَّر على المجاورينَ مِن ابتياعِه، وقرَّر للمُجاورِينَ أيضًا غلَّاتٍ تحمَلُ إليهم وصلاتٍ، فرحمةُ اللَّهِ عليه فى سائرِ الأوقاتِ.

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٤٨، والكامل ١١/ ٤٥٠.
(٢) الروضتين ٢/ ٣.

وفيها عصَى الأميرُ شمسُ الدينِ ابنُ مقدَّمٍ ببَعْلَبَكَّ، ولم يجِئْ إلى خدمةِ السلطانِ وهو نازِلٌ على ظاهرِ حِمْصَ؛ وذلك أنَّه بلَغَه أنَّ أخا السلطانِ تُورانْشاه طلَبَ بَعْلَبَكَّ مِن السلطانِ فأطلقَها له، فامتَنَع ابنُ المقدَّمِ مِن الخروجِ منها حتى جاءَ السلطانُ بنفسِه، فحصَره فيها مِن غيرِ قتالٍ، حتى جاءتِ الأمطارُ والبَرَدُ، فَعاد إلى دِمشقَ فى رجَبٍ، ووكَّل بالبلدِ مَن يحصُرُه مِن غيرِ قتالٍ، ثم عوَّضَ ابنَ المقدَّمِ عنها بتَعْويضٍ كثيرٍ خَيْرٍ ممَّا كان بيَدِه، فخرَجَ منها وتسلَّمها تُورانْشاه.

قال ابنُ الأثيرِ[1]: وكان فى هذه السنَةِ غلاءٌ شديدٌ بسبَبِ قلَّةِ المطَرِ، عمَّ العراقَ والشامَ ودِيارَ مِصْرَ، واستَمرَّ إلى سنَةِ خَمْسٍ وسَبْعِينَ، فجاءَ المطَرُ ورخُصتِ الأسعارُ، ولكن تعقَّبَ ذلك وباءٌ شديدٌ، وعمَّ البلادَ مرضٌ واحدٌ، وهو السِّرْسَامُ[2]، فما ارتفَعَ إلَّا فى سَنَةِ ستٍّ وسبعينَ، فماتَ بسبَبِ ذلك خلقٌ كثيرٌ، وأُمَمٌ لا يعلَمُ عددَهم إلَّا الذى خلَقَهم.

وفى رمضانَ منها وصَلَتْ خِلَعُ الخليفةِ إلى الملكِ صلاحِ الدينِ وهو بدِمَشْقَ، وكانت سنيَّةً عظيمَةً جدًّا، وزِيدَ فى ألقابِه، مُعِزُّ أميرِ المؤمنينَ، وخُلِعَ أيضًا على أخيه تُورانْشَاه ولُقِّبَ بمصْطَفَى أميرِ المؤمنينَ.

وفيها جهَّز الملكُ صلاحُ الدينِ ابنَ أخيه فَرُّخْشاه بنَ شَاهِنْشَاه بنِ أيوبَ بينَ يدَيْه لقتالِ الفِرنجِ الذين قد عزَموا على قِتالِ المسلمينَ، وعاثُوا فى نواحِى دمَشْقَ وقُراها، فنَهبُوا مما حولَها وأرجاءَها، وأمرَه أنْ يُداريَهم حتى يتوسَّطُوا البلادَ، ولا يقاتِلَهم حتى يقْدَمَ عليه، فلمَّا التقَوْا عاجَلُوه بالقتالِ، فكسَرهم وقتَلَ مِن ملُوكِهم

(١) الكامل ١١/ ٤٥١.
(٢) فى الأصل: «البرسام». والسرسام: ورم فى حجاب الدماغ تحدث عنه حمى دائمة، وتتبعها أعراض رديئة كالسهر واختلاط الذهن. الوسيط (س ر س م).

صاحِبَ الناصرةِ الهنفرى ، وكان مِن أكابرِ ملُوكِهم وشُجْعانِهم ، لا يُنَهْنِهُهُ اللقاءُ ، فكبَتَه اللَّهُ فى هذه الغزْوَةِ ، ثم ركِبَ السلطانُ صلاحُ الدينِ فى إثْرِ ابنِ أخيه فما وصَلَ إلى الكِسوةِ حتى تلَقَّتْه الرُّءُوسُ على الرِّماحِ ، والغنائمُ والأُسارَى ، (١)والجيشُ فى سُمْرِه وبيضِه مِن البنادِقِ(٢) والصِّفاحِ(١) .

وفيها بنَتِ الفِرنجُ ، لعنَهم اللَّهُ ، قلعةً عندَ بيتِ الأحزانِ للداويَّةِ ، فجعَلُوها مرْصَدًا لحرْبِ المسلمينَ ، وقطْعِ طرقاتِهم عليهم ، ونقَضَتْ ملُوكُهم العهودَ [٩/٢٧٩و] التى كانت بيْنَهم وبينَ صلاحِ الدينِ ،وأغارُوا على نواحِى البلدانِ مِن كلِّ جانبٍ ؛ ليشْغَلُوا المسلمينَ عنهم ، وتفرَّقَتْ جيوشُهم فلا تجتَمِعُ فى بُقْعَةٍ واحدةٍ ، فرتَّبَ السلطانُ ابنَ أخيه تقىَّ الدينِ عمرَ بثَغْرِ حماةَ ومعه شمسُ الدينِ ابنُ مقدَّمٍ وسيفُ الدينِ علىُّ بنُ أحمدَ المشطوبُ ، وبثَغْرِ حِمْصَ ابنَ عمِّه ناصِرَ الدينِ بنَ أسَدِ الدينِ شيركُوه ، وبعَثَ إلى أخيه سيفِ الدينِ أبى بكرٍ العادِلِ نائبِه بمِصْرَ أنْ يبعَثَ إليه ألفًا وخَمْسَمائةِ فارسٍ يستعينُ بهم على قتالِ الفِرنجِ ، وكتَبَ إلى الفِرنجِ يأمُرُهم بتَخْريبِ هذا الحِصْنِ الذى بَنوه للداويَّةِ ، فامْتَنَعُوا إلَّا أنْ يبذُلَ لهم ما غرِمُوه عليه ، فبذَلَ لهم ستِّينَ ألفَ دينارٍ فلم يقبلُوا ، فوصَلهم إلى مائةِ ألفِ دينارٍ فأبَوْا ، فقالَ له ابنُ أخيه تَقِىُّ الدينِ عمرُ : ابذُلْ هذه فى جنودِ المسلمينَ ، وسِرْ إلى هذا الحِصْنِ فخرِّبه . فأخَذ بقوْلِه فى ذلك وخرَّبَه فى السنَةِ الآتيةِ ، كما سنذْكُرُه إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

وفيها أمَرَ الخليفةُ المُسْتَضِىءُ بكتابةِ لَوْحٍ على قبْرِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ ، فيه

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : « المـارق » .

آيةُ الكُرْسِيِّ ، وبعدَها : هذا قبرُ تاجِ السُّنَّةِ ، وحيدِ الأُمَّةِ ، العالى الهِمَّةِ ، العالمِ العابدِ الفقيهِ الزاهدِ . وذِكرُ تاريخِ وفاتِه ، رَحِمه اللَّهُ تعالى .

وفيها احْتِيطَ ببغْدَادَ على شاعرٍ يُنشِدُ للرَّوافِضِ ، يقالُ له : ابنُ قرايا . يقفُ فى الأسواقِ ويذكُرُ أشعارًا يُضَمِّنُها ذمَّ الصحابةِ ، رضِى اللَّهُ عنهم ، وسَبَّهم ، وتجويرَهم ، وتهْجينَ مَن أحبَّهم ، فعُقِدَ له مجلسٌ بأمْرِ الخليفةِ ، واسْتُنْطِقَ فإذا هو رافِضِىٌّ جَلْدٌ داهيةٌ ، فأفْتَى الفقهاءُ بقطْعِ لسانِه ويَدَيْه ، ففُعِلَ به ذلك ، ثم اخْتَطَفَتْه العامَّةُ فما زالُوا يرمُونَه بالآجُرِّ حتى ألْقَى نفْسَه فى دِجْلَةَ ، فاسْتَخْرَجُوه منها وقتَلوه حتى ماتَ ، فأخَذُوا شريطًا ورَبطُوه فى رِجْليه وطوَّفوا به فى البلدِ يُجَرْجِرونه فى أكنافِها ، ثم ألْقَوه فى بعضِ الأتُوناتِ مع الآجُرِّ والكِلْسِ[1] ، وعجَز الشُّرَطُ عن تخْليصِه منهم .

ومِمن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أسعدُ بنُ بلدرك ، أبو أحمدَ الجِبْرِيلىُّ[2] ، سمِعَ الحديثَ ، وكان شيْخًا ظريفًا ، حسَنَ المُذاكرةِ ، جيِّدَ النادِرَةِ ، سريعَ المبادَرةِ ، توفِّى فى هذه السنةِ عن مائةِ سنَةٍ وأرْبَعِ سِنينَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ نَسيمِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أبو عبدِ اللَّهِ الخيَّاطُ[3] ، عتيقُ الرئيسِ أبى الفَضلِ بنِ عَيْشُونَ ، سمِعَ الحديثَ وقارَب الثمانين ، سقَط مِن درجةٍ فماتَ .

---

(١) الكلس : ما طُلِى به حائط ، أو باطن قصر ، شِبْهُ الجِصِّ من غير آجُرٍّ . اللسان (ك ل س) .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٣٩، والعبر ٤/ ٢١٩، وشذرات الذهب ٤/ ٢٤٦.

(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٥٦، والعبر ٤/ ٢٢١، والوافى بالوفيات ٥/ ١١٠، والنجوم الزاهرة ٦/ ٨٤، وشذرات الذهب ٤/ ٢٤٩.

قال : أنْشَدنى مَوْلَى والدِي ، يعْنى ابنَ أعلى[1] الحكيمَ أبا الفضلِ بنَ عَيْشُونَ :

[٩/ ٢٧٩ظ] القارِئُ التشريحَ أجْدَرُ بالتُّقَى ... مِن راهبٍ فى دَيْرِه مُتَقَوِّسِ
ومراقِبُ الأفْلاكِ كانتْ نفْسُه ... بعبادَةِ الرحمنِ أحْرَى الأنفُسِ
والماسِحُ الأرَضِينَ وَهْى فسِيحَةٌ ... أوْلَى بمَسْحٍ فى أكُفِّ اللُّمَّسِ
أوْلَى بخشيةِ ربِّه مِن جاهلٍ ... بمثَلَّثٍ ومرَبَّعٍ ومُخَمَّسِ

الحَيْصَ بَيْصَ ، سعدُ بنُ محمدِ بنِ سعدٍ ، شِهابُ الدينِ أبو الفوارِسِ الصيفيُّ[2] ، الشاعرُ ، له ديوانُ شعرٍ مشهورٌ ، وكانت وفاتُه يومَ الثلاثاءِ خامسِ شعبانَ مِن هذه السنةِ ، وله ثِنْتانِ وثمانونَ سنةً ، وصُلِّى عليه بالنِّظامِيَّةِ ، ودُفِنَ ببابِ التِّبنِ ، ولم يُعْقِبْ ،ولم يكُنْ له فى المُراسَلاتِ بدِيلٌ ، كان يتقَعَّرُ فيها ويتفاصَحُ جدًّا ، فلا تُواتِيه إلَّا وهى مُعَجْرَفَةٌ ، وكان يزعُمُ أنَّه مِن بنى تميمٍ ، فسُئِلَ أبوه عن ذلكَ فقال : ما سمِعْتُه إلَّا منه . فقالَ بعضُ الشعراءِ يهْجُوه فيما ادَّعاه مِن ذلك[3] :

كم تُبادِى وكم تُطوِّلُ طُرْطُو ... رَكَ ما فِيكَ شَعْرَةٌ مِن تميمِ
فكُلِ الضَّبَّ وابْلَعِ[4] الحَنْظَلَ اليا ... بِسَ واشْرَبْ إنْ شئتَ بَوْلَ الظَّليمِ
ليس ذا وَجهَ مَنْ يُضيفُ ولا يَقْـ ... ـرِى ولا يدْفَعُ الأذَى عنْ حريمِ

---

(١) فى م : « علام » .

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/ ٢٠٢، والمنتظم ١٨/ ٢٥٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٦٢، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٤١، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٩١.

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٤، وقد ذكر العماد فى الخريدة (قسم شعراء الشام) ٢/ ٢٩٩، ٣٠٠، أن هذه الأبيات للرئيس على بن الأعرابى الموصلى .

(٤) فى م ، ووفيات الأعيان : « اقرط » . والمثبت موافق لما فى الخريدة . واقرط : اقطع .

ومِن شعرِ الحَيْصَ بَيْصَ الجيِّدِ[1] :

سلامةُ المرءِ ساعةً عجبُ وكلُّ شيءٍ لحَتْفِه سببُ
يفِرُّ والحادِثاتُ تطْلُبُهُ يفِرُّ منها ونحوَها الهرَبُ
فكيف يبْقَى على تقلُّبِهِ مسلَّمًا مَن حياتُه[2] العطَبُ

ومن شعرِه أيضًا[3] :

لا تلْبَسِ الدهْرَ على غِرَّةٍ فما لموْتِ الحيِّ مِن بُدِّ
ولا يُخادِعْكَ طويلُ البَقَا فتحْسَبُ الطولَ مِنَ الخُلْدِ
يقرُبُ[4] ما كانَ له آخِرٌ ما أقربَ المهْدَ مِن اللحدِ

ويقرُبُ مِن هذا ما ذكَره صاحبُ « العِقْدِ » ، وهو أبو عمرَ ، أحمدُ بنُ محمدِ ابنِ عَبْدِ رَبِّه الأنْدَلُسِيُّ فى « عِقْدِه »[5] :

ألَا إنَّما الدنْيا غضارَةُ أيْكَةٍ إذا اخْضَرَّ منها جانِبٌ جفَّ جانبُ
وما الدهْرُ والآمالُ إلَّا فجائعٌ عليها وما اللَّذَّاتُ إلَّا مصائبُ
فلا تكْتَحِلْ عَيناكَ منها بعَبْرَةٍ على ذاهبٍ منها فإنَّكَ ذاهِبُ

[٩/٢٨٠و] وقد ذكَرَ أبو سَعْدٍ السَّمْعانيُّ حَيْصَ بَيْصَ هذا فى « ذيْلِه » ، وأثْنَى عليه ، و سمِعَ عليه دِيوانَه ورسائلَه ، وأثْنَى على رسائلِه القاضى ابنُ خَلِّكانَ ، وقال[6] : كان فيه تِيهٌ وتعاظُمٌ ، ولا يتكلَّمُ إلَّا مُعْرِبًا ، وكان فقيهًا شافعيَّ

---

(١) ديوان الحيص بيص ٢/ ٣٤١.
(٢) فى الديوان : « بقاؤه » .
(٣) المصدر السابق ٢/ ٣٤٦.
(٤) فى الديوان : « ينفد » .
(٥) العقد الفريد ٣/ ١٧٥.
(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٢، ٣٦٣.

المذهبِ ، واشْتغلَ بالخِلافِ وعلْمِ النظَرِ ، ثم تشاغلَ عن ذلك كلِّه بالشعرِ ، وكان مِن أخْبَرِ الناسِ بأشعارِ العربِ ، واخْتِلافِ لغاتِهم . قال[1] : وإنَّما قيلَ له : الحَيْصَ بَيْصَ . لأنَّه رأَى الناسَ فى حرَكَةٍ واخْتِلاطٍ ، فقال : ما للناسِ فى حَيْصَ بَيْصَ . أىْ فى شدَّةٍ وهَرجٍ ، فغلَبت عليه هذه الكلِمةُ . وكان يزعُمُ أنَّه مِن ولدِ أكْثَمَ بنِ صَيْفِىٍّ طبيبِ العرَبِ ، ولم يترُكْ عَقِبًا . كانتْ له حَوالةٌ بالحِلَّةِ ، فذهَبَ يتقاضَاها ، فتُوفِّى ببَغْدادَ فى هذه السنَةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٥.

ثم دخلت سنة خمسٍ وسبعين وخمسمائةٍ

وفيها كانت وقعةُ مرجِ عُيونٍ[1] .

استهلَّتْ هذه السنةُ والسلطانُ صلاحُ الدينِ نازِلٌ بجيشِه على تلِّ القاضِى ببَانْياسَ ، ثم قصَدَه الفِرنجُ بجَمْعِهم ، فنهَضَ إليهم نهوضَ الأسدِ ، فما هو إلَّا أن تواجَه الفريقانِ واصْطَدَمَ الجُندانِ ، حتى أنزَلَ اللَّهُ نصْرَه وأعزَّ جندَه وهزَم الأعداءَ وحدَه ، ففرَّت ألوِيَةُ الصُّلْبانِ ذاهبةً ، وخَيْلُ اللَّهِ لرِقابِهم راكِبَةٌ ، فقُتِلَ منهم خَلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ ، وأُسِرَ مِن ملُوكِهم جماعةٌ ، وأنابُوا إلى السمعِ والطاعَةِ ، منهم مُقدَّمُ الداوِيَّةِ ، ومُقدَّمُ الإسبتاريَّة[2] وصاحِبُ الرَّمْلةِ وصاحِبُ طَبَريَّةَ وقسْطلانُ يافا وآخرونَ مِن ملُوكِهم ، وخلقٌ مِن شُجْعانِهم وأبْطالِهم ، ومِن فُرسانِ القُدْسِ جماعةٌ كثيرون قريبًا مِن ثَلاثِمائةِ أسيرٍ مِن أشرافِ النَّصارَى ، فصارُوا يتهادونَ[3] فى قيودِهم كأنَّهم سُكارَى وما هم بسُكارَى .

قال العمادُ الكاتبُ[4] : فاسْتَعْرَضهمُ السلطانُ فى الليلِ حتى أضاءَ الفجرُ على الظلماءِ ، وصلَّى يومَئذٍ الصبحَ بوُضوءِ العِشاءِ ، وكان السلطانُ جالسًا ليَلْتَئِذٍ فى

---

(١) الكامل ١١/ ٤٥٥، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧٠ - ٥٨٠هـ) ص ٣١، ومرج العيون : موضع بسواحل الشام . معجم البلدان ٤/ ٤٨٨.

(٢) فى م : « الابسياتارية » .

(٣) فى م : « يهانون » . يقال تهادى فلان بين رجلين : اعتمد عليهما من ضعف ، وتهادت المرأة : تمايلت فى مشيتها .

(٤) الروضتين ٢/ ٨، بنحوه .

نحوِ العِشْرِينَ وهم فى هذه العُدَّةِ ، فسلَّمه اللَّهُ تعالى منهم ، ثم أرْسَلَهم إلى دِمَشْقَ ؛ ليُعتقَلوا بقَلْعَتِها وليكونوا فى كنَفِ دولتِها ، فافْتدَى ابنُ البارزانىِّ صاحِبُ الرَّمْلَةِ نفسَه بعدَ سنةٍ بمائةِ ألفٍ وخمسينَ ألفَ دِينارٍ صُوريَّةٍ وإطْلاقِ ألفِ أسيرٍ من بلادِه ، فأُجِيبَ إلى ذلك ، وكذا افتدَى جماعةٌ منهم أنفُسَهم بأموالٍ جزيلةٍ وتُحَفٍ جليلةٍ ، [٢٨٠/٩ظ] ومنهم مَن ماتَ فى السِّجنِ ، فانتَقَل منه إلى سِجِّينٍ ، وهكذا يفعَلُ اللَّهُ بالكافرين . واتفقَ أنَّه فى اليومِ الذى ظَفِرَ فيه السلطانُ على الفِرنجِ بمَرْجِ عُيونٍ ، ظهَرَ أسطولُ المسلمينَ على بَطْسَةٍ[(١)] للفِرنجِ فى البحرِ وأخْرَى معها فغَنِمُوا منها ألفَ رأسٍ مِنَ السَّبْيِ ، وعادَ إلى السَّاحلِ مُؤَيَّدًا منصورًا ، وقد امتدح الشُّعراءُ السُّلطانَ فى هذه الغزوةِ بمدائحَ كثيرةٍ ، وكتَب بذلكَ إلى بَغْدادَ فدقَّتِ البشائرُ بها فرَحًا وسُرورًا بظهورِ المسلمينَ على أعداءِ اللَّهِ الملحِدينَ .

وكان الملكُ المظفَّرُ تقىُّ الدينِ عمرُ غائبًا عن هذه الوقعةِ مُشْتَغِلًا بما هو أعجَبُ منها ، وذلك أنَّ ملكَ الرومِ (٢قِلج أَرسَلان٢) بعَثَ يطلُبُ حِصْنَ رَعْبانَ[(٣)] ، وزعَمَ أنَّ نورَ الدينِ اغْتَصَبه منه ، وأنَّ ولَدَه قد أغضَى له عنه ، فلم يُجِبْه السلْطانُ تقىُّ الدينِ عمرُ إلى ذلك ، فبعَثَ صاحبُ الرومِ عشرينَ ألفَ مُقاتلٍ يُحاصِرُونَه ، فأرسَلَ السلْطانُ تَقِىَّ الدينِ عمرَ فى ثَمانِمائَةِ فارسٍ ، منهم

---

(١) فى الأصل : « بطر » . والبَطْسَة : سفينة حربية كانت تتسع لعدد كبير من الجند ، وذكر البستانى فى « محيط المحيط » أنها مأخوذة عن الإسبانية ، وهى مركب للحرب أو التجارة . محيط المحيط (ب ط س) .

(٢ - ٢) فى الأصل : « قرارسلان » ، وفى م : « فرارسلان » ، وفى ص : « وأرسلان » ، وفى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٣٢ ، وفى النوادر السلطانية ص ٥٦ : « قليج » . والمثبت من الكامل ١١/ ٤٥٨ ، والروضتين ٢/ ٩ .

(٣) فى الأصل ، ص : « رعيان » ، وفى م : « رعنان » . والمثبت من الكامل ١١/ ٤٥٨ ، والروضتين ٢/ ٩ . ورعبان : مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات . معجم البلدان ٢/ ٧٩١ .

سيفُ الدينِ عليُّ بنُ أحمدَ المشْطوبُ ، فالتقَوا بهم فهزَمُوهم بإذنِ اللَّهِ ، واستقرَّتْ يَدُ الملكِ صلاحِ الدينِ على حِصْنِ رَعْبَانَ[1] ، وقد كان ممَّا عوَّضَ به ابنَ مقدَّمٍ عن بَعْلَبَكَّ ، وكان تَقِيُّ الدينِ عمرُ يفتَخِرُ بهذه الوقعةِ ، ويرَى أنَّه قد هزَم عِشْرِينَ ألفًا ، وقيلَ : ثلاثينَ ألفًا بثَمانِمائةِ فارسٍ . وكان السببَ فى ذلك أنَّه بيَّتَهم وأغارَ عليهم وهم غارُّون[2] ، فما لَبِثُوا أمامَه بل فرُّوا منهزِمينَ عن آخرِهم ، فأكْثَرَ فيهمُ القتلَ ، واسْتَحوَذ على جميعِ ما ترَكُوه فى خِيامِهم ، ويقالُ : إنَّه كسَرهم يومَ كسَرَ السلْطانُ الفِرنْجَ بمرجِ عُيونٍ . واللَّهُ أعلمُ .

تخْرِيبُ حِصْنِ بيتِ الأحْزانِ وهو قريبٌ مِن صَفَدَ[3]

ثم ركِبَ السلطانُ فى جحافلِه إلى الحِصْنِ الذى كانتِ الفِرنْجُ قد بَنَوه فى العامِ الماضِى وحفَرُوا فيه بِئْرًا عَيْنًا معينًا ، وسلَّمُوه إلى الداوِيَّةِ ، فقَصَدَه السلطانُ فحاصَرَه ونقَّبَه مِن جميعِ جهاتِه ، وألْقَى فيه النِّيرانَ فجعَلَه دكًّا وخرَّبَه إلى الأساسِ ، وغنِمَ جميعَ ما فيه مِن الحواصلِ ، فكانَ فيه مائةُ ألفِ قطعةٍ مِن السِّلاحِ ، ومِنَ المأكلِ شىءٌ كثيرٌ ، وأخَذ منه سَبْعَمِائةِ أسيرٍ ، فقتَل بعْضًا وأرسَلَ إلى دِمَشْقَ الباقينَ ، ثم عادَ إلى دِمَشْقَ مؤيَّدًا منْصُورًا ، غيرَ أنَّه ماتَ مِن أُمَرائِه عشَرَةٌ بسببِ ما نالَهم مِنَ الحرِّ والوَباءِ فى مدَّةِ الحِصارِ ، وكانتْ أرْبَعَةَ عشَرَ يومًا ، وعاد الناسُ إلى زيارةِ مشْهَدِ يعْقُوبَ على عادَتِهم ، وقد امْتَدَحه الشعراءُ فقالَ بعْضُهم[4] :

---

(١) فى الأصل ، ص : « رعيان » ، وفى م : « رعنان » .

(٢) غارُّون ، بالغين المعجمة : أى غافلون . النهاية ٣/ ٣٥٥.

(٣) الكامل ١١/ ٤٥٥، والروضتين ٢/ ١١.

(٤) الأبيات فى الروضتين ٢/ ١١، ١٢. منسوبة لأبى الحسن على بن محمد بن رستم الساعاتى الخراسانى ثم الدمشقى .

[٢٨١/٩و] بجِدِّكَ أعْطافُ القَنا تتعَطَّفُ وطَرْفُ الأعادِى دونَ مجْدِك يطْرِفُ

شِهابُ هدًى فى ظُلمةِ الشركِ[١] ثاقِبٌ (٢وسيْفٌ إذا ما هَزَّهُ٢) اللَّهُ مُرْهَفُ

وقَفْتَ على حِصْنِ المخاضِ وإنَّه لمَوْقِفُ حقٍّ لا يُوازِيه موقفُ

فلم يَبْدُ وجْهُ الأرضِ بل حالَ دونَه رجالٌ كآسَادِ الشَّرَى[٣] وَهْى تزْحَفُ

وجرداءُ سلْهُوبٌ[٤] ودِرْعٌ مضاعفٌ وأبْيضُ هِنْدِىٌّ وَلَدْنٌ[٥] مُثقَّفُ[٦]

وما رجَعتْ أعْلامُكَ الصُّفْرُ[٧] ساعةً إلى أن غدَتْ أكْبادُها السُّودُ ترْجُفُ

(٨كَبَا مَن أعالِيهِ٨) صليبٌ وبِيعَةٌ وشادَ به دينٌ حنيفٌ ومصحفُ

صليبةُ عُبّادِ الصليبِ ومنزِلُ النُّزالِ لقد غادَرْتَه وهْو صَفْصَفُ

أتسْكُنُ أوطانَ النَّبِيِّينَ عُصْبَةٌ تَميِنُ لدَى أيْمانِها وهْى تحْلِفُ

نصحْتُكُم والنُّصحُ فى الدِّينِ واجبٌ ذَرُوا بيتَ يعْقُوبَ فقد جاءَ يُوسُفُ

وقال آخرُ[٩] :

هلاكُ الفِرنْجِ أتى عاجِلًا وقد آنَ تكْسيرُ صُلْبانِها

ولو لم يكُنْ قد دنا حتْفُها لَمَا عمَّرت بيتَ أحْزانِها

---

(١) فى م : « الليل » ، وفى الروضتين : « الشك » .

(٢ - ٢) فى الروضتين : « وسيف هدى فى طاعة » وسيف رهيف ومرهف : حاد .

(٣) فى م : « الثرى » . والشرى : موضع كثير الأسْد .

(٤) السلهب : الطويل عامة . التاج (س ل هـ ب) .

(٥) اللدن : اللين من كل شيء . والمقصود هنا : رمح لين . اللسان (ل د ن) .

(٦) فى م : « مهفهف » .

(٧) فى م : « البيض » .

(٨ - ٨) فى م : « كنائس أغيار » .

(٩) البيتان فى الروضتين ٢/ ١١ . وقد نسبهما لنشو الدولة أحمد بن نقادة الدمشقى .

ومِن كتابٍ فاضِليٍّ[1] إلى بَغْدادَ فى وصفِ هذا الحِصْنِ الذى خرَّبه صلاحُ الدينِ : وقد عرَّضوا حائطَه إلى أن زاد على عشرَةِ أذْرُعٍ وقُطِعتْ له عِظَامُ الحجارةِ ؛ كلُّ فَصٍّ منها من سبْعةِ أذْرُعٍ ، إلى ما فوْقَها وما دُونَها ، وعِدَّتُها تزيدُ على عشرينَ ألفَ حجَرٍ ، لا يستقِرُّ الحجرُ فى مكانِه ولا يستَقِلُّ فى بُنْيانِه إلَّا بأرْبعَةِ دَنانيرَ فما فوقَها ، وفيما بينَ الحائطَيْنِ حشْوٌ مِنَ الحِجارةِ الضخمةِ الصُّمِّ ، المرغَمِ بها أنوفُ الجبالِ الشُّمِّ ، وقد جُعِلَتْ سُقْيَتُه بالكِلْسِ الذى إذا أحاطَتْ قبضَتُه بالحجرِ مازَجَه بمثلِ جسْمِه وصاحَبَه بأوثقَ وأصلَبَ مِن جِرمِه ، وأوعَزَ إلى خَصمِه مِن الحديدِ بأنْ لا يتعرَّضَ لهدْمِه .

وفيها أقطَع السلطانُ صلاحُ الدينِ لابنِ أخيه عِزِّ الدينِ فَرُّوخْشاه بنِ شاهنشاهِ ابنِ أيوبَ مدينةَ بَعْلَبَكَّ . وأغارَ فيها على صَفَدَ[2] وأعْمالِها ، فقتَلَ طائفةً كبيرةً مِن مُقاتِليها ورجالِها ، وكان فرُّوخْشَاه مِن الصناديدِ الأبطالِ المشهورينَ المشكورينَ فى النِّزالِ .

وفيها حَجَّ القاضى الفاضلُ مِن دِمَشْقَ وعادَ إلى مِصْرَ ، فقَاسَى فى الطريقِ أهْوالًا ، ولَقِىَ بَرْحًا وتعَبًا وكلالًا ، وكان فى العامِ الماضى قد حجَّ [٩/٢٨١ظ] مِن مِصْرَ وعادَ إلى الشامِ ، ولكن كان أمْرُه فيه أسهلَ مِن هذا العامِ .

وفيها كانتْ زلْزلَةٌ عظيمةٌ انْهدَمَ بسببِها قِلاعٌ وقُرًى ، ومات خلقٌ كثيرٌ فيها مِنَ الوَرَى ، وسقَطَ مِن رُءوسِ الجبالِ صخورٌ كبارٌ ، وصادَمتْ بينَ الجبالِ فى البَرارِى والقِفارِ ، مع بُعْدِ ما بين الجبالِ مِن الأقْطارِ . وفيها أصابَ الناسَ غلاءٌ

(١) فى م : « كتبه القاضى الفاضل » ، الروضتين ٢/ ١٣.

(٢) فى م : « صفت » .

شديدٌ وفَناءٌ شَريدٌ وجَهْدٌ جهيدٌ ، فماتَ خلقٌ كثيرٌ مِن الخلائقِ بهذا وهذا ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون .

وفاةُ المُسْتَضِيءِ بأمْرِ اللَّهِ ، وشيءٌ مِن ترجَمتِه[1]

كان ابْتداءُ مرَضِه فى أواخِر شوَّالٍ مِن هذه السنةِ فأرادَتْ زوجتُه[2] أنْ تكْتُمَ ذلك فلم يمكِنْها ، ووقعَتْ فتنةٌ كبيرةٌ ببَغْدادَ ونهبَتِ العوامُّ دورًا كثيرةً ، وأمْوالًا جزيلةً ، فلمَّا كان يومُ الجُمُعةِ الثانى والعِشْرينَ مِن شوَّالٍ خُطِبَ لوليِّ العهدِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ المُسْتَضِيءِ ، وهو الخليفةُ الناصِرُ لدينِ اللَّهِ ، وكان يومًا مشْهودًا نُثِرَ الذهبُ فيه على الخُطَباءِ والمؤذِّنينَ ومَنْ حضَرَ ذلك ، عندَ ذكْرِه على المِنْبَرِ والتنويهِ باسمِه فى العشْرِ .

فلمَّا كان يومُ السبتِ سلخُ شوَّالٍ مات الخليفةُ المستضيءُ بأمرِ اللَّهِ ، وكان مرضُه بالحُمَّى ابْتدَأ بها فى يومِ عيدِ الفطرِ ، ولم يزَلِ الأمرُ يتزايدُ به حتى اسْتَكمَلَ فى مرَضِه شهرًا ، فمات ، رَحِمه اللَّهُ سَلْخَ شوالٍ ، وله مِن العُمرِ تِسْعٌ وثلاثون سنةً ، وكانتْ مدَّةُ خلافتِه تِسْعَ سنِينَ وثلاثَةَ أشْهُرٍ وسبْعَةَ عشَرَ يومًا ، وغُسِّلَ وصُلِّى عليه مِنَ الغدِ . ودُفِنَ بدارِ النَّصرِ التى بَناها ، وذلكَ عن وصِيَّتِه التى

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٩٠، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/ ٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٦٥، والوافى بالوفيات ١٢/ ٣٠٩، وتاريخ الخلفاء ص ٤٤٤.

(٢) بعده فى الأصل: «الجهه»، وبعده فى ص: «الجهه تنفشا»، والذى فى المصادر أن زوجته تدعى: غضة.

أوْصَاها ، وترَكَ مِن بعدِه ولَدَيْنِ ؛ أحدُهما وليُّ عهدِه وهو عُدَّةُ الدِّينِ والدُّنيا أبو العباسِ أحمدُ الناصِرُ لدينِ اللَّهِ ، والآخرُ أبو منْصورٍ هاشِمٌ ، وقد وزَرَ له جماعةٌ مِن الرُّؤَساءِ ، وكان مِن خيارِ الخلفاءِ ، أمَّارًا بالمعروفِ نَهَّاءً عنِ المنكرِ ، وضَع عنِ الناسِ المُكوسَاتِ والضرائبَ ، ودرَأ عنهمُ البدَعَ والمصائبَ ، وكان حليمًا وقُورًا كريمًا ، فرَحِمه اللَّهُ تعالى وبلَّ ثراه وجعَل الجنةَ مأواه . وبُويِعَ بالخلافةِ مِن بعدِه لولدِه الناصرِ .

ومن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

إبْراهيمُ بنُ عليٍّ ، أبو إسْحاقَ السُّلَمِيُّ[1] ، الفقيهُ الشافعيُّ ، المعْروفُ بابنِ الفَرَّاءِ ، الأُمَوِيُّ ثم البَغْداديُّ ، كان فقيهًا بارعًا فاضلًا مُناظِرًا فصيحًا بليغًا شاعِرًا مُطَبِّقًا ، تُوفِّى عن أربعٍ وسبْعِين سنةً ، وصلَّى عليه أبو الحسَنِ القَزْوِينيُّ مدرِّسُ النِّظَامِيَّةِ ، رحِمهُ اللَّهُ تعالى .

إسْماعيلُ بنُ مَوْهُوبِ بنِ [2]أحمدَ بنِ محمدٍ[2] بنِ الخَضِرِ ، أبو محمدٍ ابنُ[3] الجَوَالِيقيِّ ، المُلقَّبُ حُجَّةَ الإسْلامِ ، أحدُ أئمةِ اللغةِ فى زمانِه ، والمُشارُ إليه مِن بينِ أقْرانِه بحُسْنِ الدِّينِ وقُوَّةِ اليقينِ ، وعلمِ اللغةِ والنحوِ ، وصِدْقِ اللهْجَةِ وخلُوصِ النِّيَّةِ ، وحُسْنِ السيرةِ فى مَرْبَاه ومَنْشَاه ومُنْتَهاه ، وقد سمِعَ الحديثَ وروَاه ، وفهِم الأثَرَ واتَّبعَ سبيلَه ومَغزَاه ، رحِمهُ اللَّهُ وأكرَمَ مثواه .

---

(1) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٦١، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٣٣، ٣٤.

(٢ - ٢) فى النسخ : « محمد بن أحمد » ، والمثبت من مصادر ترجمته ؛ معجم الأدباء ٧/ ٤٥، وإنباه الرواة ١/ ٢١٠، ومرآة الزمان ٨/١/ ٣٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٦٢، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٤٦.

(٣) سقط من : م .

المُبارَكُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ[1] أبو محمدٍ ابنُ الطبّاخِ ، البَغْدادِيُّ ، نزيلُ مَكَّةَ ومُجاوِرُها ، وحافظُ الحديثِ بها والمُشارُ إليه بالعلمِ فيها . كان يومُ جِنازتِه يومًا مشْهودًا ، رَحِمه اللَّهُ تعالى .

خِلافَةُ الناصرِ لدينِ اللَّهِ
أبى العباسِ أحمدَ بنِ المُسْتَضِىءِ

لمَّا تُوفِّى أبوه فى سَلْخِ شوالٍ من سنَةِ خمسٍ وسبْعينَ وخَمْسِمائَةٍ ، بايَعَه الأمراءُ والوزراءُ والكُبَراءُ والخاصَّةُ والعامَّةُ ، وكان قد خُطِب له على المنابرِ فى حياةِ أبيهِ قبلَ موْتِه بيسيرٍ ، فقِيلَ[2] : إنَّه إنَّما عهِدَ له قبلَ موتِه بيومٍ ، وقِيلَ : بأسبوعٍ . ولكِنْ قدَّرَ اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، أنَّه لم يختلفْ عليه اثْنان بعدَ وَفاةِ أبيه ، ولُقِّبَ بالخليفةِ الناصرِ لدينِ اللَّهِ ، ولم يَلِ الخِلافةَ مِن بنى العباسِ قبلَه أطْولَ مدَّةً منه ، فإنَّ خلافتَه امتدَّت إلى سنَةِ وفاتِه فى [3]سنةِ ثِنتين[3] وعِشْرينَ وسِتِّمائةٍ ؛ وكان ذكيًّا شُجاعًا مَهِيبًا ، وسيَأْتى ذِكرُ سيرتِه عندَ وَفاتِه إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

وفى سابعِ ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنَةِ عُزِلَ صاحبُ المَخْزَنِ ظهيرُ الدينِ أبو بكرٍ ابنُ العَطَّارِ ، وأُهِينَ غايةَ الإهانةِ ، هو وأصْحابُه وقُتِلَ كثيرٌ منهم ، وشُهِّرُوا فى البلدِ ، وتمكَّنَ أمرُ الخليفةِ الناصرِ ، وعظُمَتْ هيْبَتُه فى البلادِ وفى قلوبِ العبادِ وقامَ

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ١٨٦، والعبر ٤/ ٢٢٦، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٤٦، وشذرات الذهب ٤/ ٢٥٣.

(٢) الروضتين ٢/١٥ .

(٣ - ٣) فى م : « ثلاث » .

بأعباءِ الخلافةِ على ما ينبغِى فى جميعِ أمورِه وشئونِهم . ولمَّا حضَر عيدُ الأضْحَى أُقِيم على ما جرَتْ به العادَةُ . واللَّهُ أعلمُ .

ثم دخَلت سنةُ ستٍّ وسَبْعِين وخَمْسِمائةٍ

فيها[1] هادَن السلْطانُ صلاحُ الدينِ الفِرِنْجَ ، وسارَ إلى بلادِ الرومِ فأصْلَحَ بينَ ملُوكِها ، مِن بَنى أُرتُقَ ، وكَرَّ على بلادِ الأرْمَنِ فأهان ملِكَها ، وفتَح بعْضَ حُصونِها ، وأخَذ منه غنائمَ كثيرةً جدًّا ، مِن أوانى الذَّهبِ والفضَّةِ ؛ لأنَّه كان قد غدَر بقومٍ مِن التُّركمانِ [٢٨٢/٩ظ] أوَوْا إلى بلادِه ، ثم صالحَه على مالٍ يحْمِلُه إليه وأُسارَى يُطْلِقُهم مِن أَسْرِه ، وآخَرِينَ يَسْتَنْقِذُهم مِن أيْدِى الفِرِنْجِ ، ثم عادَ السلطانُ مؤيَّدًا منصُورًا فدخَل حَمَاةَ فى أواخرِ جُمادَى الآخرةِ ، وامْتَدحه الشعراءُ على ذلك .

وماتَ صاحبُ المَوْصِلِ سيْفُ الدِّينِ غازِى بنُ مودودِ بنِ زَنْكِى ، وكان شابًّا حسَنًا ، مليحَ الشكلِ ، تامَّ القامَةِ ، مُدَوَّرَ اللِّحْيَةِ ، مكَث فى المُلْكِ عشْرَ سِنينَ ، وماتَ عن ثلاثينَ سنةً ، وكان عفيفًا فى نفْسِه ، مَهِيبًا وقُورًا ، لا يلتفِتُ إذا ركِب ولا إذا جلَس ، غَيُورًا لا يدَعُ أحدًا مِنَ الخُدَّامِ يدْخُلُ على النساءِ ، وكان لا يُقْدِمُ على سَفْكِ الدِّماءِ ، ويُنْسَبُ إلى شىءٍ مِن البخْلِ ، سامَحه اللَّهُ ، وكانت وفاتُه فى ثالثِ صَفَرٍ ، وكان قد عزَمَ على أنْ يجعَلَ المُلْكَ مِن بعدِه لولَدِه عزِّ الدينِ سَنْجَرْ شَاه ، فلم يُوافِقْه الأمراءُ خوفًا مِن صلاحِ الدينِ لصِغَرِ سِنِّه ، فاتفَقُوا كلُّهم على أخيه ، فأُجْلِسَ مكانَه فى المَمْلكَةِ أخوه عِزُّ الدينِ مسعودٌ ، وجعَل مجاهِدَ الدينِ قايْمازَ نائبَه ومدَبِّرَ مَمْلكَتِه ، وجاءَتْ رسُلُ الخليفةِ يلْتمِسُونَ مِن صلاحِ الدِّينِ أنْ

---

(١) الكامل ٤٦٢/١١، والروضتين ١٦/٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٣٩.

يُبْقِىَ سَروجَ[1] والرُّهَا والرَّقَّة ، وحَرَّانَ والخابورَ ونَصِيبِينَ فى يَدِه ، كما كانتْ فى يَدِ أخيه ، فامتَنَعَ السُّلْطانُ مِن ذلك ، وقال[2] : هذه البلادُ هى حفْظُ ثُغورِ المسلمينَ ، وإنَّما كنتُ تركْتُها فى يَدِه ليُساعِدَنا على غَزْوِ الفِرنجِ ، فلم يكُنْ يَفْعَلُ ذلكَ ، وكتَب إلى الخليفةِ يُعرِّفُه أنَّ المصْلحةَ فى كونها بيدِه .

وفاةُ تُورَانْشَاه[3] أخى السلطانِ

وفيها تُوفِّى أخو السلْطانِ الأكبر الملكُ المعظَّمُ شمسُ الدولةِ تُورانْشَاه بنُ أيُّوبَ ، الذى افْتَتَحَ بلادَ اليَمنِ عن أمرِ أخيه صلاحِ الدينِ ، فمكَثَ فيها حِينًا واقْتَنَى منها أموالًا جزيلةً ، ثم اسْتَنَابَ فيها ، وأقبَلَ نحوَ أخيه إلى الشامِ شَوْقًا إليه ، وقد كتَب إليه مِن أثْناءِ الطريقِ شِعْرًا عمِله له شاعرُه ابنُ المُنَجِّمِ ، وكانوا قد وصلُوا إلى تيماءَ[4] :

فهل لأخِى بلْ مالِكى علمُ أنَّنى ... إليهِ وإنْ طالَ الترَدُّدُ راجِعُ
وإنِّى بيومٍ واحدٍ مِن لقائهِ ... لمُلْكى على عُظْمِ المزِيَّةِ بائعُ
ولم يَبْقَ إلَّا دونَ عشْرينَ ليلةً ... وتجنِى المُنَى أبْصارُنا والمسامعُ
لَدَى مَلِكٍ تَعْنُو الملوكُ إذا بدَا ... وتخْشَعُ إعْظامًا لهُ وَهْوَ خاشِعُ

---

(١) سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مُضَر . معجم البلدان ٣/ ٨٥.
(٢) الروضتين ٢/١٧ بنحوه .
(٣) مرآة الزمان ٨/١/ ٣٦٢، ووفيات الأعيان ١/ ٣٠٦، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ٦٢، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٢٠٨.
(٤) الروضتين ٢/ ١٨، ١٩.

كتَبْتُ وأشْواقِى إليكَ ببعْضِها تعلَّمَتِ النَّوْحَ الحَمامُ السَّواجِعُ
وما المُلكُ إلَّا راحَةٌ أنتَ زَنْدُها تضُمُّ على الدنْيَا ونحنُ الأصابعُ

وكان قُدومُه إليه فى سنةِ إحْدَى وسَبْعِينَ، فشهِدَ معه مواقِفَ مشْهودةً وغزواتٍ [٢٨٣/٩و] محمودةً، واسْتَنابَه على دِمَشْقَ مدَّةً، ثم سارَ إلى مِصْرَ فاسْتَنابَه على الإسْكَنْدَرِيَّةِ فلم توافِقْه، وكان يعْتَرِيه القُولَنْجُ فماتَ بها، رحِمه اللَّهُ تعالى، فى هذه السَّنَةِ، ودُفِنَ بقَصْرِ الإمارةِ فيها، ثم نقَلَتْه أختُه سِتُّ الشامِ بنتُ أيُّوبَ فدفَنَتْه بتُرْبَتِها التى بالشامِيَّةِ البَرَّانِيَّةِ، فقَبْرُه القِبْلِىُّ، والوَسْطَانِىُّ قبرُ زوْجِها وابنِ عمِّها ناصرِ الدِّينِ محمدِ بنِ أسَدِ الدِّينِ شِيرِكُوه، صاحِبِ حِمصَ[1] والرَّحبَةِ، والمُؤَخَّرُ قبْرُها، رحِمها اللَّهُ وأجزَلَ ثوابَها. والتربةُ الحُسامِيَّةُ منْسُوبَةٌ إلى ولَدِها حُسامِ الدينِ عمرَ بنِ لاچِينَ[2]، وهى إلى جانبِ المدْرسَةِ مِن غرْبِها، وقد كان الملكُ تورانْشَاه كريمًا جَوَادًا ممدَّحًا شُجاعًا باسلًا عظيمَ الهيبةِ كبيرَ النَّفْسِ، واسِعَ الصَّدرِ، قال فيه ابنُ سَعدانَ الحلَبِىُّ[3]:

هو المَلْكُ إنْ تسْمَعْ بكِسْرَى وقَيْصَرٍ فإنَّهما فى الجُودِ والبَأْسِ عَبْدَاهُ
وما حاتِمٌ ممَّنْ يُقاسُ بمثلِهِ فخُذْ ما رأيْناهُ ودَعْ ما روَيْناهُ
ولُذْ بذُرَاهُ مستَجِيرًا فإنَّهُ يُجِيرُكَ مِن جَوْرِ الزمانِ وعَدْوَاهُ
ولا تتحمَّلْ للسَّحائبِ مِنَّةً إذا هَطَلَتْ جُودًا سحائبُ جَدواهُ
ويُرسِلُ كفَّيهِ بما اشتقَّ منهما فَللْيُمْنِ يُمنَاهُ ولليُسْرِ يُسْراهُ

ولمَّا بلغَ خبرُ موتِه إلى أخيه السلطانِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ وهو مُخَيِّمٌ

(١) فى م: «حلب».
(٢) فى م: «لاشين».
(٣) الروضتين ٢/ ١٨.

بظاهرِ حِمْصَ ، حزِنَ عليه حُزنًا شديدًا ، وجعَلَ يُنشِدُ بابَ المراثى مِن الحماسَةِ ، وكانتْ محْفُوظَةً .

وفى رجَبٍ قدِمَتْ رسُلُ الخليفةِ الناصرِ وخِلَعُه وهداياه إلى الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ ، فلَبِسَ السلطانُ خِلْعةَ الخليفةِ بدِمَشْقَ ، وزُيِّنَتْ له البلَدُ ، وكان يومًا مشْهودًا .

وفى رجَبٍ أيضًا منها سارَ السلْطانُ مِنَ الشامِ إلى الدِّيارِ المصريَّةِ ؛ لينْظُرَ فى أحْوالِها ، ويصومَ بها رمضانَ ، ومِن عزْمِه أنْ يحُجَّ عامَه ذلك إلى بيتِ اللَّهِ الحرامِ ، واسْتنابَ على الشَّامِ ابنَ أخيه عزَّ الدينِ فَرُّوخْشَاه بنَ شاهنْشاه بنِ أيوبَ . قال العمادُ الكاتبُ[1] : وكان عزيزَ المِثْلِ غزيرَ الفضلِ . فكتَب القاضى الفاضلُ عن الملكِ العادلِ أبى بكرٍ نائبِ مصرَ إلى أهلِ اليمنِ والبَقِيعِ ومَكَّةَ يُعْلِمُهم بعَزْمِ السلْطانِ على الحَجِّ فى هذا العامِ ؛ ليتأهَّبُوا للمَلكِ ويهتمُّوا به ، واستصحَب السلطانُ معه صدرَ الدينِ أبا القاسمِ عبدَ الرحيمِ شيْخَ الشُّيوخِ ببَغْدادَ ، الذى قدِمَ فى الرَّسليَّةِ مِن جهةِ الخليفةِ ؛ ليكونَ [٩/ ٢٨٣ظ] فى خدْمَتِه إلى الديارِ المصْريَّةِ ، وفى صُحْبَتِه إلى الحجازِ الشريفِ ، فدخَل السلطانُ ديارَ مصرَ ، وتلقَّاه الجيشُ وكان يومًا مشهودًا ، وأمَّا صدرُ الدينِ فإنَّه لم يُقِمْ بها إلَّا قليلًا حتى توجَّه إلى الحجازِ الشريفِ فى البحرِ ، فأدْرَكَ الصيامَ بالمسجدِ الحرامِ .

وفيها سارَ قَراقُوشُ التَّقَوِىُّ[2] إلى بلادِ المَغْرِبِ فحاصَرَ قابِسَ وقِلاعًا كثيرةً حولَها ، واسْتَحوَذَ على أكثَرِها ، فاتفقَ له أنَّه أسَرَ مِن بعضِ الحصُونِ غُلامًا أمردَ

---

(١) الروضتين ٢/ ١٨.

(٢) فى الأصل : « البغوى » ، وانظر الخبر فى الروضتين ٢/ ٢١، والسلوك ١/١/ ٦٧.

فأرادَ قتْلَه ، فقالَ له أهلُ الحِصْنِ : لا تقْتُلْه وخُذْ لكَ عشَرَةَ آلافِ دينارٍ ، فأبَى فوصَّلوه إلى مائةِ ألفِ دينارٍ فأبَى إلَّا قتْلَه ، فقتَلَه ، فلمَّا قتَله نزَل صاحِبُ الحصنِ وهو شيخٌ كبيرٌ ومعه مَفاتِيحُ ذلك الحصنِ ، فقال : خُذْ هذه فإنِّى شيخٌ كبيرٌ ، وإنَّما كنتُ أحْفَظُه مِن أجلِ هذا الصَّبىِّ الذى قتَلْتَه ، ولى أوْلادُ أخٍ أكْرَه أنْ يملِكُوه بعدِى . فأقَرَّه فيه ، وأخَذ منه أمْوالًا كثيرةً . واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ بالصوابِ .

ومِمَّن توفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ :

الحافِظُ أبو طاهرٍ السِّلَفِىُّ ، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ إبْراهِيمَ سِلَفَةَ ، الحافظُ الكبيرُ المُعَمَّرُ ، أبو طاهرٍ السِّلَفِىُّ الأصْبهانىُّ[1] ، وإنَّما قيلَ[2] لجدِّه إبْراهيمَ : سِلَفَةُ ؛ لأنَّه كان مشْقُوقَ إحْدَى الشفتَيْن ، فكان له ثلاثُ شِفَاهٍ فسمَّتْه الأعاجمُ بذلك . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[3] : وكان السِّلَفِىُّ يُلَقَّبُ بصَدْرِ الدِّينِ ، وكان شافعِىَّ المذهَبِ ، ورَدَ بَغْدادَ واشْتَغَلَ بها على إلكيَا الهرَّاسِىِّ ، وأخَذ اللغةَ عنِ الخطيبِ أبى زكرِيَّا يَحْيى بنِ علىٍّ التِّبْريزىِّ ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، ورحَل فى طلَبِه إلى الآفاقِ ، ثم نزَل ثغرَ الإسْكَنْدَرِيَّةِ فى سنَةِ إحْدَى عشْرَةَ وخَمْسِمائةٍ ، وبنَى له العادِلُ أبو الحسَنِ علىُّ بنُ السَّلَّارِ وزيرُ الخليفةِ الظافِرِ مدرسةً ، وفوَّض أمرَها إليه ، فهى معْروفَةٌ إلى الآنَ . قال ابنُ خَلِّكانَ[4] : وأَمَاليه وتعاليقُه كثيرةٌ جدًّا ، وكان مولدُه فيما ذكَر المِصْريُّونَ فى سنَةِ ثِنْتَيْنِ وسَبْعِينَ

---

(١) تاريخ دمشق ٥/٢٠٨، ووفيات الأعيان ١/ ١٠٥، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٩٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٣٢.

(٢) بعده فى م : « له السلفى » . وانظر وفيات الأعيان ١/١٠٧ .

(٣) المصدر السابق ١/ ١٠٥.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٠٦.

وأرْبَعِمائةٍ ، ونقَل الحافظُ عبدُ الغنيِّ المَقدِسيُّ عنه أنَّه قال[1] : أذْكُرُ مقْتَلَ نظامِ المُلْكِ فى سنَةِ خمسٍ وثَمانِيـنَ وأرْبعِمائةٍ ببَغْدادَ ، وأنا ابنُ عَشْرٍ تقريبًا . ونقَل عنه الحافظُ أبو القاسمِ الصفْراوِىُّ أنَّه قال[2] : مؤلِدِى بالتَّخْمِينِ لا باليقينِ سنةَ ثَمانٍ وسَبْعِيـنَ ، فيكونُ مبْلَغُ عُمرِه ثمانيًا وتِسْعِينَ سنةً ؛ لأنَّه تُوفِّى ليلةَ الجُمُعةِ خامسِ ربيعٍ الآخرِ سنَةَ ستٍّ وسَبْعِينَ وخمسِمائةٍ [٩/ ٢٨٤و] بثَغْرِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ ، ودُفِنَ بوَعْلَةَ[3] ، وفيها جماعةٌ مِن الصالِحِين ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وقد رجَّحَ ابنُ خَلِّكانَ قولَ الصفْراوِىِّ ، قال[4] : ولم يبْلُغْنا مِن نحوِ ثَلاثِمائةِ سنةٍ أنَّ أحدًا جاوَزَ المِائةَ إلَّا القاضىَ أبا الطِّيبِ الطَبَرِىَّ ، رحِمه اللَّهُ . وقد ترْجَمه الحافظُ ابنُ عساكِرَ فى « تاريخِه »[5] ترجمةً حسَنةً ، وإنْ كان قد ماتَ قبلَه بخمْسِ سنِينَ ، فذكَر رِحْلتَه فى طلبِ الحديثِ ، ودورانَه فى الأقاليمِ ، وأنَّه كان يتصَوَّفُ أوَّلًا ، ثم أقامَ بثَغْرِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ ، وتزوَّجَ امرأةً ذاتَ يسارٍ ، فحسُنَتْ حالُه ، ووقفَتْ عليه مدرسةً هناك ، وذكَر طرَفًا مِن أشعارِه فمِن ذلك قولُه ، رحِمه اللَّهُ تعالى[6] :

أنـأْمَـنُ إلْمامَ المنـيَّـةِ بـغْـتَـةً ... وأَمْنُ الفَتى جَهْلٌ وقد خَبَرَ الدَّهْرَا
وليسَ يُحابِى الدهرُ فى دوَرَانِهِ ... أراذِلَ أهْلِيهِ ولا السادَةَ الزُّهْرَا
وكيفَ وقد ماتَ النبىُّ وصَحْبُهُ ... وأزْواجُهُ طُرًّا وفاطِمَةُ الزَّهْرَا

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ١٠٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٣٣.
(٢) وفيات الأعيان ١/ ١٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٢٠٦.
(٣) وعلة : مقبرة داخل السور عند الباب الأخضر فيها جماعة من الصالحين كالطرشوشى وغيره، ويقال: إن هذه المقبرة منسوبة إلى عبد الرحمن بن وعلة السبئى المصرى. وفيات الأعيان ١/ ١٠٦.
(٤) وفيات الأعيان ١/ ١٠٧.
(٥) تاريخ دمشق ٥/ ٢٠٨.
(٦) المصدر السابق ٥/ ٢١٠، ٢١١.

ومِن شِعرِ الحافظِ السِّلَفِيِّ الذى أورَده ابنُ عسَاكِرَ قولُه[(١)] :

يا قاصِدًا علمَ الحديثِ يذُمُّه إذْ ضلَّ عن طُرُقِ الهدايَةِ وهْمُهُ
إنَّ العلُومَ كما علِمْتَ كثيرةٌ وأجَلُّها فِقْهُ الحديثِ وعلْمُهُ
مَنْ كانَ طالِبَهُ وفيهِ تيَقُّظٌ فأَتَمُّ سَهْمٍ فى المعالِى سهْمُهُ
لوْلَا الحديثُ وأهْلُهُ لم يسْتَقِمْ دِينُ النبىِّ وشَذَّ عنَّا حُكْمُهُ
وإذا اسْتَرابَ بقوْلِنا مُتَحَذْلِقٌ فأَكَلُّ فَهْمٍ فى البَسِيطَةِ فَهْمُهُ

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٢١١.

ثم دخلت سنة سبعٍ وسبعين وخمسِمائةٍ[1]

استهلَّتْ والملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ مُقيمٌ بالقاهرةِ ، مُواظِبٌ على سماعِ الأحاديثِ ، وجاء كتابٌ مِن نائبه بالشامِ عِزِّ الدينِ فَرُّوخْشَاه بما مَنَّ اللَّهُ تعالى به على الناسِ مِن كَثْرةِ ولادَةِ النساءِ مِن التَّوائمِ ؛ جَبْرًا لِمَا كان أصابَهم فى العامِ الماضى من الوبَاءِ والفَناءِ ، وأنَّ الشامَ مُخْصِبٌ بإذْنِ اللَّهِ ؛ جَبْرًا لِما كان أصابَهم مِنَ الجَدْبِ والغلاءِ .

وفى شوَّالٍ توجَّه الملكُ صلاحُ الدينِ إلى الإسْكَنْدَرِيَّةِ ، فشاهَد ما أمَر به مِن تحْصِينِ سُورِها وعِمارَةِ أبْراجِها وقُصورِها ، وسمِعَ « مُوَطَّأَ الإمامِ مالكٍ » على الشيخِ أبى طاهرِ بنِ عَوْفٍ ، عن الطُّرْطوشِيِّ ، وسمِعَ معه العِمادُ الكاتبُ ،وأرسَل القاضى الفاضِلُ إلى السُّلْطانِ رِسالةً يهنِّئُه بهذا السماعِ ، واللَّهُ تعالى أعلمُ .

[٩/٢٨٤ظ] ذِكرُ وَفاةِ الملكِ الصالحِ إسماعيلَ ابنِ الملكِ نُورِ الدينِ صاحبِ حلَبَ، وما جرَى بعدَه مِنَ الأُمورِ

كانت وفاتُه فى الخامسِ والعشرين مِن رجبٍ مِن هذه السنةِ بقلْعَةِ حَلَبَ ،

---

(١) الكامل ١١/ ٤٧٠، والروضتين ٢/ ٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٤٤.

ودُفِنَ بها ، وكان سببَ وفاتِه - فيما قِيل - أنَّ الأميرَ علمَ الدينِ سُليمانَ بنَ جَنْدَرٍ[1] سقَاه سُمًّا فى عُنْقُودِ عِنَبٍ فى الصَّيْدِ ، وقيل : بل سقَاه ياقوتُ الأسَدِيُّ فى شرابٍ . وقيل : فى خُشْكَنانجِةٍ[2] . فاعتراه قُولَنْجٌ فما زال كذلك حتى مات ، رحِمه اللَّهُ ، وهو شابٌّ حسَنُ الصورةِ ، بهىُّ المَنْظرِ ، ولم يَبْلُغْ عشرين سنةً ، وكان مِن أعَفِّ الملُوكِ ، ومَنْ أَشْبَهَ أباه فما ظلَم ، وصَف له الأطبّاءُ فى مَرضِه شُربَ الخمرِ ، فاسْتَفْتَى بعْضَ الفقهاءِ فى شُرْبِها تداوِيًا ، فأفتاه بذلك ، فقال له : أيزيدُ شُرْبُها فى أجَلِى ، أو يَنْقُصُ منه شيئًا ؟ قال : لا . قال : فواللَّهِ لا أشْرَبُها فألقَى اللَّهَ وقد شرِبْتُ ما حرَّمَه علىَّ . ولمَّا يئِس مِن نفْسِه استدعَى الأمراءَ ، فحلَّفَهم لابنِ عمِّه عزِّ الدينِ مسْعُودِ صاحبِ المَوْصلِ ؛ لقُوَّةِ سلْطانِه وتمكُّنِه ؛ ليمنعَها مِن صلاحِ الدينِ ، وخَشِى أن يبايعَ لابنِ عمِّه الآخرِ عمادِ الدينِ زَنْكِى ، صاحِبِ سِنْجَارَ ، وهو زوجُ أُخْتِه وتربيَةُ والدِه ، فلا يُمْكِنُه حِفْظُها مِن صلاحِ الدينِ ، فلمَّا مات اسْتَدعَى الحلبِيُّونَ عزَّ الدينِ مسْعودَ بنَ قُطْبِ الدينِ ، صاحِبَ المَوْصِلِ ، فجاء إليهم فدخَل حَلَبَ فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ ، وكان يومًا مشهودًا ، وذلك فى العشرِين مِن شعبانَ ، فتسلَّمَ خزائِنَها وحواصِلَها ، وما فيها مِن السلاحِ ، وكان تَقِىُّ الدينِ عمرُ بمدينةِ مَنْبِجَ ، فهرَب إلى حَماةَ ، فوجَد أهلَها قد نادَوا بشِعارِ عزِّ الدينِ صاحبِ المَوْصِلِ ، وأطمَع الحلبِيُّونَ عزَّ الدينِ مسْعُودًا فى أخذِ دِمشقَ ؛ لغَيْبَةِ صلاحِ الدينِ بالديارِ المصريَّةِ ، وأعْلَمُوه محبَّةَ أهلِ الشامِ لهذا البيتِ الأتابِكِىِّ ، فقالَ : بيْنَنا وبينَه أيْمانٌ وعُهودٌ ، وأنا أغدِرُ به ! فأقام بحَلَبَ شُهورًا ، وتزوَّجَ بأمِّ

---

(١) فى النسخ : « حيدر » . والمثبت من الروضتين . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٢٦٦ ، والوافى بالوفيات ٣٧٢/١٥ ..

(٢) الخشكنان : خبزة تصنع من خالص دقيق الحنطة ، تملأ بالسكر واللوز ، أو الفستق ، وتُقلى . فارسى . الوسيط (خشكنان) .

الملكِ الصالحِ فى شوَّالٍ ، ثم سار إلى الرَّقَّةِ فنزَلها ، وجاءته رسُلُ أخيه عمادِ الدينِ زَنْكِى يَطْلُبُ منه أنْ يُقايضَه مِن حَلَبَ إلى سِنْجارَ ، وألَحَّ فى ذلك ، وتمنَّعَ أخوه ثم فعَل ذلك على كُرْهٍ منه ، فسلَّم إليه حَلَبَ ، وسلَّمه عمادُ الدينِ سِنجارَ والخابورَ والرَّقَّةَ ونَصِيبِينَ وسَرُوجَ ، وغيرَ ذلك من البلادِ .

ولمَّا سمِع الملكُ صلاحُ الدينِ بهذه الأمورِ ركِب مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ فى عساكِره ، فسار حتى أتَى الفُرَاتَ فعبَرَها ، وخامَر إليه بعضُ [٩/٢٨٥و] أمراءِ صاحبِ الموْصِلِ ، فتقهقَر عن لقائِه ، فاستحوَذ صلاحُ الدينِ على بلادِ الجزيرةِ بكَمالِها ، وهمَّ بمحاصرةِ الموْصِلِ فلم يتَّفِقْ ذلك ، ثم جاء إلى حَلَبَ فتسلَّمها مِن عمادِ الدينِ زَنْكِى ؛ لضَعْفِه عن مُمانَعَتِها ؛ لقلَّةِ ما ترَك فيها عزُّ الدينِ من الأسلحةِ وآلاتِ القِتالِ ، وذلكَ فى السنةِ الآتيةِ ، كما سنذكُره .

وفى هذه السنةِ عزَم البِرِنْسُ صاحبُ الكَرَكِ ، لعَنه اللَّهُ ، على قَصْدِ تَيْماءَ مِن أرضِ الحِجازِ ؛ ليتوصَّلَ منها إلى المدينةِ النبويَّةِ ، فجُهِّزت له سَرِيَّةٌ مِن دِمشقَ تكونُ حاجِزَةً بينَه وبينَ الحجازِ ، فصَدَّه ذلك عن قَصْدِه ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفيها وَلَّى السلطانُ صلاحُ الدينِ أخاه سيفَ الإسلامِ ظهيرَ الدينِ طُغْتِكِينَ ابنَ أيُّوبَ نيابةَ اليمنِ فملَّكه عليها ، وأرسَلَه إليها ، وذلك لاختِلافِ نُوَّابِها واضْطِرابِ أصحابِها ، بعدَ وفاةِ المُعَظَّمِ تُورانْشاه أخِى السلطانِ الذى كان افتتَحها ، فلما وقَعتْ الفِتَنُ بها ، وكثُر التخليطُ والتخبيطُ ، سمَت نفسُ أخيه طُغْتِكِينَ إليها ، فأرسَلَه أخوه إليها وولَّاه عليها ، فسارَ فوصَلها فى سنَةِ ثمانٍ وسبعين ، فسار فيها أحسنَ سِيرةٍ ، وأكمَل بها المَعْدَلَةَ والسَّريرةَ ، واحتاطَ على أموالِ حِطَّانَ بنِ مُنْقِذٍ نائبِ زَبِيدَ ، وكانتْ تقارِبُ ألْفَ ألفِ دينارٍ أو أكثرَ ، وأمَّا نائبُ عَدَنَ فخرُ الدينِ عثمانُ الزَّنْجِيلِىُّ فإنَّه خرَج مِن اليمنِ قبلَ قُدومِ طُغْتِكِينَ

فسكَن الشامَ ، وله أوقافٌ مشهورةٌ باليمنِ ومَكَّةَ ، وإليه تُنْسَبُ المدرسةُ الزَّنْجيليَّةُ ، خارجَ بابِ تومَا ، تُجاهَ دارِ الطعمِ ، وكان قد حصَّل منها أموالًا عظيمةً جدًّا .

وفيها غدَرَت الفِرنْجُ ونقَضوا عُهُودَهم ، وقطَعُوا السبُلَ على المسلمين برًّا وبحرًا ، وسِرًّا وجَهْرًا ، فأمْكَنَ اللَّهُ مِن بُطْسَةٍ عظيمةٍ لهم فيها نحوٌ مِن ألفَيْنِ وخمْسِمِائَةِ نفْسٍ من رجالِهم المعْدُودِينَ فيهم ، ألْقاها الموجُ إلى ثَغْرِ دِمْياطَ قبلَ خروجِ السلطانِ مِن مِصْرَ ، فأُحِيطَ بها فغرِقَ بعْضُهم وحصَل فى الأَسْرِ نحوُ ألفٍ وسبعِمائةٍ منهم ، ولِلَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وفيها سار قَراقُوشُ إلى بلادِ إفْريقِيَّةَ ، ففتَح بلادًا كثيرةً ، وقاتَل عسكَرَ ابنِ عبدِ المؤمنِ ، واستَفحَل أمرُه هناك ، وهو مِن جملةِ مماليكِ تقِيِّ الدينِ عمرَ ابنِ أخى السلطانِ صلاحِ الدينِ ، ثم عاد إلى الديارِ المصريَّةِ ، فأمَره السلطانُ بأنْ يُتِمَّ السورَ المحيطَ بالقاهرةِ ومِصرَ ، وذلك قبلَ خروجِه منها فى هذه السنةِ ،وكان ذلك آخِرَ عهْدِه بها حتى توفَّاه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، [٢٨٥/٩ظ] بعد أن أراه اللَّهُ مُنَاه قبلَ حُلُولِ الوفاه ، فأقرَّ عيْنَه مِن أعداه ، وفتَح على يدِه بيْتَ المَقْدِس وما حولَه وما حواه ، ولمَّا خيَّمَ بارِزًا مِن مصرَ ، أحضَر أوْلادَه حولَه فجعَل يشمُّهم ويقبِّلُهم ويضمُّهم ، فأنشَد بعضُهم [(١)] :

تَمَتَّعْ مِن شَميمِ عَرارِ نَجْدٍ ... فما بَعدَ العَشيَّةِ مِن عَرارِ [(٢)]

فكان الأمرُ كما قال ، لم يَعُدْ إلى مِصْرَ بعدَ هذا العامِ ، بل كان مُقامُه بالشامِ .

---

(١) الروضتين ٢/ ٢٨. والبيت فى اللسان (ع ر ر) منسوب إلى الصِّمّة بن عبد اللَّه القشيرى .
(٢) العرار : نبت طيب الريح ، واحدته عَرارة . اللسان (ع ر ر) .

وفى هذه السنةِ وُلِد للسلْطانِ ولَدانِ ؛ وهما المُعَظَّمُ تُورانْشَاه ، والملكُ المُحْسِنُ أحمدُ ، وكان بيـنَ ولادَتِهما سبعةُ أيامٍ ، فزُيِّنَتِ البلادُ ، واستمرَّ الفرَحُ أربعةَ عشَرَ يومًا .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخ كَمالُ الدينِ أبو البَرَكاتِ عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ أبى السَّعادَاتِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ[١] الأَنْبارِىُّ النحوىُّ الفقيهُ العابدُ الزاهدُ الناسكُ الخاشعُ الوَرِعُ ، كان خَشِنَ العيشِ ، ولا يقبَلُ مِن أحدٍ شيئًا ولا مِن الخليفةِ ، وكان يحضُرُ نَوْبَةَ الصوفِيَّةِ بدارِ الخلافةِ ، ولا يقبَلُ مِن جَوائزِ الخليفةِ لهم ولا فَلْسًا . وكان صَابِرًا على الاشْتِغالِ ، وله تصانيفُ مفيدةٌ . وكانت وفاتُه فى شعبانَ مِن هذه السنةِ ، رحمه اللَّهُ تعالى . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[٢] : له كتابُ « أسْرارِ العربيةِ » مفيدٌ جدًّا ، وكتابُ « طبَقاتِ النُحاةِ[٣] » مفيدٌ جدًّا أيضًا ، وكتابُ « المِـيزانِ فى النحوِ » أيضًا .

---

(١) إنباه الرواة ٢/ ١٦٩، ووفيات الأعيان ٣/ ١٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٢٣٨، والوافى بالوفيات ١٨/ ٢٤٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٥٥، وبعده فى الأصل، ص : « ابن محمد بن الحسن بن إبراهيم » ، وهى زيادة ليست فى مصادر ترجمته سوى وفيات الأعيان ، وفيه : « ابن محمد بن الحسن بن سليمان » .

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ١٣٩.

(٣) هو المعروف باسم : نزهة الألباء .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وسبعين وخمسمائةٍ[1]

فى خامسِ المُحرَّمِ كان بروزُ السلْطانِ مِن الديارِ المصريَّةِ قاصِدًا بلادَ الشامِ ؛ لمُناجزةِ الأعْداءِ والإحسانِ إلى الأولياءِ ، وكان ذلك آخِرَ عهْدِه بمصرَ لم يَعُدْ إليها بعدَ ذلك ، وقد أغار فى طريقِه على أطرافِ بلادِ الفِرنْجِ بأرضِ الكَرَكِ ، وجعَل أخاه تاجَ الملُوكِ بُورِى بنَ أيُّوبَ على المَيْمَنَةِ يسيرُ ناحيةً عنه ؛ ليتمكنوا مِن بلادِ العَدُوِّ فالْتَقوا على الأَزْرَقِ[2] بعدَ سَبْعَةِ أيامٍ ، وقد أغار نائبُ دِمشقَ عزُّ الدينِ فَرُّوخْشَاه على بلادِ طَبَرِيَّةَ وما حولَها ، وافتتَح حصونًا جيدةً ، وأسَر منهم ألفًا ، وغنِم عِشْرِينَ ألفَ رأسٍ مِنَ الأنْعامِ ، بيَّض اللَّهُ وجهَه . وكان دخولُ السلطانِ إلى دِمَشْقَ سابعَ عشَرَ صَفَرٍ ثم خرَج فى العَشْرِ الأُوَلِ من ربيعِ الأوَّلِ ، فاقتتل مع الفِرنْجِ فى نواحِى طَبَرِيَّةَ وبَيْسَانَ تحتَ حِصْنِ كوْكَبَ ، فقُتِلَ خلقٌ مِن الفريقَيْن ، ولكن كانتِ الدائرةُ للمسلمين [٩/٢٨٦و] ، ورجَع مؤيَّدًا منْصُورًا .

ثم ركِب السلطانُ فى جَحافِلِه وعساكرِه قاصِدًا حلبَ وبلادَ الشرقِ ليأخُذَها ؛ وذلك أنَّ المَواصِلةَ و الحَلَبِيِّين قد كاتَبوا الفِرنْجَ حتى يغزوا على أطرافِ البلادِ ؛ ليَشْغَلُوا الناصرَ بنفسِه عنهم ، فكان مسيرُه على بلادِ البِقَاعِ[3] ثم إلى حَماةَ ثم إلى حَلبَ ، فحاصَرَها ثلاثًا ، ورأَى العُدُولَ عنها إلى غيرِها أوْلَى به ،

---

(١) الكامل ١١/ ٤٧٨، والروضتين ٢/ ٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٤٦.

(٢) فى الأصل : «الأردن» ، والأزرق : ماء فى طريق حاجّ الشام دون تيماء. معجم البلدان ١/ ٢٣٢.

(٣) البقاع : أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق ، فيها قرى كثيرة . معجم البلدان ١/ ٦٩٩.

فسار حتى قطَع الفُرَاتَ ، واستَحوذ على بلادِ الجزيرةِ والخابورِ وحرَّانَ والرُّهَا والرَّقَّةَ ونَصِيبِينَ ، وغيرِ ذلك ، وخضَعت له الملوكُ هنالك ، ثم عاد إلى حَلبَ فتسلَّمها مِن صاحبِها عِمادِ الدينِ زَنْكِى وقد كان قايض أخاه عزَّ الدينِ مسعودًا بها إلى سِنْجارَ ، كما ذكرنا ذلك فى السنةِ الماضيةِ ، فاسْتَوْسقتْ له الممالِكُ شرقًا وغربًا ، وبُعْدًا وقُرْبًا ، وتمكَّن حينئذٍ مِن قتالِ أعدائِه مِن الفِرنْجِ ، لعَنهم اللَّهُ ، وأمكَنه اللَّهُ من نواصيهِم ، فله الحمدُ على ما أولاه .

فصلٌ

ولمَّا عجَزَ إبْرَنْسُ الكَرَكِ ، لعَنه اللَّهُ ، عن إيصالِ الأذى للمسلمين فى البَرِّ ، عمِل مَراكِبَ فى بحرِ القُلْزُمِ ؛ ليقْطَعُوا الطريقَ على التُّجَّارِ والحُجَّاجِ ، فوصَلت أذِيَّتُهم إلى عَيْذابَ [1] ، وخاف أهلُ المدينةِ النبويَّةِ مِن شرِّهم ، فأمَر العادِلُ أبو بكرٍ نائبُ مصرَ للأميرِ حُسامِ الدينِ لُؤلُؤًا صاحِبَ الأسْطُولِ أنْ يُعملَ مراكِبَه فى بحرِ القُلْزُمِ لمُحَاربةِ أصْحابِ إبرنسَ ، ففعَل ذلك فظفِرُوا بهم فى كلِّ موطنٍ ، فقتَلُوا منهم وحرَّقُوا وغَرَّقُوا وسَبَوْا وقهَرُوا وأسَرُوا فى مواطِنَ كثيرةٍ ، ومواقِفَ هائلةٍ كبيرةٍ ، وأمِنَ البرُّ والبحرُ بإذْنِ اللَّهِ الذى بيدِه النفْعُ والضرُّ ، وأرسل السلطانُ إلى أخيه يشْكُرُ من مَساعِيه ، وأرسَل إلى ديوانِ الخلافةِ يعرِّفُهم بما أنعَم اللَّهُ عليه من الفُتُوحاتِ برًّا وبحْرًا ، وبما هو مُتَقَلِّبٌ فيه من أنْعُمِ اللَّهِ وإحسانِه سرًّا وجَهْرًا ، والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين .

---

(١) عيذاب : بليدة على ضفة بحر القلزم . معجم البلدان ٣/ ٧٥١.

فصلٌ فى وَفاةِ الملكِ المنْصُورِ عِزِّ الدينِ

فَرُّوخْشَاه بنِ شَاهِنْشَاه بنِ أيُّوبَ[1] صاحِبِ بَعْلَبَكَّ ونائبِ دِمَشْقَ لعمِّه الملكِ صلاحِ الدينِ ، وهو والدُ الملكِ الأمْجَدِ بَهْرامْ شَاه صاحِبِ بَعْلَبَكَّ أيضًا بعدَ أبيه ، وإليه تُنْسَبُ المدرسةُ الفَرُّوخْشَاهيةُ بالشرقِ الشماليِّ ، وإلى جانبِها التربةُ الأمْجَدِيَّةُ لولَدِه ، وهما وقفٌ على الحنفيةِ والشافعيةِ ، وقد كان فَرُّوخْشَاه شَهْمًا شُجَاعًا بطلًا عاقلًا ذكيًّا فاضلًا كريمًا مُمَدَّحًا ، امْتدحَه الشعراءُ لجودِه وفضلِه وإحسانِه ، وكان مِن أكبرِ أصْحابِ الشيخِ تاجِ الدينِ أبى اليمنِ الكنديِّ ، عرَفَه مِن [٢٨٦/٩ظ] مجلسِ القاضى الفاضلِ له ، وللعمادِ الكاتبِ فيه مدائحُ بدائعُ ، وله هو ، رحِمه اللَّهُ ، شِعْرٌ رائقٌ لطيفٌ ، مِن ذلك قولُه[2] :

أنا فى أسرِ السَّقامِ ... [3]مِن هَوَى هذا الغُلامِ[3]

رَشَأٌ ترْشُقُ عيْنا ... ه فؤادِى بسِهامِ

كلَّما أرْشَفَنِى فَا ... ه على حَرِّ الأُوامِ

ذقْتُ منه الشَّهْدَ فى الثَّلْـ ... ـجِ المُصَفَّى فى المُدامِ

وكان ابنُه الملكُ الأمجدُ شاعرًا جيِّدًا أيضًا ، وقد ولّاه عمُّ أبيه صلاحُ الدينِ بعْلَبَكَّ بعدَ أبيه ، واستمرَّ فيها مدَّةً طويلةً ، ومن محاسنِ المنصورِ عزِّ الدينِ فَرُّوخشاه صُحْبتُه لتاجِ الدينِ الكِنْدِيِّ ، وله فى الكِنْدىِّ مدائحُ ، وقد أورَد الشيخُ شهابُ الدينِ ذلك كلَّه مستقصًى فى « الرَّوْضَتيْن »[4] ؛ ومن ذلك أنَّه دخَل يومًا

---

(١) النوادر السلطانية ص ٥٦ ، وزبدة الحلب ٢٧/٣ ، ووفيات الأعيان ١٦٧/٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ٤٨ ، وشذرات الذهب ٢٥٩/٤ .

(٢) الروضتين ٢/ ٣٤.

(٣ - ٣) فى م : « وهو فى هذا المقام » .

(٤) الروضتين ٢/ ٣٣.

إلى الحمَّامِ فرأى رجلًا كان يعرفُه مِن أصْحابِ الأموالِ ، وقد نزَل به الحالُ حتى إنَّه تستَّر ببعْضِ يديه حتى لا يبدوَ جسمُه ، فرقَّ له وأمَر غلامَه أنْ ينقُلَ بقُجةً وبساطًا إلى موضعِ الرجلِ ، وأحضَر له بغْلَةً وألفَ دينارٍ وتوقيعًا له فى كلِّ شهرٍ بعشرينَ دينارًا ، فدخَل الرجلُ من أفْقَرِ الناسِ ، وخرَج وهو مِن أغنى الناسِ ، فرحْمةُ اللَّهِ على الأجْوادِ الأكياسِ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ أبو العباسِ الرِّفاعىُّ ، أحمدُ بنُ أبى الحسَنِ علىِّ بنِ أبى العباسِ أحمدَ[1] ، المعْروفُ بابنِ الرِّفاعِىِّ ، شيخُ الطائفةِ الأحْمَدِيَّةِ والرِّفاعِيَّةِ والبَطائِحيَّةِ لسُكْناه أمَّ عَبيدَةَ مِن قُرى البطائحِ ، وهى بينَ البَصْرَةِ ووَاسِطٍ ، كان أصلُه من العرَبِ فسكَن هذه البلادَ ، والْتفَّ عليه خلقٌ كثيرٌ ، ويقال[2] : إنَّه حفِظ « التَّنْبيهَ » فى الفقهِ . وقد ذكَرتُه فى طبقاتِ الشافعيَّةِ .

قال ابنُ خَلِّكانَ[3] : ولأتْباعِه أحوالٌ عجيبةٌ مِن أكْلِ الحيَّاتِ وهى حَيَّةٌ ، والنزولِ فى التَّنانيرِ وهى تضْطَرمُ ، فيُطْفِئُونها ، ويقالُ : إنَّهم فى بلادِهم يرْكَبُونَ الأُسودَ . قال[3] : وليسَ للشيخِ أحمدَ عَقِبٌ ، وإنَّما النسْلُ لأخيه ، وذُرِّيَّته يتَوارثُونَ المَشْيخةَ بتلك البلادِ . وقال : ومِن شعرِ الشيخِ أحمدَ ، على ما قيلَ :

إذا جَنَّ ليْلى هامَ قلْبِى بذِكْرِكُم ... أنُوحُ كما ناحَ الحَمامُ المُطَوَّقُ

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ١٧١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٢٤٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٢٣، وطبقات الأولياء ص ٩٣، والكواكب الدرية ٢/ ٧٥.

(٢) طبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٢٤.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ١٧٢.

وفوْقِى سَحابٌ يُمطِرُ الهمَّ والأسَى وتحْتِى بحارٌ بالأسَى تتدَفَّقُ [٩/٢٨٧و]

سَلُوا أمَّ عمرٍو كيفَ باتَ أسِيرُها تُفَكُّ الأُسارَى دُونَهُ وهْوَ مُوثَقُ

فلا هو مقْتُولٌ ففى القَتْلِ راحَةٌ ولا هو مَمْنُونٌ عليه فيُطْلَقُ[(١)]

ومن شعرِه قولُه[(٢)] :

أغارُ عليها مِن أبيها وأمِّها ومِن كلِّ مَن يدْنُو إليها وينْظُرُ

وأحذرُ[(٣)] للمرآةِ أيضًا بكَفِّها إذا نظَرَتْ منكِ[(٤)] الذى أنا أنْظُرُ

قال[(٥)] : ولم يزَلْ على تلك الحالِ إلى أنْ تُوفِّىَ يومَ الخميسِ الثانى والعشرينَ مِن جُمادَى الأُولَى من هذه السنَةِ ، رحِمه اللَّهُ .

خلفُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مسْعُودِ بنِ بَشْكُوالَ[(٦)] ، أبو القاسمِ القُرْطُبِىُّ الحافظُ المحدِّثُ المؤرِّخُ ، صاحبُ التصانيفِ ، له كتابُ « الصِّلَةِ » جعَله ذَيْلًا على تاريخِ أبى الوليدِ بنِ الفَرَضِىِّ ، وله كتابُ « المُسْتَغِيثِينَ باللَّهِ » ، وله مجلَّدٌ فى تعْيينِ الأسْماءِ المُبْهَمَةِ فى الرِّواياتِ على طريقةِ الخطيبِ ، وأسْماءِ مَن روَى « المُوَطَّأَ » ، على حُروفِ المعجمِ ، بلَغُوا ثلاثةً وسَبْعِينَ رجلًا ، وكانت وفاتُه فى رمضانَ عن أربعٍ وثمانين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى ورضى عنه .

---

(١) فى الأصل ، ص : « فيعتق » .

(٢) البيتان فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠) ص ٢٥٣.

(٣) فى م : « أحسد » .

(٤) فى م : « مثل » .

(٥) وفيات الأعيان ١/ ١٧٢.

(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٠، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٣٩، وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٣٩ وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٢٥٨، والوافى بالوفيات ١٣/ ٣٦٩، وشجرة النور الزكية ص ١٥٤.

العَلَّامَةُ قُطْبُ الدينِ أبو المعالِي ، مسْعودُ بنُ محمدِ بنِ مسْعودٍ النَّيْسَابُورِىُّ[1] ، تفَقَّهَ على محمدِ بنِ يَحْيى صاحبِ الغَزَّالِيِّ ، قدِمَ دِمَشْقَ ودرَّس بالغَزَّالِيَّةِ والمُجاهِدِيَّةِ ، وبحَلَبَ بمدرسةِ نُورِ الدينِ وأسَدِ الدينِ ، ثم بهَمَذَانَ ، ثم رجَع إلى دِمَشْقَ ودرَّسَ بالغَزَّالِيَّةِ ، وانتهتْ إليه رِياسةُ المذْهبِ ، وماتَ بها فى سَلْخِ رمضانَ يومَ العيدِ سنَةَ ثَمانٍ وسبْعيـنَ وخَمْسِمائةٍ ، عن ثلاثٍ وتِسْعِيـنَ سنةً ، وعنه أخَذ الفَخْرُ بنُ عساكِرَ وغيرُه ، وهو الذى صلَّى على الحافظِ ابنِ عساكِرَ .

واللَّهُ سُبْحانَه أعلمُ .

---

(١) مرآة الزمان ٨/١/٣٧٢، ووفيات الأعيان ٣/ ١٣٥، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٢٧١، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٩٧.

ثم دخلت سنة تِسْعٍ وسَبْعِين وخَمْسِمائةٍ[1]

فى الرابعَ عشَرَ مِن محرَّمِها تسلَّم السلطانُ صلاحُ الدينِ مدينةَ آمِدَ صُلْحًا بعدَ حصارٍ طويلٍ، مِن يَدِ صاحبِها ابنِ نَيْسانَ[2]، بعدَما حمَل ما أمكنَه مِن حواصِلِه وأموالِه وأثقالِه مدةَ ثلاثةِ أيامٍ، ولمَّا تسلَّم السلطانُ البلدَ وجَد فيه شيئًا كثيرًا مِن الحواصِلِ و آلاتِ الحربِ والسلاحِ، حتى إنَّه وجَد بُرْجًا مملُوءًا بنُصولِ النُّشَّابِ، وبُرْجًا آخرَ فيه مِائَةُ ألفِ شمعةٍ، وأشْياءَ يطولُ شرْحُها، ووجَد فيها خِزانَةَ كتُبٍ فيها ألفُ ألفِ مجلَّدٍ، وأربعونَ ألفَ مجلَّدٍ، فوهَبها كلَّها للقاضى الفاضلِ، فانْتَخَب منها حِمْلَ سَبْعِينَ حِمارَةً. ثم وهَب السلْطانُ البلدَ بما فيه لنورِ الدينِ محمدِ بنِ قَرَا أرْسِلَانَ - وكان قد وعَدَه بها - فقيلَ له: فإنَّ الحواصِلَ لم تَدْخُلْ فى وعدِك. فقال: لا أبْخَلُ بها عليه - وكان فى خِزانَتِها ثلاثَةُ آلافِ ألفِ دينارٍ - وقد صار من أصحابِنا وأنصارِنا. فامْتَدحَه الشعراءُ على هذا الصنيعِ الحسنِ الجميلِ، وهو حقيقٌ بالثناءِ والجزاءِ الجزيلِ، ومِن أحسَنِ ما قاله بعْضُهم فى ذلك مِن جملةِ قصيدةٍ له فى السلطانِ[3]:

قُلْ للمُلوكِ تَنحَّوا عن ممالِكِكُم   فقدْ أَتَى آخِذُ الدنْيا ومُعْطِيها

---

(١) الكامل ١١/ ٤٩٣، والروضتين ٢/ ٣٩.

(٢) فى م: «بيسان»، وفى الروضتين ٢/ ٣٩: «تيسان» والمثبت موافق لما فى الكامل.

(٣) الروضتين ٢/ ٤٢.

ثم سارَ السلطانُ فى بقيةِ المحرَّمِ إلى مدينةِ حَلَبَ فنازَلها وحاصَرَها ، وقاتلَه أهلُها قتالًا جيِّدًا ، وجُرِح أخو السلْطانِ تاجُ الملُوكِ بُورِى بنُ أيُّوبَ جُرْحًا بليغًا ، فماتَ منه بعدَ أيامٍ ، وكان أصْغَرَ أوْلادِ أيُّوبَ ، لم يبلُغْ عِشْرِينَ سنةً ، وقيلَ : بل [٩/٢٨٧ظ] جاوَزها بسنتينِ ، وكان ذكِيًّا فَهِمًا ، له ديوانُ شعرٍ لطيفٌ ، فحزِنَ عليه أخوه الملكُ صلاحُ الدينِ حُزْنًا شديدًا ، ودفنه بحَلَبَ ، ثم نقَله إلى دِمَشْقَ ، ثم اتفقَ الحالُ بينَ السلطانِ وبينَ صاحبِ حَلَبَ عمادِ الدينِ زَنْكِى بنِ مودودِ بنِ زَنْكِى بنِ آقْ سُنقُرَ على عِوَضٍ أطْلقَه وهو أن يرُدَّ عليه سِنْجَارَ ويسلِّمَه البلدَ ، فخرَج عِمادُ الدينِ زَنْكِى ، وجاء إلى خدْمَةِ السلطانِ ، وعَزَّاه فى أخيه ، ونزَلَ عندَه فى المُخَيَّمِ ، ونقَل أثْقالَه إلى سِنْجَارَ ، وزادَه السلْطانُ الخابورَ والرَّقَّةَ ونَصِيبِينَ وسَرُوجَ ، واشْترَطَ عليه إرْسالَ العَسْكرِ فى الخدمَةِ للغزاةِ ، ثم سارَ ووَدَّعَه السلْطانُ ، ومكَث السلْطانُ فى المخيمِ أيامًا غيرَ مُكْتَرِثٍ بحَلَبَ ، ولا مستكثرٍ لها ولا بها ، ثم صعِد إلى قلْعَتِها يومَ الاثنينِ سابعَ عشرَ صفَرٍ مؤيَّدًا منصورًا محبورًا ، وعمِل له الأميرُ طُمانُ[1] وليمةً عظيمةً ، وكان يومًا مشهودًا فسمِعه بعضُهم وهو داخلٌ يتلو هذه الآيةَ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ [آل عمران : ٢٦] الآية . ولمَّا دخَل دارَ الملكِ تلا : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [الأحزاب : ٢٧] الآية . ولمَّا دخَل مَقامَ إبْراهيمَ صلَّى فيه ركعتَيْن وأطالَ السجودَ والدعاءَ والتضرُّعَ ، رحِمه اللَّهُ ، ثم شرَعَ فى عملِ وليمةٍ عظيمةٍ ، وقد ضُرِبَتِ البشائرُ ، وخلَعَ السلطانُ على الأمراءِ ، وأحْسَنَ إلى الرُّؤساءِ والفقراءِ ، وألقَتِ الحربُ أوْزارَها ، وقضت القلوبُ أوطارَها .

وألقَتْ عَصَاها واستَقَرَّ بها النَّوَى كما قَرَّ عَيْـنًا بالإيَابِ المُسافِرُ[2]

---

(١) فى م : « طهمان . وانظر الكامل ١١/ ٤٩٧، والروضتين ٢/ ٤٤.

(٢) البيت لمعقّر بن حِمار البارقى .

وقدِ امْتدحَه الشعراءُ عند فتحِ حلبَ بمدائحَ حِسَانٍ ، وكانت قد وقعَتْ منه موقعًا عظيمًا ، حتى إنه قال : ما سُرِرْتُ بفَتْحِ قلعةٍ أعظمَ سُرورًا مِن فتحِ مدينةِ حَلَبَ . وأسْقَطَ عنها وعن سائرِ بلادِ الجزيرةِ المُكوسَ والضرائبَ ، وكذلك عن بلادِ الشامِ ومِصْرَ ، فجزَاه اللَّهُ خيرًا .

وقد كانتِ الفِرنجُ فى غيبةِ السلطانِ واشتغالِه ببلادِ الجزيرةِ وتلك الأمورِ ، قد عاثَت فى البلادِ بالإفسادِ يمينًا وشمالًا ، واغتنَمتِ الثعالبُ غيبةَ الأسدِ فجالَت حولَ العرينِ وهى تظُنُّ ذلك خيالًا ، فأرسَل السلْطانُ إلى عساكرِه ليجْتَمِعوا إليه ويكونوا بينَ يدَيه ليتصدَّى بعدَ هذا كلِّه لقتالِ الفِرنجِ العدُوِّ المخذولِ ، وكان قد بُشِّرَ بفتحِ بَيْتِ المقْدِسِ حينَ فتحَ حَلَبَ ؛ وذلك أنَّ الفقيهَ مجدَ الدينِ بنَ جَهْبَلٍ الشافعىَّ رأى فى تفْسِيرِ أبى الحكمِ (١ بنِ بَرَّجانَ المغربىِّ ١) عندَ قولِه تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ . [الروم : ١] الآية . البِشارَةَ بفتحِ بَيْتِ المَقْدِسِ فى سنَةِ ثلاثٍ وثَمانِين وخَمْسِمائةٍ ، واسْتدلَّ [٩/٢٨٨و] على ذلك بأشْياءَ ، فكتَب ذلك فى ورَقَةٍ وأعْطَاها للفقيهِ عيسى الهَكَّارِىِّ ؛ ليبَشِّرَ بها السلْطانَ ، فلم يتَجاسَرْ على ذلك خَوْفًا مِن عدَمِ المُطابقَةِ ، فأعْلَمَ بذلك القاضىَ مُحْيِى الدينِ بنَ الزَّكىِّ ، فنظَمَ معْنَاها فى قصيدةٍ يقولُ فيها :

وفتْحُكُمْ (٢ حَلَبَ الشَّهْباءَ ٢) فى صفَرٍ قَضَى لكم بافْتِتاحِ القُدْسِ فى رَجَبِ

وقدَّمها للسلْطانِ فقوِيت همةُ السلطانِ إلى ذلك ، فلمَّا افْتتَحها - كما سيَأْتى - أَمَر القاضىَ فخطَبَ يومَئذٍ وكان يومَ الجمعةِ ، ولـمَّا بلَغَه أنَّ ابنَ جَهْبَلٍ هو الذى اطَّلَع على ذلك أوَّلًا ، أمرَه فدرَّسَ على نفْسِ الصخْرَةِ درْسًا عظيمًا ،

(١ - ١) فى م ، ص : « العربى » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٧٢.
(٢ - ٢) فى الروضتين ٢/ ٤٦: « حلبا بالسيف » .

وأجْزَلَ له العطاءَ ، وأحْسَنَ عليه الثَّناءَ .

فصلٌ

ثم رحَل السلطانُ مِن حَلَبَ فى أواخرِ ربيعِ الآخرِ بجيوشِه وعساكرِه وقد جعَل فيها وَلدَه الظاهِرَ غازِى ، ووَلَّى قضاءَها لمحيى الدينِ بنِ الزَّكىِّ ، فاسْتَنابَ له فيها نائبًا ، ورجَع هو مع السلطانِ فى خدمتِه ، فاجتازَ بحَماةَ ثم بحِمْصَ ثم على بَعْلَبَكَّ ، ثم دخَل دِمَشْقَ فى ثالثِ جُمادَى الأُولَى مؤيَّدًا منصورًا فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ ونعمةٍ جسيمةٍ ، وكان ذلك يومًا مشْهودًا ، ومِن نيَّتِه الخروجُ سريعًا إلى قتالِ الفِرنْجِ ، فبرَز منها فى أوَّلِ جُمادَى الآخرةِ فى جَحافِلِه قاصِدًا نحوَ القُدْسِ الشريفِ ، فانْتَهَى إلى بَيْسَانَ فنهَبها ، ونزَل على عَيْنِ جَالُوتَ ، وأرسَل بيـنَ يدَيْه سريةً هائلةً فيها جُرديكُ[1] وطائفةٌ مِنَ النُّوريَّةِ ، وجاولى مملوكُ عمِّه أسَدِ الدينِ ، فوجَدُوا جيشَ الكَرَكِ مِنَ الفِرنْجِ قاصِدين إلى أصحابِهم ؛ نَجْدَةً لهم ، فالْتَقَوا معهم فقتَلُوا مِنَ الفِرنْجِ خلقًا كثيرًا وأسَرُوا مِائةَ أسيرٍ ، ولم يُفْقَدْ مِن المسلميـنَ سِوَى شخصٍ واحدٍ ، ثم عادَ فى آخرِ ذلك اليومِ ، وبلَغ السلْطانَ أنَّ الفِرنْجَ قدِ اجْتَمَعُوا لقتالِه ، فقصَدهم وتصدَّى لهم لعلَّهم يُصافُّونَه ، فنكَلُوا عنه فقتَل منهم خلقًا كثيرًا مِن أطرافِهم وجرَح مِثْلَهم ، فرجَعُوا ناكِصيـنَ على أعْقابِهم خائِفيـنَ منه غايةَ المخافةِ ؛ لكثرةِ جيشِه ، وهو خلْفَهم يقتلُ ويأسِرُ حتى غوَّروا فى بلادِهم ، فرجَع عنهم مؤيَّدًا منصورًا ، وكتَب القاضى الفاضلُ إلى الخليفةِ يُعْلمُه بما مَنَّ اللَّهُ به على المسلميـنَ مِن نصرِهم على الفِرنْجِ ، وكان لا يفعَلُ شيئًا ولا يريدُ أنْ يفْعَلَه إلَّا طالَعَ

---

(١) فى م : « بردويل » ، وفى ص : « جرديل » . والمثبت موافق لما فى الروضتين ٢/ ٥٠.

بذلك الخليفةَ ؛ أدَبًا واحْتِرامًا وطاعةً واحْتِشامًا .

فصلٌ

وفى رجَبٍ سارَ السلطانُ إلى الكَرَكِ ، فحاصَرها وفى صُحْبَتِه تقىُّ الدينِ عمرُ ابنُ أخيه ، وقد كتَب إلى أخيه العادلِ أبى بكرٍ [٩/٢٨٨ظ] ليَحْضُرَ إليه ليُوَلِّيَه حَلَبَ وأعْمالَها وَفْقَ ما كان طلَبه منه ، واستمرَّ الحِصارُ على الكَرَكِ مدَّةَ شهرِ رجَبٍ ، فلم يَظْفَرْ منها بطلَبٍ ، وبلَغَه أنَّ الفِرنْجَ قدِ اجْتَمعُوا كلُّهم ليمنَعُوا منه الكرَكَ فكَرَّ راجعًا إلى دِمَشْقَ ؛ ليلقاهم - وذلك مِن أكبرِ هَمِّه وأعظمِ طلبِه - وأرسَلَ ابنَ أخيه تقىَّ الدينِ عمرَ إلى مِصْرَ نائبًا ، وفى صُحْبَتِه القاضى الفاضلُ ، وبعَث أخاه على مملَكةِ حَلَبَ وأعْمالِها ، واسْتَقدَم ولَدَه الظاهِرَ إليه ، وكذلك نُوَّابَه ومَن يعِزُّ عليه ، وإنَّما أعْطَى السلطانُ أخاه العادلَ حَلَبَ ليكونَ قريبًا منه ، فإنَّه كان لا يقْطَعُ أمْرًا دونَ مشورتِه ، واقْتَرضَ الناصرُ مِن أخيه أبى بكرٍ العادلِ مائةَ ألفِ دينارٍ ، وتألَّم الظاهِرُ بنُ الناصرِ على مُفارقَةِ حَلَبَ ، وكانت إقامتُه الأولى بها سِتَّةَ أشهرٍ ، ولكنَّه لا يُظْهِرُ ما فى نفْسِه لوالدِه ، لكِن يَظهرُ ذلك على صَفَحاتِ وجْهِه وفَلَتاتِ لسانِه(*) .

(*) فى حاشية الأصل : « بيض هنا للوفيات بياضا مقدار عشرة أسطر » .

ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة

فى هذه السنةِ[1] أرسَل السلطانُ إلى العساكرِ الحلَبيَّةِ والجزَريَّةِ والمِصْريَّةِ، فقدِمَ عليه تقىُّ الدينِ عمرُ مِن مِصْرَ ومعه القاضى الفاضِلُ، وجاء مِن حَلَبَ أبو بكرٍ العادِلُ، وقدِمَتْ ملوكُ الجزيرةِ وسِنْجارَ وتلك النواحى والأقطارِ، وأخَذها كلَّها مع جيشِه، فسارَ بها إلى الكرَكِ، فأحْدَقُوا بها فى رابعَ عشَرَ جُمادَى الأُولَى، ورَكَّبَ عليها المجانيقَ، وكانتْ تِسْعَةً، وأخَذ فى حِصارِها؛ وذلك لأنَّه رأى أنَّ فتْحَها الآنَ أنفعُ للمسلمينَ، فإنهم يقْطَعُونَ الطريقَ على الحجيجِ والتجارِ فى البراريِّ والبحارِ، فبَيْنَما هو كذلك إذْ بلَغه أنَّ الفِرِنجَ - لعَنهم اللَّهُ - قدِ اجْتَمَعُوا له كلُّهم فارِسُهم ورَاجِلُهم؛ ليمنَعُوا منه الكرَكَ، فانْشَمر عنها وقصَدَهم، فنزَل على حُسْبانَ[2] تُجاهَهم، ثم صارَ إلى ماءِ عين، فانْهزَمَت الفِرِنجُ قاصِدِين الكرَكَ، فأرسَل وراءَهم مَنْ قتَل منهم مقْتَلَةً عظيمةً، وأمَر السلطانُ الجيوشَ بالإغارَةِ على السواحلِ؛ لخُلُوِّها مِنَ المُقاتِلَةِ، فنُهِبَتْ نَابُلُسُ وما حوْلَها مِن القَرايا والرَّساتِيقِ، ثم عادَ السلطانُ إلى دِمَشْقَ، فأذِن للعساكرِ فى الانْصرافِ إلى بُلدانِهم الشتَّى، وأمَر ابنَ أخيه تقىَّ الدينِ عمرَ الملكَ المُظَفَّرَ أنْ يعودَ إلى مِصْرَ بعسكرِه، وكذلك أخاه العادلَ أن يعودَ إلى الشهباءِ[3]، وأقامَ السلطانُ بدِمشقَ؛

---

(١) الكامل ١١/٥٠٦، والروضتين ٢/٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٥٨.

(٢) فى م: «حسان». وحسبان: مدينة عَمل البلقاءِ، وهى بلدة صغيرة، ولها وادٍ وأشجار وأرحية وبساتين وزروع. صبح الأعشى ٤/١٠٦.

(٣) أى: حلب.

ليؤدِّىَ فرضَ الصيامِ ، ولتَجُمَّ الخيلُ ويُحَدَّ الحُسامُ ، وقدِمت على السلْطانِ خِلَعُ الخليفةِ فلَبِسَها ، وألْبَسَ أخَاه العادِلَ ، وابنَ عمِّه ناصرَ الدينِ محمدَ بنَ شِيرَكُوه ، [٩/٢٨٩و] ثم خلَعَ السلطانُ خِلْعتَه على ناصرِ الدينِ بنِ قرا أرْسَلانَ ، صاحِبِ حِصْنِ كَيْفَا وخَرْتَبِرْتَ وآمِدَ التى أطْلَقها له السلْطانُ .

وفى هذه السنةِ مات ابنُ عمِّه[1] صاحبُ مارِدينَ وميَّافارِقينَ وتلك الأعمالِ ، وهو قطبُ الدينِ إيلغازى بنُ ألبى بن تَمُرْتاشَ بنِ إيلغازى بنِ أُرْتُقَ ، فقامَ فى المُلكِ بعدَه ولدُه وله مِنَ العُمرِ عشْرُ سنين .

وفيها ماتَ صاحِبُ المغْرِبِ - أيضًا - يُوسُفُ بنُ عبدِ المؤمنِ بنِ علىٍّ ، وقامَ فى المُلكِ بعدَه ولَدُه يَعْقُوبُ .

وفى أواخرِ السنةِ بلَغ السلطانَ صلاحَ الدينِ أنَّ صاحِبَ المَوْصِلِ نازِلٌ إرْبِلَ ، فبعَث صاحِبُها يسْتَصْرِخُ بالسلطانِ ، فركِبَ مِن فورِه إليه فى جنودِه وعساكرِه ، فسارَ إلى بَعْلَبَكَّ ، ثم إلى حمصَ ثم إلى حمَاةَ ، فأقامَ بها أيامًا ينْتَظِرُ وصولَ العمادِ الكاتبِ إليه ؛ وذلكَ لأنَّه حصَل له ضعْفٌ فأقامَ ببَعْلَبَكَّ ريثَما اسْتَبَلَّ مِن مرضِه[2] ، وقد أرسَل إليه القاضى الفاضِلُ مِن دِمَشْقَ حكيمًا يقالُ له : أسْعَدُ بنُ إلياسَ المَطْرانُ . فعالَجه معالجةَ مَن طَبَّ لمَن حَبَّ[*] .

(١) أى : ابن عمّ ناصر الدين بن قرا أرسلان . انظر ترجمته فى : الكامل ١١/ ٥٠٨، والروضتين ٢/ ٦٠.
(٢) استبل من مرضه : صحّ . التاج (ب ل ل) .
(*) فى حاشية الأصل : « هنا بياض للوفيات فى نسخة الأصل مقدار عشرين سطرًا » .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وخمسمائة[1]

استهلَّت هذه السنةُ والسلطانُ مُخيِّمٌ بظاهرِ حَمَاةَ ، فسارَ إلى حلبَ ، وتلقَّاه أخوه العادلُ ، واجتمَعت إليه العساكرُ ، فخرَج منها فى صفرٍ ؛ لقصدِ المَوْصِلِ فقطَع الفُراتَ ، وجاء إلى حَرَّانَ فقبَض على صاحبِها مُظَفَّرِ الدينِ بنِ زَينِ الدينِ ، وهو أخو زَيْنِ الدينِ صاحِب إرْبِلَ ، ثم رَضِى عنه ، وأعادَه إلى مملكَتِه حتى يتبيَّنَ حُسنَ طوِيَّتِه ، ثم سارَ منها إلى المَوْصِلِ فتلَقَّاه الملُوكُ مِن كلِّ ناحيةٍ ، وجاءَ إلى خدْمَتِه عمادُ الدينِ أبو بكرِ بنُ قَرا أرْسَلَانَ صاحِبُ بلادِ بكرٍ وآمِدَ ، ثم بلَغه موتُ أخيه نورِ الدينِ أرسَلانَ ، فطلَب دستورًا ؛ ليأخذَ مملكتَه فأعطَاه ، وسارَ السلْطانُ فنزَلَ على الإسْماعِيلِيّاتِ قريبًا مِن المَوْصِلِ ، وجاءَه صاحبُ إرْبِلَ زَينُ الدينِ وهو ممَّن خضَع له ملُوكُ تلك الناحيةِ - كما تقدَّم - وأرسَل السلطانُ ضياءَ الدينِ بنَ كمالِ الدينِ الشَّهْرَزُورِىَّ إلى الخليفةِ يُعْلِمُه بما عزَم عليه مِن حصارِ المَوْصِلِ ، وإنما مقصودُه ردُّهم إلى طاعَةِ الإمامِ ، ونُصْرَةِ الإسْلامِ ، فحاصَرها مدةً ، ثم ترَحَّلَ عنها فى آخرِ ربيعِ الأولِ ولم يفتَحْها ، وسارَ إلى خِلَاطَ[2] واسْتَحوذَ على بُلْدانٍ كثيرةٍ ، وأقاليمَ جَمَّةٍ ببلادِ الجزيرةِ وديارِ بَكْرٍ ، وجرَتْ أمورٌ طويلةٌ قدِ [٩/٢٨٩ظ] اسْتَقْصَاها ابنُ الأثيرِ فى « الكاملِ » ، وصاحبُ « الروضَتَيْنِ »[3] ، ثم وقَع الصلحُ بيْنَه وبينَ المَوَاصِلَةِ ، على أنْ يكونُوا مِن جُنْدِه إذا ندَبَهم لقتالِ الفِرنجِ ، وعلى أنْ

---

(١) الكامل ١١/ ٥١١، والروضتين ٢/ ٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٥.

(٢) خلاط : بلدة بأرمينية . التاج (خ ل ط) .

(٣) انظر الكامل ١١/ ٥١٥، والروضتين ٢/ ٦٢.

يُخْطَبَ له ، وتُضْرَبَ السِّكَّةُ باسمِه ، ففعَل ذلك فى تلك البلادِ كلِّها ، وانقطَعتْ خطبةُ السَّلاجِقَةِ والأزيقيَّةِ[1] بتلك البلادِ كلِّها ، واتفَق الحالُ وزالَ الإشكالُ .

واتفَق أنه مرِض بعدَ هذا مرَضًا شديدًا ، وهو يتجَلَّدُ ولا يُظْهِرُ شيئًا مِنَ التألُّم حتى قوِىَ عليه الأمرُ وتزايَد الحالُ ، حتى وصَل إلى حَرَّانَ ، فخَيَّمَ هُنالِكَ مِن شدَّةِ ألَمِه ، وشاعَ ذلك فى البلادِ ، فخافَ الناسُ عليه وأرْجَف الكَفرةُ والمُلْحِدُون ، وخافَ أهلُ البِرِّ والمؤمنون ، وقصَده أخوه أبو بكرٍ العادِلُ مِن حلَبَ بالأَطِبَّاءِ والأدويةِ ، فوجَده فى غايةِ الضعفِ ، وأشارَ عليه بأنْ يُوصِىَ ويعهَدَ ، فقال : ما أُبالِى وأنا أترُكُ مِن بعْدِى أبا بكرٍ وعمرَ وعُثْمانَ وعليًّا - يعْنى أخاه العادِلَ صاحبَ حلبَ ، وتقِىَّ الدينِ عمرَ صاحِبَ حَمَاةَ وهو إذْ ذاكَ نائبُ مِصْرَ ، وهو بها مقيمٌ ، وابنَيْه العزيزَ عُثْمانَ والأفْضَلَ علِيًّا - ثُمَّ نذَرَ للَّهِ تعالى لئنْ شفَاه اللَّهُ مِن مرضِه هذا ليصْرِفَنَّ هِمَّتَه كلَّها إلى قتالِ الكفارِ ، ولا يقاتِلُ بعدَ ذلك مُسْلِمًا ، وليجْعَلَنَّ أكبرَ همِّه فتحَ بيتِ المَقْدِسِ ، ولو صرَفَ فى سبيلِ ذلك جميعَ ما يملِكُه مِن الأموالِ والذخائرِ وَلَيَقْتُلَنَّ البرنسَ صاحِبَ الكَرَكِ بيَدِه ؛ وذلك لأنَّه نقَض العهدَ الذى عاهَد السلطانَ عليه فغدَر بقافلةٍ مِن تجارِ مصرَ ، فأخَذ أموالَهم ، وضرَب رِقابَهم صَبْرًا بينَ يدَيه ، وهو يقولُ : أيْنَ مُحمَّدُكُم ينْصُرُكم ؟ وكان هذا النَّذْرُ كلُّه بإشارةِ القاضى الفاضلِ ، رحِمه اللَّهُ ، وهو الذى أرْشَده إلى ذلك وحثَّه عليه ، حتى عقَدَه مع اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، فشفَاه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، وعافَاه ممَّا كان ابتَلَاه به مِن ذلك المرضِ الذى كان فيه ؛ كفارةٌ لذُنوبِه ورفعٌ لدرجتِه ونصرةٌ للإسلام وأهلِه ، وجاءتِ البشائرُ بذلك مِن كلِّ ناحيةٍ ، وزُيِّنتِ البلادُ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وكتَب القاضى الفاضلُ مِن دِمَشْقَ وهو مقيمٌ بها إلى المظفَّرِ تقِىِّ الدينِ عمرَ

---

(١) الأزيقية : هم قرائب أصحاب ماردين . مسالك الأبصار ٢٧/ ٢٣١.

نائبِ مصرَ لعمِّه الناصرِ ؛ أنَّ العافيةَ الناصريَّةَ قدِ استفاضَتْ أخْبارُها ، وأنوارُها وآثارُها ، ووَلَّتِ العِلَّةُ ، ولِلَّهِ الحمدُ ، وأُطفِئَتْ نارُها ، وانجَلَى غُبارُها ، وخمَد شَرارُها ، وما كانتْ إلَّا فلْتَةً وَقَى اللَّهُ شرَّها ، وعظيمةً كفَى اللَّهُ الإسْلامَ أمرَها ، ونَوْبَةً امْتَحَن اللَّهُ فيها نفوسَنا ، فرأَى أقلَّ ما عندَها صبرَها ، وما كانَ اللَّهُ ليُضِيعَ الدعاءَ وقد أخْلَصتْه القُلُوبُ ، ولا ليُوقِفَ الإجابةَ وإنْ سدَّتْ طريقَها الذُّنوبُ ، ولا ليُخْلِفَ وعدَ فرَجٍ وقد أيِس الصاحِبُ والمصْحُوبُ :

[٩/ ٢٩٠و] نِعيٌّ زادَ فيه الدهرُ مِيما فأصْبَحَ بعدَ بُؤْساهُ نَعِيما

وما صَدَق النذِيرُ به لأنِّى رأيتُ الشمسَ تطلعُ والنُّجوما[1]

وقد استقبَلَ مولانا السلطانُ الملكُ الناصرُ العافيةَ غضَّةً جديدةً ، والعَزْمَةَ ماضيةً حديدةً ، والنَّشاطَ إلى الجهادِ ، والجُنَّةَ مبْسُوطَةَ البِساطِ ، وقدِ انْقضَى الحِسابُ وجُزْنا الصِّراطَ ، وعُرِضْنا نحنُ على الأهْوالِ التى مِن خوْفِها كادَ الجمَلُ يَلِجُ فى سَمِّ الخياطِ .

ثم ركِبَ السلْطانُ مِن حرَّانَ بعدَ العافيةِ فدخَلَ حلَبَ ، ثم اجتازَ بحماةَ وحمصَ ، ودخَل إلى دِمَشقَ ، وقد تكامَلَتْ عافيتُه ، وقد كان يومُ دخولِه إليها يومًا مشهودًا وصباحًا محمودًا ، ولِلَّهِ المنةُ .

ومِمَّن تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ :

الفقيهُ مُهذِّبُ الدينِ ، عبدُ اللَّهِ بنُ أسعدَ الموْصِلىُّ[2] مدرِّسُ حِمْصَ ، وكان

---

(١) الروضتين ٢/ ٦٦.

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٢٧٩، والروضتين ٢/ ٦٧، وإنباه الرواة ٢/ ١٠٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٥٧، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٠٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٢٠.

بارعًا فى فُنونٍ ، ولا سِيَّما فى الشعرِ والأدبِ ، وقد أثْنى عليه العِمادُ ، والشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ .

الأميرُ ناصِرُ الدينِ محمدُ بنُ أسدِ الدينِ شِيرِكُوه[1] صاحِبُ حِمْصَ والرَّحْبَةِ ، وهو ابنُ عمِّ السلطانِ صلاحِ الدينِ ، وزوْجُ أختِه سِتِّ الشامِ بنتِ أيُّوبَ ، كانَت وفاتُه بحِمْصَ فنقَلَتْه زوْجتُه ستُّ الشَّامِ إلى تُرْبتِها بالمدرسةِ الشامِيَّةِ البَرَّانِيَّةِ ، فقبْرُه هو الأوْسَطُ بينَها وبينَ أخيها المعظَّمِ تُورَانشاه صاحِبِ اليمنِ ، وقد خلَّفَ ناصرُ الدينِ محمدٌ مِنَ الأموالِ والذخائرِ شيئًا كثيرًا ، يُنيِّفُ على ألفِ ألفِ دينارٍ . وكانت وفاتُه يومَ عرَفَةَ فجأةً ، فوَلِىَ مِن بعدِه مملكةَ حِمْصَ ولَدُه أسدُ الدينِ شِيرِكُوه بأمْرِ السلطانِ ، أيَّده اللَّهُ تعالى .

محمودُ بنُ أحمدَ[2] **بنِ علىِّ بنِ إسماعيلَ بنِ عبدِ الرحيمِ ، الشيخُ جمالُ الدينِ أبو الثَّناءِ المحْمودىُّ بنُ الصَّابُونىِّ** ؛ [3]لأنَّ جدَّ أمِّه[4] الشيخُ أبو عثمانَ الصابونىُّ[3] ، كان أحدَ الأئمةِ المشاهيرِ ، وإنَّما يقالُ له : المحْمُودِىُّ . لصُحْبَةِ جَدِّه السلطانَ محمودَ بنَ محمدِ بنِ ملكشاه ، فقدِم الشيخُ جمالُ الدينِ هذا الشامَ فى أيامِ السلطانِ نورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكى فأكْرَمه واحترَمه ، ثم سارَ إلى

---

(١) الروضتين ٢/ ٦٧، ومرآة الزمان ٨/١/ ٣٨٥، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٢٢، والوافى بالوفيات ٣/ ١٥٤.

(٢ - ٢) فى م : « المحمودى بن محمد » . وانظر ترجمته فى : الروضتين ٢/ ٦٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٢٩. وانظر مقدمة كتاب « تكملة إكمال الإكمال » للدكتور مصطفى جواد ص ٣٣ وما بعدها.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى الأصل، ص: « أبيه » . والمثبت من سير أعلام النبلاء ٢١/ ١٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٣٠، وفى الروضتين ٢/ ٦٨: « جد أبيه لأمه » .

مصرَ فنزَلها ، وكان صلاحُ الدينِ يُكرِمُه أيضًا ، ووقَف عليه وعلى ذُرِّيَّتِه أرْضًا ، فهى لهم إلى الآنَ .

الأميرُ الكبيرُ سعْدُ الدينِ مسعودُ بنُ مُعِينِ الدينِ[1] ، كان مِن الأمراءِ الكبارِ أيامَ نورِ الدينِ وصلاحِ الدينِ ، وهو أخو السِّتِّ خاتُون ، وحينَ تزوَّجها صلاحُ الدينِ زوَّجه أُخْتَه السِّتَّ ربيعةَ خَاتُون بنتَ أيُّوبَ ، التى تُنْسَبُ إليها المدرسةُ الصلاحيةُ بالسَّفْحِ على الحنابلةِ ، وقد تأخَّرَتْ مدَّتُها فتُوفِّيَتْ فى سنةِ ثلاثٍ وأربعينَ وسِتِّمائةٍ[2] ، [٩/٢٩٠ظ] وكانت آخرَ مَن بَقِىَ مِن أولادِ أيُّوبَ لصُلْبِه ، وكانت وفاتُه بدِمَشقَ فى جُمادَى الآخرةِ مِن جُرحٍ أصابَه وهو فى حِصارِ ميَّافَارِقِينَ .

السِّتُّ خاتون عِصْمةُ الدينِ بنتُ مُعِينِ الدينِ[3] ، نائبِ دِمَشْقَ ، وأتابكِ عسكرِها قبلَ نُورِ الدينِ ، كما تقدَّم[4] ، وقد كانت زوجةَ نورِ الدينِ ، رحمه اللَّهُ ، ثم خلَف عليها مِن بعدِه صلاحُ الدينِ فى سنةِ ثِنْتيْن وسبعين وخمسِمائةٍ ، وكانت مِن أحسنِ النساءِ وأعَفِّهِنَّ وأكثرِهنَّ صدقةً ، وهى واقِفَةُ الخاتُونِيَّةِ الجُوانِيَّةِ بمَحَلَّةِ حَجَرِ الذهَبِ ، وخانِقاه خاتُون ظاهِرَ بابِ النَّصْرِ فى أوَّلِ الشرفِ القِبْلِىِّ على بانْياسَ ، ودُفِنَتْ بتُرْبتِها فى سفحِ قاسِيُونَ قريبًا مِن قِبابِ الشَّرْكسِيَّةِ ، وإلى جنْبِها دارُ الحديثِ الأشْرَفِيَّةُ والأتابكيَّةُ ، ولها أوْقافٌ كثيرةٌ غيرُ ذلك ، وأمَّا

---

(١) ديوان ابن الدهان ص ١٦٦، والكامل ١١/ ٤٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٠٥، والسلوك ١/١/ ٩٠، والنجوم الزاهرة ٦/ ٩٩.

(٢) فى الأصل: «سبعمائة».

(٣) مرآة الزمان ٨/١/ ٣٨٥، والعبر ٤/ ٢٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٢٠، والدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٥٠٧، وشذرات الذهب ٤/ ٢٧٢.

(٤) تقدم فى ص ٣٢٦.

الخاتُونِيَّةُ البَرَّانِيَّةُ التى على القنواتِ بمَحِلَّةِ صَنْعاءِ الشام ، ويُعرَفُ ذلك المكانُ التى هى فيه بتَلِّ الثَّعالبِ ، فهى مِن إنْشاءِ الستِّ زُمُرُّدَ خاتُون بنتِ جاولى ، وهى أختُ الملكِ دُقاقَ لأمِّه ، وكانت زوجةَ زنْكِى والدِ نورِ الدينِ محمودٍ ، صاحبِ حلَبَ ، وقد ماتَتْ قبلَ هذا الحينِ كما تقدَّم[1] ، رحِمها اللَّهُ تعالى .

الحافِظُ الكبيرُ أبو مُوسَى المَدِينىُّ ، محمدُ بنُ عمرَ بنِ أحمدَ[2] الأصْبهانىُّ ، الحافِظُ أبو موسى المدِينىُّ ، أحدُ حفَّاظِ الدنيا الرَّحَّالين الجَوَّالين له مصنَّفاتٌ عديدةٌ ، وشرَح أحادِيثَ كثيرةً ، رحِمه اللَّهُ .

أبو القاسِمِ وأبو زيْدٍ ، عبدُ الرحمنِ بنُ الخطيبِ أبى محمدٍ عبدِ اللَّهِ بنِ الخطيبِ أبى عمرَ أحمدَ بنِ أبى الحسَنِ أَصْبَغَ بنِ حسينِ بنِ سَعْدُونَ بنِ رِضوانَ ابنِ فتُّوحٍ - هو الداخِلُ إلى الأنْدَلُسِ - الخَثْعمِىُّ السُّهيْلِىُّ[3] حكَى القاضى ابنُ خَلِّكانَ[4] ، عن ابنِ دِحْيَةَ أنَّه أمْلَى عليه نسبَه ، كذلك قال ابنُ خَلِّكانَ : والسُّهَيْلِىُّ نِسبةً إلى قريةٍ بالقربِ مِن مالَقَةَ[5] ، اسْمُها سُهيْلٌ ؛ لأنَّه لا يُرَى سُهيْلٌ النَّجْمُ فى شىءٍ مِن تلك البلادِ إلَّا مِن رأسِ جبَلٍ شاهقٍ عندَها . وُلِد السُّهيْلِىُّ سنةَ ثَمانٍ وخمسِمائةٍ ، وقرَأ القراءاتِ واشْتَغل ، وحصَّل حتى برَع وسادَ أهلَ زمانِه

---

(١) تقدم فى ص ٤٠٤ .

(٢) فى م : « محمد » . وانظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ٤/ ٢٨٦، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٥٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٢٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٦٠.

(٣) إنباه الرواة ٢/ ١٦٢، والمطرب من أشعار المغرب ص ٢٣٠، ووفيات الأعيان ٣/ ١٤٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١١٣.

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ١٤٣.

(٥) مالقة : مدينة بالأندلس عامرة . معجم البلدان ٤/ ٣٩٧.

بقوةِ القريحةِ وجَوْدَةِ الذهنِ ، وحسنِ التصانيفِ ، وكان ضريرًا مع ذلك . له كتابُ « الرَّوْضِ الأُنُفِ » يذكُرُ فيه نُكَتًا حسَنَةً على السِّيرةِ لم يُسْبَقْ إلى أشياءَ كثيرةٍ منها ، وله كتابُ « الإعلامِ فيما أُبهِم فى القرآنِ مِن الأسماءِ الأعْلامِ » ، وكتابُ « نتائجِ الفِكَرِ » ، ومسألةٌ فى الفرائضِ بدِيعَةٌ ، ومسألةٌ فى السِّرِّ فى كَوْنِ الدَّجَّالِ أعْوَرَ ، وأشْياءُ كثيرةٌ فريدةٌ بديعةٌ مُفِيدَةٌ ، وله أشعارٌ حسنةٌ ، وكان عفيفًا فقيرًا ، وقد حصَل له مالٌ كثيرٌ فى آخرِ عُمرِه مِن صاحبِ مَرَّاكُشَ ، كانت وفاتُه فى هذه [٢٩١/٩و] السنةِ يومَ الخميسِ السادسَ والعشرينَ مِن شعبانَ ، وله قصيدةٌ كان يدْعُو اللَّهَ بها ويرْتجِى الإجابةَ فيها وهى قولُه(١) :

يا مَن يرَى ما فى الضَّميرِ ويسمَعُ ... أنتَ المُعَدُّ لكلِّ ما يُتوَقَّعُ
يا مَن يُرجَّى للشدائدِ كلِّها ... يا مَن إليه المُشْتَكَى والمَفْزَعُ
يا مَن خزائنُ رِزْقِهِ فى قولِ كُنْ ... امْنُنْ فإنَّ الخيرَ عندَك أجمَعُ
ما لى سِوى فَقرِى إليك وسِيلةٌ ... فبالافْتِقارِ إليك فقْرِى أدْفَعُ
ما لى سوى قرْعِى لبابِك حِيلةٌ ... فلَئِنْ رَدَدْتَ فأىَّ بابٍ أقْرَعُ
ومَن الذى أدعو وأهْتِفُ باسمِه ... إن كان فضلُكَ عن فقيرِك يُمْنَعُ
حَاشَا لمجْدِكَ أنْ يُقَنَّطَ عاصِيًا ... الفضلُ أَجْزَلُ والمواهِبُ أوْسَعُ

---

(١) المطرب من أشعار المغرب ص ٢٣٤، ووفيات الأعيان ٣/ ١٤٣.

ثم دخلت سنةُ اثنتين وثمانين وخمسِمائةٍ[1]

فى ثانى ربيعٍ الأوَّلِ مِنها كان دخولُ السلطانِ صلاحِ الدينِ إلى دِمشقَ بعدَ عافيتِه ، وكان يومًا مشهودًا كما جرَت بمثلِ ذلك عادةُ الملوكِ ، واجتمَع بالقاضى الفاضلِ وزارَه واستزارَه ، وفاوَضه واسْتَشارَه ، وكان لا يقْطَعُ أمْرًا دونَه ، ولا يُخْفِى عنه مَكْنُونَه ، ولا ضميرَه ومضمونَه ، ثم قرَّر السلطانُ فى مُلكِ دِمَشْقَ ولَدَه الأفضلَ عليًّا ، ونزَل العادِلُ أبو بكرٍ عن حَلَبَ لصِهْرِه ، زوْجِ ابنَتِه الملكِ الظاهرِ غازى ابنِ السُلْطانِ ، وأرسَل السلْطانُ أخاه العادِلَ صُحْبَةَ ولدِه عمادِ الدينِ عُثمانَ الملكِ العزيزِ على مُلكِ مِصْرَ ، ويكونُ العادِلُ أتابِكَه ، وله أقْطاعٌ عظيمةٌ جدًّا ، وعزَل عنها نائِبَها تقىَّ الدينِ عمرَ ، فعزَمَ على الدخولِ إلى إفْرِيقِيَّةَ ، فلم يزَلِ السلطانُ يُكاتبُه ويتلَطَّفُ به ويترَفَّقُ له حتى أقبَل بجُنودِه نحوَه ، فأكْرَمه واحْتَرَمه وعظَّمه وأقْطَعه حَمَاةَ وبلادًا كثيرةً معها - وقد كانتْ له قبلَ ذلك - وزادَه على ذلك مدينةَ مَيَّافَارِقِينَ ، وامْتدَحه العِمادُ الكاتِبُ بقصيدةٍ سِينِيَّةٍ سَنِيَّةٍ ذكَرها فى « الروْضتَيْنِ »[2] .

وفى هذِه السنةِ هادَن قُومَصُ طَرابُلُسَ السلطانَ وصالحَه وصَافَاه ، حتى كان يقاتلُ ملُوكَ الفِرنْجِ أشدَّ القِتالِ ويسبى منهمُ النساءَ والأطفالَ ، وكادَ أن يُسْلِمَ ولكِنْ صدَّه [3]شيطانُه ورمَاه بالخَبَالِ[3] ، وكانت مصالحتُه مِن أقْوَى أسْبابِ نُصْرَةِ

(١) الكامل ١١/٥٢٣، والروضتين ٢/٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٠.
(٢) الروضتين ٢/ ٧١.
(٣ - ٣) فى م: « السلطان فمات على الكفر والطغيان » .

السلطانِ على الفِرنْجِ ، ومِن أشدِّ ما دخَل عليهم فى دِينِهم ودنياهم .

قال العمادُ الكاتبُ[1] : وكان المُنَجِّمون فى جميعِ البلادِ [٢٩١/٩ظ] يحكُمون بخرابِ العالمِ فى شعبانَ عندَ اجتماعِ الكواكِبِ السِّتَّةِ فى الميزانِ بطوفانِ الريحِ فى سائرِ البُلْدانِ ، وذكَر أنَّ ناسًا مِن الجهَلَةِ تأهَّبُوا لذلك بحَفْرِ مَغاراتٍ ومُدَّخَلاتٍ وأسْرابٍ فى الأرْضِ خوفًا مِن ذلك . قال : فلمَّا كانتْ تلك الليلةُ التى أشارُوا إليها وأجْمَعُوا عليها لم يُرَ ليلةٌ مثلُها فى رُكُودِها ورُكُونِها وَهُدوِّها وهُدُونِها ، وكذا ذكَر غيرُ واحدٍ مِن الناسِ ، وقد نظَمَ الشعراءُ فى تكْذيبِ المنجِّمين فى هذه الواقعةِ وغَيرِها أشْعارًا حسنةً ، فمِن ذلك قولُ عيسى بنِ مودودٍ[2] :

مـزِّقِ الـتـقـويمَ والـزِّيــ ـجَ فـقـدْ بـانَ الخفـاءُ
إنَّمـا الـتـقـويمُ والـزِّيــ ـجُ هَـبـاءٌ وهَـواءُ
قُـلْـتَ لـلـسَّـبْعَـةِ إبْـرا مٌ ومَـنْـعٌ وعـطـاءُ
ومتى ينْزِلْنَ فى الـمِيـ ـزانِ يسْتَوْلِى الـهَـواءُ
ويُـثـيـرُ الـرَّمْـلَ حـتـى يَمْـتَـلِـى منه الـفـضـاءُ
ويعـمُّ الأرضَ خَـسـفٌ وخَـرابٌ وبَـلاءُ
ويـصـيـرُ الـقَـاعُ كـالـقُـ ـفِّ وكـالـطَّوْد العـراءُ
وحـكَـمـتـمْ فـأَبَـى الحـا كِـمُ إلَّا مـا يـشَـاءُ
ما أتَى الشرْعُ ولا جا ءَتْ بـهـذا الأنـبـيـاءُ

(١) الروضتين ٢/ ٧٢، والكامل ١١/ ٥٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٣، وفيها أن الكواكب ستجتمع فى جمادى الآخرة .
(٢) الروضتين ٢/ ٧٣.

فبَقِيتُمْ ضُحْكَةً يضْـ ـحَكُ منها العُلَمَاءُ

حَسْبُكُمْ خِزْيًا وعارًا ما يقولُ الشُّعَراءُ

ثم ما أطْمَعكُم فى الـ ـحُكْمِ إلَّا الأُمَراءُ

ليتَ إذ لم يُحْسِنُوا فى الدِّ ينِ ظنَّا ما أساءُوا

فعلى اصْطِرْلَابِ بَطْلَيْـ ـمُوسَ والزِّيجِ العَفَاءُ

وعليه الخِزْىُ ما جا دَتْ على الأرضِ السَّمَاءُ

ومِمَّنْ تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن المشاهيرِ :

أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ أبى الوَحْشِ بَرِّىٌّ بنِ عبدِ الجبَّارِ بنِ بَرِّىٍّ ، المَقْدِسِىُّ ثم المِصْرِىُّ[1] ، أحدُ أئمةِ اللغةِ والنحوِ فى زمانِه ، وعليه تُعرَضُ الرسائلُ بعدَ ابنِ بابَشَاذَ ، وكان كثيرَ الاطِّلاعِ ، عالمًا بهذا الشأنِ ، مُطَّرِحًا للتَّكَلُّفِ فى كلامِه ، لا يُعَرِّجُ على الإعْرابِ فيه [٩/٢٩٢و] إذا خاطَب الناسَ ، وله التصانيفُ المفيدةُ ، وقد جاوَز الثمانين بثلاثِ سِنين ، رحِمه اللَّهُ تعالَى .

---

(١) معجم الأدباء ١٢/ ٥٦، وإنباه الرواة ٢/ ١١٠، ووفيات الأعيان ٣/ ١٠٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٣٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٢١، وبغية الوعاة ٢/ ٣٤.

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وثمانين وخمسِمائةٍ

فيها[1] كانتْ وقْعةُ حِطِّينَ التى كانتْ أمارةً ومُقَدِّمةً وبشارةً لفتحِ بَيْتِ المَقْدِسِ على المؤمنين، واسْتِنْقَاذِه مِن أيدِى الكافِرين، قال ابنُ الأثيرِ فى الكاملِ[2] : كان أوَّلُ يومٍ مِنها يومَ السبتِ، وكان يومَ النَّيْرُوزِ، وذلك أوَّلُ سنةِ الفُرْسِ، واتَّفَق أنَّه أوَّلُ سَنةِ الرومِ أيضًا، وهو اليومُ الذى نزَلتْ فيه الشمسُ بُرْجَ الحَمَلِ، وكذلك كان القمرُ فى بُرْجِ الحَمَلِ أيضًا. قال: وهذا شىءٌ يَبْعُدُ وقوعُ مثلِه.

وبرَز السلْطانُ مِن دِمَشْقَ يومَ السبتِ مُسْتَهَلَّ المحرمِ - وقيل: فى أثنائِه - فى الجيشِ العَرَمْرَمِ ليجاهدَ بأهلِ الجَنَّةِ أهلَ جهنَّمَ، فسارَ إلى رأسِ الماءِ، فنزَل ولَدُه الأفضلُ هناك فى طائفةٍ مِن الجيشِ وتقدَّمَ السلطانُ ببقيَّةِ الجيشِ إلى بُصْرَى، فخيَّم على قَصْرِ [3]أبى سلامةَ[3] ينْتظِرُ قدومَ الحُجَّاجِ، وفيهم أختُه ستُّ الشامِ وابنُها حُسَامُ الدينِ محمدُ بنُ عمرَ بنِ لاچينَ، ليَسْلَمُوا مِن مَعَرَّةِ إبْرَنْسِ الكرَكِ الذى غدَر ونقَض العهدَ وفجَر. فلمَّا اجتازَ الحجيجُ فى أواخرِ صفرٍ، سارَ السلْطانُ فنزَل الكرَكَ وقطَع ما حولَه مِنَ الأشْجارِ ورعَى الزروعَ وأكَلُوا الثمارَ، وجاءَته العساكرُ المصريةُ وتوافَتِ الجيوشُ الشرقيةُ بالرماحِ الخَطِّيَّةِ والسيوفِ

---

(١) الكامل ١١/ ٥٣٤، والروضتين ٢/ ٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٥.
(٢) الكامل ١١/ ٥٢٩.
(٣ - ٣) فى م: «أبى سلام»، وفى الروضتين ٢/ ٧٥: «السلامة».

المَشْرِقِيَّةِ ، فنزَلُوا عندَ ابنِ السلطانِ على رأسِ الماءِ ، وبعَثَ الأفضلُ سرِيَّةً نحوَ بلادِ الفِرنْجِ ، فقتَلَتْ وغنِمَت وسَلِمَت وكسَرت وأسَرت ، ورجَعت فبشَّرت بمُقَدِّماتِ الفتحِ والنصرِ ، وجاءَ السلْطانُ فى جحَافِله والتفَّتْ عليه جميعُ العساكرِ البادى مِنهم والحاضرُ ، فرتَّبَ الجيوشَ والأطلابَ[1] ، وسارَ قاصدًا بلادَ الساحلِ ، وكان جملةُ مَن معه مِن المُقاتِلةِ اثْنَىْ عشَرَ ألفًا غيرَ المُطَّوِّعَةِ ، فتسامَعتِ الفِرنجُ بمَقْدَمِه ، فاجْتمَعُوا كلُّهم وتصالَحُوا فيما بيْنَهم ، ودخَل معهم قُومَصُ أطْرَابُلُسَ الغادرُ وإبْرَنْسُ الكرَكِ الفاجرُ ، وجاءُوا بقَضِّهم وقضيضِهم[2] وأهلِ أَوْجهِم وحضيضِهم ، واسْتَصْحَبُوا معهم صليبَ الصَّلَبوتِ[3] يحمِلُه مِنهم عُبَّادُ الطاغُوتِ ، وضُلَّالُ الناسُوتِ واللَّاهوتِ ، فى خَلْقٍ لا يعلَمُ عدَدَهم إلَّا اللَّهُ تعالى ، يقالُ : كانوا خمسينَ ألفًا . وقيلَ : ثلاثًا وستِّين ألفًا . وقد خوَّفَهم صاحبُ طَرابُلُسَ بأسَ المسلمين ، فاعْترَض عليه الإبْرَنسُ أَرناطُ صاحبُ الكرَكِ فقالَ له : لا أشكُّ أنكَ تُحبُّ المسلمين [٢٩٢/٩ظ] وتخوِّفُنا كَثْرتَهم ، والنارُ لا تخافُ مِن كثرةِ الحطبِ . فقال القُومَصُ لهم : ما أنا إلَّا مِنكم ، وسَتَرَون غِبَّ ما أقولُ لكم . فتقدَّمُوا وأقبَل السلطانُ ففتَح طَبَرِيَّةَ ، وتقوَّى بما فيها مِن الأطعمةِ والأمتعةِ وغيرِ ذلك ، وتحصَّنَت عنه القلعةُ فلم يشتغلْ بها ، وحازَ البُحَيْرَةَ فى حوْزَتِه ، ومنعَ الكفرَةَ أنْ يصِلُوا منها إلى غُرفةٍ ، أو يرَوا للماءِ رِيًّا ، وأقبَلوا فى عطشٍ لا يعلَمُه إلا

---

(١) الأطلاب : جمع طُلْب ، ومعناه مجموعة أوفئة . المعجم الذهبى ص ٣٩٩، وانظر السلوك ١/١/ ٢٤٨ حاشية (٢) .

(٢) جاءوا بقضهم وقضيضهم : أى جميعهم ، وقيل : جاءوا بجمعهم لم يَدَعوا وراءهم شيئا ولا أحدا . التاج (ق ض ض).

(٣) صليب الصلبوت : صليب الفرنج الأعظم ، يذكرون أن فيه قطعة من الخشبة التى صلب عليها - المسيح عليه السلام - بزعمهم . انظر الكامل ١١/ ٥٣٦.

اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، فبرزَ لهمُ السلطانُ إلى سطحِ الجبَلِ الغربىِّ مِن طَبَرِيَّةَ عندَ قريةٍ يقالُ لها : حِطِّينُ . التى يقالُ : إنَّ فيها قَبرَ شُعَيْبٍ عليه السلامُ[1] . فتواجَه هنالك الجيشان وتقابَل الفريقان ، وأسْفَرَ وجْهُ الإيمانِ ، واغْبَرَّ وأقْتَمَ وجْهُ الكفرانِ والخسرانِ وذلك عَشيةَ يومِ الجمعةِ ، وباتَ الناسُ على مَصافِّهم وأسفَر الصباحُ عن يومِ السبتِ الذى كان يومًا عسيرًا على أهلِ يومِ الأحَدِ ، وذلك لخمسٍ بَقِين مِن ربيعٍ الآخرِ فى شدةِ الحرِّ ، وطلَعتِ الشمسُ على وُجوهِ النصارَى وهم مِن شدةِ الحرِّ سُكَارَى وما هم بسُكَارَى ، وكان تحتَ أقْدامِ خُيولِهم هشيمُ حشيشٍ ، فأمَرَ السلْطانُ النَّفَّاطَةَ ، فرمَوه فتأجَّجَ تحتَ سَنابكِ خُيولِهم نارًا ، فاجْتَمَع عليهم حرُّ الشمسِ وحرُّ العطَشِ ، وحرُّ النارِ مِن تحتِ أَرْجُلِهم ، وحرُّ رشقِ السهامِ عن القِسِىِّ القاسيةِ ، فتبارَز الشُّجْعَانُ فى حومةِ الوَغَى ، ثم أمَرَ السلْطانُ بالتَّكْبيرِ والحملةِ الصادِقَةِ ، فكان النصرُ مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، فمنَحهمُ اللَّهُ أكْتافَ الكفرةِ الفجرةِ ، فقُتِل منهم ثلاثُون ألفًا فى ذلك اليومِ ، وأُسِرَ ثلاثُون ألفًا مِن شُجْعانِهم وفُرْسانِهم ، وكان فى جملةِ الأُسارَى جميعُ ملُوكِهم سِوَى قُومَصِ طَرَابُلُسَ ، فإنَّه انهزَم فى أوَّلِ المعركةِ ، وأُخِذ صَلِيبُهم الأعْظَمُ عندَهم ، وهو الذى يَزْعُمونَ أنَّه الذى صُلِبَ عليه المصْلُوبُ ، وقد غلَّفُوه بالذهبِ واللآلئِ والجواهرِ النفيسةِ ، وكان يومًا على الكافرين عسيرًا ، ولم يُسمَعْ بمثلِ هذا اليومِ فى عزِّ الإسْلامِ وأهلِه ، ودَمْغِ الباطلِ وذُلِّه ، حتى إنه ذُكِرَ أنَّ بعضَ الفلَّاحِينَ رآه بعضُهم وهو يقُودُ نَيِّفًا وثلاثين أسِيرًا من الفِرنْجِ ، قد ربَطهم بطُنُبِ خَيْمَةٍ ، وباعَ بعْضُهم أسِيرًا بنَعْلٍ

(١) بعده فى م : « وجاء العدو المخذول ، وكان فيهم صاحب عكا وكفرنكا » .

لَبِسَها فى رِجْلِه ، وجرَتْ أمورٌ لم يُسمَعْ بمثلِها ولا وقعَتِ العيونُ على شكلِها ، فللهِ الحمدُ دائمًا أبدًا حمدًا كثيرًا طيبًا .

ولمَّا تمَّتْ هذه الوقْعةُ العظيمةُ (١والنِّعمةُ العميمةُ١) الجسيمةُ ، أمرَ السلطانُ بضربِ مُخَيَّمٍ عظيمٍ ، وجلَس فيه على سريرِ المَمْلكَةِ وعن يمينِه أسِرَّةٌ وعن يَسارِه مثلُها ، وجِيءَ بالأُسارَى تتَهادَى فى قُيودِها ، فضُرِبت أعْناقُ [٩/٢٩٣و] جماعةٍ مِن مُقَدَّمِى الداوِيَّةِ والإسبتاريَّةُ بيـنَ يديْه صَبْرًا ، ولم يترُكْ منهم مَن كان يَذكُرُ الناسُ عنه ذِكْرًا ، ثم جِيءَ بالملوكِ فأُجْلِسُوا عن يمينِه ويَسارِه على مراتِبِهم ، فأُجْلِسَ مَلِكُهمُ الكبيرُ عن يمينِه ، وتحْتَه أَرناطُ إبْرَنْسُ الكرَكِ - قبَّحه اللَّهُ تعالى - وبيـنَ يدَيه بقيةُ الملوكِ وعن يسارِه ، فجِىءَ السلْطانُ بشَرابٍ مَثْلُوجٍ مِن الجُلَّابِ[٢] ، فشرِب ثم ناوَل الملكَ فشَرِبَ ، ثم ناوَل مَلِكُهم أرناطَ فشرِب ، فغَضِبَ السلْطانُ ، وقال : إنما سقَيتُك ولم آمُرْك أنْ تسْقِيَه ، هذا لا عَهْدَ له عندِى . ثم تحوَّلَ السلطانُ إلى خَيْمَةٍ داخِلَ الخيمةِ واسْتَدْعَى أرناطَ ، فلمَّا أُوقِفَ بيـنَ يدَيْه قامَ إليه بالسيفِ وقال : نعَمْ أنا أنوبُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الانْتِصارِ لأُمَّتِه . ثم دعَاه إلى الإسلامِ فامتنَع ، فقتَله وأرسَل برأسِه إلى المُلوكِ ، وقال : إنَّ هذا تعرَّضَ لسَبِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقتَلتُه ، ثم قتَل السلطانُ جميعَ مَن كان فى الأُسارَى مِن الداويَّةِ والإسْبتارِيَّةِ صَبْرًا ، وأراحَ اللَّهُ المسلميـنَ مِن هذَيْنِ الجِنْسَيْنِ الخبيثَيْنِ ، ولِلَّهِ الحمدُ . ولم يُسلِمْ ممَّنْ عُرِض عليه الإسْلَامُ مِنهم إلَّا القليلُ ، فيقالُ : إنَّه بلغَتِ القتْلَى ثلاثيـنَ ألفًا ، وكذلك الأُسارى كانوا ثلاثيـنَ ألفًا ، وكان جملةُ جيْشِ الفِرنْجِ ثلاثَةً وسِتِّيـنَ ألفًا ، ومَن سَلِم مِنهم - مع قلَّتِهم - أكْثَرُهم

(١ - ١) فى الأصل : « النوة » .

(٢) الجلاب : هو ماء الورد . المعرب للجواليقى ص ١٥٤، والنهاية لابن الأثير ١/ ٢٨٢.

جَرْحَى ، فماتُوا ببلادِهم بعدَ رجوعِهم ، ومِمَّنْ ماتَ كذلك قُومَصُ[1] طَرَابُلُسَ ، فإنَّه انهزَم جريحًا فمات ببلدِه بعدَ مرْجعِه ، لعنَه اللَّهُ ، ثم أرسَل برؤساءِ الأُسارَى ورءُوسِ أعْيانِ القَتْلَى ، وبصليبِ الصلَبُوتِ صُحْبَةَ القاضى ابنِ أبى عَصْرُونَ إلى دِمَشْقَ ليُودَعُوا فى قلْعَتِها ، فدخَل بالصليبِ منْكُوسًا ، فكان يومًا مشْهُودًا ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

ثم سارَ السلطانُ إلى قلْعَةِ طَبَرِيَّةَ ففتَحها ، وقد كانتْ طَبَرِيَّةُ تقاسِمُ بلادَ حَوْرَانَ والبَلْقَاءَ وما حولَها مِن الجُولانِ[2] وتلك الأراضِىَ كلَّها بالنِّصْفِ ، فأراحَ اللَّهُ المسلمين مِن تلك المُقاسَمةِ [3]وتوفَّرت عليهم[3] ، ثم سارَ إلى عكَّا فنزَل عليها يومَ الأَرْبعاءِ سَلْخِ ربيعٍ الآخرِ ، فافْتَتَحها صُلحًا يومَ الجُمُعةِ ، وأخَذ ما كان بها مِن حواصِلَ وأموالٍ وذخائرَ ومتاجرَ ، واسْتَنقَذ مَن كان بها مِن أسْرَى المسلمين ، فوجَدُوا بها أربعَةَ آلافِ أسيرٍ منهم ، ففرَّجَ اللَّهُ عنهم وللَّهِ الحمدُ ، وأمَر بإقامَةِ الجُمُعةِ بها ، فكانتْ أوَّلَ جُمُعةٍ أقيمَتْ بالساحلِ بعدَ أن أخَذه الفِرنْجُ ، مِن سبعِين[4] سنةً فللهِ الحمـدُ دائمًا . وسارَ منها إلى صيدًا وبَيْرُوتَ وتلك النواحِى [٩/٢٩٣ظ] مِن السواحلِ فأخَذها ، لخلُوِّها مِنَ المقاتِلَةِ ومن الملُوكِ ، ثم سارَ نحوَ غَزَّةَ وعَسْقَلَانَ ونابُلُسَ وبَيْسَانَ وأراضِى الغَوْرِ ، فملَك ذلك كلَّه بحولِ اللَّهِ وقوتِه ، واسْتنَابَ السلطانُ على نابُلُسَ ابنَ أُختِه حُسَامَ الدينِ عمرَ بنَ محمدِ بنِ

(١) الكامل ٥٣٨/١١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٢١ .
(٢) فى الأصل : « الجيران » . وهو أيضا صحيح ؛ فطبرية كانت تقاسم ما حولها من الجيران بما فى ذلك الجولان . وانظر الروضتين ٢/ ٧٩.
(٣ - ٣) فى م : « ثم سار السلطان إلى حطين فزار قبر شعيب ، ثم ارتفع منه إلى إقليم الأردن ، فتسلم تلك البلاد كلها ، وهى قرى كثيرة كبار وصغار » .
(٤) فى الأصل : « تسعين » .

لاچينَ ، وهو الذى افْتتَحها ؛ وكان جملةُ ما افْتتَحه فى هذه المدةِ القريبةِ قريبًا مِن خمسين بلدًا كلٌّ بلدةٍ لها مُقاتِلةٌ وقلْعَةٌ ومَنعَةٌ ، فللهِ الحمدُ.

وغنِمَ الجيشُ والمسلمون من هذه الأماكنِ شيئًا كثيرًا ، وسَبَوْا شيئا كثيرًا لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ ، واستبشَر الإسلامُ وأهلُه شرقًا وغربًا بهذا النصرِ العظيمِ والفتوحاتِ الهائلةِ. وترَك السلْطانُ جيُوشَه تَرْتَعُ فى هذه الفتوحاتِ والغنائمِ الكثيرةِ مدةَ شُهورٍ ؛ ليسْتَريحُوا ويُجِمُّوا أنفُسَهم وخُيولَهم ليتأهَّبوا لفَتْحِ بيتِ المَقْدِسِ الشريفِ ، وطارَ فى النَّاسِ أنَّ السلطانَ عزَم علَى فتحِ بيتِ المقدسِ ، فقصَده العلماءُ والصالحون والمُتَطوِّعةُ مِن كلِّ فجٍّ عميقٍ ، وجاء أخوه العادِلُ بعدَ وقْعَةِ حِطِّينَ وفتحِ عَكَّا ، ففتَح بنفْسِه حُصونًا كثيرةً أيضًا ، فاجْتمَع مِن عبادِ اللَّهِ ومِن الجيوشِ المتطوعةِ خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ ، فعندَ ذلك قصَدَ السلْطانُ بيتَ المقدسِ بمَنْ معه ، كما سيأتى بيانُه.

وقدِ امْتدَح الشعراءُ الملكَ صلاحَ الدينِ بسببِ وَقْعَةِ حِطِّينَ فقالُوا وأكْثَرُوا ، وأطابوا وأطنَبوا[(١)] ، وكتَب إليه القاضى الفاضِلُ مِن دِمَشْقَ - وكان مقيمًا بها لمرَضٍ نالَه[(٢)] : لِيَهْنَ المؤْلَى أنَّ اللَّهَ قد أقامَ به الدينَ القيِّمَ ، وأنّه كما قيل:
أصبحتَ مَولاىَ ومَوْلَى كلِّ مُسلمٍ. وأنه قد أسبَغ عليه النِّعمتين ؛ الباطنةَ والظاهرةَ ، وأورَثه المُلكين ؛ مُلكَ الدنيا ومُلكَ الآخرةِ ، كتَب المَمْلُوكُ الخِدْمةَ والرُّءوسُ إلى الآنَ لم تُرفَعْ مِن سجُودِها ، والدموعُ لم تُمْسَحْ مِن خدُودِها ، وكلَّما فكَّر المَمْلُوكُ أنَّ البِيَعَ تعودُ وهى مَساجدُ ، والمكانَ الذى كان يقالُ فيه : إنَّ اللَّهَ ثالثُ ثلاثَةٍ ، يقالُ اليومَ فيه : إنَّه الواحِدُ. جدَّد للَّهِ شُكْرًا تارَةً يَفيضُ مِن لسانِه ،

---

(١) الروضتين ٢/٨٣ - ٨٥.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٨٢، ٨٣.

وتارَةً يَفيضُ مِن أجفانِه[1] ، وجزَى اللَّهُ يوسُفَ خَيْرًا عن إخْراجِه مِن سجْنِه ، والمَماليكُ ينْتَظِرُونَ أمْرَ المؤلَى ، فكُلُّ مَن أرادَ أنْ يدخُلَ الحمَّامَ بدِمَشْقَ قد عوَّل على دخولِ حمَّامِ طَبَرِيَّةَ .

تلكَ المكارِمُ لا قَعْبَانِ مِن لبنِ[2] وذلك الفَتْحُ لا عمّانَ واليَمَنِ

وذلك السيفُ لا سَيْفُ ابنِ ذِى يَزَنِ

ثم قالَ : وللأَلْسِنَةِ بعْدُ فى هذا الفتحِ سَبْحٌ[3] طويلٌ وقولٌ جليلٌ .

ذكْرُ فَتْحِ بَيْتِ المَقْدِسِ فى هذه السَّنَةِ واسْتِنْقاذِه مِن أيْدِى النَّصارَى بعدَ ثِنْتَيْنِ وتِسْعينَ سنةً [٢٩٤/٩و]

لمَّا افْتتَح السلطانُ ما حولَ بيتِ المقدسِ مِن الأماكنِ المباركةِ وما يقرُبُ مِن تلك السواحلِ المتقدِّمِ ذكرُها والإشارةُ إليها ، أمَرَ العساكِرَ فاجتمَعَتْ والجيوشَ المُتفرِّقةَ فى البُلدانِ فائتلَفتْ ، وسارَ نحوَ بيتِ المَقْدِسِ الشريفِ يومَ الأحدِ ، فى الخامسَ عشَرَ مِن رجَبٍ مِن هذه السَّنَةِ - أعْنى سنةَ ثلاثٍ وثمانين وخَمْسِمائةٍ - فنزَل غربىَّ بيتِ المقدسِ وقد حَصَّنَتِ الفِرنجُ ، لعَنهم اللَّهُ ، الأسوارَ بالمقاتلةِ ، وكانوا سِتِّين ألفَ مُقاتلٍ ، دونَ بيْتِ المَقْدِسِ أو يزِيدُونَ ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ

---

(١) بعده فى م : « سرورًا بتوحيد اللَّه تعالى الملك الحق المبين وأن يقال : محمد رسول اللَّه الصادق الوعد الأمين » .

(٢) هذا صدر بيت ، وتمامه :

شِيبَا بماءٍ فعادا بَعْدُ أبوالا

وهو للنابغة . انظر ديوانه ص ١١٢ ، وينسب لأبى الصلت الثقفى ولأمية بن أبى الصلت .

(٢) فى م : « تسبيح » . وفى مصدر التخريج : « شرح » .

﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال : ٣٤] ، وكان صاحِبُ البلدِ يومئذٍ رجلًا يُقالُ له : باليانُ بنُ بارزانَ . ومعه مَن سَلِمَ من وَقْعَةِ حِطِّينَ يومَ الْتقى الجَمْعَانِ ، مِن الدَّاوِيَّةِ والإسبتارِيَّةِ أَتْبَاعِ الشَّيْطانِ ، عليهم لعائنُ اللَّهِ أجمعين ، فأقامَ السلْطانُ بمنْزِلِه المذكورِ خمسةَ أيامٍ ، وسلَّم إلى كلِّ طائفةٍ من جيشِه المنصورِ ناحيَةً مِن أبرجةِ السورِ ، ثم تحوَّل إلى ناحِيَةِ الشَّمالِ ؛ لأنَّه رآها أوْسعَ وأنسَبَ للمَجالِ ، والجِلادِ والنِّزالِ ، وقاتَلَ الفِرنْجُ دونَ البلَدِ قتالًا هائلًا ، وبذَلُوا فى نُصْرَةِ قُمَامَةَ والقيامةِ بذلًا طائلًا ، واستُشْهِد بعضُ أمراءِ المسلميـنَ إلى رحمةِ ربِّ العالميـنَ ، فحَنِقَ عندَ ذلك كثيرٌ مِن أمراءِ الإسلامِ ، واجْتَهدُوا فى القتالِ بكلِّ خَطِّيٍّ وحُسَامٍ ، وقد نُصِبتِ المجانيقُ والعَرَّاداتُ ، وغنَّتِ السيوفُ وعُمِلتِ السَّمهرياتُ[(١)] ، والعيونُ تنظُرُ إلى الصُّلْبانِ وهى مَنْصوبةٌ فوقَ الجُدْرانِ ، حتى فوقَ قُبَّةِ الصَّخْرَةِ قبلةِ أهلِ الأديانِ مِن قديمِ الأزمانِ ، فزادَ ذلك أهلَ الإيمانِ الحَنَقَ الكثيرَ وشِدَّةَ التَّشْميرِ ، فوُجِد يومٌ عسِيرٌ على الكافِرينَ غيرُ يَسِيرٍ ، فبادَر السلطانُ أيَّده اللَّهُ بأصْحابِه إلى الزاويَةِ الشرقِيَّةِ الشمالِيَّةِ مِنَ السورِ فنقَبها وعلَّقَها وحشَاها بالنيرانِ وأحْرَقَها ، فسقَط ذلك الجانِبُ ، وخَرَّ البُرْجُ برُمَّتِه ، فإذا هو واجِبٌ[(٢)] ، فلمَّا شاهَد الفِرنْجُ ذلك الحادِثَ المُقْطِع ، والخَطْبَ المُؤلِمَ لهم المُوجِع ، قصَد أكابِرُهم السلْطانَ وتشَفَّعُوا إليه بكلِّ إنسانٍ أنْ يُعْطِيَهمُ الأمانَ ، فامتنَعَ وقال[(٣)] : لا أَفْتَحُها إلَّا كما افْتَتَحْتُموها عَنْوَةً ، ولا أترُكُ بها أحدًا مِنَ النصارى إلا قتَلْتُه كما قتلْتُم أنتم مَنْ كان بها مِن المسلميـنَ ، فطلَب صاحِبُها باليانُ بنُ بارزانَ من السلطانِ الأمانَ ليحْضُرَ عندَه فأمَّنَه ، فلمَّا حضَر ترقَّقَ له ، وتشفَّعَ إليه بكُلِّ ما أمْكَنَه ، فلم يُجِبْه

---

(١) السمهرى : الرمح الصليب العود .

(٢) واجب : أصل الوجوب السقوط والوقوع ، ووجب الميت إذا سقط ومات . ويقال للقتيل : واجب . اللسان (و ج ب) .

(٣) الكامل ١١/ ٥٤٨، والروضتين ٢/ ٩٥.

إلى الأمانِ لهم ، فقالوا : لئن لم تُعْطِنا الأمانَ رجَعْنا فقتَلْنا كلَّ أسيرٍ [٩/٢٩٤ظ] من المسلمين بأيْدِينا - وهم قريبٌ مِن أرْبعَةِ آلافٍ - وقتَلْنا ذَرارِيَّنا ، وخرَّبْنا الدُّورَ والأماكِنَ الحسَنَة ، وأتلَفْنا ما بأيْدِينا مِن الأموالِ ، وألقينا قُبَّةَ الصَّخْرَةِ ، ولا نُبْقِى مُمْكِنًا فى إتلافِ ما نقدِرُ عليه ، وبعدَ ذلك نقاتِلُ قتالَ الموتِ ، فلا يُقْتَلُ واحدٌ منَّا حتى يَقتُلَ أعدادًا منكم ، فماذا تَرْتَجِى بعدَ هذا مِنَ الخيرِ ؟

فلمَّا سمِعَ السلطانُ ذلك أجابَ إلى الصُّلحِ ، على أنْ يَبْذُلَ كلُّ رجُلٍ منهم عن نفْسِه عشَرةَ دنانيرَ ، وعنِ المرأةِ خمسةَ دنانيرَ ، وعن كلِّ صغيرٍ وصغيرةٍ دينارَيْن ، ومَنْ عَجَز عن ذلك كان أسِيرًا للمسلمين ، وأنْ تكونَ الغَلَّاتُ والأسلحةُ والدُّورُ للمسلمينَ ، ويتحوَّلوا منها إلى مأْمَنِهم وهى مدينةُ صُورَ . فكُتِبَ الصُّلحُ على ذلك ، ومَن لا يبذُلْ ما شُرِطَ عليه إلى أربعينَ يومًا فهو أسيرٌ ، فكانَ جملةُ مَنْ أُسِرَ بهذا الشرطِ سِتَّةَ عشَرَ ألفَ إنسانٍ ؛ مِن رجالٍ ونساءٍ وولْدانٍ ، ودخَل السلطانُ والمسلمونَ البلدَ يومَ الجمُعةِ قُبيلَ وقتِ الصلاةِ بقليلٍ ، وذلك يومَ السابعِ والعِشْرينَ مِن رجَبٍ ، قال العِمادُ[1] : وهى ليلةُ الإسْراءِ برسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقْصَى إلى السمواتِ العُلَا . قال الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ[2] : وهو أحدُ الأقْوالِ فى الإسْراءِ ، واللَّهُ تعالى أعلمُ . ولم يتَّفِقْ للمسلمينَ صلاةُ الجُمُعةِ يومئذٍ ، خلافًا لمنْ زعم أنَّها أُقيمتْ يومئذٍ ، وأنَّ السلْطانَ خطَب بنفْسِه بالسَّوادِ يومئذٍ ، والصحيحُ أنَّ الجُمُعةَ لم يُمكنْ إقامَتُها يومئذٍ لضِيقِ الوقتِ ، وإنَّما أقيمَتْ فى الجمُعةِ المُقْبِلَةِ ، وكان الخطيبُ القاضىَ مُحْيِى الدينِ محمدَ بنَ علىٍّ ، القُرشِىَّ ابنَ الزكِىِّ ، كما سيأْتى قريبًا .

---

(١) الروضتين ٢/ ٩٦.
(٢) الروضتين ٢/ ٩٢.

ولكِنْ نُظِّفَ المسجدُ الأَقْصَى يومَئذٍ ممّا كان فيه مِنَ الصُّلْبانِ والرُّهْبانِ والخَنازِيرِ ، وخُرِّبَتْ دورٌ للداوِيَّةِ كانوا قد بَنَوْها غربيَّ المِحْرابِ الكبيرِ ، واتخَذُوا المحْرابَ حَشًّا[1] ، لعنَهم اللَّه تعالى ، فنُظِّف المسجدُ مِن ذلك كُلِّه ، وأُعِيدَ إلى ما كان عليه فى الأيامِ الإسْلامِيَّةِ والدولةِ المحمَّدية ، وغُسِلت الصَّخْرَةُ بالماءِ الطاهرِ ، وأُعِيد غسلُها بماءِ الوَرْدِ الفاخرِ ، وأُبْرِزَتْ للناظِرِينَ ، وقد كانتْ مَغْمُورةً مَسْتُورَةً مَحْجُوبةً عن الزائرين ، ووُضِعَ الصليبُ المنصوبُ عن قُبَّتِها ، وعادَتْ إلى حُرْمَتِها ، وقد كان الفِرنْجُ قطَعُوا منها قِطَعًا فباعُوها إلى ملوكِ البُحورِ بزِنَتِها مِن الذهبِ ، فتعَذَّر اسْتِعادَةُ ما نقَص مِنها وما ذهَب .

وقُبِضَ مِنَ الفِرنجِ ما كانُوا بذَلُوه عن أنفُسِهم مِن الأمْوالِ ، وأطْلَق السلطانُ خلقًا منهم مِن بَناتِ الملوكِ بمَنْ معَهُنَّ مِن النساءِ والرجالِ ، ووقعَتِ المُسامَحةُ فى كثيرِ مِنهم ، وشُفِع فى أُناسٍ فعُفِيَ عنهم ، وفرَّقَ السلطانُ جميعَ ما قُبِض [٩/٢٩٥و] مِنهم مِن الذهبِ فى العَسْكَرِ ، ولم يدَعْ منه شَيْئًا ممَّا يُقْتَنَى ويُدَّخرُ . وكان ، رحِمهُ اللَّهُ ، حليمًا كريمًا مِقْدامًا شجاعًا رحيمًا ، أسألُ اللَّهَ تعالى أن يُجدِّدَ رحمتَه عليه ، وأن يُقْبِلَ بوجهِه الكريمِ إليه .

ذكرُ أوَّلِ جُمعَةٍ أُقِيمَتْ ببيتِ المَقْدِسِ بعدَ فتْحِه فى الدولةِ الصَّلاحيةِ

لمَّا نُزِّه البيتُ المُقَدَّسُ ممَّا كان فيه مِن الصُّلْبانِ والنَّواقيسِ ، والرُّهْبانِ والخنازيرِ والقساقِيسِ ، ودخَله أهلُ الإيمانِ ، ونُودِى بالأذانِ وهرَب الشيطانُ وقُرِئَ القرآنُ ،

---

(١) الحَشّ بفتح الحاء : الكنيف ، موضع قضاء الحاجة . النهاية ١/ ٣٩٠ .

وطَهُر المكانُ ، فكان إقامةُ أوّلِ جمعةٍ فيه فى اليومِ الرابعِ مِن شعبانَ ، بعدَ يومِ الفَتْحِ بثَمانٍ ، فنُصِبَ المنبرُ إلى جانبِ المِحْرابِ المطهَّرِ ، وبُسِطَتِ البُسُطُ الرفيعةُ فى تلك العِراصِ الوسيعةِ ، وعُلِّقتِ القَنادِيلُ وتُلِىَ التنْزِيلُ عِوضًا عمّا كان يُقرَأُ مِن التحريفِ فى الإنجيلِ ، وجاء الحقُّ وبطَلَت تلك الأباطِيلُ ، وصُفَّتِ السَّجّاداتُ وكثُرتِ السَّجَداتُ ، وتنَوَّعتِ العباداتُ ، وأُدِيمَتِ الدعَواتُ ، ونزَلتِ البَركاتُ ، وانجلَتِ الكُرُباتُ ، وأُقيمَتِ الصَّلَواتُ ، ونطَق الأذانُ ، وخرِسَ الناقوسُ ، وحضَر المؤذِّنون وغاب القسوسُ ، وطابتِ الأنفاسُ ، واطمأنتِ النفوسُ ، وأقبلَتِ السُّعودُ وأدْبَرتِ النُّحُوسُ ، وحضَر العُبّادُ والزهّادُ والأبدالُ والأقطابُ والأوتادُ ، وعُبِدَ الواحدُ ، وكثُر الراكِعُ والساجِدُ ، والقائِمُ والقاعِدُ ، وامْتَلأ الجامعُ ، وسالَتْ لرِقَّةِ القلُوبِ المَدامِعُ ، وقال الناسُ : هذا يومٌ كريمٌ وفضلٌ عظيمٌ وموسمٌ وسيمٌ ، وهذا يومٌ تُجابُ فيه الدعواتُ وتُصَبُّ البَركاتُ وتسِيلُ العَبرَاتُ وتُقالُ العَثَراتُ ، فأذَّنَ المؤذِّنونَ للصلاةِ وقتَ الزَّوالِ ، وكادَتِ القلُوبُ تطِيرُ مِنَ الفرحِ بتلك الحالِ ، ولم يكُنِ السلطانُ إلى تلك الساعةِ عَيَّنَ خطيبًا ، وقد تهيَّأ لها خلقٌ مِن العلماءِ خوفًا أن يُدعَى إليها أحدُهم فلا يكونَ نجيبًا ، فبرَز للخطباءِ المرْسُومُ السلطانىُّ الصَّلاحِىُّ ، وهو فى قُبَّةِ الصَّخْرَةِ الغرَّاءِ ، أن يكونَ القاضى مُحْيِى الدينِ بنُ الزَّكىِّ اليومَ خطِيبًا ، فلبِسَ الخِلْعَةَ السوْداءَ وصعِد المنبرَ ، وقد كسَاه اللَّهُ البَهاءَ ، وأَكرَمه بكلمةِ التقوى وأعطاه السكينةَ والوَقارَ والسناءَ ، فخطَب بالناسِ خُطبةً عظيمةً سَنِيَّةً فصيحةً بليغةً ، ذكَر فيها شرَفَ البيتِ المُقَدَّسِ ، وما ورَد فيه مِن الفضائلِ والتَّرْغيباتِ ، وما فيه مِنَ الدلائلِ والأَماراتِ ، وما مَنَّ اللَّهُ به على الحاضرين مِن هذه النِّعمةِ التى تعدِلُ [٢٩٥/٩ظ] الكثيرَ مِن القُرباتِ ، وقد أورَدها الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ فى « الروْضتيْنِ » [1] بطُولِها ، فكان أوّلَ ما قال حيـنَ تكلَّم :

---

(١) ١١٠/٢ - ١١٢.

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٥].

ثم أوْرَد تحْميداتِ القرآنِ كلَّها، ثم قال: الحمدُ للَّهِ مُعِزِّ الإسلامِ بنَصْرِه، ومُذِلِّ الشِّركِ بقَهْرِه، ومُصَرِّفِ الأمورِ بأمْرِه، ومُديمِ النِّعَمِ بشُكْرِه، ومُسْتَدْرِجِ الكافِرين بمَكرِه، الذى قدَّر الأيامَ دُوَلًا بعَدْلِه، وجعَل العاقبةَ للمتَّقينَ بفَضْلِه، وأفاءَ على عبادِه مِن ظِلِّه، وأظْهَر دِينَه على الدِّينِ كلِّه، القاهرِ فوقَ عبادِه فلا يُمانَعُ، والظاهرِ على خليقَتِه فلا يُنازَعُ، والآمِرِ بما يشاءُ فلا يُراجَعُ، والحاكمِ بما يُريدُ فلا يُدافَعُ، أحْمَدُه على إظْفارِه وإظْهارِه، وإعْزازِه لأوْليائِه ونَصْرِه لأنصارِه، وتطهيرِه بيتَه المُقَدَّسَ مِن أدْناسِ الشِّرْكِ وأوْضارِه، حمْدَ مَن استشعَر الحمدَ باطِنَ سِرِّه وظاهِرَ جِهارِه، وأشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له الأحدُ الصمدُ، الذى لم يلِدْ ولم يولَدْ، ولم يكُنْ له كفُوًا أحدٌ، شهادَةَ مَن طَهَّر بالتوحيدِ قلبَه، وأرْضَى به ربَّه، وأشْهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، رافِعُ الشَّكِّ وداحِضُ الشرْكِ، وراحِضُ[1] الإفْكِ، الذى أُسْرِىَ به مِن المسجدِ الحرامِ إلى هذا المسجدِ الأقْصَى، وعُرِج به منه إلى السماواتِ العُلَا، إلى سِدْرَةِ المُنْتَهى، عندَها جنَّةُ المأْوَى، إذ يَغْشَى السدرةَ ما يَغْشَى، ما زاغَ البَصَرُ وما طغَى، صلَى اللَّهُ عليه وعلى خليفَتِه الصِّدِّيقِ السابقِ إلى الإيمانِ، وعلى أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطَّابِ أوَّلَ مَن رفَع عن هذا البيتِ شعارَ الصُّلْبانِ، وعلى أميرِ المؤمنينَ عثمانَ بنِ عفَّانَ ذى النُّورَيْن جامعِ القرآنِ، وعلى أميرِ المؤمنينَ علىِّ بنِ أبى طالبٍ مُزَلْزِلِ الشِّرْكِ، ومكَسِّرِ الأوْثانِ، وعلى آلِه وأصْحابِه والتابعين لهم بإحْسانٍ.

---

(١) الرَّحْضُ: الغَسْلُ، رحض يده والإناء والثوب وغيرها يَرْحَضُها ويَرْحُضُها رحضا: غسلها. اللسان (ر ح ض).

ثم ذكَر المَوْعِظةَ ، وهى مشتملةٌ على تغْبِيطِ الحاضِرِينَ على ما يسَّرَه اللَّهُ على أيْدِيهم مِن فتحِ بيتِ المَقْدِسِ ، الذى مِن شأْنِه كذا وكذا ، فذكَر فضائلَه ومآثِرَه ، وأنَّه أوَّلُ القِبْلتَيْن ، وثانى المسجِدَيْن ، وثالثُ الحرمَيْن ، لا تُشَدُّ الرِّحالُ بعدَ المسجِدَيْن إلا إليه ، ولا تُعْقَدُ الخَناصِرُ بعدَ المَوْطِنَينِ إلا عليه ، وإليه أُسْرِىَ برسولِ اللَّهِ ﷺ مِن المسجدِ الحرامِ ، وصلَّى فيه بالملائكةِ المُقرَّبين والأنبياءِ والرُّسُلِ الكِرامِ ، ومنه كان المِعْراجُ إلى السماواتِ ، ثم عادَ إليه ، ثم سارَ منه إلى المسجدِ الحرامِ على البُرَاقِ ، وهو أرضُ المَحْشَرِ والمَنْشَرِ يومَ التَّلاقِ ، وهو مقَرُّ الأنْبياءِ ومقْصِدُ الأوْلياءِ ، وقد أُسِّسَ على التقْوَى مِن أوَّلِ يومٍ .

قلتُ : ويقالُ[(1)] : إنَّ الذى أسَّسَه أوّلًا يعقوبُ عليه السَّلامُ بعدَ [٢٩٦/٩و] أن بنَى الخليلُ عليه السلامُ المسجدَ الحرامَ بأربعين سنةً ، كما جاء فى « الصحيحين »[(2)] ، ثم جدَّد بناءَه سليمانُ بن داودَ عليهما السَّلامُ ، كما ثبَت به الحديثُ فى « المُسْنَدِ » و« السُّنَنِ » ، و« صحيحِ ابنِ خُزَيْمَةَ » ، وابنِ حِبَّانَ والحاكمِ وغيرِهم ، وسأل سليمانُ عليه السلامُ اللَّهَ عندَ الفراغِ منه خِلالًا ثلاثًا ؛ حُكْمًا يصادِفُ حُكْمَه ، ومُلْكًا لا ينْبَغِى لأحدٍ مِن بعدِه ، وأنَّه لا يأتى أحدٌ هذا المسجدَ لا يَنْهَزُه[(3)] إلا الصلاةُ فيه إلا خرَج مِن ذنُوبِه كيومِ ولَدَتْه أمُّه .

وذكَر الخطيبُ تمامَ الخُطبتَيْن ، ودعَا للخليفةِ العباسىِّ ، ثم للسلْطانِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ ، رحِمهما اللَّهُ تعالى ، وبعدَ الصلاةِ جلَس الشيخُ زَيْنُ الدينِ أبو الحسَنِ [(4)]علىُّ بنُ[(4)] نجا المِصْرِىُّ على كُرْسِىِّ الوعظِ بإذْنِ السلْطانِ ، فوعَظ

---

(١) تقدم فى : ١/ ٤٥٣.

(٢) تقدم فى : ٢/ ٣٤١.

(٣) النَّهْزُ : الدَّفْعُ ، يقال نَهَزْتُ الرجل أَنْهَزُه : إذا دفعته . اللسان (ن هـ ز) .

(٤ - ٤) فى م : « بن على » .

الناسَ وكان وقتًا مشهودًا وحالًا محمودًا ، فللهِ الحمدُ والمِنَّةُ . واستمَرَّ القاضى محيى الدينِ بنُ الزَّكىِّ يخطُبُ بالناسِ فى أيامِ الجُمَعِ أرْبعَ جُمُعاتٍ ، ثم قرَّر السلطانُ للقُدْسِ خطيبًا مستقِرًّا ، وأرسَل إلى حلبَ فاستحَضَر المِنْبرَ الذى كان الملكُ العادِلُ نُورُ الدينِ محمودٌ قدِ استعمَله لبيتِ المقْدِسِ ، وقد كان يُؤَمِّلُ أن يكونَ فتْحُه على يدَيْه ، فما كان إلا على يَدَىْ بعضِ أتْباعِه بعدَ وَفاتِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

نُكتَةٌ غرِيبَةٌ

قال الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ فى « الروضتَيْنِ »[1] : وقد تكلَّم شيْخُنا أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدٍ السَّخاوِىُّ فى تفسِيرِه الأوَّلِ ، فقال : وقع فى تفسيرِ أبى الحكَمِ الأنْدَلُسىِّ - يعنى ابنَ بَرَّجانَ[2] - فى أوَّلِ سُورَةِ الرومِ إخْبارٌ عن فتْحِ بَيْتِ المَقْدِسِ ، وأنَّه يُنْزَعُ مِن أيدِى النصارى سنةَ ثلاثٍ وثمانين وخمسِمائةٍ . قال السخاوِىُّ : ولم أرَهُ أخَذ ذلك مِن علمِ الحُروفِ ، وإنَّما أخذه فيما يزعُمُ مِن قوْلِه : ﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ③ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم: ١، ٢] فبنَى الأمرَ على التاريخِ كما يفعَلُ المنجِّمُون ، ثم ذكَر أنَّهم يغْلِبُونَ[3] فى سنَةِ كذا ، ويُغلبُونَ[3] فى سنَةِ كذا ، على

---

(١) الروضتين ٢/ ١١٣.

(٢) قال ابن خلكان : هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمى ، كان عبدًا صالحا ، وله تفسير القرآن العظيم ، وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات ، توفى سنة ٥٣٦هـ بمدينة مراكش . وفيات الأعيان ٤/ ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٣) هذا هو الضبط الصحيح لأن ابن بَرَّجانَ اعتمد فى تفسيره على القراءة الشاذة بفتح الغين من : ﴿ غلبت ﴾ والبناء للمجهول فى الفعل : ﴿ سيغلبون ﴾ وانظر الروضتين ٢/ ١١٣.

ما تقْتضِيه دوائرُ التقديرِ . ثم قال : وهذه نَجَامَةٌ وافَقت إصابةً ، إنْ صحَّ أنَّه قال ذلك قبلَ وقُوعِه ، وكان فى كتابِه قبلَ حُدوثِه ، قال : وليس هذا مِن قَبِيلِ علمِ الحروفِ ، ولا مِن بابِ الكرامَاتِ ؛ لأنّها لا تُنَالُ بحِسَابٍ[1] . قال : وقد ذكَر فى تفْسِيرِ سُورَةِ القَدْرِ أنَّه لو عُلِمَ الوقتُ الذى نزَل فيه القرآنُ لعُلِمَ الوقتُ الذى يُرفَعُ فيه .

قلتُ : ابنُ بَرَّجانَ ذكَر هذا فى تفْسيرِه فى حدودِ سنَةِ ثِنْتَيْنِ وعشرين وخمسِمائةٍ ، ويقالُ[2] : إنَّ الملـكَ نُورَ الدينِ أُوقِف على ذلك فطمِع أنْ يعيشَ إلى سنَةِ ثلاثٍ وثمانيـنَ ، لأنَّ مؤْلِدَه فى سنَةِ إحْدَى عشْرةَ [٢٩٦/٩ظ] وخَمْسِمِائَةٍ ، فتهَيَّأ لأسْبابِ ذلك حتى إنَّه أعدَّ مِنْبَرًا عظيمًا لبيتِ المَقْدِسِ إذا فتَحه اللَّهُ على يديه . واللَّهُ أعلمُ .

وأمَّا الصَّخْرَةُ العظيمةُ فإنَّ السلْطانَ أزالَ ما حوْلَها وعندَها من المُنْكَراتِ والصُّوَرِ والصُّلْبانِ ، وأظهَرها بعد ما كانت خَفيَّةً مسْتَورةً غيرَ مرئيةٍ ، وأمَر الفقيهَ ضياءَ الدِّينِ عيسى الهَكَّارىَّ أنْ يعمَلَ حولَها شَبابِيكَ من حديدٍ ، ورتَّبَ لها إمامًا

---

(١) هذه النكتة الغريبة والكائنة العجيبة ، والتى ساقها ابن كثير من كتاب الروضتين ، ساقها أيضا ابن خلكان فى وفياته ٢٢٩/٤ ، ٢٣٠ ولكن زاد فيها فائدة حسنة ، وهى أن القاضى محيى الدين بن الزكى خطيب الجمعة الأولى لما فتح السلطان صلاح الدين حلب أنشد قصيدة بائية قال فيها :

وفَتْحُكَ القلعةَ الشهباءَ فى صفرٍ ... مُبَشِّرٌ بفتوحِ القدسِ فى رَجَبِ

وأنه لما سئل فى ذلك ، بعد أن تحقق ما قال ، أجاب أنه أخذه من تفسير ابن بَرَّجان فى أول سورة الروم . قال ابن خلكان : « ولما وقفت أنا على هذا البيت وهذه الحكاية لم أزل أتطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصورة ، لكن كان هذا الفصل مكتوبًا فى الحاشية بخط غير الأصل ولا أدرى هل كان من أصل الكتاب أم هو ملحق به ، وذكر له حسابا طويلا وطريقا فى استخراج ذلك حتى حرَّره من قوله : ﴿ بضع سنين ﴾ » اهـ وعلق محقق الوفيات تعليقة تفيد أن نسخ التفسير الموجودة ألحق هذا الفصل بها فى الحاشية بخط غير الأصل . فاللَّه أعلم .

(٢) الروضتين ١١٣/٢ .

راتبًا ، ووقَفَ عليه رِزْقًا جيِّدًا ، وكذلك على إمامِ محْرَابِ الأقْصَى ، وعمِل للشافِعيَّةِ المدْرَسةَ الصَّلاحيَّةَ ويُقالُ لها : الناصِريَّةُ . أيضًا ، وكان موْضِعَها كنيسَةٌ على صندِ[1] حَنَّةَ أى قبرِ حَنَّةَ أمِّ مَرْيمَ ، عليها السلامُ ، وَوقَف على الصوفيَّةِ رِباطًا كان دارًا للبَتْرَكِ إلى جنْبِ القُمَامةِ ، وأجرى على الفقهاءِ والفقراءِ الجَامَكيّاتِ والجراياتِ ، وأرصَد الختَماتِ والرَّبَعاتِ فى أرجْاءِ المسجدِ الأقْصَى ، لمن يقرَأُ أو ينظُرُ فيها مِن المقيمين والزائرين .

وتنَافسَ بنُو أيُّوبَ فيما يفْعَلُونَه من الخَيْراتِ بالقُدْسِ الشَّريفِ للقادِمين والظاعِنين والقاطِنين ، فجزاهم اللَّهُ خيرًا أجمعين ، وعزَم السلْطانُ على هدمِ قُمَامةَ وجعلِها دَكًّا لتنحَسِمَ مادةُ النصارَى مِن بَيتِ المقْدِسِ ، فقيل له : إنَّ هؤلاء لا يتْرُكون الحجَّ إلى هذه البقْعَةِ ، ولو تركْتَها قاعًا صَفْصَفًا ، وقد فتَح هذه البلدَ أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطَّابِ وترَك هذه الكنيسةَ بأيْدِيهم ، فلك فى ذلك أُسْوَةٌ . فأعْرَض عنها وترَكها على حالِها تأسِّيًا بعمرَ بنِ الخطّابِ أحدِ الخُلَفاءِ الراشدين والأئمةِ المَهديِّين ، ولم يترُكْ بها مِنَ النصارى سِوَى أرْبَعةٍ يخْدُمونها ، وحال بينَ النَّصارى وبينها ، وهدَم المقابرَ التى كانت لهم عندَ بابِ الرَّحْمَةِ ، وعفَّى آثارَها ، وهدَم ما كان هناك مِنَ القِبَابِ ، وعجَّل دَمارَها .

وأمَّا الأُسارى المسلمون الذين كانوا بالقُدْسِ ؛ فإنَّ السلطانَ أطلَقهم ، وأطلَق لهم إعْطاءاتٍ هنيَّةً ، وكَساهُم حُلَلًا سنيَّةً ، وانطلق كلٌّ منهم إلى وطنِه ، وعاد إلى أهْلِه وسكَنِه ، فللهِ الحمدُ على نِعَمِه ومِنَنِه .

---

(١) فى الأصل : « صيد » . والمثبت موافق للروضتين ٢/ ٢١٤.

فصــلٌ

لمّا قرّر السلْطانُ صلاحُ الدينِ بالقُدْسِ الشريفِ ما ذكرناه انْفَصل عنها فى الخامسِ والعشْرين مِن شعبانَ ، وأمَر ولدَه العزيزَ بالرُّجُوعِ إلى مصرَ ، وسار السلطانُ بجيشِه فقصَد مدينةَ صُورَ ، وكانت قد تأخّرت مِن بينِ تلك النواحى ، وقدِ اسْتحوَذ عليها بعد وقْعَةِ حِطِّينَ رجلٌ مِن التُّجارِ يقالُ له : المَرْكيسُ ، فحصَّنها وضبَط أمْرَها [٢٩٧/٩و] وحفَر حولَها خنْدقًا مَن البحرِ إلى البحرِ ، وجُمْهورُها فى البحْرِ ، وجاء السلْطانُ بجيشِه فحاصَرها مدةً ، واستدْعَى بالأسْطُولِ مِن الديارِ المِصريَّةِ فى البحرِ ، فاحتاط بها برًّا وبحرًا ، فعدَتِ الفِرنْجُ فى بعْضِ الليالى على خَمْسِ شوانٍ[1] مِن الأسْطُولِ ، فمَلَكَتْها ونكَبتها ، فأصْبَح المسلمون واجِمينَ ، وقد دخَل عليهم البَرْدُ وقلَّتِ الأزْوادُ ، وكثُرَتِ الجِرَاحاتُ وكَلَّ الأمراءُ مِن المحُاصَراتِ ، فسألُوا السلطانَ أنْ ينصرفَ بهم إلى دِمشْقَ فى هذا الوقتِ حتى يستَرِيحُوا ثم يعودُوا إليها بعد هذا الحينِ ، فأجابَهم بعدَ تَمَنُّعٍ منه وذلك أنَّ السُّورَ من صورَ كان قد هُدِم أكثرُه ولم يبْقَ إلا الفَتحُ والنُّجْحُ ، فتوجّه إلى دِمشقَ واجْتاز فى طريقِه على عَكَّا ، وتفرَّقَتِ العساكِرُ كلٌّ إلى بلدِه ورُسْتاقِه ، مستصحبًا كثرةَ حنينه إلى أهلِه ووطنِه واشتِياقِه .

وأمَّا السلطانُ فإنَّه لمَّا وصَل إلى عكَّا نزَل بقَلْعَتِها وأسكَن ولدَه الأفْضلَ بُرْجَ الداوِيَّةِ ، وولَّى نِيابتَها عزَّ الدينِ جُرْدَيكَ[2] ، وقد أشار بعْضُهم على السلطانِ بتَخْريبِ مدينةِ عَكَّا خوفًا مِن عَوْدِ الفرنجِ إليها ، فكاد ، ولم يفعَلْ ، ولَيْتَه فعَل ، بل

---

(١) الشَّوْنَة : المركب المعدة للجهاد فى البحر ، وجمعها شوانٍ . التاج (ش و ن) .

(٢) فى م : « حرديل » .

وكَّلَ بعِمارَتِها وتجْديدِ محاسنِها بهاءَ الدينِ قراقُوشَ التَّقَوِيَّ ، ووقَفَ دارَ الإسبتارِ نِصْفَيْن على الفقهاءِ والفقراءِ ، وجعَل دارَ الأسقُفِ مَارَسْتَانًا ووقَف على ذلك كلِّه أوْقافًا دارَّةً ، وولَّى نظَرَ ذلك لقاضِيها جمالِ الدينِ ابنِ الشيخِ أبى النَّجِيبِ ، وهو فى جميعِ ذلك بآرائِه مُصِيبٌ . ولمَّا فرَغ السلطانُ مِن هذه الحروبِ ، وأزال عن المسلمين تلك الكُرُوبَ ، وعاد إلى دمَشْقَ مؤيَّدًا منْصُورًا ، أبهج العيونَ وسرَّ القلوبَ وجاءته رسُلُ المُلُوكِ بالتَّهانى من سائرِ الأقْطارِ والأمْصارِ بالتُّحَفِ والهدايا التى تَبْهَرُ الأبصارَ ، وكتَب الخليفةُ إليه يعتِبُ عليه فى أشْياءَ منها ؛ أنَّه بعَث فى بشارَةِ الفتحِ بحِطِّينَ مع شابٍّ بغْدَادِيٍّ كان وَضِيعًا عندَهم ، لا قَدْرَ له ولا قيمةَ ، وأرسَل بفَتْحِ القُدْسِ الشريفِ معَ نجابٍ ، ولَقَّبَ نفْسَه بالملكِ الناصرِ مُضاهاةً للخليفةِ الناصرِ ، فتلَقَّى الرسولَ بالبِشْرِ واللُّطْفِ ، ولم يُظْهِرْ له إلَّا السمعَ والطاعةَ ، وأرسَل يعتذِرُ ممَّا وقَع بأنَّ الحربَ كانتْ قد شغَلَتْه عنِ التَّرَوِّى فى كثيرٍ من الأمورِ ، وأمَّا لقَبُه بالناصِرِ فهو مِن أيامِ الخليفةِ المُسْتَضِيءِ ، ومع هذا فمَهْمَا لَقَّبنى به أميرُ المؤمنين فهو الذى لا يُعْدَلُ عنه ، وتأدَّبَ مع الخليفةِ غايةَ الأدَبِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وفى هذه السنةِ كانت وقعةٌ عظيمةٌ ببلادِ الهِنْدِ بينَ الملكِ شِهابِ الدِّينِ الغُورِيِّ صاحبِ غَزْنَةَ ، وبينَ ملكِ الهندِ الكبيرِ ، فأقبلَتِ الهنُودُ فى كثيرٍ مِن الجنودِ [٢٩٧/٩ظ] ، ومعهم أرْبَعةَ عشَرَ فِيلًا ، فانهزَمَتْ ميْمَنَةُ المسلمين وميْسَرتُهم ، فقِيل للمَلِكِ : انْجُ بنَفْسِك . فما زادَه إلَّا إقْدامًا ، فحمَل على الفِيَلَةِ فجرَح بعْضَها - وجُرْحُ الفيلِ لا ينْدَمِلُ - فرَماه بعضُ الفَيَّالَةِ بحَرْبَةٍ فى ساعِدِه فخَرَجَتْ مِن الجانبِ الآخرِ فخرَّ صرِيعًا ، فحمَلتِ الهندُ عليه ليأخُذُوه ، فجاحَف عنه أصحابُه ليحمُوه ، فجرَتْ عندَه حربٌ لم يُسْمَعْ بشدَّتِها فى موقفٍ ، فغلَب

المسلمون فخلَّصوا ملكَهم واحتمَلوه على كَواهِلِهم فى مَحَفَّةٍ عشرين فرْسَخًا ، وقد نَزَفه[1] الدمُ ، فلمَّا تراجَع إليه جيْشُه أخَذ فى تأْنيبِ الأمراءِ ، وحلَف ليأْكُلَنَّ كلُّ أميرٍ عليقةَ فرَسِه ، وما أدْخَلهم غَزْنةَ إلَّا مُشَاةً حفاةً .

وفى هذه السنةِ ولدَتِ امرأةٌ مِن سَوادِ بغْدادَ بِنْتًا لها أسْنانٌ .

وفيها[2] قتَل الخليفةُ الناصِرُ أسْتاذَ دارِه أبا الفَضْلِ بنَ الصاحبِ ، وكان قد اسْتَحوَذَ على الأمورِ ولم يَبْقَ للخليفةِ معَه كلمةٌ ، ومع هذا كان عفِيفًا عنِ الأمْوالِ ، جيِّدَ السِّيرةِ ، فأخَذ منه الخليفةُ شيئًا كثيرًا مِن الحواصلِ والأموالِ .

وفيها اسْتَوْزَر الخليفةُ أبا المُظَفَّرِ [3]عبيدَ اللَّهِ[3] بنَ يونسَ ولقَّبه جلالَ الدينِ ، ومشَى أهلُ الدولةِ فى رِكابِه حتى قاضى القضاةِ أبو الحسنِ بنُ الدامَغانىِّ ، وقد كان ابنُ يُونُسَ هذا شاهِدًا عنده ، فكان القاضى يقولُ ، وهو يمْشِى[4] : لعَنَ اللَّهُ طولَ العمرِ . فماتَ القاضى فى آخرِ هذه السنَةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وقد حكَم فى أيامِ عدةٍ مِن الخلفاءِ وهو مِن بيتِه[5] .

وممَّن تُوفِّى فى هذه السنةِ - أعنى سنةَ ثلاثٍ وثمانين - من الأعْيانِ :

---

(١) نزفه الدم : أجهده وأضعفه بكثرة خروجه منه . وانظر اللسان (ن ز ف) .

(٢) الكامل ٥٦٢/١١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٥ .

(٣ - ٣) سقط من م ، وفى الأصل ، ص : « عبد اللَّه » والمثبت من الكامل ١١/ ٥٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٦.

(٤) الكامل ١١/ ٥٦٢.

(٥) يقصد أنه كان على ولاية القضاء حتى وهو مُقْصًى فى بيته ، وقد كان هذا القاضى يقول : أنا على ولايتى ، وكل القضاة نوابى لأن القاضى إذا لم يظهر فسقه لا يجوز عزله ... الجواهر المضية ٢/ ٥٣٩.

الشيخُ عبدُ المُغيثِ بنُ زُهَيرٍ الحرْبِيُّ[1] كان مِن صُلَحاءِ الحنابلَةِ، وكان يُزارُ، وله مصنَّفٌ فى فضْلِ يزيدَ بنِ مُعاوِيةَ، أتَى فيه بغرائبَ وعجائبَ، وقد ردَّ عليه أبو الفَرَجِ ابنُ الجَوْزِىِّ فى هذا الكتابِ، فأجادَ وأصابَ، ومن أحْسَنِ ما اتفَق لعبدِ المُغيثِ هذا أنَّ بعضَ الخلفاءِ - وأظنُّه الناصِرَ - جاءَه للزيارةِ مختفيًا، فعرَفَه الشيخُ ولم يعْلِمْه أنَّه قد عرَفه، فسأَله الخليفةُ عن يزيدَ أيُلْعَنُ أم لا؟ فقال: لا أُسوِّغُ لعْنَه؛ لأنِّى لو فتحْتُ هذا البابَ للَعَن الناسُ خليفَتَنا. قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّه يفعَلُ أشياءَ مُنْكَرةً كثيرةً، منها كذا وكذا. ثم شرَعَ يعدِّدُ على الخليفةِ، ما يَقَعُ مِنه مِن المنكراتِ لينْزَجِرَ عنها، فترَكَه الخليفةُ، وخرَج مِن عندِه وقد أثَّرَ كلامُه له فيه، ثم كانت وفاتُه فى المحرمِ من هذه السنَةِ، رحِمه اللَّهُ.

وفيها تُوفِّى الشيخُ علىُّ بنُ خطَّابِ [٩/٢٩٨و] **بنِ ظَفَرَ**[2] العابدُ الناسِكُ، أحدُ الزهَّادِ وذَوِى الكراماتِ، وكان مُقامُه بجزيرةِ ابنِ عمرَ. قال ابنُ الأثيرِ فى «الكاملِ»[3]: ولم أرَ مثْلَه فى حُسْنِ خلُقِه وسَمْتِه وكرَمِه وعبادَتِه، رحِمه اللَّهُ.

الأميرُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مقدَّمٍ[4] أحدُ نُوَّابِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ، لمَّا فُتِح بيتُ المَقْدِسِ أحْرَم جماعةٌ فى زمَنِ الحجِّ منه إلى المسجدِ الحرامِ، فكان أميرَ الحاجِّ تلك السنَةَ، فلمَّا كان بعَرَفَةَ ضرَب الدبادِبَ

---

(١) الكامل ١١/٥٦٢ (وفيه الحرى)، والتقييد ص ٣٨٨، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٢/١٦، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٥٥، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٥٤.

(٢) فى م: «خلف». وانظر ترجمته فى الكامل ١١/ ٥٦٣.

(٣) الكامل الموضع السابق.

(٤) الروضتين ٢/ ١٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٦١، والعبر ٤/ ٢٥٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٩، ومرآة الجنان ٣/ ٤٢٦، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٠٥.

ونشَر الألْوِيَة ، وأظهَر عزَّ السلْطانِ صلاحِ الدينِ ، فغضِبَ طاشْتِكِينُ أميرُ الحاجِّ مِن جهةِ الخليفةِ ، فزَجَره عن ذلك فلم يسمَعْ ، فاقْتَتَلا فجُرِحَ ابنُ مقدَّمٍ ، وماتَ في اليومِ الثاني بمِنًى ، رحِمه اللَّهُ ، ودفِن هنالك ، وجرَتْ خطوبٌ كثيرةٌ ، ولِيمَ طاشتِكِينُ على ما فعَل ، وعُزِل عن منْصبِه .

محمدُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، سِبْطُ ابنِ التَّعاوِيذِيِّ الشاعرُ[1] ، أَضَرَّ فى آخرِ عمرِه وقد جاوَز الستينَ سنةً ، وكانت وفاتُه - رحِمه اللَّهُ - فى شوَّالٍ مِن هذه السنةِ .

وفى خامسِ رمضانَ تُوفِّى **الفقيهُ أبو الفتحِ نَصْرُ بنُ فِتيانَ بنِ مَطَرٍ الحنْبلىُّ المعروفُ بابنِ المَنِّىِّ**[2] ، وكان زاهدًا عابدًا ، مولدُه سنةَ إحْدَى وخمسِمائةٍ ، وممَّنْ تفقَّهَ عليه مِنَ المشاهيرِ الشيخُ مُوَفَّقُ الدينِ بنُ قُدامَةَ ، والحافظُ عبدُ الغنىِّ ، ومحمدُ ابنُ خلَفِ بنِ راجحٍ ، والناصحُ عبدُ الرحمنِ بنُ النجمِ[3] بنِ عبدِ الوهَّابِ الحنبلىُّ ، وعبدُ الرَّزَّاقِ ابنُ الشيخِ عبدِ القادِرِ وغيرُهم .

وفيها تُوفِّى قاضى القضاةِ ببغدادَ **أبو الحسَنِ بنُ الدامَغانِىِّ**[4] وقد حكَم فى أيامِ المُقْتَفِى ثم المُسْتَنْجِدِ ، ثم عُزِلَ وأُعِيدَ فى أيامِ المُسْتَضِىءِ ، وحكَم للناصرِ حتى تُوفِّى فى هذه السنَةِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) الروضتين ٢/ ١٢٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٦٦، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٩٥، ومرآة الجنان ٣/ ٤٢٩، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٠٥.

(٢) الكامل ١١/ ٥٦٣، والعبر ٤/ ٢٥١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٦٦، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٥٨، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٠٦.

(٣) فى م : « المنجم » .

(٤) الكامل ١١/ ٥٦٣، والعبر ٤/ ٢٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٥٧، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٠٤، والجواهر المضية ٢/ ٥٣٨.

ثم دخلت سنة أربعٍ وثمانين وخمسمائةٍ

فى محرَّمِها[1] حاصَر السلْطانُ صلاحُ الدينِ حِصْنَ كَوْكَبَ[2] فرآه مَنِيعًا صعْبًا، ووقتُه مشغولٌ بغيرِه، فوكَّلَ به الأميرَ قايمازَ النجمِيَّ فى خَمْسِمائَةِ فارِسٍ يضَيِّقُون عليه المسالِكَ، وكذلك وكَّلَ بصَفَدَ - وكانتِ للداويةِ - خَمْسَمائَةِ فارِسٍ مع طُغرُلَ الجاندارِ[3] يمنَعُون وصولَ المِيرَةِ والتَّقاوِى، وبعَث إلى الكرَكِ والشَّوْبَكِ جيشًا آخرَ يحاصِرونه ويضيِّقُونَ على أهلِه، ليتفرَّغَ مِن أمورِه لقتالِ هذه الأماكنِ وحصارِها.

وكان دخولُ السلطانِ إلى دِمَشْقَ مِن هذه الغزاةِ فى ربيعٍ الأولِ، ففرِح به المسلمون ودقَّت البشائرُ وزُيِّن البلدُ، ووجدَ الصفىَّ بنَ القابضِ وَكِيلَ الخزانةِ قد بنَى للملكِ دارًا بالقلعةِ هائلةً مطِلَّةً على الشرفِ القبلىِّ، فغضِب عليه وعزَله مِن وظيفتِه، [٢٩٨/٩ظ] وقال: إنَّا لم نُخلَقْ للمُقامِ بدِمَشْقَ، وإنَّما خُلقْنا للعبادةِ والجهادِ[4].

وجلَس السلطانُ بدارِ العَدْلِ فحضَر عندَه القضاةُ وأهلُ الفضلِ، وزار القاضىَ الفاضِلَ فى بُسْتانِه على الشرفِ فى جَوْسَقِ ابنِ الفرّاشِ، وحكَى له ما

---

(١) الكامل ١٢/ ٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٣١.

(٢) كوكب: اسم قلعة على الجبل المطل على مدينة طبرية. معجم البلدان ٤/ ٣٢٨.

(٣) فى الأصل: «الخازندار» وفى م: «الجامدار» والمثبت موافق لما فى الروضتين ٢/ ١٢٤، والجاندار: الذى يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان. صبح الأعشى ٤/ ٢٠.

(٤) بعده فى م: «فى سبيله، وهذا الذى عملته مما يثبط النفوس ويقعدها عما خلقت له».

كان مِن الأمورِ، واسْتَشارَه فيما يفعلُه فى المستقبلِ مِنَ المهمَّاتِ والغزواتِ، ثم خرَج مِن دِمَشْقَ فى جيوشِه، فسلَكَ على جبلِ نبوسَ[1]، ودخَل البِقَاعَ وخيَّم على بعلَبَكَّ، وسارَ إلى حِمْصَ وجاءته عساكرُ الجزيرةِ وهو على العاصِى[2]، فسارَ إلى السواحلِ الشاميةِ، ففتَح أنطَرْطُوسَ وغيرَها مِنَ الحصُونِ، وفتَح جَبلَةَ واللاذِقِيَّةَ، وكانت مِن أحسنِ المدُنِ عمارةً ورُخامًا ومَحَالَّ، وفتحَ صُهْيُونَ وبَكَاسَ والشُّغْرَ؛ وهما قلْعتَانِ على العاصِى حصِينَتانِ، فتَحهما عَنْوَةً، وفتَح حصْنَ بَرْزَيَه؛ وهى قلعةٌ عظيمةٌ على شاهقِ جبَلٍ عالٍ منيعٍ، تحتَها أوديةٌ عميقةٌ يضْرَبُ المثَلُ بحصانتِها فى سائرِ بلادِ الفِرنجِ والمسلميـنَ، فحاصَرها أشدَّ حصارٍ وركَّبَ عليها المجانِيقَ الكِبارَ، وفرَّقَ الجيشَ ثلاثَ فرقٍ، كلُّ فريقٍ يلُون القتالَ، فإذا كلُّوا وتعبوا خلَفَهم الآخرون، حتى لا يزالُ القتالُ مستمِرًّا ليلًا ونهارًا صباحًا ومساءً، فكان فتْحُها فى نَوْبَةِ السلْطانِ، فأخَذَها عَنْوَةً فى أيامٍ معْدوداتٍ، ونهَب جميعَ ما فيها واسْتولَى على حواصلِها وأموالِها، وقتَل حُماتَها ورِجالَها، وسبَى ذراريَّها وأطْفالَها، ثم عدَلَ عنها ففتَحَ حِصْنَ دربساكَ وحِصْنَ بَغْراسَ[3]، كلُّ ذلك يفْتَحُه عَنْوَةً فيغنَمُ ويسْلَمُ، ولِلَّهِ الحمدُ.

ثم سمَتْ هِمَّتُه العاليةُ إلى فَتْحِ أنْطَاكِيَةَ؛ وذلك لأنَّه أهلَك ما حولَها مِنَ القُرَى، واسْتَظهرَ عليها بكثْرَةِ الجنودِ، فراسَله صاحِبُ أنْطَاكِيَةَ يطلُبُ منه الهُدْنَةَ على أنْ يطلِقَ مَنْ عندَه مِن أُسارى المسلميـنَ، فأجابَه السلطانُ إلى ذلك لعلْمِه

---

(١) فى ص: «سوس»، وفى م: «بيوس». والمثبت موافق لما فى الروضتين ٢/ ١٢٥.

(٢) العاصى: اسم نهر حماة وحمص ويعرف بالميماس مخرجه من بحيرة قدس ومصبه فى البحر قرب أنطاكية. معجم البلدان ٣/ ٥٨٨.

(٣) بغراس: مدينة فى لحف جبل اللكّام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ. معجم البلدان ١/ ٦٩٣.

بضجَرِ مَن معه مِن المقاتلةِ والأعوانِ ، فوقَعتِ الهدنةُ على سبْعَةِ أشهرٍ ؛ ومقْصودُ السلْطانِ أنْ تسْتريحَ الجيوشُ مِن تعَبِها ، وتجُمَّ النفوسُ مِن نصَبِها ، وأرسلَ السلطانُ إليه مَنْ تسلَّمَ منه الأُسارَى وقد ذلَّتْ دولةُ النصارَى .

ثم سارَ السلطانُ فسألَه ولَدُه الظاهِرُ أنْ يجْتازَ بحَلَبَ فأجابَه إلى ما طلَب ، فنزَل بقلْعَتِها ثلاثَ ليالٍ ثم جدَّد العزْمَ والترحالَ ، فاسْتقْدمَه ابنُ أخيه تَقِيُّ الدينِ إلى حَمَاةَ فنزَل بقلعتِها ليلةً ، كانت مِن أكبرِ مقاصدِه ومناه ، وأقطَعه تلك الليلةَ جَبَلَةَ واللاذِقِيَّةَ ، ثم سارَ فنزَل بقَلْعَةِ بَعْلَبَكَّ ، ودخَلَ إلى حمَّامِها ، ثم عادَ إلى دِمَشْقَ مؤيدًا منصورًا مسرورًا محبورًا ، وذلك فى أوائلِ رمضانَ ، وكان يومًا مشْهُودًا ومقدَمًا محمودًا [٩/٢٩٩و] ، وجاءَتْه البشائرُ بفَتْحِ الكرَكِ على المسلمين ، الذين كانوا له محاصرين ، وأراحَ اللَّهُ تلك الناحيةَ ، وسَهَّلَ حَزْنَها(١) على السالِكينَ مِن التجارِ والحُجَّاجِ والغُزاةِ والمعتمرين ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . [الأنعام : ٤٥] .

فَصْلٌ فى صفةِ فَتْحِ صَفَدَ وحِصْنِ كَوْكَبَ

لم يُقِمِ السلْطانُ بدمَشْقَ إلَّا أيامًا معدودةً حتى خرَج بجيشِه قاصِدًا بلادَ صَفَدَ ، فنازَلَها فى العشرِ الأوْسَطِ مِن رمضانَ ، وحاصَرها بالمنجنيقاتِ والشجعانِ ، وكان البرْدُ شديدًا يصْبحُ الماءُ فيه جَلِيدًا ، فما زالَ حتى فتحَها صُلحًا فى ثامنِ شوَّالٍ ، وللَّهِ الحمدُ على كلِّ حالٍ .

---

(١) الحزْن من الأرض : ما غلظ .

ثم سار إلى صُورَ فألقَتْ إليه بقيادِها ، وتبرَّأَتْ مِن ناصريها وقُوَّادِها ، وتحقَّقَتْ - لمَّا فتِحَتْ صَفَدُ - أنَّها مقْرُونَةٌ بأصْفادِها .

ثم سارَ منها إلى حِصْنِ كوكبَ - وهى معقِلُ[1] الإسبتاريَّةِ كما أنَّ صَفَدَ كانتْ معقلَ الداويَّةِ - وكانوا أبْغَضَ أجْناسِ الفِرنْجِ إلى الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ ، الذى لا يكادُ يتركُ منهم أحدًا إلَّا قتلَه ؛ إذا وقَع فى المأسُورِينَ . فحاصَر قلعةَ كوكبَ حتى قهَرها ، وقتَل مقاتِلتَها وأسَرها وأراحَ المارَّةَ مِن شرِّ ساكنِيها ، وتَمَهَّدَتْ تلك السواحِلُ واسْتَقرَّ بها منازلُ قاطنِيها . هذا والسماءُ تَصُبُّ ، والرياحُ تهُبُّ ، والسُّيولُ تغُبُّ ، والأرْجُلُ فى الأوْحالِ تخُبُّ ، والسلطانُ فى كلِّ ذلك صابرٌ مُصابِرٌ محتسِبٌ ، وكان القاضى الفاضلُ معه فى هذه المواقفِ شاهدًا ومرتقبًا ، وكتَب القاضى الفاضلُ عن السلطانِ إلى أخيه سيفِ الإسلامِ صاحبِ اليمنِ يَسْتَدْعِيه إلى الشامِ لنُصْرَةِ أهلِ الإسْلامِ وقتلِ الكَفَرةِ اللِّئامِ ، فإنَّه قد عزَمَ على حصارِ أنْطَاكِيَةَ ، ويكونُ تَقِيُّ الدينِ عمرُ مُحاصِرًا لطرابُلُسَ إذا انْسَلَخ هذا العامُ . ثم عزمَ القاضى الفاضِلُ على الدخولِ إلى الديارِ المصريةِ ، فسار السلطانُ معه لتوديعِه ثم عدَل إلى القُدْسِ الشريفِ ، فصلَّى فيه الجُمعةَ ، وعيَّد فيه عيدَ الأضحَى بالصخرةِ مِن الأقصى ، ثم سارَ ومعه أخوه العادِلُ إلى عَسْقَلانَ ، ثم أقطَع أخاه الكرَكَ عوَضًا عن عَسْقَلانَ ، وأمَره بالانْصِرافِ ليكونَ عونًا لابنِه العزيزِ على حوادِثِ الزمانِ ، وعادَ السلطانُ فأقامَ بمدينةِ عَكَّا حتى انْسَلَخَتْ هذه السنةُ .

وفى هذه السنةِ خرَجتْ طائفةٌ مِن [٢٩٩/٩ظ] الرافِضَةِ بمِصْرَ يُريدون أن يُعيدوا دولةَ الفاطِمِيِّينَ ، واغْتنَمُوا غيبةَ العادِلِ عن مِصْرَ ، واسْتَخَفُّوا أمْرَ العزيزِ

---

(١) فى الأصل ، ص : « معدن » .

عُثْمانَ بنِ صلاحِ الدينِ ، فبعثُوا اثْنَىْ عشَرَ رجُلًا ينادونَ فى الليل : يا لَعلىٍّ ، يا لَعَلىٍّ . بناءً على أنَّ العامَّةَ تجيبُهم إلى ما عزَموا عليه ، فلم يلتَفِتْ إليهم أحدٌ ، ولا منعَهم مِن الناسِ أحدٌ ، فلمّا رأَوْا ذلك انهزَمُوا فأُدْرِكُوا وأخِذُوا وقيِّدُوا وحُبِسُوا ، ولمَّا بلَغ أمْرُهم إلى السلطانِ صلاحِ الدينِ ساءَه ذلك واهْتَمَّ له ، وكان الفاضِلُ عندَه بعدُ لم يفارِقْه ، فقال له : أيُّها الملكُ ينْبَغِى أنْ تفرَحَ ولا تحْزَنَ ، فإنَّه لم يُصْغِ إلى دعوةِ هؤلاءِ الجهَلةِ أحدٌ مِن رعيَّتِكَ ولا التفتوا إليهم ، فلو أنَّكَ بعثْتَ مِن قِبلِكَ جواسِيسَ يختبرُونَ رعيتَك لَسَرَّك ما يبلُغُكَ عنهم . فسَرَّى ذلك عنه ، ورجَع إلى قولِه ، ولهذا أرْسَلَه إلى مِصْرَ ؛ ليكونَ له عَيْنًا وعَوْنًا ومعينًا .

ومِمن تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ :

الأميرُ الكبيرُ سُلالَةُ الملُوكِ والسَّلاطِينِ الشَّيْزَرِىُّ ، مؤيِّدُ الدولةِ أبو الحارِثِ وأبو المُظَفَّرِ ، **أسامَةُ بنُ مُرشِدِ بنِ علىِّ بنِ مُقَلَّدِ بنِ نصْرِ بنِ مُنقذٍ**[1] ، أحدُ الشعراءِ المشْهُورِينَ ، والأمراءِ المشْكُورِينَ ، بلَغ مِن العمرِ ستًّا وتسْعينَ سنةً ، وكان عمْرُه تارِيخًا مستقلًّا وحدَه ، وكانتْ دارُه بدِمَشْقَ معقلًا للفُضلاءِ ومنْزِلًا للعلماءِ ، وله مِن الأشعارِ الرائِقةِ والمعانى الفائقةِ شىءٌ كثيرٌ ، ولديه علمٌ غزيرٌ ، وعندَه جُودٌ وفضلٌ كبيرٌ ، وقد كان مِن أبناءِ ملوكِ شَيْزَرَ ، ثم أقامَ بديارِ مصرَ مدةً فى أيامِ الفاطِمِيِّينَ ، ثم عادَ إلى الشامِ ، وقدِمَ على الملِكِ صلاحِ الدينِ - فى سنَةِ سَبْعِينَ - دمشقَ ، وأنشدَه :

---

(١) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٤٩٨، والروضتين ٢/ ١٣٧، ووفيات الأعيان ١/ ١٩٥، ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٢٥٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٧٠.

حَمِدْتُ على طُولِ عمْرِى المَشِيبَا　　　وإنْ كنتُ أكْثَرْتُ فيه الذنُوبا
لأنِّى حَييتُ إلى أنْ لقيـ　　　ـتُ بعدَ العدُوِّ صدِيقًا حَبِيبا

وله فى سِنٍّ قلَعَها ففقَد نفْعَها[1] :

وصاحبٍ لا أمَلُّ الدهرَ صُحْبَتَهُ　　　يشْقَى لنَفعِى ويَسْعى سَعْىَ مُجْتَهِدِ
لم ألْقَهُ مذْ تَصاحَبْنَا فحينَ بدَا　　　لناظِرَىَّ افْترقْنا فُرْقَةَ الأبَدِ

وله ديوانُ شعرٍ كبيرٌ، وكان صلاحُ الدينِ يفضِّلُه على سائرِ الدَّواوِينِ.

وقد كان مولدُه فى سنةِ ثَمانٍ وثمانينَ وأرْبَعِمائةٍ، وكان فى شَبِيبَتِه شَهْمًا شُجاعًا فاتكًا، قتَل الأسَدَ مُواجهَةً وحدَه، ثم عُمِّرَ إلى أنْ تُوفِّىَ فى هذه السنَةِ، قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : [٩/٣٠٠و] ليلةَ الثلاثاءِ الثالثِ والعِشْرينَ مِن رمضانَ، ودُفِنَ شرْقِىَّ جبَلِ قاسيونَ. قال: وزُرْتُ قَبْرَه وقرأتُ عندَه وأهديتُ له، رحِمه اللَّهُ تعالى.

ومما أنشَده له قولُه[3] :

لا تَسْتَعِرْ جَلَدًا على هجْرانِهِمْ　　　فقُواكَ تضْعُفُ عن صُدودٍ دائمِ
واعلَمْ بأنَّكَ إنْ رجعْتَ إليهِمُ　　　طَوْعًا وإلَّا عُدْتَ عودَةَ راغمِ

وقولُه[4] فى قتلِ الأسدِ وكِبَرِه:

فاعْجَبْ لضَعْفِ يَدِى عن حَمْلِها قلمًا　　　مِن بعدِ حَطْمِ القَنا فى لَبَّةِ الأسَدِ

---

(١) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٤٩٩.
(٢) وفيات الأعيان ١/ ١٩٩.
(٣) المصدر السابق ١/ ١٩٦، والبيتان فى ديوان أسامة بن منقذ ص ٤٢.
(٤) وفيات الأعيان ١/ ١٩٧، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٦٧.

وقُلْ لِمَنْ يتمَنَّى طُولَ مدَّتِهِ هَذِى عَواقِبُ طُولِ العُمرِ والمُدَدِ

قال ابنُ الأثيرِ[١] : وفى هذه السنةِ توفِّى شيْخُنا **أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ عليِّ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سُوَيْدةَ التَّكْرِيتِيُّ**[٢] ، كان عالمًا بالحديثِ ، وله تصانيفُ حسنةٌ . رحِمه اللَّهُ تعالى .

قال الشيخُ شهابُ الدينِ[٣] : وفيها تُوفِّى **الحافظُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ مُوسى ابنِ عُثْمانَ بنِ حازِمٍ الحازِمِىُّ الهَمَذانىُّ**[٤] ببَغْدادَ ، صاحِبُ التصانيفِ ، على صِغَرِ سنِّه ، منها « العُجالَةُ » فى النسَبِ ، و « الناسِخُ والمنْسُوخُ » فى الحديثِ وغيرُهما . ومولدُه سنَةَ ثَمانٍ أو تِسْعٍ وأرْبَعِينَ وخَمْسِمائَةٍ ، وتُوفِّى فى الثامنِ والعِشْرِينَ مِن جُمادَى الأُولَى مِن هذه السَّنَةِ .

---

(١) الكامل ١٢/ ٢٦.

(٢) المصدر السابق ١٢/ ٢٦، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٨٣، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٥٧.

(٣) الروضتين ٢/ ١٣٧.

(٤) وفيات الأعيان ٤/ ٢٩٤، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٩٨، والمعين فى طبقات المحدثين ص ١٨٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٣.

ثم دخلت سنة خمسٍ وثمانين وخمسمائةٍ

فيها[1] قدِمَ مِن جهةِ الخليفةِ رسُلٌ إلى السلْطانِ يعْلِمُونَه بولايةِ العهدِ لأبى نَصْرٍ محمدٍ المُلَقَّبِ بالظَّاهرِ بنِ الخليفةِ الناصِرِ ، فأمَرَ السلْطانُ خطيبَ دِمَشْقَ أبا القاسِمِ عبدَ الملكِ بنَ زَيْدٍ الدَّوْلَعِيَّ بالدعاءِ له ، ثم جهَّزَ السلطانُ مع الرُّسُلِ تُحَفًا عظيمةً ، وهدايا سَنِيَّةً ، وأرسَل بأُسارَى مِن الفِرنجِ على هَيْئَتِهم فى حالِ حَرْبِهم ، وأرسَل بصَليبِ الصَّلبوتِ فدُفِنَ تحتَ عتبَةِ بابِ النوَى ، مِن دارِ الخلافةِ ، فكان بالأقدامِ يُداسُ ، بعدَما كان يعظَّمُ ويُبَاسُ ، وصار يُبْصَقُ عليه بعدَما كان يُسجَدُ إليه ، والصحيحُ أنَّ هذا الصليبَ إنما هو الذى كان منصُوبًا على قُبَّةِ الصَّخرةِ ، وكان مِن نُحاسٍ مطْلِيًّا بالذَّهبِ ، وقد انحطَّ إلى أسْفَلِ الرُّتَبِ[2] .

قصَّةُ عكَّا وما كان مِن أمْرِها[3]

لمَّا كان شهرُ رجَبٍ اجتمَع مَن كان بصُورَ مِنَ الفِرنجِ وسارُوا إلى مدينةِ عَكَّا ، فأحاطُوا بها يحاصِرُونَها ، فتحَصَّنَ مَن فيها مِن المسلميـنَ ، وأعدُّوا للحصارِ ما يحْتاجُونَ إليه ، وبلَغ السلْطانَ خبَرُهم فسارَ إليهم مِن دِمَشْقَ مُسْرِعًا ، فوجَدهم

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٢، والروضتين ٢/ ١٣٩.

(٢) فى م : « العتب » .

(٣) الكامل ١٢/ ٣٢، والروضتين ٢/ ١٤٢.

قد أحاطُوا بها ، كإحاطَةِ الخَاتَمِ بالخِنْصَرِ ، فلم يزَلْ يُدافِعُهم عنها ويمانِعُهم منها ، حتى جعَل طريقًا إلى بابِ [٣٠٠/٩ظ] القلْعَةِ يصِلُ إليه كلُّ مَن أرادَه ، مِن جُنْدِيٍّ وسُوقِيٍّ ، وامرأةٍ وصبىٍّ ، ثم أولَج فيها ما أرادَ مِن آلاتٍ وأمتعَةٍ ، ومقاتلةٍ ، ودخَل بنفْسِه الكريمةِ ، فَعَلا سُورَها ونظَر إلى الفِرنْجِ وجيْشِهم وكثرَةِ عدَدِهم وعُدَدِهم ، والمِيرَةُ تَفِدُ إليهم مِن البحرِ فى كلِّ وقتٍ ، وكلُّ ما لَهم فى ازديادٍ ، وفى كلِّ حينٍ تَصِلُ إليهم الأمْدادُ ، وعادَ السُّلطانُ إلى مُخَيَّمِه والجنودُ تصِلُ إليه ، وتقدَمُ عليه مِن كلِّ جهةٍ ومكانٍ ، منهم رَجّالةٌ وفرْسانٌ .

وقعةُ مَرجِ عكَّا

ثم برزَتِ الفِرنجُ فى نحوٍ مِن ألْفَىْ فارسٍ وثلاثيـنَ ألفَ راجِلٍ فى العَشْرِ الأُخرِ مِن شعبانَ ، فبرَز إليهم السلطانُ فِيمَن معه مِن السادةِ الشجْعانِ ، فاقْتَتلُوا بمَرْجِ عَكَّا قِتالًا عظيمًا ، وهُزِم جماعةٌ مِن المسلميـنَ فى أوَّلِ النَّهارِ ، ثم كانتِ الكرَّةُ على الفِرنجِ فى آخرِه ، ﴿ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٨] . فقُتِل مِن المسلمين قريبُ المائتين ، وأمّا الفِرنجُ فكانتِ القتْلَى منهم أزْيَدَ مِن سبْعَةِ آلافِ قتيلٍ ، ولمَّا تمَّت هذه الوقعةُ تحوَّلَ السلطانُ مِن مكانِه الأوَّلِ إلى موضعٍ بعيدٍ مِن رائحةِ القَتْلَى ، خوفًا مِن الوَخَمِ والأذَى ؛ ليسْتَرِيحَ الخيَّالَةُ والخيْلُ ، ولم يعلَمْ أنَّ ذلك كان مِن أكبرِ المصالحِ للعدُوِّ المخْذُولِ ، فإنَّهم اغْتَنمُوا هذه الفَتْرَةَ ، فحفَرُوا حولَ مُخيَّمِهم خَنْدَقًا لجميعِ جيشِهم مِن البحرِ إلى البحرِ مُحْدِقًا ، واتخذُوا مِن تُرابِه سُورًا شاهقًا ، وجعَلُوا له أبْوابًا يخرجُونَ منها إذا أرادُوا ، وتمكَّنُوا فى منْزِلِهم ذلك الذى له اخْتارُوا وارْتَادُوا ، وتفارَطَ الأمرُ ، وقوِىَ الخَطْبُ ، وصارَ الدَّاءُ عُضَالًا ، وازْدادَ الحالُ وَبَالًا ، وكان رأْىُ السلْطانِ أنْ يُناجَزُوا بعدَ الكرَّةِ سريعًا ،

ولا يُتْرَكُوا حتى يطيبَ ريحُ البحرُ فتأتِيَهم الأمدادُ مِن كلِّ صوبٍ هريعًا[1] ، فاعتذَر الأمراءُ إليه بالملالِ والضَّجرِ ، وكلٌّ لأمْرِ الفِرنجِ قد احْتقَرَ ، ولم يَدْرِ ما قد حُتِمَ فى القدَرِ ، فأرسَل السلطانُ إلى جميعِ الملُوكِ يستَنْفِرُ ويستنصِرُ ، وكتَب إلى الخليفةِ بالبَثِّ ، وبَثَّ الكتُبَ بالتَّحْضيضِ والحثِّ ، فجاءَتْه الأمدادُ جماعاتٍ وآحادًا ، وأرسَل إلى مِصْرَ يطلُبُ أخاه العادِلَ ، فقدِمَ عليه ، ويستعجِلُ الأسطولَ ، فوصَل إليه فى خمسين قطْعةً فى البحرِ مع الأميرِ حُسَامِ الدِّينِ لؤلؤٍ ، فحينَ وصَل الأسطولُ حادَتْ مراكِبُ الفِرنجِ يَمْنَةً ويَسْرَةً ، وخافت كلُّها منه ، واتصَلَت بالبلدِ المِيرَةُ والعَدَدُ والعُدَدُ ، [٣٠١/٩و] وانْشرَحَتِ الصدورُ بعدَ الضيقِ والكَمَدِ ، وانْسلَخَتْ هذه السنةُ والحالُ على ما هو عليه ، ولا ملْجَأَ مِنَ اللَّهِ تعالى إلَّا إليه . واللَّهُ أعلمُ بالصوابِ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

القاضى شرَفُ الدِّينِ أبو سَعْدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ أبى عَصْرُونَ[2] ، أحدُ أئمةِ الشافِعيَّةِ ، له كتابُ « الانْتصارِ » ، وقد وَلِىَ قضاءَ القضاةِ بدِمَشْقَ ، ثم أضَرَّ قبلَ موْتِه بعَشْرِ سنِينَ ، فجُعِلَ ولَدُه محيى[3] الدينِ مكانَه تطييبًا لقلبِه ، وبلَغ القاضى شرفُ الدينِ ثلاثًا وتسعينَ سنةً ونصْفًا ، ودُفِنَ بالمدْرسةِ العَصْرُونيَّةِ ، التى أنْشأَها غربِىَّ سوَيْقَةِ بابِ البريدِ ، قُبَالَةَ دارِه ، بيْنَهما عَرْضُ الطريقِ ، وكان مِنَ الصالِحِينَ والعلماءِ العامِلِينَ ، رحِمه اللَّهُ . وقد ذكَرَه القاضى

---

(١) أى سريعًا .

(٢) التكملة لوفيات النقلة ١/ ٢٠٠، وخريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٣٥١، ووفيات الأعيان ٣/ ٥٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٢١٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٧/ ١٣٢.

(٣) فى م : « نجم » .

ابنُ خَلِّكانَ فقال[١] : أصلُه مِن حَدِيثَةِ المَوْصِلِ ، ورحَل فى طلبِ العلمِ إلى بُلْدانٍ شتَّى ، وأخَذ عن أسْعَدَ المِيهَنِيِّ وأبى علىٍّ الفارِقِيِّ وجماعةٍ ، ووَلِىَ قضاءَ سِنْجارَ وحَرَّانَ ، وباشَر فى أيامِ نُورِ الدِّينِ تدْرِيسَ الغَزَّالِيَّةِ ، ثم انْتقَل إلى حَلَبَ ، فبنَى له نُورُ الدِّينِ مدرسةً بحَلَبَ وبحِمْصَ أيضًا ، ثم قدِم دِمَشْقَ فى أيامِ صلاحِ الدِّينِ ، فوَلِىَ قضاءَها فى سنةِ ثلاثٍ وسبعينَ وخَمْسِمِائَةٍ إلى أنْ تُوفِّىَ فى هذه السَّنَةِ ، وقد جمَع جُزْءًا فى قضاءِ الأعْمَى ، وأنَّه جائزٌ ؛ وهو خلافُ المذْهبِ ، لكن حكَاه صاحبُ « البَيانِ » وجْهًا لبعضِ الأصْحابِ . قال[٢] : ولم أرَهُ فى غيرِه . وقد صنَّفَ كُتُبًا كثيرةً ، منها : « صفْوَةُ المذْهبِ فى نهايةِ المطْلَبِ » فى سبعِ مجلَّداتٍ ، و « الانْتصارُ » فى أربعٍ ، و « الخِلافُ » فى أربعٍ ، و « الذَّرِيعَةُ فى معْرفةِ الشريعةِ » ، و « المرشِدُ » ، وغيرُ ذلك ، وكتابًا سمَّاه « مآخذَ النظرِ » ، ومُخْتَصرًا فى الفرائضِ وغيرَها ، وقد ذكَره ابنُ عساكِرَ[٣] فى « تارِيخِه » ، والعمادُ فأثْنَى عليه[٤] ، وكذلك القاضى الفاضلُ[٥] .

وأوْرَد له العمادُ أشعارًا كثيرةً ، وممَّا أورده ابنُ خَلِّكانَ عنه قولُه[٦] :

أُؤَمِّلُ أنْ أحْيَا وفى كلِّ ساعةٍ	تَمُرُّ بِىَ المَوْتَى تُهَزُّ نعُوشُها
وهلْ أنا إلَّا مثْلُهم غيرَ أنَّ لى	بقايَا ليالٍ فى الزمانِ أعيشُها

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٥٣.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٥٤.

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٣٥١.

(٥) وفيات الأعيان ٣/ ٥٥.

(٦) المصدر السابق .

[٣٠١/٩ظ] **أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ وهبانَ ، أبو العباسِ**[١] ، المعْروفُ بابنِ أفْضَلِ الزَّمانِ ، قال ابنُ الأثيرِ[٢] : كان عالمًا مُتبحِّرًا فى علومٍ كثيرةٍ مِن الفِقْهِ ، والأصولِ والحسابِ والفرائضِ والنجومِ والهَيْئةِ والمَنْطِقِ وغيرِ ذلك ، وقد جاوَر بمكَّةَ وأقامَ بها إلى أنْ ماتَ بها ، وكان مِن أحْسَنِ الناسِ صُحْبَةً وخلُقًا .

الفَقِيهُ الأميرُ ضِياءُ الدِّينِ عيسَى الهَكَّارِىُّ[٣] كان مِن أصْحابِ أسَدِ الدينِ شِيرِكُوه ، دخَل معه إلى مِصْرَ ، وحَظِىَ عندَه ، ثم كان مُلازمًا للسلْطانِ صلاحِ الدينِ حتى تُوفِّى فى رِكابِه بمنْزلةِ الخَرُّوبَةِ قريبًا مِن عَكَّا ، فنُقِلَ إلى القُدْسِ الشريفِ فدُفِنَ به ، وكان ممَّنْ تَفقَّه على الشيخِ أبى القاسمِ بنِ البَزْرِىِّ[٤] الجزرِىِّ . وكان الفقيهُ عيسى مِن الفُضلاءِ والنبلاءِ والأمراءِ الكبارِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

المُبارَكُ بنُ المُبارَكِ الكَرْخِىُّ[٥] ، مدرِّسُ النِّظامِيَّةِ ، تفَقَّهَ بابنِ الخلِّ ، وكانت له مكانةٌ عندَ الخليفةِ والعامَّةِ ، وكان يُضرَبُ بحسْنِ خطِّه المَثَلُ . وقد ذكَرتُه فى « الطبَقاتِ » ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٢.

(٢) المصدر السابق ١٢/ ٤٣.

(٣) المصدر السابق ١٢/ ٤٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٩٧، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٢٤ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٧/ ٢٥٥.

(٤) فى م، والكامل: « البرزى » . وانظر الأنساب ١/ ٣٤١.

(٥) الكامل ١٢/ ٤٣، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٣٠، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٢٢٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٧/ ٢٧٥.

ثم دخلت سنةُ سِتٍّ وثمانِين وخَمْسِمائةٍ[1]

اسْتَهلَّتْ والسلْطانُ مُحاصِرٌ لمحاصرى عَكَّا ، وأمْدادُ الفِرنْجِ تَقْدَمُ عليهم مِن البحرِ فى كلِّ وقتٍ وكلِّ حينٍ ، حتى إنَّ النساءَ ليَخرُجْنَ بنِيَّةِ القتالِ ، ومِنهنَّ مَنْ تأتى بنِيَّةِ راحَةِ الغُرَباءِ فى الغربةِ ؛ قدِمَ إليهم مركَبٌ فيه ثَلاثُمائَةِ امرأةٍ حسناءَ بهذه النِّيَّةِ ، حتى إنَّ كثيرًا مِن فَسَقةِ المسلمينَ تحيَّزُوا إليهم لأجلِ هذه النسْوَةِ . واشْتَهرَ الخبرُ بأنَّ مَلِكَ الألْمانِ قد أقبلَ فى نحوِ ثلاثِمائةِ ألفِ مُقاتِلٍ ، مِن ناحيَةِ القُسطنطينِيَّةِ ، يريدُ أخْذَ الشامِ وقَتْلَ أهْلِه وملوكِه ؛ انتصارًا لبيتِ المَقْدسِ ، فحمَل المسلمونَ هَمًّا عظيمًا ، وخافُوا غائلةَ ذلك ، مع ما هم فيه مِنَ الشُّغْلِ العظيمِ والحصارِ الهائلِ ، ولكِنَّ اللَّهَ لطَف بهم وأهْلَك غالبَ أمَّةِ الألمانِ فى الطُّرقاتِ بالبردِ والجُوعِ والضلالِ فى المَهالِكِ ، على ما سيأتى بيانُه وتفصيلُه ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وكان سبَبَ نَفْرِ النَّصارى فى هذا العامِ ما ذكَره ابنُ الأثيرِ[2] فى « كامِله » أنَّ جماعةً مِن الرُّهْبانِ والقسوسِ ، ركِبُوا مِن مدينةِ صُورَ فى أرْبعَةِ مراكِبَ يطُوفُونَ البُلدانَ البحريَّةَ ، يحثُّونَهم على الانْتِصارِ لبيتِ المَقْدِسِ ، وما جَرَى على أهْلِ السواحلِ مِن القتلِ والسبىِ وخرابِ الديارِ ، وقد صوَّرُوا صورةَ المسيحِ وصورةَ عربىٍّ يضرِبُه ، فإذا سأَلُوهم مَنْ هذا الذى يضرِبُ المسيحَ ؟ قالوا : هذا نبىُّ العربِ

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٤.

(٢) المصدر السابق ١٢/ ٣٢.

يضرِبُه وقد جرَحه وماتَ ، فينْزَعِجُونَ عندَ ذلك ويحْمَونَ ويبْكون ويحْزنُونَ ، ويخرُجون مِن بلادِهم لنُصْرَةِ دينِهم ونبيِّهم ، وموضعِ حجِّهم ، على الصَّعْبِ والذَّلُولِ ، حتى النساءُ المُخَدَّراتُ والأبناءُ[1] الذينَ هم عندَ أهْلِيهم مِن أعَزِّ الثَّمراتِ وأخصِّ الخَدِراتِ .

وفي نصفِ ربيعٍ الأولِ تسلَّمَ السلطانُ شقيفُ أرنونَ بالأمانِ ، وكان صاحبُه مأْسُورًا في الذلِّ [٩/٣٠٢و] والهَوانِ ، وكان مِن أدْهَى الفِرنجِ وأخْبَرِهم بأيامِ الناسِ ، ورُبَّما قرَأ في كُتُبِ الحديثِ وتفْسِيرِ القرآنِ ، وكان مع هذا غليظَ الجِلْدِ ، كافِرَ القلبِ ، قبَّحه اللَّهُ تعالى .

ولمَّا انفصَل فصلُ الشِّتاءِ وأقبلَ الربيعُ جاءتِ الملوكُ مِن بُلْدانِها بجيوشِها وشُجْعانِها ، ورِجالِها وفُرْسانِها ، وأرسَل الخليفةُ إلى الملكِ صلاحِ الدِّينِ أحْمالًا مِن النِّفْطِ والرِّماحِ الخطِّيَّةِ ، ونفَّاطةً ونَقَّابِينَ ، كلٌّ منهم مُتقِنٌ في صنعتِه غايةَ الإتْقانِ ، ومرْسُومًا بعشرينَ ألفَ دينارٍ ، وانفتَح البحرُ وتواترَتْ مراكبُ الفِرنجِ مِن كلِّ جزيرةٍ ؛ ينصُرون أصْحابَهم ، ويمدُّونَهم بالقوَّةِ والمِيرَةِ ، وعمِلَتِ الفِرنجُ ثلاثةَ أبْرجةٍ مِن خشَبٍ وحديدٍ ، عليها جلُودٌ مسْقَاةٌ بالخَلِّ ؛ لِئلَّا يَعملَ فيها النِّفطُ ، يسعُ البرجُ منها خَمْسَمِائَةِ مقاتلٍ ، وهي أعلَى مِن أبرجةِ البلَدِ ، وهي مُرَكَّبَةٌ على عجَلٍ بحيثُ يُدِيرُونَها كيفَ شاءُوا ، وعلى ظهرِ كلِّ برجٍ منها مَنْجَنيقٌ كبيرٌ ، فأهمَّ أمرُها المسلمين ، وكانوا عليها حَنِقِين ، فأعْملَ السلْطانُ فِكْرَه في إحراقِها وإهلاكِها ، فاستَحْضَر النَّفَّاطِينَ ووَعدَهم الأموالَ الجزيلةَ ، فانْتَدب شابٌّ نحَّاسٌ مِن دِمَشْقَ يُعرَفُ بعَلِيِّ بنِ عريفِ النَّحاسِينَ ، والتزَم

---

(١) في م : « الزواني والزانيات » .

بإحْراقِها وإهلاكِها ، فأخَذ النِّفْطَ الأبيضَ وخلَطَه بأدْوِيَةٍ عرَفها ، وغَلَى ذلك فى ثلاثةِ قُدورٍ مِن نُحاسٍ حتى صارَ نارًا تأجَّجُ ، ورَمَى كلَّ بُرجٍ منها بقِدْرٍ مِن تلك القُدورِ بالمَنجنيقِ مِن داخلِ عَكَّا ، فاحْترقَتِ الأبرجةُ الثلاثةُ بإذنِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، حتى صارَتْ نارًا ، لها فى الجوِّ ألْسنَةٌ مُتصاعِدَةٌ ، فصرَخ المسلمونَ صرخةً واحدةً بالتهْليلِ والتكبيرِ ، واحْترقَ فى كلِّ برجٍ سَبْعُونَ كَفُورًا ، ﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢٦] . وذلك يومَ الاثنينِ الثامنَ والعِشْرِينَ مِن ربيعٍ الأوَّلِ مِن هذه السَّنةِ ، وكانتِ الفِرنجُ تعِبُوا فيها سبعةَ أشهرٍ ، فاحْترَقَتْ فى يومٍ واحدٍ ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] . ثم عرَض السلْطانُ على ذلك الشابِّ النحَّاسِ العطيَّةَ السَّنِيَّةَ ، فامتنَع مِن قَبُولِها ، وقال : إنَّما عمِلْتُ هذا ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، ورجاءَ ما عندَه سبحانَه . فلا أُريدُ منكم جزاءً ولا شُكورًا .

وأقبَل الأسْطولُ المصريُّ وفيه المِيرَةُ الكثيرةُ لأهلِ البَلدِ ، فعَبَّى الفِرنْجُ أسْطُولَهم ليحاربوا أسطولَ المسلمينَ ، فنَهَض السلْطانُ بجيْشِه ليشْغَلَهم عن قتالِ الأسطولِ ، وقاتلَهم أهلُ البلدِ أيضًا ، واقْتتَلَ الأسطُولانِ فى البحرِ ، وكان يومًا مشهودًا عظيمًا ، وحرْبًا فى البَرِّ والبحرِ ، فظفِرتِ الفِرنجُ بشينيٍّ واحدٍ مِن الأسْطُولِ الذى للمسلمينَ ، وسلَّم اللَّهُ الباقىَ ، فوصَل [٣٠٢/٩ظ] إلى البلدِ بما فيه مِنَ المِيرَةِ ، التى قدِ اشتدَّتْ حاجتُهم إلى عُشرِها ، وحمِدت اللَّهَ تعالى على يُسرِها بعدَ عُسرِها .

وأمَّا مَلِكُ الألْمانِ المتقدِّمُ ذكْرُه فإنَّه أقبلَ فى عددٍ كثيرٍ وجمٍّ غفيرٍ ، قريبٍ مِن ثَلاثِمائةِ ألفِ مقاتلٍ ؛ مِن نِيَّتِه الانْتِصارُ لبيتِ المَقْدِسِ حينَ أُخِذ مِن أيدِيهم ، فما زال يمُرُّ بإقليمٍ بعدَ إقليمٍ ، ويُتخطَّفون فى كلِّ مكانٍ ، ويُقتلون كما يُقتَلُ

الحيوانُ حتى اجْتازَ ملِكُهم بنَهرٍ شديدِ الجَرْيَةِ ، فدعَتْه نفْسُه أنْ يسبحَ فيه ، فلمَّا صارَ فيه حمَله الماءُ إلى جذعِ شجرةٍ فشجَّتْ رأسَه ، وأخْمدَتْ أنفاسَه ، وأراحَ اللَّهُ منه المسلمين ، وحُشِرت روحُه إلى سِجِّينٍ ، فأُقيم ولَدُه الأصغرُ فى المُلْكِ بعَده ، وقد تمزَّقَ شملُهم ، وقلَّتْ منهمُ العُدَّةُ ، ثم أقبلُوا لا يجْتازُونَ ببلدٍ إلَّا قُتِلُوا فيه ، وقلَّ عدَدُهم حتى جاءوا إلى أصْحابِهم المحاصِرين لعكَّا وهم فى ألفِ فارِسٍ ، وليس لهم قَدْرٌ ولا قيمةٌ عندَ أحَدٍ مِن أهلِ مِلَّتِهم ولا غيرِهم . وهكذا سُنَّةُ اللَّهِ فيمن أراد مخالفةَ الإسلامِ وأهلِه فى إهلاكِه وتمزيقِ شملِه ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ على إحسانِه وفضلِه .

وزعَم العِمادُ[1] فى سِياقِه أنَّ الألْمانَ وصَلُوا فى خمسةِ آلافِ مقاتلٍ وأنَّ ملُوكَ الفِرنجِ كلَّهم كرِهُوا قدُومَه عليهم ، لِمَا يخافُون مِن سطْوَتِه ، وزَوالِ دوْلتِهم بدَوْلَتِه ، ولم يَفرَحْ به إلَّا المركيسُ صاحِبُ صُورَ ، الذى أنشَأ هذه الفِتْنَةَ وأثارَ هذه المِحْنَةَ - لعَنه اللَّهُ - فإنَّه تقَوَّى به وبجيشِه وكيدِه ، فإنَّه كان خَبِيرًا بالحروبِ والقتالِ ، وأحدَث أشياءَ كثيرةً مِن آلاتِ الحربِ لم تخْطُرْ لأحدٍ ببَالٍ ؛ نصَب دباباتٍ أمثالَ الجبالِ ، تسيرُ بعجَلٍ ولها زلومٌ مِن حديدٍ ، تنْطَحُ السورَ فتكسِرُه ، وتَثْلَمُ جوانبَه ، فمَنَّ اللَّهُ العظيمُ بإحْراقِها وإهلاكِها ، وأراحَ اللَّهُ المسلمينَ مِن شرِّها ، وللَّهِ الحمدُ ، ونهَض بالعسكرِ الفِرنجِيِّ فصادمَ به جيشَ المسلمينَ ، وناصَب بالحربِ صلاحَ الدِّينِ ، فمَنَّ اللَّهُ سبحانَه وله الحمدُ بالنصرةِ عليه ، وتقدَّمتِ الجيوشُ برُمَّتِها إليه ، فقتَلُوا مِن الكَفرةِ خلقًا كثيرًا وجَمًّا غفيرًا ، وهجَمُوا مرَّةً على المُخَيَّمِ بغْتةً فنهَبُوا شيئًا كثيرًا مِن الأمتعةِ ، فنهَض إليهم الملكُ العادلُ

(١) الروضتين ٢/ ١٦١.

أبو بكرٍ – وكان رأسَ المَيْمَنَةِ – فركِبَ بأصْحابِه ، وأمهَل الفِرنْجَ حتى توغَّلُوا بينَ الخيامِ ، ثم حمَل عليهم بالرماحِ والحُسامِ ، فتهاربوا بينَ يدَيْه ، فما زال يَقْتُلُ منهم جماعةً بعدَ جماعةٍ ، وفِرقةً بعدَ فرقةٍ ، حتى كَسَى وجْهَ الأرضِ منهم حُلَلًا أزْهَى مِن الرِّياضِ الباسمةِ ، وحُزِرَ ما قُتِل منهم ، فأقلُّ ما قِيلَ خمسةُ آلافٍ ، وزعَم العمادُ وغيرُه أنَّه قتَل منهم فيما بينَ الظهرِ إلى العصرِ عشَرةَ آلافٍ ، ولِلَّهِ الحمدُ ، هذا وطرَفُ المَيْسرَةِ [٣٠٣/٩و] لم يشعُرْ بما جرَى ، بل هم نائمون وقتَ القيلولةِ في خيامِهم وكثيرٌ منهم ما دَرَى .

وكان الذينَ ساقُوا وراءَهم وأسَروهم أقلَّ مِن الألفِ ، وإنَّما قُتِل مِن المسلمينَ عشَرةٌ أو دُونَهم ، وهذه نعمةٌ عظيمةٌ ، ونُصرةٌ عميمةٌ ، وقد أوْهَنَ هذا جيشَ الفِرنجِ وأضْعَفه ، وكادُوا يطْلبُونَ الصُّلحَ وينصَرِفُونَ عن البلدِ ، فاتفقَ قدومُ مددٍ إليهم مِن البحرِ مع ملكٍ يقالُ له : كندهرى – لعَنه اللَّهُ – ومعه أموالٌ كثيرةٌ ، فأنفَقَ عليهم وغرِمَ عليهم وأمَرهم أنْ يبرزُوا معه للقاءِ السلطانِ صلاحِ الدينِ ، ونصَبَ على عَكَّا منْجَنيقَيْنِ ، غرِمَ على كلِّ واحدٍ منْهما ألفًا وخَمْسَمائةِ دينارٍ ، فأحْرَقهما أهلُ البلَدِ ، وجاءتْ كتُبُ صاحِبِ الرومِ مِنَ القُسْطَنْطِينِيَّةِ يعتذرُ إلى صلاحِ الدِّينِ مِن جهةِ ملكِ الألْمانِ ، وأنَّه لم يُجاوِزْ مُلكَه ولا بلَدَه باخْتِيارِه ، وأنَّه تجاوَزَه لكثْرَةِ جُنودِه ، ولذلك بشَّر السُّلْطانَ أنَّ اللَّهَ سيُهلِكُهم فى كلِّ مكانٍ ، وكذلك وقَع ، ولِلَّهِ الحمدُ القديمِ الإحسانِ ، وأرسَل إلى السلطانِ يقولُ له : إنِّى سأُقِيمُ عندى للمسلمين جمعةً وخطيبًا ، فأرسَل السلطانُ مع رسُولِه خَطِيبًا ومنْبَرًا ، فكان يومُ دخُولِهم إليهم يومًا مشْهُودًا ، ومشْهَدًا محمودًا ، فأُقيمَتِ الخطبةُ ودَعا للخليفةِ العباسِيِّ ، واجتمَع فيها مَن هناك مِن المسلمينَ والتجارِ والمُسافرِينَ ، ولِلَّهِ الحمدُ ربِّ العالمينَ .

فصل

وكتَبَ مُتَوَلِّى عَكًّا مِن جهةِ السلْطانِ صلاحِ الدينِ ؛ وهو الأميرُ بهاءُ الدينِ قَراقُوشُ - فى العَشرِ الأُوَلِ مِن شعبانَ - إلى السلطانِ : إنَّه لم يَبْقَ عندَهم فى المدينةِ مِنَ الأقْواتِ إلَّا ما يُبَلِّغُهم إلى ليلةِ النصفِ مِن شعبانَ . فلمَّا وصَلَ الكتابُ إلى السلْطانِ أسَرَّها يُوسُفُ فى نفْسِه ولم يُبْدِها لأحدٍ ؛ خوفًا مِن شيوعِ ذلك فيبلُغُ العدُوَّ فيَقْوُوا على المسلمينَ ، وتضعُفَ القلوبُ ، وكان قد كتَب إلى أميرِ الأسطولِ بالديارِ المصريَّةِ أنْ يقدَمَ بالمِيرَةِ إلى عَكًّا ، فتأخَّرَ سَيْرُه ، ثم وصَلَتْ ثلاثُ بُطُسٍ ليلةَ النصفِ ، فيها مِن المِيرَةِ ما يكْفِى أهلَ البلدِ طولَ الشتاءِ ، وهى فى صُحْبَةِ الأميرِ الحاجِبِ لؤلؤٍ ، فلمَّا أشرفَتْ على البلدِ نهَضَ إليها أسطولُ الفِرنجِ ليحُولَ بينَها وبينَ البلدِ ، ويتْلِفَ ما فيها ، فاقْتَتَلُوا فى البحرِ قتالًا عظيمًا ، والمسلمون فى البَرِّ يبتَهِلُونَ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ فى سلامَتِها ، والفِرنجُ تصْرُخُ أيضًا بَرًّا وبحرًا ، وقد ارْتفَعَ الضجيجُ ، فنصَرَ اللَّهُ المسلمينَ وسلَّم مراكِبَهم ، وطابَتِ الرِّيحُ للبُطُسِ ، فسارَتْ فاخْترَقت[1] المراكِبَ الفِرنجيَّةَ المحيطَةَ بالميناءِ ، ودخَلَتِ البلدَ سالمةً ، ففرِحَ بها أهلُ البلدِ والجيشُ فرَحًا شديدًا ، وللَّهِ الحمدُ .

وكان السلطانُ قد جَهَّزَ قبلَ هذه الثلاثِ بُطُسِ المصرياتِ [٣٠٣/٩ظ] بُطْسةً عظيمةً مِن بَيْرُوتَ ، فيها أرْبَعُمِائَةِ غِرارَةٍ ، وشىءٌ كثيرٌ مِن الجُبْنِ والبصَلِ والشحْمِ والقَدِيدِ والنُّشَّابِ والنِّفْطِ ، وكانت هذه البُطسةُ مِن بُطُسِ الفِرنجِ المغنومَةِ ، وأمَرَ

---

(١) فى الأصل ، م : « فأحرقت » .

مَن فيها مِن البَحّارةِ أن يتزَيَّوا بزِىِّ الفِرنجِ حتى إنَّهم حلَقُوا لِحَاهم ، وشدُّوا الزَّنانِيرَ ، واسْتَصْحَبُوا معهم فى البُطْسةِ شيئًا مِنَ الخَنازِيرِ ، وقدِمُوا بها على مراكبِ الفِرنجِ ، فاعْتَقَدُوا أنَّهم منهم ، وهى سائرةٌ كأنَّها السَّهْمُ إذا خرَج مِن الرَّمِيَّةِ ، فحذَّرَهم الفِرنجُ غائلةَ الميناءِ مِن ناحيةِ المسلمين ، فاعْتذَروا بأنَّهم مغْلُوبونَ معها ، والريحُ قويَّةٌ لا يمكِنُهم أن يقفوا ولا ينصَرِفوا ، وما زالُوا كذلك حتى ولَجُوا الميناءَ ، وأفْرَغُوا ما كان معهم مِنَ المِيرَةِ ، والحربُ خُدْعَةٌ ، فعبرَتِ الميناءَ وعينُ الكفرِ عبْرَى ؛ فامتلأَ الثغْرُ بها خيْرًا وسرورًا وأثْرَى ، وكانت مؤنتَهم إلى أنْ قدِمَتْ عليهم تلك البُطُسُ الثلاثُ المصريَّةُ . وكان ميناءُ البلدِ يكْتَنِفُها بُرْجانِ ، يقالُ لأحَدِهما : بُرْجُ الذبّانِ[1] ، فاتخَذَ الفِرنجُ بُطسَةً عظيمةً لها خُرطومٌ وفيه حرَكاتٌ[2] إذا أرادُوا أنْ يضَعُوه على شىءٍ مِن الأسْوارِ والأبْرجةِ قلَبُوه فوصَلَ إلى ما أرادُوا ، فعَظُمَ أمرُ هذه البُطْسةِ على المسلميـنَ ، ولم يزالُوا فى أمْرِها مُحتالِيـنَ ، حتى أرسَلَ اللَّهُ عليها شُواظًا مِن نارٍ فأحْرقَها وأغْرَقَها ، وذلكَ أنَّ الفِرنجَ أعدُّوا فيها نِفْطًا كثيرًا وحَطبًا جَزْلًا[3] ، وأُخْرَى خلْفَها فيها حطَبٌ مَحْضٌ ، حتى إذا أرادَ المسلمونَ المحاجنةَ على الميناءِ بمراكِبِهم أرسَلُوا النِّفطَ على بُطْسةِ الحطَبِ فاحْترقَتْ وهى سائرةٌ بيـنَ بُطُسِ المسلميـنَ فتحرِقُها ، وكان فى بُطْسةٍ أخْرَى لهم مُقاتِلَةٌ[4] تحتَ قَبْوٍ قد أحْكَمُوه فيها ، فلمَّا أرسَلُوا النِّفْطَ على بُرْجِ الذبّانِ انْعكَسَ الأمرُ عليهم بقُدْرَةِ اللَّهِ تعالى ، وذلك لشِدَّةِ الهواءِ تلك الليلةَ ، فما تعدَّتِ النارُ بُطْسَتَهم فاحْترقَتْ ، وتعدَّى الحريقُ إلى الأُخْرَى فغرِقَتْ ، ووصَلَ إلى بُطْسةِ المُقاتِلَةِ

---

(١) فى م : « الديان » .

(٢) فى م : « محركات » .

(٣) الجزل : ما عظم من الحطب وييس .

(٤) فى الأصل ، ص : « مقابلة » .

فتَلِفَتْ ، وهلَكت بمَن فيها ، فأشْبَهُوا مَن سلَف مِن الكافِرينَ ، كما قال تعالى في كتابِه المبينِ : ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحشر : ٢] .

فصلٌ

وفي ثالثِ رمضانَ اشتدَّ حِصارُ الفِرنجِ للبلدِ حتى نزَلُوا إلى الخَنْدَقِ[1] ، فبرَزَ إليهم أهلُ البلدِ فقتَلُوا منهم خلْقًا كثيرًا ، وتمكَّنُوا مِن حَريقِ الكبشِ[2] الذى اتخَذوه لحصارِ الأسْوارِ ، وسرَى حرِيقُه إلى السُّفورِ[3] وارتفعتْ له لهَبَةٌ عظيمةٌ في عَنانِ السماءِ ، ثم اجْتذَبَه المسلمونَ إليهم بكَلالِيبَ مِن حديدٍ في سلاسِلَ ، فحصَّلوه عندَهم وألْقَوا عليه الماءَ البارِدَ [٩/٣٠٤و] فبرَدَ بعدَ أيامٍ ، فكانَ فيه مِنَ الحديدِ مِائَةُ قِنْطارٍ بالدمَشْقِيِّ ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وكان مع السلطانِ في الثامِنِ والعِشْرِينَ مِن رمضانَ الملكُ زَيْنُ الدينِ صاحبُ إرْبِلَ فتوفِّي في عَكَّا ، فتأسَّفَ الناسُ عليه لشبابِه وغرْبَتِه وجودَتِه ، وعُزِّى أخوه مُظَفَّرُ الدينِ فيه ، وهو الذى قام بالملكِ مِن بعدِه ، وسأَلَ مِن السلطانِ صلاحِ الدينِ أنْ يُضِيفَ إليه شَهْرُزُورَ ويترُكَ حَرَّانَ والرُّهَا وسُمَيْساطَ وغيرَها ، وتحمَّلَ مع ذلك خمسينَ ألفَ دينارٍ نقْدًا ، فأُجِيبَ إلى ذلك ، وكتَبَ له تقْلِيدًا ، وعقَدَ له لواءً ، وأُضيفَ ما ترَكَه إلى الملكِ المظفَّرِ تقيِّ الدينِ عمرَ ابنِ أخى السلْطانِ صلاحِ الدينِ .

---

(١) الروضتين ٢/ ١٦٣، ١٦٤.

(٢) فى الأصل : « المكبس » ، وفى م ، ص : « الكيس » . والمثبت من الروضتين ٢/ ١٦٣.

(٣) فى م : « السقوف » .

فصــلٌ

وكان القاضى الفاضِلُ بالديارِ المصريَّةِ يُدَبِّرُ الممالِكَ بها ، ويجهِّزُ إلى السلْطانِ ما يحْتاجُ إليه منها مِن الأمْوالِ والنفَقاتِ ، وعمَلِ الأسْطُولِ ، وما يحتاجُ إليه فيه مِن محصولٍ ، والكتُبُ السلْطانيَّةُ وارِدةٌ إليه فى كلِّ حينٍ ، ويسْتَشِيرُه فيما يُصلِحُ به أمورَ المسلمين ، وكذلك الكتبُ الفاضِلَةُ قادِمةٌ على السلطانِ فى كلِّ أوانٍ ؛ فمِن ذلك كتابٌ يذكُرُ فيه أنَّ سببَ هذا التطْويلِ فى الحصارِ إنَّما هو بسببِ كثرةِ الذُّنوبِ ، وارْتِكَابِ المحارمِ مِن الناسِ ، ويقولُ فى بعضِها[1] : إنَّ اللَّهَ لا يُنَالُ ما عندَه إلَّا بطاعتِه ، ولا يُفرِّجُ الشدائدَ إلَّا بالرجوعِ إليه ، [2]والامتثالِ لشريعتِه[2] والمعاصِى فى كلِّ مكانٍ باديةٌ ، والمظالمُ فى كلِّ موضعٍ فاشِيَةٌ ، وقد طلَع إلى اللَّهِ تعالى منها ما لا يتوَقَّعُ بعدَها إلَّا ما يُسْتعاذُ منه . وفيه أنَّه قد بلَغه أنَّ بَيْتَ المَقْدِسِ قد ظهَر فيه مِن المُنْكَراتِ والفواحِشِ والظلمِ فى بلادِه ما لا يمْكِنُ تَلافِيه إلَّا بكُلْفَةٍ كثيرةٍ .

ومِن ذلك كتابٌ يقولُ فيه[3] : إنَّما أُتِينا مِن قِبَلِ أنفُسِنا ، ولو صدَقْناه لعجَّلَ لنا عواقِبَ صِدْقِنا ، ولو أطَعْناه لَمَا عاقَبَنا بعدُوِّنا ، ولو فعَلْنا ما نقْدِرُ عليه مِن أمْرِه لفعَل لَنا ما لا نقدِرُ عليه إلَّا به ، فلا يستخصِمْ أحدٌ إلَّا عملَه ولا يلُمْ إلّا نفسَه ، ولا يَرْجُ إلَّا ربَّه ، ولا تُنتَظَرُ[4] العساكرُ [5]أن تكثُرَ ولا الأموالُ أن تُحصَرَ[5] ، ولا

---

(1) الروضتين ٢/ ١٦٦.

(٢ - ٢) فى م : « وامتثال أمره فكيف لا يطول الحصار » .

(3) الروضتين ٢/ ١٦٧.

(4) فى م : « يغتر بكثرة » .

(٥ - ٥) فى م : « والأعوان » .

فُلانٌ الذى يُعتَمَدُ عليه أنْ يُقاتِلَ ، ولا فُلانٌ الذى يُنتظَرُ أن يسيرَ ، فكلُّ هذه مشاغِلُ عن اللَّهِ ليس النصرُ بها[1] ، ولا نأمَنُ أنْ يَكِلَنا اللَّهُ إليها ، والنصرُ به واللطْفُ منه ، والعادةُ الجميلةُ له ، ونستغْفِرُ اللَّهَ تعالَى مِن ذُنوبِنا، فلوْلا أنها تسدُّ طريقَ دُعائِنا لَكان جوابُ دُعائِنا قد نزَل ، وفيضُ دُموعِ الخاشِعينَ قد غسَل ، [٩/٣٠٤ظ] ولكِن فى الطَّريقِ عائقٌ ؛ خارَ اللَّهُ لمؤْلانَا فى القَضاءِ السابِقِ واللَّاحِقِ .

وفى كتابٍ آخرَ يتألَّمُ فيه لِمَا عندَ السلْطانِ مِن الضَّعفِ فى جِسْمِه بسببِ ما حمَلَ على قلْبِه ممَّا هو فيه مِن الشدائدِ - أثابَه اللَّهُ تعالى - يقول فيه[2] : وما فى نفْسِ المملُوكِ شائنَةٌ إلَّا بقيَّةُ هذا الضَّعْفِ الذى بجِسْمِ مؤْلانَا فإنَّه بقلُوبِنا ، ونفْدِيه بأسْماعِنا وأبْصارِنا .

بنا معْشَرَ الخدَّامِ ما بِكَ مِن أذًى ... وإنْ أشْفَقُوا ممَّا أقولُ فَبِى وحْدِى

وقد أوْرَد الشيخُ شِهَابُ الدينِ صاحبُ « الروضتَيْنِ »[3] هاهُنا كتُبًا عِدَّةً مِن الفاضلِ إلى السلطانِ ، فيها فَصاحةٌ وبلاغةٌ ومواعِظُ وتحْضِيضٌ على الجهادِ ، يعجِزُ عن مثلِها شجعانٌ ، وهى جديرةٌ أن تُكتَبَ بماءِ الذهَبِ على قلائدِ العِقْيانِ[4] ، فرحِمه اللَّهُ مِن إنسانٍ ما كان أفْصحَه ، ومِن وزيرٍ ما كان أنْصَحَه ، ومِن عقْلٍ ما كان أرْجَحَه .

---

(١) بعده فى م : « وإنما النصر من عند اللَّه » .
(٢) الروضتين ٢/ ١٦٧.
(٣) المصدر السابق ١٦٥/٢ - ١٧٠.
(٤) العقيان : الذهب الخالص .

فصلٌ

وكتَبَ القاضى الفاضلُ كتابًا (1) بليغًا عن (1) السلْطانِ إلى ملكِ الغربِ أميرِ المسلمينَ، وسلْطانِ جيشِ المُوَحِّدينَ؛ يعقوبَ بنِ يُوسُفَ بنِ عبدِ المؤمنِ، يسْتَنجدُ به فى إرْسالِ مراكِبَ فى البحرِ تكونُ عوْنًا للمسلمينَ على المراكبِ الإفرَنجيَّةِ؛ فمنه عِبارةٌ عظيمةٌ طويلةٌ فصيحَةٌ بليغةٌ مليحَةٌ، حكَاها الشيخُ شهابُ الدينِ بطُولِها وحُسْنِها (2). وبعَثَ السلْطانُ صلاحُ الدينِ مع (3) ذلك بهدِيَّةٍ (3) سَنِيَّةٍ مِن التُّحفِ والأَلْطافِ، وذلك كلُّه صُحْبةَ الأميرِ الكبيرِ شمسِ الدينِ أبى الحَزْمِ عبدِ الرحمنِ بنِ مُنْقِذٍ، وكان ابتداءُ سيرِه فى البحرِ فى ثامنِ ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنةِ، فدخَلَ على سلطانِ المغربِ فى العِشْرينَ مِن ذى الحجَّةِ، فأقامَ عندَه إلى عاشُوراءَ فى المحرمِ مِن سَنَةِ ثمانٍ وثمانينَ، ولم يُفِدْ هذا الإرسالُ شيئًا؛ لأَنَّ السلطانَ تغَضَّبَ إذ لم يُلَقَّبْ بأميرِ المؤمنينَ، وكانتْ إشارَةُ القاضى الفاضِلِ إلى عدَمِ الإرْسالِ إليه والتَّعويلِ عليه، ولكِن وقَعَ ما وقَعَ بمشيئةِ اللَّهِ تعالى.

فصلٌ

وفى هذه السنةِ (4) حصَلَ للسلطانِ سوءُ مِزاجٍ مِن كثرةِ ما يكابِدُه مِن الأمورِ؛ التى هى أمرٌّ مِن الأُجاجِ، فطمِعَ العدُوُّ المخْذُولُ - لعَنهم اللَّهُ - فى الإسْلامِ،

(1 - 1) فى م: «على لسان».

(2) الروضتين 2/ 170، 171.

(3 - 3) فى م: «الكتاب».

(4) الروضتين 2/ 180، والنوادر السلطانية ص 148.

فتجَرَّدَ جماعةٌ منهم للقتالِ ، وثبتَ آخرونَ على الحصارِ ، وأقْبَلوا فى عدَدٍ كثيرٍ وعُدَدٍ ، فرَتَّبَ السلطانُ الجيوشَ ميمَنةً وميْسَرةً ، وقلْبًا وجَناحَيْنِ ، فلمَّا رأوا ما عايَنوه مِن الجيشِ الكثيفِ فرُّوا مِن موقفِ الحربِ ، وعادوا عن حومةِ الوغَى ؛ فقُتِل منهم خلقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غَفِيرٌ ، وللَّهِ الحمدُ .

فصلٌ

ولمَّا دخَل فصلُ الشتاءِ وانْشَمَرَتْ مراكِبُ الإفرنجِ عنِ البلدِ خوْفًا مِن [٩/٣٠٥و] الهلاكِ بسببِ اغْتلامِ البحرِ ؛ سأَلَ مَن فى البلدةِ مِن المسلمينَ مِن السلْطانِ أن يُريحَهم ممّا هم فيه مِن الحَصْرِ العظيمِ ، والمقاتلةِ ليلًا ونهارًا ، صباحًا ومساءً ، سرًّا وجهرًا ، وأنْ يُرسِلَ إلى البلدِ بدَلَهم ؛ فرَقَّ لهم السلْطانُ ، وعزَمَ على ذلك ، وكانوا قريبًا مِن عشْرينَ ألفَ مسلمٍ ما بينَ أميرٍ ومأمُورٍ ، فجهَّز جيْشًا آخرَ غيرَهم ، ولم يكُنْ ذلك برأيٍ جيدٍ ، ولكِنْ ما قصَد السلْطانُ إلَّا خيْرًا ، وأنَّ هؤلاءِ يدْخلُونَ البلدَ وهم جددُ الهِمَمِ ، ولهم عزْمٌ قوىٌّ ، وهم فى راحَةٍ بالنسْبَةِ إلى أولئك ، ولكِنْ أولئِك كانتْ لهم خِبْرَةٌ بالبلَدِ وبالقِتالِ ، وكان لهم صَبْرٌ عظيمٌ ، (١) وقد تمرَّنوا على ما هم فيه مِن المصابَرةِ للأعداءِ برًّا وبحرًا ، وجُهِّزت لهؤلاءِ الداخلينَ سبعُ بُطَسٍ فيها (١) مِيرَةٌ تكفِيهم سنةً كاملةً ، فقَدَّرَ اللَّهُ تعالى - وله الأمرُ مِن قبلُ ومِن بعدُ - أنَّها لمَّا توسَّطَتِ البحرَ واقْتَربتْ مِن الميناءِ هاجَتْ رِيحٌ عظيمةٌ فى البحرِ ، فتلَعَّبَت بتلك البُطُسِ على عِظَمِها فاخْتَبطَتْ واضْطَربَتْ وتصادَمَتْ

(١ - ١) فى م : « وجلد وقد تمونوا فيها مؤنة تكفيهم سنة ، فانمحقت بسبب ذلك وقدم بطش من مصر فيه » .

فتكسَّرَتْ وغرِقَتْ ، وغرِقَ ما كان فيها مِن المِيرَةِ ، وهلَك مَن كان فيها مِن البحّارَةِ ؛ فدخَلَ بسبَبِ ذلك وَهَنٌ عظيمٌ على المسلميـنَ ، واشتدَّ الأمرُ جدًّا ، ومرِضَ السلْطانُ وازْدادَ مرَضًا إلى مرَضِه - عافاه اللَّهُ - وكان ذلك عَوْنًا للعدُوِّ المخذُولِ على أخْذِ البلَدِ ، ولا قُوَّةَ إلَّا باللَّه ، وذلك في ذِى الحِجَّةِ مِن هذه السنَةِ ، وكان المقدَّمَ على الدَّاخِليـنَ إلى عَكَّا الأميرُ سَيْفُ الدينِ علىُّ بنُ أحمدَ بنِ المشطوبِ ، أيَّده اللَّهُ .

وفى اليومِ السابعِ مِن ذى الحِجَّةِ سقَطَتْ ثُلْمَةٌ عظيمةٌ مِن سُورِ عَكَّا ، فبادَر الفِرنْجُ إليها فسبَقَهم المسلمونَ إلى سدِّها بصُدورِهم ، وقاتلُوا عنها بنُحورِهم ، وما زالُوا يمانِعُونَ عنها حتى بَنَوْها أشدَّ ممَّا كانت ، وأقْوَى وأحسنَ وأبهَى .

ووقَعَ فى هذه السنَةِ وَباءٌ عظيمٌ فى الجيشين المسلمِ والكافرِ ، فكانَ السلطانُ يقولُ فى ذلك[1] :

اقْتـلُونِـى ومـالِكًـا واقتلُوا مالِكًا معِى

واتفقَ موتُ ابنِ ملكِ الألْمانِ فى ثانى ذى الحجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وجماعةٍ مِن كُبَراءِ الكُندهريَّةِ ، وساداتِ الفِرنْجِ - لعنَهم اللَّهُ - فحزِنَ الفرنْجُ على ابنِ مَلِكِ الألْمانِ حُزْنًا عظيمًا وأوْقَدُوا نارًا عظيمةً فى كلِّ خَيْمَةٍ ، وصارَ فى كلِّ يومٍ يهْلِكُ مِن الفرنجِ المائَةُ والمائَتانِ ، واسْتَأمنَ إلى السلْطانِ جماعةٌ منهم مِن شدَّةِ ما هم فيه مِنَ الجوعِ والضيقِ والحصْرِ ، وأسْلَمَ خلقٌ كثيرٌ منهم ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وفى هذا الشهرِ قدِمَ القاضى الفاضِلُ مِن الديارِ المصريةِ على السلطانِ ، وكان

(١) تقدم فى ١٠/ ٤٦٧.

قد طالَ شوقُ كلِّ واحدٍ منهما إلى صاحبِه ، فأفْضَى كلٌّ واحدٍ منهما إلى الآخرِ ما كان يُسِرُّه ويكتُمُه مِنَ الآراءِ التى فيها مصالِحُ المسلمينَ ، [٩/ ٣٠٥ظ] وقدِم وزيرُ الصدقِ على السلطانِ الموفَّقِ والأميرِ المؤيَّدِ ، رحِمهما اللَّهُ تعالى .

وممَّن تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ :

مَلِكُ الألْمانِ(١) الذى أقبل فى مائتى ألفِ مُقَاتِلٍ ، ويُقَالُ : فى ثلاثِمائةِ ألفِ مقاتلٍ . مِن أقصى بلادِه ، فاجتاز بالقسطنطينيةِ وما بعدَها مِن البُلْدانِ ؛ يريدُ انتزاعَ بلادِ الشامِ بكمالِها مِن أيدِى المسلمينَ ، انتصارًا - فى زعْمِه - لبيتِ المقدِسِ الذى استَنْقَذه الملكُ صلاحُ الدينِ مِن أيدِى المشركينَ ، فلم يزَلْ اللَّعينُ يتناقَصُ جيشُه ويتَفانَوا فى كلِّ موطنٍ وموضِعٍ ، وقدَّر اللَّهُ هلاكَه بالغَرقِ كما أُهلِك فرعونُ ، لعنهما اللَّهُ تعالى ، وذلك أنَّه نزَل يسْبَحُ فى بعضِ الأنهارِ فاحتمله الماءُ قسْرًا فألجأَه إلى جِذْعِ شجَرةٍ هناك فشُدِخت رأسُه ومات مِن ساعتِه - لعنه اللَّهُ - فملَّك الألمانُ عليهم ابنَه الأصغرَ ، وأقبل بمَن بقِى منهم وأمرُه قد تقهقَر ، والمقصودُ أنهم وصَلوا إلى إخوانِهم بعكَّا فى خمسةِ آلافِ مُقَاتِلٍ ، وقيل : فى ألفِ مُقاتلٍ . وكان المسلمون قد حمَلُوا مِن قُدُومِهم همًّا عظيمًا ، وخافوا خوفًا شديدًا فكفَى اللَّهُ المؤمنين القتالَ ، وكان اللَّهُ قويًّا عزيزًا . ثم تُوفِّى ابنُه فى أواخِرِ هذه السنةِ ، ولِلَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

محمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ(٢) ، أبو حامدٍ قاضى القُضاةِ بالمَوْصِلِ ، مُحْيِى

---

(١) مرآة الزمان ٨/١/٤٠٣، والكامل ١٢/ ٤٩، نهاية الأرب ٢٨/ ٤٢٢، والنوادر السلطانية ص ١٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٦٧.

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٣٢٩، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٤٦، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٢٥٠، والوافى بالوفيات ١/ ٢١٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٨٥.

الدينِ[1] ابنُ قاضى القضاةِ كمالِ الدينِ الشَّهْرَزُورِىُّ الشافِعِىُّ ، أَثْنَى عليه العمادُ الكاتِبُ ، وأنشدَ له مِن شعرِه قولَه[2] :

قامَتْ بِإثْباتِ الصِّفاتِ أدِلَّةٌ   قَصَمَتْ ظُهورَ أئمَّةِ التعْطِيلِ
وطلائعُ التَّنْزيهِ لمَّا أقْبلَتْ   هزمَتْ ذَوِى التَّشْبِيهِ والتمثيلِ
فالحقُّ ما صِرْنَا إليهِ جميعُنا   بأدِلَّةِ الأخْبارِ والتنْزِيلِ
مَنْ لم يكنْ بالشرعِ مقتديًا فقد   ألقاهُ فَرْطُ الجهلِ فى التضليلِ

(١) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر الترجمة .
(٢) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٣٣٤.

ثم دخلت سنةُ سبعٍ وثمانِيـنَ وخمسِمائةٍ[1]

فيها قدِمَ مَلِكُ الإفْرَنسيسِ ومَلِكُ إنكِلْتِرَا، وغيرُهما مِن ملُوكِ البحرِ على الفِرنْجِ إلى عَكَّا، وتمالئوا على عَكَّا فى هذه السنَةِ، كما سيأْتى تفْصِيلُه، وقدِ اسْتَهَلَّتْ والحصارُ على عَكَّا على حالِه مِنَ الجانِبَيْنِ، وقد اسْتُكْمِلَ دخولُ البدَلِ إلى البلَدِ، والملكُ العادِلُ مُخَيِّمٌ إلى جانبِ البحرِ؛ ليتكامَل دخُولُهم ودخولُ مِيرَتِهم، لطَف اللّٰهُ بِهم، وفى ليلةِ مُسْتَهَلِّ ربيعِ الأوَّلِ خرَج المسلمون مِن عَكَّا فهجَمُوا على مُخَيَّمِ الفِرنْجِ فقتَلُوا منهم خلقًا كثيرًا، ونهبُوا شيئًا كثيرًا، وسَبَوْا اثنتى عشرةَ امْرأةً، وانكَسَر مركبٌ عظيمٌ للفِرنْجِ فغرِقَ فيه خلْقٌ [٣٠٦/٩و] منهم وأُسِرَ باقِيهم، وأغار صاحِبُ حِمْصَ أسدُ الدينِ شِيركوه بنُ ناصرِ الدِّينِ محمدِ ابنِ شِيركوه على سَرْحِ الفِرنْجِ بأراضِى طَرَابُلُسَ، فاستاق منهم شيئًا كثيرًا مِن الخُيولِ والأبْقارِ والأغْنامِ، وظفِر اليَزَكُ[2] بخلقٍ كثيرٍ مِن الفِرنْجِ فقتَلُوهم، ولم يُقْتَلْ مِن المسلمين سوى طَوَاشىٍّ صغيرٍ عثَر به فرسُه. وفى ثانى عشَرَ ربيعِ الأوَّلِ وصَل إلى الفِرنْجِ مَلِكُ إفْرَنسيسَ فليبُ فى ستِّ بُطُسٍ ملْعُونَةٍ مشحُونَةٍ بعبَدَةِ الصليبِ، وحينَ وصَل إليهم وقدِمَ عليهم لم يَبْقَ لأحدٍ مِن ملُوكِهم معه كلامٌ ولا حُكْمٌ، لعظَمَتِه عندَهم، وقدِمَ معه بازٌ عظيمٌ أبْيَضُ، وهو البازُ الأشْهَبُ الهَائلُ، فطار مِن يَدِه فسقَط على سُورِ عَكَّا فأمسَكه أهلُها وبعَثوا به إلى

---

(١) الكامل ١٢/٦٣، والروضتين ٢/ ١٨٢.

(٢) اليَزَكُ: فارسيته يَزَك أى مقدمة الجيش، وتطلق أيضا على الحارس والجاسوس. الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٦٠.

السلطانِ ، فبذَل الفِرنْجُ فيه ألفَ دينارٍ فلم يُجَابُوا ، وقدِمَ بعدَه كُنْدِفْريزُ وهو مِن أكابرِ ملُوكِهم أيضًا ، ووصَلت سفنُ ملكِ الإنكلتيرِ ، ولم يجئْ هو لاشتغالِه بجزيرةِ قُبْرُسَ وأخذِها مِن يدِ صاحبِها ، وتواصلت ملوكُ الإسْلام مِن بُلْدانِها فى أوَّلِ فصلِ الربيعِ ، إلى خدمةِ السلطانِ الناصرِ صلاحِ الدينِ .

قال العمادُ[1] : وقد كان للمسلمين لصوصٌ يدخلُون إلى خيامِ الفِرنْجِ ، فيَسْرِقون ، حتى إنَّهم يسرِقُونَ الرجالَ ، فاتفقَ أنَّ بعْضَهم أخذَ صَبيًّا رضِيعًا مِن مَهْدِه ؛ ابنَ ثلاثَةِ أشهرٍ ، فوَجَدَتْ عليه أمُّه وجْدًا عظيمًا ، واشْتكَتْ إلى ملُوكِهم ، فقالُوا لها : إنَّ سُلْطانَ المسلميـنَ رحيمُ القَلْبِ ، وقد أذِنَّا لكِ أنْ تذْهَبِى إليه ، فتَشْتَكِى أمرَكِ إليه . قال العمادُ : فجاءتْ إلى السلْطانِ وأنا واقفٌ معه ، فبكَت بكاءً شديدًا ، وجعلت تُمرِّغُ وجهَها على الأرضِ ، فسألها عن أمرِها فأَنْهَتْ إليه حالَها ، فرَقَّ لها رِقَّةً شديدةً حتى دمَعتْ عيْنُه ، فأمَر بإحْضارِ ولَدِها ، فإذا هو بِيعَ فى السُّوقِ ، فرسَمَ بدَفْعِ ثمنِه إلى المُشْتَرِى ، ولم يزَلْ واقِفًا حتى جِىءَ بالغُلامِ ، فأخَذتْه أمُّه وأرْضَعتْه ساعةً وهى تبْكِى مِن شدَّةِ فرَحِها وشوْقِها إليه ، ثم أمَر بحَمْلِها إلى قوْمِها على فرسٍ مُكَرَّمَةً ، رحِمه اللَّهُ وبلَّ بالرَّأْفةِ ثراه .

فصــلٌ فى كَيْفِيَّةِ أخْذِ العدُوّ المخذُولِ مدينةَ عكّا مِن يَدِ السلْطانِ قَسْرًا[1]

لمَّا كانَ شهرُ جُمادَى الأولى اشتدَّ حِصارُ الفِرنْجِ - لعنَهم اللَّهُ - لعَكّا ، وتمالئوا عليها مِن كلِّ فجٍّ عميقٍ ، وقدِمَ عليهم ملكُ الإنْكلتيرِ فى جَمٍّ غفيرٍ ،

---

(١) الروضتين ٢/ ١٨٤.

وجمعٍ كثيرٍ ، فى خمسٍ وعِشْرِينَ قطعةً مشْحونةً بالمُقاتِلةِ ، وابْتُلِىَ أهلُ الثَّغْرِ منه بيلاءٍ لا يشْبِهُ ما قبلَه ، فعندَ ذلك حُرِّكتِ الكُوسَاتُ[1] فى البلَدِ ، وكانتْ علامةَ ما بيْنَهم وبينَ السلْطانِ ، فحرَّكَ السلطانُ كُوسَاتِه ، واقترب مِن البلدِ ، وتحوَّلَ إلى قريبٍ منهم ، يشْغَلُهم عنِ البلدِ ، وقد أحاطُوا به مِن كلِّ مكانٍ ، [٣٠٦/٩ظ] ونصَبُوا عليه سبْعَةَ مجانيقَ ، وهى تَضْرِبُ فى البلدِ ليلًا ونهارًا ، ولا سِيَّما على بُرْجِ عينِ البقرِ ، حتى أثَّرتْ به أثرًا بيِّنًا ، وشرَعُوا فى رَدْمِ الخندقِ بما أمْكنَهم مِن دَوابَّ ميتةٍ ، ومَن قُتِلَ منهم ، ومَن ماتَ أيضًا ، وقابَلهم أهلُ البلدِ ينقُلون ما ألْقَوه فيه إلى البحرِ . وظفِر ملكُ الإنْكلتيرِ ببُطْسةٍ عظيمةٍ للمسلمين قد أقبلَتْ مِن بَيْرُوتَ مشْحُونةٍ بالأمتعةِ والأسلحةِ فأخَذها ، وكان واقِفًا فى البحرِ فى أرْبَعِينَ مركبًا لا يتركُ شيئًا يصِلُ إلى البلدِ بالكُلِّيَّةِ ، لعَنه اللَّهُ ، وكان فيها سِتُّمائةٍ مِن المُقَاتِلةِ الصّناديدِ الأبْطالِ ، فهلَكُوا عن آخرِهم ، رحِمَهُم اللَّهُ أجمعين ، فإنّه لمّا أُحِيطَ بهم من الجوانبِ كلِّها ، وتحقَّقُوا إمَّا الغرقَ أوِ القتلَ ، خرَقُوا مِن جوانِبِها كلِّها فغرِقَتْ ، ولم يقْدِرِ الفِرنْجُ على أخذِ شىءٍ منها لا مِنَ المِيرَةِ ولا مِن الأسلحَةِ ، وحزِن المسلمون على هذا المُصابِ حُزْنًا عظيمًا ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ ، ولكِنْ جبَرَ اللَّهُ سبحانَه هذا البلاءَ بأنْ أحْرَق المسلمون فى هذا اليومِ للفِرنجِ دبَّابَةً كانت أرْبَعَ طَبقاتٍ ؛ الأُولَى مِنَ خشَبٍ ، والثانيةُ مِن رَصاصٍ ، والثالثةُ مِن حديدٍ ، والرابعةُ مِن نُحاسٍ ، وهى مشرِفَةٌ على السورِ والمُقاتِلَةُ فيها ، وقد قلِق أهلُ البلدِ منها بحيثُ حدَّثَتْهُم أنفُسُهم مِن خَوْفِهم مِن شرِّها بأن يطْلُبُوا الأمانَ مِن الفِرنجِ ، ويسلِّمُوا البلدَ ، ففرَّجَ اللَّهُ وأمْكنَهم مِن حَرِيقِها ، واتَّفقَ ذلك

---

(١) الكوسات : صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير يُدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص . صبح الأعشى ٤/ ٨٤.

فى هذا اليومِ الذى غرِقَتْ فيه البُطْسةُ المذْكُورَةُ ، فأرسَل أهلُ البلدِ إلى السلطانِ يشكُون كثرةَ الحِصارِ وقوَّتَه عليهم ، منذُ قدِم ملكُ الإنْكلتيرِ ، لعنَه اللَّهُ ، ومع هذا قد مرِض وجرِح ملكُ الإفْرَنْسِيسِ أيضًا ، ولا يزيدُهم ذلك إلَّا شدةً وغِلْظَةً وعُتُوًّا ، وفارقَهم المركيسُ ، وسار إلى بلدِه صُورَ ، خوفًا منهم أنْ يخرِجُوا مُلكَها مِن يدِه . وبعَث ملكُ الإنْكلتيرِ إلى السلْطانِ صلاحِ الدينِ يذْكرُ أنَّ عندَه جوارِحَ قد جاء بها مِن البحرِ ، وهو على نِيَّةِ إرْسالِها إليه ، ولكِنَّها قد ضَعُفَتْ وهو يطلُبُ لها دَجاجًا وطَيْرًا ؛ لتتقوّى به ، فعرَف أنَّه إنَّما يطلبُ ذلك لنَفْسِه بتَلَطُّفٍ ، فأرسَل إليه بشىءٍ مِن ذلك كَرمًا وسجيّةً وحشمةً ، ثم أرسل يطلبُ فاكِهَةً وثَلْجًا ، فأرسل إليه أيضًا ، فلم يُفِدْ معه الإحْسانُ ، بل لمَّا عُوفِىَ عادَ إلى شرٍّ ممَّا كانَ عليه ، واشتدَّ الحِصارُ ليلًا ونهارًا ، وأرسَل مَن بالبلدِ يقولُونَ : إن لم تعمَلُوا معنا شيئًا غدًا طَلبْنا مِنَ الفرنجِ الأمانَ . فشَقَّ ذلك على السلطانِ ؛ وذلك لأنَّه كان قد سيّر إليها أسلحةَ الشامِ والديارِ المِصْرِيَّةِ وسائرِ السواحلِ [٣٠٧/٩و] ، وما كان غَنِمَه مِن وَقْعَةِ حِطِّينَ ومِن بيتِ المقدسِ ، فهى مشْحُونَةٌ بذلك ، فعزَم السلْطانُ على مُهَاجمةِ العدُوِّ ، فلمَّا أصْبح ركِب فى جيْشِه ، فرأَى الفِرنْجَ قد ركِبُوا مِن وراءِ خنْدَقِهم ، والرَّجَّالَةُ منهم قد ضرَبُوا سُورًا حولَ الفرسانِ ، وهم قطعةٌ مِن حديدٍ صَمَّاءَ لا ينْفُذُها شىءٌ ، فأحجَم عنهم ؛ لِمَا يعلمُ مِن نكُولِ جيْشِه عمَّا يريدُه ، وتحْدُوه عليه شجاعتُه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

هذا وقد اشتدَّ الحِصارُ بالبلدِ جدًّا ، ودخلَتِ الرَّجَّالَةُ منهم إلى الخنْدَقِ ، وعلَّقُوا بدَنَةً من السورِ وحَشوْها وأحْرقُوها ، فسقطَت ، ودخلَتِ الفِرنْجُ إلى البلدِ ، فمانَعَهم المسلمون وقاتلُوهم أشدَّ القتالِ ، وقتَلُوا مِن رءوسِهم ستَّةَ أنفُسٍ ، فاشتدَّ حَنَقُ الفِرنْجِ عليهم جدًّا بسببَِ ذلك ، وجاء الليلُ فحال بينَ الفريقَيْنِ ، فلمَّا

أصبَح الصباحُ خرَج أميرُ المسلمين بالبَلدِ سيفُ الدينِ المشْطُوبُ ، فاجتَمع بملكِ الإفْرَنسيسِ وطلبَ منه الأمانَ على أنفسِهم ، ويتسلَّمُونَ منه البلدَ ، فلم يُجِبْه إلى ذلك ، وقال : بعدَما سقَط السورُ جئتَ تطلبُ الأمانَ ! فأغْلَظَ له الأميرُ المشطُوبُ فى الكلامِ ، ورجَع إلى البَلدِ فى حالٍ اللَّهُ بها عليمٌ ، ولمَّا أخبرَ أهلَ البَلدِ خافُوا خوْفًا شديدًا ؛ لِما وقَع ، وأرْسَلُوا إلى السلْطانِ يعْلِمُونه بما وقَع ، فأرسَل إليهم أنْ يسْرِعُوا الخروجَ مِن البلدِ فى البحرِ ، ولا يتأخَّرُوا عن هذه الليلةِ ، فلا يبقَى بها مسلمٌ ، فتشَاغل كثيرٌ ممَّنْ كان بها فى جَمعِ الأمتعةِ والأسْلحةِ ، وتأخَّرُوا عنِ المسِيرِ تلك الليلةَ ، فما أصبح الخَبرُ إلَّا عندَ الفِرنْجِ مِن مَمْلُوكَيْنِ صَغِيرَيْن سمِعا بما رسَم به السلْطانُ ، فهرَبا إلى قوْمِهما فأخبراهم بذلك ، فاحتفَظُوا على البحرِ احْتِفاظًا عظيمًا ، فلم يتمكَّنْ أحدٌ مِن أهلِ البلدِ أنْ يتحرَّكَ بحركةٍ ، ولا خرَج منها شيءٌ بالكُلِّيَّةِ ، وعزَم السلْطانُ على كَبْسِ العدُوِّ فى هذه الليلةِ ، فلم يُوافِقْه الجيشُ على ذلك ، وقالُوا : لا نُخاطِرُ بالإسلامِ كلِّه . فلمَّا أصبَح بعَث إلى ملُوكِ الفِرنْجِ يطلبُ منهم الأمانَ لأهلِ البلدِ على أنْ يُطْلِقَ عِدَّتَهم مِنَ الأسْرَى الذين تحتَ يدِهِ مِن النصارى ، ويزيدَهم على ذلك صَلِيبَ الصَّلَبُوتِ ، فأَبَواْ إلَّا أنْ يُطْلِقَ كلَّ أسيرٍ تحتَ يدِه ، ويُعِيدَ إليهم جميعَ البلادِ الساحِليَّةِ التى أُخِذَتْ منهم ، وبَيتَ المَقْدِسِ ، فأبى مِن ذلك ، وتردَّدَتِ المُراسلاتُ فى ذلك ، والحِصارُ يتزايدُ على أسْوارِ البلدِ وقد تهدَّمَتْ ثُلَمٌ كثيرةٌ منها ، وأعاد المسلمون كثيرًا منها ، وسدُّوا ثُغَرَ تلك الأماكنِ بنُحورِهم رحِمهم اللَّهُ ، وصبَرُوا صَبْرًا عظيمًا ، وصابَرُوا ، ثم كان آخِرَ أمرِهم الشَّهادَةُ صبْرًا . وقد كتَبُوا إلى السلْطانِ فى آخرِ أمرِهم يقولُون : يا مولَانَا ، لا تخْضَعْ لهؤلاءِ الملاعينَ ، الذين قد أبَوْا عليكَ الإجابةَ فِينا [٩/٣٠٧ظ] ، فقد بايَعْنا اللَّهَ تعالى على الجهادِ حتى نُقْتلَ عن آخِرِنا ، وباللَّهِ المُستعانُ .

فلمَّا كان وقتُ الظهرِ فى اليومِ السابعَ عشرَ مِن جُمادَى الآخرةِ مِن هذه السنَةِ ، ما شعَر الناسُ إلَّا وقد ارتفَعت أعلامُ الكُفْرِ وصلبانُه ، وشِعارُه ونارُه على أسْوارِ البلَدِ ، وصاح الفِرنْجُ صيحةً واحدةً ، فعظُمَت المُصِيبَةُ على المسلمين ، واشتدَّ حزنُ المُوَحِّدِين ، وانحصَر كلامُ العُقَلاءِ من الناسِ فى : إنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون . وغشِى الناسَ بَهْتَةٌ عظيمةٌ ، وحَيْرةٌ شديدةٌ ، ووقَع فى العسكرِ الصِّياحُ والعَويلُ ، والبُكاءُ والنحيبُ ، ودخَل المركيسُ ، لعنَه اللَّهُ ، وقد عاد إليهم سريعًا بهَدايَا إلى المُلُوكِ ، فدخَل فى هذا اليومِ بأرْبَعةِ أعْلامٍ للملُوكِ ، فنصبَها فى البلَدِ ، واحِدًا على المِئْذَنةِ يومَ الجُمعةِ ، وآخرَ على القلْعَةِ ، وآخرَ على بُرْجِ الداويّةِ ، وآخرَ على بُرْجِ القتالِ ، عِوَضًا عن أعْلامِ السلْطانِ ، وتحيَّرَ المسلمون الذين بها إلى ناحِيَةٍ مِن البلدِ مُعْتقَلِيـنَ ، مُحْتاطٌ بهم ، مُضَيَّقٌ عليهم ، قد أُسِرت النساءُ والأبْناءُ ، وغُنِمَتْ منهم الأموالُ ، وقُيِّدَتِ الأبْطالُ ، وأُهِيـنَ الرجالُ ، ولكنَّ الحربَ سِجَالٌ ، والحمدُ للَّهِ على كلِّ حالٍ .

وأمَر السلْطانُ ، أيَّده اللَّهُ ، الجيشَ بالتأخُّرِ عن هذه المنْزلَةِ المضايقةِ إلى التى بعدَها ، وتأخَّر هو جَرِيدةً ؛ لينْظُرَ ماذا يصنَعُون ، وما عليه يُعَوِّلُونَ ، وهم - لعنهم اللَّهُ - بالاستيلاءِ على البلدِ مشغولون ، وبتحصيلِ الأموالِ جملةً وتفصيلًا مدهوشون ، ثم سارَ السلْطانُ إلى العَسْكَرِ وعندَه مِن الحُزْنِ والهَمِّ مالا يعلَمُه إلَّا اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، وجاءَتِ المُلوكُ الإسْلامِيَّةُ ، والأمراءُ وكُبراءُ الدولةِ إليه يعَزُّونَه فيما وقَع ، ويسلُّونَه عمّا عنه الحالُ انقشَع ، ثم راسَل ملُوكَ الفِرنْجِ فى خَلاصِ مَنْ بأيْدِيهم مِن أُسارى الإسلامِ ، فطلَبُوا منه عِدَّتَهم مِن أسَاراهم ومائةَ ألفِ دينارٍ ، وصَلِيبَ الصَّلَبُوتِ إنْ كان باقِيًا ، فأرسل فأحْضَر المالَ والصليبَ ، ولم يتهَيَّأْ له مِن الأُسارى إلَّا سِتُّمِائَةِ أسيرٍ ، فطلَب الفِرنْجُ منهم أنْ يُرِيَهم الصليبَ مِن بعيدٍ ، فلمَّا

رُفِع لهم سجَدُوا له ، وألْقَوا أنفُسَهم إلى الأرضِ ، وبعَثُوا يطْلبُونَ منه ما أحْضرَه مِنَ المالِ والأُسارَى والصليبِ ، فامْتَنعَ إلَّا أنْ يرسِلُوا إليه مَن بأيديهم مِن الأُسارَى ، أو يبْعَثُوا إليه برَهائِنَ عندَه على ذلك ، فقالُوا : لا ، ولكِنْ يُرْسلُ ذلك ويرضَى بأمانتِنا . ففهِم منهم أنَّهم يريدُونَ الغَدْرَ والمكْرَ ، فلم يرسلْ ذلك إليهم ، وأمرَ بردِّ الأُسارَى إلى أماكنِهم بدِمَشْقَ ، وبعَث بالصليبِ إلى دِمَشْقَ مُهانًا ، وأبْرزتِ الفرنْجُ خيامَهم ظاهِرَ البلَدِ ، وأحْضَرُوا ثلاثةَ آلافٍ مِن المسلمينَ فى صعيدٍ واحدٍ ، رحِمهم اللَّهُ ، فأوْقفوهم بعدَ العصرِ وحمَلُوا عليهم حَملةَ رجُلٍ واحدٍ فقتَلُوهم ، رحِمهم اللَّهُ وأكْرمَ مثْواهُم ، وجعَل الجنَّاتِ منْقلَبَهُم ، [٩/٣٠٨و] ولم يسْتَبْقُوا بأَيْدِيهم مِن المسلمينَ إلَّا أمِيرًا أو سَرِيًّا[1] ، أو مَن يَروْنَه فى عمَلِهم قويًّا أوِ امرأةً أو صبيًّا ، وكان ما كان ، وقُضِى الأمرُ الذى فيه تسْتَفْتِيانِ . وكان مدةُ مُقامِ السلْطانِ ، رحِمه اللَّهُ ، على عَكَّا صابرًا مُصابِرًا مُرابِطًا سبْعَةً وثلاثينَ شهرًا ، وجملةُ مَن قُتِل مِن الفرنْجِ خمسينَ ألفًا .

فصلٌ فيما جَرَى مِن الحوادثِ بعدَ أخْذِ الفِرنْجِ عَكَّا[2]

سارُوا برُمَّتِهم قاصِدينَ عَسْقَلانَ ، والسلْطانُ بجيشِه يُسايرُهم ويُعارِضُهم منزِلةً منزِلةً ، ومرْحلةً مرْحلةً ، والمسلمونَ يتخَطَّفُونَهم ويسْلُبُونَهم فى كلِّ مكانٍ ،

---

(١) فى م : «أوصبيا» . والسَّرِىّ : المختار . اللسان (س ر ى) .

(٢) الروضتين ٢/ ١٩٠، والنوادر السلطانية ص ١٧٥.

وكلُّ أسيرٍ أُتِي به إلى السلْطانِ يأمُرُ بقتلِه فى ذلك المكانِ والأوانِ ، وجَرَت بيـنَ الجيشَيْنِ وقَعاتٌ مُتعدِّداتٌ ، ثم طلَبَ مَلِكُ الإنْكِلْتِيرِ أنْ يجتَمِعَ بالملكِ العادِلِ أخى السلْطانِ يطلُبُ منه الصُّلْحَ والأمانَ ، على أنْ تُعادَ لأهْلِها بلادُ الساحلِ ، فقالَ له العادِلُ : إنَّ دونَ ذلك قتلَ كلِّ فارسٍ منكم وراجلٍ . فغضِبَ اللَّعينُ ونهَضَ مِن عندِه وهو متغَضِّبٌ ، ثم اجْتمعَتِ الفِرنْجُ على حربِ السلْطانِ عندَ غابةِ أَرْسُوفَ[1] ، فكانتِ النُّصرةُ للمسلميـنَ ، فقُتِلَ مِن الفِرنجِ عندَ غابَةِ أَرْسُوفَ ألوفٌ بعدَ ألوفٍ ، وقُتِلَ مِن المسلمينَ خلقٌ كثيرٌ أيضًا ، وقد كان الجيشُ فَرَّ عنِ السلْطانِ فى أوَّلِ الوقعةِ ، ولم يَبْقَ معه سِوَى سبْعَةَ عشَرَ مُقاتِلًا ، وهو ثابتٌ صابِرٌ ، والكُوسُ تُدَقُّ لا تفْتُرُ ، والأعْلامُ منْشُورةٌ ، ثم تراجَعَ الناسُ فكانتِ النُّصرةُ للمسلميـنَ والكرَّةُ على الكافريـنَ ، والحمدُ للّهِ ربِّ العالميـنَ .

ثم تقدَّم السلطانُ بعساكرِه فنزَلَ ظاهِرَ عَسْقَلانَ ، فأشارَ ذَوُو الرأيِ على السلْطانِ بتَخْريبِ عَسْقَلانَ خَشيةَ أنْ يتمَلَّكَها الكفَّارُ ، ويجعَلوها وسيلةً إلى أخْذِ بيتِ المَقْدِسِ ، صانَه اللّهُ تعالى ، أو يجْرِى عندَها مِن الحربِ والقتالِ نظيرُ ما كانَ عندَ عَكَّا أو أشدُّ ، فباتَ السلْطانُ ليلتَه مفكِّرًا فى ذلك ، ولمَّا أصْبحَ وقد أوقَعَ اللّهُ فى قلْبِه أنَّ خرابَها هو المصْلَحَةُ ، فذكرَ ذلك لمَنْ حضرَه ، وقال لهم[2] : واللّهِ لمَوْتُ جميعِ أوْلادِى أهْوَنُ علىَّ مِن تخْريبِ حجَرٍ واحدٍ منها ، ولكن إذا كان هذا فيه مصلحةٌ للمسلميـنَ فلا بأسَ به .

ثم طلَبَ الوُلاةَ وأمَرهم بتَخْريبِ البلَدِ سريعًا ، قبلَ وصُولِ العدُوِّ المخذولِ ،

---

(١) أرسوف : مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا . معجم البلدان ١/ ٢٠٧.
(٢) الروضتين ٢/ ١٩٢.

فشَرَعَ الناسُ فى خرابِه ، وأهْلُه ومَنْ حضَره يتَباكَونَ على حُسْنِه وطيبِ مَقِيلِه ، وكثْرَةِ زُروعِه وثمارِه ، وغزارةِ أنْهارِه ونضارةِ أزْهارِه . وأُلقِيَتِ النيرانُ فى أرجائِه وجوانبِه ، وخُرِّبت قصورُه ودُورُه وأسْواقُه ورِحابُه ، وأُتلِفَ ما فيه مِنَ الغلَّاتِ التى لا يمكِنُ تحْويلُها ، ولا نقْلُها ، ولم يزَلِ الخرابُ والحريقُ فيه إلى سَلْخِ شعبانَ مِن هذه السَنةِ .

ثم رحَل عنها السلطانُ فى ثانى رمضانَ وقد [٩/ ٣٠٨ظ] ترَكها قاعًا صفْصَفًا ، ليسَ فيها مَعْلَمٌ لأحدٍ ، ثم اجْتازَ بالرَّمْلَةِ فَخرَّبَ حِصْنَها وخرَّبَ كنيسةَ لُدَّ ، وزارَ بيْتَ المَقْدِسِ وعادَ إلى المخيَّمِ سريعًا ، تقبَّل اللَّهُ منه ، ثم بعَث ملكُ الإنكلْتيرِ إلى السلْطانِ يقولُ له[1] : إن الأمرَ قد طالَ وهلَكَ الفِرنْجُ والمسلمونَ ، وإنَّما مقْصودُنا ثلاثَةُ أشْياءَ لا سِوَاها ؛ رَدُّ الصليبِ ، وبلادُ الساحلِ ، وبَيْتُ المَقْدِسِ ، لا نرجِعُ عن هذه الثلاثةِ وبنا عَيْنٌ تطْرِفُ . فأرسَلَ إليه السلْطانُ جوابَ ذلك أشدَّ جوَابٍ ، وأسوأَ خطابٍ ، ثم عزَمت الفِرنجُ على قَصْدِ بيتِ المَقْدِسِ ، فتقدَّمَ السلْطانُ بجيْشِه إلى بيتِ المقدسِ ، فترَكه وسكَنَ فى دارِ القساقسِ قريبًا مِن قُمامةَ فى ذى القَعْدَةِ ، وشرَعَ فى تحْصينِ البلدِ وتعْميقِ خَنادِقِه ، وعمِلَ فيه بنفْسِه وأوْلادِه ، وعمِلَ فيه الأمراءُ والقضاةُ والعلماءُ والصوفيةُ بأنفسِهم ، وكان وقْتًا مشْهودًا ، واليَزَكُ حولَ البلَدِ مِن ناحيَةِ الفِرنْجِ ، وفى كلِّ وقْتٍ يسْتَظْهِرونَ على الفِرنجِ فيقْتُلون ويأسِرُونَ ويغْنَمُونَ منهم ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ . وانقضَتْ هذه السنةُ والأمْرُ على ذلك .

وفى هذه السنةِ فيما ذكرَه العِمادُ الكاتبُ[2] توَلَّى القاضى مُحْيِى الدينِ محمدُ بنُ الزكيِّ قضاءَ دمشقَ .

---

(١) الروضتين ٢/ ١٩٣.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٩٤.

وفيها عدَا أميرُ مَكَّةَ داودُ بنُ عِيسى بنِ فُلَيْتَةَ بنِ قاسمِ بنِ محمدِ بنِ أبى هاشمٍ الحَسَنِيُّ ، فأخَذَ أمْوالَ الكَعْبَةِ حتى انْتزَعَ طَوْقًا مِن فِضةٍ كان على دائرةِ الحجَرِ الأسْوَدِ ، كان قد لُمَّ شعَثُه حِينَ ضرَبَه ذلكَ القِرْمِطِيُّ بالدبُّوسِ ، فلمَّا بلَغ السلْطانَ خبَرُه مِن الحَجِيجِ حينَ رجَعُوا ، عزَلَه ووَلَّى أخاه مكثرًا[1] ، ونقَضَ القلْعَةَ التى كان بنَاها أخوه على جبلِ أبى قُبَيْسٍ ، وأقامَ داودُ بنخْلةَ[2] حتى تُوفِّىَ بها سنَةَ تِسْعٍ[3] وثمانينَ .

وممَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ :

المَلِكُ المُظَفَّرُ تَقِيُّ الدينِ عمرُ بنُ شَاهِنْشَاه بنِ أيُّوبَ[4] ، كان عزيزًا عندَ عمِّه السلطانِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ ، اسْتَنابَه بِمِصْرَ وغيرِها مِن البلادِ ، ثم أقْطَعَه حَمَاةَ ومُدُنًا كثيرةً معها حولَها ومِن بلادِ الجزيرةِ ، وكان مع عمِّه السلْطانِ على عَكَّا ، ثم استأْذنَه فى الإشرافِ على بلادِه المجاورةِ للفراتِ ، فلمَّا صارَ إليها اشْتَغَل بها ، وامتدَّتْ عيْنُه إلى أخْذِ غيرِها مِن أيْدِى المُلوكِ المجاوِرينَ له ، فقاتَلَهم فاتفقَ موتُه وهو فى ذلك ، والسلْطانُ صلاحُ الدينِ متغضِّبٌ عليه بسبَبِ اشْتِغالِه بذلك عنه ، وحُمِلتْ جِنازَتُه حتى دُفِن بحَمَاةَ ، وله مدرسةٌ هناك هائلةٌ ، وكذلك له بدِمَشْقَ مدرسةٌ مشهورَةٌ ، وعليها أوْقافٌ كثيرةٌ مبرورةٌ . وقام بالمُلْكِ بعدَه ولَدُه

---

(١) فى م : « بكيرا » ، وفى ص : « مكثترا » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٧٦.

(٢) فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٧٦: « ثجله » . وانظر الروضتين ٢/ ١٩٦.

(٣) فى الأصل ، م : « سبع » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٧٦.

(٤) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ص ٨٠، والروضتين ٢/ ١٩٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٥٦، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٢٧٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٤٢.

المَنْصُورُ ناصرُ الدينِ محمدٌ ، فأقرَّه الملكُ صلاحُ الدينِ [٩/ ٣٠٩و] على ذلك بعدَ جَهدٍ جهيدٍ ، ووَعْدٍ ووَعيدٍ ، ولولا السلْطانُ الملِكُ العادِلُ أبو بكرٍ تشفَّعَ فيه لَمَا استقرَّ فى مكانِ أبيه ، ولكنَّ اللَّهَ سلَّم ، وكانت وفاةُ تقىِّ الدينِ يومَ الجمعةِ تاسِعَ عشَرَ رمضانَ مِن هذه السنَةِ ، وكان شُجاعًا باسلًا وهمامًا فاتِكًا ، كرِيمًا كامِلًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الأميرُ حسامُ الدينِ محمدُ بنُ عمرَ بنِ لاچينَ[1] ، وأمُّه سِتُّ الشامِ بنتُ أيوبَ ، واقِفَةُ الشاميَّتَيْنِ[2] بدِمَشْقَ ، وفى ليلةِ الجمعةِ تاسعَ عشَرَ رمضانَ أيضًا تَفَجَّع السلْطانُ بابنِ أخيه وابنِ أختِه فى ليلةٍ واحدةٍ ، وقد كانا له مِن أكبرِ الأعوانِ ، وأعزِّ الإخوانِ ، ودُفِن حسامُ الدينِ فى التربةِ الحُساميَّةِ ، وهى التى أنْشأَتْها أمُّه بمَحَلَّةِ العُوَيْنَةِ ؛ وهى الشامِيَّةُ البَرَّانِيَّةُ .

وفيها توفِّى : **الأميرُ علمُ الدينِ سليمانُ بنُ جَنْدَرٍ**[3] **الحَلَبىُّ** ، وكان مِن أكابرِ الأمراءِ فى الدولةِ الصَّلاحِيَّةِ ، وفى خدْمةِ السلْطانِ حيثُ كان ، وهو الذى أشارَ على السلطانِ بتَخْريبِ عَسْقَلانَ ، واتَّفق مرضُه بالقدسِ ، فاسْتَأْذَن فى أنْ يُمَرَّضَ بدِمَشْقَ ، فأُذِن له ، فسارَ حتى وَصَل إلى غَباغِبَ[4] ، فماتَ بها فى أواخرِ ذى الحَجَّةِ .

---

(١) الكامل ١٢/ ٧٧، ومرآة الزمان ٨/١/ ٤١٣، والروضتين ٢/ ١٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٢٧٨، والمختصر فى تاريخ البشر ص ٨٠.

(٢) أى المدرسة الشامية البرانية ، والمدرسة الشامية الجوانية . انظر الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٢٧٧، ٣٠١.

(٣) فى الأصل : « حيد » ، وفى م : « حيدر » . وانظر ترجمته فى : الكامل ١٢/ ٧٧، ومرآة الزمان ٨/١/ ٤١٣، والروضتين ٢/ ١٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٢٦٦، والوافى بالوفيات ١٥/ ٣٧٢.

(٤) غباغب : قرية فى أول عمل حوران من نواحى دمشق . معجم البلدان ٣/ ٧٧١.

وفى رجبٍ تُوفِّى الأميرُ الكبيرُ نائبُ دِمَشْقَ - حرَسها اللَّهُ تعالى - **الصفىُّ ابنُ القابضِ**[1] ، وقد كان مِن أكبرِ أصْحابِ السلْطانِ قبلَ المُلْكِ ، ثم اسْتَنابَه على دِمشقَ حتى تُوفِّى بها فى هذه السنَةِ ، رحِمه اللَّهُ .

وفى ربيعٍ الأوَّلِ تُوفِّى **الطبيبُ الماهِر الحاذقُ أسْعدُ بنُ المُطْرانِ**[2] وقد شَرُف بالإسْلامِ ، وشكَره على طبِّه الخاصُّ والعامُّ ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ نَجْمُ الدِّينِ الخَبُوشانِيُّ[3] الذى بنَى تربةَ الشافِعىِّ بمِصْرَ بأمْرِ السلْطانِ صلاحِ الدينِ ، ووَقَف عليها الأوقافَ السَّنِيَّةَ ، ووَلَّاه تدْريسَها ونظَرها ، وقد كان السلْطانُ يحترِمُه ويُكرِمُه ، وقد ذكَرْتُه فى « طبقاتِ الشافِعيَّةِ » ، وما صنَّفه فى المذْهَبِ مِن « شَرْحِ الوَسيط » وغيرِه ، ولمَّا تُوفِّى الخَبُوشانِىُّ طلَب التدريسَ جماعَةٌ ، فشفَع الملكُ العادِلُ عندَ أخيه لشيخِ الشيوخِ أبى الحسَنِ محمدِ بنِ حَمُّويَه ، فوَلَّاه إيّاها ، ثم عُزِل عنها بعدَ موتِ السلْطانِ ، واستمرَّتْ عليها أيْدِى بنِى السلْطانِ واحِدًا بعدَ واحدٍ ، ثم خَلَصتْ بعدَ ذلك ، وعادَتْ إليها الفُقهاءُ والمدرِّسُون ، واللَّهُ تعالى أعلمُ بالصوابِ .

---

(١) فى الأصل : « العابض » ، وفى م : « الفائض » . وانظر ترجمته فى الكامل ١٢/ ٧٧، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ٤١٣، والروضتين ٢/ ١٩٥.

(٢) مرآة الزمان ٨/١/ ٤١١، والروضتين ٢/ ١٩٥، وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٦٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٢٦٣، وأعيان الشيعة ١١/ ١٣٦.

(٣) مرآة الزمان ٨/١/ ٤١٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٢٧٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٤.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائةٍ[1]

استهلَّتْ والسلطانُ صلاحُ الدينِ مُخيِّمٌ بالقدسِ الشريفِ ، وقد قسَم السورَ بينَ أوْلادِه وأمرائِه ، وهو يعمَلُ فيه بنفْسِه ، ويحمِلُ الحجَرَ بينَ القَرَبُوسِ وبيْنَه ، والناسُ يقْتَدُون به وبالعلماءِ ، والفقراءُ يعمَلُون بأنفسِهم ، والفِرنْجُ ، لعَنَهم اللَّهُ ، حولَ البلدِ مِن ناحيةِ عَسْقَلانَ وما وَالَاها ، لا يتجاسَرُون أنْ يتقرَّبوا مِن الحرَسِ واليزَكِ الذينَ للسلطانِ حولَ القدسِ الشريفِ ، إلَّا أنَّهم على نِيَّةِ مُحاصَرَةِ القُدْسِ مُصَمِّمون ، ولكَيْدِ الإسْلامِ مُجْمِعون ، وهم والحرسُ تارةً يَغْلِبون وتارةً يُغْلَبونَ ، وتارةً يَنْهَبُون وتارةً يُنْهَبون .

وفى ربيعِ الآخرِ وصَل الأميرُ سيفُ الدينِ المشطوبُ إلى السلطانِ وهو بالقدسِ ، مِن الأسْرِ ، وكان نائبًا على عَكَّا حينَ أُخِذتْ ، فافْتدَى نفْسَه منهم بخَمْسِين ألفَ دينارٍ ، فأعْطَاه [٣٠٩/٩ظ] السلْطانُ شيئًا كثيرًا منها ، واسْتَنابَه على مدينةِ نابُلُسَ ، فتُوفِّى بها فى شوَّالٍ منها .

وفى ربيعِ الآخرِ قُتِلَ المركيسُ صاحِبُ صُورَ ، لعَنه اللَّهُ ؛ أرسَل إليه ملكُ الإنْكِلتيرِ اثْنَيْن مِن الفِداويَّةِ فقتَلُوه ، فأظْهَرا التَّنَصُّرَ ، ولزِمَا الكنيسةَ حتى ظفِرَا بالمركيسِ فقتَلاه وقُتِلا ، فاسْتَنابَ ملكُ الإنكلتيرِ عليها ابنَ أختِه لأمِّه الكَندهرى ، وهو ابنُ أختِ مَلِكِ إفْرَنْسيسَ لأبيه ، فهما خالاه ، لعَنه اللَّهُ ، ولما صارَ إلى صُورَ

---

(١) الكامل ١٢/٧٨، الروضتين ٢/١٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٧٧

ابتنَى بزَوْجَةِ المركيسِ بعدَ موْتِه بليلةٍ واحدةٍ ، وهى حُبْلَى أيضًا ، وذلكَ لشِدَّةِ العَداوَةِ التى كانتْ بينَ الإنْكِلتيرِ وبيْنَه ، وقد كان السلْطانُ صلاحُ الدينِ يُبغِضُهما ، ولكنَّه قد كان صانَعه المرِكيسُ ببعضِ الشىءِ ، فلم يَهُنْ قتْلُه عليه .

وفى تاسعِ جُمادَى الأُولى اسْتَوْلَى الفِرنْجُ ، لعنَهم اللّٰهُ ، على قلعةِ الدّاروم[1] فخرَّبُوها ، وقتَلُوا خلْقًا كثيرًا مِن أهْلِها ، وأسَرُوا طائفةً مِن الذُّرِّيَّةِ ، فإنا للّٰهِ وإنَّا إليه راجعون ، ثم أقبَلُوا بخَيْلِهم ورَجِلِهم جملةً نحوَ القدسِ الشريفِ ، فبرَزَ إليهم السلْطانُ فى حزبِ الإيمانِ وهو مشتمِلٌ على الرَّجَّالةِ والفرسانِ والأبطالِ والشجعانِ ، فلمَّا تراءَى الجَمعانِ نكَص حزبُ الشيطانِ على عَقِبَيه ، وانقَلَبوا راجِعين قبلَ القتالِ والنِّزالِ ، وعادَ السلطانُ إلى القدسِ الشريفِ وقد ﴿ رَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] .

ثم إنَّ ملكَ الإنكلتيرِ ، لعَنه اللّٰهُ - وهو أكبرُ ملوكِ الفِرنْجِ ذلك الوقتَ - ظَفِر ببَعْضِ قُفُولِ المسلمين ، فكبَسَهم ليلًا فقَتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وأسَر منهم خمسَمِائةِ أسيرٍ ، وغنِم منهم شيئًا كثيرًا مِن الأمْوالِ والجمالِ ، والخيلِ والبِغالِ ، فكان جملةُ الجِمالِ ثلاثةَ آلافِ بعيرٍ ، فتقوَّى الفِرنْجُ بذلك شيئًا كثيرًا ، وساءَ ذلك السلْطانَ مَساءةً عظيمةً جدًّا ، وخافَ مِن غائلةِ ذلك ، واسْتَخدَم الإنْكِلْتيرُ الجمَّالةَ على الجمالِ ، والخَرْبَنْدِيَّةَ[2] على البغالِ ، والساسةَ على الخيلِ ، وأقبلَ وقد قوِيَتْ نفْسُه جدًّا ، وصمَّم على مُحاصرةِ القُدْسِ ، وأرسَل إلى ملُوكِ الفِرنجِ الذين

---

(١) الداروم : قلعة بعد غزة للقاصد مصر . معجم البلدان ٢/ ٥٢٥.

(٢) الخربندية : المكارون ، تعريب خربنده ، ومعناه مربى الحمار ، الألفاظ الفارسية المعربة ص ٥٢.

بالساحلِ ، فاسْتَحْضَرهم ومَن معهم مِن المُقاتلةِ ، فتَعَبَّأَ السلْطانُ لهم وتَهيَّأَ ، وأكمَل السورَ وعمَّر الخنادِقَ ، ونصَب الآلاتِ والمجانيقَ ، وأمَر بتَغْويرِ ما حولَ القُدْسِ مِن المياهِ ، وأحْضَر السلْطانُ أُمَراءَه ليلةَ الجُمُعةِ تاسِعَ عشَرَ جُمادَى الآخرةِ ، وفيهم أبو الهَيْجاءِ السَّمينُ[1] والمشطوبُ ، والأسَدِيَّةُ بكمالِهم ، واسْتَشارَهم فيما قد دهَمه مِن هذا الأمرِ الفظيعِ المُوجِعِ المؤلِمِ ، فأفاضُوا فى ذلك ، وأشاروا كلٌّ برأيِه ، وأشارَ العِمادُ الكاتبُ بأنْ يتَحالَفُوا على الموتِ عندَ الصَّخْرَةِ ، كما كان الصَّحابةُ يفعَلُون ، فأجابُوا إلى ذلك ، هذا كلُّه والسلْطانُ ساكِتٌ واجمٌ مفكِّرٌ ، فسكَت القومُ كأنَّما على رُءوسِهِمُ الطيرُ ، ثم قالَ[2] : الحمدُ للَّهِ والصلاةُ على رسُولِ اللَّهِ ، اعْلَمُوا أنَّكُم جندُ الإسْلامِ اليومَ ومنعَتُه ، وأنتم تعْلَمُون أنَّ دماءَ المسلِمين وأمْوالَهم وذَرارِيَّهم مُعلَّقةٌ فى ذِمَمِكم ، فإنَّ هذا العدوَّ أمِنَ له مِن المسلِمين مَن تلَقَّاه إلَّا أنتم ، فإنْ لَوَيتُم أعِنَّتَكم - والعِياذُ باللَّهِ - طوَى البلادَ كطيِّ السِّجِلِّ للكتابِ ، وكان ذلكَ فى ذمَّتِكُم ؛ فإنكم أنتم الذين تصَدَّيْتُم لهذا ، وأكَلْتُم مالَ بيتِ المالِ ، [٣١٠/٩و] فالمسلمونَ فى سائِر البلادِ مُتعَلِّقون بكم ، والسلامُ .

فانْتَدَب لجوابِه سيفُ الدينِ المشطوبُ ، وقال[3] : يا مؤلَانا ، نحنُ مَماليكُكَ وعَبِيدُكَ ، وأنتَ الذى أعْطَيْتَنا وكبَّرْتَنا وعظَّمْتَنا ، وليس لنا إلَّا رِقابُنا ونحنُ بينَ يدَيْكَ ، واللَّهِ ما يرجِعُ أحدٌ منا عن نُصْرتِكَ إلى أن يموتَ . فقال الجماعَةُ مثلَ ما قال ، ففَرِح السلْطانُ بذلك وطابَ قلْبُه ، ومدَّ لهم سِماطًا حافِلًا ، وانصَرَفُوا مِن بينِ يدَيْه على ذلك .

---

(١) فى الأصل : « المسهن » ، وفى م : « المبسين » . وانظر الروضتين ٢/ ١٩٨.
(٢) النوادر السلطانية ص ٢١٦.
(٣) المصدر السابق .

ثم بلَغه بعدَ ذلك عن بعْضِ الأمراءِ أنَّه قال[1] : إنَّا نخافُ أنْ يجْرِىَ علَيْنا فى هذا البلدِ ، كما جرَى على أهلِ عَكَّا ، ثم يأخُذُون بلادَ الإِسْلامِ بلدًا بلدًا ، والمصْلحَةُ أنْ نلْتَقِيَهم بظاهرِ البلدِ ؛ فإنْ هزَمْناهم أخَذْنا بقيةَ بلادِهم ، وإنْ تكُنِ الأُخْرَى سَلِمَ العسْكَرُ ، ومضَى القُدْسُ وقد انحفظَتْ بلادُ الإِسْلامِ بدُونِ القُدْسِ مدةً طويلةً .

وبعَثُوا إلى السلْطانِ يقولُونَ له[2] : إنْ كنتَ تُريدُنا نقيمُ بالقُدْسِ تحتَ حصارِ الفِرنجِ ، فكُنْ أنتَ معنَا أو بعْضُ أهْلِكَ ، حتى يكونَ الجيشُ تحتَ أمْرِكَ ؛ فإنَّ الأَكْرادَ لا تطِيعُ التركَ ، والتركُ لا تطِيعُ الأكْرادَ .

فلمَّا بلَغه ذلك شَقَّ عليه مشقَّةً عظيمةً ، وباتَ ليْلتَه أجمَع مهْمُومًا كئِيبًا يفكِّرُ فيما قالُوا ، ثم انجَلَى الأمرُ واتَّفقَ الحالُ على أنْ يكونَ الملكُ الأمجدُ ، صاحِبُ بَعْلَبَكَّ ، مُقيمًا عندَهم نائبًا عنه بالقُدْسِ ، وكان ذلك نهارَ الجُمُعةِ ، فلمَّا حضَر إلى صلاةِ الجُمُعةِ وأذَّن المؤذِّنُ للظهرِ ، قامَ فصلَّى ركعتَيْن بينَ الأذانَيْن ، وسجَد وابْتَهَل إلى اللَّهِ تعالىَ ابْتِهالًا عظيمًا ، وتضرَّعَ لربِّه ، وتَمَسْكَن وسأَله فيما بيْنَه وبيْنَه كشْفَ هذه الضائقَةِ العظيمةِ .

فلمَّا كان يومُ السبتِ مِن الغَدِ جاءَتِ الكتبُ مِن الحرَسِ حولَ البلدِ بأنَّ الفرنجَ قدِ اخْتَلفُوا فيما بيْنَهم فى محاصرةِ القدسِ ، فقالَ ملكُ الإفْرَنسيسِ : إنّا إنَّما جِئْنا مِن البلادِ البعيدةِ وأنْفَقْنا الأموالَ العديدةَ فى تخْلِيصِ بيتِ المَقْدِسِ وردِّه إلينا ، وقد بَقِىَ بينَنا وبينَهم مرحلةٌ ، فقال الإنْكِلْتِيرُ : إن هذا البلدَ يشُقُّ علينا

---

(١) النوادر السلطانية ص ٢١٦.

(٢) المصدر السابق ص ٢١٧.

حصارُه ؛ لأن المياهَ حولَه قد عُدِمَتْ ، ومتى بعَثْنا مَن يأْتِينا بالماءِ مِن المشقةِ البعيدةِ تعَطَّل الحِصارُ ، وتَلِف الجيشُ ، ثم اتَّفَق الحالُ بينَهم على أنْ حكَّمُوا عليهم ثَلَاثَمِائَةٍ منهم ، فرَدُّوا أمْرَهم إلى اثْنَى عشَرَ منهم ، فردُّوا أمرَهم إلى ثلاثةٍ منهم ، فباتُوا ليْلَتَهم ينْظُرونَ ، ثم أصْبَحُوا وقد حكَمُوا عليهم بالرحيلِ ، فلم يُمْكِنْهُم مخالفَتُهم ، فسحَبُوا راجِعين ، لعَنَهم اللَّهُ أجمعينَ ، فسارُوا حتى نزَلُوا على الرَّمْلَةِ ، وقد طالَتْ عليهم الغربةُ والرَّملةُ ، وذلك فى بُكْرَةِ الحادِى والعشرينَ مِن جُمادَى الآخرةِ ، وبرَز السلْطانُ بجيشِه إلى خارجِ القُدْسِ ، وسارَ نحْوَهم خوفًا أنْ يسِيرُوا إلى مِصْرَ ؛ لكثرَةِ مامعهم مِن الظَّهْرِ والأموالِ ، وكان الإنْكلتيرُ يلْهَجُ بذلك كثيرًا ، فخذَلَهم اللَّهُ عن ذلك ، وتردَّدَتِ الرسلُ مِن الإنكلتيرِ إلى السلْطانِ فى طلَبِ الصلحِ ، ووَضْعِ الحربِ بيْنَه وبيْنَهم ثلاثَ سنينَ ، وعلى أنْ يُعيدَ لهم عَسْقَلانَ ، ويهَبَ لهم كنيسةَ بيتِ المَقْدِسِ وهى القُمامةُ ، وأنْ يُمكِّنَ النصارَى [٣١٠/٩ظ] مِن زيارَتِها وحجِّها بلا شىءٍ ، فامتَنَع السلْطانُ مِن إعادةِ عَسْقَلانَ وأطلَق لهم القُمامةَ ، وفرَض على الزُّوَّارِ مالًا يؤخَذُ مِن كلٍّ منهم ، فامْتنَع الإنْكلتيرُ إلَّا أنْ تُعادَ لهم عَسْقَلانُ ، ويُعَمَّرَ سورُها كما كانتْ ، فصَمَّم السلْطانُ على عدَمِ الإجابةِ .

ثم ركِب السلْطانُ حتى وافَى يافَا فحاصَرها حِصارًا شديدًا ، فافْتتَحَها ، وغنِم جيشُه مِنها شيئًا كثيرًا ، وامتنَعت القلعةُ ، فبالَغ فى أمرِها حتى هانت ولانت ودانت ، وكادوا أن يبعَثوا إليه بأقاليدِها ، ويأخُذوا الأمانَ لكَبيرِها وصغيرِها ، فبَيْنَما هم كذلك إذ أشْرَفَتْ عليهم مراكِبُ الإنكلتيرِ على وَجْهِ البحرِ ، فقَوِيَتْ رُءوسُهم واسْتَعْصَتْ نفُوسُهم ، وهجَم اللعينُ فأعادَ البلدَ ، وقتَل مَن تأخَّرَ بها مِن المسلمين صَبْرًا بينَ يَدْيه ، وتَقهْقَر السلْطانُ عن منْزلةِ الحصارِ إلى ما وراءَها ؛ خوفًا على

الجيشِ مِن مَعَرَّةِ الفرنجِ ، فجعلَ مَلِكُ الإنْكِلْتيرِ يتعَجَّبُ مِن شدَّةِ سطْوَةِ السلْطانِ ؛ كيف فتَح هذا البلدَ العظيمَ فى يومَيْن ، وغيرُه لا يمْكِنُه فتْحُه فى عامَيْن ، ولكِن ما ظنَنْتُ أنَّه مع شهامَتِه وصرامتِه يتأخَّرُ مِن منزلَتِه بمَجَرَّدِ قُدُومِى ، وأنا ومَن مَعى لم نخْرُجْ مِن البحرِ إلَّا جرائدَ بلا سلاحٍ ، ثم ألَحَّ فى طلَبِ الصُّلْحِ على أنْ تكونَ عَسْقَلانُ داخِلَةً فى صُلْحِهم ، فامتَنَع السلْطانُ أشدَّ الامتناعِ ، ثم إنَّ السلطانَ كبَس فى تلك الليالى الإنكلتيرَ وهو فى سَبْعَةَ عشَرَ فارسًا ، وحولَه قليلٌ مِن الرَّجَّالةِ ، فأوكَب السلطانُ بجيشِه حولَه وحصَرَه حَصْرًا لم يبْقَ له معه نَجاةٌ ، لو صَمَّمَ معه الجيشُ ، ولكِنَّهم نكَلُوا كلُّهم عن الجملةِ ، فلا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ ، وجعَل السلْطانُ يحرِّضُهم غايَةَ التَّحْريضِ ، فكلُّهم يمتَنِعُ كما يَمْتَنِعُ المريضُ مِن شربِ الدواءِ .

هذا والإنكِلْتيرُ ، لعَنه اللَّهُ ، قد ركِب فى أصحابِه ، وأخَذ عُدَّةَ قتالِه وحِرابِه ، واسْتَعرَض الميْمَنَةَ مِن أولِها إلى آخرِ الميْسرَةِ - يعْنى مَيْمَنَةَ المسلمين ومَيْسَرتَهم - فلم يتقدَّمْ إليه أحدٌ مِن الفرسانِ ، ولا بَهَش[1] فى وجهِه بطلٌ مِن الشجعانِ ، فعندَ ذلك كَرَّ السلْطانُ راجِعًا ، وقد أحْزَنه أنَّه لم يَرَ مِن الجيشِ مُطِيعًا ولا سامعًا ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعونَ .

ثم حصَل للإنكِلْتيرِ بعدَ ذلك مرَضٌ شديدٌ ، وبعَث إلى السلْطانِ يطلُبُ منه فاكهةً وثَلْجًا ، فأمَدَّه السلطانُ بذلك مِن بابِ الفُتُوَّةِ والإحسانِ وإظهارِ القوةِ والامتنانِ ، ثم عُوفِى ، لعَنه اللَّهُ ، وتكرَّرَتِ الرسُلُ منه يطلُبُ مِن السلْطانِ المصالحةَ ؛ وذلك لكثْرَةِ شوقِه إلى بلادِه ، وتَوقِه إلى ملاذِه ، وطاوَع السلْطانَ على ما يقولُ ، ونزَل عن طلَبِ عَسْقَلانَ ، ورَضِى بما رسَم به السلْطانُ ، وكُتِب كتابُ الصلحِ على ما رسَم به السلطانُ فى ثامِنَ عشَرَ شعبانَ ، وأُكِّدتِ العهودُ والمواثيقُ

---

(١) أى أسرع ، ونظر أيضا . انظر النهاية ١٦٦/١ .

مِن كلٍّ ملكٍ مِن ملُوكِهم وأُسْقفٌ وجاثَلِيقٍ، وحلَف الأمراءُ مِن المسلمين، وكتَبُوا خُطوطَهم، واكْتُفِى مِن السلْطانِ بالقولِ المجرَّدِ كما جرَتْ به عادةُ السلاطينِ، وفرِح كلٌّ مِن الفريقَيْن فرَحًا كثيرًا، وأظهَروا سُرورًا، ووَقَعَتِ الهدْنَةُ على وضْعِ الحربِ (١) ثلاثَ سنينَ وثمانيةَ أشهُرٍ (١)، وعلى أنْ يُقَرَّ ما بأيْدِيهم مِن البلادِ الساحليَّةِ، وللمسلمين ما يُقابِلُها مِن البلادِ الجبَلِيَّةِ، وما بينَهما مِن المُعامَلاتِ فقَسَمُها على المُناصفَةِ، وأرسَل السلْطانُ مائةَ نقَّابٍ صُحْبَةَ أميرٍ؛ لتخْريبِ سُورِ عَسْقَلانَ، وإخْراجِ مَن بها مِن الفِرنجِ والألمانِ.

وعادَ السلْطانُ إلى القُدْسِ الشريفِ، فرتَّب [٣١١/٩و] أحوالَه ووطَّدَها، وسدَّد أمُورَه وأكَّدَها، وزادَ وقْفَ المدرسةِ سُوقًا بدكاكِينِها وأرْضًا ببَساتينِها، وزادَ وقْفَ الصوفِيَّةِ أيضًا، وعزَم على أن يحُجَّ عامَه ذلك، فكتَب إلى الحجازِ واليمنِ والديارِ المصريَّةِ والشاميَّةِ؛ ليعْلَموا بذلك، ويتأهَّبُوا له، فكتَب إليه القاضى الفاضِلُ (٢) يَنْهاه عن ذلك خَوْفًا على البلادِ، ويذكُرُ له أنَّ النظرَ فى أحوالِ المسلمين وإصلاحِ أمرِهم الذى قد تداعَى إلى الفسادِ، وسدَّ ثغورِهم، ومُصابَرَةَ أعدائِهم فى هذا الوقتِ، أفضلُ لكَ ممَّا عزَمْتَ عليه عامَك هذا، والعدُوُّ المخذولُ مخَيِّمٌ بعدُ بالشامِ لم يُقْلِعْ منه مركَبٌ إلى بلادِهم، وأنت تعلَمُ أنَّهم إنَّما يُهادِنُونَ؛ ليتقوَّوا ويكثُروا، ثم يمْكُرُوا ويغْدُروا.

فسمِع السلطانُ منه، وشكَر نُصْحَه وقَبِله، وعزَمَ على ترْكِ الحَجِّ عامَه ذلك، وكتَب به إلى سائرِ المَمالكِ، واستمرَّ السلطانُ مُقِيمًا بالقُدْسِ جميعَ شهرِ رمَضانَ

(١ - ١) فى الأصل، م: «ثلاثين سنة وستة أشهر». وانظر الكامل ١٢/ ٨٥.

(٢) الفتح القسى ص ٦١١ بنحوه.

فى صيامٍ وصلاةٍ وقرآنٍ ، وكلَّما وفَدَ أحدٌ مِن رؤساءِ النصارى للزيارَةِ أوْلاه غايةَ الإكْرامِ والإحسانِ ؛ تأْليفًا لقلُوبِهم وتأكيدًا لِما حَلَفوهُ من الأَيمانِ ، ورغبةً أن يدخُلَ فى قلوبِهم شىءٌ مِن الإيمانِ ، ولم يَبْقَ أحدٌ مِن ملُوكِهم إلَّا جاءَ لزيارةِ القُمامةِ مُتنكِّرًا ، ويحضُرُ سِماطَ السلْطانِ فِيمَنْ يحضُرُ مِن جمهورِهم ، بحيثُ لا يُرَى ، والسلْطانُ يعلَمُ ذلك جملةً لا تفْصِيلًا ، ولهذا يعامِلُهم بالإكرامِ ، ويُرِيهم صَفْحًا جميلًا ، وبِرًّا جَزِيلًا ، وظِلًّا ظليلًا .

فلمَّا كان خامسُ شوَّالٍ ركِب فى عساكرِه وجحافِله ، فبرَز مِن القُدْسِ الشريفِ قاصِدًا دِمَشْقَ المحروسةَ ، واسْتَناب على القُدْسِ عزَّ الدينِ جُرْدَيْكَ ، وعلى قَضائِها بهاءَ الدينِ يُوسُفَ بنَ رافعِ بنِ تميمٍ الشافِعىَّ ، واجْتاز على وادِى الجِيبِ[1] ، وباتَ على بركةِ الدَّاوِيَّةِ[2] ، ثم أصبَح فى نَابُلُسَ ، فنَظَر فى أحْوالِها وأمورِها ، ثم ترحَّلَ عنها ، فجعَل يمرُّ بالمعاقلِ والحصُونِ والبُلْدانِ للنظرِ فى الأحْوالِ والأموالِ وكشْفِ المظالمِ والمحارمِ والمآثمِ وترتيبِ المكارمِ ، وفى أثناءِ الطريقِ جاءَ إلى خدْمَتِه بَيْمُنْدُ صاحِبُ أنْطَاكِيَةَ فأكْرَمه وأحسَن إليه ، وأطْلَقَ له أموالًا جزيلةً وخِلَعًا جميلةً ، وكان العمادُ الكاتبُ فى صُحْبتِه ، فأخبَر عن مَنازِلِه منزلةً منزلةً ومرحلةً مرحلةً ، إلى أنْ قال[3] : وعبَر يومَ الاثنينِ عَيْنَ الجَرِّ[4] إلى مَرْجِ يَبُوس[5] ، وقد زالَ البُوس ، وهناكَ توَافَد أعْيانُ دِمَشْقَ وأماثِلُها وأفاضلُها

---

(١) الجيب : حصنان يقال لهما : الجيب الفوقانى والجيب التحتانى بين بيت المقدس ونابلس من أعمال فلسطين وهما متقاربان . معجم البلدان ٢/ ١٧٠.

(٢) الداوية : ويقال : الديوية . حصن حصين بنواحى الشام . معجم البلدان ٢/ ٢٧٦.

(٣) الروضتين ٢/ ٢٠٧.

(٤) عين الجر : موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق . معجم البلدان ٣/ ٧٦٠.

(٥) مرج يبوس : يبوس جبل بالشام بوادى التيم من دمشق . معجم البلدان ٤/ ١٠٠٧.

وفواضلُها، ونزَلنا يومَ الثلاثاءِ على العرّادةِ[1]، جرَى المُتَلقُّون بالطُّرَفِ والتُّحَفِ على العادةِ، وأصْبَحْنا يومَ الأرْبعاءِ - يعَنى سادسَ عشَرَ شوَّالٍ بُكْرَةً - إلى جنَّةِ دمِشقَ داخِلين بسلامٍ آمِنين، لولا أنَّنا غيرُ خالدين، وكانتْ غَيْبَةُ السلطانِ عنها طالَتْ أرْبَعَ سنِينَ، فأخرَجَتْ دِمَشْقُ أثْقالَها، وأبْرزَتْ نِساءَها ورِجالَها، وكان يومَ الزِّينَةِ، وخرَج كلُّ مَن فى المدينةِ، وحُشِر الناسُ ضُحًى، وأشاعوا استبشارًا وفرَحًا، واجتَمَع بأولادِه الكِبارِ والصغارِ، وقدِم عليه رسُلُ المُلُوكِ مِن سائرِ الأمْصارِ، وأقامَ بقيةَ عامِه فى اقْتِناصِ الصيدِ وحضُورِ دارِ العدلِ للفصلِ، والعملِ [٩/٣١١ظ] بالإحْسانِ والفَضْلِ.

ولمَّا كان عيدُ الأضْحَى امْتدَحَه بعضُ الشعراءِ بقصيدةٍ يقولُ فيها[2]:

وأبِيـهـا لـوْلَا تـغـزُّلُ عَيْـنَيـ	ـها لَمَا قلْتُ فى التَّغزُّلِ شِعْرَا
ولَـكـانَـتْ مـدائـحُ المَلِكِ الـنـا	صرِ أولَى ما فيه أعمِلُ فكْرَا
مـلـكٌ طـبَّـقَ المَـمـالِـكَ عـدلًا	مـثـلَ مـا أوْسَـع الـبـرِيَّـةَ بِـرَّا
فـتـحَـلَّ الأعـيـادَ صـوْمًـا وفِـطْـرًا	وتَـلَـقَّ الـهـنـاءَ[3] بَـرًّا وبـحـرَا[3]
يا مُسِرَّ الطاعاتِ للَّهِ إنْ أضْـ	ـحى مليكٌ على الهَناتِ مُصِرَّا
نِلْتَ ما تبْتَغِى مِن الدينِ والدنْـ	ـيَا فَتِيهًا على الملوكِ وفَخْرَا
قد جمعْتَ المجْدَيْنِ أصْلًا وفَرْعًا	وملَكْتَ الدارَيْنِ دنْيَا وأخْرَى

وممَّا وقَع فى هذه السنَةِ مِن الحوادِثِ غَزْوَةٌ عظيمةٌ بينَ صاحِبِ غَزْنَةَ شِهابِ الدينِ السُّبُكْتِكِينىِّ وبينَ ملَكِ الهندِ وأصْحابِه الذين كانوا قد كسَروه فى سنَةِ

---

(١) العرادة: قرية على رأس تل شبه القلعة بين رأس عين ونصيبين. معجم البلدان ٣/ ٦٢٧.

(٢) الروضتين ٢/ ٢٠٨.

(٣ - ٣) فى مصدر التخريج: «فطرا ونحرا».

ثلاثٍ وثمانين ، فأظْفرَه اللَّهُ بهم فى هذه السنةِ ، فكسَرهم وقتَل خَلْقًا منهم ، وأسَرَ خلقًا ، وكان مِن جُملةِ مَنْ أسَره مَلِكُهم الأعظمُ ، وثمانيَةَ عشَرَ فِيلًا ، مِن جملَتِها الذى كان جرَحَه ، فأُحضِرَ الملكُ بينَ يدَيْه فأهانَه ولم يُكرِمْه ، واسْتَحوذَ على حِصْنِه ، وأَخْبرَ بما كان فيه مِن كلِّ جليلٍ وحقيرٍ ، ثم قتَلَه بعدَ ذلك ، وعادَ إلى غَزْنَةَ مؤيَّدًا منْصورًا مسْرورًا محْبُورًا .

وفى هذه السنةِ اتُّهِمَ أميرُ الحجِّ ببَغْدادَ وهو طاشْتِكين - وقد كان على إمْرَةِ الحجيجِ مِن مدَّةِ عشرينَ سنةً ، وكان فى غايَةِ حُسْنِ السِّيرَةِ - بأنَّه يُكاتِبُ صلاحَ الدينِ بنَ أيُّوبَ بالقدومِ إلى العراقِ ليأخُذَها ، فإنَّه ليسَ يَرُدُّه[1] أحدٌ ، وقد كان مكْذُوبًا عليه فى ذلك ، ومع هذا حُبِس وأُهِينَ وصودِرَ .

فصلٌ

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

القاضى شمسُ الدينِ ، محمدُ بنُ محمدِ بنِ مُوسَى[2] ، المعرُوفُ بابنِ الفراشِ ، كان قاضىَ العساكرِ بدِمَشْقَ ، ويرْسِلُه السلْطانُ فى الرِّسالاتِ إلى ملُوكِ الآفاقِ ، وتُوفِّى بمَلَطْيَةَ عائدًا مِن بَنِى قلجَ .

سَيْفُ الدينِ علىُّ بنُ أحمدَ المَشطوبُ[3] ، كان مِن أصْحابِ أسَدِ الدينِ

---

(١) فى الأصل : « بين يديه » ، وفى م : « بينه وبينها » .

(٢) الروضتين ٢/ ٢٠٩.

(٣) النوادر السلطانية ص ٢٤٠، والروضتين ٢/ ٢٠٩، ومرآة الزمان ٨/١/ ٤٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٣٠٢، والنجوم الزاهرة ٦/ ١١٧، وشذرات الذهب ٤/ ٢٩٤.

شِيرِكُوه ، حضَرَ معه الوقَعَاتِ الثَّلاثَ بديارِ مصرَ ، ثم صار مِن أكابرِ أمراءِ صلاحِ الدينِ ، وهو الذى كان نائبًا على عَكَّا حينَ أخَذَها الفِرنجُ ، فأسَرُوه فى جملةِ مَنْ أسَرُوا ، فافْتدَى نفْسَه بخمسينَ ألفَ دِينارٍ ، وتخلَّص إلى أن خلَص إلى السلْطانِ وهو بالقُدْسِ فأعْطاه أكثرَها ، ووَلاه نيابةَ نابُلُسَ . وكانت وفاتُه يومَ الأحَدِ الثالثِ والعشرين مِن شوَّالٍ بالقُدْسِ الشريفِ ، ودُفِنَ فى دارِه .

صاحِبُ بلادِ الرومِ عزُّ الدِّينِ قِلجُ أرْسَلَان بنُ مَسْعُودِ بنِ قِلجَ أرْسَلَان[1] ، وكان قد قسَمَ جميعَ بلادِه بينَ أوْلادِه ؛ طمَعًا فى طاعَتِهم له ، فخالَفُوه وتجبَّرُوا وعَتَوْا عليه ، وخفَضُوا قَدْرَه حتى ارْتَفَعُوا ، ولم يزَلْ كذلك حتى تُوفِّى فى عامِه هذا .

وفى رَبيعِ الآخرِ تُوفِّى **الأديبُ الشاعِرُ أبو المُرَهَفِ ، نَصْرُ بنُ منْصُورٍ النُّميرىُّ**[2] ، سمِعَ الحديثَ واشْتغلَ بالأدبِ ، وكان قد أصابَه جُدَرِىٌّ وهو ابنُ أربعَ عشْرَةَ سنةً فنقَصَ بصَرُه ، فكان لا يُبصِرُ الأشياءَ البعيدةَ ، ويرَى القريبَ منه ، ولكنَّه لا يحْتاجُ إلى قائدٍ ، فارْتحَلَ إلى العراقِ ؛ لمُداواةِ عيْنَيْه فآيَسَتْه الأطباءُ مِن ذلك ، فاشْتَغَل بحفْظِ القرآنِ ومُصاحبَةِ الصالحينَ والزُّهّادِ فأفْلَحَ ، وله دِيوانُ شعرٍ كبيرٌ حسَنٌ ، وقد سُئِل مرَّةً عن مذْهبِه واعْتقادِه ، فأنشأَ يقولُ[3] :

---

(١) الكامل ١٢/ ٨٧، ومرآة الزمان ٨/١/ ٤٢٠، وفيه : « قليج » ، والروضتين ٢/ ٢٠٩، وفيه : « قليج » ، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣٠٦، والنجوم الزاهرة ٦/ ١١٧، وفيه : « قليج » .

(٢) معجم الأدباء ١٩/ ٢٢٢، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٨٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣١١، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٣٧٤.

(٣) الأبيات فى سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣٠٧، ٣٠٨، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٣٧٥.

أُحِبُّ علِيًّا والبَتُولَ ووُلْدَها ولا أجْحَدُ الشيْخَيْنِ فضْلَ التقدُّمِ
[٩/ ٣١٢و] وأبْرَأُ ممَّنْ نالَ عُثْمانَ بالأذَى كما أتبَرَّا مِن وَلاءِ ابنِ مُلْجِمِ
ويُعْجِبُنِى أهلُ الحديثِ لصِدْقِهِم فلسْتُ إلى قومٍ سِوَاهمْ بمُنْتَمِى

وكانت وفاتُه ببَغْدادَ ، ودُفِنَ بمقابرِ الشهداءِ ببابِ حربٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالَى .

ثم دَخلت سنةُ تسعٍ وثمانين وخمسِمائةٍ

فيها[1] كانت وفاةُ الملكِ النَّاصرِ صلاحِ الدينِ[2] ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

اسْتَهلَّت هذه السنةُ وهو فى غايةِ الصِّحةِ والسَّلامةِ ، وخرَج هو وأخوه العادلُ أبو بكرٍ إلى الصيدِ شرْقىَّ دِمَشْقَ ، وقد اتَّفَق الحالُ بينَه وبينَ أخيه أنَّه بعدَما قد تفرّغ مِن أمرِ الفِرنْجِ هذه المدةَ يسيرُ هو إلى بلادِ الرومِ ، ويبعَثُ أخاه إلى خِلاطَ ، فإذا فرَغا مِن شأنِهما سارَا جميعًا إلى بلادِ أَذْرَبِيجانَ ، وبلادِ العَجَمِ ، فَإنَّه ليس دونَها أحدٌ يُمانِعُ عنها ولا يَصُدُّهم عنها ، فلمَّا قدِم الحجِيجُ مِن الحجازِ الشريفِ فى يومِ الاثنين حادى عشَرَ صَفَرٍ خرَج ؛ لتلَقِّيهم ، وقدِم معهم ولَدُ أخيه سيفِ الإسلامِ ، صاحبِ اليمَنِ ، فأكرَمه واحْتَرمه ، وعاد إلى القلعةِ المنصورةِ ، فدخَلها مِن بابِ الحديدِ ، فكان ذلك آخرَ ما ركِب فى هذه الدنيا ، ثم إنَّه اعْتَراه حُمَّى صفراوِيَّةٌ ليلةَ السبتِ سادِسَ عشَرَ صَفَرٍ ، فلما أصبَح دخَل عليه القاضى الفاضلُ ، وابنُ شدَّادٍ ، وابنُه الأفْضلُ ، فأخَذ يشكو إليهم كثْرَةَ قلقِه البارِحةَ ، وطاب له الحديثُ ، وطال مجلِسُهم عندَه ، ثم تَزايدَ به المرضُ واسْتَمرَّ ، وقصَده الأطباءُ فى اليومِ الرابعِ ، فاعْتَراه يُبْسٌ ، وحصَل له عرَقٌ شديدٌ بحيثُ نفَذ إلى الأرضِ ، فقَوِىَ اليُبْسُ ، فأُحضِر الأمراءُ مِن الأكابرِ ، والرؤساءِ ، فبُويعَ لوَلدِه الأفضلِ نورِ الدينِ

---

(١) الكامل ١٢/ ٩٥، والروضتين ٢/ ٢١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٩٠.

(٢) الفتح القُسِّىّ ص ٦٥٦، والكامل ١٢/ ٩٥، والنوادر السلطانية ص ٦، ومرآة الزمان ٨/١/ ٤٢٥، والروضتين ٢/ ٢١٢، ووفيات الأعيان ٧/ ١٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣٥١، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٣٣٩.

عليٍّ نائبًا على دِمَشْقَ ، وذلك عندَما ظهَرت مَخايلُ الضَّعفِ الشديدِ ، وغيبوبَةُ الذِّهْنِ فى بعضِ الأوقاتِ ، وكان الذين يدخُلون عليه فى هذه الحالِ القاضىَ الفاضلَ ، وابنَ شَدّادٍ ، وقاضِىَ البلدِ ابنَ الزَّكىِّ ، وتفاقم الحالُ ليلةَ الأربعاءِ السابعِ والعشرين من صفرٍ ، واستدعَى الشيخَ أبا جعفرٍ إمامَ الكَلَّاسةِ[1] ؛ ليبيتَ عندَه يقْرأَ القرآنَ ، ويُلقِّنُه الشهادةَ إذا جَدَّ به الأمرُ ، فذكَر أنَّه كان يقْرَأُ عندَه وهو فى غَمَراتِ الموتِ ، فقرأ : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾ [الحشر : ٢٢] . فقال : وهو كذلك صحيحٌ . فلمَّا أَذَّنَ الصبحُ جاء القاضى الفاضلُ فدخَل عليه وهو فى آخرِ رمَقٍ ، فلمَّا قرَأَ القارئُ : ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ﴾ [الرعد : ٣٠] . تبسَّمَ وتهَلَّلَ وجْهُه ، وأسْلَمَ رُوحَه إلى ربِّه سبحانَه ، ومات رحمه اللَّهُ ، وأكرَم مَثْواه ، وجعَل جنَّةَ الفِرْدَوْسِ مأْوَاه ، وكان له مِن العُمرِ سبعٌ وخمسون سنةً ؛ لأنه وُلِد بتَكْرِيتَ فى شُهورِ سنةِ ثِنْتَيْن وثلاثين وخمسِمائةٍ ، رحمه اللَّهُ ، فقد كانَ رِدْءًا للإسلامِ ، وحِرْزًا وكَهفًا مِن كَيْدِ الكفَرَةِ اللِّئامِ ، وكان أهلُ دمشقَ لم يُصابُوا بمثْلِ مُصابِه ، ووَدَّ كلٌّ منهم لو فَدَاه بأولادِه وأحبابِه وأصحابِه ، وقد غُلِّقتِ الأسواقُ ، واحْتُفِظَ على الحَواصلِ ، ثم أخَذُوا فى تجهيزِه وغسلِه ، وحضَر جميعُ أولادِه وأهلِه ، ويَعِزُّ عليهم أن يأتوا بمثلِه ، وكان الذى توَلَّى غَسْلَه خَطِيبَ البلَدِ الفقيهَ الدَّوْلَعِىَّ ، وكان الذى أحضَرَ الكفَنَ ومُؤْنَةَ [٩/٣١٢ظ] التَّجْهيزِ القاضىَ الفاضلَ مِن صُلْبِ مالِه الحَلالِ ، هذا وأوْلادُه الكِبارُ والصِّغارُ يَتْرُزون ويتنادُون ويبكُون ، والناسُ فى التعوِيلِ والانْتِحابِ والابْتِهالِ ، ثم أُبْرِزَ فى تَابُوتٍ بعدَ صلاةِ الظهرِ ، وأَمَّ الناسَ عليه القاضى ابنُ الزَّكىِّ ، ثم دُفِنَ فى

---

(١) مدرسة الكلّاسية ، لصيقة الجامع الأموي من جهة الشمال ، سميت كذلك لأنها كانت موضع عمل الكلس أيام بناء الجامع . الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٤٤٧، ٤٤٨.

دارِه بالقَلْعَةِ المنصورةِ ، وشرَع ابنُه فى بِناءِ تُرْبَةٍ له ، ومدرسةٍ للشافعيةِ بالقُرْبِ مِن مسجدِ القَدَمِ ؛ لوصِيَّتِه بذلك قديمًا ، فلم يكمُلْ بِناؤُها ولم يتمَّ ، وذلك حينَ قَدِم ولَدُه العزيزُ ، وكان مُحاصِرًا لأخيه الأفْضلِ ، كما سيأْتى بَيانُه ، فى سنَةِ تسعين وخمسِمائةٍ ، ثم اشْتَرى له الأفْضَلُ دارًا شَماليَّ الكَلَّاسةِ فى وِزَانِ مازادَه القاضى الفاضلُ فى الكَلَّاسةِ ، فجعَلها له تُرْبةً ، هطَلَتْ سَحائبُ الرَّحمةِ عليها ، ووَصَلَتْ أَلْطافُ الرَّأفَةِ إليها . وكان نقْلُه إليها فى يومِ عاشُوراءَ سنةَ اثنتين وتسعين ، وصَلَّى عليه تحتَ النَّسْرِ قاضى القُضاةِ محمدُ بنُ عليٍّ القُرشيُّ ابنُ الزَّكيِّ ، عن إذنِ الأفضلِ له ، ودخَل فى لَحدِه ولَدُه الأفضَلُ ، فدفَنه بنفسِه ، وهو يومَئذٍ سلطانُ الشامِ ، وذلك لما له عليه من الحقِ والخدمةِ والإكرامِ ، ويقالُ[1] : إنَّه دُفِن معه سيفُه الذى كان يحضُرُ به الجِهادَ والجِلادَ ، وذلك عن أمرِ القاضى الفاضلِ أحدِ الأجوادِ الأمجادِ ، وتفاءلوا بأنَّه يكونُ معه يومَ القيامةِ يتوكَّأُ عليه ، حتى يدخُلَ الجنَّةَ ؛ لما أُنْعِم به عليه مِن كسرِ الأعداءِ ، ونصرِ الأولياءِ ، وأُعظِم عليه بذلك المنَّةُ . ثم عُمِل عَزاؤُه بالجامعِ الأُمَوىِّ ثلاثَةَ أيامٍ ، يحضُرُه الخَواصُّ والعَوامُّ ، والرَّعِيَّةُ والحُكَّامُ ، وقد عمِلَ الشُّعراءُ فيه مرَاثِىَ كثيرةً ، مِن أحْسَنِها ما عمِل العمادُ الكاتِبُ فى آخرِ كِتابِه « البَرْقِ الشامىِّ » ، وهى مائتان واثنان وثلاثون بيتًا ، وقد سرَدها الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ فى « الرَّوْضَتَيْن »[2] ، فمنها قولُه فى أولِها :

شَمْلُ الهُدَى والمُلْكِ عمَّ شَتاتُهُ ... والدهرُ ساء وأقلَعتْ حَسَناتُهُ

أين الذى مُذْ لم يَزَلْ مَخشِيةً ... مَرْجُوَّةً رَهَباتُه وهِباتُهُ

أين الذى كانت له طاعاتُنا ... مَبْذُولَةً ولِرَبِّه طاعاتُهُ

(١) الروضتين ٢/ ٢١٤، ٢١٥.

(٢) المصدر السابق .

باللّهِ أين الناصرُ الملكُ الذى ... لِلّهِ خالِصَةً صَفَتْ نِيّاتُهُ
أين الذى ما زال سلطانًا لنا ... يُرْجَى نَداهُ وتُتَّقَى سَطَواتُهُ
أينَ الذى شَرُفَ الزمانُ بفضلِه ... وسمَتْ على الفُضلاءِ تشريفاتُهُ
أين الذى عنتِ الفِرنجُ لبأْسِه ... ذُلًّا، ومنها أُدْرِكتْ ثاراتُهُ
أغْلالُ أعناقِ العِدا أسْيافُهُ ... أطواقُ أجيادِ الورَى مِنّاتُهُ

وللعمادِ الكاتبِ فى الملِكِ الناصرِ يَرْثيه[1]:

مَن للعُلا مَن للذُّرَى مَن للهُدَى ... يحْمِيهِ مَن للبأسِ مَنْ للنّائلِ
طلَب البقاءَ لمُلْكِه فى آجلٍ ... إذْ لم يثِقْ ببقاءِ مُلْكٍ عاجلِ
بَحْرٌ أعادَ البَرَّ بحْرًا بِرُّهُ ... وبسيفِه فُتِحتْ بلادُ السَّاحلِ
مَن كان أهلُ الحقِّ فى أيامِهِ ... وبعِزِّه يُردُون أهلَ الباطلِ
وفتُوحُه والقُدْسُ مِن أبكارِها ... أبقَتْ لهُ فضلًا بغيرِ مُساجِلِ
ما كنتُ أسْتَسْقِى لقَبْرِكَ[2] وابِلًا ... ورأيتُ جُودَكَ مخجِلًا للوابِلِ
فسَقاكَ رِضْوانُ الإلهِ لأنَّنى ... لا أرتَضى سُقْيَا الغَمامِ الهاطلِ

ذِكْرُ تَركتِه وشىءٍ مِن ترْجمتِه

قال العِمادُ وغيرُه[3]: لم يترُكْ فى خِزانتِه مِن الذهبِ سوى جرمٍ واحدٍ[4]

---

(١) الروضتين ٢/ ٢١٧.
(٢) فى الروضتين: «بغيرك».
(٣) الفتح القسى ص ٦٢٩، والروضتين ٢/ ٢١٧.
(٤) بعده فى م: «أى دينار واحد».

صُورىٌّ[1] وستةٍ وثلاثين درهمًا . وقال غيرُه[2] : سبعةٍ وأربعين درهمًا ، ولم يترُكْ دارًا ولا عَقارًا ولا مزْرعَةً ولا بُسْتانًا[3] ، ولا شيئًا مِن أنواعِ الأملاكِ . هذا وله مِن الأولادِ سبعةَ عشَرَ ذكرًا وابنةٌ واحدةٌ ، وتُوفِّى له فى بعضِ حياتِه غيرُهم ، والذين تأخَّروا بعدَه [٣١٣/٩و] ستةَ عشَرَ ذكرًا ، أكبرُهم المِلكُ الأفضلُ نورُ الدينِ علىٌّ ، وُلدَ بمصرَ سنةَ خمسٍ وستين ليلةَ عيدِ الفطرِ ، ثم العزيزُ عمادُ الدينِ أبو الفتحِ عثمانُ وُلدِ بمصرَ أيضًا فى جُمادَى الأُولَى سنةَ سبعٍ وستين ، ثم الظافرُ مظفِّرُ الدينِ أبو العباسِ الخَضِرُ ، وُلد بمصرَ فى شعبانَ سنةَ ثمانٍ وستين ، وهو شقيقُ الأفضلِ ، ثم الظاهرُ غِياثُ الدينِ أبو منصورٍ غازِى ، وُلد بمِصر فى نصفِ رمضانَ سنةَ ثمانٍ وستين ، ثم المُعِزُّ فتحُ الدينِ أبو يعقوبَ إسحاقُ ، ولِد بدمِشقَ فى ربيعِ الأوَّلِ سنةَ سبعين ، ثم نجمُ الدينِ أبو الفَتْحِ مسعودٌ ، ولِد بدمشقَ سنةَ إحدى وسبعين ، وهو شَقيقُ العزيزِ ، ثم الأَغَرُّ شرفُ الدينِ أبو يوسفَ يعقوبُ ، وُلدَ بمصرَ سنةَ ثِنْتين وسبعين ، وهو شقيقُ العزيزِ أيضًا ، ثم الزَّاهِرُ مُجيرُ الدينِ أبو سليمانَ داودُ ، وُلد بمصرَ سنةَ ثلاثٍ وسبعين ، وهو شقيقُ الظاهرِ ، ثم أبو الفضلِ قطْبُ الدينِ موسى ، وهو شقيقُ الأفضلِ ، ولِدَ بمصرَ سنةَ ثلاثٍ وسبعِين أيضًا ، ثم لُقِّبَ بالمُظَفَّرِ ، ثم الأشرفُ مُعِزُّ الدينِ أبو عبدِ اللّهِ محمدٌ ، وُلد بالشامِ سنةَ خمسٍ وسبعين ، ثم المحسنُ ظهِيرُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ ؛ ولدَ بمصرَ سنةَ سبعٍ وسبعين ، وهو شقيقُ الذى قبلَه ، ثم المعَظَّمُ فَخْرُ الدينِ أبو منصورٍ تُورَانْشاه ، وُلد بمصرَ فى ربيعِ الأولِ سنةَ سبعٍ وسبعينَ ، وتأخَّرت وفاتُه إلى سنةِ ثمانٍ وخمسين وستِّمائةٍ ، ثم الجَوَّالُ ركنُ الدينِ أبو سعيدٍ أيوبُ ولد سنةَ ثمانٍ وسبعين ، وهو شقيقٌ للمُعِزِّ ،

---

(١) الدنانير الصورية : هى التى على أحد وَجهيها صورة الملك الذى تضرب فى زمنه ، وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وبولس ، صبح الأعشى ٣/ ٤٤١.

(٢) النوادر السلطانية ص ٨ والروضتين ٢/ ٢١٧.

(٣) فى الأصل، ص: « سقفا » .

ثم الغالبُ نَصِيرُ الدينِ أبو الفتحِ مَلِكْشاه ، وُلد فى رجبِ سنةَ ثمانٍ وسبعين وهو شقيقُ المُعَظَّمِ ، ثم المنصورُ أبو بكرٍ أخو المُعَظَّمِ لأبَوَيْه ، وُلِدِ بحَرّانَ بعدَ وفاةِ السلطانِ ، ثم عِمادُ الدينِ شاذى لأُمٍّ ولدٍ ، ونُصرةُ الدينِ مَرْوانُ لأُمٍّ ولدٍ أيضًا . وأمّا البنتُ فهى مُؤْنِسةُ خاتون تزوَّجها ابنُ عمِّها الملكُ الكاملُ محمدُ بنُ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ ، رحِمهم اللَّهُ تعالى .

وإنَّما لم يُخلِفْ أموالًا ولا أملاكًا ؛ لكثرةِ عَطاياه وهباتِه وصدقاتِه وإحسانِه إلى أمرائِه ووزرائِه وأوليائِه ، حتى إلى أعدائِه ، وقد أسلفنا ما يدُلُّ على كثيرٍ مِن ذلك ، رحِمه اللَّهُ ، وقد كان متقلِّلًا فى ملبسِه ، ومأْكلِه ، ومشربِه ، ومركبِه ، فلا يلبَسُ إلا القطنَ والكَتّانَ والصُّوفَ ، ولا يُعرَفُ أنَّه تخطَّى مكروهًا بعدَ أن أنعَمَ اللَّهُ عليه بالمُلْكِ ، بل كان همُّه الأكبرُ ومقصودُه الأعظمُ نصرَ الإسلامِ ، وكسْرَ الأعداءِ اللِّئامِ ، ويُعمِلُ فكرَه فى ذلك ورأيَه وحدَه مع مَن يثِقُ برأيِه ليلًا ونهارًا ، سرًّا وجِهارًا .

وهذا مع ما لديه مِن الفضائلِ والفَواضلِ ، والفوائدِ الفَرائدِ ، فى اللغةِ والأدبِ وأيامِ الناسِ ، حتى قيل[1] : إنَّه كان يحفَظُ الحماسةَ بتَمامِها وختامِها . وكان مُواظِبًا على الصلواتِ فى أوقاتِها فى جماعةٍ ، يقالُ[2] : إنَّه لم تَفُتْه الجماعةُ فى صلاةٍ قبلَ وفاتِه بدهرٍ طويلٍ ، حتى ولا فى مرضِ موتِه ، كان يُدخِلُ الإمامَ فيُصلِّى به ، فكان يتجشَّمُ القِيامَ مع ضَعْفِه ، رحِمه اللَّهُ .

وكان يفهَمُ ما يقالُ بينَ يدَيْه مِن البحثِ والمُناظَرةِ ، ويُشارِكُ فى ذلك

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٨٢.

(٢) الروضتين ٢/ ٢١٩.

مُشاركةً قريبةً حسنةً ، وإن لم يكنْ بالعبارةِ المصطلحِ عليها ، وكان قد جمَع له القُطْبُ النَّيسابُورِيُّ عقيدَةً فكان يحفَظُها ، ويُحَفِّظُها مَن عقَل مِن أولادِه [٣١٣/٩ظ] ، وكان يحبُّ سَماعَ القرآنِ العظيمِ ، ويُواظِبُ على سَماعِ الحديثِ ، حتى إنَّه سمِع فى بعضِ المصافَّاتِ جزءًا وهو بينَ الصَّفَّيْنِ ، فكانَ يَتبجَّحُ[1] بذلك ويقولُ[2] : هذا موقفٌ لم يسمَعْ أحدٌ فى مثْلِه حديثًا . وكان ذلك بإشارَةِ العِمادِ الكاتبِ .

وكان رقيقَ القلبِ سريعَ الدمعةِ عندَ سماعِ الحديثِ ، كثيرَ التعظيمِ لشعائرِ الدينِ ؛ كان[3] قد لجَأ إلى ولَدِه الظاهرِ ، وهو بحَلَبَ ، شابٌّ يقالُ له : الشِّهابُ السُّهْرَوَرْدِيُّ . وكان يعْرِفُ الكِيمْيا وشيئًا مِن الشَّعْبذَةِ والأبْوابِ النِّيرَنْجيّاتِ ، فافتُتِن به ولدُ السلطانِ الظاهِرُ ، وقرَّبَه وأحبَّه ، وخالفَ فيه حَمَلَةَ الشَّرْعِ ، فكتَب إليه أن يقتلَه لا محالةَ ، فصلَبه عن أمرِ والدِه وشهَّرَه ، ويقالُ : بل حبَسه بينَ حائطينِ حتى مات كمَدًا ، وذلك فى سنةِ ستٍّ وثمانين وخمسِمائةٍ .

وكان السلطانُ صلاحُ الدينِ ، رحِمه اللَّهُ ، مِن أشجعِ الناسِ وأقواهم بدَنًا وقلبًا ، مع ما كان يعْترِى جسْمَه مِن الأمراضِ والأسقامِ ، ولا سِيَّما وهو مرابطٌ مصابرٌ مثابرٌ عندَ عكَّا ؛ فإنَّه كان مع كثرةِ جُموعِهم[4] وأمدادِهم لا يزيدُه ذلك إلا قوةً وشجاعةً ، وقد بلَغت جموعُهم خمسَمائةِ ألفِ مقاتلٍ ، ويقالُ : سِتَّمائةِ ألفٍ . وكان جملةُ مَن قُتِل منهم مائةَ ألفِ مقاتلٍ .

---

(١) أى : يفتخر ويباهى .

(٢) النوادر السلطانية ص ٢٠، والروضتين ٢/ ٢٢١. والذى أشار عليه بذلك هو القاضى ابن شداد صاحب «النوادر» ، وليس العماد الكاتب ، كما ذكر المصنف ، رحمه اللّه .

(٣) النوادر السلطانية ص ١٠.

(٤) يعنى : الفِرَنْج .

ولمَّا انْفصَل الحالُ ، وتسَلَّموا عكَّا ، وقتَلوا أكثرَ مَن كان بها ، وسارُوا برُمَّتِهم نحوَ بيتِ المقدسِ ؛ جعَل يُسايرُهم منْزِلةً منْزِلةً ، ومرحلةً مرحلةً ، وجيوشُهم أضعافُ أضعافِ مَنْ معَه ، ومع هذا نصَره اللَّهُ وخذَلَهم ، وأيَّده وقتَلهم ، وسبَقهم إلى البيتِ المقدّسِ ، فَصانَه وحَماه ، وشيَّد بنيانَه ، وأطَّد أركانَه ، وصان حِماه ، ولم يزَلْ بجيشِه مُقيمًا به يُرهبُهم ويُرعبُهم ، ويغْلِبُهم ويسْلُبُهم ، ويَكْسِرُهم ويأْسِرُهم حتى تضَرَّعُوا إليه ، وخضَعوا لديه ، ودخَلوا عليه أن يصالِحَهم ويتاركَهم ، وتضَعَ الحربُ أوزارَها بينَهم وبينَه ، فأجابُهم إلى ما سألوا على الوجهِ الذى أرادَه ، لا ما يريدونه ، وكان ذلك مِن جملةِ الرحمةِ التى خُصَّ بها المؤمنون ؛ فإنَّه ما انْقَضتْ تلك السِّنونَ حتى ملَك البِلادَ أخوه أبو بكرٍ العادِلُ ، فعزَّ به المسلمون ، وذَلَّ به الكافرون .

وكان رحِمه اللَّهُ سَخِيًّا كريمًا حَيِيًّا ، ضحُوكَ الوجهِ كثيرَ البِشْرِ ، لا يتَضجَّرُ مِن خيرٍ يفعَلُه ، شديدَ المُصابرَةِ والمثابرةِ على الخَيْراتِ والطاعاتِ ، فرحِمه اللَّهُ ، وأَسْكَنه الجنَّاتِ . وقد ذكَر الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ[1] طرَفًا صالحًا مِن سِيرَتِه وأيامِه ، وعدلِه فى سَرِيرَتِه وعلانِيَتِه ، وأحكامِه .

فصـلٌ

كان السلطانُ الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ قد قسَم البلادَ بيـنَ أولادِه ، فالديارُ المصريةُ لوَلدِه العزيزِ عمادِ الدينِ عثمانَ أبى الفتحِ ، وبلادُ دِمَشْقَ وما حولَها لولدِه الأفضلِ نورِ الدينِ عليٍّ ، وهو أكبرُ أولادِه كلِّهم ، والمملكةُ الحَلَبِيَّةُ لولدِه الظاهرِ

(١) الروضتين ٢/٢١١ وما بعدها .

غازى غِيَاثِ الدينِ ، ولأخِيه العادلِ الكَرَكُ والشَّوْبَكُ وبلادُ جعبرٍ وبلادٌ كثيرةٌ قاطعَ الفُراتِ ، وحَماةُ ومُعامَلةٌ أخرى معها للملكِ المنصورِ محمدِ بنِ تَقىِّ الدينِ عمرَ ابنِ أخى السلطانِ ، وحِمْصُ والرَّحْبَةُ وغيرُها لأسدِ الدينِ شِيرِكُوه بنِ ناصِرِ الدينِ محمدِ بنِ أسدِ الدينِ شِيرِكُوه الكبيرِ ، عمِّ صلاحِ الدينِ أخى أبيه نجمِ الدينِ أيوبَ ، واليَمنُ بمَعاقِله ومخاليفِه جميعُه فى قبضةِ السلطانِ ظَهِيرِ الدينِ سيفِ الإسلامِ طُغْتِكِين بنِ أيوبَ ، أخى السلطانِ صلاحِ الدينِ ، [٣١٤/٩و] وبَعْلَبَكُّ وأعمالُها للأمجدِ بَهْرام شاه بنِ فرُّوخشاه ، وبُصْرَى وأعمالُها للظَّافرِ بنِ الناصِرِ ، ثم شرَعت الأمورُ بعدَ موتِ صلاحِ الدينِ تضطَرِبُ وتخْتلِفُ وتتفاقمُ فى جميعِ هذه الأحوالِ ، حتى آلَ الأمرُ إلى ما إليه آلَ ، واسْتَقَرَّت الممالكُ ، واجتمَعت المحافلُ على أخى السلطانِ ، الملكِ العادلِ ، وصارَتِ المملكةُ فى أولادِه الأماجدِ الأفاضلِ ، كما سنوضِّحُه قريبًا ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وفى هذه السنةِ جدَّدَ الخليفةُ الناصرُ لدينِ اللَّهِ خِزانةَ كتبِ المدرسةِ النِّظاميةِ ببغدادَ ، ونقَل إليها ألوفًا مِن الكتبِ الحسنةِ المُثَمَّنَةِ .

وجرَت ببغدادَ فى المحرَّمِ مِن هذه السنةِ كائنةٌ غريبةٌ ؛ وهى أنَّ ابنةً لرجلٍ مِن التُّجَّارِ فى الطَّحِينِ تعَشَّقَت لغلامِ أبيها ، فلما علِم أبوها بأمرِها طرَد الغلامَ مِن دارِه ، فواعَدَته البنتُ ذاتَ ليلةٍ ، فجاء مُخْتفِيًا ، فترَكَتْه فى بعضِ الدارِ ، ونزَل فى أثناءِ الليلِ ، فقتَل أباها مولاه ، وأمرَتْه الجاريةُ بقَتْلِ أمِّها ، فقتَلها وهى حُبْلى ، وأعْطَتْه الجاريةُ حَلْيًا بقيمةِ ألفى دينارٍ ، فأصبح أمرُه عندَ الشرطةِ فمُسِك وقُتِل ، قبَّحه اللَّهُ وإيّاها ، وقد كان سيِّدُه مِن خِيارِ الناسِ ، وأكثرِهم صدقةً وبرًّا ، وكان شابًّا ، وَضِيءَ الوجهِ ، رحِمه اللَّهُ .

وفيها درَّس بالمدرسةِ الجديدةِ عندَ قبرِ معروفٍ الكَرْخِيِّ الشيخُ أبو عليٍّ النَّوْقانيُّ[1]، وحضَر عندَه القُضاةُ والأعيانُ، وعُمِل بها دعوةٌ حافلةٌ.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

السلطانُ صلاحُ الدينِ يوسفُ بنُ أيوبَ بنِ شاذى، وقد تقدَّم ذلك مبْسوطًا.

الأميرُ بَكْتَمُرُ[2] صاحبُ خِلاطَ، قُتِل فى هذه السنةِ، وكان مِن خيارِ الملوكِ، وأشجعِهم، وأكرمِهم، وأحسنِهم سِيرةً، رحِمه اللَّهُ.

الأتابِكُ عِزُّ الدينِ مسعودُ بنُ مَوْدودِ بنِ زَنْكِى[3]، صاحبُ المَوْصِلِ نحوًا مِن ثلاثَ عشْرَةَ سنةً، وكان مِن خِيارِ المُلْوكِ وأحسنِهم سيرةً، كان يَتَشبَّهُ بالملكِ العادلِ نورِ الدينِ عمِّه، ودُفِن بتُربتِه عندَ مدرسةٍ أنْشأَها بالموصلِ، أثابَه اللَّهُ.

جعفرُ بنُ محمدِ بنِ قطيرَا، أبو الحسنِ، أحدُ الكتّابِ بالعراقِ، كان يُنْسَبُ إلى التَّشَيُّعِ، وهذا كثيرٌ فى أهلِ تلك البلادِ، لا أكثرَ اللَّهُ فى المسلمين أمثالَهم ولا أشكالَهم. جاءَه رجلٌ ذاتَ يومٍ فقال له: رأيْتُ البارِحَةَ أميرَ المؤمنين عليًّا فى المنامِ وهو يقولُ لى: اذهَبْ إلى ابنِ قطيرا، فقُلْ له يعْطِيك عشَرةَ دنانيرَ. فقال له ابنُ قطيرَا. متى رأيْتَه؟ قال: أوَّلَ الليلِ. قال: فأنا رأيْتُه فى آخرِه، فقال: إذا جاءَكَ

---

(١) فى الأصل: «اليونانى»، وفى ص: «التومانى»، وفى م: «التويانى». والمثبت من مرآة الزمان ٨/ ١/ ٤٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٩١.

(٢) الكامل ١٢/ ١٠٢، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ٤٢٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣٢١، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٣٢.

(٣) الكامل ١٢/ ١٠٢، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ٤٢٣، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٠٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣٤٧.

رجلٌ مِن صفتِه كذا وكذا ، فطلَب منك شيئًا ، فلا تُعْطِه . فأدبَرَ الرجلُ مولِّيًا ، فاستدعاه ووهَبه شيئًا . ومِن شعرِه فيما أوردَه ابنُ الساعى ، وقد تقدَّم لغيرِه[1] :

ولما سبَرْتُ الناسَ أطلبُ منهمُ ... أخا ثِقَةٍ عندَ اعتراضِ الشَّدائدِ

وفكَّرْتُ فى يومَىْ سرورِى وشِدَّتى ... ونادَيْتُ فى الأحْياءِ هل مِن مُساعِدِ

فلم أرَ فيما ساءَنى غيرَ شامِتٍ ... ولم أرَ فيما سرَّنى غيرَ حاسِدِ

يحيى بنُ سعيدِ بنِ غازى ، أبو العباسِ البصرىُّ ، صاحِبُ « المقاماتِ » ، كان شاعرًا أديبًا فاضلًا بلِيغًا ، له اليدُ الطُولَى فى اللغةِ والنَّظْمِ ، ومِن شعرِه قولُه :

غناءُ خُودٍ ينْسابُ لُطْفًا ... بلا عَناءٍ فى كلِّ أُذْنِ

ما ردَّهُ قطُّ بابُ سمعٍ ... ولا أَتَى زائِرًا بإذْنِ

السَّيِّدَةُ زُبَيْدَةُ[2] **بنتُ الإمامِ المُقْتَفِى لأمرِ اللَّهِ** ، أختُ المستنجدِ ، وعمَّةُ المُسْتَضِىءِ ، كانت قد عُمِّرت دهرًا طويلًا ، ولها صدقاتٌ كثيرةٌ دارّةٌ ، وقد تزوَّجها فى وقتِ السلطانُ مسعودٌ على صداقِ مائةِ ألفِ دينارٍ ، فتُوفِّى قبلَ أن يدخُلَ بها ، وقد كانت كارِهَةً لذلك ، فحصَل مقصودُها .

الشَّيْخَةُ الصالحةُ فاطِمةُ خاتون بِنْتُ محمدِ بنِ الحسَنِ العَمِيدِ ، كانتْ صالحةً عابدةً زاهِدةً ، عُمِّرتْ مائةَ سنةٍ وسِتَّ سِنيـنَ ، كانَ قد تزَوَّجَها فى وَقْتٍ أميرُ الجيوشِ نَظَرٌ وهى بِكرٌ ، فبَقِيت عندَه إلى أن تُوفِّى ولم تتزَوَّجْ بعدَه ، بلِ اشْتَغَلتْ بذِكْرِ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، والعبادةِ ، رحِمَها اللَّهُ .

وفى هذه السنةِ أنْفَذ الخليفةُ الناصرُ لدينِ اللَّهِ العبَّاسِىُّ إلى الشَّيْخِ أبى الفَرجِ

---

(١) تقدم فى ص ٣٥٦ .

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٣٢٤ ، والوافى بالوفيات ١٧٨/١٤ .

ابنِ الجَوْزِيِّ يطْلُبُ منه أنْ يزيدَ على أبْياتِ عَدِيٍّ بنِ زيدٍ المشْهُورَةِ ما يُناسِبُها مِن الأشعارِ، ولو بلَغ ذلك عَشْرَ مُجَلَّداتٍ، وهى هذِه الأبْياتُ[1]:

أيُّها الشامِتُ المُعَيِّرُ بالدَّهْـ ـرِ أأنتَ المُبَرَّأُ الموْفُورُ
أم لدَيْكَ العَهدُ الوَثيقُ مِن الْـ ـأيامِ، بلْ أنتَ جاهِلٌ مغرورُ
مَنْ رأيْتَ المَنُونَ خلَّدْنَ أمْ مَنْ ذا عليه مِن أنْ يُضامَ خَفِيرُ
أينَ كِسْرى كِسْرى المُلوكِ أبُو سا سانَ أمْ أينَ قبلَه سَابُورُ
وبنُو الأصْفَرِ المُلوكُ ملُوكُ الرُّ ومِ لم يَبْقَ منهمُ مذْكورُ
وأخُو الحَضْرِ إذْبنَاهُ وإذ دِجْـ ـلَةُ تُجْبَى إليه والخابُورُ
شَادَه مَرْمَرًا وجَلَّلَه كِلْـ ـسًا فللطَّيْرِ فى ذُرَاه وُكُورُ
لم تَهَبْه ريبُ المَنُونِ فزَال الـ ـملكُ عنه فبابُه مهْجورُ
وتذَكَّرْ رَبَّ الخَوَرْنَقِ إذا أشْـ ـرَفَ يومًا وللهُدى تفكيرُ
سرَّهُ حالُهَ وكثْرَةُ ما يمْـ ـلِكُ والبحرُ مُعْرِضًا والسَّدِيرُ
فارْعَوَى قلْبُهُ وقالَ وما غِبـ ـطَةُ حيٍّ إلى المماتِ يصيرُ
ثمَّ بعدَ الفلَاحِ والمُلْكِ والإمَّـ ـةِ[2] وارَتْهُمُ هناكَ القُبورُ
ثمَّ أضْحَوْا كأنَّهم وَرَقٌ جَـ ـفَّ فألْوَتْ به الصَّبا والدَّبُورُ
غيرَ أنَّ الأيَّامَ تختَصُّ بالمرْ ءِ وفيها لَعَمْرِى العِظاتُ والتفكيرُ

(١) الأبيات فى الشعر والشعراء ١/ ٢٢٥، ٢٢٦، والأغانى ٢/ ١٣٨، ١٣٩.
(٢) فى النسخ: «الأمر»، والمثبت من مصدرى التخريج. والإمة، بالكسر: النعيم والملك. اللسان (أ م م).

ثم دخلت سنة تِسْعِين وخمسِمائةٍ

لمَّا اسْتَقَرَّ المَلِكُ الأفْضَلُ بنُ صلاحِ الدِّين مَكانَ أبيه بدِمَشْقَ ، بعَثَ بهَدايا سَنيَّةٍ فيها تُحَفٌ شريفةٌ إلى بابِ الخلافةِ[1] ؛ مِن ذلكَ سِلاحُ أبيه ، وحصانُه الذى كانَ يحْضُرُ عليه الغَزَواتِ ، وأشياءُ كثيرةٌ ؛ منها صَليبُ الصَّلَبُوتِ الذى اسْتَلَبَه أبوه مِنَ الفِرنْجِ يومَ حِطِّينَ ، وفيه مِن الذَّهبِ ما يَنِيفُ على عِشْرينَ رِطْلًا ، وهو مُرصَّعٌ بالجواهرِ النَّفِيسَةِ ، وأرْبَعُ جَوارٍ مِن بَناتِ مُلوكِ الفِرنْجِ ، وأنْشأَ له العِمادُ الكاتبُ كتابًا حافِلًا يذْكُرُ فيه التَّعْزِيَةَ بأَبِيه ، والسُّؤالَ مِن الخليفةِ أنْ يكونَ فى مُلكِه مِن بعْدِه ؛ فأُجيبَ إلى ذلك .

ولمَّا كان شَهْرُ جُمادَى الأُولَى قَدِمَ العزيزُ صاحِبُ مِصرَ إلى دِمشقَ[2] ؛ ليأْخُذَها مِن أخِيه الأفْضَلِ ، فخيَّم على الكُسْوَةِ[3] يومَ السَّبْتِ سادسِ جُمادَى ، وحاصَرَ البلَدَ ، فمانَعَه أخُوه ودَافَعه عنها ، فقُطِعَت الأنْهارُ ونُهِبَتِ الثِّمارُ ، واشْتدَّ الحالُ ، ولم يَزَلِ الأمْرُ كذلك حتى قدِم العادِلُ - عمُّهما - فأَصْلَحَ بيْنَهما ، ورَدَّ الأَمْرَ للأُلْفَةِ بعدَ اليمينِ على أنْ يكونَ للعزيزِ القُدْسُ وما جاوَرَ فِلَسْطينَ مِن ناحِيَتِه أيضًا ، وعلى أنْ يكونَ جبَلَةُ واللَّاذِقِيَّةُ للظَّاهِرِ صاحبِ حَلَبَ ، وأنْ يكونَ لعَمِّهما العادِلِ إقْطاعُه الأوَّلُ ببلادِ مِصْرَ مُضافًا إلى ما بيَدِه مِن الشَّامِ[4] [٩/٣١٥و]

---

(١) فى الأصل ، م : « الخليفة الناصر » ، وانظر الروضتين ٢/ ٢٢٥، والفتح القسى ص ٦٥٠.
(٢) الكامل ١٢/ ١٠٩.
(٣) الكُسْوَةُ : قرية هى أول منازل القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر . معجم البلدان ٤/ ٢٧٥.
(٤) فى ص : « مملكة الكرك والشوبك رباط » .

والجزيرَةِ ؛ كحرَّانَ والرُّها وجعبرَ وما جاوَرَ ذلك ، فاتَّفقُوا على ذلك ، وتزَوَّجَ العزِيزُ بابْنَةِ عمِّه العادِلِ ، ومرِضَ ثم عُوفِىَ وهو مخيِّمٌ ، بمَرْجِ الصُّفَّرِ ، وخرَجَتِ المُلُوكُ لتَهْنِئَتِهِ بالعافيةِ والتَّزْويجِ والصُّلحِ ، ثم كرَّ راجعًا إلى مِصرَ لطُولِ شَوْقِه إلى أهْلِه وأوْلادِه .

وكانَ الأفْضَلُ بعدَ موتِ أبيه قد أساءَ التَّدْبيرَ فأبعدَ أمَراءَ أبِيه وخَواصَّه ، وقرَّبَ الأجانِبَ ، وأقْبلَ على شُرْبِ المُسْكِرِ واللَّهْوِ واللَّعبِ ، واسْتَحوذَ عليه وزيرُه ضِياءُ الدِّينِ بنُ الأَثِيرِ الجَزْرِىُّ ، وهو الذى كان يحْدُوه إلى ذلك ، فتَلِفَ وأتْلَفَه ، وأَضَلَّ وأضلَّه ، وزالَتِ النِّعمَةُ عنهما ، كما سيَأْتى .

وفيها كانتْ وقْعَةٌ عظِيمَةٌ بينَ شِهَابِ الدينِ مَلِكِ غَزْنَةَ وبينَ كُفَّارِ الهِنْدِ [(1)] ؛ أقْبَلُوا إليه فى ألْفِ ألْفِ مُقاتلٍ ، ومعهم سَبْعُمائَةِ فِيلٍ ، منها فيلٌ أبْيَضُ لم يُرَ مثْلُه ، فالْتَقَوا فاقْتَتلُوا قِتالًا شدِيدًا لم يُرَ مثْلُه ، فهزَمَهم شِهَابُ الدينِ عندَ نهرٍ عظيمٍ يقالُ له : ماجونُ [(2)] . وقتَلَ مَلِكَهم ، واسْتَحوذَ على حَواصِلِه وحَواصِلِ بلادِه ، وغَنِمَ فِيلَتَهم ، ودخَلَ بلَدَ الملكِ الكُبرَى ، فحمَل مِن خِزانَتِه ذهبًا وغيرَه على ألْفٍ وأربعِمائَةِ جَمَلٍ ، ثم عادَ إلى بلادِه سالمًا مَنْصُورًا .

وفيها مَلَكَ السُّلْطانُ خُوارِزْم شَاه تِكِشُ - ويقالُ له : ابنُ الأَصْباعِىِّ - بلادَ الرَّىِّ وغيرَها ، واصْطلَحَ مع السُّلْطانِ طُغْرُلَ السلجُوقىِّ ، وكان قد تسلَّمَ بِلادَ الرَّىِّ وسائرَ مَمْلَكَةِ أخِيه سُلْطان شَاه وخزائِنَه ، وعَظُمَ شأنُه ، ثم التقَى هو والسلطانُ طُغرُلُ فى رَبِيعِ الأوَّلِ مِن هذه السَّنَةِ ، فقَتَلَ السُّلْطانَ طُغرُلَ ، وأرْسَل

---

(1) الكامل ١٢/ ١٠٥.

(2) فى النسخ : « الملاحون » . والمثبت من الكامل ١٢/ ١٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٩٢. قال ابن الأثير : وهو نهر كبير يقارب دجلة بالموصل .

رأسَه إلى الخليفةِ ، فعُلِّقَ على بابِ النوبَةِ عدَّةَ أيامٍ ، وأرْسَلَ الخليفةُ الخِلَعَ والتَّقاليدَ إلى السُّلطانِ خُوارِزْم شَاه ، وملَك هَمَذانَ وغيرَها مِن البَلادِ المُتَّسِعَةِ .

وفيها نقَمَ الخليفةُ على الشيخِ أبى الفَرَجِ بنِ الجَوْزِيِّ وتغضَّب عليه ، ونفَاه إلى وَاسِطٍ ، فمَكَثَ خَمْسَةَ أيامٍ لم يستطعِمْ بطعامٍ ، وأقام بها خَمْسةَ أعْوامٍ يخْدُمُ نفْسَه ويسْتَقِى مِن بئرٍ عميقةٍ لنفْسِه الماءَ ، وكانَ شيْخًا كبيرًا قد بلَغ ثمانِينَ سنَةً ، وكان يتْلُو فى كلِّ يومٍ وليلةٍ خَتْمةً ، قال[1] : ولم أقْرَأْ سورةَ يُوسُفَ لوَجْدِى على ولَدِى يُوسُفَ ، إلى أن فرَّجَ اللَّهُ . كما سيَأْتى إنْ شاء اللَّهُ .

وفيها تُوفِّى مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ يُوسُفَ ، أبو الخَيْرِ القَزْوِينِىُّ[2] ، الشَّافعىُّ المُفَسِّرُ ، قَدِمَ بغْدَادَ ، ووَعَظَ بالنِّظامِيَّةِ ، وكان يذْهَبُ إلى قَوْلِ الأشْعَرِىِّ فى الأُصولِ ، وجلَس فى يومِ عاشُوراءَ ، فقيلَ له : الْعَنْ يزِيدَ بنَ مُعاوِيَة . فقال : ذاكَ إمامٌ مُجْتَهِدٌ ، فرَمَاه الناسُ بالآجُرِّ فاخْتَفى ، ثم هرَبَ إلى قَزْوِينَ .

ابنُ الشَّاطِبىِّ ؛ ناظِمُ الشَّاطِبِيَّةِ ، أبو محمدٍ القاسِمُ بنُ فِيرُّه[3] **بنِ أبى القاسِمِ خَلَفِ بنِ أحمدَ ، الرُّعَيْنِىُّ الشاطِبىُّ** الضَّرِيرُ ، مُصَنِّفُ الشَّاطِبِيَّةِ فى القَراءَاتِ السَّبعِ ، فلم يُسْبَقْ إليها ولا يُلحَقُ فيها ، وفيها مِن الرُّموزِ كُنوزٌ لا يهْتَدِى

---

(١) مرآة الزمان ٨/٢/ ٤٣٩.

(٢) مرآة الزمان ٨/٢/ ٤٤٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣٦٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٧، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٥٣.

(٣) فى م : « قسيرة » ، وفى ص : « نميرة » . وانظر ترجمته فى : معجم الأدباء ١٦/ ٢٩٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٧١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٣٨٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٧٠.

إليها إلَّا كلُّ ناقدٍ بَصِيرٍ ، هذا مع أنَّه ضَرِيرٌ ، وُلِدَ سنةَ ثَمانٍ وثَلاثِيـنَ وخَمسِمائةٍ ، وشاطِبَةُ بلَدُه قريةٌ شَرْقىَّ الأنْدَلُسِ[1] ، [٩/ ٣١٥ظ] كانَ فقيرًا ، وقد أُرِيدَ أن يَلِىَ خِطابَةَ بلَدِه فامتنَعَ مِن ذلك ؛ لأجْلِ مُبالغَةِ الخُطَباءِ على المَنابرِ فى وَصْفِ المُلُوكِ .

خرَج الشَّاطِبىُّ إلى الحجِّ ، فقدِمَ الإسْكَنْدَرِيَّةَ سنَةَ ثِنْتَيْنِ وسَبْعيـنَ وخَمْسِمائةٍ ، وسمِع على السِّلَفىِّ الحافظِ ، ووَلَّاه القاضى الفاضلُ مشْيَخَةَ الإقْراءِ بمَدْرسَتِه ، وزارَ القُدْسَ الشريفَ وصامَ به شَهْرَ رَمضانَ ، ثم رجَعَ إلى القاهرةِ ، فكانتْ وَفاتُه بها فى جُمادَى الآخِرَةِ مِن هذه السَّنَةِ ، ودُفِنَ بالقَرافةِ بالقُرْبِ مِن التُّرْبَةِ الفاضِلِيَّةِ ، وكانَ دَيِّنًا خاشعًا ناسِكًا كثيرَ الوقارِ ، لا يتَكلَّمُ فيما لا يعْنِيه ، وكان يتَمثَّلُ كثيرًا بهذه الأبياتِ ، وهى لُغْزٌ فى النعْشِ ، وهى لغيرِه[2] :

أتَعْرِفُ شيئًا فى السَّماءِ يطِيرُ ... إذا سارَ صاح[3] الناسُ حيثُ يسِيرُ

فتَلْقاهُ مركُوبًا وتَلْقاه راكبًا ... وكلُّ أميرٍ يغْتَليه أسِيرُ

يحُثُّ على التَّقْوَى ويُكْرَهُ قرْبُه ... وتَنْفِرُ منه النفسُ وهْو نَذِيرُ

ولم يُسْتَزَرْ عن رغبةٍ فى زيارَةٍ ... ولكِنْ على رَغْمِ المَزورِ يزُورُ

---

(١) فى ص : « الملوك » .

(٢) الأبيات فى وفيات الأعيان ٤/ ٧٢، وقد نسبها ابن خلكان لأبى زكريا يحيى بن سلامة الحصكفى .

(٣) فى الأصل ، م : « هاج » .

ثم دخلت سنةُ إحدى وتسعين وخمسِمائةٍ

فيها[1] كانت وَقْعَةُ الزّلّاقَةِ ببلادِ الأندلُسِ شَمَالىَّ قُرطُبَةَ ، بمَرْجِ الحَديدِ ، كانت وَقْعةً عظيمةً ، نصر اللَّهُ فيها الإسلامَ وخذَل فيها عبدة الصُّلْبانِ ، وذلك أنَّ الفُنْشَ[2] مَلِكَ الفِرنْجِ ببلادِ الأنْدَلُسِ - ومَقَرُّ ملكِه بمدِينَةِ طُلَيْطُلَةَ - كتَب إلى الأميرِ يَعْقُوبَ بنِ يُوسُفَ بنِ عبدِ المُؤْمِنِ مَلِكِ المغْرِبِ يَسْتَنْخِيه ويَسْتَدعِيه ويَسْتحثُّه إليه ، فى كلامٍ طويلٍ فيه تَأْنِيبٌ وتَهْديدٌ ووَعِيدٌ شَديدٌ ، فكتَب السُّلْطانُ يَعْقُوبُ بنُ يُوسُفَ فى رأْسِ كتابِه فوق خَطِّه : ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [النمل: ٢٧] . ثم نهَض مِن فوْرِه بجُنودِه وعسَاكرِه ، حتى قطَع الزُّقاقَ إلى الانْدَلُسِ ، فالْتقَوا فى المكانِ المتقدِّمِ ذكرُه ، فكانتِ الدَّائرةُ أوَّلًا على المسلمين ، فقُتِل منهم عشْرونَ ألْفًا ، ثم كانت أخِيرًا على الكافرين ، فهزَمهم اللَّهُ وكسَرهم وخذَلَهم أقْبحَ كسْرةٍ ، وشرَّ هزيمةٍ وأشنَعَها ، فقُتِلَ منهم مِائَةُ ألْفٍ وثلاثةٌ وأربعون ألفًا ، وأُسِر منهم ثَلاثَةَ عشرَ ألْفًا ، وغَنِم المسلمون منهم شيئًا كثيرًا ؛ مِن ذلك مِائةُ ألفِ خَيْمَةٍ وثلاثَةٌ وأرْبَعونَ خيْمةً ، ومِنَ الخَيْلِ سِتَّةٌ وأرْبَعُونَ ألْفَ فرَسٍ ، ومِن البِغالِ مائةُ ألْفِ بغْلٍ ، ومِن الحُمُرِ مثلُها ، ومِن السِّلاحِ التّامِّ سبعون ألْفًا ، ومِن العُدَدِ شيءٌ كثيرٌ ، وملَك عليهم مِن حصُونِهم شيئًا كثيرًا ، وحاصَر مدِينَتَهم طُلَيْطُلَةَ مدَّةً ، ثم لم يفتَحْها ،

(١) الكامل ١٢/ ١١٣.

(٢) فى م : « القيش » . وانظر الكامل ١٢/ ١١٣، وتاريخ الإسلام . (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠) ص ٨.

فانفصَل عنها راجِعًا إلى بلادِه .

ولمَّا حصَل للفُنْشِ ما حصَل حلَق رأْسَه ولحيْتَه ، ونكَّس صليبَه وركِب حِمارًا ، وحلَف لا يرْكبُ فرَسًا ولا يتَلذَّذُ بطَعامٍ ، ولا ينامُ مع امْرأَةٍ حتَّى تنْصُرَه النَّصْرانِيَّةُ ، فجمَع مِن الجنُودِ ما لا يعلَمُه إلَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، فاسْتَعدَّ له السُّلْطانُ يَعْقُوبُ ، فالتقيا فاقتتلا قِتالًا عظيمًا ، فانهزَم الفِرنجُ أقبَحَ مِن هزيمَتِهم الأُولى ، وغَنِمُوا منهم نظِيرَ ما تقدَّم ذكْرُه أو أكثرَ ، واستحوذَ السُّلطانُ على كثيرٍ مِن مَعاقِلِهم وقِلاعِهم - وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ - حتَّى قيل : إنَّه بِيعَ الأسيرُ بدِرْهَمٍ ، والحِصَانُ بخَمْسَةِ دَراهِمَ ، والخيْمَةُ [٣١٦/٩و] بدرْهمٍ والسيفُ بنصفِ درْهَمٍ ، ثم قسَم السُّلْطانُ هذه الغَنائمَ على الوَجْهِ الشَّرْعِيِّ ، فاستغنى المجُاهِدون إلى الأبَدِ ، ثم طلَب الفِرنْجُ مِن السُّلطانِ الأمانَ ، فهادَنهم على وضْعِ الحربِ خمسَ سِنين ، وإنَّما حملَه على ذلك أنَّ رجُلًا يقالُ له : عليُّ بنُ إسحاقَ الميُورقيُّ[1] الذى يُقالُ له : المُلَثَّمُ[2] . ظهَر ببلادِ إفريقيَّةَ فأحدَث أُمورًا فظِيعَةً فى غَيْبَةِ السُّلْطانِ واشْتِغالِه بقِتالِ الفِرنجِ مُدَّةَ ثَلاثِ سِنين ، وظهَر هذا المارِقُ الميورقيُّ بالبادِيَةِ ، وعاث فى الأرضِ فسادًا ، وقتَل خَلْقًا كثيرًا ، وتَملَّك بلادًا .

وفى هذه السَّنَةِ والتى قبلَها استَحوذَ جيشُ الخليفةِ على بلادِ الرَّىِّ وأصْبَهانَ وهَمَذانَ وخُوزسْتانَ وغيرِها مِن البلادِ ، وقَوِى جانبُ الخِلافةِ على الملوكِ والمَمالكِ . وفيها خرَج العزيزُ مِن مِصْرَ قاصِدًا دِمَشْقَ ليأْخُذَها مِن يَدِ أخِيه الأفْضَلِ ، وكان الأفضلُ قد تاب وأناب وأقلَع عمَّا كان فيه مِن الشَّرابِ واللَّهْوِ

---

(١) فى الأصل : « التوزنى » ، وفى م : « التوزى » ، وانظر الكامل ١٢/ ١١٦.

(٢) فى الأصل ، وم : « المكلثم » .

واللعبِ ، وأقبَل على الصِّيامِ والصَّلاةِ ، وشرَع بكتابةِ مُصْحَفٍ بيَدِه ، وحَسُنَتْ طرِيقَتُه ، غيرَ أنَّ وَزيرَه الضِّيَاءَ الجَزَرِىَّ يُفْسِدُ عليه دَوْلَتَه ، ويكَدِّرُ عليه صفوتَه ، فلمَّا بلَغ الأفضلَ إقْبَالُ أخِيه نحوَه سار سريعًا إلى عمِّه العادِلِ وهو بجَعْبرَ فاسْتَنْجدَه ، فسار معه وسبَقه إلى دِمَشْقَ ، وراح الأفْضَلُ أيضًا إلى أخِيه الظَّاهرِ بحَلَبَ ، فسارا جميعًا نحوَ دمشْقَ ، فلمَّا سمِع العزيزُ بذلك ، وقد اقترَب مِن دِمَشْقَ ، كَرَّ راجعًا سرِيعًا إلى مِصْرَ ، ورِكب وراءَه العادلُ والأفْضَلُ ليأخُذا منه ديارَ مِصْرَ ، وقد اتَّفقَا على أنْ يكونَ ثُلُثُ مِصْرَ للعادِلِ وثُلُثَاها للأَفْضَلِ ، ثمَّ بدا للعادِلِ فى ذلك ، فأرسَل للعزيزِ يُثَبِّتُه ، وأقبَل على الأفضلِ يُثَبِّطُه ، وأقاما على بُلْبَيسَ أيامًا حتى خرَج إليهما القاضى الفاضلُ مِن جهةِ العزيزِ ، فوقَّع الصُّلْحَ بينهما على أنْ يَرْجِعَ القُدْسَ ومعَامَلتَها للأفْضَلِ ، ويستَقِرَّ العَادِلُ مُقيمًا بمِصْرَ على إقْطاعِه القديمِ ، فأقام العادِلُ بها طمَعًا فيها ورجَع الأفْضَلُ[1] إلى دِمَشْقَ بعدما خرَج العزيزُ لتَوْديعِه ، وهى هُدْنَةٌ على قَذًى ، وصُلْحٌ على دَخَنٍ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

علىُّ بنُ حَسَّانَ بنِ مُسَافرٍ[2] أبو الحسَنِ ، الكاتبُ البَغْدادِىُّ ، كان أديبًا شاعِرًا ، من شعْرِه قولُه :

نـفـى رُقَـادِى ومَـضَـى   بَـرْقٌ بـسَـلْـعٍ[3] وَمَـضَـا
لاحَ كـمـا سَـلَّـتْ يَـدُ الـ   أَسْـودِ عَـضْـبًـا[4] أبْـيَـضَـا

---

(١) فى م : « العادل » . وانظر الكامل ١٢/ ١٢٠.

(٢) فى م : « سافر » . وانظر ترجمته فى : تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٦٩.

(٣) السلع : الشق فى الجلد .

(٤) فى الأصل : « عضًّا » ، والعضب : السيف . اللسان (ع ض ب) .

كـأَنَّـهُ الأَشْـهُـبُ فـى ... الـنَّـقْـعِ إذا مـا ركَـضَـا

يبدو كما تخْتلِفُ الرِّ ... يحُ على جَمْرِ الغَضَا

فَتحْسَبُ الزنْجِيَّ[1] أبـ ... ـدى نظرًا وغمَّضَا

أو شُعْلَةُ النارِ علَا ... لَهِيبُها وانْخفَضَا

آهٍ له مِن بارِقٍ ... ضاءَ على ذاتِ الأضا

أذْكَرنى عهدًا مضَى ... على الغُوَيرِ وانقْضَى

فقال لى قلْبِى أتُو ... صِى حاجَةً وأعْرَضَا

يطلبُ من أمرَضَه ... فديت ذاك المُمْرِضَا

يا غرَضَ القلْبِ لقد ... غادرتَ قلبى غرَضَا

لأسهمٍ كأنَّما ... يُرْسلُها صَرْفُ القَضَا

فبتُّ لا أرْتَابُ فى ... أنَّ رُقادِى قد قَضَى

حتى قفا الليلُ وكادَ ... الليلُ أن ينقرِضَا

وأقبَلَ الصبحُ لأطْـ ... ـرافِ الدُّجا مُبيِّضا

وسلَّ فى الشَّرْقِ على الـ ... ـغرْبِ ضياءً وانْقضَى

---

(١) فى الأصل: «الريح».

ثم دخلت سنة ثِنْتَين وتسعين وخمسِمائةٍ

في رجبٍ منها[1] أقبَل العزيزُ صُحْبةَ عمِّه الملكِ العادِلِ فى عساكرَ ، فدخَلا دِمشْقَ قهْرًا ، وأخرَجا منها الأفضلَ ووزِيرَه الذى أساء تدْبيرَه ، وصلَّى العزيزُ عندَ تُرْبةِ والدِه الملكِ الناصرِ صَلاحِ الدينِ ، وخُطِبَ له بدِمَشْقَ ، ودخَل إلى القَلْعةِ المنْصُورةِ وجلَس فى دارِ العَدْلِ للحُكْمِ والفصْلِ ، كلُّ هذا وأخُوه الأفضلُ حاضِرٌ عندَه فى الخِدْمةِ ، وأمر القاضِىَ مُحيىَ الدِّينِ بنَ الزكىِّ بتأسيسِ المدْرسَةِ العَزِيزيَّةِ إلى جانبِ تُرْبَةِ أبيه ، وكانت دارًا للأميرِ عزِّ الدِّينِ شامةَ ، ثم اسْتَناب على دِمشقَ عمَّه الملكَ العادِلَ ، ورجَع إلى مِصرَ يومَ الاثنينِ تاسِعَ شعبانَ[2] ، والسِّكَّةُ والخُطْبَةُ له ، وصُولِح الأفضلُ عن دمشقَ على صَرْخَدَ ، وهرَب وزِيرُه ابنُ الأثيرِ الجزرِىُّ إلى جزِيرتِه[3] ، وقد أتلَف نفسَه ومُلْكَه بجَريرَتِه ، وانتقَل الأفْضَلُ إلى صَرْخَدَ بأهْلِه وأوْلادِه وأخِيه قُطْبِ الدِّينِ .

وفى هذه السَّنةِ هبَّتْ ريحٌ شديدةٌ سوداءُ مُدْلَهِمَّةٌ بأرضِ العِراقِ ، ومعها رَملٌ أحمرُ ، حتى احتاج الناسُ إلى السُّرُجِ بالنَّهارِ ، وفيها وَلِى قِوامُ الدِّينِ أبو طالبٍ يحيى بنُ سعيدِ[4] بنِ زِيادَةَ كِتابَ الإنْشاءِ ببغدادَ ، وكان بليغًا ، وليس هو كالفاضِلِ ، وفيها درَّسَ مُجِيرُ الدينِ أبو القاسِم محمودُ بنُ المُبارَكِ بالنِّظامِيَّةِ ،

---

(١) الكامل ١٢/١٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٠ .

(٢) فى م : « شوال » .

(٣) هى جزيرة ابن عمر ، من أعمال الموصل .

(٤) فى م : « سعد » .

وكان فاضِلًا مُناظِرًا .

وفيها قُتِل رئيسُ الشَّافِعِيَّةِ بأَصْبَهانَ صدرُ الدينِ **محمدُ**[1] **بنُ عبدِ اللَّطيفِ ابنِ محمدٍ** [2]**بنِ عبدِ اللطيفِ**[2] **بنِ ثابتٍ الخُجَنْدِيُّ** ، قتَلَه فَلَكُ الدِّينِ سُنقُرُ الطَّويلُ ، وكان ذلك سببَ زَوالِ مُلْكِ أَصْبهانَ عن الدِّيوانِ .

وفيها مات الوَزيرُ ؛ وزيرُ الخِلافةِ :

مُؤَيَّدُ الدِّينِ أبو الفَضْلِ[3] **محمدُ بنُ عليِّ بنِ القَصَّابِ** ، وكان أبوه يبيعُ اللَّحْمَ فى بعْضِ أسْواقِ بغْدادَ ، فتقدَّم وساد أهلَ زمانِه . وكانت وفاتُه بهَمَذَانَ وقد أعاد رَسَاتِيقَ كثيرةً مِنْ بلادِ العِرَاقِ وخُرَاسَانَ وغيرِها إلى دِيوانِ الخلافةِ ، وكان ناهِضًا ذا هِمَّةٍ عَاليةٍ ، وله صَرَامةٌ وشَهَامةٌ وشِعْرٌ جيِّدٌ .

وفيها تُوفِّى : الفَخْرُ محمودُ بنُ عليٍّ النَّوْقَانِيُّ[4] **الشَّافعيُّ** ، عائدًا مِن الحجِّ .

والشَّاعرُ : أبو الغَنَائمِ محمدُ بنُ عليِّ بنِ المُعَلِّمِ الهُرْثِيُّ[5] مِن قُرى واسِطٍ ، عن إحْدَى وتِسْعينَ سنةً ، وكانَ شاعِرًا فصِيحًا ، وكانَ ابنُ الجَوْزِيِّ يَستَشْهِدُ فى

---

(١) فى النسخ : « محمود » . وكذا ورد فى الكامل ١٢/ ١٢٤. والمثبت من مصادر ترجمته الآتية : ذيل الروضتين ص ١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٠٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٣٣.

(٢ - ٢) ليس فى النسخ وهو مثبت من مصادر الترجمة .

(٣) مرآة الزمان ٨/ ٤٥٠، وذيل الروضتين ص ٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠) ص ١١١، والوافى بالوفيات ٤/ ١٦٨.

(٤) فى الأصل ، م : « التوقانى » . وانظر ترجمته فى الكامل ١٢/ ١٢٤ وفيه : « القوفانى » . وفى إحدى نسخه كالمثبت هنا ، وكتاب الذيل على الروضتين ص ١٠ كالمثبت هنا . وانظر الأنساب ٥/ ٥٣٧.

(٥) معجم البلدان ٤/ ٩٥٩، والكامل ١٢/ ١٢٤، ومرآة الزمان ٨/ ٢/ ٤٥١، وذيل الروضتين ص ٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٠٧، والعبر ٤/ ٢٧٩، والوافى بالوفيات ٤/ ١٦٥.

مجالسِه بشىءٍ مِن لطائفِ أشْعارِه[1] ، [2]وقد أوْرَدَ ابنُ الساعِى قِطْعةً جيِّدةً مِن شعرِه الحسنِ المليحِ[2] .

وفيها تُوفِّى **الفَقِيهُ أبو الحَسَنِ علىُّ بنُ سعيدِ بنِ الحسَنِ البَغْدادِىُّ المعْروفُ بابْنِ العَرِّيفِ**[3] ، ويلَقَّبُ بالبَيْعِ الفاسِدِ ، كانَ حَنْبَلِيًّا ثم اشْتغَل شافِعِيًّا على أبى القاسِم بنِ فضلانَ ، وهو الذى لقَّبه بذلك لكَثْرَةِ تَكْرارِه على هذه المَسْألَةِ بيـنَ الشَّافِعِيَّةِ والحَنفِيَّةِ ، ويقالُ[4] : إنَّه صارَ بعدَ هذا كلِّه إلى مَذْهبِ الإمامِيَّةِ . فاللَّهُ أعلمُ .

وفيها تُوفِّى **الشَّيْخُ أبو شُجَاعٍ**[5] **محمدُ بنُ علىِّ بنِ شُعَيْبٍ**[6] **بنِ الدَّهّانِ الفَرَضِىُّ الحاسِبُ المؤَرِّخُ البَغْدادِىُّ** ، قَدِم دِمَشْقَ ، وامْتدَحَ الشيخَ أبا اليُمنِ الكِنْدِىَّ زَيْدَ بنَ الحسَنِ ، فقال[7] :

يا زَيْدُ زادَك رَبِّى مِن مَواهبِهِ　　نَعْمَاءَ يَقْصُرُ عن إدْراكِها الأمَلُ
لا بدَّلَ اللَّهُ حالًا قد حباك بها　　ما دارَ بيـنَ النُّحاةِ الحالُ والبَدَلُ
النَّحْوُ أنتَ أحقُّ العالَميـنَ بهِ　　أليْسَ باسمِكَ فيه يُضْرَبُ المَثَلُ

---

(١) ذيل الروضتين ص ١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١١٠، والوافى بالوفيات ٤/ ١٦٥.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٠٠، والوافى بالوفيات ٢١/ ١٣٤.

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٠٠، عن ابن النجار مجزومًا به.

(٥) فى الأصل: «أبو إسحاق».

(٦) فى الأصل، م: «مغيث». وانظر ترجمته فى: إنباه الرواة ٣/ ١٩١، وذيل الروضتين ص ٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٣٩١، والوافى بالوفيات ٤/ ١٦٤، ومرآة الجنان ٣/ ٤٦٨، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٣٩، وبغية الوعاة ١/ ١٨٠.

(٧) الأبيات فى إنباه الرواة ٣/ ١٩٢، وذيل الروضتين ص ٩ دون البيت الأول، والوافى بالوفيات ٤/ ١٦٥، وبغية الوعاة ١/ ١٨١.

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وتسعينَ [٣١٧/٩و] وخمسمائةٍ

فيها[١] ورَدَ كتابٌ مِن القاضِى الفاضلِ إلى ابنِ الزَّكِيِّ يخْبِرُه فيه أنَّ فى ليلةِ الجُمُعَةِ التَّاسعِ[٢] مِن جُمادَى الآخِرَةِ أتَى عارِضٌ فيه ظُلُماتٌ متكاثفةٌ، وبروقٌ خاطفةٌ، ورِياحٌ عاصفةٌ، فقَوِى لهُوبُها[٣]، واشْتَدَّ هبُوبُها، فتدافَعتْ[٤] لها أَعِنَّةٌ مُطْلَقاتٌ، وارتفَعت لها صَعَقاتٌ، فرجَفتْ لها الجُدرانُ واصْطَفَقتْ، وتَلاقَت على بُعْدِها واعْتنَقتْ، وثار بينَ السَّماءِ والأرضِ عَجاجٌ، فقيل: لعلَّ هذه على هذِه قدِ انْطبَقتْ. ولا تَحْسَبُ إلَّا أنَّ جَهَنَّمَ قد سالَ منها وادٍ، وعدا منها عادٍ، وزاد عَصْفُ الرِّيحِ إلى أنْ أطْفَأَ سُرُجَ النُّجومِ؛ ومزَّقَتْ أدِيمَ السَّماءِ، ومَحَت ما فوقَه مِن الرُّقومِ، فكُنَّا كما قال اللَّهُ تعالَى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ [البقرة: ١٩] وكما قلنا: يرَدُّون أيْدِيَهم على أعْيِنِهم مِن البَوارقِ. لا عاصِمَ مِن الخطفِ للأبْصارِ، ولا مَلْجَأَ مِن الخَطْبِ إلَّا مَعاقلُ الاسْتِغْفارِ، وفرَّ النَّاسُ نِساءً ورجالًا وأطْفالًا، ونفَرُوا مِن دُورِهم خِفافًا وثِقالًا؛ لا يسْتَطيعُونَ حيلَةً ولا يَهْتَدُونَ سبيلًا، فاعتْصَمُوا بالمساجدِ الجامِعَةِ، وأذْعَنُوا للنَّازلةِ بأعْناقٍ خاضِعَةٍ، بوُجُوهٍ عانِيَةٍ، ونفُوسٍ عن الأهْلِ والمالِ ساليةٍ، ينْظرُونَ مِن طرفٍ

---

(١) الروضتين ٢/ ٢٣٢. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٦.

(٢) فى الروضتين: «ثامن عشر». وفى تاريخ الإسلام: «تاسع عشر». فاللَّه أعلم.

(٣) فى الأصل، م: «الجوُّ بها». وانظر الروضتين ٢/ ٢٣٢. ومن المجاز: ألَهب البرقُ إذا تتابع وتدارك لمعانه حتى لا يكون بين البرقتين فرجة. التاج (ل هـ ب).

(٤) فى الأصل، م: «قد أثبت». وانظر الروضتين ٢/ ٢٣٢.

خَفِيٍّ ، ويتوَقَّعُونَ أَيَّ خَطْبٍ جَلِيٍّ ، قد انقطَعتْ مِن الحياةِ عُلَقُهم[1] ، وعَمِيَتْ عنِ النَّجاةِ طُرقُهم ، ووَقَعتِ الفِكْرَةُ فيما هم عليه قادِمُونَ ، وقامُوا إلى صلاتِهم ووَدُّوا لو كانُوا مِن الذين هم عليها دائمُونَ ، إلى أن أذِنَ اللَّهُ فى الركودِ ، وأَسْعَفَ الهاجِدين بالهُجودِ ، وأصْبَح كلٌّ يُسَلِّمُ على رفيقِه ، ويُهَنِّيه بسَلامةِ طريقِه ، ويرَى أنَّه قد بُعِثَ بعدَ النَّفْخَةِ ، وأفاقَ بعدَ الصَّيْحَةِ والصَّرْخَةِ ، وأنَّ اللَّهَ قد رَدَّ له الكرَّةَ ، وأحْياه بعدَ أنْ كادَ يأْخُذُه على غِرَّةٍ ، ووردَتِ الأخْبارُ بأنَّها قد كسَرتِ المراكِبَ فى البحارِ ، والأشْجارَ فى القِفَارِ ، وأتْلَفَتْ خلْقًا كثيرًا مِن السُّفَّارِ ، ومنهم مَنْ فرَّ فلم ينْفَعْه الفِرارُ ... إلى أنْ قال : ولا يحْسَبُ المجْلِسُ أنِّى أرْسَلْتُ القلمَ مُحَرِّفًا والقولَ مُجَزِّفًا ، فالأمْرُ أعْظَمُ ، ولكِنَّ اللَّهَ سلَّمَ ، ونرْجُو أنَّ اللَّهَ قد أيقْظَنا بما وعظَنا ، ونبَّهنَا بما وَلَّهنا ، فما مِن عبادِه مَنْ رأَى القِيامَةَ عِيانًا ، ولم يلْتَمِسْ عليها مِن بعدِ ذلكَ بُرْهانًا إلَّا أهلُ بلَدِنا ؛ فما قَصَّ الأوَّلونَ مثْلَها فى المَثُلاتِ ، ولا سبَقتْ لها سابقةٌ فى المُعْضِلاتِ ، والحمدُ للَّهِ الذى مِن فضْلِه أن جعَلَنا نُخْبِرُ عنها ، ولا تُخْبِرُ عَنَّا ، ونسْأَلُ اللَّهَ أنْ يصْرِفَ عنَّا عارِضَ الحِرْصِ والغُرورِ[2] إذا عَنَّا[2] .

وفيها كتَب القاضِى الفاضلُ مِن الديارِ المصريةِ إلى الملكِ العادلِ بدِمَشْقَ يحثُّه على قتالِ الفِرنْجِ ، ويشْكُرُه على ما هو بصدَدِه من مُحاربَتِهم ، وحفظِ حوْزَةِ الإسْلامِ ، فمِن ذلكَ قولُه فى بعضِ تلك الكُتبِ[3] : هذه الأوْقاتُ التى أنتُم فيها

---

(١) العَلَقُ : جمع (العُلْقة) وهى ما يتبلغ به . وانظر اللسان (ع ل ق) .
(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « ولا يجعلنا من أهل الهلاك والثبور » . وانظر مصدر التخريج . وعَنَّا أى ظهَرا .
(٣) الروضتين ٢/ ٢٣٣.

عَرائسُ الأعْمارِ، وهذه النَّفقاتُ التى تجْرِى على أيْدِيكمُ مهورُ الحُورِ فى دارِ القَرارِ، وما أسْعدَ مَنْ أوْدَع يدَ اللَّهِ ما فى يدَيْه، فتلكَ نِعَمُ اللَّهِ عليه، وتوْفيقُه الذى ما كلُّ مَنْ طلَبَه وصَل إليه، وسوادُ العَجاجِ فى هذه المواقفِ بيَاضُ ما سوَّدَتْه الذُّنوبُ مِن الصَّحائفِ، فما أسْعدَ [٣١٧/٩ظ] تلك الوَقَعاتِ، وما أعْوَدَ بالطُّمأْنِينَةِ تلك الرَّجَفاتِ. وكتَب إليه أيضًا[1]: أدامَ اللَّهُ ذلك الاسْمَ تاجًا على مَفارِقِ المنابرِ والطُّروسِ، وحياةً للدُّنْيا وما فيها مِن الأجْسادِ والنُّفوسِ، وعرَّفَ المَمْلُوكَ ما عرَفه مِن الأمرِ الذى اقْتَضتْه المُشاهدَةُ، وجرَتْ به العاقبةُ (٢فى سُرورِ٢)، ولا مَزيدَ على تَشْبيهِ الحالِ بقَوْلِه:

ألم تَرَ أنَّ المرءَ تَدْوَى[3] يَمِينُهُ فيقطَعُها عَمْدًا ليَسْلَمَ سائرُهْ

ولو كانَ فيها تدْبيرٌ لكانَ مَوْلانا سبَقَ إليه، ومَنْ قلَم مِن الأُصْبَعِ ظُفْرًا فقد جلَبَ إلى الجسدِ بفِعْلِه نَفْعًا، ودفعَ عنه ضَرًّا.

وتجشُّمُ المكْروهِ ليْسَ بضائرٍ ما خِلْتَهُ سبَبًا إلى المحْمودِ

وآخِرُ كُلِّ شِقْوَةٍ أوَّلُ كلِّ غزْوةٍ، فلا يسْأَمْ مَوْلانا نِيَّةَ الرِّباطِ وفِعْلَها، وتجَشُّمَ الكُلَفِ وحَمْلَها، فهو إذَا صرَف وجْهَهُ إلى وجْهٍ واحدٍ، وهو وجْهُ اللَّهِ، صرَف اللَّهُ إليه الوُجوهَ كلَّها ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وفى هذه السَّنَةِ انْقَضت مدَّةُ الهُدْنةِ التى كان عقَدها الملكُ صلاحُ الدِّينِ

---

(١) الروضتين ٢/ ٢٣٣.

(٢ - ٢) فى ص: «فى هاروت». وفى الروضتين: «فى بيروت».

(٣) دَوِى يَدْوَى دَوًى، فهو دَوٍ: إذا هلك بمرض باطن. اللسان (د و ا).

للفِرنْجِ ، فأقْبَلوا بقضِّهم وقضِيضِهم ، فتلَقَّاهم الملِكُ العادِلُ بمَرْجِ عكًّا فكسَرَهم وغَنِمَهم ، وفتح يَافا عَنْوَةً ، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وقد كانُوا كتَبُوا إلى مَلِكِ الألْمانِ يسْتَنْهِضُونَه لفتْحِ بيتِ المَقْدسِ فقَدَّرَ اللَّهُ هلاكَه سريعًا ، وأخذَتِ الفِرنْجُ فى هذه السَّنَةِ بَيْرُوتَ مِن نائبِها عزِّ الدينِ شامةَ مِن غيرِ قتالٍ ولا نِزالٍ ، ولهذا قالَ بعضُ الشُّعراءِ[1] فى الأميرِ شامةَ :

سلِّمِ الحِصْنَ ما عليكَ مَلامَهْ ... ما يُلامُ الذى يَرُومُ السَّلامَهْ

فعَطاءُ الحصُونِ من غيرِ حربٍ ... سُنَّةٌ سنَّها بِبَيْروتَ شامَهْ

وماتَ فى هذه السنةِ مَلِكُ الفِرنْجِ كُنْدهرى ؛ سقَط من شاهقٍ فماتَ ، فبقِيَتِ الفِرنْجُ كالغَنَمِ بلا راعٍ ، حتى مَلَّكُوا عليهم صاحِبَ قبْرسَ ، وزوَّجُوه بالملِكةِ امرأةِ كُنْدهرى ، وجرَتْ خطُوبٌ كثيرةٌ بيْنَهم وبيـنَ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ ، ففى كلِّها يَستظهِرُ عليهم ويكْسِرُهم ، ويقْتُلُ خلْقًا مِن المقاتلةِ ، ولِلَّهِ الحمـدُ . ولم يَزالُوا كذلك معه حتى طلَبُوا الصُّلحَ والمُهادنَةَ ، فعاقَدهم على ذلكَ فى السَّنةِ الآتيةِ .

وفى هذه السنةِ تُوفِّى : مَلِكُ اليَمنِ سيفُ الإسْلامِ طُغْتِكِيـن[2] ، أخُو السُّلْطانِ صَلاحِ الدِّينِ ، وكان قد جمَع أمْوالًا جزِيلةً جدًّا ، وكان يسْبِكُ الذَّهبَ مثْلَ الطَّوَاحِينِ ويدَّخِرُه كذلك ، وقام فى المُلْكِ بعدَه ولَدُه إسْماعيلُ ، وكانَ أهْوَجَ قليلَ التَّدْبيرِ ، فحمَلَه جهْلُه على أنِ ادَّعَى أنه قُرَشِىٌّ أُمَوِىٌّ ، وتلقَّب بالهادِى ،

---

(١) الروضتين ٢/ ٢٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٧.

(٢) مرآة الزمان ٨/٢/ ٤٥٣، وفيات الأعيان ٢/ ٥٢٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٢٩، وغاية النهاية ١/ ٤٦٠، ومرآة الجنان ٣/ ٤٧٥، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٤١.

فكتَبَ إليه عمُّه العادِلُ يَنْهاه عن ذلك ويتَهدَّدُه بسبَبِ ذلك ، فلم يَقْبَلْ منه ولا التفتَ إليه ، بل تَمادَى فى ذلك وأساءَ إلى الأُمَراءِ والرَّعِيَّةِ ، فقُتِلَ وتَولَّى بعدَه مَملوكٌ مِن مَماليكِ أبيه .

وفيها تُوفِّى : **الأَمِيرُ الكبيرُ أبو الهَيْجاءِ السَّمِينُ الكُرْدِىُّ**[1] ، كانَ مِن أكابرِ أُمراءِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدِّينِ ، وهو الذى كان نائبًا على عَكَّا ، وخرَج منها قبلَ أخْذِ الفِرنجِ ثم دخَلها بعدَ المشطوبِ ، فأُخِذتْ منه ، واسْتَنابَه صلاحُ الدينِ على القُدْسِ ، ثم لمَّا أخَذها العزيزُ عُزِل عنها ، فطُلِبَ إلى بغْدادَ ، فأُكْرِمَ إكرامًا زائدًا ، وأرْسلَه الخليفةُ مقدَّمًا على العَساكرِ إلى هَمَذانَ ، فماتَ هناكَ .

وفيها تُوفِّى : **قاضى قضاةِ بَغْدادَ أبو طَالبٍ علىُّ بنُ علىِّ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ محمدٍ ، ابنُ البُخارِىِّ**[2] ، سمِعَ الحديثَ على أبى الوقتِ وغيرِه ، وتفقَّه على أبى القاسِمِ بنِ فضْلانَ ، وتولَّى نِيابَةَ الحُكْمِ ببَغْدادَ ، ثم اشتغَل بالمنصبِ ، وأُضِيفَ إليه فى وقتٍ نيابةُ الوِزارَةِ ، ثم عُزِلَ عنِ القَضاءِ ، ثم أُعِيدَ وماتَ وهو حاكِمٌ ، نسْأَلُ اللَّهَ العافيةَ ، وكانَ فاضلًا بارعًا ، مِن بيتِ فِقْهٍ وعدالَةٍ ، وله شعرٌ[3] :

تَنَحَّ عنِ القَبيحِ ولا تُرِدْهُ ... ومَن أَوْلَيْتَهُ حسَنًا فزِدْهُ
سَتُكْفَى[4] مِن عدُوِّكَ كُلَّ كيدٍ ... إذا كادَ العدُوُّ ولم تَكِدْهُ

وفيها تُوفِّى : **السَّيدُ الشَّريفُ نَقِيبُ الطَّالِبِيِّينَ ببَغْدادَ أبو محمدٍ الحَسَنُ بنُ**

---

(١) الكامل ١٢/ ١٢٥، وذيل الروضتين ص ١١، ومرآة الزمان ٨/٢/٤٥٨ (فى وفيات سنة ٥٩٤هـ).
(٢) الكامل ١٢/ ١٣٠، والتكملة لوفيات النقلة ٢/ ٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٣٨، والعبر ٤/ ٢٨٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٢٧، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٤٠.
(٣) الدر الفريد وبيت القصيد ٣/ ١٧٣، ٣٥٠، وهما منسوبان فيه لأبى بكر الصديق.
(٤) فى النسخ «كفابك» والمثبت من الدر الفريد.

عليّ بن حَمْزةَ بنِ محمدِ بنِ الحسَنِ بنِ محمدِ بنِ الحسَنِ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ يَحْيى بنِ الحُسَيْـنِ بنِ زيدِ[1] **بنِ عليِّ بنِ الحُسَيْـنِ بن عليِّ بنِ أبى طالبِ العَلَوىُّ الحُسَيْـنِىُّ** ، المعْروفُ بابْنِ الأقْسَاسِىِّ ، الكُوفىُّ موْلدًا ومنْشأً ، كان شاعرًا مُطبِّقًا ، امتدَح الخلفاءَ والوزَراءَ ، وهو مِن بيتٍ مشْهورٍ بالأدَبِ والرِّياسَةِ والمرُوءَةِ ، قَدِمَ بغْدادَ فامْتدَحَ المُقْتَفِىَ والمُستنجدَ وابنَه المُسْتَضِىءَ وابنَه النَّاصِرَ ، فوَلَّاه النِّقابةَ ، كانَ شيْخًا مَهيبًا ، جاوزَ الثَّمانينَ ، وقد أوْرَدَ له ابنُ السَّاعى قَصائدَ كثيرةً منها :

اصْبِرْ على كيْدِ الزَّما ... نِ فما يدُومُ على طريقَهْ
سبَقَ القَضاءُ فكُنْ بهِ ... راضٍ ولا تطْلُبْ حقيقَهْ
كم قدَ تغلَّبَ مرَّةً ... وأراكَ مِن سَعَةٍ وضِيقَهْ
ما زالَ فى أولادِهِ ... يجرِى على هذِى الطَّريقَهْ

وفيها تُوفِّيَتْ : السِّتُّ عَذْراءُ بنتُ شاهنْشَاه بنِ أيُّوبَ[2] ، ودُفِنتْ بمَدْرسَتِها داخلَ بابِ النَّصرِ .

والسِّتُّ خاتُونُ[3] **والدَةُ الملكِ العادلِ** ، ودُفِنتْ بدَارِها بدِمَشْقَ المُجاوِرَةِ لدارِ أسَدِ الدِّينِ شِيرِكُوه .

---

(١) فى م : « يزيد » . وانظر ترجمته فى : التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٩٣، والذيل على الروضتين ص ١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٢٥، والوافى بالوفيات ١٢/ ١٢٨، وأعيان الشيعة ٢٢/ ٣٢٦.
(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٣ (فى ترجمة والدها شاهنشاه بن أيوب) ، وذيل الروضتين ص ١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٣٧، والدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٣٧٣.
(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٢٧، والوافى بالوفيات ١٣/ ٢٣٧، والدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٥٠٦.

ثمَّ دخلَتْ سنَةُ أرْبَعٍ وتسعينَ وخمسِمائَةٍ

فيها[1] جَمعتِ الفِرنْجُ جمُوعَها وأقْبَلُوا فحاصَرُوا تِبْنِينَ[2] ، فاسْتَدعَى العادلُ بَنِى أخِيه لِقتالِهم ، فجاءَه العزيزُ مِن مِصْرَ ، والأفْضَلُ مِن صَرْخَدَ ، فأقْلعَتِ الفِرنْجُ عنِ الحِصنِ وبلَغَهم موتُ مَلِكِ الألْمانِ ، فطَلَبُوا مِنَ العادلِ الهُدْنَةَ والأمانَ ، فهَادَنَهم ورجَعتِ المُلُوكُ إلى أماكِنِها ، وقد عظُم المُعَظَّمُ عِيسى بنُ العادِلِ فى هذه المدةِ ، واسْتَنابَه أبُوه على دِمَشقَ ، وسار إلى مُلْكِه بالجَزيرةِ ، فأحْسنَ فيهم السِّيرةَ .

وكان قد تُوفِّى فى هذه السَّنةِ السُّلْطانُ صاحبُ سِنْجارَ وغيرِها مِن المَدائنِ الكِبارِ ، وهو **عِمادُ الدِّينِ زَنْكى بنُ مَوْدودِ بنِ زَنْكى الأتابكىُّ**[3] ، كانَ مِن خيارِ المُلوكِ وأحْسَنِهم شكلًا وسِيرةً ، وأجْودِهم طَويَّةً وسرِيرةً ، غيرَ أنَّه كانَ يُبَخَّلُ ، وكان شديدَ المحبَّةِ للعُلَماءِ ، ولا سِيَّما الحنفيَّةَ ، وقد ابْتَنَى لهم مدْرسةً بسِنْجارَ ، وشرَط لهم طَعامًا يُطْبَخُ لكلِّ واحدٍ منهم فى كل يومٍ ، وهذا نظرٌ حسَنٌ ، والفَقِيهُ أوْلَى بهذِه الحسنَةِ من الفقيرِ ؛ لاشْتِغالِ الفَقيهِ بتَكْرارِه ومُطالعَتِه عنِ الفكرِ فيما يُقِيتُه ، فعَدَا على أوْلادِه ابنُ عمِّه صاحبُ المَوْصِلِ ، فأخَذ المُلْكَ منهم ، فاسْتَغاثَ

---

(١) الكامل ١٢/ ١٣٢، والروضتين ٢/ ٢٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٩.

(٢) فى م : « تينين » ، وتبنين : بلدة فى جبال بنى عامر المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور . معجم البلدان ١/ ٨٢٤.

(٣) الكامل ١٢/ ١٣٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٣٠، وبغية الطلب ٤١٦/٨ (مخطوط) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٦٠، والوافى بالوفيات ١٤/ ٢٢٣.

بنُوه بالملكِ العادِلِ ، فرَدَّ فيهم المُلْكَ ، ودرَأَ عنهم الضَّيْمَ ، واسْتَقرَّتِ المَمْلكَةُ لوَلدِه قُطْبِ الدينِ محمدٍ ، ثم سارَ العادلُ إلى مَارِدِينَ فحاصَرها فى شَهْرِ رَمضانَ ، فاسْتَولَى على رَبَضِها ومُعامَلَتِها ، وأعْجزَتْه قلْعَتُها ، فصافَ عليها وشَتا ، وما ظنَّ أحدٌ أنه تملَّكها ؛ حتى هنَّته الشعراءُ بذلك ؛ لأنَّ ذلك لم يكُنْ مثْبوتًا ولا مقدَّرًا .

وفيها ملَكت الغورُ مدينةَ بَلْخَ وكسَرُوا الخِطا[(١)] [٣١٨/٩ظ]وقهرُوهم ، وهزَموهم وتوقَّعوا بإرسالِ الخليفةِ إليهم أنْ يمنَعُوا خُوارِزْم شَاه مِن دخُولِ العِراقِ ، فإنَّه كان يرُومُ أنْ يُخْطَبَ له ببَغْدادَ .

وفيها حاصرَ خُوارِزم شَاه مدِينةَ بُخارًا فَفتَحَها بعدَ مدَّةٍ ، وقد كانتِ امْتنَعت عليه دهرًا ونصَرَهُم الخِطَا ، فقَهرَهم جميعًا وأخذَها عَنْوَةً ، وعفَا عن أهْلِها وصفَحَ عنهم ، وقد كانُوا ألْبَسُوا كلبًا أعْورَ قَباءً وسَمُّوه خُوارِزْم شَاه ، ورَمَوه فى المنجنيقِ إلى الخُوارِزميَّةِ ، وقالوا : هذا ملكُكُم . وكان خُوارِزم شَاه أعْورَ ، فلمَّا قدَرَ عليهم عفَا عنهم ، جَزاهُ اللَّهُ خيْرًا .

ومِمن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

القِوامُ[(٢)] **بنُ زَبَادَةَ** ، كاتبُ الإنشاءِ ببابِ الخلافةِ ، وهو أبو طالبٍ يحيى بنُ سعيدِ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ عليٍّ بنِ زبَادَةَ ، قِوامُ الدينِ ، انتهت إليه رياسةُ التَّرسُّلِ

---

(١) الخطا : جنس من الترك بلادهم فى متاخمة بلاد الصين . صبح الأعشى ٤/ ٤٨٣، وانظر السلوك ١/ ١/ ٢٢٨، حاشية (١) .

(٢) فى الأصل، م : « العوام » . وانظر ترجمته فى : معجم الأدباء ٧/ ٢٨٠، والكامل ١٢/ ١٣٨، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٤٤، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٧٤.

والإنشاءِ والبلاغةِ والفصاحةِ فى زمانِه بالعِراقِ ، وله علُومٌ كثيرَةٌ غيرُ ذلك مِن الفِقْهِ على مذَهبِ الشَّافعيِّ ، أخَذه عن ابنِ فَضْلانَ ، وله معرفةٌ جيدةٌ بالأصْلَينِ وَالحسَابِ واللُّغَةِ ، وله شعْرٌ جيِّدٌ ، وقد وَلِى عدَّةَ مَناصِبَ ، وكان مشكورًا فى جميعِها ، ومِن مُسْتَجادِ شعرِه قولُه :

لا تَحْقِرَنَّ عدُوًّا تزدريهِ فكمْ ... قد أتعسَ الدهرُ جَدَّ الجِدِّ باللعبِ
فهذه الشمسُ يَعْروها الكسوفُ لها ... على جلَالتِها بالرأسِ والذَّنبِ

وقولُه[1] :

باضْطِرابِ الزمانِ ترتفعُ الأنـ ... ـذالُ فيهِ حتى يعمَّ البلاءُ
وكذا الماءُ راكدٌ فإذا ... حُرِّكَ ثارت مِن قَعْرِهِ الأقْذاءُ

وله أيضًا[2] :

قد سلوتُ الدنيا ولم يسلُها ... مَن علقت فى آمالِه والأراجِى
فإذا ما صرَفتُ وجهىَ عنها ... قذفونى فى بحْرِها العَجاجِ
يستضيئونَ بى وأهلِكُ وحْدِى ... فكأنى ذُبالَةٌ فى سِراجِ

توفِّى فى هذه السنةِ مِن ذى الحِجَّةِ وله ثنتان وسبعون سنةً ، وحضَر جِنازَتَه خلْقٌ كثيرٌ ، ودُفِنَ عندَ مُوسَى بنِ جَعْفَرٍ .

القاضى أبو الحسن علىُّ بنُ جابرِ[3] بنِ زُهَيْرِ بنِ علىٍّ البَطائحِىُّ ، قدِمَ بغدادَ

---

(١) وفيات الأعيان ٦/ ٢٤٥.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٤.

(٣) فى الأصل ، م : « رجاء » . وانظر ترجمته فى : ذيل تاريخ بغداد ١٨/ ٢٣٤، والذيل على الروضتين ص ١٣، والتكملة لوفيات النقلة ١/ ٣١٦. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٦٣.

فتفقَّه بها وسمِعَ الحديثَ ، وأقامَ برَحْبَةِ مالكِ بنِ طوقٍ مدَّةً يشْتغِلُ على أبى عبدِ اللَّهِ بنِ النَّبيهِ[1] الفرَضِيِّ ، ثم وَلِيَ قضاءَ العِرَاقِ مدَّةً ، وكان أدِيبًا ، وقد سمِعَ مِن شيْخِه أبى عبدِ اللَّهِ بنِ النَّبيهِ ينْشدُ لنفْسِه مُعارِضًا للحَريرِيِّ فى بيْتَيْه اللَّذيْن زعَمَ أنَّهما لا يُعَزَّزان بثالث لهما ، وهما قوْلُه[2] :

سِمْ سِمَةً يُحْمَدُ آثارُها ... واشْكُرْ لمنْ أعطى ولو سِمْسِمَهْ

والمكْرُ مهْما اسْطَعْتَ لا تأتِهِ ... لتَقْتَنِى السُّؤْدُدَ والمكْرُمَهْ

فقالَ ابنُ النَّبيهِ[3] :

ما الأمَةُ الوكعاءُ[4] بينَ الوَرى ... أحْسَنُ مِن حُرٍّ أتَى مَلأَمَهْ

فَمَهْ إذا اسْتُجديتَ عن قَولِ لَا ... فالحرُّ لا يَمْلأُ منها فَمَهْ

الأَميرُ عِزُّ الدِّينِ جُرْدَيْكُ[5] كانَ مِن أكابرِ الأمراءِ فى زمانِ نُورِ الدينِ ، وكانَ مِمَّنْ شَرِكَ فى قتْلِ شاوِرٍ ، وحظِيَ عندَ صلاحِ الدِّينِ ، وقد اسْتَنابَه على القُدسِ حينَ افْتتَحها ، وكانَ يَسْتندِبُه للمُهِمَّاتِ الكِبارِ فيسدُّها بنَهْضَتِه وشجاعَتِه ، ولمَّا وَلِيَ الأفضلُ عزلَه عن بيتِ المقدسِ ، فترَك بلادَ الشامِ وانتقل إلى المَوْصِلِ ، فماتَ بها فى هذه السَّنةِ .

---

(١) كذا فى النسخ ، وفى ذيل تاريخ بغداد ، وذيل الروضتين : « المتقنة » ، وفى معجم الأدباء ١٦/ ٢٧١ : « المنقبة » . وكذا فى المواضع التالية .

(٢) مقامات الحريرى ص ٣٧٢ (المقامة السادسة والأربعون الحلبية) .

(٣) ذيل تاريخ بغداد ١٨/ ٢٣٥، ومعجم الأدباء ١٦/ ٢٧٣.

(٤) فى الأصل ، م : « الوكساء » ، وفى ذيل تاريخ بغداد : « الوكفاء » . والمثبت موافق لما فى معجم الأدباء ١٦/ ٢٧٣. والوكعاء : اللئيمة .

(٥) فى النسخ : « جرديل » . وانظر ترجمته فى : الكامل ١٢/ ١٣٤ وفيه : « جورديك » ، ومرآة الزمان ٨/ ٢/ ٤٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٥٧، والوافى بالوفيات ١١/ ٦٨، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٢٦.

ثم دخلت سنة خمسٍ وتِسْعِين وخمسِمائةٍ
وفيها كانتْ وَفاةُ الملكِ العزيزِ صاحِبِ مِصرَ[1]

وذلكَ أنَّه خرَج إلى الصيدِ ، فلما [٩/٣١٩و] كان ليْلةَ الأحَدِ العِشرينَ مِنَ المُحرَّمِ ، ساقَ خلفَ ذِئْبٍ ، فكَبا به الفرسُ ، فسقَط عنه ، وكانت وفاتُه بعدَ أيامٍ بعدَ رجوعِه إلى البلدِ ، فنُقِل ودُفِنَ بدارِه ، ثم حوِّلَ إلى عندِ تُرْبَةِ الشَّافعيِّ ، وله سبْعٌ أو ثَمانٍ وعِشْرونَ سنَةً ، رحِمه اللَّهُ . ويقالُ : إنَّه كانَ قد عزَم فى هذه السَّنَةِ على إخْراجِ الحنَابِلةِ من بلَدِه ، ويكْتبُ إلى بقِيَّةِ إخْوتِه أن يخرجوهم مِن بلادِهم ، وشاعَ ذلكَ عنه وسُمِع منه وذاع وصرَّحَ به ، وكلُّ ذلكَ مِن معَلِّميه وخُلَطائِه وعُشَرائِه مِن الجَهْمِيَّةِ ، وقلَّةِ علْمِه بالقرآنِ والحديثِ ، فلمَّا وقَع ما وقَع عَظُمَ قدْرُ الحنابلةِ بديارِ مصرَ والشامِ عند الخاصِّ والعامِّ . وقيلَ : إنَّ بعضَ صالحِيهم دعَا عليه ، فما هو إلَّا أنْ خرَجَ إلى الصيدِ ، فكانَ هَلاكُه سريعًا ، فاللَّهُ أعلمُ .

وكتبَ القاضى الفاضِلُ كتابَ التَّعْزِيَةِ بالعزيزِ إلى عمِّه الملكِ العادلِ وهو مقيمٌ على محاصرةِ مَارِدِينَ ومعه العَساكرُ ، ووَلَدُه محمدٌ الكاملُ ، وهو نائبُه على بلادِ الجَزِيرَةِ المُقاربةِ لبلادِ الحيرَةِ ، وصُورَةُ الكتابِ[2] : أدامَ اللَّهُ سُلْطانَ مؤلانا الملكِ

---

(١) الكامل ١٢/ ١٤٠، وذيل الروضتين ص ١٦، وزبدة الحلب ٣/ ١٤٢، ومرآة الزمان ٨/ ٢/ ٤٦٠، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٥١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١- ٦٠٠هـ) ص ١٨٨.
(٢) الروضتين ٢/ ٢٣٤.

العادلِ ، وبارَكَ فى عُمْرِه وأعْلَا أمْرَه بأمرِه ، وأعزَّ نصرَ الإسْلامِ بنصرِه ، وفدَتِ الأنْفسُ نفسَه الكريمَةَ ، وأصْغَرَ اللَّهُ العظائمَ بنِعَمِه فيه العظِيمَةِ ، وأحْيَاه حياةً طيِّبةً يقفُ فيها هو والإسْلامُ فى مواقفِ الفُتوحِ الجسِيمَةِ ، وينْقلِبُ عنها بالأُمورِ المسلمةِ والعَواقبِ السَّليمةِ ، ولا نقَص له رِجالًا ولا عددًا ، ولا أعدَمه نفْسًا ولا ولدًا ، ولا قصَّرَ له ذَيْلًا ولا يدًا ، ولا أسْخَنَ له قلبًا ولا كبدًا ، ولا كدَّرَ له خاطرًا ولا موْرِدًا ، ولمَّا قدَّرَ اللَّهُ ما قدَّرَ فى الملكِ العزيزِ ، رحِمه اللَّهُ ، وتحياتُه مُكررةٌ إليه مِن انقضاءِ مُهلِه وحضورِ أجلِه ، كانت بدِيهةُ المُصابِ عظيمةً ، وطالِعَةُ المكْرُوهِ أليمَةً ، فرحِم اللَّهُ ذلك الوجهَ ونضَّره ، ثم إلى سبيلِ الجنةِ يسَّره :

وإذَا مَحاسِنُ أوجهٍ بلِيَتْ   فعفا الثرى عن وجْهِه الحسنِ

فأعزِزْ على المملوكِ وعلى الأولياءِ بل على قلبِ مولانا ، لا سلبَه ثيابَ العزاءِ ، لسرعةِ مصرعِه وانقلابِه إلى مضجعِه ، ولباسِه ثوبَ البلى قبلَ أن يبلَى ثوبُ الشبابِ ، وزفِّه إلى الترابِ وسريرُه محفوفٌ باللذَّاتِ والأترابِ ، وكانتْ مدَّةُ المرضِ بعدَ العودِ مِن الفيُّومِ أسْبُوعَيْنِ ، وكانتْ فى السَّاعةِ السابعةِ من ليْلةِ الأحَدِ العِشْرينَ من المحَرَّمِ ، والمَمْلُوكُ فى حالِ تسْطِيرِها مجْموعٌ بينَ مرَضِ قلْبٍ وجسَدٍ ، ووَجعِ أطْرافٍ وغليلِ كبدٍ ، وقد فُجِع بهذا المؤلَى ، والعهدُ بوالدِهِ ، رحِمه اللَّهُ ، غيرُ بعيدٍ ، والأسَى عليه فى كلِّ يومٍ جديدٌ .

ولمَّا تُوفِّى العزيزُ ، رحِمه اللَّهُ ، خلَفَ من الوَلدِ عشَرَةَ ذكُورٍ ، فعمَد أُمَراؤُه فملَّكُوا عليهم ولدَه محمدًا ، ولَقَّبوه بالمنصُورِ ، وجُمْهورُ الأُمَراءِ فى الباطنِ مائِلُونَ إلى تمْليكِ العادِلِ ، ولكِنَّهم استبعَدوا مكانَه ، فأرسلُوا إلى الأفْضَلِ وهو بصَرْخَدَ فأحْضَرُوه على البَرِيدِ سرِيعًا ، فلمَّا حصَل عندَهم مُنِعَ رِفْدُهم ، ووَجدُوا الكلمةَ

مُخْتلفَةً عليه ، ولم يَتِمَّ له ما صارَ إليه ، وخامَرَ عليه أكابرُ الأمَراءِ النَّاصِريَّةِ ، وخرَجُوا مِن ديارِ مِصرَ فأقامُوا فى بيتِ المَقْدِسِ [٣١٩/٩ظ] وأرْسَلُوا يَسْتحثُّونَ الجيوشَ العادِلِيَّةَ ، فأُقِرَّ ابنُ أخِيه على السَّلْطنةِ ، ونُوِّهَ باسْمِه على السِّكَّةِ والخُطبةِ فى سائرِ ما هنالكِ مِن المملكةِ ، لكِنِ اسْتَفادَ بهذه السَّفْرةِ أنْ أخذَ جَيْشًا كثيفًا مِن المصريين ، وأقبَل بهم ليسْترِدَّ دِمَشْقَ فى غَيبةِ عمِّه بمحاصرةِ مارِدينَ ، وذلك بإشارةِ أخيه صاحبِ حلبَ ، وابنِ عمِّه مَلِكِ حِمْصَ أسَدِ الدِّينِ . فلما انتهى إليها ونزَلَ حوَالَيْها ، قطَعَ أنهارَها وعقَر أشجارَها ، وقلَّل ثمارَها ، ونزَل بمُخَيَّمِه على مسجدِ القدمِ ، وقد لحِقَه الأسفُ والندمُ ، وجاءَ إليه أخُوه الظاهرُ وابنُ عمِّه الأسدُ الكاسِرُ والليثُ الكاشرُ وجيشُ حَماةَ ، فكثُر جيشُه وقوِى الأفضلُ بنُ الناصرِ ، وقد دخَل جيشُه إلى البَلدِ ، ونادَوا بشِعارِه ، فلم يُتابِعْهم مِن العامَّةِ أحدٌ ، وأقبَل العادِلُ مِن مارِدينَ بعَساكِرِه وقد الْتَفَّ عليه طائفةُ بنى أخيه ، وأمدَّه كلُّ مصرٍ بأكابرِه ، وسبَقَ الأفضلَ إلى دِمشقَ بيومين فحصَّنَها وحفِظَها مِن كلِّ حاسدٍ وذى عينينِ ، وقد استنَابَ على مارِدينَ ولدَه محمدًا الكامِلَ رئيسَ السلاطينِ .

ولما دخَل دِمشقَ خامَرَ إليه أكثرُ الأمراءِ مِن المصريين وغيرِهم ، وضَعُف أمرُ الأفضلِ ويئِسَ مِن برِّهم وخيرِهم ، فأقامَ مُحاصِرًا البلَدَ بمَن معه حتى انْسلَخَ الحولُ وهو كذلك ، ثم انفصَل الحالُ فى أولِ السنةِ الآتيةِ ، على ما سيأتى بيانُه إن شاء اللَّهُ تعالى .

وفيها شرَع فى بناءِ سُورِ بغدادَ من الآجرِّ والكِلْسِ ، وفرَّق على الأمراءِ ، وكَمَلت عِمارَتُه بعدَ هذه السنةِ ، فأمِنَتْ بَغْدادُ مِن الغرقِ والحصارِ ، ولم يكُنْ لها سورٌ قبلَ ذلك .

وفى هذه السنةِ تُوفِّى :

السلطانُ الكبيرُ أبو محمدٍ يعقوبُ بنُ يوسفَ بنِ عبدِ المؤمنِ[1] ، صاحبُ المغربِ والأندلسِ بمدينةِ سَلَا[2] ، وكان قد ابتنَى عندَها مدينةً مليحةً سمّاها المَهْدِيَّةَ ، وقد كان دَيِّنًا حسنَ السيرةِ ، صحيحَ السَّريرةِ ، وكان مالكيَّ المذهبِ ، ثم صار ظاهريًّا حَزْمِيًّا ، ثم مالَ إلى مذهبِ الشافعيِّ ، واستقضَى فى بعضِ بلادِه منهم قُضاةً ، وكانت مدةُ مُلْكِه خمسَ عشْرةَ سنةً ، وكان كثيرَ الجهادِ ، رحِمه اللَّهُ ، وكان يؤُمُّ الناسَ فى الصلواتِ الخمسِ ، وكان قريبًا إلى المرأةِ والضَّعيفِ . وهو الذى كتَب إليه صلاحُ الدينِ يستنجِدُه على الفِرنْجِ ، فلمّا لم يُخاطِبْه بأميرِ المؤمنين غضِب مِن ذلك ولم يُجِبْه إلى ما طلَب منه ، وقام بالمُلْكِ بعدَه ولدُه محمدٌ ، فسارَ كسِيرَةِ والدِه ، ورجَع إليه كثيرٌ مِن البلدانِ اللاتى كانت قد عصَتْ على أبيه ، ثم مِن بعدِ ذلك تفرَّقتْ بهم الأهواءُ ، وبادَ هذا البيتُ بعدَ الملكِ يعقوبَ .

وفى هذه السنةِ ادَّعَى رجلٌ أعجمِىٌّ بدمشقَ أنَّه عيسى ابنُ مريمَ ، فأمَر الأميرُ صارِمُ الدينِ بُزْغُشُ نائبُ القلعةِ ، بصلبِه فصُلِب عندَ حمّامِ العمادِ الكاتبِ ، خارجَ بابِ الفرَجِ مُقابِلَ الطَّاحونِ التى بينَ البابين ، وقد بادَ هذا الحمّامُ قديمًا ، وبعدَ صلبِه بيومين ثارَتِ العامَّةُ على الروافضِ ، وعمَدُوا إلى قبرِ رجلٍ منهم ببابِ الصَّغيرِ يقالُ له : وثَّابٌ . فنبَشُوه وصلَبُوه مع كلبين ، وذلك فى ربيعِ الآخرِ منها .

---

(١) الكامل ١٢/ ١٤٥، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٤٦٤، ووفيات الأعيان ٧/ ٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩٠ - ٦٠٠هـ) ص ٢١٣.

(٢) سلا : مدينة بأقصى المغرب . معجم البلدان ٣/ ١٠٩.

وفى هذه السنةِ وقَعت فِتنةٌ كبيرةٌ ببلادِ خُراسانَ ، وكان سببَها أنَّ فخرَ الدينِ محمدَ بنَ عمرَ الرازيَّ [٩/٣٢٠و] أستاذَ المتكلِّمين فى زمانِه وفَد إلى الملكِ غِياثِ الدينِ الغُوريِّ صاحِبِ غَزْنَةَ ، فأكْرَمه وبنَى له مدرسةً بهَراةَ ، وكان أكثرُ الغُوريَّةِ كَرّامِيَّةً ؛ فأبْغَضُوا الرازيَّ وأحبُّوا إبعادَه عن المُلْكِ ، فجمَعوا له جماعةً مِن الفقهاءِ الحنفيةِ والكَرّامِيَّةِ ، وخلقًا مِن الشافعيةِ ، وحضَر ابنُ القدْوَةِ وكان شيخًا معظَّمًا فى الناسِ ، وهو على مذهبِ ابنِ كرّامٍ ، وابنِ الهيصمِ ، فتَناظَرَ هو والرازيُّ ، وخرَجا مِن المُناظرةِ إلى السَّبِّ والشَّتْمِ ، فلما كان مِن الغَدِ اجتمَع الناسُ فى المسجدِ الجامعِ ، وقام واعِظٌ فتكلَّم ، فقال فى خُطبتِه : أيُّها الناسُ ، إنَّا لا نقولُ إلا ما صحَّ عندَنا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأمّا علمُ أرِسْطَاطَا ليسَ وكُفْرِيَّاتُ ابنِ سينا ، وفلسفةُ الفارابِيِّ ، فلا نعلَمُها ، ولأىِّ حالٍ يُشْتَمُ بالأمسِ شيخٌ مِن شيوخِ الإسلامِ يَذُبُّ عن دينِ اللَّهِ وسنةِ رسولِه . قال : فبكَى الناسُ وضجُّوا ، وبكَتِ الكرّامِيَّةُ واستغاثُوا ، وأعانَهم على ذلك قومٌ مِن خَواصِّ الناسِ ، وأنْهَوا إلى الملكِ صورةَ ما وقَع ، فأمَر بإخراجِ الرازىِّ مِن بلادِه ، وعاد إلى هَراةَ ؛ فلهذا أُشْرِبَ قلبُ الرازيِّ بُغْضَ الكرّامِيَّةِ ، وصار يلهَجُ بهم فى كلامِه فى كلِّ موطنٍ ، وكلَّما هبَّت الصَّبا .

وفى هذه السنةِ وقَع الرِّضا عن الشيخِ جمالِ الدينِ أبى الفَرَجِ بنِ الجوزيِّ شيخِ الوعّاظِ فى زمانِه وبعدَه ، وقد كان أُخرِجَ من بغدادَ إلى واسِطٍ ، فأقامَ بها خمسَ سنينَ ، فانتفَع به أهلُها واشْتَغَلُوا عليه واسْتَفادُوا منه ، فلما عاد إلى بغدادَ خلَع عليه الخليفةُ وأذِنَ له فى الجلوسِ على عادَتِه عندَ التُّرْبَةِ الشريفةِ المُجاوِرَةِ لقبرِ معروفٍ الكَرْخِيِّ ، فكثُر الجمعُ جدًّا ، وحضَر الخليفةُ ، وأخذ فى العِتابِ ، وأنشَد يومَئذٍ فيما يُخاطِبُ به الخليفةَ :

لا تُعْطِشِ الرَّوْضَ الذى نَبْتُهُ بصَوْبِ إنعامِك قد رُوِّضا

لا تبْرِ عُودًا أنت قد رِشْتَهُ   حاشا لبانى المجدِ أن ينْقُضَا
إن كان لى ذنبٌ [(1]ولم آتِهِ[1)]   فاسْتَأنفِ العفوَ وهَبْ لى الرِّضَا
قد كنتُ أرجوكَ لنَيْلِ المُنَى   فاليومَ لا أطْلُبُ إلا الرِّضَا

ومما أنشَده يومئذٍ[(2)] :

شَقِينا بالنَّوَى زمنًا فلما   تلَاقَيْـنا كأنَّا ما شَقِينا
سَخِطْنا عندَ ما جنَتِ الليالى   وما زالَتْ بنا حتى رَضِينا
ومَن لم يَحْىَ بعدَ الموتِ يومًا   فإنَّا بعدَ ما مِتْنا حَيِينَا

وفى هذه السنةِ استدعَى الخليفةُ الناصِرُ قاضىَ المَوصِلِ ضياءَ الدينِ بنَ الشَّهْرَزُورِىِّ ، فوَلَّاه قَضاءَ قُضاةِ بغدادَ . وفى هذه السنةِ وقَعت فِتنةٌ بدمشقَ بسببِ الحافظِ عبدِ الغنىِّ المَقْدِسىِّ ؛ وذلك أنَّه كان يتَكلَّمُ فى مقصورَةِ الحَنابلَةِ بالجامعِ الأُموىِّ ، فذكَر يومًا شيئًا مِن العقائدِ ، فاجتمَع القاضى محيى الدينِ بنُ الزَّكىِّ وضياءُ الدينِ الخَطِيبُ الدَّوْلَعِىُّ بالسلطانِ المُعَظَّمِ ، والأميرِ صارِمِ الدينِ بُزْغُشَ ، فعُقِد له مجلسٌ فيما يَتعلَّقُ بمسألَةِ الاستواءِ على العرشِ والنُّزولِ والحرفِ والصَّوْتِ ، فوافَقَ النجمُ الحنبلِىُّ بقيَّةَ الفقهاءِ ، واستمَرَّ الحافظُ على ما يقولُه لم يرجِعْ عنه ، واجتمَع بقيَّةُ الفقهاءِ عليه ، وألْزَمُوه بإلزاماتٍ شنِيعَةٍ لم يلْتَزِمْها ، حتى قال له الأميرُ بُزْغُشُ : كلُّ هؤلاء على الضلالةِ وأنت وحدَك على الحقِّ ؟! قال : نعم . فغضِب [٣٢٠/٩ظ] الأميرُ عندَ ذلك ، وأمَر بنَفْيِه مِن البلدِ ، فاستنظَره ثلاثةَ أيامٍ ، فأنظَره ، وأرسَل بُزْغُشُ الأُسارَى مِن القلعةِ ،

(١ - ١) فى الأصل ، ص : « بحرمته » ، و م : « قد جنيته » . والمثبت من ذيل الروضتين ص ١٥ .
(٢) ذيل الروضتين ص ١٥ .

فكسَروا منبرَ الحافظِ[1] ، وتعطَّلَت صلاةُ الظهرِ يومَئذٍ فى محرابِ الحنابلةِ ، وأُخْرِجت الخزائنُ والصناديقُ التى كانت هناك ، وجرَت خبْطَةٌ شديدةٌ ، نعوذُ باللَّهِ مِن الفِتَنِ ، ما ظهَر منها وما بطَن ، وكان عقْدُ المجلسِ يومَ الاثنينِ الرابعِ والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ ، فارْتحَل الحافظُ عبدُ الغنيِّ إلى بَعْلَبَكَّ ، ثم سار إلى الديارِ المصريةِ ، فآوَاه المحَدِّثون ، فحنُوا عليه وأكرَموه .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الأميرُ مجاهدُ الدينِ قايمازُ الرُّومىُّ[2] ، نائبُ الموصلِ ، والمُسْتولى على مملكتِها أيامَ ابنِ أستاذِه نورِ الدينِ أرسَلانَ ، وكان عاقلًا ذكيًّا فقيهًا حنَفيًّا ، وقيل : شافعيًّا . يحفَظُ شيئًا كثيرًا مِن التواريخِ والحكاياتِ ، وقد ابتنى عدَّةَ جوامعَ ومدارسَ ورُبُطٍ وخَاناتٍ ، وله صدَقاتٌ كثيرةٌ دارَّةٌ . قال ابنُ الأثيرِ[3] : وقد كان مِن محاسنِ الدنيا .

أبو الحسنِ محمدُ بنُ جعفرِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ العزيزِ العباسِىُّ الهاشمىُّ[4] ، قاضى القضاةِ ببغدادَ ، بعدَ ابنِ النجّارىِّ ، كان شافعيًّا ، تفَقَّهَ على أبى الحسنِ بنِ الخَلِّ وغيرِه ، وقد ولِى القضاءَ والخطابةَ بمكةَ ، وأصلُه منها ، ولكن ارتحَل إلى بغدادَ ، فنال منها ما نال مِن الدنيا ، وآل به الأمرُ إلى ما آل ، ثم إنَّه عُزِل

---

(١) فى م : « الحنابلة » .

(٢) الكامل ١٢/ ١٥٣، وذيل الروضتين ص ١٤، ضمن وفيات سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، ووفيات الأعيان ٤/ ٨٢، وسير أعلام النبلاء ٢١/٣٣٠ دون ترجمة ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٩٤.

(٣) الكامل ١٢/ ١٥٤.

(٤) ذيل الروضتين ص ١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٢٠٠، والعقد الثمين ١/ ٤٣٧.

عن القضاءِ بسببِ محْضَرٍ رُقِم خطُّه عليه ، وكان ، فيما قيلَ ، مُزَوَّرًا عليه . فاللَّهُ أعلمُ ، فجلَس فى منزِله حتى مات .

الشيخُ جمالُ الدينِ أبو القاسمِ يحيى بنُ عليٍّ بنِ الفضلِ بنِ بركةَ بنِ فَضْلانَ[1] ، شيخُ الشافعيةِ ببغدادَ ، تفَقَّهَ أوَّلًا على سعيدِ بنِ محمدٍ الرَّزّازِ[2] مدرسِ النظاميَّةِ ، ثم ارتَحَل إلى خُراسانَ فأخَذ عن الشيخِ محمدٍ الزَّبيديِّ تلميذِ الغَزّاليِّ ، وعاد إلى بغدادَ وقد اقتبَس علمَ المُناظرةِ والأَصْلَيْنِ ، وساد أهلَ بغدادَ ، وانتفَع به الطلبةُ والفقهاءُ ، وبُنِيت له مدرسةٌ فدرَّس بها وبَعُد صِيتُه ، وكثُرت تلاميذُه ، وكان كثيرَ التلاوةِ وإسماعِ الحديثِ ، وكان شيخًا حسنًا لطِيفًا ظريفًا ، ومِن شعرِه[3] :

وإذا أردْتَ منازلَ الأشرافِ فعليك بالإسعافِ والإنصافِ
وإذا بغَا باغٍ عليك فخلِّهِ والدهرَ فهْوَ لهُ مُكافٍ كافِ

(١) ذيل الروضتين ص ١٥، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٢١١، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٣٢٢، ومرآة الجنان ٣/ ٤٧٩.
(٢) فى الأصل : « البزار » ، وفى م : « الزار » .
(٣) ذيل الروضتين ص ١٥.

ثم دخلت سنة ستٍّ وتسعين وخمسمائةٍ

استهلّت هذه السنةُ[1] والملكُ الأفضلُ، بالجيشِ المصريِّ، مُحاصِرٌ لعمِّه العادلِ بدمشقَ، وقد قطَع عنها الأنهارَ والمِيرَةَ، فلا خبزَ ولا ماءَ إلا قليلًا، وقد تطاوَل الحالُ، وقد خندَقُوا مِن أرضِ اللَّوانِ إلى يَلْدَا[2] خندقًا؛ لئلا يصِلَ إليهم جيشُ دمشقَ، وجاء فصلُ الشتاءِ وكثُرت الأمطارُ والأوحالُ، فلما دخَل شهرُ صفرٍ، قدِم الملكُ الكاملُ محمدُ بنُ العادلِ على أبيه بخلْقٍ مِن التُّركمانِ، وعساكرَ مِن بلادِ الجزيرَةِ والرُّها وحَرّانَ، فعندَ ذلك انصرفَت العساكرُ المصريةُ، وتفرَّقُوا أَيادِى سَبَا، فرجَع الظاهرُ إلى المملكةِ الحلبيةِ، والأسدُ إلى حمصَ، والأفضلُ إلى الديارِ المصريةِ، وسلِم العادِلُ مِن كيدِ الأعادى، بعدَما كان قد عزَم على تسليمِ البلدِ واستسلَم، ولكنَّ اللَّهَ سَلَّم. وسارَت الأمراءُ الناصريةُ خلفَ الأفضلِ ليمنَعوه مِن الدخولِ [٩/٣٢١و] إلى القاهرةِ، وكاتَبُوا العادلَ أن يُسرِعَ السَّيرَ إليهم والقدومَ عليهم، فنهَض إليهم سريعًا سامعًا لمشورتِهم مطيعًا، فتحصَّن الأفضلُ بالقلعةِ مِن الجبلِ، وقد اعتراه الضَّعفُ والفشلُ، ونزَل العادلُ على البِرْكَةِ[3] واستبَدَّ بمُلكِ مصرَ آمنًا مِن الشَّرِكةِ، ونزَل إليه ابنُ أخيه الأفضلُ خاضعًا

---

(١) الكامل ١٢/ ١٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٢٦.

(٢) فى م: «اللد». ويلدا: قرية من دمشق على ثلاثة أميال منها، وإليها ينسب غير واحد من الرواة. معجم البلدان ٤/ ١٠٢٥.

(٣) أى بركة الحجاج، وعرفت قديمًا باسم جُبّ عُمَيرة، وسميت ببركة من أجل نزول حُجاج البر بها، وهى محلّة اليوم من قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية. الخطط المقريزية ٢/ ٥٨٣.

ذليلًا بعدَما كان مَهيبًا جليلًا ، فأقطَعه بلادًا مِن الجزيرةِ ، ونفَاه عن الشامِ لسُوءِ السِّيرَةِ ، ودخَل العادلُ إلى دارِ السلطانِ بالقاهرةِ ، وأعاد القضاءَ إلى صدرِ الدينِ عبدِ الملكِ بنِ دِرْباسِ المارانيِّ الكُرْديِّ ، وأبقَى الخُطبةَ والسِّكَّةَ باسمِ ابنِ أخيه المنصورِ ، ولكن هو المستقلُّ بالأمورِ ، واستوزَرَ الصاحبَ صَفِيَّ الدينِ بنَ شكرٍ لصَرامتِه وشَهامتِه ، وسيادَتِه ودِيانتِه ، وكتَب العادلُ إلى ولدِه الكاملِ يَسْتَدعِيه مِن بلادِ الجزيرةِ ؛ ليُمَلِّكَه على الديارِ المصريةِ ويسترعيه ، فقَدِم عليه فأكرَمه واحترَمه وعانَقَه والْتزَمَه ، وأحضَر الملكُ الفقهاءَ واسْتَفتاهم فى صحةِ مملكةِ ابنِ أخيه المنصورِ بنِ العزيزِ ، وأنَّه صغيرٌ ابنُ عشْرِ سنين ، فأفْتَوا بأنَّ وِلايتَه لا تصِحُّ ؛ لأنه مُتَوَلًّى عليه ، فعندَ ذلك طلَب الأمراءَ ودَعاهم إلى مُبايعَتِه فامتنَعوا ، فأرغَبَهم وأرهَبهم ، وقال فيما قال : قد سَمِعْتُم ما أفْتَى به العلماءُ والأئمةُ والفقهاءُ ، وقد عَلِمْتُم أنَّ ثُغورَ المسلمين لا يحفَظُها الأطفالُ الصِّغارُ ، وإنَّما يحرُسُها الملوكُ الكِبارُ . فأذعَنوا عندَ ذلك وبايَعوه ، ثم مِن بعدِه لولدِه الكاملِ ، فخطَب الخطباءُ بذلك بعدَ الخليفةِ لهما ، فضُرِبَتِ السِّكَّةُ باسمِهما ، واسْتَقرَّتْ دمشقُ باسمِ المُعَظَّمِ عيسى بنِ العادلِ ، ومصرُ باسمِ الكاملِ .

وفى شوَّالٍ رجَع إلى دمشقَ الأميرُ فلَكُ[(١)] الدينِ أبو منصورٍ سليمانُ بنُ شَرْوَةَ[(٢)] بنِ خلدكَ ، وهو أخو الملكِ العادلِ لأمِّه ، وهو واقفُ الفلَكِيَّةِ داخلَ بابِ الفَرَادِيسِ ، وبها قبرُه ، فأَقام بها محترَمًا مُعَظَّمًا إلى أن تُوفِّى فى هذه السنةِ .

وفيها وفى التى بعدَها كان بدِيارِ مصرَ غلاءٌ شديدٌ ، فهلَك بسببه الغَنِيُّ

---

(١) فى م : « ملك » .

(٢) فى م : « مسرور » ، وفى ذيل الروضتين ص ٣٣ « سليمان بن شيرويه بن جندر » ، وفى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٣٠ : « سليمان بن سروة بن جلدك » .

والفقيرُ ، وهرَب الناسُ منها نحوَ الشامِ فلم يصِلْ إليها إلا القليلُ ، وتخَطَّفُهم الفِرنْجُ مِن الطُّرقاتِ وغَرُّوهم مِن أنفسِهم واغْتالُوهم بالقَليلِ مِن الأقواتِ ، وأمّا بلادُ العراقِ فإنَّه كان مُرْخصًا . قال ابنُ الساعى[1] : وفى هذه السنةِ باضَ دِيكٌ ببغدادَ ، فسأَلْتُ جماعةً عن ذلك فأخبرونى به .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

السلطانُ علاءُ الدينِ خُوارَزْمشاه تِكِشُ بنُ أَلْب أَرْسَلان بنِ أتسِزَ ، مِن ولدِ طاهرِ بنِ الحسينِ[2] ، وهو صاحبُ خُوارَزمَ وبعضِ خُراسانَ والرَّىِّ وغيرِ ذلك مِن الأقاليمِ المُتَّسعةِ ، وهو الذى قطَع دولةَ السلاجِقَةِ ، كان عادِلًا حسنَ السيرةِ ، وله معرفةٌ جيدةٌ بالمُوسيقى ، حسنَ المعاشرةِ ، فقيهًا على مذهبِ أبى حنيـــفةَ ، ويعرِفُ الأُصولَ ، وبنَى للحنَفِيَّةِ مدْرسةً عظيمةً ، ودُفِنَ بتُرْبَةٍ بناها بخُوارَزْمَ ، وقام فى الملكِ مِن بعدِه ولَدُه علاءُ الدينِ محمدٌ ، وكانَ يلَقَّبُ بقُطْبِ الدِّينِ . وفيها قُتِلَ وَزِيرُ السُّلْطانِ خُوارِزْمشاه .

نِظامُ الدِّينِ [٩/٣٢١ظ] **مسعُودُ بنُ علىٍّ**[3] ، وكانَ حسنَ السِّيرةِ ، شافعىَّ المذْهبِ ، له مدرسةٌ عظيمةٌ بخُوارَزْمَ ، وجامِعٌ هائلٌ ، وبنَى بمَرْوَ جامعًا عظيمًا

---

(١) تاريخ ابن الساعى ٢١/٩ . وقد ذكره ضمن أحداث سنة ٥٩٥ هـ .

(٢) الكامل ١٢/ ١٥٦، وذيل الروضتين ١٧، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٤٧١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠) ص ٢٣٣.

(٣) الكامل ١٢/١٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٢٧١. وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٩٦. ويعرف فى مصادر ترجمته بـ« نظام الملك » ؛ لا بـ« نظام الدين » . وقال فى طبقات الشافعية : وقد اشترك نظام الملك هذا ونظام الملك المتقدم ذكره - أى الحسن بن على بن إسحاق ابن العباس الطوسى - الذى هو سيد الوزراء، اشتركا فى اللقب والوزارة والتعصب للشافعية وبناء المدارس وأنهما قتلهما الملاحدة .

للشَّافعيَّةِ ، فحسَدهم الحنابِلَةُ[1] ، وشيَّخُهم بها يقالُ له : شيخُ الإسْلامِ . فيقالُ : إنَّهم أحْرقُوه . وهَذا إنَّما يصدُرُ مِن قلَّةِ الدِّينِ والعَقْلِ واحترامِ معابدِ الإسلامِ ، فأغْرَمهم السلطانُ خُوارَزْمشاه ما غَرِم الوزيرُ على بنائِه .

وفيها تُوفِّي الشيخُ المُسْنِدُ المُعَمَّرُ رُحْلَةُ الوقْتِ ؛ أبو الفَرَجِ عبدُ المُنْعِمِ بنُ عبدِ الوَهَّابِ بنِ صدَقةَ بنِ الخَضِرِ بنِ كُليبٍ[2] الحرَّانيُّ الأصْلِ ، البَغْداديُّ المَوْلِدِ والدَّارِ والوَفاةِ ، عن سِتٍّ وتِسْعينَ سنةً ، سمِعَ الكثيرَ وأسْمع ، وتفَرَّدَ بالرِّوايةِ عن جماعَةٍ من المشايخِ ، وكان مِن أعْيانِ التُّجَّارِ وذَوِى الثَّرْوةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الفَقِيهُ مجدُ الدِّينِ أبو محمدٍ طاهِرُ بنُ نصرِ اللَّهِ بنِ جَهْبَلٍ[3] ، مُدرِّسُ القُدْسِ الشريفِ ، أوَّلُ مَنْ درَّس بالصَّلاحِيَّةِ ، وهو والدُ الفُقَهاءِ ؛ بنى جَهْبَلٍ الذينَ كانوا بالمدرسةِ الجاروخِيَّةِ ، ثم صارُوا إلى العمادِيَّةِ والدَّماغيَّةِ[4] فى أيامِنا هذه ، ثم ماتُوا ولم يَبْقَ إلَّا شرْحُهم .

الأميرُ صارمُ الدِّينِ[5] **قَايْمازُ بنُ عبدِ اللَّهِ النَّجْمىُّ**[6] ، مِن أكابرِ الدولةِ

---

(١) كذا بالنسخ ، وهو خطأ فإنه ليس بمرو حنابلة ، لكن ابن كثير قد وافق فى هذا ابن الأثير . والصواب أنهم الحنفية لا الحنابلة . وانظر تاريخ الإسلام ، وطبقات الشافعية ؛ الموضعين المذكورين عند ترجمته آنفا .

(٢) الكامل ١٢/ ١٥٩، وذيل الروضتين ص ١٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٢٧. وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٢٥٤، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٥٩.

(٣) فى م ، ص : « جميل » . وكذا ورد فى مرآة الجنان . وانظر ترجمته فى : تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٢٤٣، والعبر ٤/ ٢٩٢، ومرآة الجنان ٣/ ٤٨٥.

(٤) الدماغية نسبةً إلى شجاع الدين ابن الدماغ ، وقد أنشأتها زوجته منتصفةً بين الشافعية والحنفية فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة . الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٢٣٦.

(٥) كذا بالنسخ ، ولم أجد هذا اللقب إلا فى مرآة الزمان ٨/ ٢/ ٤٧٤، ومصادر ترجمته على أنه مجاهد الدين .

(٦) الكامل ٢/ ١٥٣، وذيل الروضتين ص ١٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٩٤، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٤٤.

الصَّلاحِيَّةِ ، كان عندَ الملكِ صلاحِ الدِّينِ بمَنْزِلَةِ أُسْتاذَارٍ[1] وهو الذى تسلَّم القَصْرَ حِينَ ماتَ العاضِدُ ، فحصَل له أمْوالٌ جزيلَةٌ جدًّا ، وكان كثيرَ الصَّدقاتِ والأوْقافِ ، تصدَّق فى يومٍ بسبْعَةِ آلافِ دِينارٍ عَيْنًا ، وهو واقِفُ المدْرسَةِ القيمازِيَّةِ ، شرْقِيَّ القَلْعَةِ المنصورةِ ، وقد كانتْ دارُ الحديثِ الأشرفيَّةِ دارًا لهذا الأميرِ ، وله بها حمَّامٌ ، فاشترَى ذلك الملكُ الأشْرَفُ ، فيما بعدُ ، موسى بنُ العادلِ وبنَاها دارَ حديثٍ ، وأخْرَب الحمَّامَ وبنَاه مَسْكنًا للشيخِ المُدرِّسِ بها . ولما تُوفِّى ودُفِنَ فى قبْرِه ، نُبِشَتْ دورُه وحَواصِلُه ، وكانَ متَّهَمًا بمالٍ جزيلٍ ، فكان مُتحَصَّلُ ما جُمِعَ مِن ذلك مِائَةَ ألفِ دِينارٍ ، وكانَ يُظَنُّ أنَّ عندَه أكثرَ مِن ذلكَ ، ولكن كان يَدفِنُ أموالَه فى الخَرابِ مِن أراضِى ضِياعِه وقرَاياه . فسامَحه اللَّهُ وبلَّ بالرحمةِ ثراه .

الأميرُ الكبيرُ لُؤْلُؤٌ[2] أحدُ الحُجَّابِ بالدِّيارِ المصْرِيَّةِ ، كان مِن أكابِرِ الأُمراءِ فى الدولةِ الصلاحيّةِ ، وهو الذى كانَ يَتَسلَّمُ الأسْطولَ بالبحرِ فيكونُ كالشَّجا فى حُلُوقِ الفِرنْجِ والنَّحرِ فى النَّحرِ ، فكَمْ مِن شُجاعٍ قد أسَرَ ، وكم مِن مَرْكبٍ قد

---

(١) فى ص : « الأستاذ دار » . وفى م : « الأستاذ » . وصواب ذلك كله : « الإستَدّار » . قال فى صبح الأعشى ٥/ ٤٥٧ : « الإستدّار بكسر الهمزة وهو لقب على الذى يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه ، وتمتثل أوامره فيه ، وهو مركب من لفظتين فارسيتين ؛ إحداهما إستذ ، ومعناها الأخذ . والثانية دار ومعناها الممسك . فأدغمت الذال الأولى وهى المعجمة فى الثانية وهى المهملة فصار إستدّار ... والمتشدقون من الكتاب يضمون الهمزة فى أوله ويلحقون فيه ألفًا بعد التاء فيقولون : « أُستَدّار » . وربما قالوا : « أستاذ الدار » . ظنا منهم أن المراد حقيقة الدار فى اللفظ العربى ، وأن أستاذ بمعنى السيد أو الكبير ... وهو خطأ صريح لما تقدم بيانه » . فتبين مما سبق خطأ ذلك كله بما فى ذلك ما أثبتناه من الأصل ، وإنما أثبتناه احترامًا للنسخ .

(٢) مرآة الزمان ٨/٢/ ٤٧٤، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٦٣، والعبر ٤/ ٣٠٤، وشذرات الذهب ٤/ ٣٣٦.

كَسَرَ ، وكم مِن أسطولٍ لهم قد فرَّق شملَه ، ومن بَطْسةٍ وَقارِبٍ قد غرَّق أهلَه ، وقد كان مع كثْرَةِ جهادِه دَارَّالصَّدقاتِ ، كثيرَ النَّفقاتِ فى كلِّ يومٍ ، وكان بديارِ مصرَ غلاءٌ شديدٌ فتَصدَّقَ باثْنَىْ عشَرَ ألفَ رَغيفٍ ، لاثْنَىْ عشَرَ ألْفَ فقيرٍ ، فجزاه اللَّهُ خيرًا ورحمةً فى قبرِه ، وبَيَّض وجهَه يومَ محشرِه ومنشرِه ، آمين .

الشيخُ الإمامُ الفقيهُ العلّامةُ شِهابُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ[(١)] أحدُ مشايخِ الشافعيَّةِ بديارِ مِصْرَ ، وشيْخُ المدْرسةِ المنْسُوبَةِ إلى تَقِيِّ الدِّينِ عُمرَ بن شَاهنْشَاه بنِ أيُّوبَ ، التى يقالُ لها : منازِلُ العِزِّ . وهو مِن أصْحابِ محمدِ بنِ يحيى تلميذِ الغَزَّاليِّ ، كان له قدْرٌ ومنْزِلَةٌ عند ملُوكِ مِصْرَ ، يأمُرُهم بالمعْروفِ ويَنْهاهُم عنِ المنْكرِ ، إلى أن تُوفِّى ، رحِمه اللَّهُ ، فى هذِه السَّنةِ ، فازْدَحم الناسُ فى جِنازتِه ، وتأسَّفُوا عليه .

الشَّيْخُ ظَهيرُ الدِّينِ عبدُ السَّلامِ الفارِسِيُّ[(٢)] شيْخُ [٣٢٢/٩و] الشَّافعيَّةِ بحلَبَ ، أخَذ الفِقْهَ عن محمدِ بنِ يحيى تلميذِ الغَزَّاليِّ ، وتَلْمَذ للفخْرِ الرّازيِّ ، ورحَل إلى مِصْرَ فعُرِض عليه أنْ يدرِّسَ بتَرْبَةِ الشَّافعيِّ فلم يقْبَلْ ، فسار إلى حَلَبَ ، فأَقام بها إلى أنْ تُوفِّى فى هذه السنةِ .

الشَّيْخُ العلَّامةُ بدْرُ الدِّينِ بنُ عسكرٍ[(٣)] رئيسُ الحنَفيَّةِ بدِمَشْقَ ، قالَ أبو شامَةَ[(٤)] : ويعْرفُ بابنِ العَقَّادَةِ[(٥)] .

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٤٧٥، والروضتين ٢/ ٢٤٠، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٢٦٧، والوافى بالوفيات ٥/ ٩، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٣٩٦، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٥٩.

(٢) الوافى بالوفيات ١٨/ ٤٣٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٧٠، وطبقات الإسنوى ٢/ ٢٨٤.

(٣) ذيل الروضتين ص ١٧. وفيه : « بدر الدين عسكر » .

(٤) ذيل الروضتين ص ١٧.

(٥) كذا بالنسخ وفى ذيل الروضتين ص ١٧: « العفاره » .

الشَّاعِرُ الماهرُ الهُمامُ العبديُّ ، وهو أبو الحسَنِ عليُّ بنُ نصرِ بنِ عقيلِ بنِ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ عبدِ القيسِ بنِ ربيعةَ[1] وهو بغْدَادِيٌّ ، قدِمَ دِمشْقَ فى سنَةِ خَمْسٍ وتِسْعينَ وخمسِمائَةٍ ، ومعه دِيوانُ شعرٍ له ، فيه دُرَرٌ حِسانٌ وفرائدُ وعقائدُ وعِقْيَانٌ ، وقد تصدَّى لمدْحِ الملكِ الأمْجَدِ صاحبِ بَعْلَبَكَّ ومَن قبلَه وله[1] :

وما النَّاسُ إلَّا كاملُ الحظِّ ناقصٌ　　　وآخرُ مِنهمْ ناقصُ الحظِّ كامِلُ

وإنِّى لَمُثْرٍ مِن حَيَاءٍ وعِفَّةٍ　　　وإنْ لم يكن عندِى مِن المالِ طائِلُ

وفيها تُوفِّى :

القاضِى الفاضلُ ، الإمامُ العلَّامةُ شيخُ الفُصَحاءِ والبُلَغاءِ . أبو علىٍّ عبدُ الرَّحيمِ بنُ القاضِى الأَشْرَفِ أبى المجْدِ علىِّ بنِ الحسَنِ بنِ البَيْسَانىِّ[2] المؤلَى الأجَلُّ ، القاضى الفاضِلُ ، كان أبوه قاضِيًا بعَسْقَلانَ ، فأرْسلَ ولدَه فى الدولةِ الفاطميَّةِ إلى الدِّيارِ المِصْريَّةِ ، فاشْتغلَ بها بكتابةِ الإنْشاءِ على أبى الفَتْحِ قادُوسٍ وغيرِه ، فسادَ أهلَ البلادِ حتى بَغْدَادَ ، ولم يكُنْ له فى زَمانِه نظيرٌ ، ولا عَدِيدٌ ولا فيما بعدَه إلى وقْتِنا هذا مماثلٌ ولا مناظرٌ ولا نديدٌ ، ولمّا اسْتَقرَّ المِلِكُ صلاحُ الدِّينِ فى الديارِ المصريةِ جعلَه كاتبَه وصاحبَه ووزيرَه وجلِيسَه وأنيسَه ، وكان أعزَّ عليه من أهْلِه وأوْلادِه ، وأكرمَ عليه من طَرِيفِه وتِلادِه ، وتَساعدا حتى فتَح الأقاليمَ والبلدانَ والحصونَ والمعاقلَ ، هذا بحُسامِه وسِنَانِه ، وهذا بقلَمِه ولِسانِه وبَيانِه ، وقد كان القاضى الفاضلُ مع كثْرةِ أمْوالِه ووجاهتِه ورياستِه كثيرَ الصَّدقاتِ

---

(١) مرآة الزمان ٨/٢/٤٧٣.

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ٣٥، والروضتين ٢/ ٢٤١، ووفيات الأعيان ٣/ ١٥٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٣٨، ونهاية الأرب ٨/١/ ٥١.

والصَّلَاتِ والصِّيامِ والصَّلاةِ ، وكان يُواظبُ كلَّ يومٍ وليلةٍ على ختْمَةٍ كاملةٍ ، مع ما يزيدُ عليها مِن نافلةٍ ، رحيمَ القلْبِ ، حسَنَ السِّيرةِ ، طاهرَ القلْبِ والسَّريرَةِ له مدرسةٌ بديارِ مِصْرَ على الشافعِيَّةِ والمالِكيَّةِ ، وأوْقافٌ على تخْليصِ الأسَارَى مِن أيدِى النَّصارى ، وقدِ اقْتنَى من الكُتُبِ نحْوًا مِن مِائَةِ ألْفِ كتابٍ ، وهذا شيءٌ لم يَفْرَحْ به أحدٌ من الوُزَراءِ ولا العُلَماءِ ولا المُلُوكِ ولا الكُتَّابِ ، كان مولدُه فى سنَةِ ثِنْتَيْنِ وثلاثين وَخمسِمائةٍ ، وقد كانت وفاتُه فى يومٍ دخَل العادلُ إلى قصْرِ مِصْرَ بمدْرسَتِه فجأةً ، يومَ الثُّلاثاءِ سادسَ رِبيعِ الآخرِ ، واحْتفَل الناسُ بجِنازَتِه ، وزار قبْرَه فى اليومِ الثَّانى الملكُ العادِلُ ، وتأسَّفَ عليه ، ويقالُ[1] : إنَّه اسْتَوْزَرَ الملكُ العادلُ صَفِيَّ الدِّينِ بنَ شُكْرٍ ، فلمَّا سمِع الفاضِلُ بذلك دَعا اللَّهَ أنْ لا يُحْيِيَه إلى هذه الدَّوْلَةِ ، لمَا بيْنَهما مِن المنافسَةِ ، فمات ، رحمِه اللَّهُ ، ولم ينَلْه أحدٌ بضَيْمٍ ولا أذًى ، ولا رأَى فى الدولةِ مَنْ هو أكبرُ منه ، وقد رثَاه الشُّعراءُ بأشعارٍ حَسَنةٍ ، منها قولُ القاضِى هبَةِ اللَّهِ بنِ سَنَاءِ المُلْكِ[2] :

عبدُ الرَّحيمِ على البرِيَّةِ رحمةٌ	أمِنَتْ بصُحبتِها حلُولَ عِقَابِها
يا سائلًا عنهُ وعن أسْبابِهِ	نالَ السَّماءَ فسَلْه عن أسْبابِها
[3]والدَّهرُ يعلمُ أنَّ فيصلَ خطْبِه	بخُطا يراعتِه وفصلِ خطابِها
ولقد عَلَتْ رتبُ الأجلِّ على الورى	بسموِّ منصبِها وطِيبِ نصابِها[3]
وأتَتْهُ خاطِبَةً إليهِ وزارَةٌ	ولطالما أعْيَتْ على خُطَّابِها

(١) مرآة الزمان ٨/٢/ ٤٧٢، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٤١.
(٢) الأبيات فى ديوانه ١/ ٥٦، وفى الروضتين ٢/ ٢٤٣.
(٣ - ٣) سقط من : م.

(١) ما لقَّبُوه بها لأن يعلُو بها | أسماؤه أغنَتْه عن ألقابِها
قال الزمانُ لغيرِه إذ رامها | ترِبَتْ يمينُك لسْتَ من أترابِها
(٢) اذهَبْ طريقَكَ لست من أربابِها | وارجع وراءَك لسْتَ مِن أصحابِها (٢)
وبعزِّ سيدِنا وسيِّدِ غيرِنا (٣) | ذلَّتْ مِن الأيامِ شمسُ صعابِها (١)
وأتَتْ سعادتُه إلى أبْوابِه | لا كالذى يسْعَى إلى أبْوابِها
تغْنُو المُلْوكُ لوجْهِهِ بوُجوهِها | لا بلْ تُساقُ لِبابِهِ برِقابِها
شُغِلَ الملوكُ بما يزولُ ونفْسُه | مشْغُولةٌ بالذِّكْرِ فى محْرابِها
فى الصَّومِ والصَّلواتِ أتْعبَ نفسَه | وضمانُ راحتِه على إتْعابِها
وتعجَّلَ الإقلاعَ عن لذَّاتِه | ثِقَةً بحسْنِ مآلِها ومآبِها
فَلْتَفْخَرِ الدُّنيا بسائسِ مُلْكِها | منهُ ودارسِ علْمِها وكتابِها
صَوّامِها قَوّامِها عَلَّامِها | عَمَّالِها بَذَّالِها وَهَّابِها

والعجَبُ أنَّ القاضىَ الفاضل مع براعَتِه وفصاحتِه التى لا تُدَانَى ولا تُجارَى لا يُعرفُ له قصيدةٌ طويلةٌ طنَّانةٌ ، بل له ما بينَ بيتٍ وبيْتيْنِ فى أثناءِ الرسائلِ وغيرِها شىءٌ كثيرٌ جدًّا ، فمِنْ ذلك قولُه (٤) :

سبَقْتُمْ بإسْداءِ الجميلِ تكرُّمًا | وما مثْلُكُم فِيمَنْ تحدَّثَ أو حَكَى
وقد كانَ ظنِّى أن أسابِقَكُم بِهِ | ولكن بَكَتْ قبلى فهيجَ لى البكا

ومن ذلك قولُه (٥) :

(١ - ١) سقط من : م .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣) فى النسخ ، والديوان : « وسيد عزنا » ، وفى نسخة من نسخ الديوان كما ورد هنا .
(٤) الروضتين ٢/ ٢٤٤.
(٥) تاريخ ابن الساعى ٢٨/٩ .

ولى صاحِبٌ ما خِفْتُ مِن جَوْرِ حادثٍ — مِن الدَّهْرِ إلَّا كانَ لى مِن وَرائيَهْ

إذا عضَّنِى صَرْفُ الزمانِ فإنَّنِى — برِاياتِه أسْطُو عليهِ ورائيَهْ

وله فى بدُوِّ أمْرِه[1]:

أرَى الكُتَّابَ كلَّهمُ جميعًا — بأرْزاقٍ تعُمُّهم سنِينَا

ومَالِىَ بينَهمْ رِزْقٌ كأنِّى — خُلِقْتُ مِن الكِرامِ الكاتِبِينَا

وله فى النَّحْلةِ والزلقطةِ[2]:

ومُغَرِّدَيْنِ تجاوَبَا فى مجْلِسٍ — فنفاهما لأذَاهُما الأقْوامُ

هذا يجُودُ بعَكْسِ ما يأْتى به — هذا فيُحْمَدُ ذا وذاكَ يُذامُ

[3]وله فى ممسحةِ القلمِ:

مِمسحةٌ نهارُها يجِنُّ ليلَ الظُّلَمِ — كأنها من طرفِها منديلُ كفِّ القلمِ[3]

وقولُه[4]:

بِتْنا على حالٍ تسُرُّ الهوَى — لكِنَّهُ لا يُمْكِنُ الشَّرْحُ

بَوَّابُنا الليلُ وقُلْنا لهُ — إنْ غِبْتَ عنَّا هجَم الصُّبْحُ

وسأَله الملكُ العزيزُ عثمانُ بنُ الناصرِ عن جاريةٍ من حظاياه أرسَلَتْ إليه زِرًّا من ذهبٍ مُغلَّفٍ بعَنْبَرٍ أسْوَدَ ، فأنْشَأ الفاضلُ يقولُ[5]:

---

(١) ديوانه ١/ ٥٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣ - ٣) سقط من: م، والبيت فى تاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٨.

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ١٦٠.

(٥) المصدر السابق ٣/ ١٦١.

أهدَتْ لك العنبرَ فى وَسْطِه زِرٌّ مِن التِّبْرِ رقيقُ اللِّحامِ
فالزِّرُّ فى العَنْبَرِ معْناهما زُرْ هكذَا مُخْتَفِيًا فى الظَّلامِ

قالَ القاضى ابنُ خَلِّكَانَ[1] : وقد اختُلِفَ فى لقَبِهِ ؛ فقيلَ : مُحْيِى الدِّينِ وقيلَ : مُجِيرُ الدِّينِ . وحُكِىَ عن عُمارَةَ اليَمَنىِّ أنَّه ذكَره بذكرٍ جميلٍ ، وأنَّ العادِلَ بنَ الصَّالحِ بنِ رُزِّيكَ هو الذى اسْتَقدَمَه مِن الإسْكنْدريَّةِ ، وقد كان معدُودًا فى حسَناتِه . وقد بسَط ابنُ خَلِّكَانَ ترْجمتَه بنَحْوِ ما ذكَرْنا ، وفى هذهِ زِيادةٌ كثيرةٌ . واللَّهُ أعلمُ .

(١) وفيات الأعيان ٣/ ١٦٢، ١٦٣.

ثم دخلت سنة سبعٍ وتِسْعِين وخَمْسِمائةٍ

فيها[1] اشْتَدَّ الغَلاءُ بأرْضِ مِصْرَ جدًّا ، فهلَكَ خلقٌ كثيرٌ جدًّا مِن الفُقراءِ والأغْنياءِ ، ثم أعْقَبَه فناءٌ عظيمٌ ، حتى حكَى الشيخُ أبو شامَةَ فى « الذَّيْلِ »[2] أنَّ العادلَ كفَّنَ مِن مالِه فى مدَّةِ شهرٍ مِن هذه السَّنةِ نحْوًا مِن مِائتَىْ ألْفٍ وعِشْرِينَ ألْفَ مَيِّتٍ ، وأُكِلَتِ الكِلابُ والـمَيْتاتُ فى هذه السنةِ بمِصْرَ ، وأُكِلَ من الصِّغارِ والأطْفالِ [٩/٣٢٣و] خلْقٌ كثيرٌ ، يَشْويه والِدَاه ويأْكُلانِه ، وكثُر هذا فى الناسِ حتى صارَ لا يُنْكَرُ بَيْنَهم ، ثم صاروا يحتالون على بعضِهم بعضًا فيأكلون من يقدرون عليه ، ومَن غلَب مِن قوىٍّ ضعيفًا ذبَحه وأكَله .

وكان الرجلُ يُضِيفُ صاحبَه فإذا خلا به ذبَحه وأكَله ، ووُجِدَ عندَ بعْضِهم أرْبَعُمائةِ رأسٍ .

وهلَكَ كثيرٌ مِن الأطبَّاءِ الذين يُسْتَدْعون إلى المَرْضَى ، فيُذْبحون ويُؤْكَلون ؛ وقدِ اسْتَدعَى رجلٌ طبيبًا فخافَ الطبيبُ وذهَب معه على وجَلٍ ، فجعَل الرجلُ يتَصدَّقُ على مَنْ وجَده فى الطَّريقِ ويذكُرُ ويُسبِّحُ ، ويكْثِرُ مِن ذلك ، فارْتاب به الطبيبُ وتخيَّلَ ، ومع هذا حمَله الطَّمعُ على الاسْتمرارِ معه ، فلمَّا وصَل إلى الدارِ إذا هى خَرِبَةٌ فارتابَ أيضًا ، فخرَج رجلٌ من الدارِ ، فقال لصاحبِه : ومع هذا البُطْءِ جِئْتَ لنا بصَيْدٍ . فلمَّا سمِعَها الطبيبُ هرَب ، فخرَجا خلْفَه سِراعًا فما

---

(١) الكامل ١٢/ ١٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣١.
(٢) ذيل الروضتين ص ١٩.

خلَص إلَّا بعدَ جَهدٍ جَهيدٍ .

وفيها وقَع وباءٌ شديدٌ ببلادِ عَنَزَةَ بينَ الحِجَازِ واليمَنِ ، وكانُوا يسكنون فى عِشْرين قريةً ، فبادَتْ منها ثَمانِى عشْرَةَ قريةً ، ولم يبْقَ فيها ديَّارٌ ولا نافِخُ نارٍ ، وبقِيَت أنعامُهم وأمْوالُهم لا قانِىَ لها ، ولا يسْتَطيعُ أحدٌ أنْ يسْكُنَ تلكَ القُرَى ولا يدْخُلَها ، بل كان مَنِ اقْتَرب إلى شىءٍ من هذِه القُرَى هلَك من ساعَتِه ، فسبحانَ من بيدِه ملكوتُ كلِّ شىءٍ وإليه ترجعون ، أمَّا القَرْيتانِ الباقِيَتانِ فإنَّهما لم يَمُتْ منهما أحدٌ ، ولا عندَهم شعورٌ بما جرَى على مَنْ حوْلَهم ، بل هم على ما كانوا عليه لم يُفْقَدْ منهم أحدٌ .

واتَّفَقَ باليمنِ فى هذه السَّنةِ كائنةٌ غريبةٌ جدًّا ؛ وهى أنَّ رجلًا يقالُ له : (١عبدُ اللَّهِ١) بنُ حَمْزَةَ العَلَوِىُّ كان قد تغَلَّبَ على كثيرٍ مِن بلادِ اليمنِ ، وجمَع نحوًا مِنَ اثْنَىْ عشَرَ ألفَ فارسٍ ، ومن الرَّجَّالَةِ جمعًا كثيرًا ، وخافَه مَلِكُ اليَمنِ المُعزُّ بنُ إسْماعيلَ بنِ سيفِ الإسلامِ بنِ طُغتِكينَ بنِ أيُّوبَ ، وغلَب على ظنِّه زَوالُ مُلْكِه على يدَىْ هذا المتغلِّبِ ، وأيْقَن بالهَلَكَةِ لضَعْفِه عن مقاومَتِه ، واخْتِلافِ أمَرائِه معه فى المَشُورةِ ، فأرْسَل اللَّهُ صاعِقَةً ، فنزَلَتْ عليهم ، فلم يَبْقَ منهم أحدٌ فاضطرَب الجيشُ فيما بيْنَهم وأقبَل المُعزُّ بعسكرِه فغَشِيَهم فقتَل منهم سِتَّةَ آلافِ قتيلٍ ، واسْتَقرَّ فى مُلْكِه آمِنًا .

وفيها تكاتَبَ الأخَوانِ ؛ الأفْضَلُ مِن صَرْخَدَ ، والظَّاهِرُ مِن حَلَبَ ، على أنْ يجْتمِعَا على حِصارِ دِمَشْقَ وينْزِعَاها مِن المُعَظَّمِ بنِ العادِلِ ، وتكونَ للأفْضَلِ ، ثم يسِيرَا إلى الديارِ المصريةِ فيأْخُذَاها من العادِلِ وابْنِه الكاملِ اللَّذينِ نقَضَا العهدَ

(١ - ١) فى تاريخ الإسلام : «عبد الرحمن» .

وأبْطَلا خُطْبَةَ المَنْصُورِ بنِ العزيزِ ، ونكَثَا المواثِيقَ ، فإذَا استقرَّ لهما مُلْكُ مِصْرَ كانتْ للأفْضَلِ ، وتصِيرُ دِمَشْقُ مُضافةً إلى الظَّاهرِ مع حلَبَ ، فلمَّا بلَغ العادِلَ ما تمَالآ عليه ، أرْسلَ جيْشًا مدَدًا لابْنِه المُعَظَّمِ بدِمَشْقَ ، فوَصَلُوا قبلَ وصُولِ الظَّاهرِ وأخِيه الأفضلِ ، وكان وصُولُهما إليها فى ذِى القَعْدَةِ مِن ناحِيَةِ بَعْلَبَكَّ ، فنزَلَا بجيشِهما فى مسْجدِ القَدَمِ ، واشْتدَّ الحِصارُ للبَلدِ ، وتسلَّقَ كثيرٌ من الجيْشِ من ناحِيَةِ خانِ ابنِ المقدمِ ، ولم يَبْقَ إلَّا فتْحُ البَلدِ ، لولَا هُجومُ الليلِ . ثم إنَّ الظَّاهِرَ بَدَا له فيما كان عاهد أخاه عليه من كوْنِ دِمَشْقَ تكونُ للأفْضَلِ ، فرأَى أنْ تكونَ له أوَّلًا ، ثم إذا فُتِحتْ مِصرُ يُسلِّمُها للأفضَلِ ، فأرسَل إليه فى ذلك فلم يقْبَلِ الأفْضَلُ ذلك ، واخْتلَفا وتفرَّقَتْ كَلِمَتُهما ، وتَنازَعا المُلْكَ بدِمَشْقَ ، فتفرَّقَتِ الأُمَراءُ عنهما ، وكُوتِبَ العادِلُ فى الصُّلْحِ ، فأرْسَل يجيبُ إلى ما سأَلَا مِن إقْطاعِهما شيئًا مِن بلادِ الجزيرةِ ، وبعْضِ مُعاملةِ المَعَرَّةِ . وتفرَّقَتِ العَساكِرُ عن البلدِ فى مُحَرَّمِ سنَةَ ثَمانٍ وتِسْعِينَ ، وسار كلٌّ من الملكيْنِ إلى تسلُّمِ البلادِ التى أُقْطِعَها ، وجرَتْ خُطوبٌ يطُولُ شرْحُها ، وقد كان الظَّاهِرُ وأخُوه كتَبا إلى صاحبِ المَوْصِلِ نُورِ الدِّينِ أرْسلَانَ الأَتابِكيِّ أنْ يُحاصِرَ مُدنَ الجزيرَةِ التى مع عمِّهما العادِلِ ، فركِب فى جيْشِه ، وأرْسَل إلى ابنِ عمِّه قُطْبِ الدِّينِ صاحِبِ سِنْجارَ ، واجْتَمَع معهما صاحِبُ مارِدِينَ الذى كان العادِلُ قد حاصَرَه وضيَّقَ عليه مُدَّةً طويلةً ، فقصدَتِ العَساكِرُ حَرَّانَ ، وبها الفائِزُ بنُ العادِلِ ، فحاصَرُوه مدَّةً ، ثم لمَّا بلَغَهم وقُوعُ الصُّلْحِ بينَ العادلِ وابْنَىْ أخيه الظاهرِ والأفضلِ عدَلُوا إلى المُصالَحَةِ أيضًا ، وذلك بعدَ طلَبِ الفائزِ ذلك منهم ، وتمَهَّدَتِ الأُمورُ واسْتقرَّتْ على ما كانت عليه ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفى هذه السنةِ مَلَكَ غِياثُ الدِّينِ وأخُوه شِهَابُ الدِّينِ الغُورِيَّانِ جميعَ ما

كانَ يملكُه خُوارِزْم شَاه مِن البُلْدانِ والحواصلِ والأمْوالِ ، وجرَتْ لهم خُطوبٌ طويلةٌ جدًّا . وفيها كانتْ زَلْزَلَةٌ عظيمةٌ ، ابْتدَأتْ مِن بلادِ الشَّامِ إلى الجزيرَةِ وبلادِ الرُّومِ والعِرَاقِ ، وكان جُمْهُورُها وعُظْمُها بالشَّامِ ؛ تهَدَّمَت منها دُورٌ كثيرةٌ ، وخُسِفَ بقَريةٍ مِنْ أرْضِ بُصْرَى ، وأمَّا السواحلُ فهَلَكَ فيها شيءٌ كثيرٌ ، وخَرِبَتْ محالُّ كثيرةٌ مِن طَرابُلُسَ وصُورَ وعكَّا ونابُلُسَ ، ولم يبْقَ بِنَابُلُسَ سِوَى حارةِ السَّامرَّةِ[1] ومات بها وبقُرَاها ثَلاثُونَ ألْفًا تحتَ الرَّدْمِ ، وسقَطَ طائفةٌ كثيرةٌ مِن المنارَةِ الشَّرْقِيَّةِ بجامعِ دمشقَ [2]وأرْبَعَ عشْرَةَ[2] شُرْفةً منه ، وغالبُ الكلَّاسَةِ والمارَسْتانِ النُّوريِّ ، وخرَجَ الناسُ إلى المَيَادِينِ يسْتَغِيثونَ ، وسقَطَ غالبُ قَلْعَةِ بَعْلَبَكَّ مع وَثاقَةِ بِنَائِها ، وانْفَرَقَ البحْرُ إلى قُبْرُسَ ، وحذَفَ بالمراكبِ إلى ساحلِه ، وتعدَّى إلى ناحيَةِ الشرقِ ، فسقَطَ بسبَبِها دورٌ كثيرةٌ ، وماتَ أُمَمٌ لا يُحْصونَ حتى قال صاحِبُ « مِرْآةِ الزَّمانِ »[3] : إنَّه مات فى هذه السَّنَةِ بسبَبِ الزَّلْزلَةِ نحْوٌ مِن ألْفِ ألْفِ ومِائَةِ ألْفِ إنْسانٍ . نقَله فى « ذيلِ الروضتين » عنه .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن المشاهيرِ والأعْيانِ :

الشيخُ أبو الفرجِ بنُ الجَوْزِىِّ[4] عبدُ الرَّحْمنِ بنُ عليِّ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عبيدِ اللَّهِ بنِ حُمَّادَى بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ جَعْفَرٍ الجَوْزِىُّ - نِسْبةً إلى فُرْضَةِ[5]

---

(١) فى ص ، ومرآة الزمان ٨/٢/٤٧٨، وذيل الروضتين ص ٢٠ : « السمرة » .

(٢ - ٢) كذا بالنسخ ، وفى مرآة الزمان ٨/٢/٤٧٨، وذيل الروضتين ص ٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٨: « ست عشرة » . فاللَّه أعلم .

(٣) مرآة الزمان ٨/٢/٤٧٨، وذيل الروضتين ص ٢٠.

(٤) الكامل ١٢/ ١٧١، ووفيات الأعيان ٣/ ١٤٠، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٢٨٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٤٢، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٩٩، وطبقات المفسرين للداودى ١/ ٢٧٠.

(٥) فرضة : فرضة النهر ثلمته التى يستقى منها . التاج (ف ر ض) ، وهذه الفرضة تعرف بفرضة الجوز .

نَهْرٍ بالبَصْرَةِ – ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ القاسمِ بنِ النَّضْرِ بنِ القاسمِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ بنِ محمدِ بنِ أبى بكْرٍ الصِّدِّيقِ ، الشيخُ الحافِظُ الواعِظُ جمالُ الدِّينِ أبو الفَرَجِ ، المشْهورُ بابْنِ الجوْزِيِّ ، القُرَشِيُّ التَيْمِيُّ البَغْدَادِيُّ الحَنْبَلِيُّ ، أحدُ أفْرادِ العلماءِ ، برَّز فى كثيرٍ مِن العُلومِ ، وجمَع المُصَنَّفاتِ الكبارَ والصِّغارَ نحْوًا مِن ثَلاثِمائَةِ مُصَنَّفٍ ، وكتَب بيَدِه نحْوًا مِن أَلْفَىْ مُجَلَّدَةٍ ، وتَفرَّدَ بفَنِّ الوَعْظِ الذى لم يُسْبَقْ إلى مثْلِه ولا يُلحَقُ شأْوُه فى طريقَتِه وشكْلِه ، [٣٢٤/٩و] وفى فصاحَتِه وبلاغَتِه وعذُوبةِ كلامِه ، وحلاوةِ ترْصِيعِه ، ونُفوذِ وعْظِه ، وغوْصِه على المعانى البديعَةِ ، وتقْريبِه الأشْياءَ الغريبةَ فيما يُشاهَدُ مِن الأمُورِ الحِسِّيَّةِ ، بعبارةٍ وَجِيزَةٍ سريعةٍ ، هذا وله فى العُلومِ اليدُ الطُولَى ، والمُشارَكاتُ فى سائرِ أَنْواعِ العلومِ مِن التَّفْسيرِ والحديثِ والتَّاريخِ والحسابِ ، والنَّظَرِ فى النُّجومِ ، وله مِن المُصَنَّفاتِ فى ذلك ما يضيقُ هذا المقامُ عن تعْدادِها ، وحصْرِ أفْرادِها ؛ منها كِتابُه فى التَّفْسيرِ الشهيرُ بـ « زادِ المسيرِ » ، وله أبْسَطُ منه ولكِنَّه ليْسَ بمشْهورٍ ولا منكورٍ ، وله « جامِعُ المَسانِيدِ » اسْتَوعَب فيه غالبَ « مُسْنَدِ الإمامِ أحمدَ » و « صَحِيحَيِ البُخارِيِّ ومسلمٍ » و « جامعِ التِّرْمذِيِّ » ، وله كتابُ « المُنْتظمِ فى تَواريخِ الأُمَمِ مِن العرَبِ والعَجَمِ » فى عِشْرِينَ مُجَلَّدًا ، قد أوْرَدْنا فى كِتابِنا هذا كثيرًا مِن حوادِثه وتَراجِمِه ، فلم يزَلْ يُؤَرِّخُ أخْبارَ العالَمِ حتَّى صارَ هو تاريخًا ، وما أحقَّه بقولِ الشاعرِ[(١)] :

مازِلْتَ تدْأبُ فى التَّاريخِ مُجْتهِدًا   حتى رأيْتُكَ فى التَّاريخِ مكْتُوبا

وله مَقاماتٌ وخطَبٌ ، وله « الأحاديثُ المَوْضوعَةُ » ، و « العِلَلُ المُتَناهِيَةُ فى الأحاديثِ الواهِيَةِ » ، وغيرُ ذلك .

وُلِد سنةَ عشْرٍ وخمسِمائةٍ ، ومات أبوه وعُمرُه ثَلاثُ سنين ، وكان أهلُه تُجَّارًا

---

(١) القائل هو أبو عيسى عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد الله بن سليمان . وفيات الأعيان ١٣٧/٣ .

فى النُّحاسِ ، فلمَّا تَرَعْرَع جاءَتْ به عمَّتُه إلى مسجِدِ محمدِ بنِ ناصِرِ الحافظِ ، فلَزِم الشيخَ ، وسمِع عليه الحديثَ ، وتَفقَّه بابْنِ الزَّاغُونيِّ ، وحفِظ الوَعْظَ ، ووَعَظ وهو دونَ العشرين ، وأخَذ اللغةَ عن أبى مَنْصُورٍ الجَوالِيقيِّ ، وكانَ صَيِّنًا دَيِّنًا ، مجموعًا على نفْسِه لا يُخالِطُ أحدًا ، ولا يأْكُلُ مِمَّا فيه شُبْهَةٌ ، ولا يَخْرُجُ مِن بَيْتِه إلَّا للجُمُعَةِ ، وقد حضَر مجْلِسَ وعْظِه الخُلَفاءُ والوزَراءُ والملوكُ والأمَراءُ والعُلَماءُ والفُقَراءُ ، ومِن سائرِ صُنوفِ بنى آدَمَ ، وأقلُّ ما كان يجْتَمعُ فى مجلسِه عشَرَةُ آلافٍ ، وربَّما اجْتَمَع فيه مائةُ ألْفٍ أو يزِيدُون ، وربَّما تكلَّم مِن خاطِرِه على البَدِيهَةِ نَظْمًا ونَثْرًا ، رحِمه اللَّهُ .

وبالجملةِ كان أسْتاذًا فرْدًا فى الوَعْظِ ، له مشاركاتٌ حسنةٌ فى بقيةِ العلومِ ، وقد كانَ فيه بَهاءٌ ، وترَفُّعٌ فى نفْسِه ، ويسمُو بنَفْسِه أكثرَ مِن مَقامِه ، وذلكَ ظاهِرٌ فى نثْرِه ونظْمِه ، فمِن ذلك قولُه[(١)] :

مازِلْتُ أدْرِكُ ما غَلا بلْ ما عَلا	وأُكابِدُ النَّهْجَ العسِيرَ الأطْوَلا
تجْرِى بِىَ الآمالُ فى حلَبَاتِه	طلقَ[(٢)] السَّعيدِ جَرَى مدَى ما أمَّلا
يُفْضِى بِىَ التَّوْفيقُ فيه إلى الذى	أعمَى سِوَاىَ توَصُّلًا وتَغَلْغُلَا
لو كان هذا العِلْمُ شخْصًا ناطِقًا	وسأَلْته هل زُرْتَ مِثْلى قال لا

ومِن شعْرِه أيضًا ويُرْوى لغيره[(٣)] :

إذا قَنِعْتَ بمَيْسُورٍ مِن القُوتِ	أصبَحتَ فى الناسِ حُرًّا غيرَ مَمْقُوتِ
يا قُوتَ نفسى إذا ما دَرَّ خِلْفُكَ[(٤)] لى	فلَسْتُ آسَى على دُرٍّ وياقُوتِ

---

(١) تاريخ ابن الساعى ٩/ ٦٧.
(٢) فى الأصل، م: «جرى».
(٣) المصدر السابق ٩/ ٦٦.
(٤) الخِلْف ، بكسر الخاء ، من ذوات الخفّ كالثدى للإنسان .

وله مِن النَّظْمِ والنَّثْرِ شىءٌ كثيرٌ لا ينضبِطُ ، وله كِتابٌ مُفرَدٌ سمَّاه : « نظْم الجُمَان فى كان وكان » .

ومِن لَطائفِ كلامِه قولُه[1] فى الحديثِ : « أَعْمَارُ أُمَّتِى ما بينَ السِّتِّينَ إلى السَّبْعِينَ »[2] : إنَّما طالَتْ أعْمارُ مَن قبْلَنا لطُولِ البادِيَةِ ، فلمَّا شارَف الرَّكْبُ بلدَ الإقامَةِ قيل لهم : حُثُّوا المطِىَّ . وقالَ له رجلٌ : أيُّما أفْضَلُ ؟ أجْلِسُ أُسبِّحُ أو أسْتَغْفِرُ ؟ فقال[3] : الثَّوْبُ الوَسِخُ أحْوَجُ إلى الصابونِ مِن البَخُورِ .

وسُئِل عمَّنْ أوْصَى وهو فى السِّياقِ ، فقال[4] : هذا طينٌ سُطوحُه فى كانُونٍ .

والْتَفَت يومًا إلى ناحيةِ الخليفةِ المُسْتَضِىءِ وهو فى الوَعْظِ فقال[5] : [٩/ ٣٢٤ظ] يا أميرَ المؤمنين ؛ إنْ تكلَّمتُ خِفتُ منكَ ، وإنْ سكَتُّ خِفتُ عليكَ ، وإنَّ قولَ القائلِ : اتَّقِ اللَّهَ ، خيرٌ لكم مِن قولِه : إنَّكُم أهلُ بَيْتٍ مغْفُورٌ لكم . وكان عمرُ ابنُ الخطَّابِ يقولُ : إذا بلَغَنى عن عامِلٍ أنَّه ظالمٌ فلم أُغَيِّرْه ، فأنا الظَّالِمُ . يا أميرَ المُؤْمِنينَ ؛ وكان يُوسُفُ لا يشْبَعُ فى زمَنِ القَحْطِ حتى لا ينْسَى الجِيعانَ ، وكانَ عمرُ يضْرِبُ بطْنَه عامَ الرَّمادَةِ ويقولُ : قَرْقِرْ أولا تُقَرْقِرْ ، واللَّهِ لا سَمْنًا ولا سَمِينًا حتى يُخْصِبَ الناسُ . قالَ : فتصدَّق المُسْتَضِىءُ بمالٍ جزيلٍ ، وأطْلَق المَحابِيسَ ، وكسَى خلْقًا مِن الفُقَراءِ .

وُلِد ابنُ الجَوْزِىِّ فى حدودِ سنَةِ عَشْرٍ وَخمْسِمائَةٍ ، كما تقدَّم[6] ، وكانتْ

---

(١) مرآة الزمان ٢/٨/ ٤٩١.

(٢) الترمذى (٣٥٥٠) ، وابن ماجه (٤٢٦) . حسن لذاته (السلسلة الصحيحة ٧٥٧) .

(٣) مرآة الزمان ٢/٨/ ٤٩٠.

(٤) المصدر السابق ٢/٨/ ٤٩٠.

(٥) المصدر السابق ٢/٨/ ٤٩١.

(٦) تقدم فى ص ٧٠٧.

وَفاتُه فى ليْلةِ الجُمُعَةِ بينَ العِشَاءَيْن الثّانى عشَرَ مِن شهرِ رمضانَ مِن هذه السنةِ ، وله سَبْعٌ وثَمانُون سنةً ، وحُمِلتْ جِنازَتُه علَى رُءوسِ الناسِ ، فدُفِن ببَابِ حربٍ عندَ أبيه بالقُرْبِ مِن الإمامِ أحمدَ ، وكانَ يومًا مشْهُودًا ، حتى قيلَ : إنَّه أفْطَر جماعَةٌ مِن الناسِ بسببِ شدةِ الحَرِّ وكثْرَةِ الزِّحامِ ، رحِمه اللَّهُ ، وقد أوصَى أن تُكْتَبَ على قَبْرِه هذه الأبْياتُ[1] :

يا كثيرَ العَفْوِ عَمَّن كَثُر الذَّنْبُ لَدَيهِ
جاءَكَ المُذْنِبُ يَرْجُو الصَّفْحَ عن جُرْمِ يدَيْهِ
أنا ضَيْفٌ وجزاءُ الضَّيْفِ إحسانٌ إليهِ

وقد كان للشيخِ جمالِ الدينِ بنِ الجَوْزىِّ مِن الأوْلادِ الذُّكورِ ثلاثَةٌ : عبدُ العزيزِ ، وهو أكْبَرُ أولادِه ، ماتَ شابًّا فى حَياةِ والدِه فى سنَةِ أرْبعٍ وخَمْسِينَ ، ثمَّ أبو القاسِمِ علىٌّ ، وقد كانَ عاقًّا لوالدِه إلْبًا عليه فى زمنِ المِحْنَةِ وغيرِها ، وقد تسَلَّطَ على كتُبِه فى غَيْبَتِه بِوَاسِطِ ، فباعَها بأبْخَسِ الأثمانِ ، ثم مُحْيِى الدِّينِ يُوسُفُ ، وكان أنْجَبَ الأولادِ وأصْغَرَهم ؛ وُلِدَ سنَةَ ثَمانِينَ ، ووَعَظ بعدَ أبِيه ، واشْتَغَل وحرَّر وأتْقَن وسادَ أقْرانَه ، ثم باشَر حِسْبَةَ بَغْدَادَ ، ثم كان رسُولَ الخُلَفاءِ إلى المُلُوكِ بأطْرافِ البلادِ ، ولا سِيَّما إلى بَنى أيُّوبَ بالشَّامِ ، وقد حصَّل منهم مِن الأمْوالِ والكَرامَاتِ ما ابْتَنَى به المدْرَسَةَ الجَوْزِيَّةَ التى بالنَّشابِينَ بدِمَشْقَ ، ثم صار أسْتاذَ دارِ الخليفةِ المُسْتَعْصِمِ فى سنةِ أرْبَعِينَ وستِّمائةٍ ، واسْتَمرَّ مُباشِرَها إلى أنْ قُتِل مع الخليفةِ عامَ هولاكو بنِ تُولى بنِ جِنْكِزخانَ ، وكان لأبى الفَرَجِ عدَّةُ بنَاتٍ ؛ منْهُنَّ رابِعَةُ أمُّ سِبْطِه أبى المُظَفَّرِ بنِ قزاوغلىٍّ صاحبِ « مِرْآةِ الزَّمانِ » ، وهى كتابٌ

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٨٠.

مِن أجْمَعِ التَّواريخِ وأكْثرِها فائدةً ، وقد ذكَره ابنُ خَلِّكَانَ فى « الوَفياتِ » ، فأثْنَى عليه ومدَحه وشكَر تَصانِيفَه وعلُومَه .

العِمَادُ الكاتِبُ الأَصْبهانىُّ[1] **محمدُ بنُ محمدِ بنِ حامِدِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ علىِّ بنِ محمودِ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ أَلُهْ**[2] – بتَشْديدِ اللَّامِ وضمِّها – المعْروفُ بالعِمَادِ الكاتبِ الأصْبهانىِّ ، صاحِبُ المُصَنَّفاتِ والرَّسائلِ والشعرِ ، وُلِد بأصْبَهانَ فى سنةِ تِسْعَ عشْرَةَ وخَمْسِمائةٍ ، وقَدِم بَغْدَادَ ، فاشْتَغَل بها على الشيخِ أبى منْصُورٍ سعيدِ بنِ الرَّزَّازِ مُدرِّسِ النِّظامِيَّةِ ، وسمِع الحديثَ ، ثم رحَل إلى الشَّامِ ، فحظِىَ عندَ الملكِ نورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى ، وكتَب بيـنَ يدَيْه ووَلَّاه المدْرسةَ التى أنْشَأَها داخِلَ بابِ الفَرَجِ التى يقالُ لها العِمَادِيَّةُ ؛ نِسْبَةً إلى العمادِ هذا لكثرةِ إقامَتِه بها ، وتدْرِيسِه فيها ، ولم يكُنْ أوَّلَ مَن درَّس بها ، بل قد سبَقه إلى تدْريسِها غيرُ واحدٍ ، [٩/٣٢٥و] كما تقدَّمَ[3] فى ترْجَمَةِ نُورِ الدينِ .

ثم صار العِمَادُ كاتِبًا فى الدَّوْلَةِ الصَّلاحِيَّةِ ، وكان القاضى الفاضِلُ يُثْنِى عليه ويشْكُرُه ، قالُوا[3] : وكان منْطوقُه يعْتَرِيه جمودٌ وفَتْرَةٌ ، وقرِيحَتُه فى غايةِ الجوْدَةِ والحِدَّةِ . وقد قال القاضِى الفاضِلُ لأصْحابِه يومًا : قولُوا . فتَكلَّمُوا وشبَّهُوه فى هذه الصِّفَةِ بصِفاتٍ ، فلم يقْبَلْها القاضِى ، وقالَ[4] : هو كالزِّنادِ ، ظاهِرُه بارِدٌ

---

(١) الكامل ١٢/ ١٧١، ومعجم الأدباء ١٩/ ١١، ووفيات الأعيان ٥/ ١٤٧، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣١٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٧٨.

(٢) أله : بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء ، وهو اسم عجمى معناه بالعربى العقاب وهو الطائر المعروف . وفيات الأعيان ٥/ ١٥٢.

(٣) تاريخ ابن الساعى ٩/ ٦٤.

(٤) المصدر السابق .

وداخِلُه نارٌ. وله مِن المُصَنَّفاتِ: «خريدةُ القصرِ فى شُعراءِ العَصْرِ»، و«الفَتْحُ القُدْسِيُّ»، و«البَرْقُ الشَّامِيُّ»، وغيرُ ذلك مِن المُصَنَّفاتِ المُسْجَعَةِ، والعِباراتِ المُصَرَّعةِ، والقَصائدِ المُطَوَّلَةِ، والمعانى والألفاظِ المُؤَثَّلَةِ.

ومِن لطيفِ تغزُّلِه قولُه هذه الأبيات[1] :-

كيف قُلْتُم فى مُقْلَتَيه فُتورُ ... وأُرَاهـا بـلا فـتـورٍ تجـورُ

لو بصُرتم بطَرْفِه كيف يَسْبِى ... قُلْتُمُ ذاكَ كاسِرٌ لا كسيرُ

مُوتِرٌ قوسَ حاجبَيه لإِصْمَا ... ءِ[2] فـؤادى كـأنَّـه مـوتـورُ

لا تَسَلْنى عن العَقَارِ فَعَقْلى ... طافحٌ مِن عقارِهنَّ عقيرُ

كيف يَصْحُو مِن سُكرِه مستهامُ ... مَزَجَتْ كأسَه الحسانُ الحورُ

أورَثَتْه سقامَها الحُدَقُ النجـ ... ـلُ وأهدَتْ له النحولَ الخصورُ

ما تصيدُ الأُسْدُ الخوادِرُ إلَّا ... ظبيـاتٍ كنـاسُـهنَّ الخدورُ

كلُّ غُصْنيَّةِ الموشَّحِ هيفا ... ءُ على البدرِ جيبُها مزرورُ

وجناتٌ تَجنِى الشقائقَ منها ... وثَـنـايـا كـأنَّـهـا المنـثـورُ

وقد كانت وفاتُه فى مُسْتَهَلِّ رَمضانَ مِن هذه السَّنَةِ عن ثَمانٍ وسَبْعِينَ سنَةً، رحِمه اللَّهُ، ودُفِن بمَقابرِ الصُّوفِيَّةِ.

الأميرُ بَهاءُ الدِّينِ قَراقُوشُ[3]، الفَحْلُ الخَصِيُّ، أحدُ كبراءِ[4] أمراءِ الدولةِ الصَّلاحِيَّةِ، كانَ شَهْمًا شُجاعًا فاتِكًا، تسلَّمَ القَصْرَ لمَّا ماتَ العاضِدُ، وعمَّرَ سُورَ

---

(١) تاريخ ابن الساعى ٩/ ٦٢.

(٢) أَصْمى الصيدَ: رماه فقتله مكانه. القاموس المحيط (ص م ى).

(٣) الروضتين ٢/ ٢٤٤، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٥٠٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣١٢، والعبر ٤/ ٢٩٨، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٧٦.

(٤) فى م: «كبار كتاب».

القاهرةِ مُحِيطًا على مِصْرَ أيضًا ، وانْتَهى به إلى المَقْسَمِ ؛ وهو المكانُ الذى اقْتَسمتْ فيه الصَّحابَةُ ما غَنِمُوا مِن الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ ، وبنى قَلْعَةَ الجبَلِ ، وقد كان الملكُ صلاحُ الدِّينِ سلَّمه عَكًّا ليعَمِّرَ فيها أماكِنَ كثيرةً ، فوقَع الحِصَارُ وهو بها ، فلمَّا خرَج البدَلُ منها كان هو مِن جملَةِ مَنْ خرَجَ ، ثم[1] دخَلَها ابنُ المَشْطوبِ . وقد ذُكِرَ أنَّه أُسِرَ فافْتَدَى نفْسَه بعَشَرَةِ آلافِ دِينارٍ ، وعاد فى حياةِ الملكِ صلاحِ الدِّينِ ، ففَرِح به فرَحًا شديدًا ، ولمَّا تُوفِّى فى هذه السَّنَةِ احْتَاطَ الملكُ العادلُ على تَرِكَتِه ، وصارَت أقْطاعُه وأمْلاكُه للمَلِكِ الكامِلِ محمدِ بنِ العادِلِ . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[2] : وقد نُسِبَ إليه أحْكامٌ عجِيبَةٌ ، حتَّى صنَّفَ بعْضُهم جُزْءًا لطِيفًا سمَّاه : كِتابَ « الفَاشُوشِ فى أحْكامِ قَراقُوشَ » ، فذَكَر أشْياءَ كثيرةً جدًّا ، وأظُنُّها مَوْضوعَةً عليه ؛ فإنَّ الملكَ صلاحَ الدينِ كان يعْتَمِدُ عليه ، [3]وما كان ليفعلَ ذلك وهو[3] بهذِه المثابَةِ ! واللَّهُ أعلمُ .

مكْلَبَةُ بنُ عبدِ اللهِ المُسْتَنْجِدِىُّ[4] ، كانَ تُرْكيًا عابِدًا زاهِدًا ، سمِع المُؤَذِّنَ وقْتَ السَّحَرِ وهو ينْشِدُ على المَنارَةِ :

يا رِجَالَ الليلِ جِدُّوا ... رُبَّ صوْتٍ لا يُرَدُّ
ما يقُومُ الليلَ إلَّا ... مَن له عَزْمٌ وجِدُّ

فبَكَى مكْلَبَةُ ، وقالَ للمُؤذِّنِ : يامُؤَذِّنُ زِدْنى . فقالَ المؤذِّنُ :

قد مَضَى الليلُ ووَلَّى ... وحَبِيبى قد تجلَّى[5]

(١) فى الأصل : « حتى » ، وفى ص : « حين » .
(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٩٢.
(٣ - ٣) فى م : « فكيف يعتمد على من » .
(٤) ذيل الروضتين ص ٢٨، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٥٠٨.
(٥) فى م : « تخلا » .

فصرخ مكْلَبةُ صرخةً كان فيها حتْفُه ، فأصْبحَ أهلُ البَلدِ قدِ اجْتَمُعوا على بابِه ، فالسَّعيدُ مَنْ وصَل إلى نعْشِه ، رحِمهُ اللَّهُ تعالَى .

[٩/٣٢٥ظ] **أبو مَنْصُورِ بنُ أبى بَكْرِ بنِ شُجاعٍ ، المُزَكْلِشُ**(١) ببَغْدَادَ ، ويُعْرَفُ بابنِ نُقْطَةَ ، كان يدورُ فى أسْواقِ بَغْدادَ بالنَّهارِ ينْشِدُ كانَ وكانَ والمَوالِيَا ، ويُسَحِّرُ الناسَ فى ليالى رمَضانَ ، وكان مطْبُوعًا ظريفًا خَلِيعًا ، وكان أخُوه الشيخُ عبدُ الغَنِيِّ الزاهدُ من أكابرِ الصَّالحين ، له زاوِيَةٌ ببَغْدادَ يُزارُ فيها ، وكانَ له أتْباعٌ ومُرِيدُون ، ولا يدَّخِرُ شيئًا يحْصُلُ له مِنَ الفُتوحِ . تصدَّقَ فى ليلةٍ بأَلْفِ دِينارٍ وأصْحابُه صُيَّامٌ لم يدَّخِرْ منها شيئًا لعَشائِهم . وزوَّجَتْه أمُّ الخليفةِ بجارِيَةٍ مِن خَواصِّها وجهَّزَتْها بعَشَرَةِ آلافِ دِينارٍ إليه ، فما حالَ الحَوْلُ وعندَهم مِن ذلكَ شيءٌ ، بل جميعُ ذلك يُؤْثِرُ به ويتَصدَّقُ به حتى لم يبقَ عندَهم سِوَى هَاوُنٍ ، فوقَفَ سائلٌ ببَابِه فألَحَّ فى الطَّلبِ ، فأخْرَج إليه الهاوُنَ ، فقال : خُذْ هذَا وكُلْ به ثَلاثِين يومًا ، ولا تُشَنِّعْ على اللَّهِ عزَّ وجلَّ . وكان مِن خيارِ الصَّالحِين .

والمقْصودُ أنَّه قيل لأخِيه أبى مَنْصُورٍ هذا : وَيْحَكَ ، أنتَ تدُورُ فى الأسْواقِ وتُنْشِدُ الأشْعارَ ، وأخُوكَ مَنْ قد عَرَفْتَ ! فأنْشَأَ يقولُ فى جوابِ ذلك بيْتَيْنِ مَوالِيَا مِن شعْرِه على البدِيهَةِ :

قد خابَ مَنْ شبَّه الجزْعَهْ(٢) إلى الدُّرَّهْ   وشابه قَحْبَهْ إلى مُسْتَجِنهْ(٣) حُرَّهْ

---

(١) فى الأصل : « المزكلس » ، وفى ص : « المزكش » ، وفى م : « المركلس » . وانظر ترجمته فى : ذيل الروضتين ص ٢٨، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٥٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٢٨.

(٢) الجزْعَةُ : واحدة الجَزْع والجِزْع : وهو ضرب من الخرز ، وقيل : هو الخرز اليمانى ، وهو الذى فيه بياض وسواد تشبَّه به الأعين . لسان العرب (ج ز ع) .

(٣) فى الأصل ، ص : « مستحسنة » ، وفى م : « مستحيية » ، والمثبت من مصادر الترجمة . ومستجنة أى مستترة صيِّنة .

أنا مُغَنِّى وأخِى زاهِدْ إلى مرَّهْ   فى (١الدارِ بئرين ١) ذِى حُلْوهْ وذِى مُرَّهْ

وقد جرَى عندَه مرَّةً ذِكْرُ قَتْلِ عُثْمانَ ، وعلىٌّ حاضِرٌ ، فأنْشَأَ يقولُ : كانَ وكانَ ، ومَنْ قُتِلَ فى جوارِه مثْلُ ابنِ عَفَّانَ فاعْتذَر ، يجِبُ عليه أنْ يقْبَلَ فى الشَّامِ عُذْرَ يزيدَ . فأرادَتِ الرَّوافِضُ قتْلَه ، فاتَّفَق أنَّه فى بَعْضِ اللَّيالى يُسَحِّرُ الناسَ فى رمَضانَ إذْ مرَّ بدارِ الخليفةِ فعَطَس الخليفةُ فى الطَّارِقَةِ[٢] فشَمَّتَه أبو مَنْصُورٍ هذا مِن الطَّريقِ فى نظْمٍ ارتجَلَه على البديهةِ مواليًا يقولُ فى آخرِه : أى مَن عطَس فى المنظرهْ يرحَمُكَ اللَّهْ . فأرْسَل إليه مِائَةَ دِينارٍ ، ورسَمَ بحِمايَتِه مِن الرَّوافِضِ ، إلى أنْ ماتَ فى هذه السَّنَةِ ، رحِمه اللَّهُ .

وفيها تُوفِّى : مُسْنِدُ الشَّامِ ، أبو طاهِرٍ برَكاتُ بنُ إبراهيمَ بنِ طاهِرٍ الخُشُوعِىُّ[٣] ، شارَك ابنَ عساكِرَ فى كثيرٍ من مَشْيَخَتِه ، وطالَتْ حياتُه بعدَ وَفاتِه بسَبْعٍ وعِشْرين سنَةً ، فأَلحقَ فيها الأَحْفادَ بالأَجْدادِ .

(١ - ١) فى الأصل : « الدر بئرين » ، وفى ص : « الدارين » ، وفى م : « الدريرى » . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٢) فى الأصل ، ص : « الطارمة » ، والطارقة : عشيرة الرجل . القاموس (ط ر ق) .

(٣) ذيل الروضتين ص ٢٨. وسير أعلام النبلاء ٣٥٥/٢١ .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وتِسعِين وخَمْسِمائةٍ

فيها[1] شرَعَ الشيخُ أبو عمرَ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ قُدامَةَ المقدِسىُّ[2] فى بناءِ المسْجدِ الجامعِ بالجبلِ، فأنْفَقَ عليه رجلٌ يقالُ له: الشيخُ أبو داودَ محاسِنُ الفامىُّ. حتى بلَغَ البِناءُ مِقْدارَ قامَةٍ، فنَفِدَ ما عندَه، وما كانَ معه مِن المالِ، فأرْسَلَ الملكُ المُظَفَّرُ كُوكُبُورِى بنُ زيْنِ الدِّينِ صاحِبُ إرْبِلَ مالًا جزيلًا ليُتمِّمَه به فكَمَل، وأرْسَلَ ألْفَ دِينارٍ ليُساقَ بها إليه الماءُ مِن بَرْزَةَ[3]، فلم يُمَكِّنْ مِن ذلك الملكُ المعَظَّمُ صاحِبُ دِمَشْقَ، واعْتذَرَ بأنَّ هذا يُشوِّشُ[4] قبورًا كثيرةً للمُسْلِمين، فصُنِعَ له بئرٌ وبغْلٌ يدُورُ، وأُوقِفَ عليه وقْفٌ لذلك.

وفيها كانت حروبٌ كثيرةٌ وخطُوبٌ طويلةٌ بين الخُوارَزْمِيَّةِ والغُورِيَّةِ ببلادِ المشْرِقِ، بسَطَها ابنُ الأثيرِ[5]، واخْتَصَرها ابنُ كثيرٍ.

وفيها درَّسَ بالنِّظامِيَّةِ مجدُ الدِّينِ يَحْيىَ بنُ الرَّبيعِ، وخُلِعَ عليه خِلْعةٌ سَنِيَّةٌ سوْداءُ وطَرْحةٌ كُحْليَّةٌ، وحضَر عندَه العُلَماءُ والأعْيانُ. وفيها ولِى قضاءَ القُضاةِ ببَغْدَادَ أبو الحسَنِ علىُّ بنُ سُلَيْمانَ الجِيلِىُّ، وخُلِعَ عليه أيضًا.

---

(١) الكامل ١٢/ ١٧٣، وذيل الروضتين ص ٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩٠ - ٦٠٠هـ) ص ٤٥.

(٢) فى م: «بانى المدرسة بسفح قايسون».

(٣) فى م: «بردى».

(٤) فى الأصل، م: «فرش».

(٥) الكامل ١٢/ ١٧٣.

ومِمَّن تُوفِّي فيها مِنَ الأعْيانِ :

القاضِي ابنُ الزَّكِيِّ ، محمدُ بنُ عليِّ بنِ محمدِ بنِ يَحْيَى بنِ عليِّ بنِ عبدِ العزيزِ ، أبو المَعالِي[1] القُرَشِيُّ ، مُحْيِي الدِّينِ قاضِي القُضاةِ بدمشقَ ، وكلٌّ منهم كانَ قاضِيًا ؛ [٩/٣٢٦و] أبُوه وجَدُّه وأبو جَدِّه يَحْيَى بنُ عليٍّ المذكورُ ، وهو أوَّلُ مَن وَلِي الحُكمَ بدِمَشْقَ منهم ، وكانَ جَدَّ الحافظِ أبي القاسِمِ بنِ عسَاكِرَ لأُمِّه ، وقد ترْجَمه ابنُ عساكِرَ في التَّاريخِ ، ولم يَزِدْ على القُرَشِيِّ[2] قال الشيخُ أبو شامَةَ[3] : ولو كانَ أُمَوِيًّا عُثْمانِيًّا كما يزعُمونَ لذَكَرَ ذلك ابنُ عسَاكِرَ ؛ إذْ كانَ فيه شرَفٌ لجَدِّه وخالَيْه ؛ محمدٍ وسُلْطانَ ، فلو كانَ ذلك صحيحًا لمَا خَفِيَ على ابنِ عسَاكِرَ .

اشْتَغَل ابنُ الزكيِّ على القاضِي شرَفِ الدِّينِ أبي سعْدٍ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ أبي عَصْرُونَ ، ونابَ عنه في الحُكْمِ ، وهو أوَّلُ مَنْ ترَكَ النِّيابةَ ، وهو أوَّلُ مَنْ خطَبَ بالقدسِ لمَّا فتَحه الملكُ صلاحُ الدينِ ، كما تقدَّم بيانُ ذلك في سنةِ ثلاثٍ وثمانين[4] ، ثم ولَّاه قَضاءَ دِمَشْقَ وأضافَ إليه قَضاءَ حَلَبَ أيضًا ، وكانَ ناظِرَ أوْقافِ الجامعِ ، ثم عُزِلَ قبلَ وَفاتِه بشُهورٍ ، ووَلِيَها شمسُ الدِّينِ بنُ البَيْنِيِّ[5] ضمانًا ، وقد كانَ القاضي محيِي الدينِ بنُ الزكيِّ ينْهَى الطَّلبةَ عن الاشْتِغالِ

---

(١) ذيل الروضتين ص ٣١، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٢٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٦٧، وطبقات الشافعية للسبكي ٦/ ١٥٧.

(٢) تاريخ دمشق ١٨/ ١٦٩ (مخطوط).

(٣) ذيل الروضيتن ص ٣١.

(٤) تقدم في ص ٥٩١.

(٥) في الأصل: «ليثي»، وفي م: «الليثي»، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٦٨.

بالمَنْطِقِ وعلْمِ الكَلامِ ، ويُمَزِّقُ كتُبَ مَنْ كان عندَه شيءٌ مِن ذلك بالمدْرسَةِ التَّقَوِيَّةِ[1] ، وكانَ يحْفَظُ العَقِيدةَ المُسَمَّاةَ بالمِصْباحِ للغَزَّاليِّ ، ويُحَفِّظُها أوْلادَه أيضًا ، وكانَ له درْسٌ فى التَّفسيرِ يذْكُره بالكَلّاسَةِ ، تُجاه تُرْبَةِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدِّينِ ، وكان قد وَقَع بيْنَه وبينَ الإسْماعِيليَّةِ ، فأرادُوا قتْلَه ، فاتَّخذ له بابًا مِن دارِه إلى الجامعِ ؛ ليَخْرُجَ منه إلى الصَّلاةِ ، ثم خُولِطَ فى عقْلِه ، فكانَ يعْتريه شِبْهُ الصَّرْعِ إلى أنْ تُوفِّىَ فى سابعِ شَعْبانَ مِن هذِه السَّنَةِ ، ودُفِنَ فى تربةٍ بسَفْحِ قاسِيُونَ .

الخَطِيبُ الدَّوْلَعِيُّ ، ضِياءُ الدِّينِ أبو القاسِمِ عبدُ الملكِ بنُ زيدِ بنِ ياسِينَ التَغْلِبِيُّ[2] الدَّوْلَعِيُّ ، نسْبَةً إلى قرْيَةٍ بالمَوْصِلِ ، يقالُ لها : الدَّوْلَعِيَّةُ . وُلِدَ بها فى سنَةِ ثَمانى عشْرَةَ وخَمْسِمائَةٍ ، وتفقَّه ببَغْدَادَ على مذْهبِ الشَّافعيِّ ، وسمِعَ الحديثَ ، فسَمِعَ « التِّرْمذِىَّ » على أبى الفَتْحِ الكَرُوخِيِّ ، و « النَّسائىَّ » على أبى الحسَنِ علىِّ بنِ أحمدَ اليزْدىِّ[3] ، ثم قَدِم دِمَشْقَ فوَلِىَ بها الخطابَةَ وتدْريسَ الغَزّاليَّةِ ، وكانَ زاهِدًا مُتورِّعًا حسَنَ الطَّريقَةِ مَهِيبًا فى الحقِّ .

وكانت وفاتُه يومَ الثُّلاثاءِ ثانى[4] عشَرَ رَبِيعِ الأوَّلِ ، ودُفِنَ بمقْبَرَةِ بابِ الصَّغيرِ عندَ قُبورِ الشُّهداءِ ، وكانَ يومُ جِنازتِه يومًا مشْهودًا ، وتوَلَّى بعدَه الخطابةَ ولَدُ أخِيه محمدُ بنُ أبى الفَضْلِ بنِ زيدٍ سبْعًا وثلاثِينَ سنَةً . وقد كانَ ابنُ الزكيِّ وَلَّى ولَدَه

---

(١) فى م : « النورية » .

(٢) فى الأصل ، م : « الثعلبى » . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/٢/ ٥١١، وذيل الروضتين ص ٣١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٥٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٨٧.

(٣) فى م : « البردّى » .

(٤) فى الأصل، م : « تاسع »، وفى ص : « من » . والمثبت من مصادر الترجمة .

الزكىَّ الطّاهرَ ، فصلَّى صلاةً واحِدَةً ، فتَشفَّعَ جمالُ الدِّينِ بالأميرِ (١ فَلَكِ الدِّينِ ١) أخِى العادِلِ ، فوَلَّاه إيَّاها فبَقِىَ فيها إلى أنْ تُوفِّىَ سنة خَمْسٍ وثَلاثِينَ وسِتِّمائةٍ .

الشيخُ علىُّ بنُ محمدِ[٢] **بنِ غُلَيْسٍ**[٣] ، اليَمَنِىُّ العابدُ الزاهِدُ ، كان مُقيمًا شرْقِىَّ الكَلّاسةِ ، وكانتْ له أحْوالٌ وكَراماتٌ ، نقَلَها الشيخُ علمُ الدِّينِ السَّخاوِىُّ عنه ، وساقَها أبو شامَةَ عنه فى « الذيلِ »[٤] .

الصَّدْرُ أبو الثَّناءِ حَمَّادُ بنُ هِبَةِ اللَّهِ بنِ حمَّادٍ الحرَّانِىُّ التاجِرُ[٥] ، وُلِدَ سنَةَ إحْدَى عشْرَةَ ، عامَ وُلِد نُورُ الدِّينِ بنُ زَنكى ، وسمِعَ الحديثَ ببَغْدَادَ ومِصْرَ وغيرِهما مِن البلادِ وحدَّث ، وتُوفِّى فى ذِى الحجَّةِ .

ومِن شعْرِه قولُه[٦] :

تنَقُّلُ المرْءِ فى الآفاقِ يُكْسِبُهُ ... مَحاسِنًا لم تكُنْ فيه ببَلْدَتِهِ

أمَا ترَى بَيْذَقَ الشِّطْرَنْجِ أكْسَبَهُ ... حُسْنُ التَّنقُّلِ فيها فوقَ رُتْبَتِهِ

السِّتُّ الجلِيلَةُ المَصُونَةُ بنفشا[٧] **بنتُ عبدِ اللَّهِ** ، [٩/٣٢٦ظ] عَتيقَةُ الإمامِ

(١ - ١) فى م ، وذيل الروضتين ص ٣١: « علم الدين » . وانظر الكامل ١٢/ ٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٠٧.

(٢) فى م : « على » . وانظر ترجمته فى : التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٣٦٢، وذيل الروضتين ص ٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٦١، والوافى بالوفيات ٢٢/ ١١١.

(٣) فى م : « عليش » . وانظر مصادر ترجمته السابقة .

(٤) ذيل الروضتين ص ٣٠.

(٥) التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٣٧٢، وذيل الروضتين ص ٢٩، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٥١١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٤٦، والوافى بالوفيات ١٣/ ١٥٤.

(٦) مرآة الزمان ٨/٢/ ٥١١، وذيل الروضتين ص ٣٠، والوافى بالوفيات ١٣/ ١٥٤.

(٧) فى الأصل : « بنفيسا » ، وفى م : « ينفشا » . وانظر ترجمتها فى : التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٣٤٣،=

المُسْتَضِيءِ ، كانتْ مِن أكْبرِ حظَايَاه ، ثم صارَتْ مِن بعدِه مِن أكْثَرِ النساءِ صدَقةً وبِرًّا ، وإحْسانًا إلى العُلَماءِ والفُقَراءِ ، لها بطريقِ الحجازِ معروفٌ كثيرٌ معروفٌ ، ووقَفتْ مدرسةً على الحنابلةِ وأوقافًا دارَّةً ، ودُفِنَت ببَغْدادَ عندَ تُرْبَةِ معْروفٍ الكَرْخِيِّ .

ابنُ المحْتَسِبِ الشَّاعِرُ ، أبو الشكرِ محمودُ بنُ سُلَيْمانَ بنِ سعيدٍ المَوْصِلِيُّ[1] ، يعرَفُ بابْنِ المحْتَسِبِ ، تفَقَّه بَغْدادَ ، ثم سافَرَ إلى البلادِ ، وصحِبَ ابنَ الشَّهْرَزُورِيِّ وقدمَ معه ، فلمَّا وُلِّىَ قَضاءَ بَغْدادَ وَلَّاه نظَرَ أوقافِ النِّظامِيَّةِ ، وكانَ فاضلًا يقولُ الشعرَ الرائقَ ، فمن ذلك[2] :

أسْلِفْ لنا فى سُلافةِ[3] العِنَبِ   جميعَ ما يُقْتَنى من الذهبِ
وانْشَبْ مع النفسِ فى معاملةٍ   فيها بما عندَنا من النَّشَبِ[4]
جميعُ ما فى الهِمْيانِ يَحْقِرُه الْـ   ـعاقلُ فى لَثْمِ رِيقِها الشَّنِبِ[5]
لا سيَّما إن أتتْك كالذَّهبِ   قد قلَّدوها عِقْدًا من الحبَبِ
تُحْرَقُ كَفُّ المديـــــرِ إنْ وقَفَ الدَّوْرُ   بها ساعةً مِن اللَّهَبِ
إذا بدا هَمُّـــنا لِيَسْـــترقَ السَّمْـــعَ   برفقٍ للَّهْوِ واللَّعِبِ

= ومرآة الزمان ٨/٢/ ٥١٠، وذيل الروضتين ص ٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٤٢، والوافى بالوفيات ١٠/ ٢٩٣.

(١) التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٣٨١، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٧٢.

(٢) تاريخ ابن الساعى ٩/ ٩١.

(٣) السلافة من كل شىء: خالصه. اللسان (س ل ف).

(٤) النشب: المال الأصيل من الناطق والصامت. اللسان (ن ش ب).

(٥) الهميان: الذى يُجعل فيه النفقة ويشدّ على الوسط، والشَّنب: البارد.

تُتْبِـــعُهُ من سمـــاءِ راوُوقِـــها الـــــرَّائـقِ رجـمًـا بـالأَنْجُـمِ الـشُّـهُـبِ

ما قطُّ تبَّتْ يَدٌ لشاربِها وحقٌّ تبَّتْ يدا أبى لَهَبِ

أَمُرُّ بالكَرْمِ خلْفَ حائطِهِ تَأْخُذُنى نَشْوةٌ من الطَّرَبِ

أَسْكَرُ بالأمـــسِ إنْ عزَمْـتُ على الشُّرْبِ غدًا إنَّ ذا مِن العجَبِ

جَنَّبَها سُكْرَها وصُحْبَتَها تحريمُ شرعٍ لسيِّدِ العربِ

تركتُها جانبًا ولُذْتُ إلى ظِلِّ إمامٍ مُنْجٍ مِن النُّوَبِ

الطاهرِ الطُّهْرِ وابنِ خَيْرِ فتًى وطاهرِ الخُلْقِ طاهرِ النَّسَبِ

ماذا يقول المدّاحُ فى رجلٍ خليفةُ اللَّهِ وابنُ عمِّ نَبِى

ومِن شعرِه الرائقِ له أيضًا[1]:

أهابُ وصفَ الخمرِ فى إهابِها يا حبَّذا ما كان من مُهابِها

حبَا بها الساقِى وقد أقْعَدَهُ سُكْرٌ فزاد السُّكْرُ إذ حبَا بها

خَطَا بَها وثيقةً شرعيَّةً على الذى يُفلِسُ مِن خُطَّا بِها

دعا بها فى صدرِ كَلِّ باخلٍ وخَلِّيا مِن كلِّ مَنْ دعا بها

فتَا بها قلبَ الحَسُودِ واشْكُرا كلَّ فَتًى فى الناسِ قد فتا بها

اعْنَ بها يا أيُّها المُغْرَى بها وأَسْلِفِ النُّضَارَ[2] فى أعنابِها

ثَوَى بها كلُّ السرورِ عندَنا وإثمُها أكبرُ مِن ثوابِها

---

(١) الأبيات فى تاريخ ابن الساعى ٩/ ٩١، ٩٢.

(٢) النضار: الخالص من جوهر التِّبْر والخشب. اللسان (ن ض ر).

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة[1]

قال سِبْطُ ابنِ الجَوْزِيِّ فى « المِرْآةِ »[2] : فى ليْلةِ السَّبْتِ سَلْخِ المُحَرَّمِ هاجَتِ النُّجومُ فى السَّماءِ وماجَتْ شَرْقًا وغرْبًا ، وتَطايرَتْ كالجَرادِ المُنْتَشِرِ يمينًا وشِمالًا ، قال : ولم يُرَ مثْلُ هذا إلَّا فى عامِ المَبْعَثِ[3] وفى سنَةِ إحدى وأربعِين ومائتين .

وفى هذه السنةِ شُرِعَ فى عِمَارةِ سُورِ قَلْعةِ دِمشقَ ، وابْتُدِئَ ببُرجِ الزاويةِ الغرْبيَّةِ القِبْليَّةِ المُجاوِرِ لبابِ النَّصْرِ .

وفيها أرسَل الخليفةُ النَّاصِرُ الخِلَعَ وسَراوِيلاتِ الفُتُوَّةِ للمَلِكِ العادِلِ وبَنِيه . وفيها بعَث السلْطانُ ولدَه الأَشْرَفَ مُوسى لمُحاصَرةِ مارِدِينَ ، وساعَده جيْشُ سِنْجارَ والمَوْصلِ ، ثم وقَع الصُّلْحُ على يَدَيِ الظَّاهِرِ ، على أنْ يحْمِلَ صاحِبُ مارِدِينَ للعَادلِ فى كلِّ سنةٍ مِائةَ ألْفٍ وخمسين ألفَ دِينارٍ ، وأنْ تكونَ السِّكَّةُ والخُطْبَةُ للعادِلِ ، وأنَّه متى طَلَبه بجَيْشِه يحْضُرُ إليه .

وفيها كَمَل بنَاءُ رِباطِ المَرْزُبَانيَّةِ[4] ، ووليَه الشيخُ شِهَابُ الدِّينِ عمرُ بنُ محمدٍ السُّهْرَوَرْدِيُّ[5] ، ومعه جَماعَةٌ مِن الصُّوفيَّةِ ، ورُتِّبَ لهم مِن المَعْلومِ والجِرايَةِ ما

---

(١) الكامل ١٢/١٧٩، وذيل الروضتين ص ٣٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٨.

(٢) مرآة الزمان ١/٢/٥١٣.

(٣) أى : عام مبعث النبى ﷺ .

(٤) فى ص : « الزبانية » ، وفى م : « المورىانية » . وانظر ذيل الروضتين ص ٣٢.

(٥) فى الأصل ، م : « الشهرزورى » . وانظر المصدر السابق ص ٣٣.

ينْبغِى لِمِثْلِهم من إقامتِهم بالدِّيارِ المصريةِ .

وفيها احْتَجَر الملِكُ العادِلُ علَى محمدِ بنِ الملكِ العزيزِ وإخْوَتِه ، وسيَّرَهم إلى الرُّهَا خوْفًا مِن إقامتِهم بمصرَ . وفيها استحوَذتِ الكُرْجُ على مدينةِ دَوِينَ ، فقتَلُوا أهْلَها ونهَبُوها ، وهى مِن بلادِ أَذْرَبِيجَانَ ، وذلك لاشْتِغالِ مَلِكِها بالفِسْقِ وشُرْبِ الخمرِ ، قبَّحَه اللَّهُ ، فتمكَّنتِ الكفَرَةُ من رِقابِ المُسلِمين بسببِه ، وذلك كلُّه غُلٌّ فى عُنُقِه يومَ القِيامَةِ .

وفيها تُوفِّى **المَلِكُ غِيَاثُ الدِّينِ الغُورِىُّ ، أخوشِهَابِ الدِّينِ**[1] ، فقام فى المُلْكِ بعدَه ولدُه محمودٌ ، وتلقَّب بلقَبِ أبيهِ ، وكان غِيَاثُ الدِّينِ عاقلًا حازِمًا شُجَاعًا ، لم تُكْسَرْ له رايةٌ قَطُّ مع كثرةِ[2] حُروبِه ، وكان شافِعِىَّ المذْهَبِ ، قد ابتنَى مدْرسةً هائِلةً للشَّافعيَّةِ ، وكانت سِيرَتُه فى غايَةِ الجوْدَةِ ، وكذا سَرِيرتُه ، رحِمه اللَّهُ .

وممّن تُوفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ :

الأمِيرُ [3]الكبيرُ فَلَكُ الدينِ[3] ، أبو مَنْصُورٍ سُلَيْمانُ بنُ شَرْوَةَ[4] بنِ خلدكَ[5] أخُو الملكِ العادِلِ لأُمِّه[6] ، وكانت وفاتُه فى التاسعِ والعشرين مِن المُحَرَّمِ ، ودُفِن

---

(١) الكامل ١٢/ ١٨٠، والتكملة لوفيات النقلة ٢/ ٤٣٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٠٤، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ١٢١، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٨٤.

(٢) فى الأصل ، ص : « قلة » .

(٣ - ٣) فى م : « علم الدين » . وانظر ترجمته فى : الكامل ١٢/ ٨٢، وذيل الروضتين ص ٣٣، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٠٧، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ١١٩، والدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٤٣١.

(٤) فى م : « شيرده » . وانظر : الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٤٣٢.

(٥) فى الأصل : « خارك » وفى ص : « جندل » ، وفى م : « جندر » . والمثبت من الدارس ، الموضع السابق .

(٦) فى م : « لأبيه » .

بدارِه التى جعَلها مدْرَسةً داخلَ بابِ الفَرادِيسِ فى مَحلَّةِ الأفتريسِ[1] ، وأوقَف عليها الجُمانَ[2] بكَمالِها ، تقبَّلَ اللَّهُ منه .

القاضِى ضِياءُ الدِّينِ الشَّهْرَزُورِىُّ[3] ، أبو الفَضَائلِ ، القاسِمُ بنُ يحيَى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ القاسِمِ الشَّهْرَزُورِىُّ المَوْصِلِىُّ ، قاضِى القُضاةِ ببغدادَ ، وهو ابنُ أخِى قاضِى القُضَاةِ بدمشقَ كَمالِ الدِّينِ الشَّهْرَزُورِىِّ أيامَ نُورِ الدِّينِ ، ولمَّا تُوفِّى سنةَ سِتٍّ وسبعين فى أيامِ الدولةِ الصلاحيَّةِ أوْصى لوَلَدِ أخيه هذا بالقَضاءِ فوَلِيَه ، ثم عُزِل عنه بابْنِ أبى عَصْرُونَ ، وعُوِّض بالسِّفارَةِ إلى المُلوكِ ، ثم توَلَّى قضاءَ بلْدَةِ المَوْصِلِ ، ثم اسْتُدعِى إلى بغدادَ فوَلِيَها سنتيْن وأرْبعَةَ أشْهُرٍ ، ثم استقالَه فلم يُقِلْه الخليفةُ لحُظْوتِه عندَه ، فاستَشفَع بزوْجَتِه سِتِّ المُلوكِ علَى أمِّ الخليفةِ ، وكانت لها مَكانَةٌ عندَها ، فأُجِيبَ إلى ذلك ، فصارَ إلى قَضاءِ حَمَاةَ لمحَبَّتِه إيَّاها ، وكان يُعابُ عليه ذلك ، وكانت لدَيْه فَضائِلُ ، وله أشْعَارٌ رائِقَةٌ ، وكانت وفاتُه بحَمَاةَ فى المنتَصفِ مِن رجَبٍ ، رحِمه اللَّهُ .

عُبَيدُ[4] اللَّهِ بنُ علىِّ بنِ نَصْرِ بنِ حَمْزَةَ ، أبو بَكْرٍ البَغْدَادِىُّ المَعْروفُ بابنِ المَرَسْتانِيَّةِ ، أحدُ الفُضَلاءِ المَشْهُورِين ، سمِع الحديثَ وجمَعَه ، وكانَ طبيبًا مُنَجِّمًا يعْرِفُ علُومَ الأوائلِ وأيامَ الناسِ ، وصَنَّفَ دِيوانَ الإسْلامِ فى تاريخِ دارِ السَّلامِ ،

---

(١) فى م : « لافتراس » .

(٢) جُمَان : جُمَان الصُّوَى من أرض اليمن .

(٣) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٣٤٣، وذيل الروضتين ص ٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٠٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٧٢، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٨٣.

(٤) فى م ، ص : « عبد » . وانظر ترجمته فى : ذيل الروضتين ص ٣٤، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٩٤، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١١٢، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٤٤٢.

ورتَّبه على ثَلاثِمِائةٍ وسِتِّين كِتابًا إلَّا أنَّه لم يُشْتَهَرْ ، وجمَع سِيرَةَ ابنِ هُبَيْرَةَ . وقد كان يزْعُمُ أنَّه مِن سُلالَةِ الصِّدِّيقِ ، فتَكَلَّمُوا فيه بسببِ ذلك . وأنْشَد بعْضُهم[1] :

دَعِ الأنْسَابَ لا تعرِضْ لِتَيْمٍ ... فإنَّ الهُجْنَ مِن وَلَدِ الصَّمِيمِ

لقد أصْبَحْتَ مِن تَيْمٍ دَعِيًّا ... كدَعْوَى حَيْصَ بَيْصَ إلى تَميمِ

ابنُ النَّجا الواعِظُ ، عليُّ بنُ إبْراهيمَ بنِ نَجا ، زَيْنُ الدِّينِ أبو الحسَنِ الدِّمَشْقِيُّ[2] ، الواعِظُ الحنْبَلِيُّ ، [3]وسِبْطُ الشيخِ أبى الفَرَجِ الشيرازيِّ الحَنْبَليِّ[3] .

قَدِمَ بَغْدَادَ فتَفَقَّه بها ، وسمِعَ الحديثَ ، ثم رجَع إلى بلَدِه ، ثم عاد إليها رسُولًا مِن جِهَةِ نُورِ الدِّينِ فى سنَةِ أرْبَعٍ وستِّين ، وحدَّث بها ، ثم كانتْ له حُظْوَةٌ عندَ الملكِ النَّاصرِ صلاحِ الدِّينِ ، وهو الذى نَمَّ على عُمَارَةَ اليَمنِيِّ وذَوِيه فصُلِبوا ، وكانتْ له مَكانَةٌ بمِصْرَ ، وقد تكَلَّمَ يومَ الجُمُعَةِ التى خُطِب فيها بالقُدْسِ الشريفِ بعدَ الفَراغِ مِن الجُمُعةِ ، وكانَ وقْتًا مشْهودًا ، وكان يعيشُ عيشًا [4]أطْيَبَ مِن عيشِ[4] المُلوكِ فى الأَطْعِمَةِ والمَلابسِ ، وكان عندَه عشرون سُرِّيَّةً ، كلُّ واحدَةٍ بألْفِ دِينارٍ ، وبعدَ هذا كلِّه مات فقيرًا لم يُخَلِّفْ كفنًا ، وقد أنْشَد وهو علَى مِنْبَرِه للوَزِيرِ طَلائعِ بنِ رُزِّيكَ شِعْرًا فقال[5] :

مَشِيبُكَ قد قضَى صِبْغَ[6] الشبابِ ... وحلَّ البَازُ فى وكْرِ الغُرابِ

---

(١) ذيل الروضتين ، ص ٣٤ .

(٢) مرآة الزمان ٨/ ٢/ ٥١٥، وذيل الروضتين ص ٣٤، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٩٨، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٤٣٦.

(٣ - ٣) سقط من الأصل ، م .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ص : « هائلًا كما » .

(٥) ذيل الروضتين ، الموضع السابق .

(٦) فى م : « شرخ » .

تَنامُ ومُقْلَةُ الحَدَثانِ يَقْظَى وما نابُ النَّوائِبِ عنكَ نابِ
وكيفَ بَقاءُ عُمْرِكَ وَهْوَ كَنْزٌ وقد أنْفَقْتَ منهُ بلا حِسَابِ

الشيخُ أبو البَرَكاتِ، محمدُ بنُ أحمدَ بنِ سعيدٍ التَّكْرِيتِيُّ[1] يُعرَفُ بالمؤيَّدِ، كان أدِيبًا شاعرًا. ومِمَّا نظَمَه فى الوَجيهِ النَّحْوِىِّ – حِينَ كانَ حَنْبَلِيًّا، فانْتقَلَ حنَفِيًّا، ثم صارَ شافِعِيًّا – فى حَلْقَةِ النَّحْوِ بالنِّظامِيَّةِ[2]:

أَلَا مُبلِغٌ[3] عنِّى الوَجِيهَ رِسالةً وإنْ كانَ لا تُجْدِى لدَيْهِ الرَّسائِلُ
تمَذْهَبْتَ للنُّعْمانِ بعد ابنِ حَنْبَلٍ وذلِكَ لمَّا أعْوَزَتْكَ المآكِلُ
وما اخْتَرْتَ رأْىَ[4] الشافعىِّ تَدَيُّنًا[5] ولكِنَّما تَهْوَى الذى هو حاصِلُ
وعمَّا قليلٍ أنْتَ لا شَكَّ صائِرٌ إلى مالِكٍ فافْطَنْ [6]لما أنتَ[6] قائِلُ؟

السِّتُّ الجليلَةُ المَصُونةُ زُمُرُّدُ[7] **خاتُون** أمُّ الخليفَةِ النَّاصِرِ لدِينِ اللَّهِ بنِ[8] المُسْتَضِىءِ، كانتْ صالحةً عابدَةً كثِيرَةَ البِرِّ والصِّلاتِ[9] والأوْقافِ

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ١/ ٤٥٤، وذيل الروضتين ص ٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٠٨، والوافى بالوفيات ٢/ ١١٥، والمقفى الكبير للمقريزى ٥/ ٢٦٢.

(٢) ذيل الروضتين، الموضع السابق، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٤٠٩، والوافى بالوفيات ٢/ ١١٥.

(٣) فى م: «مبلغا».

(٤) فى م: «قول».

(٥) فى م: «ديانة».

(٦ - ٦) فى م: «إلى ما أنت»، وفى ذيل الروضتين، وتاريخ الإسلام: «لما أنا».

(٧) فى الأصل، ص: «درة». وانظر ترجمتها فى: مرآة الزمان ٨/٢/ ٥١٣، وذيل الروضتين ص ٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٨٥، والوافى بالوفيات ١٤/ ٢١٣، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٨٢.

(٨) فى م: «زوجة».

(٩) فى الأصل، ص: «الصلاة».

(1)والصدقاتِ، عمَّرتِ المصانعَ(2) بطريقِ الحِجَازِ الشريفِ، وأصلَحتِ الطُّرُقاتِ(1)، وبَنَتْ لها تُرْبةً إلى جانبِ قَبْرِ مَعْروفٍ الكَرْخِيِّ، وكانتْ جِنازَتُها مشْهودَةً جدًّا، واسْتَمرَّ العَزاءُ بسببِها شَهْرًا، عاشَت فى خِلافَةِ ولَدِها أرْبَعًا وعِشْرِينَ سنَةً نافذَةَ الكَلِمَةِ مُطاعَةَ الأوامرِ.

وفى هذه السنةِ كان مؤلِدُ الشيخِ شِهَابِ الدِّينِ أبى شامةَ، وقد ترْجَمَ نفْسَه عندَ ذِكْرِ مؤلِدِه فى هذه السَّنَةِ فى «الذَّيْلِ»(3) ترجمةً مُطَوَّلَةً، فيُنقَلُ إلى سنَةِ وَفاتِه، رحِمه اللَّهُ، وذكَر بدْءَ أمْرِه واشْتِغالِه، ومُصَنَّفاتِه وشيئًا كثيرًا من أشعارِه، وما رُئِى له مِنَ المَناماتِ المُبَشِّرَةِ. وفى هذه السنةِ كان ابْتِداءُ مُلْكِ جِنْكِزخان مَلِكِ التَّتارِ، لعَنه اللَّهُ، وجِنْكِزخان هو صاحِبُ الياسِقِ، (4)وضَعها ليتحاكمَ إليها التتارُ(4) ومَنِ اتَّبَعهُم مِن أُمراءِ التُّرْكِ - مِمَّنْ يَبْتَغِى(5) حُكْمَ الجاهِليَّةِ - وهو والِدُ تُولِى(6)، وجدُّ (7)هُولَاكُو بنِ تولى(7) - الذى قتَل الخَلِيفَةَ المُسْتَعْصِمَ وأهْلَ بَغْدَادَ فى سنَةِ سِتٍّ وخَمْسِين وسِتِّمائةٍ، كما سيَأْتى بَيانُه.

(1 - 1) سقط من م.
(2) المصانع: ما كان لماء السماء يحتفرها الناس، فيملؤها ماء السماء؛ يشربونها. التاج (ص ن ع).
(3) ذيل الروضتين ص 37.
(4 - 4) فى م: «ليتحاكموا إليها - يعنى».
(5) فى ص: «يتبع».
(6) فى الأصل، ص: «مولى»، وفى م: «تولى»، والمثبت من صبح الأعشى 4/ 308.
(7 - 7) فى الأصل: «هو لا دون من يولى»، وفى ص: «هو لابن مولى».

سنةُ ستّمائةٍ مِن الهجرةِ النبويَّةِ(١)

فى هذه السنةِ كانتِ الفِرنْجُ قد جمَعُوا خلْقًا كثيرًا منهم ليَسْتَعِيدُوا بيتَ المقدسِ مِن المسلمين - فيما كانوا زاعِمين - فأشْغَلَهم اللَّهُ بقِتالِ الرُّومِ ؛ وذلك لأنَّهم اجْتازُوا فى طريقِهم بالقُسْطنطينيَّةِ ، فوَجَدوا ملُوكَها قد اخْتلَفُوا فيما بيْنَهم ، فحاصَرُوها حتى فتَحُوها قَسْرًا ، وأباحُوها ثلاثةَ أيامٍ قَتْلًا وأسْرًا ، واحترَق أكثرُ مِن رُبعِها ، وما أصْبَح أحَدٌ مِن الرُّومِ بعدَ الثلاثةِ إلَّا قتيلًا أو فقِيرًا أو مكْبُولًا أو أسِيرًا ، ولجأ(٢) عامَّةُ مَن بَقِى منها إلى كنيستِها العُظمَى المُسَمَّاةِ بصُوفيا(٣) ، فقَصَدها الفِرنْجُ ، فخرَج إليهم القِسِّيسُون بالأَناجيلِ ؛ ليَتوسَّلُوا إليهم ويتْلُوا عليهم ، فما الْتفَتُوا إلى شىءٍ مِمَّا واجَهوهم به ، بل قتَلُوهم أجْمَعين أكْتَعِينَ أبْصَعِينَ ، وأخَذُوا ما كان فى الكنيسةِ مِن الحُلِيِّ والأذْهابِ والأموالِ التى لا تُحَصَى ولا تُعَدُّ ، وأخَذوا ما كان على الصُّلْبانِ والحيطانِ ، والحمدُ للَّهِ الرَّحيمِ الرَّحمنِ ، الذى ما شاءَ كان ، وما لم يشَأْ لم يكُنْ .

ثم اقْترَعَ ملوكُ الفِرنْجِ وكانوا ثلاثةً ؛ وهم دوقسُ(٤) البَنادِقةِ ، [٣٢٨/٩و] وكان شيْخًا أعْمَى تُقادُ فرسُه ، ومَرْكيسُ الإفْرَنْسِيسُ ، وكندُ أفلندُ ، وكان أكثرَهم عدَدًا وعُدَدًا ، فخرجَتِ القُرْعَةُ له ثلاثَ مرَّاتٍ ، فوَلَّوه مُلْكَ القُسْطَنطينيَّةِ

---

(١) الكامل ١٢/ ١٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٥٣.

(٢) فى الأصل، ص: «نجا».

(٣) فى الأصل: «يسوقنا»، وفى م: «آيا صوفيا». وانظر الكامل ١٢/ ١٩١.

(٤) فى م: «دوق». وانظر الكامل ١٢/ ١٩١.

وأخذ الملِكان الآخران بعْضَ البلادِ ، وتحوَّلَ المُلْكُ مِن الرُّومِ إلى الفِرنْجِ بالقُسْطَنطينيَّةِ فى هذه السنةِ ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ٢٦] . ولم يبْقَ بأيْدِى الرُّومِ هنالكَ إلَّا ما وراءَ الخليجِ ، اسْتَحوَذ عليه رجلٌ منهم يقالُ له : لشكرِى[1] . لم يَزَلْ مالِكًا لتلك الناحيةِ حتى تُوفِّى ، لعَنه اللَّهُ .

ثم إنَّ الفِرنْجَ قصَدُوا بلادَ الشَّامِ وقد تقوَّوا بمُلْكِهِمُ القُسْطَنطينيَّةَ ، فنزَلُوا عَكَّا ، وأغارُوا على كثيرٍ مِن بلادِ الإسلامِ مِن ناحيةِ الغَوْرِ[2] وتلك الأراضِى ، فقتَلُوا وسَبَوا ، فنَهَض إليهم الملكُ العادلُ وكان بدِمَشْقَ - وللَّهِ الحمدُ - واسْتَدْعَى بالجيوشِ المصريَّةِ والمشرقيَّةِ ، ونازَلَهم بالقُرْبِ مِن عَكَّا ، فكان بيْنَهم قتالٌ شديدٌ ومصابرةٌ عظيمةٌ ، ثم وقَع الصُّلْحُ بينَهم والهُدْنَةُ ، وأَطْلَق لهم السلطانُ شيئًا مِن بعضِ البلدانِ ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجِعون .

وفى هذه السنةِ جرَتْ حروبٌ كثيرةٌ بينَ الخُوارزْمِيَّةِ والغُوريَّةِ بالمَشْرِقِ يطُولُ ذِكْرُها .

وفيها تحارَب نورُ الدينِ - صاحبُ الموصلِ - وقطبُ الدينِ محمدُ بنُ عمادِ الدينِ زَنْكِى - صاحبُ سِنجارَ - وساعَد الأشْرَفُ بنُ العادِلِ القُطْبَ ، ثم اصْطلَحُوا فيما بينَهم ، وتزوَّج الأشرفُ أختَ نُورِ الدِّينِ ، وهى الأتابِكِيَّةُ بنْتُ عزِّ الدِّينِ مَسْعُودِ بنِ مَوْدُودِ بنِ زَنكِى ، واقِفَةُ المدرسةِ التى بالسَّفْحِ ، وبها تُرْبَتُها .

وفيها كانتْ زلزلةٌ عظيمةٌ بمصرَ والشَّامِ والجزيرةِ وقُبْرُسَ وغيرِها مِن البلادِ ؛

---

(١) فى الأصل ، ص : « يشكرى » ، وفى م : « تسكرى » . والمثبت من الكامل ١٢/ ١٩٢.
(٢) الغور : غور الأردن بالشام ، بين البيت المقدس ودمشق . معجم البلدان ٣/ ٨٢٢.

قاله ابنُ الأثيرِ فى « كاملِه »[1] .

وفيها تغلَّبَ رجلٌ مِن التجَّارِ يُقالُ له : محمودُ بنُ محمدٍ الحِميَرِىُّ على بعضِ بلادِ حَضْرَمَوْتَ ؛ ظَفَارَ وغيرِها ، واستَمرَّتْ أيَّامُه إلى سنةِ تِسْعَ عشْرَةَ وستِّمائةٍ وما بعدَها .

وفى جُمادَى الأُولَى منها عُقِد مجْلِسٌ لقاضِى القُضاةِ ببَغْدادَ ، وهو أبو الحسنِ علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ سليمانَ الحَلَبىُّ[2] بدَارِ الوزيرِ ، وثبَت عليه مَحْضَرٌ بأنَّه يتناوَلُ الرُّشَا ، فعُزِل فى ذلك المجْلِسِ ، وفُسِّقَ ، ونُزِعَتِ الطَّرْحَةُ عن رأْسِه ، وكانتْ مُدَّةُ ولايتِه سنتين وثلاثةَ أشْهُرٍ .

وفيها كانتْ وَفاةُ الملكِ رُكْنِ الدِّينِ بنِ قِلج أرْسَلان[3] ، صاحبُ بلادِ الرومِ ما بينَ مَلَطْيَةَ وقُونِيَةَ ، وكانتْ فيه شهامةٌ وصَرامةٌ ، غيرَ أنَّه كان يُنْسَبُ إلى اعْتِقادِ الفلاسفةِ ، وكان كهْفًا لمَنْ يُنْسَبُ إلى ذلك ، ومَلْجأً لهم ، وظهَر منه قبلَ موْتِه تجَهُّمٌ عظيمٌ ؛ وذلكَ أنَّه حاصَر أخاه شقيقَه - وكان صاحبَ أنكُورِيَةَ ، وتُسمَّى أيضًا : أنْقِرَةَ - مُدَّةَ سنتين حتى ضيَّقَ عليه الأقْواتَ بها ، فسَلَّمها إليه قَسْرًا ، على أنْ يعْطِيَه بعْضَ البلادِ ، فلمَّا تمكَّنَ منه ومِن أوْلادِه أرْسَل إليهم مَنْ قتَلَهم غدْرًا وخدِيعَةً ومَكْرًا ، فلم يُنْظَرْ إلَّا خَمْسةَ أيامٍ حتى ضربه اللَّهُ تعالَى بالقُولَنْجِ سبْعَةَ أيامٍ وماتَ ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴾ [الدخان : ٢٩] وأُقِيم بعدَه فى المُلْكِ ولَدُه قِلج أرْسَلان ، وكان صغيرًا فبَقِى سنةً

---

(١) الكامل ١٢/١٩٨.

(٢) فى م : « الجيلى » .

(٣) الكامل ١٢/ ١٩٥، والمختصر فى تاريخ البشر ٣/ ١٠٥، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ١٢٢، وكنز الدرر وجامع الغرر ٧/ ١٥٧.

واحدَةً ، ثم نُزِع منه المُلْكُ أيضًا ، وصارَ إلى عمِّه كَيْخَسْرُو .

وفيها قُتِل خلْقٌ كثيرٌ مِن الباطِنيَّةِ بَواسِطِ ، وللَّهِ الحمدُ .

[٣٢٨/٩ظ] قال ابنُ الأثيرِ[1] : وفى رجبٍ اجْتَمَع جماعةٌ مِن الصُّوفِيَّةِ برِباطٍ ببغدادَ فى سَماعٍ ، فأنشَدَهمُ الحادى ، وهو الجمّالُ الحِلِّىُّ :

عُوَيذلتِى أقْصِرى كَفَى بمَشِيبِى عَذَلْ
شبَابٌ كأنْ لم يكُنْ وشَيْبٌ كأنْ لم يَزَلْ
وحقٌّ[2] ليالى الوِصالِ أوَاخِرُها والأُوَلْ
وصُفْرَةُ لونِ المحبِّ عندَ اسْتِماعِ العَذَلْ
لَئِنْ عادَ عَيشى بكم حَلَا العَيْشُ لى واتَّصَلْ

قالَ : فتَحرَّكَ الصُّوفيَّةُ على العادةِ ، فتَواجَد مِن بيْنِهم رجلٌ يقالُ له : أحمدُ ابنُ إبراهيمَ الرَّازِىُّ ، فخرَّ مغْشِيًّا عليه ، فحرَّكُوه فإذا هو مَيِّتٌ . قال : وكانَ رجلًا صالحًا ، وقال ابنُ السَّاعِى[3] : كان شيْخًا صالحًا صحِب الصَّدْرَ عبدَ الرحيمِ شيخَ الشُّيوخِ . فشَهِد الناسُ جِنازَتَه ، ودُفِن ببابِ أَبْرَزَ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أبو محمدٍ[4] ، القاسمُ ، بهاءُ الدِّينِ ، الحافِظُ ، ابنُ الحافظِ أبى القاسمِ

---

(١) الكامل ١٢/ ١٩٨.

(٢) فى الأصل ، م : « بثى » .

(٣) تاريخ ابن الساعى ٩/ ١١٧.

(٤) سقط من : الأصل ، م . وانظر ترجمته فى : التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٦، وذيل الروضتين ص ٤٧، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١٢٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٧١، وطبقات الشافعية للسبكى ٨/ ٣٥٢.

عليِّ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ عساكِرَ ، كان مولدُه فى سنةِ سبعٍ وعشرين وخَمْسِمِائةٍ ، أسْمَعه أبُوه الكثيرَ ، وشارَك أبَاه فى أكثرِ مشايخِه ، وكتَب تاريخَ أبيه مرَّتَين بخَطِّه ، وكتَب الكثيرَ ، وأسْمَع ، وصنَّف كُتُبًا عِدَّةً ، وخَلَف أبَاه فى إسْماعِ الحديثِ بالجامعِ ، ودارِ الحديثِ النُّوريَّةِ .

وكانت وفاتُه يومَ الخميسِ ثامِنَ صفرٍ ، ودُفِن بعدَ العصرِ على أبيه بمقَابرِ بابِ الصَّغيرِ شَرْقِيَّ قُبورِ الصَّحابَةِ خارِجَ الحظِيرَةِ ، رحِمهما اللَّهُ .

الحافِظُ عبدُ الغَنِيِّ المَقْدِسِيُّ ، عبدُ الغنيِّ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ عليِّ بنِ سُرورٍ ، الحافظُ أبو محمدٍ المَقْدسيُّ[1] ، صاحِبُ التَّصانيفِ المشْهورةِ ، مِن ذلك : « الكَمالُ فى أسْماءِ الرِّجالِ » ، و « الأحْكامُ الكُبْرَى » ، و « الصُّغْرَى » ، وغيرُ ذلك ، وُلِد بجَمَّاعِيلَ[2] فى ربيعٍ الآخرِ سنةَ إحْدَى وأربعين وخمسِمائةٍ ، وهو أسَنُّ مِن [3]ابنِ خالتِه[3] الإمامِ مُوَفَّقِ الدِّينِ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ قُدامَةَ المَقْدِسِيِّ ، بأربعةِ أشْهرٍ ، وكان قدُومُهما مع أهْلِهما مِن بيتِ المقدسِ إلى مسجدِ أبى صالحٍ أوَّلًا ، ثم انْتقَلُوا إلى السَّفْحِ فعُرِفَتْ المحلَّةُ بهم ، فقيلَ لها : الصّالحيَّةُ . فسكَنُوا الدَّيْرَ ، وقرَأ الحافِظُ عبدُ الغَنِيِّ القرآنَ ، وسمِع الحديثَ ، وارْتَحَل هو والمُوَفَّقُ إلى بغدادَ سنةَ ستِّين وخمسِمائةٍ ، فأنْزَلَهما الشيخُ عبدُ القادرِ عندَه فى المدرسةِ ، وكان لا يتْرُكُ أحدًا ينْزِلُ عندَه ، ولكنَّه توَسَّم فيهما النَّجابَةَ والخيرَ

---

(١) ذيل الروضتين ص ٤٦، ومرآة الزمان ٨/ ٢/ ٥١٩، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ١٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٤٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٧٢.

(٢) جماعيل: قرية فى جبل نابلس من أرض فلسطين. معجم البلدان ٢/ ١١٣.

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «عميه»، وفى ص: «ابن عمته». والمثبت من تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٤٣، وانظر مقدمة المغنى بتحقيقنا ١/ ٧.

والصَّلاحَ ، فأكْرَمَهُما وأسْمَعَهما ، ثم تُوفِّى بعدَ مَقْدِمِهما بخمسين ليلةً .

وكانَ ميْلُ عبدِ الغنىِّ إلى الحديثِ وأسْماءِ الرِّجالِ ، وميْلُ المُوَفَّقِ إلى الفِقْهِ ، واشْتَغَلا على الشيخِ أبى الفَتْحِ ابنِ المَنِّىِّ[1] ، ثم قَدِما دمشقَ بعدَ أرْبَعِ سنين ، فدَخَل عبدُ الغَنىِّ إلى مصرَ وإسكَندريَّةَ ، ثم عادَ إلى دمشقَ ، ثم ارْتَحَل إلى الجزيرةِ وبغدادَ ، ثم رحَل إلى أصْبهانَ ، فسَمِع بها الكثيرَ ، ووَقَف على مُصَنَّفٍ للحافظِ أبى نُعَيْمٍ فى أسْماءِ الصَّحابةِ - قلْتُ : وهو عندِى بخَطِّ أبى نُعَيْمٍ - فأخَذ فى مُناقشَتِه فى أماكِنَ مِن الكتابِ فى مائةٍ وتسعين موْضِعًا ، فغَضِب بنُو الخُجَنْدِىِّ مِن ذلك ، وتعَصَّبوا عليه وأخْرَجُوه منها مُخْتَفِيًا فى إزارٍ .

ولمَّا دخَل فى طريقِه إلى المَوْصِلِ ، سمِع كتابَ العُقَيْلىِّ فى الجَرْحِ والتَّعْديلِ ، فثارَ عليه الحَنَفيَّةُ بسببِ أبى حنيفةَ ، فخرَج منها أيضًا خائِفًا يترَقَّبُ ، فلَّما ورَد دمشقَ كان يقْرَأُ الحديثَ [٣٢٩/٩و] بعدَ صلاةِ الجُمُعةِ برِوَاقِ الحنابلةِ مِن جامعِ دمشقَ ، فيجْتَمِعُ الناسُ إليه ، وكان رقيقَ القلبِ ، سريعَ الدَّمْعةِ ، فحصَل له قَبولٌ ، فحسَدَه الدَّماشِقَةُ ، وجهَّزُوا الناصِحَ ابنَ الحَنْبَلىِّ ، فتَكلَّمَ تحتَ النَّسْرِ[2] ، حتَّى يشوِّشَ عليه ، فحوَّلَ عبدُ الغَنىِّ مِيعادَه إلى بعدِ العَصْرِ ، فذَكَر يومًا عقِيدَتَه على الكُرْسِىِّ ، فثَارَ عليه القاضى مُحيِى الدينِ ابنُ الزكِىِّ ، والخطيبُ ضِيَاءُ الدِّينِ الدَّوْلَعِىُّ ، وعُقِد له مَجْلِسٌ فى القلعةِ يومَ الاثنينِ الرَّابعِ والعِشْرين مِن ذِى القَعْدَةِ سنةَ خمسٍ وتسعين .

وتكَلَّمُوا معه فى مسألةِ العُلُوِّ ومسْألَةِ النُّزولِ ، ومَسْألةِ الحَرْفِ والصَّوْتِ ،

---

(١) فى ص : « المثنى » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٤٥.

(٢) أى تحت قبة النسر من جامع دمشق الأموى .

وطالَ الكَلامُ، حتى قال له الصارمُ بُزْغُشُ والى القلعةِ[1] : كلُّ هؤلاء على الضَّلالةِ، وأنتَ على الحقِّ؟ قال: نعم. فغَضِب بُزْغُشُ مِن ذلك وأمَره بالخُروجِ مِن البلدِ.

فارْتَحَل بعدَ ثَلاثٍ إلى بَعْلَبَكَّ، ثم إلى الديارِ المصريةِ، فآوَاه الطَّحّانونَ، فكانَ يقْرأُ الحديثَ بها، فثَارَ عليه الفُقَهاءُ بمصرَ أيضًا، وكتَبُوا إلى الوزيرِ صَفِيِّ الدِّينِ بنِ شُكْرٍ، فأقَرَّ بنَفْيِه إلى المغْربِ، فماتَ قبلَ وصُولِ الكتابِ يومَ الاثنينِ الثالثِ والعِشْرِينَ مِن رَبيعِ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ، وله تِسْعٌ وخَمْسونَ سنةً، ودُفِن بالقَرافةِ عندَ الشيخِ أبى عَمْرِو بنِ مَرْزُوقٍ، رحِمهما اللَّهُ.

قال السِّبْطُ[2] : وكان ورِعًا زاهِدًا عابدًا، يُصلِّى كلَّ يومٍ ثلاثَمائةِ ركْعَةٍ، كوِرْدِ الإمامِ أحمدَ، ويقومُ الليلَ، ويصُومُ عامَّةَ السَّنَةِ، وكانَ كريمًا جوادًا لا يدَّخِرُ شيئًا، ويتَصدَّقُ على الأرامِلِ والأيْتامِ حيثُ لا يَراه أحدٌ، وكان يُرقِّعُ ثوْبَه، ويؤْثِرُ بثَمَنِ الجديدِ، وكان قد ضعُفَ بصرُه مِن كثْرَةِ المُطالعةِ والبُكاءِ، وكان أوْحدَ زمَانِه فى علمِ الحديثِ والحفْظِ.

قلتُ: وقد هذَّبَ شيخُنا الحافِظُ أبو الحجَّاجِ المِزِّىُّ - تغمَّدَه اللَّهُ برحمتِه - كتابَه «الكَمالَ فى أسْماءِ الرِّجالِ» - رجالِ الكُتُبِ السِّتَّةِ - بتَهْذيبِه الذى اسْتَدرَك عليه فيه أماكِنَ كثيرةً، نحوًا مِن ألْفِ موْضعٍ؛ وذلك أنَّه الإمامُ المِزِّىُّ الذى لا يُبارَى ولا يُجارَى ولا يُمارَى، وكِتابُه «التَّهْذِيبُ» لم يُسْبَقْ إلى مثْلِه، ولا يُلْحَقْ فى مثلِ شَكْلِه، فرَحِم اللَّهُ صاحِبَى «التهذيبِ» و«الكمالِ»، فلقد

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٥٥.
(٢) مرآة الزمان ٨/٢/ ٥٢١.

كانَا نادِرَيْنِ فى زمانَيْهما فى الرِّجالِ حِفْظًا وإتْقانًا وسَماعًا وإسماعًا ، وسَرْدًا للمُتونِ وأسْماءِ الرِّجال .

قال ابنُ الأثيرِ[1] : وفيها تُوفِّى **أبو الفتوحِ أسْعَدُ بنُ محمودِ العِجْلِيُّ**[2] صاحِبُ « تَتِمَّةِ التَّتِمَّةِ » ، أسعدُ بنُ أبى الفَضْلِ بنِ محمودِ بنِ خلفِ العِجْلِيُّ ، الفَقِيهُ الشافعىُّ الأصْبَهانىُّ ، الواعِظُ [3]مُنْتَجَبُ الدِّينِ[3] ، سمِع الحديثَ ، وتفَقَّهَ وبرَع ، وصنَّف « تَتِمَّةَ التَّتِمَّةِ » لأبى سعْدٍ الهَرَوِىِّ ، وكان زاهِدًا عابدًا ، وله « شرْحُ مُشْكلاتِ الوَسيطِ والوَجيزِ » ، قال ابنُ خَلِّكانَ[4] : تُوفِّى فى صفَرٍ سنة سِتِّمائةٍ .

البَنانِيُّ الشَّاعِرُ ؛ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ المُهَنَّا[5] ، الشَّاعِرُ المعْروفُ بالبُنَانِىِّ ، مدَح الخلفاءَ والوزراءَ والأمراءَ وغيرَهم ، وكَبِر وعلَتْ سِنُّه ، وكان رقيقَ الشِّعْرِ لطيفَه ، فمِن قولِه[6] :

ظلْمًا ترَى مُغْرَمًا فى الحبِّ تزْجُرُهُ ... وغِرَّةً بالهوَى أمْسَيتَ تُنْكِرُهُ
يا عاذِلَ الصَّبِّ لو عاتَبْتَ قاتِلَهُ ... بوَجنةٍ وعِذارٍ كنتَ تعْذُرُهُ
أفْدِى الذى سِحْرُ عيْنَيه يعلِّمُنى ... [٣٢٩/٩ظ] إذا تصَدَّى لقَتْلى كيف أسْحَرُهُ

---

(١) الكامل ١٢/ ١٩٩.

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٣/ ١٠، ووفيات الأعيان ١/ ٢٠٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٢٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٨/ ١٢٦.

(٣ - ٣) فى الأصل، م : « منتخب الدين » ، وانظر مصادر الترجمة .

(٤) وفيات الأعيان ١/ ٢٠٩.

(٥) التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٥٤، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٧٩، والوافى بالوفيات ٥/ ٨٢.

(٦) تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٣٧.

يَسْتَمتِعُ الليلَ فى نَومٍ وأسْهَرُهُ إلى الصَّباحِ وينْسَانى وأذْكُرُهُ

وله أيضًا[1] :

بكَرَتْ تديرُ على العواذلْ وتجُرُّ ذيلًا فى الخمائِلْ

وتهُزُّ فى ثَنْى الغَلا ئلِ رِدْفَها هَزَّ الذَّوابلْ

وتقولُ للغصنِ الرطيـ ـبِ إذا تَماثَل أو تمايَلْ

بيضاءُ صبغةُ خدِّها تنْمَى وصبغُ الوردِ حائِلْ

شَهْدُ الحياةِ وصالُها وصدورُها سُمُّ القواتِلْ

أبو سعيدٍ الحسَنُ بنُ خالدِ[2] بنِ المُبارَكِ بنِ محضرٍ[3] النَّصْرانىُّ المارِدِينىُّ ، المُلَقَّبُ بالوحيدِ ، اشْتغَل فى حداثَتِه بعلمِ الأوائلِ فأتْقَنَه وبرَز فيه ، وكانتْ له يدٌ طُولَى فى الشعرِ الرَّائقِ ، فمِن ذلك قولُه ، قاتَله اللَّهُ[4] :

أتانِى كِتابٌ أنْشَأتْه أنامِلٌ حَوَتْ أبْحُرًا مِن فَيْضِها يغْرَقُ البحرُ

فوَا عَجَبًا أنَّى الْتَوَتْ فوقَ طِرْسِهِ[5] وما عُوِّدَتْ بالقَبْضِ أُنْمُلُه العَشْرُ

وله أيضًا لعَنه اللَّهُ[4] :

لقد أثَّرتْ صُدْغاه فى لوْنِ خدِّهِ ولاح كفَىْءٍ مِن وراءِ زُجاجِ

ترَى عسكرًا للرُّومِ فى الزَّنْجِ قد بَدَتْ طلائِعُه تسْعَى ليومِ هِياجِ

أمِ الصُّبْحُ بالليلِ البَهِيمِ مُوشَّحٌ حكَى آبِنُوسًا فى صفيحةِ عَاجِ

(١) تاريخ ابن الساعى ٩/١٣٧ .

(٢) فى م : « خلد » . وانظر ترجمته فى : تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٤١.

(٣) سقط من : م ، وفى الأصل : « محطر » ، وفى ص : « محظر » . والمثبت من مصدر الترجمة .

(٤) تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٤٢.

(٥) الطرس : الصحيفة .

لقد غارَ صُدْغاه على وَرْدِ خدِّه فسَيَّجَهُ مِن شِعْرِه بسِيَاجِ

الطَّاوُسىُّ صاحِبُ الطَّريقَةِ ، **العِرَاقىُّ بنُ محمدِ بنِ العِرَاقىِّ**[1] ، رُكْنُ الدينِ أبو الفَضْلِ القَزْوِينىُّ ، ثم الهَمَذانىُّ ، المعْروفُ بالطَّاوُسِىِّ ، كان بارِعًا فى علمِ الخِلافِ والجدَلِ والمُناظرَةِ ، أخَذ هذا الشأنَ عن الشيخِ رَضىِّ الدِّينِ النَّيْسابُورِىِّ الحَنَفىِّ ، وصنَّفَ فى ذلك ثلاثَ تَعاليقَ ، قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : أحْسَنُهُنَّ الوُسْطى . وكانتْ إليه الرِّحْلَةُ بهَمَذَانَ ، وقد بنَى له بعْضُ الأمراءِ الحَجَبَةِ بها مدْرسةً تُعْرَفُ بالحاجِبيَّةِ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ ويقالُ[3] : إنَّه منْسوبٌ إلى طَاوُسِ بنِ كَيْسانَ التَّابِعىِّ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٥٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٦٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٨/ ٣٤٦، وشذرات الذهب ٤/ ٣٤٦.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٥٩.

(٣) المصدر السابق.

ثم دخلت سنةُ إحْدَى وسِتّمائةٍ

فيها[1] عزَلَ الخليفةُ الناصرُ ولَدَه محمدًا الملَقَّبَ بالظَّاهرِ عن وِلايَةِ العَهْدِ بعدَ ما خطَبَ له بذلك سبعَ عشْرَةَ سنَةً ، ووَلَّى العهدَ ولَدَه الآخرَ عليًّا ، فماتَ عليٌّ عن قريبٍ ، فعادَ الأمْرُ إلى الظَّاهرِ ، فبُويِعَ له بالخِلافَةِ بعدَ أبيه النَّاصرِ ، كما سيأْتى فى سنَةِ ثَلاثٍ وعِشْرِينَ .

وفيها وقَع حريقٌ عظيمٌ بدارِ الخلافةِ فى خَزائنِ السِّلاحِ ، فاحْترَق شئٌ كثيرٌ من السِّلاحِ والأمْتِعَةِ والمَساكنِ ما يُقارِبُ قِيمتُه أرْبَعَةَ آلافِ ألْفِ دِينارٍ ، وشاعَ خبَرُ هذَا الحريقِ فى الناسِ ، فأرْسلَتِ المُلوكُ مِن سائرِ الأَقْطارِ هدَايَا ؛ أسلحةً إلى الخليفةِ عِوَضًا ممَّا فات شيئًا كثيرًا ، وللَّهِ الحمدُ .

وفيها عاثَتِ الكُرْجُ ببلادِ المُسْلمينَ فقتَلُوا خلْقًا ، وأسَرُوا أممًا . وفيها وقعَتِ الحرْبُ بينَ أميرِ مَكَّةَ قَتادَةَ الحَسَنىِّ[2] ، وبينَ أميرِ المدينةِ سالمِ بنِ قاسِمٍ الحُسَيْنىِّ ، وكان قتادَةُ قد قصَد المدينةَ فحصرَ سالمًا فيها ، فركِبَ إليه سالمٌ بعدَ ما صلَّى عندَ الحُجْرَةِ النبويَّةِ واسْتَنصَر اللَّهَ على قتادةَ ، ثم برزَ إليه فكسَرَه ، وساقَ وراءَه إلى مَكَّةَ فحصَرَه بها ، ثم أرْسَل قتادَةُ إلى أمَراءِ سالمٍ فأفْسَدهم عليه ، وكَرَّ سالمٌ راجعًا إلى المدينةِ وهو سالمٌ .

---

(١) الكامل ١٢/ ٢٠٠، وذيل الروضتين ص ٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ٥.

(٢) فى الأصل ، م : « الحسينى ». وانظر الكامل ١٢/ ٢٠٥.

وفيها ملَك غِياثُ الدِّينِ كَيْخَسْرُو بنُ قِلِجَ أرْسَلان [٩/٣٣٠و] بنِ مسعودِ بنِ قِلِجَ أرسَلان بنِ سليمانَ بنِ قُتُلْمِشَ بلادَ الرُّومِ واسْتلَبها من ابنِ أخِيه ، واسْتَقرَّ هو بها ، وعَظُمَ شأْنُه وقَوِيَتْ شوْكتُه ، وكثُرَتْ عساكِرُه ، وأطاعَه الأُمَراءُ وأصْحابُ الأطْرافِ ، وخطَبَ له الأفْضَلُ بنُ صلاحِ الدِّينِ بسُمَيْساطَ ، وسارَ إلى خِدْمَتِه .

واتَّفَق فى هذه السَّنَةِ أنَّ رجُلًا ببَغْدَادَ نزَلَ إلى دِجْلَةَ يسْبَحُ فيها ، وأعْطَى ثِيابَه لغُلامِه فغرِقَ فى الماءِ ، فوُجِدَ فى ورقَةٍ بعِمامَتِه هذه الأبياتُ[1] :

يا أيُّها الناسُ كانَ لى أمَلُ ... قصَّر بى عن بلُوغِهِ الأجَلُ
فلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ رجُلٌ ... أمْكنَهُ فى زمانِه العمَلُ
ما أنا وحْدِى نُقِلْتُ حيثُ ترَى ... كلٌّ إلى مِثْلِهِ سيَنْتَقِلُ

ومِمن تُوفِّى فيها مِن المشاهيرِ والأعْيانِ :

أبو الحسَنِ علىُّ[2] **بنُ الحسنِ**[2] **بنِ عنْتَرِ بنِ ثابتٍ الحِلِّىُّ** ، المعْروفُ بشُمَيْمٍ ، كان شيْخًا أديبًا فاضلًا لُغويًّا شاعرًا ، جمَع مِن شعْرِه حماسةً كان يفَضِّلُها على حماسةِ أبى تَمَّامٍ ، وله خَمْرِيَّاتٌ يزعُمُ أنَّها أفحلُ مِن التى لأبى نُوَاسٍ . قالَ أبو شامَةَ فى « الذَّيْلِ »[3] : كان قليلَ الدِّينِ ذا حمَاقَةٍ ورقاعَةٍ وخَلاعَةٍ ، وله حماسةٌ ورَسائلُ . قال ابنُ السَّاعى[4] : قَدِمَ بَغْدَادَ فأخَذ النَّحْوَ عن ابنِ الخَشَّابِ ، وحصَّلَ

---

(١) الأبيات فى تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٥٢.

(٢ - ٢) سقط من الأصل ، م . وانظر ترجمته فى : معجم الأدباء ٣/ ٥٠، وإنباه الرواة ٢/ ٢٤٣، وذيل الروضتين ص ٥٢، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١٥٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ٦١.

(٣) ذيل الروضتين ص ٥٢.

(٤) تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٥٧، ١٥٨.

طرَفًا صالحًا مِن النحوِ واللُّغَةِ وأشْعارِ العرَبِ ، ثم أقامَ بالمَوْصِلِ حتى تُوفِّيَ بها .

ومِن شِعْرِه فى حماستهِ[1] :

لا تَسْرَحَنَّ الطَّرْفَ فى بقرِ[2] المَها ... فمَصَارِعُ الآجالِ فى الآجالِ[3]

كم نظرةٍ أَرْدَتْ وما أخَذتْ يَـ ... ـدُ المُصْمِى[4] لمن قتلتْ أداةَ قتالِ

سنَحَتْ وما سمَحتْ بتَسْليمٍ و ... إقلالُ[5] التحيةِ فِعْلَةُ المغتالِ[6]

[7]ومِن خمريَّاتِه قولُه :

امزُجْ بمَشْبُوكِ اللُّجَيْـنِ ... دَمًا حَكَتْه دموعُ عَيْـنى

لمَّا نـعَـى نـاعِـى الـفِـرا ... قِ بِبَيْنِ مَنْ أهوى وبَيْنِى

خفَقَتْ لنا شمسانِ مِن ... لألَائِـهـا فـى الخافـقَـيْنِ

وبدَتْ لـنـا فـى كـأسِـهـا ... مِن لونِـهـا فى حُـلَّتَيْـنِ[7]

وله فى التَّجْنيسِ[8] :

ليـــتَ مَنْ طوَّل بالشَّـــــأمِ نَـوَاهُ[9] وثَـوَى بـهْ

---

(١) معجم الأدباء ١٣/ ٥٩، ٦٠، وإنباه الرواة ٢/ ٢٤٥.

(٢) فى م : «مقل».

(٣) الآجال الأولى : جمع أجل ، وهى غاية الوقت فى الموت ، والآجال الثانية : جمع إجل بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش. اللسان (أ ج ل).

(٤) المصمى : يقال : أصمى الصائد الصيد ؛ أصابه فوقع بين يديه . الوسيط (ص م ى).

(٥) فى الأصل ، م : «أغلال» ، وفى ص : «أعلال» . والمثبت من معجم الأدباء ، وإنباه الرواة .

(٦) فى الأصل : «المختال» ، وفى م ، ص : «المحتال» . والمثبت من معجم الأدباء، وإنباه الرواة .

(٧ - ٧) سقط من : م . وانظر الأبيات فى معجم الأدباء ١٣/ ٥٤.

(٨) معجم الأدباء ١٣/ ٥٦، ٥٧.

(٩) فى النسخ : «ثواه» . والمثبت من معجم الأدباء.

جَعَلَ العَوْدَ إلى الزَّو راءِ مِن بعضِ ثَوابِهْ
أتُرَى يُوطِئُنى الدَّهـ ـرُ ثرَى مِسكٍ تُرابِهْ
وأرَى أىْ نورَ عَينى مَوْطِئًا لى وتُرَى بِهْ

أبو نَصْرٍ محمدُ بنُ سَعدِ اللَّهِ بنِ نَصْرِ بنِ سَعيدِ (١ **بنِ الدَّجاجىِّ** ١) ، كان بهِيًّا واعظًا حنبَلِيًّا فاضلًا شاعرًا مجيدًا ، وله[٢] :

نفسُ الفَتَى إن أصْلَحتْ أحوالَها كان إلى نيْلِ المُنى أحْوَى لها
وإنْ ترَاها سدَّدَتْ أقوالَها كانَ على حمْلِ العُلا أقْوَى لها
فإنْ تبدَّتْ حالُ مَن لهَا لَها فى قبْرِهِ عندَ البِلَى لها لها

أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ مسْعودِ بنِ محمدِ القُرْطُبىُّ الخَزْرَجىُّ[٣] ، كانَ إمامًا فى التَّفْسيرِ والفِقْهِ والحسابِ والفَرائضِ والنَّحْوِ واللُّغَةِ والعَرُوضِ والطبِّ ،وله تَصانِيفُ حِسانٌ ، وشعْرٌ رائقٌ ، منه قولُه[٤] :

وفى الوَجنَاتِ ما فى الرَّوْضِ لكِنْ لرَوْنَقِ زهْرِها مغْنًى عجيبُ
وأعْجَبُ ما التَّعجُّبُ عنه أنِّى أرَى البستانَ يحمِلُهُ قضيبُ

أبو الفِدَاءِ إسْماعِيلُ بنُ يَرَنْقُشَ[٤] **السِّنْجارِىُّ** ، مؤلَى صاحِبِها عمادِ الدِّينِ زَنكِى بنِ مَوْدُودِ بنِ زَنكى ، وكانَ جندِيًّا حسنَ الصُّورةِ ، مليحَ النَّظْمِ ، كثيرَ

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٨٤، وذيل الروضتين ص ٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ٧١، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٤، والوافى بالوفيات ٣/ ٩١، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٨٧.

(٢) ذيل الروضتين ص ٥٢.

(٣) تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٦٣.

(٤) المصدر السابق ٩/ ١٦٤.

الأدَبِ ، ومِن شعْرِه ما كتَب به إلى الملكِ الأشْرَفِ مُوسَى بنِ العادِلِ يعزِّيه فى أخٍ له اسْمُه يُوسُفُ :

دمُـوعُ المعـالِـى والمكـارِمِ ذُرَّفُ ... وربعُ العُلا قَاعٌ لفَقْدِكَ صَفْصَفُ

[٩/٣٣٠ظ] غدًا الجُودُ والمعروفُ فى اللَّحْدِ ثاوِيًا ... غدَاةَ ثَوَى فى ذلكَ اللَّحْدِ يُوسُفُ

فتًى خطَفَتْ كفُّ المَنِيَّةِ رُوحَهُ ... وقد كانَ للأرْواحِ بالبِيضِ يخْطَفُ

سقَتْه ليالى الدَّهْرِ كأسَ حِمامِها ... وكانَ بسَقْيِ الموْتِ فى الحرْبِ يُعْرَفُ

فوا حَسْرتا لو ينْفَعُ الموتَ حسْرَةٌ ... ووَا أسَفا لو كانَ يجْدِى التَّأسُّفُ

وكانت على الأرْزاءِ نفْسِى قوِيَّةً ... ولكِنَّها عن حَمْلِ ذا الرُّزْءِ تضْعفُ

أبو الفَضْلِ إلياسُ بنُ جامعِ بنِ علىٍّ الإرْبِلِىُّ[1] ، تفَقَّه بالنِّظامِيَّةِ ، وسمِعَ الحديثَ ، وصنَّفَ « التاريخَ » وغيرَه ، وتفَرَّدَ بحسْنِ كتابَةِ الشُّروطِ ، وله فضْلٌ ونظْمٌ حسنٌ ، منه قولُه[2] :

أَمُمْرِضَ قلْبِى ، ما لهجْرِك آخِرُ ... ومُسْهِرَ طَرْفى ، هل خَيالُكَ زائرُ

ومسْتعْذِبَ التَّعْذيبِ جَوْرًا بصدِّهِ ... أمالكَ فى شَرْعِ المحبَّةِ زاجِرُ

هَنيئًا لكَ القلْبُ الذى قد وقَفْتُهُ ... على ذكرِ أيامى وأنتَ مسافِرُ

فلا فارَقَ الحزْنُ المُبرِّحُ خاطِرِى ... لبُعْدِكَ حتى يجْمَعَ الشَّمْلَ قادِرُ

فإنْ مِتُّ فالتَّسْليمُ منِّى عليْكُمُ ... يُعاوِدُكمْ ما كبَّرَ اللَّهَ ذاكِرُ

أبو السَّعاداتِ الحِـلِّىُّ[3] ، التاجرُ البَغْدادِىُّ الرَّافِضِىُّ ، كانَ فى كلِّ جُمُعةٍ

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٩٣، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١٦٥، والمختصر المحتاج إليه ص ١٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ٤٨، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ١٢٥.

(٢) تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٦٥.

(٣) فى ص: « الحبلى » ، وفى تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٦٢: « الجبيلى » .

يلْبَسُ لأْمَةَ الحرْبِ ، ويقِفُ خلفَ بابِ دارِه ، وهو مُجافٌ عليه ، والناسُ فى صلاةِ الجُمُعةِ ، وهو ينتَظِرُ أنْ يخرُجَ صاحبُ الزَّمانِ مِن سِرْدابِ سَامرَّا - يعْنِى محمدَ بنَ الحسَنِ العسْكَرِىَّ - ليميلَ بسَيفِه فى الناسِ نُصْرَةً للمَهْدِىِّ .

أبو غالِبِ بنِ كمونةَ[1] **اليَهُودِىُّ الكاتبُ** ، كان يُزوِّرُ على خطِّ ابن مُقلَةَ مِن قوَّةِ خطِّه ، تُوفِّى لعَنه اللّهُ ، بمَطْمُورَةِ واسِطٍ ؛ ذكَره ابنُ الساعِى فى « تارِيخِه »[2] .

وفيها تُوفِّى يهودِىٌّ آخَرُ يقالُ له : **أبو غالبِ بنُ أبى طاهرِ بنِ شَبْرٍ** . كان عاملًا على دارِ الضربِ ببغدادَ ، ذكَره ابنُ الساعى الخازِنِ فى « تاريخِه »[3] .

---

(١) فى م : « كمنونة » . وانظر ترجمته فى : تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٦٥.

(٢) تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٦٥.

(٣) المصدر السابق ٩/١٦٦ .

ثم دخلت سنة ثِنْتَيْنِ وستّمائةٍ

فيها[(١)] وقَعت حربٌ عظيمةٌ بينَ الملكِ شهابِ الدينِ محمدِ بنِ سامٍ الغُوريِّ، صاحِبِ غَزْنَةَ، وبينَ بَنى كَوكَرَ[(٢)] أصحابِ الجبلِ الجُودِيِّ، وكانوا قد ارتدُّوا عن الإسلامِ، فقاتَلَهم وكسَرهم، وغَنِم منهم شيئًا كثيرًا لا يُحَدُّ ولا يوصَفُ، فاتَّبَعه بعضُهم حتى قتَله غِيلَةً فى ليلَةِ مُسْتهَلِّ شعبانَ منها بعدَ العشاءِ، رحِمه اللَّهُ، وكان مِن أجودِ الملوكِ سيرةً، وأعقلِهم وأثبتِهم فى الحربِ، تغمَّده اللَّهُ برحمتِه، ولمَّا قُتِل كان فى صُحبتِه فخرُ الدينِ الرّازىُّ، وكان يجلِسُ للوعظِ فيحضُرُ الملكُ وعظَه، ويبكِى حينَ يقولُ له فى آخرِ مجلسِه[(٣)]: يا سلطانُ، سلطانُكَ لا يبقَى، ولا تلبيسُ الرّازىِّ أيضًا، وإنَّ مردَّنا جميعًا إلى اللَّهِ. وحينَ قُتِل السلطانُ اتهَمه بعضُ الخاصَّكِيَّةِ بقتْلِه، فخافَ مِن ذلك، والتجأ إلى الوزيرِ مُؤَيِّدِ المُلْكِ بنِ خواجا، فسَيَّرَه إلى حيثُ يأمَنُ، وتملَّك غَزْنَةَ بعدَه أحدُ مماليكِه؛ تاجُ [(٤)]الدينِ الدُّزُّ[(٤)]، وجرَت بعدَ ذلك خطوبٌ يطولُ بسطُها، قدِ استقصَاها ابنُ الأثيرِ وابنُ السَّاعى.

وفيها أغارَتِ الكُرْجُ على بلادِ المسلمين، فوصَلُوا إلى خِلاطَ، فقتَلُوا وسبَوْا،

---

(١) الكامل ١٢/٢٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ٩.

(٢) فى م: «بوكر».

(٣) الكامل ١٢/٢١٦.

(٤ - ٤) فى الأصل، م: «الدر». وانظر الكامل ١٢/ ٢١٤، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١٧٣.

وقاتَلَهمُ المُقاتِلَةُ والعامَّةُ . وفيها سار صاحبُ إرْبِلَ مُظَفَّرُ الدينِ كُوكُبُورِى[1] وصحبتَه صاحبُ مَراغةَ لقتالِ ملكِ أذْرَبِيجانَ ، وهو أبو بكرِ بنُ البَهلَوانِ[2] ؛ وذلك لنُكولِه عن قِتالِ الكُرْجِ ، وإقبالِه على السُّكْرِ ليلًا ونهارًا ، فلم يقْدِرُوا عليه ، ثم إنَّه تزوَّجَ فى هذه السنةِ بنتَ ملكِ الكُرجِ ، فانْكَفَّ شرُّهم عنه . قال ابنُ الأثيرِ[3] : [٣٣١/٩و] وكان كما يقالُ : أغمَد سيفَه وسلَّ أيْرَه .

وفيها استَوزَرَ الخليفةُ نصيرَ الدينِ ناصرَ بنَ مهدِىٍّ العَلَوىَّ الحَسَنىَّ ، وخلَع عليه بالوِزارَةِ وضُرِبتِ الطُّبولُ بينَ يديْه وعلى بابِه فى أوقاتِ الصلواتِ . وفيها أغارَ صاحبُ بلادِ الأرْمَنِ ، وهو ابنُ لاوُنَ[4] على بلادِ حلبَ ، فقتَل وسبَى ونهَب ، فخرَج إليه الملكُ الظاهِرُ غازى بنُ الناصرِ ، فهرَب ابنُ لاونَ بينَ يدَيْه ، فهدَم الظاهرُ قلعةً كان قد بنَاها ، ودَكَّها إلى الأرضِ .

وفى شعبانَ منها هُدِمتِ القَنْطرةُ الرومانيةُ التى كانت عندَ البابِ الشرقىِّ ، ونُشِرتْ حِجارتُها ليُبَلَّطَ بها الجامِعُ الأُموىُّ بسِفارَةِ الوزيرِ صَفِىِّ الدينِ بنِ شُكْرٍ ، وزيرِ العادلِ ، وكمَل تبليطُه فى سنةِ أربعٍ وسِتِّمائةٍ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

شَرَفُ الدينِ أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ علىٍّ ، جمالِ الإسلامِ

---

(١) فى النسخ : « كوكرى » . وفى الكامل ١٢/ ٢٣٦، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١٧٥: « كوكبرى » . والمثبت من وفيات الأعيان ٤/ ١١٣، والعبر ٥/ ١٢١، وشذرات الذهب ٥/ ١٣٨.

(٢) فى الأصل ، م: « البهلول » . وانظر الكامل ١٢/ ٢٤٢ .

(٣) الكامل ١٢/ ٢٤٢.

(٤) فى الكامل ١٢/ ٢٣٨، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١٧٦: « ليون » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ٩.

الشَّهْرَزُورِىُّ[1] ، بمدينةِ حِمْصَ ، وقد كان أُخرِج إليها مِن دمشقَ ، وكان قبلَ ذلك مُدرِّسًا بالأمِينِيَّةِ[2] والحلْقةِ بالجامعِ تُجاهَ البرّادَةِ ، وكان لديه علمٌ جيِّدٌ بالمذهبِ والخِلافِ .

التَّقِىُّ عيسى بنُ يُوسُفَ بنِ أحمدَ العراقىُّ الغرَّافىُّ الضَّريرُ[3] ، مدرِّسُ الأمِينيةِ أيضًا ، كان يسكُنُ المنارَةَ الغربيةَ ، وكان عندَه شابٌّ يخدُمُه ويقودُ به ، فعُدِم للشيخِ دراهمُ فاتَّهَم هذا الشابَّ بها ، فلم يَثبُتْ له عندَه شىءٌ ، واتُّهِم به الشيخُ ، ولم يكُنْ يظُنُّ الناسُ أنَّ عندَه مِن المالِ شيئًا ، فضاعَ المالُ ، واتُّهِمَ عِرْضُه ، فأصبَح يومَ الجُمُعةِ السابعِ مِن ذى القَعْدَةِ مشنوقًا ببيتِه بالمئذنةِ الغربيةِ ، فامتنَع الناسُ مِن الصلاةِ عليه ؛ لكونِه قتَل نفْسَه ، فتقَدَّمَ الشيخُ فخرُ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ عساكرَ فصلَّى عليه ، فائْتَمَّ به بعضُ الناسِ . قال أبو شامةَ[4] : وإنَّما حمَله على ما فعَله ذَهابُ مالِه والوقوعُ فى عِرضِه . قال : وقد جرَى لى أختُ هذه القضيَّةِ فعصَمنى اللَّهُ سبحانَه بفضلِه . قال : وقد درَّس بعدَه فى الأمينيَّةِ الجَمَالُ المصرىُّ وكيلُ بيتِ المالِ .

أبو الغَنائمِ الركبسلّارُ[5] **البغدادىُّ** ، كان يخدُمُ مع عزِّ الدينِ نجاحِ

---

(1) التكملة لوفيات النقلة ٣/ ١٢٦، وذيل الروضتين ص ٥٤، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٠٠، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٩٦، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٤٢٨.

(2) منسوبة إلى أمين الدين كمشتكين بن عبد اللَّه المتوفى سنة ٥٤١. الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ١٧٨.

(3) ذيل الروضتين ص ٥٤، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ٨٣، ومرآة الجنان ٤/ ٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٨/ ٣٤٥.

(4) ذيل الروضتين ص ٥٥.

(5) فى الأصل : « المرليسار » ، وفى م : « المركبسهلار » ، وفى ص : « المركبسلار » . والمثبت من تاريخ ابن الساعى ٨٥/٩ . وسلّار : اسم جماعة ، وهى كلمة أعجمية أظنها سالار ، بزيادة الألف ، وهى بالفارسية الرئيس المقدم ، ثم حذفت وشددت اللام . تاج العروس (س ل ر) .

الشَّرابيِّ[1] ، وحصَّل أموالًا جزيلَةً ، كان كلَّما تهيَّأَ له مالٌ اشتَرى به مِلْكًا ، وكتَبه باسمِ صاحبٍ له يعتمِدُ عليه ، فلما حضَرته الوفاةُ أوصَى ذلك الرجلَ أن يتولَّى أولادَه ، ويُنْفِقَ عليهم مِن مِيراثِه مما ترَكه لهم ، فمرِض المُوصَى إليه بعدَ قليلٍ ، فاسْتَدعَى الشُّهودَ ؛ ليُشهِدَهم على نفسِه أنَّ ما في يَدِه لورثةِ أبي الغَنائمِ ، فتَمادَى ورثتُه في إحضارِ الشُّهودِ ، وطَوَّلوا عليه ، وأخَذته سكْتَةٌ ، فمات فاستَوْلَى ورَثَتُه على تلك الأموالِ والأملاكِ ، ولم يعطُوا أولئك شيئًا مما ترَكه أبوهم لهم .

أبو الحسنِ عليُّ بنُ [2]**عليِّ بنِ سعادَةَ**[2] **الفارقيُّ**[3] ، تفَقَّهَ ببغدادَ ، وأعادَ بالنِّظاميَّةِ ونابَ في تدريسِها ، واستَقَلَّ بتَدريسِ المدرسةِ التي أنشَأتْها أمُّ الخليفةِ وأُريد على نِيابةِ القَضاءِ عن أبي طالبٍ [4]عليِّ بنِ عليٍّ[4] البخاريِّ ، فامتنَع ، فأُلزِم به فباشَرَه قليلًا ، ثم دخَل يومًا إلى مسجدٍ فلَبِس على رأسِه مِئْزَرَ صُوفٍ ، وأمَر الوُكلاءَ والجَلاوِذَةَ أن ينصرِفوا [٩/٣٣١ظ] عنه ، وأشهَد على نفسِه بعزلِها عن نِيابَةِ القَضاءِ ، واستمَرَّ على الإعادةِ والتدريسِ ، رحِمه اللَّهُ .

وفي يومِ الجمُعةِ العشرين مِن ربيعِ الأوَّلِ تُوفِّيَت :

الخاتُونُ[5] **أمُّ السلطانِ الملكِ المعَظَّمِ عيسى بنِ العادلِ** ، فدُفِنت بالقُبَّةِ بالمدرسةِ المُعظَّميَّةِ بسفحِ قاسِيونَ .

---

(١) في م : « السراى » .

(٢ - ٢) في م : « سعاد » . وانظر ترجمته في : الكامل ١٢/ ٢٤٣، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ٩٩، وطبقات الشافعية للسبكى ٨/ ٢٩٥، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٢٥٥.

(٣) في الأصل : « القارى » ، وفي م : « الفارسى » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) ذيل الروضتين ص ٥٤، والدارس في تاريخ المدارس ١/ ٥٨١.

الأَمِيرُ مُجيرُ الدِّينِ طاشْتِكِين المُسْتَنْجِدِيُّ[1] أميرُ الحاجِّ وزَعِيمُ بلادِ خُوزِسْتَانَ ، كانَ شَيْخًا خَيِّرًا حسَنَ السِّيرَةِ ، كثيرَ العِبادَةِ ، غاليًا فى التَّشَيُّعِ ، تُوفِّى بتُسْتَرَ ثانى جُمادَى الآخرةِ من سنةِ ثِنتين وستِّمائةٍ ، وحُمِل تابُوتُه إلى الكوفةِ فدُفِن بمشهَدِ علىٍّ ، بوصيةٍ منه ، هكذا ترجَمه ابنُ السَاعِى فى « تاريخِه »[2] ، وذكَر أبو شامةَ فى « الذَّيْلِ »[3] أنَّه طاشْتِكِين بنُ عبدِ اللَّهِ المُقْتَفَوِىُّ أمِيرُ الحاجِّ ، حَجَّ بالناسِ سِتًّا وعِشْرِينَ سنةً ، وكان يكونُ فى الحِجَازِ كأنَّه مَلِكٌ ، وقد رمَاه الوزيرُ ابنُ يُونُسَ بأنَّه يُكاتِبُ صلاحَ الدينِ فحبَسه الخليفةُ ، ثم تبيَّنَ له بُطلانُ ما ذُكِر عنه فأطلَقه ، وأعْطَاه خُوزِسْتانَ ، ثم أعادَه إلى إمْرَةِ الحجِّ ، وكانتِ الحِلَّةُ السيفيةُ[4] إقطاعَه ، وكان شُجاعًا جوادًا سَمْحًا ، قليلَ الكلامِ ، يَمضِى عليه الأسبوعُ لا يتَكلَّمُ فيه بكلمةٍ ، وكان فيه حِلْمٌ واحتمالٌ ، اسْتغاث به رجُلٌ على بعضِ نُوَّابِه فلمَ يَرُدَّ عليه ، فقال له المُسْتَغيثُ : أَحِمارٌ أنتَ ؟ فقال : لا . وفيه يقولُ ابنُ التعاوِيذِىِّ[5] :

وأمِيرٌ على البلادِ مُوَلًّى ... لا يجيبُ الشَّاكِى بغيرِ السُّكوتِ

كلَّما زادَ رِفْعةً حطَّنا اللـ ... ـهُ بتغفيلِهِ إلى البَهْمُوتِ

---

(١) الكامل ١٢/ ٢٤١، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٥٢٧، وذيل الروضتين ص ٥٣، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ٩٢، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٩٠، وشذرات الذهب ٥/ ٨.

(٢) تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٨٦.

(٣) ذيل الروضتين ص ٥٣.

(٤) فى الأصل ، م : « الشيعية » . وكذا وقع هذا التحريف فى ذيل الروضتين ص ٥٣، وتحرفت فى ص إلى : « السنية » . والحلة السيفية هى حِلَّةُ بنى مَزْيَد ، وتسمى السيفية نسبة إلى سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد الأسدى . وانظر معجم البلدان ٢/ ٣٢٢، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٥٢٧.

(٥) ذيل الروضتين ص ٥٣، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٩٠.

وقد سرَق فَرّاشُه حياصةً له ، فأرادُوا أن يسْتَقِرُّوا الفرّاشَ عليها ، وكان قد رَآه الأميرُ طاشْتِكِين وهو يأخُذُها ، فقال : لا تُعاقِبُوا أحدًا ، فإنه أخَذها مَن لا يَرُدُّها ، ورَآه مَن لا يَنُمُّ عليه . وقد كان بلَغ مِن العُمرِ تسعين سنَةً ، واتَّفَق أنَّه استأجَر أرضًا مدَّةَ ثلاثِمائةِ سنةٍ للوَقْفِ ، فقال فيه بعضُ المُضْحِكينَ : هذا لا يُوقِنُ بالموتِ ؛ عُمرُه تسعون سنةً واسْتَأجَر أرضًا ثلاثَمائةِ سنةٍ . فاسْتَضحَكَ القوم .

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وستّمائةٍ

فيها[1] جرت أمورٌ طويلةٌ ببلادِ المشرقِ بينَ الغُوريَّةِ والخُوارِزْميَّةِ ، ومَلَك خُوارِزْم شَاه محمدُ بنُ تِكِشَ بلادَ الطَّالَقانِ . وفيها وَلَّى الخليفةُ قضاءَ القُضاةِ ببغدادَ لعمادِ الدينِ أبى القاسمِ عبدِ اللَّهِ بنِ الدَّامَغانيِّ .

وفيها قبَض الخليفةُ على عبدِ السلامِ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ الشيخِ عبدِ القادرِ الجِيلانيِّ[2] ، بسببِ فِسْقِه وفُجورِه ، وقد أُحْرِقتْ كتبُه وأموالُه قبلَ ذلك ؛ لِمَا فيها مِن كتبِ الفلاسفةِ ، وعلومِ الأوائلِ ، وأصبَح يسْتَعْطِى منَ الناسِ ، وهذا بخَطيئةِ قيامِه على الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ ؛ فإنَّه هو الذى كان وشَى به إلى الوزيرِ ابنِ القَصّابِ حتى أُحْرِقَت بعضُ كُتُبِ ابنِ الجوزىِّ ، وخُتِم على بقِيَّتِها ، ونُفِىَ إلى واسِطٍ خمسَ سنينَ ، كما تقدَّم بيانُ ذلك[3] ، والناسُ يقولون : فى اللَّهِ كِفايةٌ . وفى القرآنِ : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[الشورى : ٤٠] . والصُّوفيَّةُ يقولون : الطريقُ تأخُذُ حقَّها . والأطباءُ يقولون : الطَّبيعةُ مُكافِئةٌ .

وفيها نازلَتِ الفِرنجُ حِمصَ فقاتَلَهم مَلِكُها أسدُ الدينِ شِيرِكُوه بنُ ناصرِ الدينِ محمدِ بنِ أسدِ الدينِ شِيرِكُوه الكبيرِ ، وأعانَه بالمَدَدِ المَلِكُ الظاهرُ صاحبُ حلَبَ ،

---

(١) الكامل ١٢/ ٢٤٥، وذيل الروضتين ص ٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٤.

(٢) فى الأصل، ص: «الكيلانى». قال فى الأنساب ٢/ ١٤٥: الجيلى بكسر الجيم وسكون الياء المنقوطة باثنين من تحتها ، هذه النسبة إلى بلاد متفرقة وراء طبرستان ، ويقال لها : كِيل ، وكِيلان . فعربت ونسب إليها ، وقيل : جِيلىّ وجِيلانىّ .

(٣) تقدم فى ص ٦٦٥ .

فكَفَّ اللَّهُ شرَّهم . ولِلَّهِ [٩/ ٣٣٢و] الحمدُ والمِنَّةُ .

وفيها اجتمَع شابَّانِ ببغدادَ على الشرابِ ، فضرَب أحدُهما الآخرَ بسكِّينٍ فقتَله وهرَب ، فأُخِذ فقُتِل ، فوُجد معه رُقْعَةٌ فيها بيتان مِن نَظْمِه أمَر أن تُجْعَلَ بينَ أكفانِه ، وهما قولُه[1] :

قَدِمتُ على الكَريمِ بغيرِ زادٍ ... مِن الأعمالِ بالقلْبِ السَّليمِ

وسوءُ الظَّنِّ أنْ تعْتَدَّ زادًا ... إذا كانَ القُدومُ على كريمِ

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الفَقِيهُ أَبو منصورٍ عبدُ الرحمنِ بنُ الحسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ النُّعْمانِ النِّيلىُّ[2] ، والملَقَّبُ بالقاضِى شُرَيْحٍ ، لِذَكائِه وفضلِه وبراعتِه وعقلِه وكمالِ أخلاقِه ، ولِىَ قَضاءَ بلَدِه ، ثم قَدِم بغدادَ ، فنُدِب إلى المناصبِ الكبارِ فأبَاها ، فحلَف عليه الأميرُ طاشتِكِين أن يعمَلَ عندَه فى الكتابةِ ، فخدَمه عشرين عامًا ، ثم وشَى به الوزيرُ ابنُ مهدىٍّ إلى الخليفةِ ، فحبَسه فى دارِ طاشتِكِين إلى أن تُوفِّى فى هذه السنةِ ، ثم إنَّ الوزيرَ عمَّا قريبٍ حُبِس بها أيضًا ، وهذا من العَجَبِ الغريبِ .

عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ الشيخِ عبدِ القادرِ[3] ، كان ثقةً عابدًا زاهدًا وَرِعًا ، لم يكُنْ فى إخوتِه خيرٌ منه ، لم يدخُلْ فيما دخَلُوا فيه مِن المناصبِ والولاياتِ ، بل كان

---

(١) البيتان فى الكامل ١٢/ ٢٥٧، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٠٠، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٩٢ - ١٩٣.
(٢) فى م : « النبلى . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/ ٢/ ٥٣١، وذيل الروضتين ص ٥٨، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١١٧، والوافى بالوفيات ١٨/ ١٣٦. والنِّيلى : نسبة إلى النيل ، وهى بُليدة على الفرات بين بغداد والكوفة . الأنساب ٥/ ٥٥١.
(٣) ذيل الروضتين ص ٥٨، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٢١٤، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١١٩، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٨٥، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٠.

مُتَقَلِّلًا مِن الدنيا ، مُقْبِلًا على الآخرةِ ، وقد سمِع الكثيرَ ، وسُمِع عليه أيضًا .

أبو الحَرَمِ مَكِّىُّ بنُ ريّانَ[(١)] بنِ شَبَّةَ بنِ صالحٍ المَاكِسِينىُّ[(٢)] ، مِن أعمالِ سِنْجارَ ، ثم المَوْصِلِىُّ النحوىُّ ، قَدِم بغدادَ ، وأخَذ عن ابنِ الخشَّابِ ، وابنِ القَصَّارِ ، والكمالِ الأنْبارىِّ ، وقدِم الشامَ ، فانتفَع به خَلْقٌ عظيمٌ ؛ منهم الشيخُ علمُ الدينِ السَّخاوِىُّ وغيرُه ، وكان ضريرًا يتعصَّبُ لأبى العلاءِ المعَرِّىِّ ؛ لما بينَهما مِن القَدْرِ المُشْتَرَكِ فى الأدبِ والعَمَى ، ومِن شعرِه[(٣)] :

إذا احتاجَ النَّوالُ إلى شَفِيعٍ فلا تَقْبَلْهُ تُضْحِ قريرَ عَيْنِ
إذا عِيفَ النَّوالُ لفَرْدِ مَنٍّ فأَوْلى أن يُعافَ لِمنَّتَيْنِ

ومِن شعرِه أيضًا[(٤)] :

نفسى فِداءٌ لأَغْيَدٍ غَنِجٍ قال لنا الحَقَّ يومَ ودَّعَنا
مَنْ ودَّ شيئًا مِن حُبِّهِ طمعًا فى قُبْلةٍ للوَداعِ ودَّ عَنَا

إقبالٌ الخادِمُ ، جمالُ الدينِ[(٥)] ، أحدُ خُدّامِ الملكِ صلاحِ الدينِ ، واقِفُ

---

(١) فى م : « زيان » . وكذا وقع فى معجم الأدباء ١٩/ ١٧١، وقد نصَّ أبو شامة فى الذيل ص ٥٨، ٥٩ على أنه : ربان ، بالراء والباء الموحدة ، أما ابن خلكان فى الوفيات ٥/٢٨٠ فنصّ على أنه : ريان ، بالراء والياء المثناة .

(٢) معجم الأدباء ١٩/ ١٧١، والكامل ١٢/٢٥٨، وإنباه الرواة ٣/ ٣٢٠، وذيل الروضتين ص ٥٨، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٢١٦، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٧٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٣٣.

(٣) معجم الأدباء ١٩/ ١٧٢، وذيل الروضتين ص ٥٩، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٧٩.

(٤) تاريخ ابن الساعى ٩/ ٢١٧.

(٥) ذيل الروضتين ص ٥٩، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١١٠، والوافى بالوفيات ٩/ ٣٠٤. وفى مصادر ترجمته أنه يلقب : جمال الدولة ، عدا نهاية الأرب ففيه : جمال الدين . فالله أعلم .

الإقْباليَّتَيْنِ ؛ الشافِعيةِ والحنفِيةِ ، وكانتا دارَيْنِ له فجعَلَهما مدرستين ، ووقَف عليهما وقفًا ؛ الكبيرةَ للشافعيةِ ، وعليها ثلثا الوقفِ ، والصغيرةَ للحنفيَّةِ ، وعليها ثُلثُ الوقْفِ . وكانت وفاتُه بالقُدْسِ ، رحِمه اللَّهُ .

ثم دخَلَتْ سنةُ أَرْبَعٍ وسِتّمائةٍ

فيها[1] رجَعَ الحاجُّ إلى العراقِ وهم يدْعُونَ اللَّهَ ، ويشتَكون إلى الناسِ ما لقَوا مِن صَدْرجهان البُخارِىِّ الحَنفِىِّ ، الذى كانَ قَدِمَ بغْدَادَ فى رِسالَةٍ ، فاحْتَفَل به الخليفةُ ، وخرَج إلى الحجِّ فى هذه السَّنَةِ ، فضَيَّقَ على الناسِ فى المياهِ والمِيرَةِ ، فماتَ نحوٌ مِن سِتَّةِ آلَافٍ مِن الحجيجِ العراقىِّ بسببِه فى هذه السنةِ . وكان - فيما ذُكِر - يَسْبِقُ غِلمانُه إلى المناهِلِ فيتحجّرون على الماءِ ، ويأْخُذونه فيرشُّونَ حولَ خَيْمَةِ مخدومِهم فى قَيْظِ الحِجَازِ ، ويسْقُونَ البُقولاتِ التى تُحْمَلُ معه فى تُرابِها ، ويَمْنَعُونَ منه ابنَ السَّبيلِ ، الآمِّينَ البيتَ الحرامَ ، فلمَّا رجَعَ [٩/٣٣٢ظ] مع الناسِ لعَنَتْه العامَّةُ ، ولم تحْتَفِلْ به الخاصَّةُ ، ولا أكْرَمَه الخليفةُ ، ولا أرْسَل إليه أحدًا ، وخرَج مِن بَغْدَادَ والعامَّةُ مِن وَرائِه يرْجُمونَه ويلْعَنُونَه ، وسمَّاه الناسُ : صدْرَ جَهَنَّمَ . نعُوذُ باللَّهِ مِن الخِذْلانِ .

وفيها قبَضَ الخليفةُ على وزيرِه ابنِ مَهْدِىٍّ العَلَوِىِّ ؛ وذلك لأنَّه نُسِبَ إليه أنَّه يرومُ الخِلافَةَ ، وقيل غيرُ ذلك مِن الأسْبابِ ، والمقْصودُ أنَّه حُبِسَ بدارِ طاشْتِكِين حتى ماتَ بها ، وكان جبَّارًا عنِيدًا ، يَذُمُّه الشعراءُ حتى قالَ بعْضُهم فيه[2] :

خَلِيلَىَّ قُولَا للخليفةِ أحمدٍ ... تَوَقَّ وُقِيتَ السُّوءَ ما أنتَ صانِعُ

وزِيرُكَ هذَا بينَ أمْرَيْنِ فيهما ... صَنِيعُكَ يا خيْرَ البرِيَّةِ ضائِعُ

---

(١) الكامل ١٢/ ٢٥٩، وذيل الروضتين ص ٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ١٥ .

(٢) الأبيات فى ذيل الروضتين ص ٦٠ .

فإنْ كان حَقًّا مِن سُلالةِ حَيْدَرٍ   فـهـذا وَزِيرٌ فى الخلافَةِ طامِعُ
وإنْ كان فيما يدَّعِى غيرَ صادقٍ   فأضْيعُ ما كانتْ لَديْه الصنائِعُ

وقيل : إنَّه كان عفيفًا عن الأمْوالِ ، حسَنَ السِّيرةِ ، جيِّدَ المُباشرَةِ . فاللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ بحالِه .

وفى رَمَضانَ رتَّبَ الخليفةُ ببغدادَ عِشْرينَ دارًا للضِّيافَةِ يُفْطِرُ فيها الصَّائمون مِن الفُقَراءِ ، يُطْبَخُ فى كلِّ يومٍ فيها طعامٌ كثيرٌ ، ويُحْمَلُ إليها مِن الخُبْزِ النَّقىِّ والحَلْواءِ شىءٌ كثيرٌ أيضًا - فجزاه اللَّهُ خيرًا - وهذا الصَّنيعُ يُشْبِهُ ما كانتْ تفعَلُه قريشٌ مِن الرِّفادَةِ فى زَمَنِ الحجِّ ، وكان يتولَّى ذلك عمُّه أبو طالبٍ[1] ، كما كان جَدُّه العبَّاسُ يتولَّى السِّقايَةَ ، وقد كانتْ فيهم السِّفارَةُ واللِّواءُ والنَّدْوَةُ ، كما تقدَّم بَيانُ ذلك فى مَواضعِه ، وقد صارَتْ هذه المَناصِبُ كلُّها على أتمِّ الأحْوالِ فى الخُـلَفاءِ العبَّاسيِّين ، رحِمهم اللَّهُ .

وفيها أرْسَل الخليفةُ الشيخَ شِهابَ الدِّينِ السُّهْرَوَرْدِىَّ وفى صُحْبتِه سُنْقُرُ السِّلِحْدَارُ إلى الملكِ العادِلِ بالخِلْعةِ السَّنِيَّةِ ، وفيها الطَّوْقُ والسِّوارَانِ ، وإلى جميعِ أوْلادِه بالخِـلَعِ أيضًا .

وفيها مَلَكَ الأوْحدُ بنُ العادِلِ صاحبُ مَيَّافارِقِينَ مدِينةَ خِلاطَ بعدَ قتلِ صاحبِها ابنِ بَكْتَمُرَ ، وكان شابًّا جميلَ الصُّورةِ جدًّا ، قتَله بعْضُ مَماليكِهم ، ثم قُتِلَ القاتلُ أيضًا ، فخلَا البَلَدُ عن مَلِكٍ ، فأخَذَها الأوْحَدُ بنُ العادِلِ ، كما ذكَرنا .

وفيها مَلَكَ خُوارِزْم شَاه محمدُ بنُ تِكِشَ بلادَ ما وراءَ النَّهْرِ مِن الخِطا بعدَ حُروبٍ طويلةٍ .

---

(١) أى عم الخليفة ؛ لأن الخليفة ينتهى نسبه إلى عبد اللَّه بن عباس ، وأبو طالب عم عبد اللَّه بن عباس .

اتَّفقَ فى بعْضِ الأيامِ أمْرٌ عجيبٌ[1] ؛ وهو أنَّ المُسلمين انْهَزَمُوا عن السلطانِ خُوارِزْم شَاه فى بعضِ المواقفِ ، وبَقِىَ هو ومعه عِصابَةٌ قليلَةٌ مِن أصْحابِه ، فقتَل منهم الكُفَّارُ مِن الخِطا مَنْ قتَلُوا ، وأسَرُوا خَلْقًا منهم ، وكان السُّلْطانُ خُوارزْم شَاه فى جملَةِ مَنْ أُسِرَ ؛ أسَرَه رجُلٌ وهو لا يشْعُرُ به ولا يدْرِى أنَّه المَلِكُ ، وأسَر معه أمِيرًا يقالُ له : ابنُ مسْعودٍ . فلمَّا وقَع ذلك وتراجَعَت العسَاكِرُ الإسْلاميَّةُ إلى مقَرِّها ، فقَدُوا مِن بينِهم السُّلْطانَ ، فاختبَطُوا فيما بينَهم ، واخْتَلَفُوا اخْتِلافًا كثيرًا ، وانْزَعَجتْ خُراسَانُ بكَمالِها ، ومِن الناسِ مَن ظنَّ أنَّ السُّلْطانَ قد قُتِلَ .

وأمَّا ما كان مِن السلطانِ وذاك الأمِيرِ ؛ فإن الأميرَ قال للسُّلْطانِ : إنى أرَى مِن المَصْلحَةِ أنْ تَتْرُكَ المُلْكَ عنك فى هذه الحالةِ ، وتُظْهِرَ أنَّك غُلامٌ لى . فقَبِل منه ما أشار به ، وجعَل يَخْدُمُه ، ويُلْبِسُه ثِيابَه ، ويسْقِيه [٣٣٣/٩و] ويضَعُ الطَّعامَ بينَ يدَيْه ، ولا يأْلُو جهدًا فى خِدْمَتِه ، فقال الذى أسَرهُما : إنِّى أرَى هذا يخْدُمُك ، فمَنْ أنتَ ؟ فقالَ : أنا ابنُ مسعودٍ الأميرُ ، وهذا غُلامِى ، فقال : واللَّهِ لولا عِلْمُ الأمراءِ بأنى قد أسَرْتُ أمِيرًا لأَطْلَقْتُك . فقال : إنِّى إنَّما أخْشَى على أهْلِى ، فإنَّهم يظُنُّونَ أنِّى قد قُتِلْتُ ويُقيمُونَ المأْتَمَ ، فإنْ رأَيْتَ أنْ تُفادِيَنِى على مالٍ ، وتُرْسِلَ مَنْ يقْبِضُه منهم فعَلْتَ خيْرًا . فقال : نعم . فعيَّنَ رجُلًا مِن أصحابِه ، فقال ابنُ مسْعودٍ : إنَّ أهْلِى لا يعْرِفون هذا ، ولكِنْ إنْ رأيْتَ أنْ أُرْسِلَ معه غُلامِى ؛ ليُبَشِّرَهم بحَياتى ، ويأْمُرَهم بتحصيلِ المالِ . فقال : نعم . فجهَّزَ معهما مَنْ يحْفَظُهما إلى مدينةِ خُوارِزْمَ .

فلمَّا اقترَبوا مِن مدينَةِ خُوارِزْمَ سبَقَه المَلِكُ إليها ، فلمَّا رآه الناسُ فرِحُوا فرَحًا شديدًا ، ودَقَّتِ البَشائرُ فى سائرِ بلادِه ، وعادَ المَلِكُ إلى نِصابِه ، واسْتَقرَّ السُّرورُ

(١) الكامل ٢٦٣/١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٥.

بإيَابِه ، وأصلَح ما كان وَهَى مِن مَمْلَكَتِه بسبَبِ ما كان اشْتَهَر مِن عَدَمِه ، وحاصَر هَراةَ وأخَذها عَنْوَةً .

وأمَّا الذى كان قد أسَره ، فإنَّه قال يومًا لابنِ مسعُودٍ : إنّ الناسَ ينُوحُونَ أنَّ خُوارِزْم شَاه قد عُدِم . فقال : لا ، هو الذى كان فى أسْرِكَ . فقال له : فهَلَّا أعْلَمْتَنى به حتى كنتُ أرُدُّه مُوَقَّرًا معَظَّمًا ! فقال : خِفْتُكَ عليه . فقال : سِرْ بنا إليه . فسارا إليه فأكْرَمَهما إكْرامًا زائدًا ، وأحْسَنَ إليهما .

وفيها غدَرَ صاحِبُ سَمَرْقَنْدَ ، فقتَل كلَّ مَنْ كان ببلدِه مِن الخُوارِزْمِيَّةِ ، حتى كان الرجلُ يُقْطَعُ قِطْعتَيْنِ ، ويُعلَّقُ فى السُّوقِ كما تُعلَّقُ الأغْنامُ ، وعزَمَ على قَتْلِ زوْجَتِه بنْتِ خُوارِزْم شَاه ، ثم رجَع عن قتلِها ، وحصَرها وحبَسها فى قلعةٍ وضَيَّق عليها ، فلمّا بلَغ الخبرُ إلى الملكِ خُوارِزْم شاه سارَ إليه فى الجُنودِ فنَازَلَه وحاصَر سَمَرْقَنْدَ ، فأخَذَها قَهْرًا ، وقتَل مِن أهْلِها نحْوًا مِن مِائَتَىْ ألْفٍ ، وأنْزَلَ المَلِكَ مِن القَلْعَةِ ، وقُتِل صَبْرًا بيـنَ يدَيْه ، ولم يتْرُكْ له نَسْلًا ولا عَقِبًا ، واسْتَحوَذَ خوارِزْم شَاه على تلكَ المَمالِكِ التى هنالك .

وفيها تحارَبَ الخِطا وملكُ التَّتارِ كشلى خان المُتاخِمُ لمَمْلَكَةِ الصِّينِ ، فكتَبَ ملكُ الـخِطا إلى خوارِزْم شَاه يسْتَنْجِدُه على التَّتارِ ، ويقولُ : متَى غلَبُونا خلَصُوا إلى بلادِكَ . وكذا وقَع . وكتَبَ التَّتارُ إليه أيضًا يَسْتَنصِرونَه على الخِطا ويقولُونَ : هؤلاء أعْداؤُنا وأعْداؤُك ، فكُنْ معَنا عليهم . فكتَب إلى كلٍّ مِنَ الفَرِيقَيْنِ يُطيِّبُ قلْبَه ، وحضَرَ الوَقْعَةَ بيْنَهم وهو مُتَحَيِّزٌ عن الفرِيقَيْنِ ، فكانتِ الدَّائرةُ على الخِـطا ، فهَلَكُوا إلَّا القليلَ منهم . وغدَرَ التَّتارُ ما كانُوا عاهَدُوا عليه خُوارِزْم شَاه ، فوقَعتْ بينهما الوَحْشَةُ الأكِيدَةُ ، وتَواعَدُوا للقتالِ ، وخاف منهم خُوارِزْم شَاه ،

وخرَّبَ بِلادًا كثيرةً مُتاخِمَةً لبلادِ كشلى خان ؛ خوْفًا عليها أنْ يَمْلِكَها ، ثم إنَّ جِنْكِزخان خرَج على كشلى خان ، فاشْتَغَل بمُحارَبَتِه عن مُحارَبَةِ خُوارِزْم شَاه ، ثم وقَعَ مِن الأمُورِ الغريبَةِ ما سنَذْكُرُه ، إنْ شاءَ اللَّهُ تعالَى .

وفيها كثُرَت غاراتُ الفِرنْجِ مِن طَرابُلُسَ على نَواحِى حِمْصَ ، فضَعُفَ صاحِبُها أسَدُ الدِّينِ شِيرِكُوه عن مُقاوَمَتِهم ، فبَعَثَ إليه الظاهِرُ صاحِبُ حَلَبَ [٣٣٣/٩ظ] عسكرًا قوَّاه بهم على الفِرنْجِ .

وخرَجَ الملكُ العادِلُ مِن الديارِ المصريَّةِ فى العسَاكرِ الإسلامِيَّةِ ، وأرْسَلَ إلى جُيوشِ الجزيرَةِ العُمريَّةِ فَوافَوه على عَكَّا فحاصَرها ؛ لأنَّ القَبارِسَةَ كانوا قد أخَذُوا مِن أُسْطولِ المُسْلِمين قِطعًا فيها جماعَةٌ مِن المسلمينَ ، فطلَبَ صاحِبُ عَكَّا الأمَانَ والصُّلْحَ على أنْ يَرُدَّ الأُسارَى ، فأجابَه إلى ذلك ، وسارَ العادِلُ فنزَلَ على بُحَيْرَةِ قَدَسَ قريبًا مِن حِمْصَ ، ثم سارَ إلى بلادِ طَرابُلُسَ ، فأقامَ بها اثْنَىْ عشَرَ يومًا يقْتُلُ ويأْسِرُ ويغْنَمُ ، وخرَّب تلك البلدانَ الأَطْرابُلُسيَّةَ ، حتى جنَحَ الفِرنْجُ إلى المُهادَنَةِ ، ثم عادَ إلى دِمَشْقَ مؤيَّدًا منصورًا مسرورًا محبورًا .

وفيها مَلَكَ صاحِبُ أذْرَبيجَانَ وهو الأميرُ نُصْرةُ الدينِ أبو بكرِ بنُ البَهْلوانِ مدِينةَ مَراغَةَ ؛ وذلك لخُلُوِّها عن مَلِكٍ قاهرٍ ، فإنَّ مَلِكَها ماتَ ، وقامَ بالمُلْكِ بعدَه ولَدٌ له صغيرٌ ، فدَبَّرَ أمْرَه خادِمٌ له .

وفى غُرَّةِ ذِى القَعْدَةِ[١] شَهِدَ مُحْيِى الدِّينِ أبو محمدٍ يُوسُفُ بنُ عبدِ الرحمنِ ابنِ الجَوْزِىِّ عندَ قاضِى القُضاةِ أبى القاسِمِ بنِ الدَّامَغانِىِّ ، فقَبِلَه ووَلَّاه حِسْبَةَ جانِبَىْ بَغْدَادَ ، وخلَعَ عليه خِلْعَةً سَنِيَّةً سَوْداءَ بطَرْحَةٍ كُحْلِيَّةٍ ، وبعدَ عشَرَةِ أيامٍ

---

(١) تاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٣١.

جلَسَ للوَعْظِ مَكانَ أبيه أبى الفرجِ ببَابِ بدرٍ الشَّريفِ ، وحضَرَ عندَه خَلْقٌ كثيرٌ . وبعدَ أرْبَعَةِ أيامٍ مِن يَوْمِئذٍ درَّسَ بمَشْهَدِ أبى حَنيفةَ ضِياءُ الدِّينِ أحمدُ بنُ مسْعودٍ التُّرْكُسْتانىُّ[1] الحنفىُّ ، وحضَرَ عندَه الأعْيانُ والأكابرُ .

وفى رَمَضانَ منها وصَلَتِ الرُّسُلُ مِن الخليفةِ إلى العادِلِ بالخِلَعِ ، فلَبِسَ هو ووَلَدَاه المُعَظَّمُ والأشْرَفُ ووَزيرُه صَفِىُّ الدينِ بنُ شُكْرٍ ، وغيرُ واحدٍ مِن الأُمَراءِ الخِلَعَ السَّنِيَّةَ الخليفيَّةَ ، ودخَلُوا إلى القَلْعَةِ وقْتَ صلاةِ الظهرِ مِن بابِ الحديدِ ، وقرأ التَّقْليدَ الوَزيرُ وهو قائمٌ ، وكان يومًا مشْهُودًا .

[2]وفيها رُكِّبَتِ الساعاتُ بمئذنةِ العروسِ بالجامعِ الأُمَوىِّ ، وشرَعوا فى بناءِ الدَّرَجِ التى تُجاهَ المدرسةِ القيْمازيَّةِ[2] .

وفيها درَّس الشيخُ شرفُ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ زَيْنِ القُضاةِ عبدِ الرَّحْمنِ بنِ سلطانَ بالمَدْرَسَةِ الرَّواحِيَّةِ بدِمَشْقَ .

وفيها انْتقَلَ الشيخُ ابنُ الحُبَيْرِ البَغْدادِىُّ مِنَ الحَنْبَلِيَّةِ إلى مذهبِ الشافعىِّ ، ودرَّسَ بمَدْرَسةِ أُمِّ الخليفةِ ، وحضَرَ عندَه الأكابرُ والعلماءُ مِن سائرِ المذاهبِ .

ومِمن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الأميرُ إيتامشُ[3] **بنُ عبدِ اللَّهِ** ، أحدُ أُمَراءِ الخليفةِ النَّاصرِ ، كان مِن ساداتِ الأُمَراءِ دينًا وعقْلًا ونَزاهَةً وعِفَّةً ، سقَاه بعْضُ الكُتَّابِ مِن النَّصارَى سُمًّا ، فمات

---

(1) فى الأصل ، م : « الركسانى » ، وفى ص : « المركسانى » . والمثبت من تاريخ ابن الساعى ٩/ ٣٣٣. وانظر الجواهر المضية ١/ ٣٣١.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .

(3) فى الأصل : « بيامين » وفى ص : « نيامى » وفى م : « بنيامين » ، وانظر ترجمته فى مرآة الزمان ٨/٢/ ٥٣٥ وفيه : « تنامش » ، وذيل الروضتين ص ٦١.

رحِمه اللَّهُ . وكان اسْمُ الذى سقَاه ابنَ ساوَى ، فلما اطَّلَع الخليفةُ على الحالِ سلَّم ابنَ ساوى إلى غِلْمانِ إيتامش فشَفَعَ فيه ابنُ مَهْدِىٍّ الوزيرُ ، وقالَ : إنَّ النَّصارَى قد بذَلُوا فيه خَمْسين ألْفَ دِينارٍ ، فكتَبَ الخليفةُ على رأْسِ الوَرَقةِ[1] :

إنَّ الأُسُودَ أسْودَ الغابِ هِمَّتُها … يومَ الكَرِيهَةِ فى المَسْلُوبِ لا السَّلَبِ

فتَسلَّمه غِلْمانُ إيتامش فقَتَلُوه وحرَقُوه ، وقبَض الخليفةُ بعدَ ذلكَ على ابنِ مَهْدِىٍّ الوزيرِ ، كما تقدَّمَ .

حَنْبَلُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الفَرَجِ بنِ سعَادَةَ الرُّصَافِىُّ الحَنْبَلىُّ[2] ، المُكَبِّرُ بجامعِ المَهْدِىِّ ، راوِى « مُسْنَدِ الإمامِ أحمدَ » عنِ ابنِ الحُصَيْنِ ، عن ابنِ المُذْهِبِ ، عن ابنِ مالكٍ ، عنْ عبـدِ اللَّهِ ، عن أبيه . عُمِّر تِسْعينَ سنَةً ، وخرَج مِن بَغْدَادَ ، فأَسْمَعه [٩/٣٣٤و] بإِرْبِلَ ، واسْتَقدَمه مُلوكُ دِمَشْقَ إليها ، فسَمِعَ الناسُ بها عليه المُسْنَدَ ، وكانَ المُعَظَّمُ يكْرِمُه ، ويأْكُلُ عندَه على السِّماطِ مِن الطَّيِّباتِ ، فتُصِيبُه التُّخَمَةُ كثيرًا ؛ لأَنَّه كان ضَيِّقَ الحالِ ، خَشِنَ العيْشِ ببَغْدَادَ ، وكانَ الكِنْدِىُّ إذا دخَل على المُعَظَّم يسْأَلُ عن حَنْبَلٍ فيقولُ المُعَظَّمُ : هو متْخُومٌ ، فيقولُ : أَطْعِمْه العدَسَ . فيَضْحَكُ المُعَظَّمُ ، ثم أعْطاه المُعَظَّمُ مالًا جزيلا ، وردَّه إلى بَغْدَادَ ، فتُوفِّى بها فى هذه السنةِ ، وكانَ مؤْلدُه سنَةَ عَشْرٍ وخَمْسِمائةٍ ، وكانَ معه ابنُ طَبَرْزدَ ، فتأَخَّرَتْ وَفاتُه عنه إلى سنَةِ سَبْعٍ وسِتِّمِائةٍ .

عبدُ الرَّحمنِ بنُ عِيسَى بنِ أبى الحسَنِ البُزُورىُّ الواعِظُ البَغْدادِىُّ[3] ،

---

(١) ذيل الروضتين ص ٦١.

(٢) التقييد ص ٢٥٩، والكامل ١٢/ ٢٧٨، ومرآة الزمان ٨/٢/٥٣٦، وذيل الروضتين ص ٦٢، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٤٥، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٤٢.

(٣) مرآة الزمان ٨/٢/ ٥٣٧، وذيل الروضتين ص ٦٢، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٤٩، وتاريخ الإسلام =

سمِعَ مِن ابنِ أبى الوَقْتِ وغيرِه ، واشْتَغَل على ابنِ الجَوْزِيِّ بالوعْظِ ، ثم حدَّثَتْه نفْسُه بمُضاهاتِه وشمَخَتْ نفْسُه ، واجْتَمع عليه طائفةٌ مِن أهْلِ بابِ البصرةِ ، ثم تزَوَّجَ فى آخرِ عُمرِه - وقد قارَبَ السَّبْعِينَ - بصَبِيَّةٍ ، فاغْتَسَل فى يومٍ باردٍ ، فانْتفَخَ ذكَرُه ، فماتَ فى هذه السَّنَةِ .

الأَمِيرُ زَيْنُ الدِّينِ قَراجَا الصَّلاحِيُّ[1] صاحِبُ صَرْخَدَ ، كانتْ له دارٌ عندَ بابِ الصَّغيرِ عندَ قَناةِ الزَّلَّاقَةِ ، وتُرْبَتُه بالسَّفْحِ فى قُبَّةٍ على جادَّةِ الطَّريقِ عندَ تُرْبَةِ ابنِ تميرِكَ ، وأقَرَّ العادِلُ ولَدَه يعْقُوبَ على صَرْخَدَ .

عَبْدُ العزيزِ الطَّبِيبُ[2] تُوفِّى فجأَةً ، وهو والِدُ سعْدِ الدِّينِ ، الطَّبيبُ الأَشْرَفِيِّ ، وفيه يقولُ ابنُ عُنَيْنٍ :

فُرادى ولا خلْفَ الخطِيبِ جماعةٌ ... ومَوْتٌ ولا عبدَ العزيزِ طَبِيبُ

وفيها تُوفِّى :

العَفِيفُ ابنُ الدَّرَجِيِّ[3] إمامُ مقْصُورَةِ الحنفيَّةِ الغَرْبِيَّةِ بجامِعِ بنى أُمَيَّةَ .

=(حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٤٩، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٤١، وشذرات الذهب ٥/ ١٧.

(١) مرآة الزمان ٨/ ٢/ ٥٣٨، وذيل الروضتين ص ٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٥٧.

(٢) ذيل الروضتين ص ٦٣.

(٣) كذا ذكره ابن كثير ضمن وفيات هذه السنة متابعًا فى ذلك أبا شامة فى كتابه ذيل الروضتين ص ٦٤، والصواب أنه توفى سنة ٦٦٤هـ، وانظر مصادر ترجمته التالية : العبر ٥/ ٢٧٧، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٢١، والدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٦٠٥- وفيه إشارة إلى أن ابن كثير ذكر العفيف هذا ضمن وفيات ٦٦٤هـ، وباستقراء المخطوطات التى لدينا والمصدر الذى نقل عنه ابن كثير (ذيل الروضتين) يتبين لنا أنه لم يذكره فى غير سنة ٦٠٤هـ- والجواهر المضية ١/ ٣٩٤، وشذرات الذهب ٥/ ٣١٥.

أبو محمدٍ جَعْفَرُ بنُ محمدِ بنِ محمودِ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ يُوسُفَ الإِرْبِليُّ[1] ، كانَ فاضِلًا فى علُومٍ كثيرَةٍ ؛ فى الفِقْهِ على مذهبِ الشَّافعيِّ ، والحِسَابِ والفَرائضِ والهنْدسَةِ والأَدَبِ والنَّحْوِ ، وما يتَعلَّقُ بعُلومِ القُرآنِ العزيزِ وغيرِ ذلك . ومن شعرِه الحسنِ الجيدِ قولُه :

لا يدْفَعُ المرْءُ ما يأْتى بهِ القَدَرُ ... وفى الخُطُوبِ إذَا فكَّرتَ مُعْتَبَرُ

فلَيْس يُنْجِى مِنَ الأَقْدارِ إنْ نزَلَتْ ... رأىٌ وحَزْمٌ ولا خَوْفٌ ولا حَذَرُ

فاسْتَعْمِلِ الصَّبْرَ فى كلِّ الأمُورِ ولا ... تجْزَعْ لشىءٍ فعُقْبَى صَبْرِكَ الظَّفَرُ

كمْ مسَّنَا مرةً عُسْرٌ فصَرَّفَهُ ... صَرْفُ الزمانِ ووالَى بعدَهُ يُسْرُ

لا يَيْأَسِ المرْءُ مِن رَوحِ الإلهِ فما ... (٢ يَيْأَسُ منه إلَّا عُصْبَةٌ كفَرُوا ٢)

إنِّى لأَعْلَمُ أنَّ الدَّهْرَ ذو دُوَلٍ ... وأنَّ يوْمَيْه ذا أمْنٌ وذَا خطَرُ

---

(١) تاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٤٣.

(٢ - ٢) كذا بالنسخ والمصدر، وفى الوزن خلل.

ثم دخلت سنة خَمْسٍ وسِتّمِائةٍ

فى مُحَرَّمِها[1] تكامَل بناءُ دارِ الضيافةِ ببَغْدادَ التى أنْشَأَها الناصِرُ لدِينِ اللَّهِ بالجانبِ الغرْبىِّ مِن بغدادَ للحاجِّ والمارَّةِ ؛ لهم الضِّيافةُ ما دامُوا نازِلينَ بها ، فإذا عزَم أحدُهم على السفرِ منها زُوِّدَ وكُسِى وأُعْطِى بعدَ ذلك كلِّه دِينارًا للسَّفرِ ، جَزاه اللَّهُ خيرًا . وفيها عادَ أبو الخطَّابِ ابنُ دِحْيَةَ الكَلبىُّ مِن رحلَتِه العِراقيَّةِ ، فاجْتازَ بالشَّامِ ، فاجْتمَع فى مجلسِ الوزيرِ صفىِّ الدينِ بنِ شُكرٍ هو والشيخُ تاجُ الدينِ أبو اليُمْنِ زيدُ بنُ الحسنِ الكِنْدِىُّ [٩/ ٣٣٤ظ] شيخُ اللغةِ والحديثِ ، فأوْرَد ابنُ دِحْيَةَ فى كلامِه حدِيثَ الشفاعَةِ حتى انتَهَى إلى قولِ إبْراهِيمَ عليه السلامُ : « إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ »[2] . بفَتْحِ اللَّفْظتينِ ، فقال الكِنْدِىُّ : من وَراءُ وَراءُ . بضَمِّهما ، فقالَ ابنُ دِحْيَةَ للوزيرِ ابنِ شُكْرٍ : منْ ذا ؟ فقالَ : هذا الشيخُ أبو اليُمنِ الكِنْدِىُّ ، فنالَ منه ابنُ دِحْيَةَ ، وكان جريئًا ، فقال الكِنْدِىُّ : هو مِن كلبٍ فنبَح . قال الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ[3] : وكلتا الروايتين محكِيَّتان ، وحُكِى فيهما الجرُّ أيضًا .

وفيها عادَ فخرُ الدينِ ابنُ تَيْمِيَةَ خطيبُ حَرَّانَ مِن الحجِّ إلى بغْدَادَ ، وجلَس ببابِ بدرٍ للوعْظِ ، مكانَ مُحْيِى الدينِ يوسُفَ بنِ الشيخِ أبى الفرجِ ، فقالَ فى

---

(١) ذيل الروضتين ص ٦٤، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٥٨.

(٢) صحيح مسلم ٣٢٩/(١٩٥). وانظر النهاية ١٧٨/٥ .

(٣) ذيل الروضتين ص ٦٥.

كلامِه ذلك :

وابنُ اللَّبُون إذا مالُزَّ في قَرَنٍ لم يستَطِعْ صولةَ البُزْلِ القَنَاعِيسِ[1]

كأنَّه يعرِّضُ بالمحيِي بنِ الجَوْزِيِّ ، لكوْنِه شابًّا ابنَ خَمْسٍ وعِشْرينَ سنةً . واللَّهُ أعلمُ .

وفي يومِ الجُمُعةِ تاسعِ المحَرَّمِ دخَل مَمْلوكٌ إفْرَنْجِيٌّ مِن بابِ مقْصورَةِ جامعِ دِمَشْقَ وهو سَكْرانُ وفي يَدِه سيفٌ مسْلُولٌ ، والناسُ جلُوسٌ ينْتظرونَ صلاةَ الفجرِ ، فمالَ على الناسِ يضْرِبُهم بسَيْفِه ، فقَتَل اثنَيْن أو ثلاثةً ، وضرَب المِنْبَرَ بسَيْفِه فانْكسَر فأُخِذ وأُودِع المارَسْتانَ ، وشُنِقَ في يوْمِه ذلكَ على جسْرِ اللَّبّادِينَ .

وفيها عادَ الشيخُ شِهَابُ الدِّينِ السُّهْرَوَرْدِيُّ مِن دِمَشْقَ بهدَايا الملكِ العادِلِ ، فتلقَّاه الجيشُ ومعه أمْوالٌ كثيرةٌ لنفْسِه أيضًا ، وكانَ قبلَ ذلكَ فقيرًا زاهِدًا ، فلمَّا عادَ مُنِعَ مِن الوعْظِ وأُخِذَتْ منه الرُّبُطُ التي يُباشِرُها ، ووُكِّلَ إلى ما بيَدِه من الأمْوالِ ، فشرَع في تفْريقِها على الفُقراءِ والمَساكينِ ، فاسْتَغْنَى منه خلْقٌ كثيرٌ مِن الفقهاءِ وغيرِهم ، فقالَ المحْيِي ابنُ الجوْزِيِّ في مجلسِه ما معناه : لا حاجَةَ بالرجلِ أن يأخُذَ أمْوالًا من غيرِ حقِّها ، ويصْرِفَها إلى مَنْ يسْتَحِقُّها ، وكانَ ترْكُها أوْلَى به مِن تناوُلِها ، وإنَّما أرادَ أنْ ترْتَفِعَ منزِلَتُه ببذْلِها ، أو يعودَ إلى حالِه كما كانَ ، ولو تُرِك على ما كان يباشِرُه لما بذَلَها ، فلْيَحْذَرِ العبدُ الدُّنْيا فإنَّها خدَّاعةٌ غرَّارَةٌ تسْترِقُّ فُحولَ العُلَماءِ والعبّادِ فضلًا عن العوامِّ والقوادِ . وقد وقَع ابنُ الجوْزِيِّ فيما بعدُ ،

---

(١) لُزَّ في قرن : يقال للبعيرين إذا قرنا في قرن (حبل) واحد قد لُزَّا . البزل : جمع بازل وهو البعير الذى طلع نابه وذلك في السنة الثامنة أو التاسعة . القناعيس : هو من الإبل العظيم الضخم ، وانظر التاج (ق ن ع س) واللسان (ل ز ز) وفيهما البيت منسوب لجرير .

فيما وقعَ فيه السُّهْرَوَرْدِىُّ وأعْظَمَ .

وفيها قصدَتِ الفِرنْجُ مدينةَ حِمْصَ ، وعبَرُوا على العاصِى بجسرٍ أعَدُّوه فى بلادِهم ، فلمَّا أحسَّتْ بهم العَساكِرُ المنصورةُ ركِبُوا فى آثارِهم ، فهرَبُوا منهم ، فقتَلُوا خلْقًا كثيرًا منهم ، وغَنِمَ المُسْلمونَ منهم غَنيمةً جيِّدَةً .

وفيها قُتِلَ صاحبُ الجزيرَةِ ، وكان مِن أسْوأ الناسِ سِيرةً ، وأرْدَاهم سرِيرَةً ، وهو المَلِكُ **سَنْجَرْ شَاه بنُ غازِى بنِ مودودِ بنِ زنكِى بنِ آق سُنقر الأتابِكِىُّ**[1] ، وكان ابنَ عمِّ نُورِ الدِّينِ صاحبِ المَوْصِلِ ، وكان الذى توَلَّى قتْلَه ولَدُه غازِى ، توَصَّلَ إليه حتى دخَل عليه وهو فى الخَلاءِ سَكْرانُ ، فضرَبَه بسكِّينٍ أرْبعَ عشْرَةَ ضرْبةً ، ثم ذبَحه ، وذلكَ كلُّه ليأْخُذَ المُلْكَ مِن بعدِه ، فحرَمَه اللَّهُ ذلك ، فبُويعَ بالمُلْكِ لأخِيه محمودٍ ، وأُخِذَ غازِى هذا العاقُّ لوالدِه فقُتِلَ مِن يوْمِه ، فسَلَبَه اللَّهُ المُلْكَ والحياةَ ، ولكِنْ أراحَ اللَّهُ المسلميـنَ مِن ظُلْمِ أبيه وغشْمِه وفِسقِه ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٩] .

ومِمن تُوفِّى فيها أيضًا :

[٩/٣٣٥و] **أبو الفَتْحِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ بَخْتِيارَ بنِ علىٍّ**[2] **بنِ محمدِ بن إبراهيمَ بنِ جعفرٍ**[2] **الواسِطِىُّ المعرُوفُ بابنِ المَنْدائىِّ** ، آخرُ مَنْ روَى مسندَ الإمامِ أحمدَ عن ابنِ الحُصَيْنِ ، وكانَ مِن بيتِ فِقْهٍ وقضَاءٍ ودِيانةٍ ، وكان ثِقَةً عدْلًا

---

(١) الكامل ١٢/ ٢٧٩، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٦٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٤٦، ١٧٤، والعبر ٥/ ١٢، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٧٢.

(٢ - ٢) سقط من : م، وانظر ترجمته فى : الكامل ١٢/ ٢٨٢، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٧٧، وذيل الروضتين ص ٦٦ وفيه (محمد بن بختيار بن عبد الله) وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٨٧.

مُتَورِّعًا فى النَّقْلِ، ومما أنْشَده من حفْظِه[1] :

ولو أنَ ليْلَى مَطْلِعُ الشمسِ دونَها   وكنتُ وراءَ الشمسِ حينَ تغيبُ
لحدَّثْتُ نفْسِى بانتظارِ نَوالِهَا   وقالَ المُنَى لى إنها لقريبُ

قاضِى القُضاةِ بالديارِ المصريةِ صَدْرُ الدِّينِ عبدُ الملكِ بنُ درباسٍ[2] المارانِىُّ الكُرْدِىُّ.

---

(١) تاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٧٨.

(٢) ذيل الروضتين ص ٦٧، والعبر ٥/ ١٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٧٩، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٩٦.

فهرس

الجزء السادس عشر من « البداية والنهاية »

الموضوع الصفحة

تم بحمد الله وتوفيقه الجزء السادس عشر ،
ويتلوه الجزء السابع عشر ويبدأ بأحداث
سنة ست وستمائة
ولله الحمد والمنة